التّرجمانة الكبرى

في أخبار المعمور برّاً وبحراً

لمؤرخ الدولة العلوية
أبو القاسم الزّياني

1147 - 1249 هـ
1734 - 1833 م

حققه وعلق عليه:
عبد الكريم الفيلالي



زنقة الإنعاش الحي الصناعي – الرباط
☎ 79 57 02 / 79 69 14 فاكس: 79 03 43

الترجمانة الكبرى

في أخبار المعمور برّاً وبحراً..

رقـم الايـداع القانونـي
1991 / 795

طبعـــة

1412 هـ ــ 1991 م

الترجمانة الكبرى

في أخبار المعمور براً وبحراً

لمؤرخ الدولة العلوية

أبو القاسم الزياني

1147 - 1249 هـ

1734 - 1833 م

حققه وعلق عليه:

عبد الكريم الفيلالي



زنقة الرخاء ـ الحي الصناعي ـ الرباط

☎: 02 57 79 / 14 69 79 فاكس: 43 03 79

كتاب من أمير المؤمنين المولى سليمان
إلى أبي القاسم الزياني

محبنا وكاتب والدنا الفقيه الأديب اللوذعي الأريب، السميدع الأنفع، المؤرخ الأرفع، السيد أبو القاسم، متّع الله بك ومتّعك. فلقد أحسنت فيما جمعت وأوجزت فيما ألفت ولقد عاب أهل العصور وعلماء الجمهور، من لم يقيّد فضائل أهل زمانه ومكارم إخوانه لأنّ المذكور حيّ ما بقي ذكره. قال تعالى: «واجعل لي لسان صدق في الآخرين» والمجهول ميت حيّ وميت. وتأمر ابن عبد الصّادق أن يدفع لك الكاغيد الذي بالقبة من عنده أم من عند ابن سالم. وواجر على نسخه بمثقال للكراسة. ووقف على كتابته أبقى الله لك به أجرا وذكرا، وجعله لك في الآخرة ذخرا، ولا تجعل حقوقك علينا.

وفقك الله وهداك لما فيه صلاح دينك ودنياك.

تعريف المؤلف بكتابه الترجمانة الكبرى وإهدائه للمولى سليمان

هذه الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برّاً وبحراً لم تقتصر على ما في الرشاطي من الأمصار، ولا على ما جمعه ابن عبد المنعم في الروض المعطار، وزادت على ما جلبه ابن الجوزي من أخبار البحار والقفار، وعلى ما في خريدة العجائب من الجزر والعيون والآبار والأنهار، وعلى ما في عجائب المقدور من نفائس الحكم والأسرار، وأبرزت ما أغفلوه ولم يكن به شعور وإنذار، وحليتها بحوادث ونوادر وحكايات جلبها المؤرخون الكبار، كالإمام ابن قتيبة، والمسعودي، والطبري، وابن عساكر، والذهبي، والبكري، والبلاذري، وابن كثير، وابن خلدون، وابن أبي زرع، وابن زيدون، وابن حزم، وابن مرزوق، وابن الخطيب، وفيدت من غرر كلامهم أوفر نصيب، وضمنتها ما في رحلة البكري من النكت والأشعار، وما في رحلة البلوي من نفائس الأخبار، وما في السرخسي للأندلس والمغرب، من كل ما يعجب ويطرب، وما في رحلة العياشي ومحاضرات اليوسي وأدبيات الولالي وابن سعيد السوسي، وما يناسب ذلك من البراهين القاطعة، من التفسير والفقه والحديث، ومن شواهد العرب قديمهم والحديث، في الرد على المجوس واليهود وأهل التثليث، وأهل البدعة والاعتقاد الخبيث، وكلت لهم بالمكيال الأوفى، حسبما سطره من تصدى لهم من الأئمة ووفى، محبة في جناب المصطفى.

وجعلتها قربة لهذا الجناب الأعظم والسلطان العادل الأفخم الذي هو في أنواع العلوم المقدم، وعند ملوك الإسلام مسموع الكلمة محترم، عالم الملوك وملك العلماء، الإمام المكرم المولى سليمان..

أبو القاسم الزياني
في متم ذي الحجة عام 1233 هـ

مقدمـــة الطبعـــة الثانيـــة

للمرة الثانية يعاد طبع «الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً» لأبي القاسم الزياني 1147 ـــ 1249 هـ 1734 ـــ 1833م [1]. وذلك بواسطة دار نشر المعرفة للتوزيع والنشر، وبإلحاح من جمهور أبي القاسم الزياني في ربوع المغرب العربي وبقية الأقطار العربية الاسلامية التي كثر منها الطلب لهذا الكتاب الذي جمع الرحلات الثلاث لأبي القاسم الزياني، والتي سجل فيها وبطريقته الخاصة به إلى جانب مذكراته، الكثير من فصول التاريخ قديمه وحديثه إلى جانب الحوادث السياسية الكبرى التي حصلت في عصره، والزمن الطويل الذي مضى من عمره في مجال السياسة، ككاتب خاص للسلطان محمد بن عبد الله ثم كوزير وسفير بعد ما تنقل في وظيفة حاكم بين الجنوب والشمال والشرق.

منذ أكثر من عشرين سنة مضت، وبعد مضي أقل من خمس سنوات على الطبعة الأولى 1967 أصبح الكتاب شبه مفقود. وإن هو وجد فبثمن باهض يساوي أضعاف ما ظهر به لأول مرة «عشر مرات» ذلك أن القارىء العربي اكتشف في أبي القاسم الزياني الدافع الذي دفع بي ومنذ أكثر من ربع قرن مضى إلى التفكير في «إحياء التراث القومي» في عهد الدولة العلوية. ولذلك كان البدء بإنتاج أبي القاسم الزياني الذي ما كاد ينشر له كتاب الترجمانة الكبرى حتى ظهر من الضجة المفتعلة ضد أبي القاسم ما كنت أعرف أن أحفاد خصوم الصراحة والصدق وما تميز به إنتاج أبي القاسم سيفتعلونها. وفعلا تطور الموقف بطريقة أمسك عن التفصيل فيه لأن خصوم أبي القاسم في عهده كانوا شبه أقزام. وأحفادهم اليوم يتطاولون على كل مقام.

لكن الذي يعجب منه المرء هو تعرف الجمهور وبتلك السرعة على أبي القاسم الزياني الذي أصبح قراؤه يتكاثرون ليس في المغرب العربي، بل وفي جهات مختلفة من بلاد العالم العربي والإسلامي. وذلك بدافع ما لأبي القاسم الزياني من صدق في القصد وصراحة في القول. ونبل في الهدف ناهيك وأن أبا القاسم وليس في كتابه الترجمانة فقط، بل في كل كتبه تناول من القضايا والمواقف، ما كانت وستبقى جديدة بالنسبة للقارىء، ثم هي صالحة للمقارنة مع ما يحدث كثيرا في حياة الناس رغم اختلاف الزمان والمكان.

لأبي القاسم الزياني كثير من الكتب بلغت نحو 27. أصبحت جلها إن لم تكن كلها في عداد النادر شبه المفقود، ذلك لأن منها ما تفرد بموضوعه أبو القاسم الزياني وحده، والتي صرح فيها بما لم يستطعه غيره، بحيث كان بحق مثال المؤرخ الذي لم يكن يعنيه من التاريخ غير قول الحق وتدوينه مهما كان مُراً وجارحاً، ومهما جلب عليه من أذى مرضى النفوس وخفافيش الظلام، الذين يعكرون الصفو في كل زمان.

---

1) لقد افتتح الزياني الكتاب بالتعريف بنفسه بما فيه الكفاية راجع ص 65/52 ولذلك لم نتناول في هذه المقدمة كسابقتها أطوار حياته.

وبحكم ما كان يتمتع به أبو القاسم الزياني من إمكانات مادية أسسها جده ووالده ثم زاد عليها هو، استطاع أن يتحرر في تعبيره وأسلوبه، وأن يصرح بما لم يُعرف لغيره من المؤرخين المغاربة المضطرين، حتى إننا لنجد في كل كتبه مما يتصل بواقع المغرب وما عرفه في عصره ما لم نجده في غيره.

فمثلا كتابه «تحفة النبهاء في التفريق بين الفقهاء والسفهاء» وكتابه «حديقة الحكام الجفاة. ومن انضاف إليهم من البغاة» و«التاج والاكليل» ومجال الكتب مدينة فاس ومجتمع مدينة فاس في فترة من تاريخ هذه المدينة. وقد انحطت فيه بسبب ظلم الحكام إلى الدرك الأسفل سياسيا واجتماعيا وأخلاقيا. وكم يتمنى المرء نشر كتاب تحفة النُّبهاء حتى يتعرف الناس كيف أن الوراثة والسلالة، وكما قررها العلم الحديث كشيء واقع وأكيد، ولها الأثر الكبير والفعال في استمرار الخير من أعمال الذين عُرف آباؤهم بالخير، وكذلك الخيانة والشر في أعمال الذين عرف آباؤهم بالشر والخيانة، حتى إن المرء الذي يقرأ ما حصل في عهد المولى سليمان وما عرفه هذا الملك المصلح من غدر وخيانة بعضهم، ثم هو عاش مرحلة نضال محمد الخامس ضد الاستعمار الفرنسي وتعرف على أعمال الخونة والعملاء من مسلمة اليهود وأعلاج النصارى ومن نهج نهجهم، وأنه مع فارق الزمان إذا كان السابقون قد تحركوا بدافع الطمع والشره وحب العاجلة في عهد المولى سليمان. 1236 هـ 1820م، فإن أحفادهم كذلك ومن أجل تحقيق نفس الهدف المادي، رأيناهم يتحركون حسب إشارة الإقامة العامة لإدارة الحماية الفرنسية،وضد الأهداف الوطنية التي تزعم النضال من أجلها محمد الخامس الذي سجل التاريخ مأساته عام 1373 هـ 1953م.

وكتاب تحفة النبهاء بين الفقهاء والسفهاء الذي يصور لنا تلك المرحلة أصدق تصوير، كان بعضهم يشتريه بأغلى ثمن ليقدمه قربانا للنار التي أحرقت منه العشرات من النسخ على كثرتها في عهد المؤلف وبعده، ولم يبق لنا منه غير نسخة احتفظ بها الخائن الحقير الجاني عبد الحي الكايتاني، الذي كان يهدد بها بعض الأحفاد الذين لم يقترفوا معه في عهد محمد الخامس ما اقترفه أجدادهم في عهد المولى سليمان.

ومهما يكن فإن لكتب أبي القاسم الزياني بصفة عامة، وبين مجموع المؤرخين المغاربة قداما ومحدثين نكهتها التي تشد القارىء إليها بقوة لايتوفر عليها في مجال التاريخ غير أبي القاسم الزياني، وبذلك اعترف له كل من كتب حول ترجمة أبي القاسم الزياني كمؤرخ مغربي عموما وضمن بل في طليعة قافلة «مورخي الشرفاء» كما أطلق اليهودي الوهراني «ليفى بروفانصال» ذلك أن الزياني أكثر من غيره صور لنا فترة من تاريخ المغرب السياسي في عصره، عرف فيها بحوادث زمانه، وبالأوفياء الذين كرمهم لوفائهم، كما عرف بالخونة الأغبياء من المرتزقة الذين أهانهم بكشف رذيلة خيانتهم، ومثل ذلك في مجال التاريخ العام، وإذا كان أسلوب أبي القاسم الزياني المتميز يتعرف عليه القارىء من خلال ما كتب، سواء في الترجمان المعرب، أو البستان الظريف، أو الروضة السليمانية، أو غيرها

من الكتب التي ذكرنا جلها في مقدمة الطبعة الأولى، فإن القارىء وبسهولة ليستطيع أن يتعرف على الزيادة التي تطرأ على أي كتاب من كتبه، أو تلك التي توضع وتنسب إليه، مثل قصة البلديين الذين هم من سلالة اليهود وأعلاج النصارى، والذين كان الزياني المسلم ينكر على مضطهديهم، لكن طبعه وما عرف به من صراحة في قول الحق، دفع بعض الذين كان لهم حساب مع بعضهم إلى أن يكتب ثم ينسب ما كتب الى الزياني، خصوصا وأن بعضهم «أي البلديين» كان قد برز في مجال العلوم والمعارف، مما أصبح يضايق الآخرين من القاسيين، وإلا ما علاقة الزياني بالنقمة على البناني وبن زاكور وبن تطار، ثم إن كاتب القصة أوقفها في عهدي الرشيد وإسماعيل، مع أن النقمة استمرت إلى عهد المولى عبد الرحمن بن هشام، وكان هذا هو المجال الذي حق للزياني فيه أن يصول ويجول لو كان هو الذي كتب قصة المهاجرين المعروفين بالبلدين، الذين جسم القول في موضوعهم محمد ميارة صاحب «نصيحة المغتربين» بل حتى أولئك الذين مزقهم الزياني في «تحفة النبهاء» وفيهم من هو من أصل بلدى لم يذكره بأصله، لأنه الذي يعلم ويقدر أن الاسلام أكرم دين لمجرد ما يعتنقه المرء يجب ما قبله، ويصبح معتنقه مع غيره من آل البيت سواسية كأسنان المشط، وبذلك عبّر الصادق الأمين ﷺ.

إن الزياني ومثله أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الضعيفي السوسي الأصل الرباطي المولد [2] 1165 ــ 1233هـ/1751 ــ 1817م. صورا لنا وبطريقة جدّ متميزة، الحياة السياسية والاجتماعية. إلا أن أسلوب الزياني تجاه كشف خونة العصر، تميز بقسوة قاسية وعنف عنيف، خصوصا في كتابه تحفة النبهاء في التفريق بين الفقهاء والسفهاء، وبسبب الصراحة التي تميز بها الزياني عرف من زمانه الذي عاش منه مائة سنة وسنتين، فترة تطاول عليه فيها بعض الساقطين بسبب موقفه من السلطان اليزيد(1206 هـ)، وموقف اليزيد منه، ثم بعد 1236 هـ وذلك مما يطول التفصيل فيه، وذلك شأن كل عظيم. فمثل أبي القاسم الزياني الذي صارع الظلم والبغي والفساد في جانب من حياته السياسية المليئة بالمغامرات، كان لا بد له وهو الذي تنقل في مختلف الوظائف السامية عاملا ووزيرا وسفيرا، من أن يلاقي في مسيرة حياته ما يلاقي من خير وشر، ومن حلو ومر، ناهيك وأنه عاش حياة ثلاثة من السلاطين وبعض حياة الرابع، وهم المولى محمد بن عبد الله، واليزيد، ثم المولى سليمان والمولى عبد الرحمن بن هشام، وقد نال من إعجابهم وتقديرهم ما أكبره ورفع مكانته بين الآخرين بل إن الزياني وهو البربري الأصل نال بثقافته وحسن سياسته ما عزَّ على جل معاصريه، الأمر الذي جلب عليه من حسد الحاسدين وكيد المغرضين، ما جعله يرتفع ويرتفع أكثر، بحيث عاش عظيما ثم هو لا يزال يذكر في الخالدين من المؤرخين العظماء.

---

2) طبع الكتاب في جزء عام 1986 بتحقيق الأستاذ أحمد العمارى، ط دار المأثورات.
ثم طبع في جزأين عام 1988 بتحقيق الأستاذ البوزيدي الشيخي ط دار الثقافة.
والمؤلف محمد بن عبد السلام بن أحمد الضعيفي كما هو في أحد ظهائر التوقير والاحترام «لآل الولي الصالح سيدي عياد السوسي الضعيفي إلخ» وثيقة خاصة وعياد هذا ضريحه بأولاد بن ارحيل بسوس. وفي المعسول 24/20 «سيدي عياد في تامازت .. إلخ.

لقد عرفنا الزياني ومن خلال ما سجل بصدق وأمانة أن في تاريخ المغرب وفي الفترة التي عاشها وما قبلها بقليل، مواقف جد نيرة ومشرقة، وأخرى مظلمة قاتمة ومؤلمة، ما كان لنا أن نتعرف عليها لو لم يدونها أبو القاسم الزياني، ولقد مثل الزياني بعمله ذاك، دور المؤرخ الثبت الذي بتوضيحه تلك المواقف أفاد المواطن المغربي عن فترة من تاريخ بلاده، وبذلك أصبحت كتب أبي القاسم الزياني لا يقرأ منها القارىء كتابا حتى يَجِدَّ البحث من أجل الحصول على غيره، ذلك أن أبا القاسم في كل ما كتب حول تاريخ المغرب نراه يبذل من الجهد حول الموقف الذي يقصد البحث فيه، ما يزيد البحث توثيقا وتألقا وجمالا، الأمر الذي دفع أكثر المؤرخين المعاصرين خصوصا منهم صاحب «الجيش العرمرم الخماسي». أكنسوس[3]، وصاحب «الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى». الناصري[4]. إلى أن يأخذ كل منهما الكثير والكثير جدا من كتب الزياني، وإذا كان الأخير يذكره أحيانا ويهمل ذكره مرات، فإن أكنسوس كثيرا ما نقل الصفحات المتعددة من كتاب الروضة السليمانية من غير أن يذكرها ولو مرة واحدة، بل إن «كتاب الجيش» جله مأخوذ من كتب أبي القاسم الزياني التي يوم تنشر يقف القارىء على ذلك. والذي يفضح كل من يختلس من إنتاج الزياني ولا يذكر اسمه، هو أن الزياني تفرد بتدوين بعض المواقف من تاريخ المرحلة التي عاشها في أواخر القرن الثاني عشر والنصف الأول من الثالث عشر الهجري. ولم يشاركه في بعضها غير أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الرباطي السوسي الملقب بالضعيف، على أن الزياني يتميز بالكشف والصراحة والضرب للخونة والمفلسين على القفا بطريقة لا يقدر عليها غيره، وقد كان يفعل ذلك نكاية بخونة عصره. ثم تشهيرا بالمؤرخين السابقين واللاحقين من الذين عرفنا على أنه لا أحد أفسد العقول وضيع الحقيقة وشوه الأخلاق كالمزورين للتاريخ بقلب وتشويه المواقف وبالافتراء، والتملق والخلق والكذب من أجل الكسب المادي أو الخطوة عند الحكام الأغبياء الذين يتوصلون إلى السلطة والجاه والمال بأخس الوسائل وأحقرها، أولئك وهؤلاء الذين يصدق عليهم قول الشاعر

فَبَاعُوا النُفُوس وَلَمْ يَرْبَحُوا ... وَلَمْ تَغْلُ فِي البَيْعَ أَثْمَانُهَا
وَقَدْ رَتَعَ القَوْمُ فِي جِيفَةٍ ... يَبِينُ لِذِي اللُّب أَنْتَانُهَا

وشيء آخر تتميَّز به كتابة أبى القاسم الزياني في مجال التاريخ، هو أنه إذا كانت قاعدة المنهج المعاصر تقول إن التاريخ في اصطلاح العلماء معناه تدوين الحقائق كما هي،

---

3) نقل العشرات من صفحاته خلسة من كتاب الروضة السليمانية حرفيا من غير أن يذكر الكتاب ومثل ذلك فعل مع البستان الظريف..

4) ومثله فعل الناصري مع الترجمان المعّرب والبسعان الظريف والروضة السليمانية مع الفرق الواضح بين الناصري و أكنسوس الذي بالغ في النقل..

وليس معناه تدوين أفكار ونظريات المؤرخ، فإن أبا القاسم الزياني جمع بين القاعدتين، وتلك من معطيات عصره ومما يعتبر بنظرة العصر من المآخذ عليه. كما يؤاخذ عليه بالاضافة إلى ذلك النهج، بعض التأثرات التي ليست من مكنونات ثقافته فيما يظهر لنا من إدراكاته لآراء الذين استعملوا أسلوبا غير أسلوبه المبسط القريب، فهو في بعض استطراداته اقتداء بآخرين، يتحدث عن الأحجار والحيوانات وأنواعها وخواصها... وذلك أسلوب المتأثرين بالمتكلمين الذين يستعملون في أساليبهم طريقة أرسطاليس، حيث يبدأ كما يبدأون بالهيولي والصورة والزمان والمكان والحركة. وينتقل إلى الآثار العلوية حتى يصل إلى المعادن ثم النباتات ثم إلى الحيوان ثم إلى الانسان، ويختم بعلم النفس غير المفهوم له، بل ذاك الذي تستعمله المتصوفة، وليس هذا التدرج مما يسلكه الزياني قياسا، لأنه حسب تطوره العلمي ودراساته وكما استعرض من خلال الترجمة التي كتبها عن نفسه، لم يكن له ما يحقق ذلك أو يتجه ذلك الاتجاه الذي عرف به بعض المتأثرين بمذاهب الفلاسفة والمتكلمين، وإنما كان يقتبس أحيانا ــ وكما أشار ــ طريقة المتكلمين وأخرى طريقة المؤرخين، وثالثة طريقة الفقهاء والمفسرين، وله في كل ذلك آراء لا نتبين مصدرها، غير أننا لا نطمئن بانتساب بعضها إليه، لأنه لا يسلك فيها طريقة التدرج المألوف بقدر ما يخلط تقديما وتأخيرا بالاضافة إلى عدم توفر الغاية المرجوة من ذلك.

وتوضيحا فهو حين يتحدث عن المعادن، يبدو لك وكأنه متأثر باسلوب إخوان الصفا حين يتكلمون عن الأجرام العليا وتأثيرها في أعضاء الجسم البشري الخ وهذا موضوع لايدخله الزياني في موضوع التاريخ بقدر ما يقصد به شيئاً آخر ؟

وهناك ملاحظة أخرى يستمدها القارىء من دراسته لترجمة أبي القاسم الزياني هي

أن زمن كتابة التاريخ الناضج البعيد عن التملق. هو ما بعد الأربعين. أي بعد أن يكون المرء قد تحرر ليس فقط من اندفاع الشباب، بل ومن المؤثرات التي تجرف الفكر والقلم دون قدرة من العقل الجامح على التحكم فيها. بل تلك المراحل كما يقرر علم النفس الأدبي هي التي يعرف المرء فيها أحيانا مواقف عاطفية تكون في مستوى ما بعد المراهقة فكريا ما دام اللسان والقلم يندفعان حسب الهوى وطلب النفع، ودون تمحيص ولا استعمال معيار للكشف عن سلامة المعطوف عليه، وهل يستحق الحب والعطف أم لا، وبالمثل حين يستعمل اللسان والقلم كوسيلة للغمز واللمز والهدم والردم.

ومهما بلغ المرء من قدرة على التأثير في آلاخرين بالقول والكتابة في مرحلة ما قبل الأربعين، فإنه سرعان ما ينتهي ذلك التأثير بزوال الظرف الدافع، وهذا ما تحرر منه أبو القاسم الزياني الذي كتب ما كتب اعتمادا على الوثيقة أولا. والواقع المعاش كذلك، بل وحين نراه يمسك بخناق أحد، أو يمزق الستار عن آخر، بل وحين يكشف عورة بعضهم لا نجده يقدم على ذلك بدافع غير تحقيق فكرة كتابة التاريخ للتاريخ، غير عابىء بأي

كان، حتى ولو كان من ذوي الجاه والنفوذ والسلطان، لأنه غير محتاج ماديا لأحد، ولا هو تحت رحمة أحد، وهذا ما كان يقهر خصوم صراحة أبي القاسم الزياني ويردعهم ثم هو لم يكتب ما كتب عن المواقف السياسية الكبرى التي عاشها. إلا وبيده من الوثائق ما يؤكد صدق هدفه ونبل غايته من كتابة التاريخ، وقد كان هذا ولا يزال من أهم مقومات الكاتب. ولقد جاء المنهج المعاصر وأكد صدق وجميل صنع الزياني حين أكد أنه لاتاريخ يقبل ثم يتمكن ويصمد أمام كل ألوان النقد والتحليل بدون وثيقة، ولا قيمة للوثيقة بدون أمانة، فالذي يتعامل مع الوثيقة كما يفعل الصراف المرابي يريد أن يخفي السليم ويدفع للناس العملة الزائفة إنما هو يعرض نفسه وما يكتب وينشر على الناس للبخس والخزي والتحقير، وهذا شيء نعيشه في حياة الناس، فالوثيقة في مجال التاريخ مثلها مثل قطعة الدينار والدرهم، لا تزيد ولا تنقص في وزنها وقيمتها، ومن حسب غير هذا يكون قد عرض نفسه وما يكتب لسخرية آلاخرين أيضا.

لقد أفَدْنَا مما كتبه الزياني أن المؤرخ إذا هو أراد لما يكتب احترام المنصفين وصفعه للمرجفين، عليه أن يكون صريحا ونزيها، ولا يعنيه مما يكتب غير الحقيقة الواضحة عنده، والتي يكون هو قد اقتنع بها، ولا يهمه الرضى والغضب من آلاخرين، وهذا ما فعله الزياني كما تؤكد ذلك الملاحظة، ومن خلال كتبه التي يخبرنا أنه كتب جلها وهو بمعزل عن كلّ المؤثرات باستثناء حبه وصداقته للمولى سليمان.

أنست بوحدتـــي ولـــزمت بيتـــي	فدام الأنس لي ونمـــــا السُّرورُ
وأدَّبنِـــي الزمـــان فمـــا أبالــــي	هُجـــــــرت فلا أُزار ولا أَزُورُ
ولست بسائِـــل ما دُمت حيّـــــاً	أسار الجنـــد أم ظَهـــر الأميـــر

بل يخبرنا الزياني أنه ما اختار هذا الوضع المريح إلا بعد ما خبر الحياة من القمة الى القاعدة، قرب السلطان وبعيداً عنه. وأنه وجد الراحة في البعد مقتديا بأبي علي اليوسي الذي هو خير من يُقتدى به، والذي خبر القرب من السلطان زمن المولى الرشيد وهو من هو مكانة وعلماء حتى إنه لما دس عليه عبد الرحمن الفاسي دسيسته المشهورة ضد اليوسي حين كشف الفاسي للمولى الرشيد مراسلات اليوسي للدلائيين وفيها الاشارة إلى أنه يجب أن يحذروا من الرشيد الذي حل بزاويتهم «لأن زوال سلطانهم سيكون بيد أولاد مولاي الشريف[5]» ومع ذلك بقي تقدير واعتبار اليوسي سواء من الرشيد أو صنوه إسماعيل هوهو. لكن ذلك لم يمنع اليوسي من تقرير الحقيقة التي يؤكدها الواقع والمعرفة وتجارب الحياة. والتي عبر عنها اليوسي شعراً بقوله الصادق

لا تقربـــنّ مالكـــاً ولا تلـــوذ به	ولـو تنـــل عنـــده عزاً وتمكينـــا
يستخدمـونك في لذات أنفسهـــــم	فيذهب العمـر لا دنيـا ولا دينـا[6]

---

5) راجع التاج والاكليل في مناقب السلطان الجليل للزياني، وكتابنا التاريخ المفترى عليه في المغرب ط 1969

6) الترجمانة ط 1. ص 61 ــ 62.

ولعل الزياني مثل اليوسي وأكثر، عرف تلك الحقيقة عن قرب ولزمن طويل جدا. ومع ذلك فقد كانت مواقف ابي القاسم السياسية سواء في ابتعاده ونفوره من اليزيد العاق الذي تبرأ منه والده ثم نشر تبرأه وعلقه على الكعبة، أو في انتصاره للمولى سليمان الذي كان المفضل عند والده والمحبوب من الناس لعلمه ودينه وخلقه ــ كلها مواقف كانت لا تصدر إلا عن عقيدة والتزام، وكثيراً ما كان يؤكد أن الحياة بلا عقيدة سليمة والتزام صادق، هي حياة بهيمية نهايتها الحسرة والألم وسوء المنقلب. وبهذا المفهوم مارس ابو القاسم الزياني كتابة التاريخ الذي كانت تجربته معه من العوامل التي مكنت لعقيدة التوحيد في نفسه، ثم هذبت سلوكه بطريقة عرفه بها القريب والبعيد،وأنه كان عندما يقدم على عمل هو مقتنع به لا يبالي بشيء غير اعتقاده أن الحياة بحلوها ومرها قدرٌ محتوم، وأن ما عند الله مما هو مقدّر أوثق مما في اليد ومما هو مقرر، وبذلك كانت نظرته إلى الحياة عاملا أقوى من عوامل استقراره النفسي. مكنته من القناعة التي لا يعاد لها شيء في جلب الاستقرار للنفس واطمئنانها إلا الجزم عنده بأن الكبير الذي يحسب نفسه كبيراً، هو أصغر من الصغير، إن لم يكن أحقر حقير ما دام يتعاظم ويستعرض عضلاته التي يحولها الزمان والديدان إلى خيوط العنكبوت التي تذروها الرياح، والذي ينتهي إلى هذه الحقيقة. يكون قد تعلم من التاريخ احتقار كل من يتهافت على ما في أيدي آلاخرين بدافع الشره والنهم وحب العاجلة.

ولم أجد من بين المؤرخين المعاصرين الذين عرفت من تمثلت هذه الحقيقة في حياته وما كتب،مثل أبي القاسم الزياني الذي عمل بقول الرسول الكريم ﷺ ﴿الحب في الله والبغض في الله من الإيمان﴾ والمؤرخ الذي يقرأ إنتاج أبي القاسم الزياني بتمعن يتعلم منه كيف يكتب التاريخ ولا يبالي بل يدون الحقيقة مهما كانت مؤلمة. لأنها بقدر ما تغضب مرضى النفوس والعقول، ترضى المومنين الصادقين وتدخل السرور والانشراح على نفوسهم، وهؤلاء واحد منهم خير وأفضل عند الله والناس من آلاف الذين يحبون حياة البهائم بلا عقيدة ولا التزام، أولئك الذين يصدق عليهم وصف «كلاب المزابل» يلهثون جرياً وراء الجيفة ما بين ربوة وشِعْب، وبين الدروب المظلمة بحثا عن الفضلات وما يلقى لجلبهم في الطرقات؟!

لقد كان الزياني مثل سابقيه من علماء المغرب الصالحين الذين يعتز بهم وبسلوكهم الشعب المغربي، ومما يمتاز به تاريخ الاسلام ومواقف رجالات الاسلام هو الحرية. فالإسلام بمبادئه السامية النبيلة. هو الذي سمح لمعتنقيه بالحرية التي لم تكن معهودة في غير مجتمع المسلمين، وقد عمل بها الزياني غير عابىء بالقيود التي كان يفرضها الحكم الفاسد والحكام الجامحون الذين فضحهم في مدينة فاس أو في غيرها، كالودين وهو في العقد العاشر من عمره الطويل، وذلك في الوقت الذي كان المغاربة لا يعرفون من الحكام وقتها غير البخس والإذلال والقهر وخنق الأنفاس، الأمر الذي حرم شجرة الحرية والعزة

والكرامة من النمو في مدينة فاس، فعرفت هذه المدينة وأهلها من التأخر والتقهقر وانحطاط الأخلاق ما جعل بعض خونتها بل المتظلمين فيها يتسابقون بعد إلى الارتماء في أحضان عارضي الحمايات بعد رحيل أبي القاسم بقليل.

ومهما يكن فإن الذين كتب عنهم التاريخ ليس في مقدور أحد أن يحصيهم ولو في عهد الحاسوب، لكن الذين صنعوا التاريخ هم الذين يمكن حصرهم بين قافلة البشر وترتُّب أسماؤهم إلى جانب ما لهم من أعمال تشرفهم وتشرف شعوبهم، ومثلهم الذين دنسوا تاريخ البشر بأعمالهم التي دنست حياتهم وأساءت إلى شعوبهم بين شعوب البشر، وتاريخ الزياني لم يهمل هؤلاء وأولئك، فقد أرخ لنا أعمال الكرام الذين شرفوا أنفسهم وشعوبهم ثم دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه، كما دون لنا أعمال المجرمين الذين أجرموا في حق شعوبهم ثم اختاروا دخول التاريخ من أضيق وأوسخ أبوابه. وبذلك كان الزياني بحق ومن بين المؤرخين المغاربة المعاصرين الذي سجل لنا ما لم يسجله غيره. بحيث عرفنا على المحسنين لهذا الشعب من الذين عملوا لخيره وأمنه وإسعاده. كما عرفنا على الذين كانوا وباء عليه ولم يكترثوا أن تلطخ أيديهم ووجوههم بدماء ضحاياهم من المتظلمين الأبرياء، حتى أنه صور لنا كيف كان بعضهم ينتشي زهوا وعتوا كلما أوغل في الظلم والفساد، وتسلط على من حوله بقوة البغي والارهاق والعناد، وأولئك هم أكلة لحوم البشر على الطريقة الجديدة طريقة إرهاق الشعوب التي أفاد منها الاستعمار الأوربي ثم دفع إليها أذنابه وعملاءه من المعاصرين.

ومهما يكن فإن كتاب الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً، يعتبر من كتب أبي القاسم الزياني الذي تناول فيه وإلى جانب رحلاته الثلاث الممتعة، قضايا تدل على حيوية أبي القاسم، ومن تلك القضايا مثلا ظهور أحمد التجاني الذي دخل مدينة فاس ثم توفي فيها ما بين 1211 ــ 1230هـ وقد عرفنا على حقيقة التجاني بطريقة كشفت الأيام صحة قوله الصريح في هذا الرجل الذي كان وبالمثل الطريقة الضالة التي نشرها البلديون بين جموع السودانيين والسنغاليين قصد تحقيق أهداف مادية. وما هي إلا ضلال في ضلال كما وصفها الزياني ووصف صاحبها الخ.

والملاحظة الأخيرة أخص بها النسخة التي عنها طبعت الطبعة الأولى وهي أنها أصح وأسلم نسخة إطلاقا، ذلك أنها بالاضافة إلى أنها من أول النسخ التي كتبت بخط العالم الأديب والوزير الصدر محمد بن إدريس العمراوي الذي بدأ حياته العملية ناسخ كتب مع أبي القاسم الزياني. فهي كذلك من النسخ التي راجعها المؤلف، وأن تاريخ الفراغ من كتابتها هو متم ذي الحجة 1233هـ والمؤلف توفي 1249هـ وبواسطة البحث والمقابلة تبين لنا أن كل نسخة تم نسخها بعد وفاة المؤلف إلا وحصلت فيها زيادات دسها أبناء وأحفاد الذين كان الزياني قد فضح أعمالهم ومزق الستار عن فضائحهم، وإذا كانت الطبعة الأولى وبسبب ظروف طبعها قد ظهرت وفيها بعض الأخطاء المطبعية. ولقلتها لم نضع لها كشفاً آخر الكتاب، وفي هذه الطبعة تداركنا منها ما وقفنا عليه وما لم نقف عليه فللقارىء أن يساهم بإصلاحه مشكورا.

والله أسأل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وما توفيقي إلا بالله.

الرباط في 14 قعدة 1411هـ : 5/29 /1991م.

ع الفيلالي

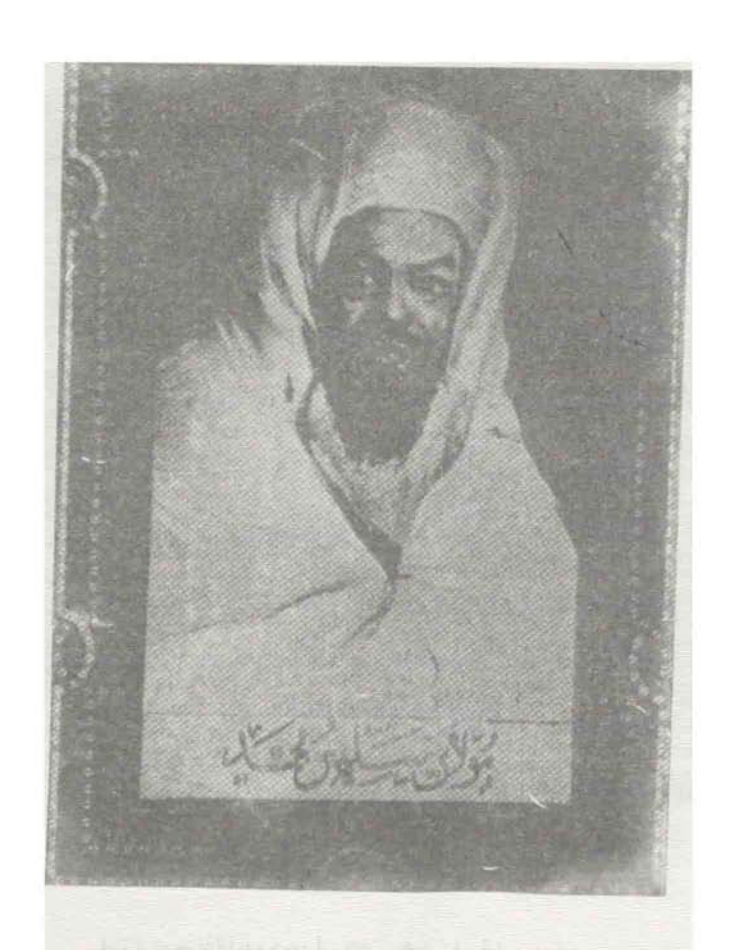


الملك المعظم أمير المؤمنين سيدى
محمد بن عبد الله رضى الله عنه

1171 — 1204 هـ

1757 — 1789 م

فهرسة الترجمانة كما وضعها أبو القاسم الزياني في أول صفحة



الملك المعظم أمير المؤمنين المـولـى سليمــــان

1206 — 1238 هـ

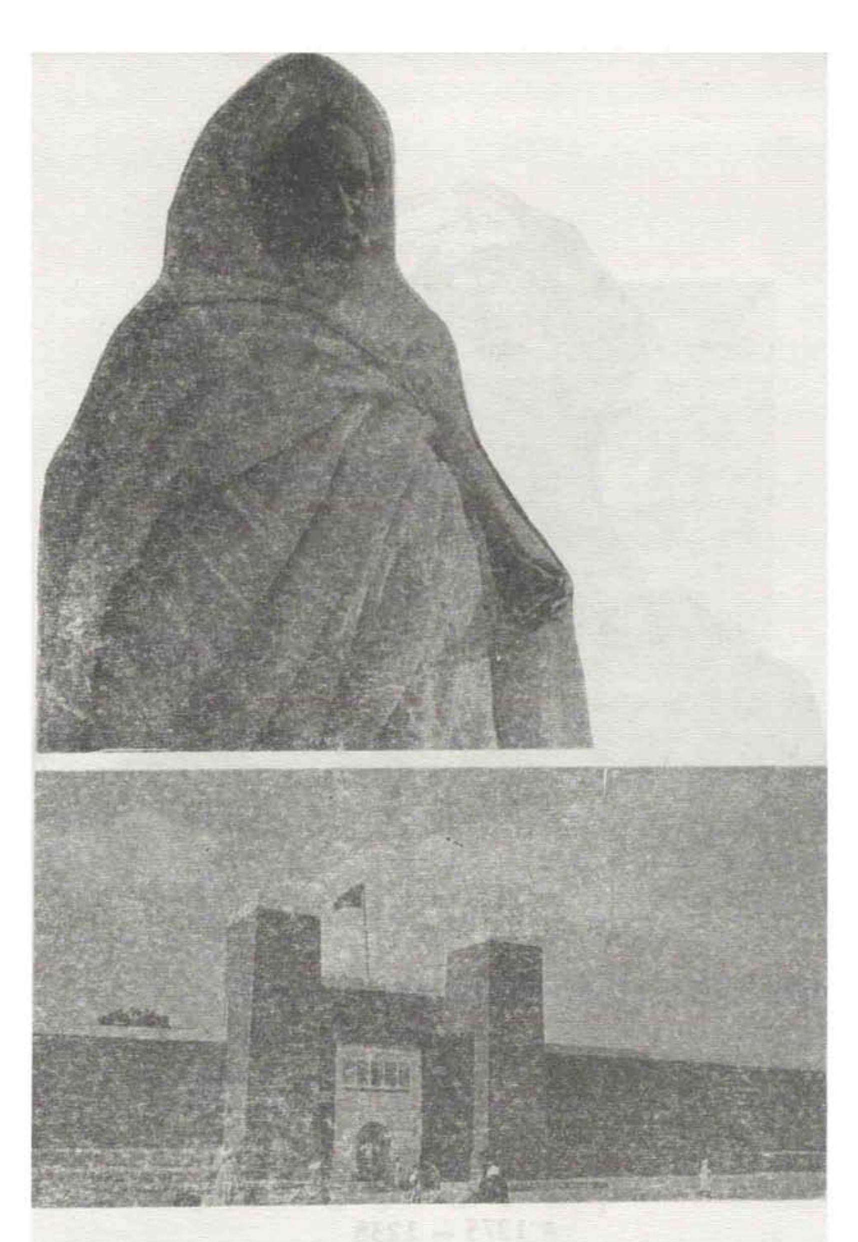
1792 — 1823 م



الملك المعظم أمير المؤمنين المولى عبد الرحمن بن هشـــام

1238 – 1275 هـ

1823 – 1858 م



قصر الخلافة بتافيلالت وهو المكان الذي اقترح فيه المولى سليمان على الزياني تاليف كتابه « الترجمان » وقد كان الزياني عاملا بتافيلالت حيث لاتزال داره المعروفة بـ « دار الزياني » جوار الريصاني محادية لبقايا سجلماسة القديمة
راجع الترجمان المعرب : ص 1 د 658 الخزانة العامة الرباط

عصر الزياني
والمولى محمد بن عبد الله

لا تفهم شخصية ابي القاسم الزياني على جليتها ، بغير الرجوع الى شخصية الملك الامام المجتهد ، المولى محمد بن عبد الله، اذ بمعرفتنا لاغراضه ووسائله ومساعيه ، نستبين الجو الذي وجد فيه ابو القاسم الزياني وعاشه ، والمستوى الذي بلغه المغرب فى عهد هذا الملك العظيم ، رغم الفترة المنحرفة ، التي طالت وطال انحراف بعض رجالات الجيش والساسة فيها ، وهي الفترة ما بين موت المولى اسماعيل 1139 هو 1726 م وتولية حفيده 1171 ه، 1757م

واذا كان المولى محمد بن عبد الله منذ اللحظة الاولي التي اسند اليه فيها والده السلطة ، أو قبل ان يتولى الملك ، عقد النية على خطة التعمير والانشاء بالعلم والعدل ونشر العرفان ، مما ميز عصره وجعله أحسن عصر فى تاريخنا المعاصر

واذا لم يتهيأ للجيل السابق بل الاجيال ان تتعرف على اقرب كتابه ووزرائه اليه، والذيزحزح احمد قادوس،وهو ابو القاسم الزياني وذلك بسبب الحقد السياسي الذي جرته عليه صراحته ، شأن كل عظيم ، فانه اليوم قدر له ان يظهر للاجيال القادمة ، بما يستحق من تقدير ووفاء جزاء تقديره ووفائه لرعاية من اغدق عليه النعم ، وانشأ فكره من العدم ، والذي لولا اكرامه لأبي القاسم لما كان ابو القاسم شيئا يذكر ، والذي عند ما يجتمع لنا ما تفرق من انتاجه بين زوايا الاهمال والنسيان المقصودين ، وقتها نتعرف على غراس فطنته وعظيم همته التي لم تقعد به حيث شاء له الفير ، حتى ولو كان هذا الفير هو والده كما قص وأبان .

حقا لم يؤرخ احد من المغاربة للعصر الذي عاش فيه ابو القاسم الزياني مثلما ارخ أبو القاسم الزياني لنفسه والعصر الذي عاش فيه ، وهو عصر أعظم ملوك الدولة العلوية ، علما وخلقا وسياسة وتدبيرا، ذلكم هو الملك الامام المجتهد ، المولى محمد بن عبد الله بن اسماعيل ابن الشريف الذي ازدهرت ايامه بالعلم والعلماء ، من فقهاء ومفسرين وأدباء ومؤرخين ، كما ازدهرت بالانشاء والانتاج والعمران والرخاء بين المواطنين .

مولده ونشأته

ولد المولى محمد بن عبد الله فى مدينة مكناس سنة 1134 هـ ، 1721 م ، كما ولد ابو القاسم الزياني فى مدينة فاس سنة 1147 هـ ، 1734 م ، وقد كان جده علي ، اماما بقصر المولى اسماعيل ، الذي اختاره لدينه واستقامته ، والمامه بالقراءات العشر ، كما شهد تلميذه ابو الحسن علي بن مسعود اليوسي المتوفى سنة 1102 هـ ، 1691 م والذي استقدمه من قريته « اراكو » بادخسال

واذا كان المولى محمد بن عبد الله قد ولد فى عصر جده العظيم المولى اسماعيل ، وقبل موته بخمس سنوات وهو الزمن الذي تتحدد فيه الشخصية ، اي فى اعلا اوج عظمة الحكم الذي وصله واضع أسس الدولة العلوية ، وموحد تراب المغرب ، بعد اخويه محمد والرشيد ، فمن ذلك نستنتج طبيعة الجو الذي ينشأ فيه وليد اكبر أولاد المولى اسماعيل وهو المولى عبد الله احب ابنائه الى نفسه

ولد الامير وبلاط جده يزخر بالعلماء ، وخيرة الادباء ، بل وبلاط جده يسمو بالعلم والعرفان والقوة والسلطان ، فوق كثير من بلاطات الدول المعاصرة ، وكفى ان يستدل بالتنظيمات وبما كانت عليه المكتبة الملكية الاسماعيلية التي كانت تحتوي على اثنى عشر الف مجلد 12 000 قبل عهد الطباعة حسب رواية المولى عبد السلام ابن المولى محمد بن عبد الله فى كتابه «درة السلوك» والتي وزعها المولى محمد بن عبد الله على عموم الجوامع الكبرى بالمغرب

فى هذا الجو ولد الامير الذي وجهت اليه عناية ، لم يسبق ان وجهت لمثله ، ذلك انه فتح عينيه على معلم كفء وقدير هو محمد بن عبد الله ابن ادريس المنجرة ، مضاف اليه ما وجد فى والدة ابيه التي تولت تربيته والعناية به ، وهي ربة الدار ، السيدة الفاضلة القانتة خناثة بنت بكار المغافرية الشنقيطية (1) تلك التي اصبح الامير الصغير جزءا من حياتها ، بل استولى على كل اهتمامها ، لانها وجدت فيه خير أنيس ، لا تفارقه حيث حلت ، وانى اتجهت ، ولو الى البيت الحرام ، 1143 هـ ، 1730 م ، حتى اننا لنستطيع ان نلمس ، بكل وضوح واجلى صورة ، آثار تلك التربية ، وذلك التعليم ، وآثار تلك الانطباعات التي انطبعت فى ذهن الامير اثناء رحلته مع جدته الى الحجاز ، وما لاقياه من حفاوة رجالات الدول وحماة البيت الحرام.

برزت تلك الانطباعات فى حياة المولى محمد بن عبد الله ، فى سلوكه وايام استلم السلطة حيث كان اهتمامه اكبر بتلك الديار وعلمائها ، والمهاجرين وسدنة مقام ابراهيم ، كما برزت فى ارسال

---

1) هي زوجة المولى اسماعيل ووالدة المولى عبد الله توفيت بفاس حوالي 1159 هـ راجع الاتحاف ج 3 من ص 16 الى 22

ابنائه والبعثات السياسية من رجال دولته لاداء ما كان يقصد بـه التقرب الى الله ، وبالتالي زفاف ابنته حبيبة لابن شريف مكةسرور، مرفوقة بأخويها علي خليفته بفاس 1197 هـ ، والطفل عبد السلام صاحب كتاب « درة السلوك » و « اقتطاف الازهار » بعد ، وقـد بلغ جهازها مائـة الف دينار ذهبا بالاضافـة الى ما ذكـر الاخ عبد السلام من هدايا لا تقدر بثمن ، وابرز تلك الانطباعات ما انتهى اليه امر هذا الملك من اهتمام بالحديث النبوي كمصـدر للتشريـع ، والنظام في الحياة دينا ودنيا ، بلغ فيـه مكانا لا يجاري الى درجـة نستطيع القول معها انه لم يسبق لها في عالم المهتميـن بالحديـث ودراساته ورفعه واسانيده والاستفادة منه ، والاجتهاد فيه (1) ، كما امر علماء بلاطه بشرح الكتب البارعة فيه ، ومن ذلـك كتـاب الصفاني الذي شرحه التاودي بنسودة ، الى جانب اصلاحاتـه القضائية والعلمية ، ومناهجه التعليمية ثم الاقتصادية والاجتماعية التي تناولت بشكل لم يسبق اليه حقوق المراة واليتامى والاموال والمعاملات (2) وبالتالي حنبليته وهو امام شعب سادت المالكية كل علمائه وافراده الى درجة انه اصبح في نظر المؤرخين المتاثر بنظريات محمد بن عبد الوهاب في حين انه لم يتاثر بها ، وانما قادته دراساته واجتهاده الى نفس الافكار التي ظهرت في مذهـب محمد بن عبـد الوهاب ، والتي لم تصل المغرب الا بعد مراسلة عبد الله بن سعود لعلماء تونس ، ومنهم لعلماء المغرب ، في عهد المولى سليمان ، والتي اجاب عنها حمدون بن الحاج السلمي كما هو معلوم

خلافتـه وثباتـه

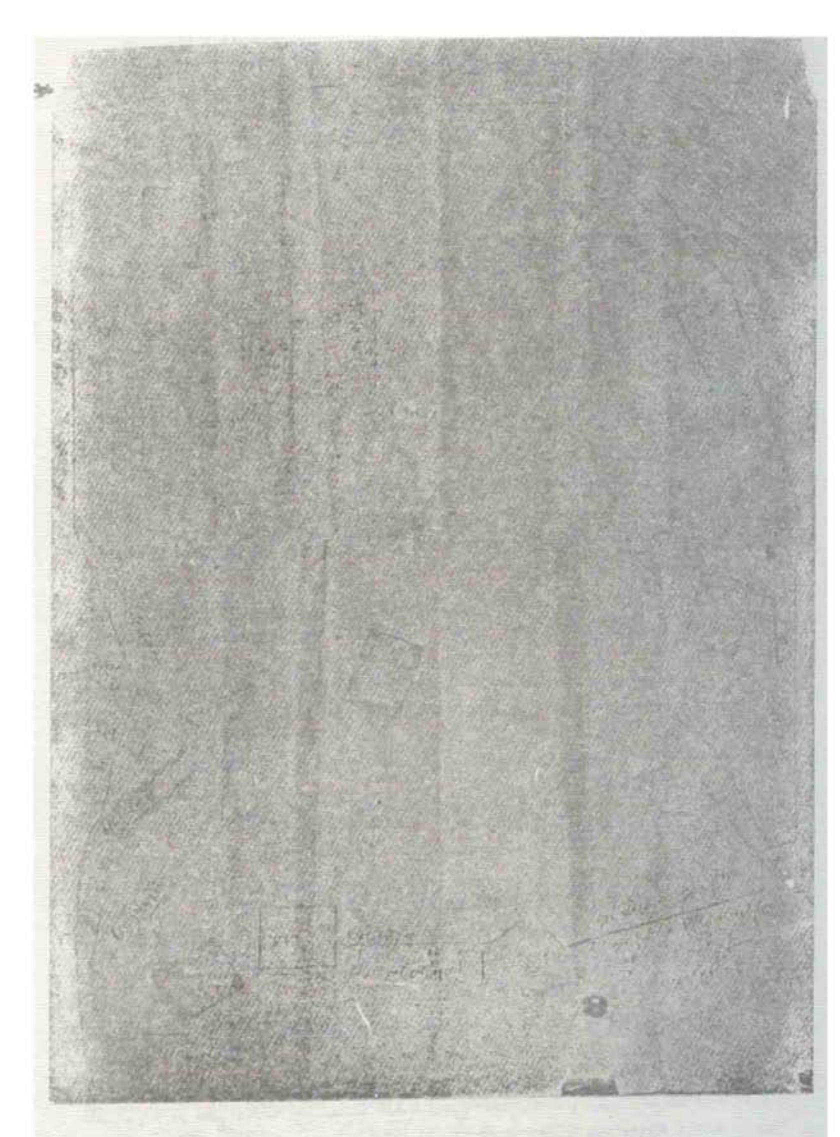
لم يبلغ المولى محمد بن عبد الله سن الخامسة والعشرين حتى اصبح خليفة لوالده ، في مراكش وقد اختاره لما لاحظ فيه من قوة الشخصية والكفاءة العلمية التي حنكتها تلك السنون التـي قضاها والده البطل في التمكين لسلطانه والقضاء على نزعات الطيش التـي ظهرت بعد موت ابيه المولى اسماعيل وفي نفس السنة التي توفيت فيها الجدة 1159 ، وجه المولى محمد المراكشي تخفيفا عليه حيث ظهرت مواهبه في ذلك البلد الذي عرف الفوضى والتدهور والانحلال ، بسبب الفتن التي انتشرت في البلاد ، وعندما حل بقصرها وهي خراب لم يعد بها من آثار الموحدين والسعديين غير الاطلال التي تركها جده المولى اسماعيل ، الذي هدم كل ما تخلف من معالم قصر البديع ،

---

1) راجع مؤلفاته : « الفتوحات الالهية » وقـد اتمـه سنـة 1198 هـ الجامـع الصحيـح الاسانيد المستخرج من ستة اسانيد » وقد اتمه سنة 1200 هـ « مواهب المنان بما يتاكد على المعلمين تعليمـه للصبيـان » وقد اتمـه سنـة 1203 هـ

2) راجع « الترجمـان المعرب » و « البستـان » و الترجمانـة الكبـرى لابي القاسم الزياني ، وكـذا « الاتحـاف » لابن زيدان الجزء الثالث من ص 194 الـى 265

الذي كانت تقصده جماعات من الحشاشين والفوضويين ابناء الرحامنة وغيرهم من اولئك الذين عز عليهم ان يروا عاصمة الجنوب تعود الى حياة افضل ونظام أشمل ، يحول بينهم وبين ما الفوه ، من عتو وفساد ، فناصبوا الامير العداء ، وبذلك اختار الا يتيح الفرصة للفوضى كي تنتشر ، خصوصا وان والده لم يردع بعد امثالهم من قواد جيش البخارى فى مكناس ، اولئك الذين ظهرت شوكتهم بعد موت سيدهم ، وتنازع ابنائه احمد الذهبي ، والعباس ، وعبد المالك ، وعلي ، والمستعين ، فرجع الى أقرب مدينة من مراكش وهي آسفي حيث أخذ ينظم ويبدع ، فى كل ما يتعلق بالسياسة والعمران والتجارة ، حتى أصبح فى نظر ما حول تلك المدينة من قبائل ، وكأنه المنقذ الذي بعثه القدر ليردهم من الفوضى الى الاستقرار ، ومن البؤس الناشيء عن الفتن ، الى الانتاج والازدهار ، الذي عرفته كل من عبدة والشاوية بقدر ما عرفت قبيلة الرحامنة الخزي والتحقير والتأنيب والتألب من كل ما حولها من القبائل ، ولم ينفعها غير التوبة والتكفير بارسال وفود المستشفعين الذين قصدوا آسفي طالبين رجوع الامير الى مراكش ، ولولا علية العلماء وكبار العشائر الذين اقسموا الا يبارحوا الباب ، الا بعد الاستجابة لكانت آسفي اليوم اعظم من مراكش ولكنها الهمة العالية والحكمة والتدبير ، اختارت جمع الشتات وضم الشمل ، فرحل الامير الى مراكش حيث بنى وشيد ، ونظم الجند ، ووضع المشاريع ، ونفذ ما كان يرمي اليه من استقرار ونظام وعمران ، حتى اصبحت مراكش قبلة افضل العلماء ، من فاس والرباط ومكناس ، حيث اجتمع حول المولى محمد بن عبد الله ما لم يجتمع لغيره من العلماء ، كما سنذكر والذين تفرقوا على جل جوامع ومدارس الحمراء يعلمون ويثقفون ، وانتشر خبر هذا المجتمع الجديد ، فى ربوع المملكة حيث كانت نيران الفتنة تحصد قبائل الاطلس المتوسط ، ويؤجحها بعض قواد الجيش الذين كانوا يبحثون عمن يحقق اغراضهم المادية ، ويطلق العنان لشهواتهم الشيطانية ، وما كادوا يسمعون ما آل اليه أمر حفيد سيدهم ، وكان قد مضى على خلافته عشر سنوات ، حتى عضوا الانامل ندما على ما بدر منهم ازاء والده ، فجهزوا اليه من يطلب منه العفو والمغفرة ، بطريقة لا ترضي الامير فى اخلاص الطاعة لوالده وذلك بان طلبوا اليه قبول البيعة مكانه 1162 هـ 1750 م وتطاولوا بان خطبوا باسمه على المنابر مكان والده ، فردهم خاسرين خاسئين وجلين ، دون ان يصطدم او يدفع الى زيادة اشتعال نار الفتنة ، ردهم الى رشدهم حتى طلبوا منه التشفع لدى والده ، بالقدوم عليه ، فوعد ولبى بالسفر الى فاس حيث يقيم والده ، بقصره فى «دار الدبيبغ» وكان مريضا بداء الرئتين ، الذي أصابه أثناء حملته على بني مطير ، فى فصل الثلوج حيث قضى ما يقرب من سنة فى هذه الحرب التي ضمت الى جانب مطير قبائل اخرى وبعض الناقمين من قواد الجيش .



خريطة لميدان المعركة التي خاضها المولى عبد الله بن اسماعيل مع جيش البخاري وبني مطير . كما رسمها وارخها احد الموقتين سنة 1145 . وقد كتب عليها في الوسط « عمل الموقت » ؟

قدم الامير على والـده متشفعـا فى جمـادى الاول 1163 هـ 1749 فقبل شفاعته ، ثم رجاه عدم المبيت فى فاس ، وذلك تدبيرا منه حتى لا تقع فتنة كما جرت العادة ويكون وسطها الولد الصالح ، ناهيك ، وان جانبا من قواد الجيش يدفعهـم بعض المناوئين بفاس من الذين كانوا لا يأمنون جانب المولى عبد الله ، لصرامته وشـدة بطشـه ، ولما ارتكبوه من اساءة وفتن تؤججها الاغراض والشهوات .

وفعلا عاد الاميـر الى مراكش ، حيث نشر الامن والرفاهيـة والحب ، كما بقي الوالد فى نفس القصـر بفاس مدة عشـر سنوات مقعدا بمرضه العضال الـذي كان سببـا فى نهاية اجلـه 1171 هـ 1757 م . ودفن حيث ضريحه المعلوم بالمقبرة الملكية بفاس رحمه الله وطيب ثراه .

محمد بن عبد الله الملك

فى 25 صفر من نفس السنة بويع امير المومنين المولـى محمد ابن عبد الله بن اسماعيل ، ملكا للمغرب بالاجماع دون اية اشارة او مناواة من تلك التي تعودها المفرضون سواء من رجـال الجيش او كبار العشائر او زعماء القبائل ، او الاخوة المدفوعين من خلف ، ولم يكن الملك الجديد فى حاجة الى ما يحتاج اليه من بويع بملك جديد، من رجال علم يدبرون او يساعدون ، ولا من جيش يمهد وينشـر الامن ، ولا الى سمعة تملك القلوب وتجمع الشتات ، ولا الى مـال يقوم الدولة وينهض بالبلاد ، كل ذلك كان ميسرا للمولى محمد بن عبد الله : العلماء استهواهم علمه ، والجند ارهبتهم سطوته ، ورجال القبائل جمعهم حلمه وعدله ، والمال وفره حبه وانتاجه ونزاهته .

استأنف المغرب حياته فى ظل المولى محمد بن عبد الله بطريقة كان قد حاد عليها منـذ ما يزيـد على الثلاثين سنة ، حيـاة الامن والاستقرار والبناء ، مما جعله بحق ، وفى سنوات قلائل ، محـل اعتبار وتقدير كل الدول التي لها مصالح بالمغرب ، او التي لم تكن قد اتصلت به ، اخذت تتودد اليـه وتعمل لخلـق الروابط السياسية والاقتصادية ، كما تفرغ الملك الى اعادة تنظيم البلاد بشكل يمكن من تحقيق الرسالة التي كان يجزم بوجوب ادائها نحو دينه وامته وبلاده ، وبعد ثمان عشرة سنة مكنته التجارب من نهج سياسة نحو الجيش البخاري الذي ادرك انه السبب فى كل ما عرفته البلاد من اهوال وفتن وفوضى مثل الانكشارية عند آل عثمان فأعاد تنظيمه سنة 1190 هـ 1776 م وذلك بأن حله بعد ما سلط عليه (بواد عربي) قبائل سفيان وبني حسن ، وبني مالك والخلط ، وطليق ووزعه على القبائل ، ثم نظم مكانه جيشـا جديدا من الدايـة ، والشـراردة ، ومعقل وهلال وحسين وبعض ابناء البربر آيت عطـا وحاميـة من

الفلاليين ، وبعد ما ذاق البخاريون آلام زوال النعمة مدة اربع سنوات ، اعادهم الى قواعدهم حيث اصبحوا ، فى مأمن من طيش ؛ اولئك الذين كان له معهم حساب بسبب ما قدموا ايام والده وبعد موت جده

جيشه وفتوحاته وعمرانه :

ولما قويت شوكته ، واشتد سلطانه ، ونظمت ادارته ، اعاد فتح بعض البلاد ، التي كان الاجانب قد احتلوها من اطراف المملكة كالبريجة « الجديدة » كما جهز الجيوش لمحاصرة ما بيد الاسبان فى الشمال مليلية ، ثم جدد صناعة السكر التي كانت عنوان تقدم المغرب الصناعي وكذلك صناعة السفن التي جلبت للمغرب رجالا من طرابلس وتونس والجزائر (1) ، كما قسم المملكة الى تسع عشرة عمالة (2) ، ونشر القضاة فى مختلف الجهات ثم عين لكل ناحية مركزا يرجع اليه فى الفتوى واصدر القوانين لتنظيم القضاء واصلاح التعليم ، كما انشأ المدن مثل الصويرة وفضالة 1186 هـ و 1772 م وجزءا من الرباط وغيرها من ابراج الحراسة المنتشرة فى مختلف ربوع المملكة . وكثير من المدارس والجوامع والقناطر وغير ذلك من آثاره الباقية المعلومة كالبيمارستانات والمستشفيات الخ

وقد اهتم بالبحر مثل اهتمامه بالبر ، فشيد السفن وكون الجيش ثم نظمه كما يلي : فى ميدان المشاة كان عددهم

المشارقة وهم الاحلاف ويزناتن وآنكاد والاغواط ومنيع وجرير وكلها قبائل شرق المغرب	1 000
المغاربة :	3 000
مدفعية الرماة :	40
السود اوجيش البخاري :	15 000
البيض :	7 000
مجموع :	26 040

وفى ميدان البحر بعد ما انشأ اهل سلا والرباط سفينتهم الكبرى ذات الطابقين سنة 1174 هـ و 1761 م « المعونة » التي انفق فى انشائها أربعين قنطارا من الذهب نظم القطع البحرية كما يلي :

---

1) من تونس الصابونجي وابن قاسم ، ولد رمضان ومحمد المنجي ومحمد التونسي ومن الجزائر محمد المستغانمي واحمد القسنطيني ، واحمد بن قلوعة ومن طرابلس الرئيس يوسف الطرابلسي وقدور بن معروف ولكل هؤلاء عائلات معروفة بالرباط

2) الاتحاف ج 3 ص 170 – 347 – 348

بواخـــر كبيـــرة :	20 ، جندها 1430 مدافعها 232	
بواخـــر مساعـــدة :	30 ، جندها	؟ ؟
رؤســاء البواخـــر	60	
احتياطي من الفلاليين:	400 وآيت عطا 600	

الجميع 490 2

هذا بالاضافة الى قوات الحراسة بمختلف الابراج والموانيء ، مثل طنجة والعرائش والمهديــة والرباط وسلا والمحمديــة والدار البيضاء وازمور وآسفي والصويرة وأكادير ، وكانت اقوى حاميات البحر فرقة سلا والرباط التي تناول قيادتها الرئيس العام لجميع الثغور الحاج عبد الله يعقوب السلاوي سنـــة 1177 ه و 1763 م ثم الحاج الهاشمي بن احمد عواد السلاوي 1179 ه ـ 1765 م .

ثقافته وادارته وسياسته

بعد كل هذا تفرغ المولى محمد بن عبد الله لاشبـــاع رغبتـــه الظامئة الى العلم وكان رحمه الله كما قال أبو القاسم : « نسابـــة اخباريا حافظا لايام العرب ووقائعها ، حافظا للسير والحديـــث لا يجاري ولا يباري ، لانه كان ايام خلافته بمراكش في حياة والده ولع بسرد كتب التاريخ والادب الى ان تملى منها ، وكاد ان يحفظ ما في كتاب الاغاني لابى الفرج الاصبهاني ، من كلام العرب واشعارهـــا ، وفوق ذلك كان يعقد مجلسه كل يوم جمعة في جامع الكتبية يحضره جلة العلماء الذين قربهم امثال :

استاذه عبد الرحمن بن ادريس المنجرة ، واخوه عبد الله الذي كان يعتني بـــه ، وعبـــد الرحمن عبـــد القادر بوخريـــص ، ومحمد الكامل الراشدي ، ومحمد المير السلاوي ، ومحمد احمد الفربـــي الرباطي ، وعلـــي ابن ادريس الفيلالـــي ، وعبد السلام بن بوعـــزة حركات ، ومحمد بن حجـــي زنيبر الســـلاوي ، وبناصـــر معنين ، ويوسف بوعنان ، وعبد الله بناني الرباطي ، وأحمد بن علي العلوي ، واحمد زروق ، وابو القاسم العميري » .

هؤلاء كما قال الزياني كان المولى محمد بن عبد الله « يعلـــي مجالسهم ويستخرج نفائسهم ويكثر جوائزهم ويقضي حوائجهم » .

كما نظم في سلك عمال المملكة لحفظ الامن والتفرغ للعمـــل ، محمد المكي الشاوي واحمد بن عثمان وابا القاسم الزياني والطيب كدران المكناسي واحمد الفزال والطاهر بن عبد السلام الســـلاوي وابراهيم اكيل السوسي ، ومحمد الموزيرق المراكشي ، وعبد الكريم زاكور ، والمهدي الحكاك المراكشي ، والطاهر بناني الرباطي ، وسعيد الشليح الجزولي ، ومحمد بن عثمان المكناسي ، ومحمد الحاضي ، والطيب الحناش ، وغير هؤلاء ممن صهرهـــم في مدرسته ثم رفـــع

بعضهم الى درجة الوزارة والسفارة والكتابة الخاصة ، وجلهم امتاز بالعلم والكفاءة والاقتدار كما تدل آثارهم العلمية والسياسية الباقية .

علاقاته الخارجية

وهكذا أصبح بلاط المولى محمد بن عبد الله من خير ما عرف تاريخ المغرب علما وجمالا وروعة وصلاحا وعظمة ، حتى انه ليمكن القول بأنه كان اكثر تركيزا من بلاط آل عثمان الذين كان المولى محمد بن عبد الله يجلهم تواضعا منه وبعثا لسلطان الاسلام ، ونشر قوته فى الارض ، غير ان آل عثمان من حيث العدل والخلق ونشر الخير بين الرعايا ، لم يكونوا منه فى شيء ، اذ بالمقارنة وقتها بين الدولتين ، نستطيع ان نتبين كيف كان العثمانيون ينحدرون نحو الهاوية بسبب انغماسهم فى الملذات ، وتسابقهم لنيل الشهوات ، حتى تفرقت البلاد التي كانت تحت نفوذهم ، وثار الولاة على ظلم « الرجل المريض » مما أغرى بهم الروس وغيرهم من دول الغرب .
فى هذا الوقت كان المولى محمد بن عبد الله على رأس دولة منظمة تهابها الدول وتتودد لسلطانها ، كما كان يمد آل عثمان بالعون المادي والادبي يشتري اسراهم من عدوهم ويرسل المال بلا عدد ولا حساب ، كما قدم باخرتين لعبد الحميد الاول 1182 هـ و 1768م (1) وكل ذلك ليس توددا لقوتهم ولا عن سلطان يطمع فيه، وانما دفاعا عن الاسلام الذي كان هذا الملك العظيم من اقوى دعائمه فى حوض الابيض المتوسط الذي هابته دوله وتوددت اليه رغم قوة قرصنتها فى وقته ، وكفى ان يكون المولى محمد بن عبد الله اول من اعترف باستقلال امريكا بعد حربها التحريرية سنة 1779 م كما كانت دول اوربا تتنافس فى اكتساب ثقته وربط صلات الود معه ، ومن ذلك معاهداته لتنظيم العلاقات البحرية والسياسية وكذا التجارية على الخصوص فمع هولاندا 1172 هـ ـ 1760 م ، ومع الولايات المتحدة 1177 هـ ـ 1763 م ، اذ هو اول من اعترف باستقلالها ، كما ارسل الى « جورج واشنطن » رسالة تتضمن اتفاقية بتاريخ 17 ـ 8 ـ 1788 م ، وتلقى الجواب من المذكور بتاريخ 1789 م ، ومع السويد 1175 هـ ـ 1761 م ، ومع الدنمارك 1181 هـ ـ 1767 م ، ومع ايطاليا 1174 هـ ـ 1760 م و 1175 هـ ـ 1761 م ، ومع البرتغال بعد فتح الجديدة 1183 هـ ـ 1769 م ، ومع فرنسا 1179 هـ ـ 1765 م ، ومع بريطانيا التي كانت على صلة طيبة مع الدولة والتي كان رجالها يستعملون فى بناء السفن استمرار المعاهدة التجارية المبرمة مع جده المولى اسماعيل.

---

1) راجع هذا الكتاب « الترجمان » والبستان للزياني ثم الترجمان وكذا ما نقله ابن زيدان عن الاول ج 3 ص 172 ثم « درة السلوك » لعبد السلام نجل المولى محمد بن عبد الله بالخزانة الزيدانية ، وكذا « الاعلام » ج 5 ص 159 و 160 و 185 و 234

وهذا آخر ما انتهى من [illegible] التي [illegible]

[illegible] بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة

إلا بالله [illegible] من [illegible]

وكافة الأقاليم المغربية [illegible] الله [illegible]

[illegible] في [illegible] السعادة [illegible]

وبعد [illegible] التي [illegible] المتولي [illegible]

[illegible] من اتبع الهوى

[illegible] العلية بالله [illegible]

تاريخه [illegible] من عام أربع وخمسين وسبع مائة

والعبد المتخصص لأخبار [illegible]

[illegible]

[illegible] في جانبنا العلي

وكان [illegible] في [illegible] وله [illegible]

وعهد [illegible] مع أصحابه [illegible] حيث كان [illegible]

يواجه في امته لكن ونحاول مع من هم اهل الحق من بعده

وما زال يسعه بعد رحيله الكريم ما كان في حياته بجده

ويحث عليه على الجهاد والعلم كما كان مع جده . ثم

بالعمل ان يستمر [illegible] ننشر [illegible]

[illegible] في [illegible] [illegible] من اهل [illegible]

الشكارة في [illegible] العرب وحيث [illegible]

[illegible] للعلم [illegible] [illegible]

للجهاد والعلم [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] على الجهاد والعلم

[illegible]

في [illegible] جمادى الثانية عام ١١٨٨ للهجرة

(١٧٧٥ الموافق)

الحمد لله هذا تقييد نسخة وثيقة
الصلح التي جعلناها مع الملك كانوس
وأثبتناها في هذا الدفتر ووضعنا
عليها كما بعثنا النسخ منها إن شاء
الله وكتبت في عشرين من المحرم الخامس
والعشرين من شعبان الفاتح على مائتين وألف

وبالتالي فان المولى محمد بن عبد الله يعتبر من اقوى الملوك المغاربة الذين يشهد لهم تاريخ المغرب والتاريخ الاوربي بالحنكة والقدرة والتنظيم ، كما يشهد له بالتسامح والحلم مع القوة والنفوذ، ايضا ومهما يكن فاني لا أستطيع فى مقدمة كهذه ان ابسط القول فيما كان عليه هذا الملك الفذ فى مختلف النواحي (1) والتي لا تزال جلها قائمة سواء فى ميدان العلم او العمران او المعامل او المعاهدات.

* * *

عاش المولى محمد بن عبد الله لبلاده ودينه ، حاكما عادلا وباعثا ومجددا يحذوه التوفيق فى كل أعماله الخالصة الصادقة ، لم يعرف ما يكدر الصفو ولا ما يبعث على التشاؤم ، لولا ما صدر من تغرير بعض المنحرفين من قواد الجيش لابنه المولى اليزيد 1189 هـ ـ 1771 م ، دون اخوته الستة عشر (2) ، وذلك بعد ما ولاه الخلافة بنواحي مكناس حيث اتصل بفرع « آيت ادراسن » من « كروان » الذين زينوا له مع السابق ذكرهم الخروج علي والده واقتحام بيت المال بقبة الخياطين بالقوة ، ثم محاولة الثورة مع آيت (اومالو) وبنى مكيلد التي نفرها منه محمد واعزيز كما تخلت عنه قبيلة آيت « أمالو » وهي التي جربت غضبة والده ، قبل سنين عند ما عين عليها بلقاسم الزموري ثم طردته 1187 هـ ـ 1769 م ، غير ان المولى اليزيد بعد ان فشلت محاولة المغرورين بهعاد يطلب العفو من والده الذي منحه اياه ، ثم ارسله مع اخيه المولى المامون الى فاس حيث وقع حرب بين انصاره وانصار اخيه ، فأعاده والده الى مكناس كي يستقر ولكن عبثا ، ثم ارسله الى الحج 1203 هـ ـ 1783 م مع اخيه عبد السلام قصد ابعاده عن الميدان ، غير انه اتصل هناك بالوفد الذي ارسله والده وعلى رأسه ابن عمه عبد الملك بن اسماعيل وانتزع منه ما ارسل والده من مال هدية للعلماء والاشراف والمهاجرين وسدنة البيت ، فحق عليه بذلك غضب والده مما ضيق عليه الخناق انى اتجه ، حتى عاد مع قائد ركب الحجيج الفيلالي عبد الله بن علي قاصدا ضريح جده المولى علي الشريف ، ليرسل من أعيان الاسرة والعلماء من يتشفعون ، ولكنه فى الطريق عدل بسبب وجود أبي القاسم الزياني بتافيلالت ، والذي كما قال عنه فى رسالته لعبد الله بن بن علي : « لا يستقيم لي معه أمر » فاتجه الى ضريح

1) راجع كتاب « الترجمانة الكبرى » و « البستان الظريف » ثم « الترجمان المعرب » للزياني ، وكذا ما نقله ابن زيدان عن الزياني فى الجزء 3 ص 172 ثم « درة السلوك » لعبد السلام نجل المولى محمد بن عبد الله . مخطوط عندنا وبالمكتبة الزيدانية .

2) وهم : علي والمامون ، وهشام ، وعبد السلام ، وعبد الرحمن ، ومسلمة والحسن ، وعمر ، وعبد الواحد ، والملك سليمان ، والطيب وموسى والحسين وعبد القادر ، وعبد الله ، وابراهيم .

عبد السلام بن مشيش حيث ارسل فى طلب الشفاعة ثم عدل وقام بالثورة سنة 1204 هـ ــ 1790 م وقتها نهض والــده من مراكــش ليتدارك امره ، ولكن المولى محمد بن عبد الله الذي مرض واشتد به المرض فى الطريق ، توفى قرب وادي الشراط على بعض مرحلة من الرباط ، وذلك بعد العشاء من ليلة الاثنين 26 رجب 1204 هـ ــ 1790 م ، فدفن حيث ضريحه بقصره فى الرباط طيب الله ثراه ، وبذلك اتم كتابة انصع صفحة واجملها فى تاريخ المغرب المعاصر ثم بدات صفحة جديدة كان اول من كتب له فيها الشقاء ابو القاسم الزياني الذي نستنتج ان ما لاقاه من سجن وتشرد وعــذاب بيــد المولى اليزيد انما كان سببه أن ابا القاسم كان على اتصال بالقبائل البربرية التي كان المولى اليزيد يريد استعمالها فى القيام بثورته ، فكان الزياني يفسد عليه عمله ، وذلك منه وفاء لولي نعمته واستجابة لتربيته الدينية وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا بويع امير ثم خرج عليه امير فاقطعوا راس الذي خرج ، ومن بايع الثاني فقد كفر : الحديث » خصوصا وانها ثورة الولد على الوالد قوامها رؤوس الفتنة وذوي الاغراض .

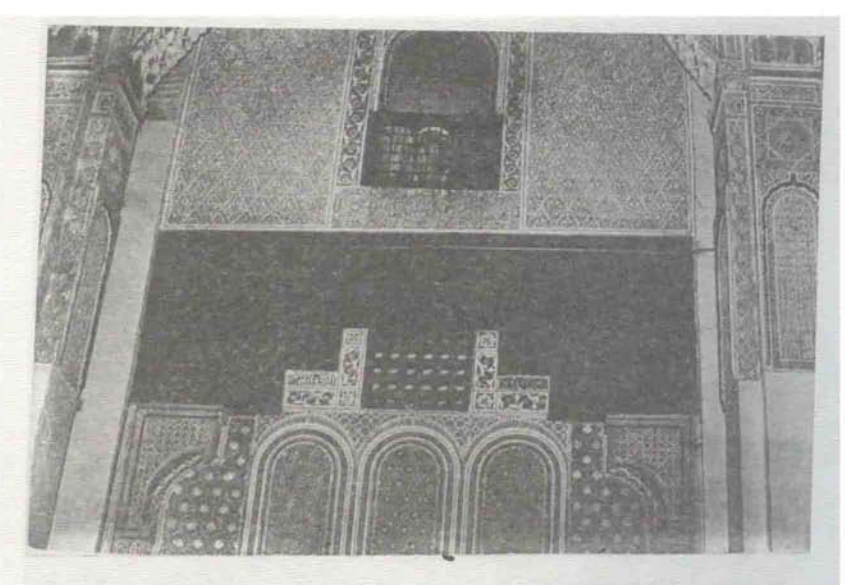
وهكذا فان السنتين اللتين قضاهما المولى اليزيد فى الملك ، قضاهما الزياني متنقلا بين سجون المغرب ، حيث انتهى به المطاف الى سجن الرباط ، ولما قتل المولى اليزيد اثناء المعركة التي قامت بينه وبين اخيه المولى هشام ب « تازكورت » قرب مراكــش (1) ، بويع المولى سليمان الذي كان يعطف على الزياني كل العطف ، تقديرا لمكانته عند والده من جانب ، ومن آخر لانه الذي اوعز اليه بتاليف « البستان » فألفه ، وقد سلك المولى سليمان نهج والده بعد ما ازال ما خلفته فتن السنين حيث استمر فى ذلك حتى 1211 هـ ــ 1796م عند ما استسلم عبد المالك اوبيهي الحاحي ، وكان واليا على الصويرة فقرب اليه الزياني وجعله من خواصه حتى انه لما توفى اخوة المولى سليمان مسلمة وعبد المالك وهشام بالطاعون فى مراكش 1212 هـ ــ 1797 م ، أرسل الزياني لاستلام متروكهم والوقوف على احــوال خلفهم ، وذلك منه اصطفاء له ، ولكن ما حصــل للزياني ايام ولــي نعمته بسبب الناقمين على صراحته واستقامتــه حصل له ايــام المولى سليمان، وبعد ثمان عشرة سنة اي فى سنة 1225 هـ ــ 1809م حيث ابعده مع الحفاظ له بما يحتاج اليه ماديا ووقتها انكــب الزياني على التأليف حيث أنتج جل انتاجه

* * *

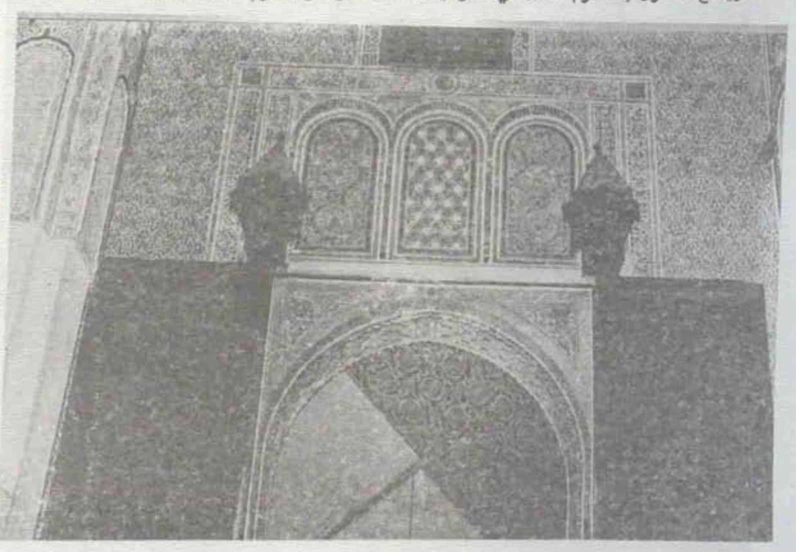
هذا هو العصر الذي عاش فيه ابو القاسم الزياني ، وتلك هي المدرسة التي ترعرع فيها ، بعد ما كاد يفصل عن ميدانه الذي هــو وطنه الى ما لا نهاية ، حيث هاجر مــع والــده الى ارض الحجــاز

---

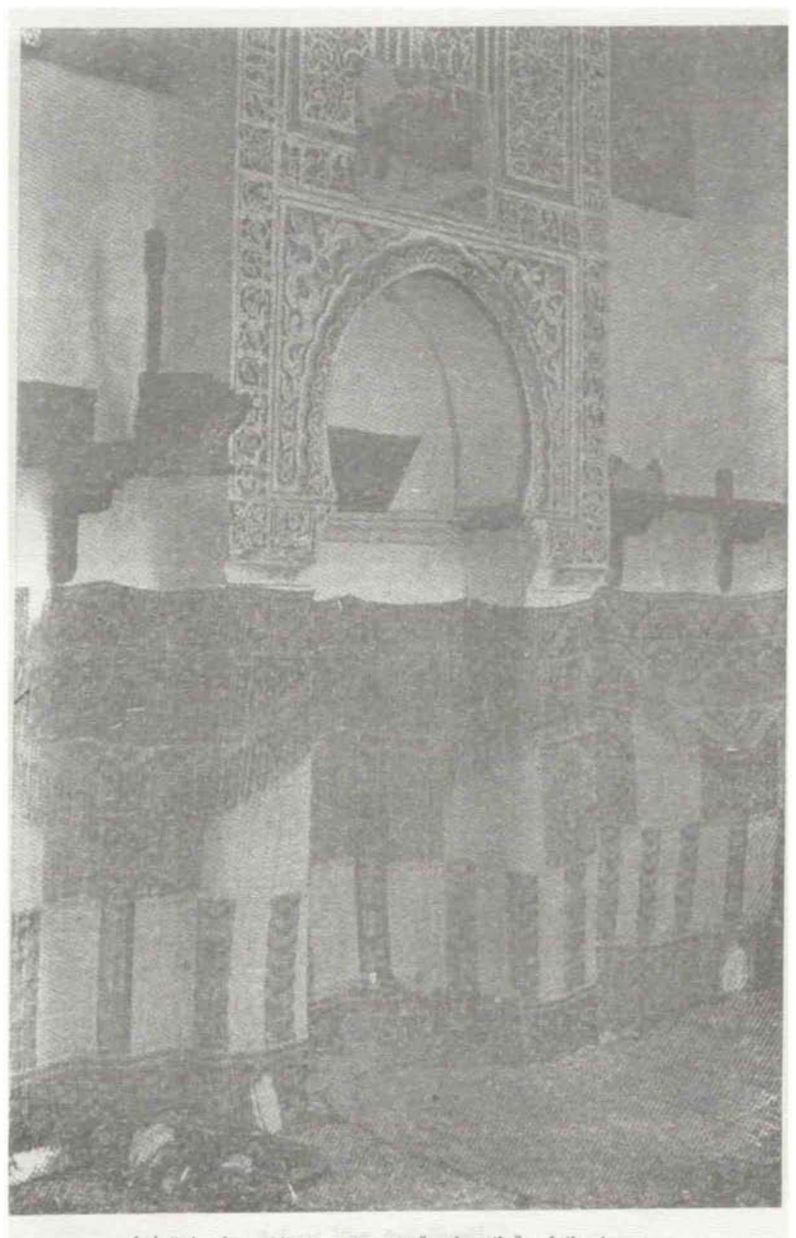
1) دفــن المولــى اليزيــد بقبــور السعديــن



جانب من منزل ابي القاسم الزياني الذي قضى فيه اخريات حياته .
ويقع المنزل بالحرم الادريسي عن يسار الداخل الى الحرم من زقاق باب التوميات



جانب آخر من المنزل



محراب الزاوية العيساوية بحي سيدي « بو مفيث » فاس
وفيها كان ابو القاسم الزياني يقضي ايام تاليفه وجمع كتبه

سنة 1169 هـ ـ 1755 م ، غير ان ظروف العيش ارغمت الوالد على العودة ولولا ما ادخرته الزوجة الصالحة ام ابى القاسم لكان التشرد مآل الاسرة ، ولما عاد ابو القاسم بعد استفادته من المدة التي اقامها فى مصر سنة 1171 هـ ، وجد جل زملائه قد التحق بالخدمة السلطانية واصبح لهم شفوف ، فتاقت نفسه لتلك الغاية التي لم تقف دونها عزيمته رغم عدم رضا والده ، فالتحق بالخدمة ضمن الذين تقدم ذكرهم ، ولم يكن بالجديد فى الميدان فقد كان جده النسابة الامام فى خدمة المولى اسماعيل الذي استقدمه من قرية « اراكو » بادخسال ، غير انه لم يعمل فى ميدان السياسة التي جرت على ابى القاسم كثيرا من النكبات والذي رغم انه قد استطاع ان يشق طريقه وسط الخضم الا انه لم ينج من كيد الحاسدين الذين كادوا له عند مخدومه فنفره مدة عشر سنوات قضاها وان كان موظفا فى الاهمال ، ولم يعد لأعلى مما كان الا بعد التجربة التي قصها فيما يلي

« وكنت معه فى تلك الحركة وانا فى حيز الاهمال ، اتوقع الموت كل يوم بسبب ما كتب له بلقاسم الزموري فى شأني وانني انا الذي افسدت عليه القبائل ، ولما بلغ السلطان « محلة بلقاسم » واجتمع به ونزلت تلك العساكر كلها فى بسيط واحد بمريرت ، اشار على السلطان ان يقسم تلك العساكر على ثلاث فرق :

ا ـ فرقة بتامساكت ، ب ـ فرقة بزاوية محمد الحاج ، ج ـ فرقة تكون معه على طريق تكط .

والسلطان ينزل بعساكره بقصبة ادخسال وفعل السلطان ذلك ولكنها خطة الجاهل بالمواقع . ولما قطع الجند وادي ام الربيع ولم يلتقوا باحد ، احتار الملك وامر باستدعاء ابى القاسم ...
« .. فقال له اين هؤلاء القوم ؟

— ما راينا احدا ولا وجدنا اثرا ، وهذه قصبة ادخسال .
فأمر بنزول العساكر وبقى متحيرا فقال
— نادوا فلانا ؟ !
— فتوجهت اليه قبل ان ينزل عن فرسه فقال لي
— اتعرف هذه البلاد ؟
— نعم اعرفها ؟ .
— واين اهلها ؟.
— في جبلهم
— أوليس هذا جبلهم ادخسال ؟
— لا ـ هذه قصبة المخزن، والجبل هو من تلك الثنايا السود امام واريته الثنايا
— واين الزاوية التي توجهت لها العساكر مع قدور بن لخضر ومسرور ؟

— هي عن يمين تلك الثنايا فى البسيط .
— وأين تاسماكت التي توجهت لها امم البربر مع محمد واعزيز ؟
— بيننا وبينها مرحلتان من وراء تلك الثنايا
— ومن اين ياتي بلقاسم ؟
— فأريته الثنية التي ياتي منها ، وقلت لا يصلنا الا غدا ان اسلم
— وما عملنا ؟

— ضرب فى حديد بارد ، الذي فى الزاوية لا ينفع ، والذي بتاسماكت لا ينفع ، وآيت اومالو متحصنون فى الجبل ، وبلقاسم رجل مشؤوم عافى الله مولانا من شؤمه ، فظهر لمولانا نصره الله خلاف ما سمع من بلقاسم ، وتحقق بفساد رأيه واعلم انه اخطأ فيما ارتكبه من « الاغرار » بالمسلمين وبينت له السبب الذي نفر به آيت اومالو من بلقاسم حتى عرفه فقال لي

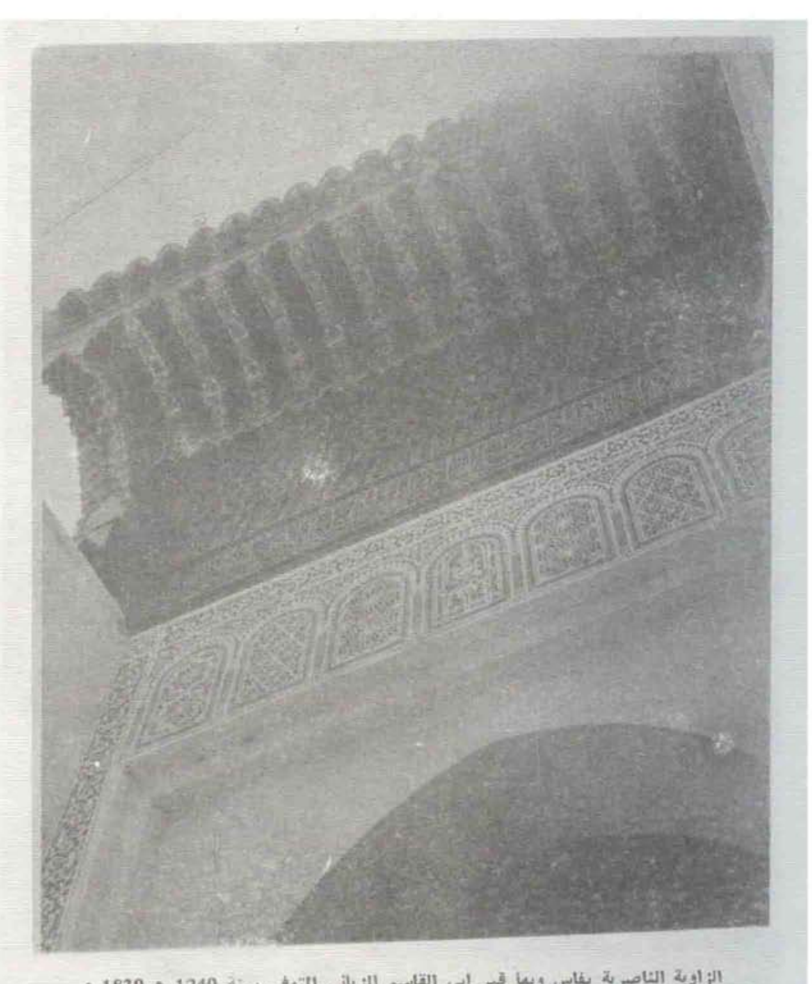
— اكتب لزيان ياتون فاني سامحتهم

— فكتبت ووجهت لهم بعض الاشراف من ادخسال مع اثنين من اصحاب السلطان وساروا اليهم ليلا ، ومن الغد اصبح علينا أربعة منهم بهديتهم ، فدخلت بهم للسلطان ، ففرح بهم وقبل هديتهم ، وقال لهم :

— اني سامحتكم على وجه كاتبي فلان

ووجهم بالبشارة لاخوانهم ، وباتت تلك الليلة العساكر كلها بلا علف ولا تبن ، ومن الغد ظهرت محلة بلقاسم ومعه المختار والعبيد باتوا فى الحرب طول ليلتهم ، ولما بلفوا امرني ان اتوجه لهم بالامر ينزل العبيد بجوار السلطان ، وبلقاسم ينزل مع اخوانه زمور وبني حكم ، واعرض عنه السلطان وعن الكلام معه وامره ان يوجه اخوانه لبلادهم ووجه القبائل كلها وفرق ذلك الجمع وارتحل لتادلة »

وأما ما قيل فى حق المولى محمد بن عبد الله ازاء اسرة بن داوود أهل ابى الجعد بتادلة فالواقع المأخوذ من دراسة الظروف ، ان امير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله انما نقل عميد هذه الاسرة العربي بن داود الى مراكش حيث لازمه وعاش معه زمنا ، ولم يكن هذا غير تكريم وليس بتحطيم . .



الزاوية الناصرية بفاس وبها قبر ابى القاسم الزياني المتوفى سنة 1249 هـ 1839 م

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله الذي خلق الانسان وفضله تفضيلا، وشرفه على سائر الحيوان جملة وتفصيلا، وصوره فأحسن صورته واعدل قامته، وخصه بتناول ...

الصفحة الاولى من كتاب « البستان الظريف في دولة اولاد مولاي علي الشريف »
راجع حرف د 1577 الخزانة العامة بالرباط

ثم يستطرد الزياني ويقول : وتقلبت فى منصب الكتابة من غربه لشرقه ، ولقيت من زعازع ارياحه ورعده وبرقه ، الى ان بلغت كرة الراس ومضيق العنق ، ووقفت على دائرة الافق ، فى السفر والمقام ، مدة من عشر اعوام ، ثم حصلت فى النكبة ، ووقفت على باب الندبة ، واقمت بين الهلك والتلف ، فى عام اثنين وثمانين ومائة والف ، وهي النكبة الثانية ، ولما خلصت من النكبة ، وكتب لي امير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله ، بعد الطلاق رسم الرجعة ، وقلدت ديوان كتابته ، اقبل علي بكليته ، واخلف ما ضاع وصرت بالمماليك والاتباع ، وبلغت أعلى المراتب وتقلبت فى المناصب .

ونكبة الزياني ليست كنكبة الغزال الذي وصف بالتغفل حين سفارته الى اسبانيا والتي وقع فيها اتفاقية الهدنة مختصرا القول حتى زور عليه ، بحيث كتب « .. وان المهادنة بيننا وبينكم برا لا بحرا » فلما حاز الاسبان الوثيقة كشطوا لام الالف وجعلوا مكانها « واوا » فصارت العبارة « برا وبحرا »

واذا كان الملك قد اولاه عنايته ، واقبل عليه بكليته ، ثم اختاره لعمالة العرائش 1179 هـ والسفارة لآل عثمان أكثر من مرة ، واصبح من احب المقربين اليه كما كان من الذين يقدرهم ابنه وخليفته بسجلماسة المولى سليمان لما تحقق من صدق حبه للاسرة ، عند ما عزم سيدي محمد بن عبد الله على رفع اذى عمه مولاي الحسين بن اسماعيل عن تافيلالت بسبب اعتدائه على ابناء اخيه ، بل ان المولى سليمان هو الذي دفع بالزياني لتاليف كتابه « الترجمان » حسبما ذكرنا ، وهو الذي هيأ له أسباب الاعتكاف على التأليف فيما بعد ، واذا كانت هذه العواطف الملكية وتلك الروابط السليمانية مثار النقمة اليزيدية على الصراحة الزيانية ادت به الى السجون التي تنقل فيها بعد ما جلد وعذب اشد العذاب ظلما وعدوانا الى ان اطلق سراحه اهل الرباط الذين اقتحموا السجن واخرجوه منه ، فالتحق بصديقه وسيده ، فتلك كانت بداية حياة جديدة ، حيث اسند اليه عمالة وجدة مباشرة . 1206 هـ ـ 1792م كى يصلح حال اهلها

ولمّا توجه فى مائة من الفرسان وجماعة من التجار ، اعترض طريقه بعض الثوار من عرب انكاد ، ولولا التجاؤه لحصن العيون ومساعدة بعض بني يزناتن له على الفرار الى وهران ، التي عاد منها الى تلمسان ، التي قضى بها زمنا فى الانتظار ، لهلك كما هلك خادمه وسبعة من رفاقه ، ولما طال انتظاره لجواب الملك بتلمسان التي دبر له فيها الداى بوهران مكيدة عند ما اراد التوجه اليها ، ولولا يقظته لوقع فى الفخ ، ولما ضاق به المقام بين أهلها الذين نعت قاضيهم بأخس النعوت ، رحل منها وتلك بداية رحلته الثالثة الى المشرق ، غير ان هذه الرحلة كانت اغزر من السابقتين لانها مثلت

مظاهر العظمة والبذخ ، فالاموال بالآلاف وخزانتها اكياس الطعام ، الى جانب العبيد والخدم والجواري ، ولانها عرفت الوهابيين ، وقد تفرغ الزياني لمعرفة ما كان قوام رحلته ، كما لاقى من اكرام الذين سبق له التعرف عليهم اثناء سفارته من رجالات الدولة العثمانية وغيرهم ، وعاد الزياني ليلاقي من اكرام المولى سليمان الذي كان يشيع ذكره بالجميل، وانه خير خلف لخير سلف اينما حل وارتحل، فأولاه عمالة سجلماسة سنة 1218 هـ ـ 1803 م ولكنه نكبه كما يقول سنة 1224 هـ ـ 1809 م غير انها لم تكن نكبة بالمعنى الصحيح. بل اتاحة فرصة للانتاج ، لان المولى سليمان لم يتخل عنه مطلقا بل اعطاه وامد بعونه المادي الذي لم يهمل ذكره ابو القاسم والثناء عليه .

ورغم ما لاقاه المولى سليمان من عنت آيت اومالو اهل جبل فازاز بطن من صنهاجة بسبب العداوة التقليدية مع كل من زمور وكروان ، حيث حاربهم بجميع فلول المغرب ، على حد قول الزياني سنة 1224 هـ ـ 1809 م والثانية حيث جمع لحربهم حوالي ستين الف 60.000 سنة 1234 هـ ـ 1819 م وتلك كانت السبب فى المتاعب التي عرفتها اخريات ايام المولى سليمان بسبب الانهزام الذي مني به الجيش وموت نجله المولى ابراهيم ، فرغم كل هذه الفتن ، فان الزياني لم يتحول عن خطته التي رسمها لنفسه ، وهي التأليف وعدم الاهتمام بما دون ذلك لانه اخذ من الحياة ما يكفيه ، وبذلك انقطع عن الناس غير مكترث بما يحدث الى درجة ان بعضهم لما عاب عليه انقطاعه قال فى ذلك (1) :

انست بوحدتي ولزمت بيتي	فدام الانس لي ونما السرور
وادبني الزمان فما ابالي	هجرت فلا ازار ولا أزور
ولست بسائل ما دمت حيا	أسار الجند أم خرج الامير ؟

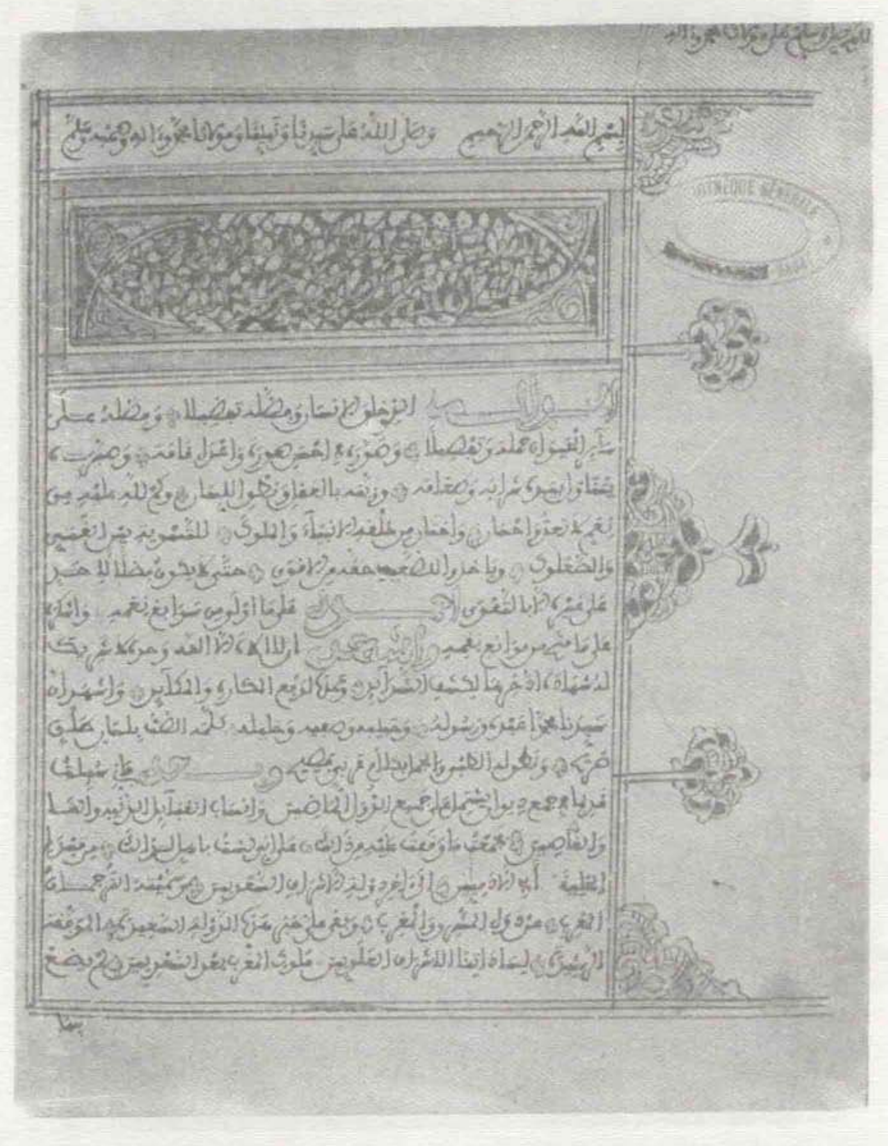
واذا كانت هذه الابيات تكاد تفصح لنا عما كان عليه ابو القاسم من عزلة ومقاطعة بمنزله او بالزاوية العيساوية بأبي مفيث بفاس، وكيف قضى هذه العزلة التي استمرت من يوم انقطاعه عن العمل 1224 هـ ـ 1809 م ، او بالاحرى الى 1249 هـ ـ 1834 م حيث انتهى اجله، ايام المولى عبد الرحمن بن هشام ، فانه يحق لنا ان نتساءل ما هو انتاج ابي القاسم الزياني الذي عاصر حياة اربع ملوك وانتهى به المطاف الى معرفة احوال الناس واسرار الحياة فاختار الانقطاع والتأليف ليخلد للناس انتاجه عن المجتمع المغربي وغيره من بلاد المعمور التي ارخ لها .

---

1) الترجمانة مخطوط خاص ص 119

خط ابي القاسم الزياني في كتابه « البستان الظريف »

راجع حرف د 1577 الخزانة العامة بالرباط


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الصفحة الاولى من كتاب « الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب » لابى القاسم الزياني
راجـع حرف د 658 الخزانة العامة بالرباط

أبو القاسم الزياني والتاريخ

لم يعد ابو القاسم ابن الفقيه احمد الزياني ، ليكون مؤرخا ، ولا بحاثة ولا سفيرا متنقلا ، ولا جغرافيا دارسا للكرة المبسوطة ، كما عن له أن يسميها ، ولكنها الصدفة قادته الى حيث موهبته وما يرجى له ، وذلك فى لحظة لم يكن فيها امام مرشد او موجه ، ولم يجلس فيها الى مدرس خاص ، وانما بوحي من كناش من مخلفات جده النسابة علي ، رفع فيه نسبه الى « مالو ، ومازيغ » جد البربر، ثم الى حام بن نوح ؟

وقع بصره على ذلك ، عند ما اراد والده الهجرة الي الديار المقدسة سنة 1169 هـ ــ 1755 م ، ثم اخرج كتبه للسوق ، وقتها اكتشف الزياني انه فى حاجة الى البحث والاطلاع عبر القرون الخوالي ، ليتحقق من نسبة جده ، وليرضي رغبته فى ذلك الاتجاه. وبذلك تمكن من معرفة تاريخ البلاد والقبائل والشعوب بل وتعدى الى ما على وجه الارض ، من بحار وانهار وجزر وحيوانات واحجار. واصبح له فى ذلك ما يعتبر بحق تراثا انسانيا يستحق العناية والرعاية .

أن كل مطلع على انتاج مؤرخ الدولة العلوية أو ذي الوزارتين ، كما ــ لقب ــ ابو القاسم الزياني فى التاريخ ، لا ينسبه مطلقا الى معاصريه من المؤرخين الذين كانوا لا يعرفون من التاريخ غير سرد الاحداث السياسية وحدها ، تباعا ودون اعتبار للظواهر التي تبدو فى افق المجتمع الذي يؤرخون له ، سواء منها ذات اللون السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي ، كما انهم لم يلتفتوا الى اولئك الذين كان لهم تأثير على الاحداث ، سواء أكانوا رجال الدين أو السايسة أو الحرب ، أو الثقافة الا فى نطاق سرد الحادث الذي عاشوه ، أو كانوا فيه بجانب السلطة المركزية ، او ضدها

أما ابو القاسم الزياني ، كاتب مذكرات المولى محمد بن عبد الله ، ضمن تاريخ العالم والامم دون تكليف ، فالتاريخ عنده مخالف لما جرى عليه المغاربة ليس فقط سرد الاحداث السياسية ، دون ابداء راي أو تعليق ، بل هو الى كل ذلك تاريخ للافراد قبل ان يكون تاريخا للحوادث . وتلك هي طريقة المنهج الحديث ، اذ الفرد هو

الوحدة التي يمكن أن يتألف منها التاريخ ، دون اهمال للحادث ، والتعليق عليه من جميع جوانبه . فتولية المولى محمد بن عبد الله ، « بلقاسم الزموري » قائدا على قبيلة آيت أومالو ، وما نشأ عن هذه التولية من ويلات أدت الى انهزام الجند ، بسبب العداوة التقليدية بين القبائل المذكورة ، وكل من زمور وكروان ، وآيت ايدراسن وآيت حكم ، وأسباب تلك العداوة ، وتأثيرها ، الى عهد المولى سليمان ، وما جرته على السياسة العامة ، بل ومواقع تلك القبائل، وأوعارها وعاداتها وأعرافها ، وتعلقها بالعرش ، رغم كل السحب والغيوم ، كل ذلك لم يكن عند أبي القاسم الزياني ، غير دراسة مستوفاة للفرد والجماعة ، وكذا الاسباب التي كانت عاملا أساسيا في انهزام الجند ، دون أن يترك الحادث مجردا ، كما كان يفعل معاصروه ، وكذا كتاب الحوليات من المؤرخين بعده ، وهو لا يسجل بدقة فحسب ، وانما يبدي رأيه وما يراه في كل مشكلة عاشها وعاصر ذويها . واذا كانت الصعوبة التي اعترضته كمؤرخ قديم هي تحديد الزمن بالنسبة للأماكن والاشخاص فذلك ما قمنا به فيما وضعناه من هوامش

ولقد رأينا قبل ان نحكم على انتاج أبي القاسم الزياني ، وما كان له من أثر بليغ في تدوين التاريخ ، مقرونا بالجغرافية الطبيعيةان نذكر بعض الذين كتبوا التاريخ قبله من الجغرافيين وذوي الرحلات ، خصوصا أولئك الذين اقتصروا على وصف أسفارهم ورحلاتهم ، وذكروا أخبارا تتعلق بالجغرافية دون استيفاء مسائلها وحقائقها ، ودون الوقوع فيما يمل من خيالات لا يقبلها العقل ، وافتراضات يرفضها العلم ، وذلك لا لنستبين مكانة أبي القاسم من بين هؤلاء ، وانما لنرى ما استفاده منهم وما تميز به ذوو الرحلات الذين تطرقوا للجغرافية منهم أمثال أبي الريحان البيروني (1) ، وأبي عبيد البكري (2) ، ومحمد بن أبي بكر

---

1) البيروني توفي سنة 440 هـ ــ 1049 م ــ له « الآثار الباقية ، من الامم الخالية » و « تاريخ الهند »

2) ابو عبيد البكري 484 هـ 1093 م . له « المسالك والممالك » و « معجم ما استعجم » ذكر اسماء الامكنة الواردة في اشعار العرب ، ومنازل البداوة ، وهو مرتب على أحرف المعجم ، وان كان قد سبقه الى ذلك أبو سعيد الاصمعي ، وأبو عبيد والصيرفي ، صاحب كتاب « جزيرة العرب » وتابعه الزمخشري في كتابه المسمى « الامكنة والجبال والمياه »، وكذا محمد احمد الهمداني ، المتوفى محبوسا في صنعاء سنة 334 هـ ــ 943 م ، والذي ألف « كتاب جزيرة العرب » هذه الكتب ذكرناها وان لم تكن بصددها ، لانها تومىء ايماء ، الى بلاد المغرب ، وذكر أوروبا ، ونحن لانقصد من ذكرنا لاصحاب الرحلات والجغرافيين الا ما تعرض لذكر اوروبا لنتبين مدى توسع أبي القاسم في هذا المجال، كما اشار لذلك في الصفحة 99 من « الترجمانة » بقوله : « ونرجع الى شرح هذه الكرة المبسوطة التي وضعناها في هذه الرحلة ، وان تقدم لنا شرحها في « الترجمان » حسبما شرحها أهل الجغرافية ، وقسموا هذا المعمور ، الى سبعة أقاليم من المغرب الى المشرق، وكل اقليم قسموه ، الى عشرة أجزاء من المغرب الى المشرق الخ ... »

الصفحة الأخيرة من الترجمانة الكبرى وهي أقدم وأصح نسخة اعتمدنا عليها إذ لا توجد نسخة أقدم منها بالاضافة إلى أنها مجردة من الزيادات المضافة من المرعوبين منهم الزياني
وهذه النسخة بخط الكاتب الوزير محمد بن ادريس العمراوي الذي كان من كتاب الزياني ثم أصبح الوزير الصادر في عهد المولى عبد الرحمن



جانب من خريطة ابى القاسم الزياني كما وضعها بالترجمانة ونحن ننشرها على علاتها وان كان فيما يبدو لم يقصد الوضع الحقيقي للكرة الارضية بل التقريب فقط وقد اشرنا الى الشمال الذي عكسه المؤرخ باشارة تبين الاتجاه

الزهـري (1) والشريـف الادريسـي أبـي عبـد الله محمـد بن ادريس (2) ، ومحمد بن عبد الرحيم المازني (3) ، ومحمد بن علي الموصلي (4) ، ومحمد بن جبير الكنانـي (5) ، وياقـوت بن حجـة الحموي (6) ، وزكرياء بن محمد القزويني (7) ، وعلي بن موسى بن سعيد المغربي (8) ، وابـي عبد الله شمس الدين الدمشقـي (9) ، وابي الفدا عمـاد الدين اسماعيـل (10) ، ملـك حماة ، وشهـاب

---

1) محمد بن ابي بكر الزهري : اوائل القرن السادس ، له « كتاب الجغرافية » وقيل ، نقلـه من كتـاب الغمـاري أو الفزاري

2) الشريـف الادريسـي (ولـد 1099 م وتوفـي 1153 م) لـه « نزهـة المشتاق ، في اختـراق الآفـاق » ويسمـى ايضا كتاب « راجـار » نسبـة الى راجـار الثانـي ملك صقلية ، وجنوب ايطاليا ، الذي اشار عليه بوضعه لتحديد مملكته ولـه أيضـا « أنس المهج ، وروض الفرج » وقد سلك في مؤلفاته مسلكا جديدا ، لم يسبق اليه ، فهـو الذي وصف بلاد أوروبا وايطاليا وجبالها ، وانهارها مفصلة ومتنوعة ، وهذا الكتاب مـدار علم العرب ، لمعرفـة الغرب ، وهو المعول عليه في هذا ، فكل من كتب عـن الغرب ، مـن علمـاء العـرب ، اخـذ عـن الادريسي

3) المازنـي : توفي سنـة 565 هـ ـ 1170 م لـه « تحفـة الالباب ، ونخبـة الاعجـاب » و « نخبة الاذهان ، في عجائب البلدان » و « عجائب المخلوقات

4) الموصلي لـه « عيون الاخبار » يصف فيه رحلته الى الشام

5) ابن جبير الكناني : توفي سنة 614 هـ ـ 1216 م لـه « رحلـة » ذكر فيهـا جزيـرة سردينيا ، وصقلية وقد امتازت بصقد وصفها ، ودقة روايتها ، وجزالة عبارتها ، وتاريخ ايامها ، لانها كانت نتاج تعويض عن عربدة

6) ياقوت بن حجة الحموي : توفي سنة 626 هـ ـ 1228 م ، مؤلف أهـم كتاب عربـي فـي الجغرافية « معجم البلدان » وهو الكتاب الجغرافي التاريخي ، الـذي وصف فيه كـل ماوقعت عليه عيناه في رحلاته الثلاث ، في أرجاء العالم الاسلامي ، وما جاوره من الاقاليـم، وضمنه كثيرا من تراجم الناس ، أثناء ذكره للبلاد التي ولدوا فيهـا أو نسبـوا اليهـا، وياقوت نفسـه ، اعجوبة من عجائب المخلوقات ، بحكم تطور حياته من أسر الى عتق الـى دراسته عن العكبري صاحب المتنبي ، وانتقاله في البلاد حتى السد ، بعدما كـان بمـرو الشاهجان في خوارزم ، حيث تصفح كثيرا من كتب تلك المدينة ، وأنتج الكثير ، ولكنـه ضاع بعد فراره من غزو التتر ، كبعثه يوم الحشر من رمسه ، ولـه كتـاب « المشتـرك وضعا ، والمختلف صقعا » ذكر فيه الامكنة المتفقة في الكتابة المختلفة في الدلالة ، طـرابلس الغـرب طـرابلس الشام

7) القزويني : توفي سنة 686 هـ ـ 1287 م لـه « كتاب عجـائب المخلوقـات » و « آثـار البلاد » وفيـه اخبار كثيرة عن بلدان أوربـا

8) ابن سعيد المغربي : ولد سنة 610 هـ ـ 1216 م . وتوفي سنة 685 هـ ـ 1286 م. ـ لـه كتـاب « بسـط الارض ، في الطول والعرض » نحـا فيـه نحـو بطليموس ، وقـد اقتبـس منه ابو الفدا كتاب « تقويم البلدان » ـ راجع « كشـف الظنون » ص 167 ـ وقد وقـع لـه خلط في تاريـخ وفاتـه

9) الدمشقي توفي 727 هـ ـ 1327 م ، لـه « نخبة الدهر ، في عجائب البحـر »

10) أبو الفدا : توفي سنة 782 ـ 1331 م ، لـه « المختصر في أخبـار البشـر » وهـو أول كتاب عرفه علماء أوروبا ، ولـه « أوضح المسالك ، الى معرفة البلدان والممالك » أوجـز فيه ما سبقه اليه غيـره ، ثم رتبه على حروف الهجاء ، لتسهيل المأخذ ، وتعميم المعرفة.

الدين العمري (1) ، ونجم الدين الحراني (2) ، ومحمد بن عبد الله الطنجي ابن بطوطة (3) وان كان الزياني قد وجه اليه نقدا مرا وعنيفا بدافع ما استقاه من بعض الهنود بالحرمين أيام حجته الاخيرة ، والسرخسي (4) ، وأبي القاسم التجيبي (5) ، ومحمد سليمان الجزولي (6) ، واحمد الشهاب أفوغاي (7) ، وكذا ابن عثمان (8) زميل أبي القاسم الزياني ، ومحمد بن عبد الوهاب الغسال (9) .

هؤلاء هم بعض ذوي الرحلات ، والجغرافيون في العرب ، مشارقة ومغاربة ، وقد ذكرناهم مع بعض انتاجهم ، ليرجع اليه من اراد الاستفادة ومعرفة ما افادوه وما استفاده بعضهم من بعض ، خصوصا الذين تناولوا منهم تاريخ أوروبا بصفة عامة ، وكذا ما أفاده الزياني وما تميز به عنهم جميعا ، خصوصا فيما يتعلق بالعلاقات بين المغرب ودول أوروبا ، وكذا تاريخ أوروبا الذي جاء فيه الزياني بما لم يتقدم لغيره . فاذا استثنينا الادريسي الذي أخذ عنه بعضهم بالحرف كل ما كتبه عن أوربا ، وايطاليا كابن سعيد، وأبي الفدا ، وشهاب الدين العمري ، وابن الوردي وآخرين ، نجد

---

1) العمري : له « له مسالك الابصار ، في ممالك الانصار » عاصر أبا الفدا ، وخدم الملك الناصر ابن قلاوون ، واخذ عن الشريف الادريسي ، اخبارا تتعلق بايطاليا أكثر مما ذكره المؤرخون

2) الحراني : توفي 732 ـ 1331 م ، له « جامع الفنون ، وسلوة المحزون »

3) ابن بطوطة اللواتي الطنجي له رحلاته الثلاث التي قام بها ، حيث طوف في جميع الاقاليم المعروفة في أيامه من المغرب الى سومطرة والسودان ، ومجاهل افريقيا الوسطى ، وكتابه احفل كتب الرحلات ، لايعيبه غير بعض الاسراف والاغراب اللذين يقصد بهما التشويق، وله « تحفة النظار ، وغرائب الامصار ، وعجائب الاسفار » أملاها على الكاتب محمد بن جزي الكلبي احد كتاب دولة بني مرين بفاس ، وانتهى من كتابتها سنة 757 هـ ـ 1356م ويوجد بعض هذه التحفة بخط ابن جزي ، بمكتبة باريز ، رقم 907 ، فهرست الكتب العربية وقد ولد ابن بطوطة سنة 704 هـ ـ 1304 م ، وتوفي سنة 777 هـ 1377 م.

4) السرخسي : له « رحلة من المشرق الى المغرب الاقصى » سنة 593 هـ ـ 1196 م . دخل مراكش سنة 598 هـ ـ 1201 م ، وبقي بالمغرب الى سنة 600 هـ ـ 1203 م ، ذكرها صاحب « نفح الطيب » ، ونقل عنها ، كما ذكرها صاحب « الغصون اليانعة » بأنها بدار الكتب المصرية تحت عدد 1501 وتوفي السرخسي بدمشق الشام

5) التجيبي : له رحلة قيل انها في مجلدات ، رحل الى المشرق سنة 696 هـ ـ 1695 م

6) محمد بن سليمان الجزولي : له رحلة ذكرها ابن القاضي في كتابه « لقط الفرائد » وقد توفي الجزولي سنة 863 هـ ـ 1458 م

7) الشهاب أفوغاي : رحل من الاندلس الى مراكش زمن احمد المنصور الذهبي 1007 هـ ـ 1578 م . وقد اعتمد عليها صاحب « الصفوة » وصاحب « زهر البستان »

8) ابن عثمان المكناسي : توفي سنة 1213 هـ ـ 1798 م ، ورحل الى المشرق بعد سفارته لآل عثمان ، وله « رحلة البدر السافر ، لهداية المسافر ، الى فكاك الاسارى من يد العدو الكافر »

9) الغسال : توفي سنة 1119 هـ ـ 1707 م ، له « رحلة الى بلاد الاندلس » أيام المولى اسماعيل ، قصد افتكاك الاسارى ، واسترداد ما بقي من الكتب الاسلامية بالاندلس، طبعت مع ترجمتها الاسبانية سنة 1359 هـ ـ 1940 م

ان ما لم ينقل عن الادريسي ، يعتبر من الخرافات ، كما حصل للقزويني في وصف أحوال بعض الاوربيين ، وياقوت في تعريفه برومة .

ولعلنا لا نفقد هذه الاخطاء احيانا عند ابي القاسم الذي يبدو انه اعتمد في تلك الاحيان على بعض الذين وقعوا في تلك الاخطاء ، اولئك الذين ذكرهم في بعض استطراداته التاريخية كابن قتيبة والمسعودي والطبري وابن عساكر، والذهبي، والبكري، والبلادوري، وابن كثير ، وابن خلدون ، وابن ابي زرع ، وابن زيدون ، وابن حزم ، وابن مرزوق ، وابن الخطيب .

هؤلاء الذين قال عنهم ان الترجمانة زادت على ما في هذه المصادر ، لا من حيث الكم ، وانما من حيث الكيف ، وان كان لم يفصح عن ذلك ، فهو تحدث باستفاضة أكثر من غيره عن أوروبا وعن عواصمها التي لم يتطرق اليها من سبقوه ، كما تحدث عن تاريخ بعض تلك الدول ، وعلاقتها بالمغرب ، وبعض الدول الاسلامية ، بطريقة لم يسبق اليها ، ولم ينتج نحوه فيها اولئك الذين اتيحت لهم الفرص التي اتيحت لأبي القاسم ، وهي الخدمة بجانب السلطان، والقرب من مصدر العلاقات الدولية . كما تحدث أحيانا عن تاريخ بعض دول أوروبا القديم ، حديثا لم يكن فيه بالخيالي البعيد عن الحقيقة ، كما حصل لغيره ، بل هو الوحيد الذي يمكن أن يقال انه تحدث عن تاريخ أوروبا الحديث في عصره ، ومواضع مختلف الدول الاوروبية ، كما رسم صورة عن الحالة السياسية في أوروبا الغربية ، بعد الحرب الدينية ، الى غير ذلك من المعلومات التي لم تكن تعرف، الا من الوثائق الانجليزية والفرنسية في عصره . وبذكرنا للمصادر التي استقى منها والتي تعرض لها آخر الترجمانة نستبين الجديد من انتاجه ، اذ كل ما فعله هو اضافة ما اخذ منها الى مشاهداته . واتصالاته كما يقول :

« انما رسمت فيها ما شاهدته في الاقاليم التي بلغتها ، وغيره نقلته من رحلة العياشي ، ومحاضرة اليوسي ، ورحلة البلوي ، ورحلة ابن نباته ، ورحلة السرخسي للاندلس والمغرب ، ورحلة الكردي ، ورحلة البكري ، واخبار الهند والسند والصين من تاريخ الاسلام للذهبي ، ومن تواريخ لبعض علماء الهند اجتمعت بهم بالحرم الشريف وبمكة ، وكنت اسرد عليهم رحلة ابن بطوطة فانكروا كثيرا لما فيها من اخبار ملوكهم ... الخ » . وليس كل ما صدر عن أبي القاسم ادعاء او استعلاء ، بل يثبت بنفسه ويخط بقلمه ما له وما عليه . اذ يقول في كتابه للامام حمدون بن الحاج حول ما نظم من تاريخ الدول شعرا « ثم اني اعتذر للسادة من ذلك النظم الصريع ، وبالتلفيق الركيك البشع . فان القصد منه الاختصار وتحقيق الاخبار .. »

وليس معنى هذا ان ابا القاسم لم يكن يدرك جوانب قدرته فى التأليف بقدر ما كان يدرك جوانب ضعفه فى النظم ، بل العكس من ذلك . ولنسمع اليه اذ يقول للامام حمدون ايضا وقد كتب الاخير اليه بتقريظ بليغ ثم بعث اليه بمنظومته المشهورة فى السيرة

« فليس بها ما يبدل ولا يعاب ، الا خلوها من التراجم والفصول والابواب ، وذلك قريب المأخذ سهل الوصول ، لمن يضع الرماح والنصـــول »

* * *

واذا علمنا أن ابا القاسم الزياني الف كثيرا من المؤلفات ، وفى كثير من الفنون ــ كما سنذكر ــ قبل ان يصل سن السادسة والثمانين ، وهي السنة التي اتم فيها كتاب « الترجمانة » اي سنة 1233 هـ ، وذلك بعد ما استقر به المقام كما يقول : « ولما ألقيت عصا التسيار ، واستقرت بنا الدار ، فى ظل هذا الامام العظيم المقدار ، جمعت ما قيدته فى رحلاتي الثلاث ، وما شهدته من الامصار والبحار ، وما لقيت من السادات ، جعلته رحلة واحدة على قاعدة النحاة فى جواز الجمع بين الاخوات »

وعن الترجمانة ايضا يقول ، ونقصد بها : « الاخبار عن العالم برا وبحرا ، وما تخلله من الامصار والمدن والقرى والقفار ، والبحار والجبال والانهار والعيون والمعادن والآبار والحيوانات والاحجار ، وما يؤيد ذلك من التفسير والآثار ، ولي فى كل مقام منها مقال ، وفى كل روض منها مجال ، حسبما يقتضيه الحال ، ويخطر على البال ، من نصوص قرآنية وتأويلات تفسيرية ، واحاديث نبوية ، وفتاوي فقهية ، ومواعظ صوفية ، وحجج قطعية ، وادلة معقولية ، وشواهد شعرية ، وضوابط هندسية ، واسامي لغوية ، ونوادر سروجية ، وقصائد عالية ، وما يناسب كل خبر ويؤيده ، ويعتمد عليه ويقصده ، وختمتها بنصوص من التوراة والانجيل والفرقان ، للرد على اليهود والنصارى والصابئة والمجسوس عبدة النيران ، حسبما ذكره بعض من تصدى لذلك من أهل العرفان ، ووقع عليه من الائمة الاجماع » ثم يستطرد الزياني فيقول أيضا :

« وهذه التراجم المرسومة فى هذا البرنامج ، لكل واحدة منها ما يماثلها من الاشباه والنظائر ، من حكايات وكرامات وابحاث واجوبة وقصائد وشواهد ، فى كل شيء ، ودلائل وبراهين ، لأئمة المتقدمين والمتأخرين ، وخصوصا فى قمع هؤلاء المبتدعين . . . الخ . »

واذا كان ابو القاسم الزياني قد اعطانا صورة واضحة عن مصادره التي ذكرناها آنفا والتي سيذكرها ايضا ، فان الصورة التي اعطانا اياها على ابتكاره كانت أوضح فمن مصادره المذكورة

اخذ ما قص علينا من احاديث الانهار والجزر التي لم ينـج حيـن التحدث عنها من الخرافات التي وقع فيها اولئك الذين اخذ عنهم

ولم تكن مصادر الزياني الكتب ، والكتب وحدها ، بل كانت احيانا اشخاصا تعرف عليهم فى الاسطنبول او الحجاز او مصر . ولولا ما جره عليه ابن فضلان ، وصاحب المسالك والممالك الشرقية، وتحفة الغرائب ، والاصطخري ، من اغراق فى الخيال ، كحديثه عن « بادخان بالدامغان » و « عرش ابليس بالمحيط الكبير » وما رواه عن أبي عبد الله الصيني ، لكان ابو القاسم ، حين حديثه عن الكرة «المبسوطة» التي رسمها بقلمه ، احسن اقرانه ابداعا . ورغم ذلك فالزياني مبدع ومجيد ، خصوصا حين يخبرنا عن مطالعاته بخزانة مسجد محمد باي أبي الذهب ، أيام اقامته بمصر ، واثر اوبته من الحج ، ووقتها تعرف على المؤرخ المصري الشهيـر ، عبد الرحمن الجبرتي الذي قال عنه الزياني انه كان يسكن « بخان الخليلـي » جوار منزل صديقه محمد حسن ، ففي خزانـة المسجد المذكـور ، اطلـع على

— تاريخ الكرماني ، وتاريـخ النووي ، وتاريـخ الخلفـاء للأسيوطي ، والورقات له ايضا مع التلباني ، والخطط للمقريزي ، والانساب للشيخ المرتضى ، كما روى تاريخ الهند وممالكها عن أبي الحسن علي الهندي الذي تعرف عليه فى الحرمين الشريفين ، سنة 1200 هـ ، أي فى السنة التي أرسله فيها أمير المؤمنين سيدي محمد ابن عبد الله ، سفيرا لدى آل عثمان ، حيـث انتقل مـع الركـب العثماني الى الديار المقدسة ، ووقتها سجل المراحل بدقة أكثر من التي خلفها البكري ، وكذا ابو سالم العياشي ، وغيرهما من الذين ذكـرهـم

* * *

آثاره ومؤلفاته

لم تكن المدة التي قضاها ابو القاسم الزياني ، منعزلا فى بيته ، اقل انتاجا من تلك التي قضاها بجانب ملكين عظيمين هما وليا نعمته المولى محمد بن عبد الله ، والمولى سليمان بل كانت مدة انعزاله اكثر غزارة وفائدة للأجيال المتعاقبة ، فمن سنة 1224 ، الى سنة 1249 هـ ـ من 1809 م الى 1834 م ، اي مدة خمس وعشرين (25) سنة ، ما ذا انتج لنا الزياني خلالها ؟ ، لقد انتج من الكتب ما يلي :

— الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب .
— الترجمانة الكبرى ـ بستان الادباء والكتاب ، فى مدرج هـذا الكتاب (الترجمانة) .
— البستان الظريف ، فى دولة اولاد مولاي الشريف .
— الفية السلوك فى وفيات الملوك .

— شرح هذه الالفية فى دول الاسلام الى عصره .
— الدرة الفائقة ، في الرد على اهل البدع ... والزنادقة
— تحفة الحادي المطرب ، فى رفع نسب شرفاء المغرب .
— درة السلوك ، فيما يجب على الملوك .
— رحلة الحذاق لمشاهد الآفاق فى الجغرافية .
— جَوْهَرَةُ الياقوت واللؤلؤ والمرجان فى ذكر الملوك واشياخ المولى سليمان .
— كشف الاسرار ، فى الرد على أهل البدع الأشرار .
— رشف الحميا ، فى علم السيميا ، وبطلان علم الكيميا .
— نصيحة المغترين فى بطلان التدبير للمعترين
— التاج والاكليل ، فى مآثر السلطان الجليل .

هذه هي الكتب التي كان قد انجزها وقت انتهائه من كتاب الترجمانة الكبرى والتي ذكرها فى صلب الكتاب المذكور . أما بعض ما أنجزه بعد ذلك مما علمناه ، وتوصلنا اليه ، فتفصيله فيما يلـــي :

— تحفة النبهاء ، فى « التفريق » بين الفقهاء والسفهاء .
— شرح الحال والشكوى للكبير المتعال (منظومة) .
— تاريخ الولاية ، المحمودة البدء والنهاية (فى التعريف بالمولى عبد الرحمن بن هشام) .
— قصة المهاجرين المعروفين بالبلديين بفاس .
— الروضة السليمانية ، فى ملوك الدولة العلوية ، ومن تقدمها من الدول الاسلاميـــة .
— مقامة فى العائلة الفاسية توجد ضمن مجموع بالخزانة العامة إلخ

هـذه جـل مـؤلفـات الزيـاني التـي عرفنـا بنفسـه داخـل الترجمانة والتي تعرفنا عليها من خلال تتبعنا لاثاره ، ويمكن أن تكون له كتب اخرى ، لم نتعرف عليها ، لان ابا القاسم الزياني تعرض الى محاربات شديدة من حساده ومناوئيـه ، وذلـك بسبب جرأتـه وصراحته فى الحـق ، وقولـه ما لـم يعتـده الناس في أيامـه ، خصوصـا اربـاب بعـض الطـرق الذين كانـوا يمثلون طائفـة خاصة من المجتمع ، هي طائفة بعض ذوي اليسار والنفوذ ، حتى ان بعض اصدقاء الزياني عاد فتنكر له بسبب نقده الشديـد للطـرق الضالة امثال ، اكنوس الخ .

* * *

اما عن الترجمانة التي نحن بصددها ، وكيف وضعها الزياني وما اشتملت عليه فقد اشار الى ذلك بقوله: هذا برنامج هذه الرحلة المسماة « الترجمانة الكبرى » التي جمعت أمصار المعمور كله ، برا وبحرا ، رسمتها على تقسيم الاقاليم السبعة من المغرب الى اقصى المشرق

بالصين . ومن اقصى السودان فى الجنوب الى اقصى بلاد الصقلب فى الشمال القاصي .

وقد قسمها كما يلي :

رحلته الاولى لاداء الفريضة والزيارة عام 1169

الغرق فى بحر القلزم وتلف المال والرجوع للمغرب عام 1171

التعلق بخطة الكتابة والخدمة السلطانية ونهى والدي عنها بكل وجه وما قيل فى ذلك الى ان حصلت النكبة عام 1184

الخلاص من النكبة والرجوع للخدمة والتمكن فى الدولة ، وما تخلل ذلك من الحوادث الى ان تعينت السفارة للاصطنبول .

المغرب الاقصى ومن عمره بعد الطوفان الى ان دخله البربر فى الجاهلية الى الاسلام ، وذكر مدنه ومن عمرها ومن أدخل له دين الاســـلام .

الرحلة للاصطنبول لسلطان الترك عبد الحميد العثماني ، وسبب ذلك وما تخلله من الحوادث واخبار الدولتين عام 1200

اقليم الاندلس لما دخلناه فى هذه السفارة ، وما به من المدن ومن عمره فى الجاهلية والاسلام الى الفتح ، ومن تداوله من الملوك الى ان استولى العدو الكافر

الاصطنبول وضخامتها وعجائبها وعاداتها ، وملاقاته مع سلطانها ، وأعيانها وعلمائها وما تخلل ذلك من الحوادث والاخبار .

العودة من الاصطنبول والرجوع للخدمة وتقليد الاعمال بالمغرب الى موت امير المؤمنين سيدي محمد رحمه الله عام 1204 وبيعة ولده اليزيد .

النكبة فى أيام السلطان اليزيد ، والتقلب فى سجون المغرب الى موته عام 1206 والخروج من السجن وبيعة السلطان مولاي سليمان وما تخلل ذلك .

ولايته وجدة بالاكراه من السلطان مولاي سليمان ، والتوجه لها صحبة مائة فارس وركب التجار ونكبة العرب له اثناء الطريق ، ونهب المال والمتاع والبلوغ لوهران ومنها لتلمسان .

الاقامة بتلمسان سنة ونصفها ، ومن لقيه بها من الاعلام ، وخبرها قبل الاسلام وبعده وما بتلك الواسطة « الجزائر » من المدن ومن عمرهـــا .

السفر للجزائر ومنها للقسنطينة ، ومنها لافريقية ومن لقيه بهذه الاقاليم من الاعلام ، وما بتلك النواحي من المدن ومن أسسها ومن عمرها قبل الاسلام وبعده .

سفره من تونس للاصطنبول بقصد السفر فى الدرب الرومي لمشاهدته وخبر ما به من المنازل ، والمدن الى الشـام ومن لقيه بالاصطنبول من الاعيان والاعلام

سفره من الاصطنبول مع امير الصرة فى درب الروم ، وذكر منازله ومدنه ، ومشاهداته الى مدينة دمشق الشام « دار السلام » كمـا لقبهـا ؟

اقليم الشام وما به من المدن والهياكل ومزارات الانبياء والاولياء والصحابة والعلماء ومن عمره قبل الاسلام وبعده ومن تداوله من الملوك

اقليم الجزيرة التي بين الشام والعراق ، وما بها من المدن والهياكل القديمة ، ومن عمرها قبل الاسلام وبعده وما تخلل ذلك من الاخبـار .

اقليم العراق الذي هو وسط الدنيا ، ودار مملكة الفرس العظمى قبل الاسلام ، وما به من المدن والهياكل ومن اسسها فى الجاهلية والاسلام

مدينة بغداد التي تسمى دار السلام ، وما بها من آثار خلفاء الاسلام من المدن والهياكل ، والمقابلة بينها وضخامة ملك العجم قديمـا

سفر المؤلف من الشام الى الحجاز ثم للمدينة ثم مكة ، وذكر منازل الحجاز ، عامرها وغامرها ، ومشاهداته

مقامه بمكة بعد اداء مناسك الحج ، ومن لقيه بها من الامراء والاعيان ، وما وقف عليه بها من تواريخ الامم ، وخبر جزيرة العرب وما بها من المدن

اليمن وما به من المدن ، وخبر بلاد الزنج ، والحبشة ، وارض الهند ، والسند ، وارض الصين ، وصين الصين ، وممالكها ، ومدنها ، ومن عمرها ، فى الجاهلية والاسلام .

رجوعه من مكة للمدينة ، وذكر مزاراتها ومن لقيه بها ورجوعه منها مع الركب المصري فى درب الحجاز وذكر منازله الى مصر القاهـرة .

مقامه بمصر وذكر مدنها وهياكلها ، ومن عمرها قبل الطوفان وبعده الى زمن التاريخ ، ومن لقيه بها من الاعلام والامراء وما وقف عليـه بهـا .

نزوله فى النيل للاسكندرية لمشاهدتها وذكر ما بها من الآثار القديمة ، ومن عمرها من الامم وما قيل فيهـا ، ومن لقيه بهـا من الايمـة الاعـلام

رجوعه لمصر بقصد السفر وخروج المحمل للحرمين وذكـر مزاراتها وايام الزينه بها ، والوقوف على مشاهدها والآثار القديمة بهـا ومن عمرهـا .

سفره من مصر فى بحر القلزم لجدة ، وما لقيه من الحوادث ، ثم لمكة وما اجتمع به من الاعيان وما وقـف عليـه من الاخبـار ، ورجوعه بعد الزيارة من الحجاز لمصر

سفره من مصر للاسكندرية والركوب منها فى البحر لانطاكية من سواحل الشام ، ثم السفر منها فى البر لمدينة الخليل *والقدس* ودمشـق .

مدينة الخليل ومن اسسها ومدينة القدس الشريف والمسجد الاقصى ومن عمره الى الاسلام ، ومدينة دمشـق ومن عمرهـا فى الجاهلية والاسلام ، ومسجدها الاموي .

من لقيه المؤلف بدمشق من الاعلام ومزارات الانبياء الكرام ، والاولياء العظام ، ومن لم يقف عليها فى المرة الاولى لضيق الوقت ، كمـا يقـول .

رجوعه لانطاكية ومن لقيه بها ، وسفره منها لبر الترك ، والمقام بازمير ، ومن لقيه به من الاعلام ، وبه قيد اخبار مدن الروم «أروبا» من آخر الاندلس الى القسطنطينية الى مدن الخزر ، الى مدن الارمن الى مدن الفرس بالاهواز ، والجبـال ، وخراسان ، وسروسنـة ، والشاش ، وفرغانة ، الى اطراف الصين ، الى الصقالبة ، الى سـد «ياجوج وماجوج» الى الخراب، الى بلاد الروم، الى آخر الاندلس .

ما فى هذه الدنيا من البحار ، والقفار ، والجزر ، والجبـال ، والعيون ، والآبار ، والمعادن ، والاحجار ، والحيوانات ، وخواصها .

رجوعه من بر الترك لتونس ، وما لقيه بها من الاكدار وذهاب المتاع ، وما قيده من مدن برقة ، ومن عمرهـا ، ومن خربها ، ثـم السودان ومدنـه .

سفره من تونس لقسنطينة ، ثم للجزائر ، ثم لتلمسان ، ثـم لفاس ، وملاقات السلطان مولاي سليمان ، وخبره له بالعودة للخدمة وملازمتهـا .

نكبته له عام 1224 وملازمة البيت والاعتكاف على التقييـد والتـأليـف إلخ.

* * *

وفى هذا التبويب ، يتبين لنا أن ابا القاسم الزياني ، قد استفاد أيما استفادة من رحلاته واتصالاته وتقربـه من ملكين عظيمـين ،

واطلاعه على الوثائق التي لم يكن لغيره ان يطلع عليها من رسائل وظهائر وكتب اقتصرت على القصر الملكي ، استفاد منها استفادة الخبير المحنك ، وانه الى جانب ذلك ، استطاع ان يضع فى كتابه « الترجمانة » هذا ، خريطة رسمها بخط يده ، للبحار والاقطار والجزر ، فهمها يكاد يكون قاصرا عليه .

هذا بالنسبة للتاريخ العام ، اما بالنسبة للمغرب ، وتاريخ الدولة العلوية بالاخص ، فان ابا القاسم الزياني ، مؤرخها الصادق الوفي ، لم يكتب تاريخها لمصلحة شخصية ، او لغاية دنيوية ، بقدر ما كان الدافع الوفاء لمليكه الذي تولاه بعنايته ورعايته ، المولى محمد بن عبد الله ، اعظم ملوك العلويين علما وسياسة واقتدارا وتدبيرا ، والذي استحق من الزياني الوفاء حيا وميتا ، وتلك شيم الكرام . ثم خلفه المولى سليمان الذي عرفه المؤلف قبل الملك، واخلص له الولاء ، بعد موت ابيه ، وفى ذلك يقول : « فالفت كتاب الترجمان المعرب ، عن دول المشرق والمغرب ، ثم تاليف البستان الظريف ، فى دولة اولاد مولاي الشريف ، اذ لم أجد فى هذه الدولة العلوية تاليفا ، ولا اعتني بذكر حوادثها مشروفا ولا شريفا » وكاني به يقصد الحوادث وما فى مجراها ، بعد المولى الرشيد ، والمولى اسماعيل . اما عن تاريخ الاسرة العلوية وتأسيس الدولة العلوية ايضا ، فقد كتب قبله فى هذا الموضوع ، كل من احمد بن عبد العزيز العلوي ، 1101 هـ كتابه « الانوار الحسنية » المشهور بالانوار السنية خطأ ، وقد نشرناه اخيرا (1966) ، ومحمد الصغير اليفرني ، صاحب « روضة التعريف » الماخوذ جله من « الانوار الحسنية » وقد نشرته المطبعة الملكية (1962) .

ثم يستطرد الزياني فيقول : « (فاما) ما كان من اخبار الرشيد واسماعيل واولاده وآثاره ، وحركاته واجناده ، (فقد) نقلتها من تقايبد غير مجموعة ، واحاديث اسانيدها غير مرفوعة ، للسادات القادريين ، والفاسيين ، والبكريين ، فالدرك عليهم ... » — « (واما) ما كان فى دولة امير المومنين ، سيدي محمد ، ايام خلافته وملكه ، وحركاته ووقائعه وآثاره ، الى يوم وفاته ، وفى دولة ولده اليزيد ، من الابتداء الى أن بلغ ما يريد ، وفى دولة المؤيد بالرحمان ، مولانا سليمان ، فبالمشاهدة والعيان ، والتقلب فى خدمتها بالبيان.»

ويقول فى رسالته لشيخ الادباء ، الامام حمدون بن الحاج السلمي : « وفى الدولة المحمدية واليزيدية والسليمانية ، فبالمشاهدة والتقلب فى الخدمة وممارستها ، وتقييد حوادثها ، حلوها ومرها ، سرها وجهرها ، ويعلم الله ما بدلت ولا غيرت ، ولا داهنت ولا راءيت وما ذكرت الا ما اعلمه واعتقده .

ومهما يكن فان ابا القاسم بحق قد توخى الدقة والضبط والعناية فى كل ما كتب عن مشاهداته حسب اجتهاده ، مراقبا

الضمير ، والضمير فقط ، لا تلويه ضغينة ، او ينحرف به هوى ، كما عن لحساده أن يسموه بذلك ، مدركا أن ما يكتبه انما يكتبه للتاريخ ، وللتاريخ وحده . فهو لم يترك كبيرة ولا صغيرة من الاحداث الا سجلها ، والاماكن الا وصفها ، والقبائل ، الا عرفها والمنشئات العمرانية والاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية ، الا احصاها . فالقصور والحصون والمساجد ، والقناطر ، والمعاهد تقاس بالاقدام والاذرع ، بدقة يتخيل قارئها أنه الذي يحصيها . وسواء ذلك في مقامه أو سفره ، فمسجد السلطان حسن بالقاهرة ، ومسجد محمد الفاتح بالاسطنبول ، ومسجد قبة الصخرة بالقدس، والبنادر حسب اطلاق الشرقيين « المراكز » ، والمراحل التي قطعها في درب الروم ، قصد الاستكشاف ، كل ذلك عنده كالقصبات التي شيدها ملوك الدولة العلوية ، من قصور وحصون ومساجد ، او التي سبقت عهد العلويين ، وكذا القرى المتفرقة يمينا وشمالا ، حول جبال درنة ، هي عنده كالقرى والمدن ، بمصر والشام ، وبلاد الترك والحجاز ، كلها توصف الوصف الدقيق ، ويقاس منها ما يقاس بالمقياس الدقيق أيضا ، حتى ان أبا القاسم ليعتبر الوحيد الذي خرج على منهاج معاصريه والذين قبلهم في التاريخ وربطه بالجغرافية كما أنه الوحيد أيضا من بين معاصريه الذي انتزع احترام الشرقيين والغربيين على السواء . فقد ترجم له :

1) هوداس ، بعض « الترجمانة » سنة 1899 م . حيث سمى ما ترجمه « المغرب من سنة 1631 الى سنة 1812 » ، واتخذه مؤرخو الاعلام ، علما شامخا يعلو جميع المؤرخين المغاربة في عصره ، حيث ذكر في

2) فهرس الفهارس للكتاني ، ج 1 ص : 230 — 231 . ج 2 ص : 328 — 331 .

3) معجم المؤلفين ، ج 8 ص : 93 .

4) ليفي بروفانصال ، في كتابه « مؤرخو الشرفاء »

5) اليواقيت الثمينة ، ص : 104

6) تاريخ الادب العربي ، جورجي زيدان ، ج 4 ، ص : 282.

7) الاتحاف للمولى عبد الرحمن بن زيدان ، ج 6 ، حيث افرد له ترجمة لم تطبع بعد ، ولم نطلع عليها وقد اعتمد عليه فيما كتبه عن العلويين اكثر من غيره

8) « الأعلام » لخير الدين الزركلي ، ج 6 ، ص : 6 ، و « المستدرك » له أيضا ص : 171

9) الآداب العربية لشيخو اليسوعي ج 6 ، ص : 17 .

10) معجم المطبوعات لشركس ، ص : 983

11) ايضاح المكنون ، للبغدادي ، ج 1 ، ص : 280 .

12) النبوغ المغربي ، ج 1 ، ص : 250 .

13) سلسلة التراجم ، ج 2 .

14) كما ذكره صاحب دليل مؤرخ المغرب ، في ج 1 ص : 89 – 117 – 131 – 133 – 141 – 144 – 153 – 165 – 171 – . وفى ج 2 ص : 260 – 294 – 331 – 338 – 350 – 375 – 376 – 382 – 391 – 403 – 419 – 427 – 430 – 439 – 443 – 447 – 459 .

وهكذا فان أبا القاسم الزياني ، رغم ما لاقاه فى حياته ، وما تلاقيه آثاره بعد وفاته ، قد استطاع أن يفرض نفسه حيا وميتا واذا كانت كلمة « ما العز الا ما كان للمرء بين أهله » لها مدلول هو الاكبار والتقدير والاحترام ، فان ذلك ما انتهى اليه الزياني ، بين قبائل الاطلس المتوسط والجنوب المغربي فى حياته ، بل ذلك ما عرفه من معاصريه العلماء والسياسيين وذوي النفوذ ، رغم كل العواصف والاعاصير ، اذ مدحه جل علماء عصره ، وقالوا فيه القصائد ، وأطالوا فيه الرسائل ، اشادة بانتاجه وتقريظا ، حتى اضطر ان يسمى ذلك « بستان الادباء والكتاب » ، خصوصا ما قيل فى الترجمانة التي اشتملت على جل ما انتج وكتب ، بل جاءت خلاصة لذلك . ويقول ابو القاسم عن الترجمانة فى كبرياء وتواضع عند ما أتمها وقد ختمها بما زود من آيات وحكم فى مقدمة الاحبة وقد فقد ولده فى 15 رمضان 1233 هـ .

« وهنا انتهى بنا تقييد هذه المرحلة السعيدة ، والترجمانة المفيدة التي جمعت اخبار الاقطار والامصار والمدن والقرى والقفار، وما تخللها من البحار والجبال والانهار والعيون والآبار ، التي لم يجمعها ديوان ابن الجوزي ، ولا تأليف ابن عبد الجبار ، ولا ابن عبد المنعم فى الروض المعطار ، فالحمد لله على قضاء الفرض وبلوغ الاوطار ، انه العزيز القهار ولما اخرجته من السواد الى البياض شاع خبره كرم عكرمة الفياض ، وسمع به الطلبة من اهل الدولة ، ومن له فى الادب جولة وصولة فالتمسوا مطالعته عند من كان يستخرجه من الكتاب ، وراموا الوصول اليه من تلك الابواب ، فخبرني بذلك بعض الاصحاب ، فجمعت ما كان مفرقا من تلك الاوراق ، قبل ان ينقل خبرها قبل التمام الى الافاق ، فاتفق لي يوما الاجتماع بالمسجد الجامع ، بالفقه الذي هو لمكارم الاخلاق جامع الشريف الاديب السميدع الاريب ، قامع اهل الدعوات نقيب الاشراف سيدي سليمان الحوات فسألني على وجه المداعبة وقال :

— انك كتمت عنا خبر تاليفك فى هذه الدولة العلوية ولـم تخرجه للمجال. وخفت عليه من صولة الرجال ، فقلت :

— ليس هو بمكتوم بل مشور ومعلوم ، وليس بمقتصر على هذه الدولة ، بل جامع لكل من له صولة او دولة ، فقال :

— لا بد ان تتحفنا بمطالعة كله او جله او كتيبة من خيلـه او رجلـه ، فقلت

— لم يكن منعي له خشية من البيادق والفراخ ، بل خفـت وثبة الفرازر والرخاخ ، ولي العذر فيما قدمت عليه من نظم القوافي، اذ لا قوادم اطير بها ولا خوافي ، ولا لي آلة ولا أوصاف بها اتجمل ، ولا ناقة اركبها ولا جمل ، ولا ما أجول به فى ميدان اهل القريظ ان فوقوا سهامهم بالتصريح او التعريض ، وأما ما امليته من اخبـار الاواخر والاوائل فكله منقول ومنسوب الى القائل ، فمن اعتـرف بالحق من ذوي الالباب ، والا فهذه العرب بالباب ، ولما انفصلنـا وجهت له كراريس الدولة العلوية بتمامها ، فى خيلها ورماتها ، وهو « البستان الظريف فى دولة اولاد مولاي الشريف » مـع كراريس اخرى من تاليف « الترجمان المعرب ، عن دول المشرق والمغرب » . ومعها رسالة اوردها الزياني بنصها ، فكان جواب ابي الربيع سليمان الحوات بعد الحمد والصلاة على النبي الكريم :

انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، كعادته الخ . وقد كانت رسالة ابى الربيع من أجمل ما يقرظ به اديب حبيـب ذلك لان ابا القاسم خاطبه بقوله عند ما بعث اليه بانتاجه وفى ذلك ما يدل على تواضعه ودماثة خلقه مع من هو اهل لذلك :

« وبعد فيصلك عشرة كراريس من تأليف الترجمان يطلـب منك الامان ، وكراريس الدولة العلوية بتمامها ، فى خيلها ورماتها ، مستترة بثوبي عيي وقصور ، على انها من ربات الخدور ، تطلـب منكم الامتحان والاختبار ، والنظر بعين الاعتبار ، فان وقفت على خطأ او خلل او غلط ، او شيء من محل سقط ، نبه عليـه وانـت مأجورا ، وسعيك مشكورا ، فالمؤمن مرآة اخيه ، وليس كل متطفل يعد نبيه ، على اني فيما امليته ليس بمتدع ، بل مقلد ومتبع . . الخ»

والرسالة مؤرخة بمحرم فاتح عام 1230 ه ، ونص الزيانـي على ان سليمان الحوات اول من رأى كتابه « الترجمان » فكان ما كتبه كما يقول ابو القاسم « وكتب عليه ما تراه لاني كنت اتهمـت نفسي ، وخفت ان اقع فيما قدمت عليه بين ابناء جنسي ، لعلمـي بما فى طوقي من القصور ، فى المنظوم والمنثور ، قصير الباع ، قليل البضاعة والمتاع ، فتانيت فى استخراجـه ، واستخـرت الله على ظهوره وابرازه ، ولما اتى جوابه ازال شكي ، وقال انه للمحب يسر وللعدو ينكى ، فاعتمدت قوله ، وقلدت عقله ونبله ، وهو الحامل لي

على اخراجه ، وتعليق سراجه ، فأبرزتهما من السواد فى البياض ، فتدفق خبرهما ككرم عكرمة الفياض الخ »

ولم يكن الحوات وحده الذي اعجب بانتاج الزياني وكتب حوله ما نجده مثبتا آخر الترجمانة ، بل كتب الى ابى القاسم بالثناء عليه ، جل رجال الفكر والقلم من معاصريه ، اولئك الذين ذكرهم حسب زمن اتصاله بما كتبوا ، امثال : حمدون بن الحاج ومحمد بن عامر المعداني ، ومحمد بن هنو اليازغي ، وابو بكر بن ادريس المنجرة، واحمد زروق بن محمد بن صابر الجعفري ، واحمد بن ابى نافع ، والعربي الدمناتي ، وعبد الواحد بن احمد بن التاودي بن سودة ، واحمد شقور العلمي ، واحمد بن التاودي بن سودة ، وادريس بن عبد الله الودغيري ، والعربي بن الهاشمي الزرهوني ، ومحمد بن احمد بناني، ومحمد بن منصور الشفشاوني ، وعبد القادر السلاوي، وسعيد السوسي .

فقد قرظه شيخ الادباء الامام السلفي ابو الفيض حمدون بن الحاج السلمي ، رغم ما حدث من الزياني فى جانب هذا الامام حين جوابه على رسالة عبد الله بن سعود لعلماء تونس التي بعث بها هؤلاء لعلماء المغرب ، فى شأن مذهب محمد بن عبد الوهاب الذي ظهر اذذاك فى الحجاز ؛ كما قرظه سليمان الحوات (1) ، صاحب العديد من المؤلفات ، واكنوس في الجيش وان كان قد انقلب عليه اخيرا ؟ وغير هؤلاء ممن أورد ذكرهم ، وما وان كان قد انقلب عليه اخيرا ؟ وغير هؤلاء ممن أورد ذكرهم ، وما كتبوه فى حقه فى آخر الترجمانة ، وقد اتفقوا جميعا على اكباره وتقديره ، والثناء على انتاجه اللاهم الا ما حصل من اكنوس بعد ثورة الزياني على الطريقة المعاصرة ؟ ؟ .

هذا هو أبو القاسم الزياني الذي عشت معه زمنا ، أدركت فيه انه كان من خيرة رجال المغرب صدقا ووفاء ، ولم يكن حالما ، ولا مبالغا ، ولا سليط اللسان والقلم ، كما عن لبعضهم ان يصفه ، أو يردد حينما يذكر اسمه . بل كان ابو القاسم الزياني عقلا ممتازا خلاقا ، سريع الوصول الى الحقائق الكبرى ، لا تفوته ولا يفوتها ، منتهزا لفرص المجد ، يعرف وعرها وسهلها ، ولكنه لا يعرف اغفالها، فاذا لم يحقق يومه أمله ، فان غده سيحقق هذا الامل ، مهما كان الثمن والعظيم من عمل ليوم لن يراه ، وما اكثر الايام التي عمل

---

1) له فى الناصريين والدلائيين « البدور الضاوية » وفى السوديين « الروضة المقصودة » وفى أولاد الدريج « المسك الاريج » وفي الدباغيين « قرة العيون » وفي القادريين « السر الظاهر » وفي الفاسيين حسب الظن « عناية أولي المجد، بذكر آل الفاسي ابن الجد » وهو كتاب نسب زعما للمولى سليمان بن محمد بن عبد الله رحمه الله. وأبسط ملاحظة لأبطال هذا الزعم هي أن الكتاب تناول الفروع بعد الأصول كما نجد في مختلف المؤلفات المذكورة لسليمان الحوات، وفي مكان آخر سنتعرض لدحض هذا الزعم بتفصيل يليق بمقام الملك العظيم المولى سليمان المفترى عليه رحمه الله. هذا وقد تبين بعد البحث أن الكتاب « عناية أولي المجد » كان من وضع آل الفاسي أنفسهم راجع كتابنا التاريخ المفترى عليه في الغرب في 1969.

لها ابو القاسم ، ولم يرها ! ففي كل رحلاته ، ما يشهد بذلك ، ويدعم الحجة ويوضح البرهان .

لقد عاش ابو القاسم بالقرب من ملكين عظيمين ، المولى محمد ابن عبد الله ، والمولى سليمان ، فراى منهما النعمة والتقدير ، الى درجة انه لم يكن يدخل على المولـى محمد بن عبد الله ، غير أبـي القاسم ، وطبيبه الخاص ، أحمد ادراق ، والحاج عبد الله ، قائـد الطباخين ، كما راى منهما احيانا غير ذلـك ، ثـم عاش بين قـوم شاركوه العمل بجانب الملكين العظيمين ، منهم من والاه ، ومنهم من عاداه ، منهم من ساعده ، ومنهم من عوقه ، منهم من اعجب به حبا أو تملقا ، ومنهم من حمل عليه ، ولكن ، بعد مماتـه ؛ وكل الشرور التي لحقته ، كانت من قوم عجزوا عن التحليـق فى جوه ، والسمو الى ما سما اليه ، ولولا ملك عظيم حليم رائع فى أسلوبه ومعاملاته ، عظيم فى بعد غاياته وهمته ، جليل فى حياته وبعد مماتـه ، لتعرض ابو القاسم لأكثـر مما لاقاه من الحسـاد والناقمين ، من البلديين بتسكين اللام ، واخلافهم بعد مماته رغم دفاعه عنهم بمنتهى القوة والسمو الاسلامـي لقـد كان ابو القاسـم ككل مسلـم سليـم الطوية ، يقول ما يعتقد ، دون أن يتلوى خلف غايات يحقرها ، ولا يعطيها أدنى اهتمام ، كان يمضي فى تنفيذ ما يصمـم على تنفيذه ، بكل قوة وعزم ، حتى ولو كان من قبيل ما يستحيل عادة

ذلك هو أبو القاسم الزياني أو ذو الوزارتين ، الذي نقدم اليوم لقراء العربية آخر انتاجه الفكري ، « الترجمانة الكبـرى » التـي أتمها سنة 1233 هـ ـ 1817 م. ورتبها ثم اخرجها للقـراء الذين تهافتوا على تعريظها فى عصره سنة 1234 هـ ـ 1818 م والتي اخترناها ، لانها جاءت بعـد جولاتـه فى مختلف العلوم والفنـون ، خصوصا فى ميدان التاريخ العام ، والتي اخذت من كل ما انتـج ، فخرجت عبارة عن موسوعة أضفنا اليها ما سمـح الوقت بـه من هوامش وفهارس ، ضاربين صفحا عن التعليق على هفوات الزياني التي أطول ما يقال فيها انه يكرر ويستعمل المبتذل من الالفاظ ، كما انه لا يكترث بالسقط فى الاوزان الى غير ذلك مما نعتبـره نحـن ، سليقته بعيدا عن التكلف المقيت ، كما اقر بذلك فيما كتب لحمدون وللحـوات .

واذا كان ثمة من تقصيره يظهر فى عملنا بعد عمل ابى القاسم ، فان مرده الى مجهود الفرد الذي مهما بذل لا يصل الكمال وذلك ما نتذرع به بالنسبة لعملنا ، قصد اخراج هذا الكتاب .

هذا ورجاؤنا من الله التوفيق ، فهو ولي التدبير ، انه نعـم المولى ونعم النصير .

عبد الكريم الفيلالي

المصادر المستعان بها

1 الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب : للزياني ، الخزانة العامة د 658 .

2 البستان الظريف فى دولة اولاد مولاي الشريف : للزياني ، د 1577.

3 ذيل فى التاريخ لابي العباس احمد بن علي السوسي البوسعدي ، الخزانة العامة . د 1594

4 رقم الحلل فى نظم الدول : تأليف لسان الدين ابن الخطيب ، الخزانة العامة الرباط . د 1299

5 الدر الحلوك بدرة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك : لابن القاضي 960 ـ 1025 الخزانة العامة . د 763

6 الجيش العرمرم الخماسي : تأليف ابن عبد الله اكنوس ، 1211–1294 الخزانة العامة . د 965

7 فى محاسن المولى سليمان : تأليف سليمان الحوات 1160 ـ 1231 الخزانة العامة . د 753

8 تاريخ الضعيف : تأليف محمد بن المرابط الرباطي 1165 ـ 1233 هـ م الخزانة العامة . د 660 ، تعرض فيه لتاريخ الدولة العلوية من نشأتها الى عام 1233

9 الدر المنضد الفاخر : للكردودي ، الخزانة العامة . د 1584

10 الحلل البهية فى ملوك الدولة العلوية : تأليف محمد المشرفي لفريسي خ ع د 1463

11 الحلل البهجية فى فتح لبريجة : تأليف محمد بن ابي القاسم المراكشي خ ع د . 1328

12 تاج الملوك « درة الاندار » : تأليف محمد بن الحاج الكبير خ ع د . 1370

13 الدرر والعقيان لمحمد التهامي بن رحمون تلميذ الزياني اختصر فيه « جمهرة التيجان » خ ع د 727

14 كناش فى امور البحر مصور خ ع د 1409

15 ذكر قضية المهاجرين المسمين بالبلديين : للزياني كما ذكره فى الترجمانة خ ع د . 1115

16 الذيل والتكملة للكتابي الموصول والصلة : تأليف قاضي الجماعة بمراكش ابى عبد الله بن سعيد مصور ج 1 ، خ ع د . 1586

17 ذيل فى التاريخ : تأليف احمد بن علي البوسعيدي ، خ ع د . 1594

18 نتيجة الاجتهاد فى المهادنة والجهاد لاحمد المهدي الغزال ، 1191 خ ع د .981 .

19 واسطة السلوك فى سياسة الملوك تأليف ابى محمد موسـى ابن زيان احد ملوك بني عبد الود بتلمسان خ ع د 1298
20 المؤنس فى اخبار افريقيا وتونس لابن ابي دينار الرعيني القيرواني التونسي ، خ ع د 1144 .
21 نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي محمد الصغير اليفراني
22 روضة النسرين : تأليف الوليد اسماعيل بن الامير يوسف بن السلطان القائم بأمر الله من بني الاحمر ، خ ع د 1604
23 المعرب المبين عما تضمنه الانيس المطرب وروضة النسرين تأليف محمد بن قاسم بن زكور المتوفى 1120 ، خ ع د 901
24 الروضة السليمانية ، خ ع د (1275)
25 كتاب التاج فى اخلاق الملوك للحافظ ، تحقيق الاستاذ احمد زكي باشا 1914
26 قطف الزهور في تاريخ الدهور تاليف يوحنا ابكاريوس ط بيروت 1873 م
27 فهرس المخطوطات العربية بالرباط ج 1 تأليف علوش وعبد الله الرجراجي 1921 ـ 1953 ـ طبعة المكتبة الشرقية ، باريس 1954
فهرس المخطوطات العربية بالرباط ج 2 تاليف علوس وعبد الله الرجراجي 1921 ـ 1953 ط افريقية الشمالية ، الرباط 1958
28 اتحاف اعلام الناس : لمؤرخ الدوة الدولة العلوية المولى عبد الرحمن بن زيدان ج 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 ـ 5 المطبعة اوطنية ، الرباط 1929
29 رسائل اخوان الصفا تصحيح خير الدين الزركلي : ج 1 ـ 2 المطبعة العربية بمصر 1928
30 المعتزلة فى تاريخ التحرير زهدي جار الله ط 1947 م
31 مرآة الايام فى ملخص التاريخ العام : خليل مطران ، مطبعة الجوائب المصرية 1905 م
32 محاضرات ادبيات الجغرافية والتاريخ واللغة عند العرب جويدي 1908 م
33 تاريخ الخلفاء ترجمة نلخة بك
34 الموسوعة العربية : ط القاهرة 1965 م
35 تفسير الالفاظ الدخيلة : تاليف القس طوبيا القيسي ط مكتبة العرب، القاهرة 1932 م
36 الخرائط التاريخية عمل احمد صالح مطبعة المعارف 1914 م
37 ادباء بغداديون فى الاندلس : الدكتور جمال الدين ، مكتبة النهضة بغداد ـ 1962 .

مقدمة المؤلف

قال الامام ابن حجر (1) فى كتاب المناقب من فتح الباري ، بعد أن جلب كلام ابن حزم (2) فى أفضلية علم التاريخ والنسب ، حيث قسمه الى واجب ومسنون ومندوب وفاضل ، وأصله من رسالة ابن ابي زيد رحمهما الله .

وقال صاحب الارب ، فى معرفة قبائل العرب ، لا خفاء أن معرفة الانساب والتاريخ من الامور المطلوبة ، والدخائر المجلوبة ، لما يترتب عليهما من الاحكام الشرعية ، والمعالم الدينية ، ولان الخلافة العظمى ، لا تكون الا فى قريش كما ورد ذلك فى الاثر ، وذكره ائمة التفسير والمحدثين ، واهل النسب والمؤرخين ، وقالوا بوجوب معرفة علم النسب بهذا ومثله ، وجعل الله جزءا واجبا تعلمه ، ولا يسع احدا جهله وجزءا كبيرا منه ، تعلمه فضل ، فيكون من جهله ناقص الفضل ، وكل علم صفته هذه فهو علم فاضل لا ينكره الا جاهل أو معاند .

فأما الواجب من علم النسب ، ان يعلم المرء أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، الذي بعثه الله تعالى الى الانس والجن بدين الاسلام ، هو محمد بن

---

1) يقصد ابن حجر العسقلاني احمد بن علي سنة – 1373 – 1449 م • هو محدث مشهور وفقيه شافعي ثم مؤرخ • من كتبه : أ – فتح الباري على شرح البخاري • ب – الاصابة فى تمييز الصحابة • ج – القول المسدد فى الذب عن مسند احمد •

2) هو ابو محمد علي بن احمد بن حزم القرطبي • (994 – 1064 م) عالم عربي اندلسي مؤرخ وفقيه ومحدث واديب ثم مؤلف فى علم الكلام والعقائد والفلسفة •
كان شافعي المذهب ثم أصبح ظاهريا فاشتهر بمذهبه الظاهري فى الفقه ولقب بابن حزم الظاهري له مصنفات فى مختلف العلوم منها
أ – طوق الحمامة • ب – فضل الاندلس • ج – ابطال القياس والراي والاستحسان والتقليد والتعليل د – الاحكام لاصول الاحكام • ه – رسالة فى اصول الفقه • و – الفصل فى الملل والاهواء والنحل • ز – التقريب فى حدود المنطق • ح – الناسخ والمنسوخ • ط – الاخلاق والسير فى مداواة النفوس •
مؤدى مذهبه الفقهي الظاهري : ان كل قياس لايستند الى القرآن والحديث باطل ، وهو ياخذ بظاهر المعنى لالفاظ القرآن والحديث ، له شعر كثير ملاه بمعارفه ولم يعن بتنقيح لفظه وسبكه ففقد جمال التعبير •

عبد الله القرشي ، الهاشمي ، الذي كان بمكة وهاجر منها الى المدينة ، فمن شك فى محمد هل هو قرشي أو يماني ، أو تميمي ، أو عجمي فهو كافر ، غير عارف بدينه الا أن يعذر بالجهل ، ويلزمه أن يتعلم ذلك ، ويلزم من يحضه عليه أيضا

ومن الفرض فى علم النسب ، ان يعلم المرء أن الخلافة لا تجوز ولا تصح الا فى ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، ولو وسع جهل هذا لامكن ادعاء الخلافة لمن لا تصح ولا تحل له ، وهذا لا يصح أصلا ، ويجب على المرء أن يعرف اباه وأمه وكل من له به رحم ، ليعرف ما يجوز له نكاحه وما يحرم عليه ، ومن يتصل به بميراث أو تجب عليه نفقته أو صلته ، فمن جهل ذلك فقد أضاع فرضا واجبا عليـــــه .

وقد قال عليه السلام « تعلموا من النسب ما تصلون به أرحامكم الخ » واما ما تكون معرفته فضلا وفرض كفاية فهو معرفة أمهات المؤمنين ، المفترض حقهن على جميع المسلمين ، ونكاحهن على جميع المسلمين حرام ، ومعرفـة اسماء أكابر الصحابة ، من المهاجرين والانصار ، الذين حبهم فرض ، وقـد صح عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار ، وصح انه عيله السلام امر كل من ولى من أمر المسلمين شيئا ان يستوصي خيرا بالانصار، ويحسن الى محسنهم،ويتجاوز عن مسيئهم،فان لم نعرف أنساب الانصار لم نعرف الى من نحسن وعلى من نتجاوز، وهذا حرام، ومعرفة من يجب له حق فى الخمس من ذوي القربى ، ومعرفة من تحرم عليه الصدقة من ءال رسول الله ، ممن لا حق له فى الخمس ، ولا تحرم عليـــه الصدقة ، فظهر بما ذكرناه بطلان قول من قال : ان علم النسب علم لا ينفـــع وجهل لا يضر ، بل هو علم ينفع وجهله يضر فى ابواب كثيرة لوروده فى كتاب الله وسنة رسوله .

وقد أمر عليه السلام حسان بن ثابت أن يأخذ ما يحتاج اليه من علم النسب ، وكان أبو بكر الصديق وابو الجهم بن حذيفة العدوي ، وجبير بن مطعم بن عدي ، بن نوفل ، بن عبد مناف ، من أعلم الناس بالانساب ، وكان عمر وعلي به عالمين ، وانما ذكرت ابا بكر وابا الجهم وجبير قبلهم لشـــدة رسوخهم فى علم النسب ، وما فرض عمر وعثمان وعلي الديوان اذ فرض ، الا على القبائل ، ولولا علمهم بالنسب ما أمكنهم ذلك ، وكان من بعدهم طبقـة اخرى كسعيد بن المسيب ، وابنه محمد بن سعيد ، والزهري ، وبعدهـم آخرون كالشافعي وأبي عبيد ، ومصعب بن الزبير ، والزبير بن بكار ، وابن هشام ، ومحمد بن واقد ، وغيرهم

وكان بالاندلس وبقرطبة ، ابن عبد البر ، وابن العربي ، وابن حزم ، وابن الرقيق ، وابن بشكوال ، وابن الخطيب ، وابن خلدون ، وأمثالهم بالعدوة وافريقية ، وبه كانوا يتفاخرون ويتفاضلون ، ثم أحيا مواته بغربنا أميـــر المؤمنين **سيدي محمد بن عبد الله** بجلب كتبه والاعتناء به واقتفى آثاره ولده امير المؤمنين **مولانا سليمان أبقاه الله** يجدد رسومه ويجلب من الافاق مجهوله ومعلومه ، فاغترفنا من بحره ، ورويناً من عذب نهره ، وجمعنا ما شاء الله من وفره ، وواسينا من فضله وخيره ، جعل الله ذلك في ميزان حسناته ، وجازاه بالنعيم في روضات جناته .



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذي اكرمنا بالاسلام وجعلنا من امة مولانا محمد عليه افضل الصلاة وازكى السلام ، وشرف مغربنا بولاية هذا الامام الذي هو اعدل ملوك الاسلام ، وأعلم ذوي المحابر والاقلام ، واعلم من قال ربي الله واستقام ، وكيف لا وهو من السلالة العلوية ، والبضعة النبوية الكرام ، امراء المؤمنين العظام ، المعتمد على الرحيم الرحمان ، **امير المؤمنين مولانا سليمان** (1) ابن السلطان المقدس الاسعد ، أمير المؤمنين مولانا محمد ، ابن السلطان المتوكل على الله ، أمير المؤمنين مولانا عبد الله ، ابن السلطان الجليل الماجد الاصيل ابو النصر مولانا اسماعيل ، ابن الزاهد فى الملك ، وشهرته تغني عن التعريف، به ، ابو الاملاك مولانا الشريف ، ابن القطب دفين مراكش مولانا على الشريف، الذي هو احد العشرة أهل السلسلة الابريز ، المشهورة عند أهل العرفان والتمييز ، الى الجد القادم من الحجاز مولانا الحسن الشريف ، عليهم من الله أزكى الرحمات والتشريف .

وبعد فيقول العبد الفقير الجاني،ابو القاسم ابن احمد الزياني،اني لما رمت بي الاقدار ، وجلت فى الاقطار ، وشاهدت كثيرا من الامصار ، فى البراري والبحار ، ووقفت على كثير من الاخبار ، واجتمعت بجملة وافرة من الامراء الابرار ، والعلماء النجباء الاخيار ، واستفدت منهم ما شاء الله من الاثار ، وقيدت من أحوال هذا العالم ما فى دواوين الاخبار ، وعدت ممتلىء الحواصل، من خبر الاواخر والاوائل ، ولما القيت عصى التسيار ، واستقرت بنا الدار ، فى ظل هذا الامام العظيم المقدار (2) جمعت ما قيدته فى رحلاتي الثلاث ، وما شاهدته من الامصار والبحار ، وما لقيت من السادات ، جعلته رحلة واحدة

---

1) يقصد بابي الربيع المولى سليمان بن محمد بن عبد الله (1792 ـ 1822)

2) كذا فى الاصل وفي نسخة الخزانة العامة بالرباط 659 حرف د • ص 2 وهي قريبة العهد يرجع تاريخ نسخها الى 60 سنة مضت كما انها ناقصة من التي بأيدينا.

على قاعدة النحاة فى جواز الجمع بين الاخوات وسميتها **الترجمانة الكبرى** والتي جمعت اخبار العالم برا وبحرا

منهاجه ومصادره :

ولم تقتصر على ما فى الرشاطي (*) من الامصار ، ولا على ما جمعه ابن عبد المنعم فى الروض المعطار ، وزادت على ما جلبه ابن الجوزي من اخبار البحار والقفار ، وعلى ما فى خريدة العجائب من الجزر والعيون والابار والانهار ، وعلى ما فى عجائب المقدور من نفائس الحكم والاسرار ، وابرزت ما اغفلوه ولم يكن به شعور وانذار ، وحليتها بحوادث ونوادر وحكايات جلبها المؤرخون الكبار ، كالامام ابن قتيبة (1) ، والمسعودي (2) ، والطبري ، وابن عساكر (3) ، والذهبي (4) ، والبكري (5) ، والبلاذري (6) ، وابن كثير ،

(*) الرشاطي : هو عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الاندلسي عالم بالانساب والحديث من اهل اريولة سكن المرية ولد وتوفى 1074 ـ 1147 م من كتبه « اقتباس الانوار والتماس الازهار فى انساب الصحابة ورواة الاثار »

1) هو عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة (828 ـ 889) مؤلف ولد بالكوفة او بغداد وبها مات اشتغل قاضيا مدة باللمنور ومدرسا ببغداد ، الم بمعارف عصره والف فيها المصنفات الجيدة فشبه بالجاحظ وكان فى اللغة والنحو ، بغدادي المذهب يخلط بين اقوال البصريين والكوفيين واهم كتبه اللغوية :
ـ ادب الكاتب ب ـ معاني الشعر كما شارك فى الجدل الديني القائم واهم كتبه الدينية : ج ـ غريب القرآن • د ـ غريب الحديث • هـ ـ شكل القرآن • و ـ المشتبه من الحديث والقرآن • واهم كتبه التاريخية : ز ـ عيون الاخبار • ح ـ المعارف • ط ـ الشعر والشعراء •

2) المسعودي ابو الحسن علي بن الحسين توفى (957 م بمصر) جغرافي ومؤرخ له عشرات الكتب منها : مروج الذهب ومعادن الجوهر •

3) ابن عساكر هو علي بن الحسن 1105 ـ 1176 مؤرخ ورحالة عربي ولد بدمشق وعلم فى كثير من بلاد المشرق اهم ما الفه تاريخ دمشق فى 8 مجلدات •

4) هو محمد بن احمد التركماني ولد وتوفى بدمشق 1274 ـ 1348 جال فى كثير من الاقطار والف وحقق الى ان كف بصره له مؤلفات كثيرة منها : ـ دول الاسلام ـ و ـ تاريخ الاسلام الكبير ـ و ـ سير النبلاء ـ و ـ الكاشف فى تراجم رجال الحديث ـ •

5) هو محمد بن عبد الرحمن الشافعي الاشعري المعروف بالبكري الصديق ولد وتوفى بالقاهرة ما بين 1492 ـ 1545 شاعر صوفي كان يقيم بمصر سنة وبمكة اخرى • له من الكتب
ا ـ ترجمان الاسرار وتجليات الاسحار ب ـ تاريخ خيالي منظوم من فتح مكة اسماه ـ الدرة المكللة فى فتح مكة المبجلة • ج وفى التصوف والتفسير : كفاية المحسن فى وصف المؤمن ـ د ـ فضائل رمضان ـ هـ ـ تسهيل السبيل فى فهم معاني التنزيل ـ ثم ابو عبيد البكري التلطيسي الاندلسي (1040 ـ 1094 م) كان والده عبدالعزيز اميرا فاستولى المعتضد على امارته له مؤلفات كثيرة منها : المالك و لممالك

6) هو احمد بن يحيى الفارسي توفى حوالي 892 م من اهم مصنفاته كتاب «فتوح البلدان»

وابن خلدون (1) ، وابن أبي زرع (2) ؛ وابن زيدون (3) ، وابن حزم ، وابن مرزوق (4) ، وابن الخطيب (5)

---

1) هو ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولد بتونس وتعلم بها وكان ما بين « 1332 – 1406 » مؤرخا وفيلسوفا اجتماعيا بل قيل انه واضع علم الاجتماع غير ان هذا الحكم لايصبح استقرائيا الا اذا تم اكتشاف كل التراث العربي بالمغرب والاندلس خصوصا اذا علمنا التقلبات التي مر بها ابن خلدون والسياسة التي كان ينهجها ، ومهما يكن فان علم الاجتماع تنسب اليه بدايته ، اذ هو أول من فكر فيما لم يفكر فيه كل الاقدمين بالنسبة لفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع •

غير ان منهجه التاريخي الذي لم يستطع تطبيقه على انتاجه « العبر وديوان المبتدا والخبر » فى التاريخ يجر عليه بعض الشكوك اما مقدمته فتتميز بالجديد الذي لم يخطر على بال ارسطو كما يقوله ، وذلك فى العمران والنظريات السياسية والاجتماع الذي يقول انه فرع فلسفي جديد • مما دعاه للنقد على الفلاسفة المتقدمين اقتصارهم على دراسة العالم العلوي والذات الالهية ، وقولهم بآراء لايمكن للفلاسفة أن يبرهنوا عليها • ووقف هو عند العالم الذي نعيش فيه ، لان معرفتنا به أوثق من معرفتنا بعالم ال عقل الذي يعنى به الفلاسفة ، لاننا نستطيع بملاحظة ما فى انفسنا وما فى عالمنا ان نجد وقائع يمكن البرهنة عليها والتماس عللها

وللمنهج التاريخي عنده قواعد للبحث فى تلك الوقائع واهمها ان الوقائع يرتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول وبهذا جعل التاريخ فرعا من الفلسفة وجعل له موضوعا هو الحياة الاجتماعية وما يتصل بها من حضارة مادية وعقلية والتي تتطور من بداوة الى حضارة • واسرة ودولة وقبيلة ••• الخ

2) هو ابو الحسن الفاسي المعروف بابن ابى زرع له كتابان فى التاريخ : أ – زهرة البستان فى اخبار الزمان • ب – الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس •

3) هو احمد بن عبد الله الشاعر الكاتب الوزير ولد بقرطبة « 1003 – 1071 » وكان والده قاضيا بعدما درس الادب واللغة والاخبار اتصل بابن جهور امير قرطبة فاتخذه وزيرا وبمكيدة من ابن عبدوس سجن ففر واختفى ثم اتصل بابنه ابى الوليد ، ولكن الدسائس تجددت فهاجر الى اشبيلية ، حيث كتب ووزر للمعتضد والمعتمد الذي امنه على فتح قرطبة ، مات باشبيلية •
احب ولادة بنت المستكفي التي كانت تقبل عليه احيانا وتهجره الى غريمه ابن عبدوس احيانا اخرى ، وذلك ما صوره فى شعره المتصف بالعذوبة وتوفر النغم الموسيقي والسهولة شهر غزله واستعطافه خاصة كما شهر من نثره الكثير رسالتاه « الجدية » التي استعطف بها ابن جهور وهو فى سجنه ، والهزلية التى كتبها على لسان ولادة يسخر فيها من ابن عبدوس ويهجوه له ديوان مطبوع •

4) محمد ابن مرزوق صاحب « المسند الصحيح الحسن فى احاديث السلطان ابى الحسن » ولد سنة 1380 م وجدت نسخة منه بتامكروت وتوجد نسخة بالاسكوريال

5) هو لسان الدين ابن الخطيب السلماني الملقب بذي الوزارتين واسرته فى قرطبة تعرف ببني الوزير ولد وتوفى 1331 – 1374 كانت آخر ايامه نحسا نتيجة منهاجه الخلدوني في السياسة ، كتب فى الادب والتاريخ والجغرافيا ، من مؤلفاته :

أ – اللمحة البدرية فى الدولة النصرية • ب – الاحاطة فى اخبار غرناطة • ج رقم الحلل فى نظم الدول • د – معيار الاختبار فى ذكر المشاهد والديار هـ – اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام • قليل الامانة فى بعض ما كتب •

قيدت من غرر كلامهم أوفر نصيب ، وضمنتها ما فى رحلة البكري من النكت والاشعار ، وما فى رحلة البلوي (1) ، من نفائس الاخبار ، وما فى رحلة السرخسي (2) للاندلس والمغرب ، من كل ما يعجب ويطرب ، وما فى رحلتي العياشي ، ومحاضرة اليوسي ، وأدبيات الولالي ، وابن سعيد السوسي ، وما يناسب ذلك من البراهين القاطعة ، من التفسير والفقه والحديث ، ومن شواهد العرب قديمهم والحديث، فى الرد على المجوس واليهود وأهل التثليث، وأهل البدعة والاعتقاد الخبيث ، وكلت لهم بالمكيال الاوفى ، حسبما سطره من تصدى لهم من الايمة ووفى ، محبة فى جناب المصطفى ، **وجعلتها قربة لهذا الجانب الاعظم ، والسلطان العادل الافخم ، الذي هو فى انواع العلوم المقدم ، وعند ملوك الاسلام مسموع الكلمة محترم ، ومن الله استمد ، وعلى معونته اعتمد** ، فأقـــــول

دوافع تأليفه :

اني استغفر الله من الذنب الذي يكون سببا فى الخروج عن المسالك ، الى الوقوع فى المهالك ، وذلك سبيل من يركب بنفسه الاخطار ، ويرغب فى زهرة هذه الدار ، خصوصا من يسعى لخدمة الملوك ، التي تصير الحـر مملوكا ، والغني صعلوكا ، سيما فى هذا الوقت التي صفرت فيه الهمم ، وكسدت سوق صاحب السيف والقلم ، ورسب تحت الماء الفاضل والعادل العاقل ، وطفا فوقه السفيه والعاطل والخامل والجاهل ، وساءت أحوال اهله وشالت نعامة فحله ، وقل خيره وكثر شره ، وغلب بره فأجره ، ولولا ان الله تدارك أهل الاسلام بوجود هذا الامام العالم العادل الكامل (3) ، لاكل

---

1) مـؤرخ نشأ بمصر حوالي 924 الف كتاب « سيرة ابن طولون » •

2) هو ابن الطيب السرخسى احمد بن محمد ولد بسرخس بخراسان وتوفـى ببغــداد حوالى 899 تتلمذ على الكندي الفيلسوف والف كتبا كثيرة فى الادب والثقافة وعلــوم الفلسفة ، والمنطـق ، والرياضة ، والفلك ، والسياسة والموسيقى والجغرافيا والملـل والمذاهب مثل ـ القيـان ـ و ـ اللهو والملاهي ـ و ـ الجلساء والمجالسة ـ و ـ الشطرنـــج ••• الـخ •
كان معلما للخليفة المعتضد ثم نديما ، ولاه الحسبة والمـواريث وسوق الرقيــق 895 وحبسه 896 لافشائـه اسـراره

3) هو ابو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله ابن اسماعيل ، كـان أحب ابناء سيـدي محمد بن عبد الله الى نفسه تولى الملك بعد اليزيد الذي دام ملكه سنتين حيث بويـــع المولى سليمان سنة 1206هـ/1971 ـ توفى في 239.هـ/1823 م تاركا وصيته لابن أخيه التقي المولى عبد الرحمن بن هشام. كانت كل أيامه عدلا وأمنا ورخاء. له مؤلفات في الفقه منها رسالة في الرد على من أنكر التجمير في زمن الصوم، الخزانة العامة بالرباط رقم 92 حرف ح. لمعرفة جوانبه العلمية أكثر يراجع انتاج حمدون بن الحاج السلمى ديوانه وآثاره في الأدب والفقه والأصول والمنطق.

القوي الضعيف ودعا الدين داعي التبديل والتحريف ، فالحذر الحذر ، من خلطة الناس ، واقطع من نفعهم اليأس ، فلقد قال الحريري (1) :

« اختبرت أبناء هذا الزمن فوجدت أكثرهم سقطا »

وقال ابو العلاء المعري (2) « لو انصف الحريري لقال كلهم سقط » فان عرجت على هذا النمط ربما تسلم من الفلط ، والا خفضت مع من خفض، فالعاقل يسمع ولا يجيب، ويرى ولا يعيب، ويحسن المعيب للعدو والحبيب.

* * *

مولده وتعليمه واساتذته :

ولما بلغت مبلغ الرجال ، وحفظت كلام الله عز وجل على وجه الكمال ، وطمحت نفسي لقراءة العلم الشريف ، ونسخ ما احتاج اليه من كل شرح لطيف ، فأول من قرات عليه الجرومية والسنوسية وابن عاشر :

شيخنا الفقيه سيدي أحمد ابن الطاهر الشرقي

ثم قرات الرسالة على **شيخنا سيدي الطيب القادري** ، بمسجد الاندلس

ثم حضرت تشقيق الالفية بمدرسة الصهريج ، عند سيدي عبد القادر بوخريص ، مع ولديه العربي وأحمد .

ثم الرسالة بمجلس واحد .

ثم صرت‌احضر درسه مع الطلبة بالمدرسة فى التفسير وخليل والالفية.

---

1) هو ابو القاسم بن علي ولد بالمشان من ضواحى البصرة 1054 توفى بالبصرة 1122 اشتهر بمقاماته (50) التي قلد فيها بديع الزمان

2) هو ابو العلاء احمد (973 ـ 1057) ولد بمعرة النعمان قرب حلب وفقد بصره نتيجة الجدري الذي اصابه فى طفولته • درس على والده ثم بالشام وبغداد ولكن اهانة الشريف المرتضى اعادته الى مسقط راسه حيث اعتزل الناس ، فسمى نفسه رهين المحبسين عزلته وعماه • بدأ حياته الادبية بمحاكاة المتنبي الذي كان معجبا به كما يظهر ذلك فى ديوانه (سقط الزند) امتنع بعد عزلته من أكل اللحوم • خالف اهل زمانه فى كثير من افكارهم ومعتقداتهم الدينية والاجتماعية ونظم ذلك شعرا فى (اللزوميات) أو (لزوم ما لا يلزم) التي التزم فيها ان يقيد نفسه بقواعد فى الصياغة والقوافى غير ضرورية . الف عدة كتب اشهرها « رسالة الغفران » وهي اقرب ان تكون حوادثها قصة يوم القيامة والجنة والنار ، وبين النقاد خلاف حول تأثر الشاعر الايطالي «دانتى» بها فى الكوميديا المقدسة • له ايضا (الفصول والغايات) ثم رسائل فى الرد على داعي الدعاة الفاطمى حيث يناقشه فى فلسفة الامتناع من اللحم • كتب عنه طه حسين 3 كتب•

ثم لازمت درس أبي حفص سيدي عمر الفاسي لخليل بالقرويين ، وكان لا يحضر مجلسه الا المشاهير من طلبة فاس ، كالسيد عبد السلام حسين ، والشيخ العربي القسمطيني ، والسيد محمد سحنون ، وسيدي الوليد العراقي ، وسيدي يحيى الشفشاوني ، والسيد محمد الهواري ، والسيد محمد ابن عبد السلام الفاسي ، والسيد عبد القادر ابن شقرون ، والسيد محمد سكيرج ، وأمثالهم من أولاد فاس .

وكانت له عادة لا تتحرف فى زمن الربيع ، يتوجه مع طلبته المذكورين للنزهة كل خميس ، فكنت أتوجه مع رفيقي محمد سحنون ، وكان مجاورا لنا ، فذكروا للفقيه عني اشياء كنت اتهم بها ، فقال لي يوما بالنزهة يا فلان ؟

أرنا شيئا مما تعلمه ولا نعلمه نحن ، وحتم علي فى ذلك فخجلت منه وقلت له لم يتهيأ لي عمل الآن ، فقال ولو ما خف ، فقلت لم يحضر لي شيء الآن ، فكان ذلك سبب انقطاعي عنه .

ثم قرات بعده مختصر السنوسي ، ثم كنت احضر مجلس **شيخنا سيدي محمد بن ابراهيم لخليل** ، بمدرسة العطارين

ثم مجلس الالفية بالقرويين .

ثم حضرت مجلس **الشيخ التاودي** فى البخاري والشفاء (1)

ثم لازمت درس الفقه سيدي محمد بناني ، الى ان اكملت نسخ حاشيته على الزرقاني ، فكنت أطالعه واحضر مجلس الشيخ سيدي محمد ابن ابراهيم فى درس خليل ، فكنت اشمئز (2) من ابحاثه الى ان كان عام تسع وستين ومائة وألف ، وعزم والدي رحمه الله على الرحلة الحجاز بكليته ، بقصد الحج والمجاورة بالحرم الشريف ، حسبما ياتي سياقه ، فباع دارين كانتا له بفاس ، وكتب لوالده جدنا سيدي علي ابن ابراهيم رحمه الله، فوجدت كناشا بخط يده ، فيه رفع نسبه الى حام ابن نوح عليه السلام ، وكان فقيها استاذا عشريا نسابة أخباريا ، لم يكن فى وقته من يلحقه فى النسب ، وهو ممن عدهم

---

1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى هو للشاعر المؤرخ الفقيه القاضي عياض السبتي ولد وتوفى 1083 ـ 1149 درس على ابن رشد وغيره من علماء عصره ، تولى التعليم والقضاء فى سبتة وقرطبة ، له ايضا مشارق الانوار فى اقتفاء صحيح الآثار

2) مما يدل على ان المؤلف تأثر بمذهب الشيخ الامام سيدي محمد بن عبد الله الذي اشار على القضاة فى عهده بعدم اتخاذ الشروح التي وضعت لخليل وسيلة لاصدار احكامهم وانما يعتمدون على الراجع بالكتاب والسنة • راجع الاتحاف ج 3 •

الشيخ الحسن اليوسي من أشياخه ، قال قرات من الروايات السبع على شيخنا سيدي علي ابن ابراهيم الزياني بمدشر « أراق » من بلاد ادخسان ، وعنه اخذت عمود اجدادي الى يَدْرَاسن ابي القبيل ، لانه كان نسابة الوقت اه كلام اليوسي

والسلطان اسماعيل انقله من أراق لمكناسة ، وكان امامه يصلي به ، وتوجه ووالدي رحمه الله الذي كان يقرأ عليه ، الى أن توفى بمكناسة ، **وتوفى السلطان اسماعيل عام تسعة وثلاثين ومائة والف .**

مولد المؤلف :

فانتقل والدي لفاس واستوطنها وولدت له بها سنة سبع واربعين ومائة والف

ولما طالعت الكناش الذي فيه رفع نسبه الى ابي قبيلة زيان ، ومنه للجد مالو الصنهاجي ومن مالو رفعه الى اليسع ، الذي أسلم على ما فى تاريخ سليمان بن سابق المطماطي نسابة البربر ، ومنه الى صنهاج أبي صنهاجة فى الجاهلية ، ومنه الى البربري مازيغ ابن نبذا ، بن كنعان ، ابن نوح عليه السلام

وهذا سبب اعتنائي بالبحث عن كتب التاريخ والانساب ، لما وجدت فيه من تقييداته رحمه الله ، وكانت الرحلة مع والدي رحمه الله ووالدتي ، سنة تسع وستين ومائة والف ، فى ايام **السلطان عبد الله** رحمه الله ، والرحلة الثانية كانت عام مائتين والف للاصطنبول فى ايام سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله ، وهو الذي وجهني لها ، والرحلة الثالثة كانت سنة ست ومائتين وألف ، فى أيام السلطان مولانا سليمان رضي الله عنه .

الرحلة الاولى :

وسياق الاولى اني توجهت مع والدي وسني اذ ذاك ثلاث وعشرون سنة بقصد أداء الفرض والمجاورة بحرم الرسول صلى الله عليه وسلم ، لانه سئم المغرب والمقام به ، لتبدل أحواله عما كان يعهد ، ففر بدينه وهيأ اسبابا وأنا مساعده على شأنه ، ومتصرفه عن مراده واذنه ، وكان رحمه الله يحبني اذ لم يبق له من أولاده غيري ، وكنت اسعى فى خاطره ورضاه بكل ما يرضاه ، واسعى فى خاطر والدتي على طيشي وحدتي ، ولما بلغنا مصر وتعين سفر الركب الى الحجاز ، اشار على والدي بعض الاصحاب أن يشتري لي بعض الاسباب ، ويسافر فى بحر القلزم مع الركاب ، لقلة المشقة وقرب المسافة ، فباع له ما باع من تلك الاسباب ، واشترى له ما ينفق بتلك الرحاب ،

واكترى له الابل لحمل تلك البضاعة ، وسافرنا مع الجماعة ولما بلغنا مدينة السويس مأوى المراكب ، اكترى لنا ذاك الصاحب ، ولما قابلنا مرسى الينبع (1) تكسر المركب وتلفت البضاعة والاسباب ، وعتق الله الرقاب

وهذه النكبة الاولى احدى النكب السبع ، التي تلف فيها الوسع ، وكان عند والدتي ثلاثمائة دينار مخيطة في حزامها ، أعدتها لحادث الدهر ان الم بها، لا علم لنا بصريحها ولا ابهامها ، فلما انقطعنا بالينبع اخرجتها لوالدي وقالت هذه كنت ادخرتها من خالص رزقي لولدي ، فمنها اكترينا لجدة ومكة ، وحصلنا الحج واتممنا العمرة ، ولما فرغنا من مناسك الحج ونوافله، وقضينا مهمات السفر وشواغله ، سافرنا مع الركب المصري للمدينة ، وزرنا تربة نبي الله ورسوله وامينه ، وكل القاصدين عفر بتربته جبينه ، ولما رأى والدي ما نواه من المجاورة بذلك المزار يحتاج الى ذات اليد واليسار ، تعين الرجوع للمغرب ، اذ لا معجم لحالنا ولا معرب ، فاشترينا الرواحل والمزاد ، وتهيأنا للرجوع للبلاد ، وسافرنا مع الركب المصري في الحجاز ، وقدمنا الحقيقة على المجاز

في مصر مع والده :

ولما بلغنا مصر نزلنا على الصاحب الذي كان في ابتداء السفر لنا مصاحبا وكان والدي ترك عنده اسبابا لم تبع قبل سفرنا أوصاه ببيعها ، ويوجه ثمنها للمدينة الينا ، فاجتمع في ثمنها فوق الستمائة ريال ، هي التي اصلحنا بها الاحوال، وفي اقامتنا بمصر كنت اجالس بالبيت ابن ذلك الصاحب واشاهد منه عجائب ، كان له يد في علم الرمل وعلم السيميا (2) ومن رأى تصوراته يحسب انه من الاوليا ، فشغفت بفنه واتخذته شيخا ، ولازمته حتى ملكت حبه بالسخا ، فجاد هو أيضا بما عنده في الجريب ، وافادني في أمد قريب ، وأوقفني على ما في علمه من خواص المعادن ، وما ينشأ عنها من الاسرار والعجائب التي يبلغ المرء بها اعلى المراتب ، وأطلعني على ما يلحق بها

---

1) مدينة بالحجاز ثم ميناء للمدينة المذكورة تلي جدة في اهميتها كميناء للتجارة يربطها بالمدينة طريق معبد 210 ك م الى الشرق منها وادي ينبع وبه عدة قرى تعرف بينبع النخل تمييزا لها عن المدينة الساحلية التي تعرف بينبع البحر الى الشمال وادي العيص ووادي الجزل

2) او علم المعادن وهو فرع من الكيميا يعنى باستخلاص المعادن من خاماتها ويعرف بـ « اسرار الحروف » راجع ملخص ما ورد بمقدمة ابن خلدون في الجزء 3 من دائرة المعارف في القرن العشرين ص 412 .

من الحيل التي يستعملها المشعوذون ، ومن بحرها يستمدون ، فعدت بذلك مسرورا ، وقلت « كان » (1) هذا حجا مبرورا

وفاة السلطان مولانا عبد الله سنة 1171

فبينما نحن على جناح السفر من مصر ، اذ بلغ خبر وفاة السلطان عبد الله رحمه الله (2) ، فى شهر ربيع الاول سنة احدى وسبعين ومائة والف ، وبيعة ولده سيدي محمد رحمه الله .

العودة والعمل مع السلطان :

فانحدرنا للاسكندرية (3) فوجدنا المراكب معطلة للحرب التي بين الافرنسيس والاصبنيول مع الانجليز ، لا يسافر أحد لبر العرب خوفا من الزمنطوط فتوجهنا فى مركب للفرنسيس « للقزنة ؟ » فأقمنا بها أربعة اشهر ، وهناك بلغنا الخبر باستيلاء الافرنسيس على جزيرة « برطمعون » ، مأوى الانجليز فى البحر الاخضر ، تستريح بها قراصينهم ، وأعطاها الافرنسيس للاصبنيول لقربها من بلادهم ، ثم توجهنا لمرسيلية ، ومنها لبرصلونة بر الاندلس ، فأقمنا بها اذ كان الافرنسيس محاصرا بجبل طارق ، واقام على حصاره سبعة أعوام

ولما وقع الصلح بينهم واقلعت مراكب الافرنسيس من جبل طارق ، توجهنا له ومنه لتطوان ومنه لفاس فدخلنا بسبعة مثاقيل بقيت من البضاعة ولما استرحنا من السفر عدت للقراءة كما كنت ، ولما سألنا عمن كنا نألفه من الطلبة فى القراءة والانس ، وجدنا اكثرهم تعلق بخدمة **السلطان سيدي محمد** (4) ، لما بويع ، كالفقيه الاديب السيد أحمد ابن ناصر الغيائي .

والفقيه الاديب السيد أحمد الغزال
والفقيه الاديب السيد أحمد ونان

1) كان غير موجودة فى الاصل وقد زدناها للحفاظ على سلامة اللفظ وجمال المبنى .
2) هو عبد الله ابن اسماعيل بويع (1141 ثم 1153) تردد على العرش 14 مرة بسبب تدخل جيش العبيد « البخارى » .
3) مدينة بمصر على ساحل الابيض المتوسط انشأها الاسكندر الاكبر سنة 332 ق.م مكان راقودة « راكوتيس » ظلت عاصمة لمصر حتى سنة 1641 تعزز مركزها بعد حفر قناة السويس (1820) اشتهرت بمكتبتها بها جامعة تضم 8 كليات .
4) هو محمد بن عبد الله بن اسماعيل الذي بويع بالاجماع 1171 وفى هذا الكتاب ما يشفي للتعريف به .

والفقيه الاديب السيد محمد السكيرج
والفقيه الاديب السيد احمد ابن عثمان .
والفقيه الاديب السيد محمد ابن الشاهد

هؤلاء كانوا اقراننا ومعاصرين لنا ، ومشاركين معنا فى القراءة والانس، وكان رفيق من طلبة سوس اسمه سعيد الجزولي ، ويعرف بالشليح ، كان يقرأ معنا وكان له ولوع بشراء كتب التاريخ ومطالعتها ، وكنت أسهر معه على سردها ، والفته فلم أشعر الا وهو عند السلطان سيدي محمد ، فلما بلغني خبره وما صار اليه حاله ، شرهت نفسي للحاق بهم ، وتعلقت همتي بخدمة السلطان ، فلما بلغ ذلك والدي رحمه الله ، نهاني عنها وشرح لي حالها ومئالها ، وقال لـــي :

يا بني اتق الله واشتغل بما يعنيك ، ولا تقدم على ما يضنيك ، فما لي سواك ، ولا أستريح حتى اراك ، وبك اتعلل ، وأزيل وحشتي ويحصل انسي، فساعدني الى أن تجعلني فى رمسي ، فقلت ان رفقائي ومن كنت آنس بهم ذهبوا ، وحصلوا على ما طلبوا ، وبلغوا الغاية فى العز والجاه ، وعلى من أقيم واترجاه ؟ واية معصية فى هذا المجال ؟ ولا بد أن اقتدي بمن قال :

لباب الملـــوك فكـــن لازمـــا	ولا تخش ممن بغى أو حســـد
فان الذئـــاب تهـــاب اذا (1)	تمـــرغ يومـــا بباب الاســـد

فقال لي رحمه الله : ما لي اسعى فى نعيمك وتسعى فى بؤسي ، واحطب فى حبلك وتقصد عكوسي ؟ وانشدني قول أبي علي اليوسي :

لا تقربن مالكا ولا تلـــوذ بـــه	ولو تنل عنده عزا وتمكينا (2)
يستخدمونك فى لذات انفسهم	فيذهب العمر لا دنيا ولا دينـــا

وقال أجبني عن هذا فسكتت .

ثم قال وقد تكلمت يوما مع سيدي عبد الكريم السرغيني فى هذا المعنى فانشدني :

ان الملـــوك بلاء حيثما حلـــوا	فلا يكن لك فى أكنافهم ظـــل
تحلو لديهم اذا عللت ما علـــوا	فان نهيت رجعت عندهم كل (3)
فاستعن بالله عن ابوابهم تعلـــو	ان الوقوف على ابوابهم ذل (4)

---

1) فى الاصل « تهـاب بهـا » وقد ابدلناها بـ اذا ليكون المعنى اسلم
2) ـ 3 ÷ 4) اوردنا هـذه الابيات كمـا هي فى الاصل على ما فيهـا مـن علـل نحـويـة وعـروضيـة ولغـويـة .

ثم قال وقد ظهر لي انك كالفحل الصائل والمراد بقول القائل :

واذا بدت للنمــل اجنحــة حتى يطير فقد دنـا عطبــه
وان حاطت اتى ما ليس لــه تيقن بان يحرقه حطبــه (1)

ثم قال واين انت عن قول من قال :

تباعد عن السلطان لا تفش بابه فتسلب دنيا أوتصيبك واجدة
فليس ينام من الــم ببابــه وان هو اغناه وسد مفاقــده
وما هو الا النار تحرق من دنا اليها فلا تقربهواخشبوادره(2)

او ما سمعت قصيدة ابن الوردي المسماة نصيحة الكتاب التي منها :

جانب السلطان واحذر بطشه لا تعاند من اذا قــال فعــل

واستمر على هذا المنوال الى التمام، ثم اقبل علي بانواع النهي والتحذير ودقائق الوعظ فى الاول والاخير ، فلم ينفع عزمي نهيه ، ولا ردني انـذاره وهديه ، وسعيت فى ذلك من أصح طرقه ، وتقلبت فى منصب الكتابة من غربه لشرقه ، ولقيت من زعازع ارياحه ورعده وبرقه ، الى ان بلغت كورة الراس ومضيق العنق ، ووقفت على دائرة الافق ، فى السفر والمقام ، مدة عشـرة أعوام ، ثم حصلت فى النكبة ، ووقفت على باب الندبة ، واقمت بين الهلكـة والتلف ، عام اثنين وثمانين ومائة والف ، وهي النكبة الثانية ، ولما خلصت من النكبة ، وكتب لي امير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله بعد الطلاق رسم الرجعة ، وقلدني ديوان كتابته ، واقبل علي بكليته ، وخلف لي ما ضاع ، وصرت بالمماليك والاتباع ، وبلغت أعلى المراتب ، وتقلبـت فى المناصب ، وكان رفيقنا السيد سعيد السوسي مهر فى علم التاريخ والانساب، ومن عليه الكتاب ، فكتبت اباحثه وافاوضه وأحاربه وأعارضه ، وكان رجلا صلبا فى الحق ، زعيما مقداما ، لا يخشى من احد ملاما ، وكان أمير المؤمنين رحمه الله له الباع الطويل فى التاريخ والانساب ، والتمييز بين ذوي السفه واهل الاحساب ، ومهما تكلم فى مسئلة مع الفقهاء الذين يحضرون مشوره ، يتكلم هذا الصلب من غير استدعاء ، ويشاركه فى الكلام دون نداء فانتهره أولى وثانية ، سرا وعلانية ، ولما علم أمير المؤمنين طول باعه فى التاريـخ والانساب ، صار يستدعيه للكلام فى كل باب ، الى ان غضب عليه مرة لامر

---

1) وزنــه مختــل 2) كذا فى الاصل : الروي غير متفق .

وقع فيه ، لا يرتكبه نبيه ، فأمر بضربه وسجنه ، وبعد مدة أمر بخروجـــه ونفيه ، وأمره بسكنى الرباط ووطأ له البساط

فلما خلا من ذلك المشور محله ، صرت اعمل عمله ، وكلما تكلم اميـــر المؤمنين فى خبر أو نسب ، اتقدم واتكلم فيما اعلمه ، وما لم أعلمه ، فتكلمت يوما : فقال لي من اين لك هذا الخبر الذي لا أصل له يعتبر ؟ والتفت الى من حضر من الطلبة والواقفين ، والقضاة المعزولين ، اذ كانوا عن الحق منحرفين ، وقال لهم هل سمعتم بمثل هذه المقالة ؟

فقال قاضي شفشاون وكان صلبا جريئا ، هذا مما انفرد به وحـــده .

فقلت قال هذا قبلك بعض جهلة القضاة، وعاب على من قال الحق وحده ووبخه على الانفراد به وقال : الم تسمع قول الناس اخطأ مع الناس ولا تصب وحدك ، فاجابه بقوله ، قل هذا لابي بكر حين أسلم وحده ، فكأنما القمـــه حجرا

فضحك أمير المؤمنين وقال له غلبك .

فصار يستدعيني فى كل موقف واجاريه فى الكلام ، وصار ذلك عادة فى مقام ، وكان رحمه الله نسابة أخباريا حافظا لايام العرب ووقائعهـــا ، حافظا السير والحديث ، لا يجارى ولا يبارى ، لانه كان أيام خلافته بمراكش فى حياة والده ، ولع بسرد كتب التاريخ والادب ، الى أن تملى منهما وكاد أن يحفظ ما فى كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ، من كلام العرب واشعارها ، ونوادرها واشعار المولدين ، وشعراء الاسلام ، الى أن تملى من ذلك ، ولما قلده الله أمر المسلمين بعد موت والده ، ترك ذلك وولع بسرد كتب السيرة والحديث ، وجلب المحدثين من فاس ومكناس ، انقلهم لمراكش .

كالعلامة الشريف مولاي عبد الله المنجرة اخي مولاي عبد الرحمان
والسيد محمد ابن عبد الرحمان
والسيد أحمد بن عثمان .
والسيد محمد ابن الشاهد .
والسيد الطاهر السلاوي
والسيد الطاهر ابن عبد السلام

وكلهم فرقهم على مساجد مراكش لتدريس العلم ويحضرون مجلسه بعد صلاة الجمعة للمذاكرة فى الحديث ، الى أن صار يؤلف فيه على مقتضى غرضه ، وعين لذلك من يستخرج له ما يريد .

ولما بلغه أن ولده **مولاي علي الخليفة بفاس رحمه الله** اعتنى بسرد كتب التاريخ والأدب ، أمره أن يبعث له بما عنده منها بفاس ، فوجهها له وجمع ما عنده هو منها بمراكش ، الى أن اجتمعت عنده عدة نسخ ، من ابن خلدون ، وابن خلكان ، وقلايد العقيان ، والاغاني ، ونفح الطيب ، وتأليف ابن الخطيب ، وملأ منها صناديق ووجهها مع الكاتب الصنهاجي ، يوقف بعضها بمصر ، وبعضها بالاسكندرية ، وكتب لولده علي يقول :

« ان كتب التاريخ والادب هي آخر ما يقرأ، فان اشتغلت بها اتلفت دينك وقراءاتك ، ووقع لك ما وقع لي ، فقد شغلت نفسي بها أيام الشباب ، وتركت القرآن والتفسير والحديث حتى حصلت على الندامة ، فاياك ثم اياك ان تعمل عملي ، فتكون مثلي ، فتشبه بمن هو أعلى منك ولا تتشبه بمن ماثلك أو أدنى منك ، فتعلو همتك كما قيل :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام رباح

فان الله يرزق العبد على قدر همته ، قال الشيخ القصار ، كان **سيدي رضوان الجنوي** كثيرا ما ينشد هذا البيت :

قد رشحوك لامر لو فطنت له فاربا بنفسك ان ترعى مع الهمل »

وقال عليه الصلاة والسلام : تعبد رجل فى صومعة فامطرت السماء وأعشبت الارض ، فرأى حمارا له يرعى ، فقال يا رب لو كان لك حمار لرعيته مع حماري فيبلغ نبي بني اسرائيل ، فأراد ان يدعو عليه ، فأوحى الله اليه انما أجازي العباد على قدر عقولهم .

ولذا قال **عمر ابن عبد العزيز** (1) ، وهو أمير بالمدينة لبعض الشعراء ، لما أتاه ، (ان نفسي تواقة فاذا بلغك اني فى اشرف من هذه المنزلة فاتني) ، فلما صار خليفة اتاه ، فقال له الم اعلمك أن لي نفسا تواقة فانها تاقت الى اشرف من هذه المنزلة ، ولم تقنع بشرف الدنيا ، فتاقت الى شرف الآخرة .

ولما كلم الله موسى عليه السلام تكليما سأله النظر اليه ، اذ كان ذلك لو وصل اليه أشرف من المنزلة التي نالها ، فالحر الكريم لا يقنع بمنزلة اذا رأى أشرف منها ، فارفع همتك عما أنت فيه الى ما هو أعلا منه يحصل لك التوفيق ان شاء الله ، وكان رحمه الله اذا تذكر مسألة غريبة يقيدها خوفا

---

1) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان الاموي « 682 ـ 719 » ولي الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك اشتهر بتسامحه وعدله وورعه حتى انه لينعت بانه لم ياخذ من بيت المال شيئا

على نسيانها ، فاذا خرج للمشور وتكلم مع الفقهاء يلقيها لهم كالمستفهم عنها ، فاذا لم يجيبوه عنها ، يبينها ويقول لي (1) زد هذه فى جرابك ويضحك

سفارة المؤلف عام 1200

وفى عام مائتين والف وجهني امير المؤمنين بهدية **السلطان عبد الحميد العثماني** (2) للاصطنبول ، وهي الرحلة الثانية من المغرب الى المشرق

حد المغرب عند الحكماء والمؤرخين :

وحيث عزمنا على تقييد هذه الرحلات للمشرق ، الاولى والثانيـة والثالثة ، فلابد من تقديم خبر حد مغربنا ومدنه ومن عمره ، ومن بنى به قبل دخول البربر له ، وبعد دخولهم ، وبعد ظهور الاسلام ، فأقول :

---

1) ابـو القاسـم الزيانـي « 1734 ـ 1833 »

2) سلطان تركيا ولد وتوفى « 1725 ـ 1789 » ولى السلطنة من (1774 الى 1789) بعـد اخيه مصطفى آلت تركيا فى عهده الى الضعف بسبب المعاهدة التي انهت الحـرب بيـن بلاده وروسيا اذ بمقتضاها فقدت تركيا « آزوق » و (القرم) ومنحت حق حماية الرعايا المسيحيين بالاراضي التركية بالاضافة الى تعيين والى الافلاق والبغدان «رومانيا» كمـا كانت هذه المعاهدة السبب فى اكراه النمسا لعبد الحميـد على النزول لها عـن ولايـة بوكرفينا » 1775 توفى وبـلاده تخوض الحرب ضد روسيـا والنمسا 1787 ـ 1791 خلفـه على العـرش سليـم 3

المغرب وحدوده

اما حد المغرب على ما قاله الحكماء الذين قسموا المعمور من الارض على الاقاليم السبعة فجعلوا حده من المشرق ، نيل مصر الى ساحل البحر الاعظم الغربي بوادي نول .

واما حده عند المؤرخين وأرباب الدول ، فمن طرابلس الغرب الـــي ساحل البحر الاعظم بالسوس بوادي نول ، وشبهوا المغرب بالنسبة للمعمور من الارض ، كذيل الدابة خارجا عن ذاتها ، وهو كالجزيرة منقطع عـــن العمران

يحده البحر الاخضر من الشمال (1)

والبحر الاعظم (2) يحده من جهة المغرب .

والنيل يحده من المشرق

والقفر يحده من الجنوب

وجبل درن يشقه فى وسطه ممتدا معه من ساحل البحر الغربي الى طلسمة ببرقة ، قرب الاسكندرية ، بالتلول والإرياف والمدن فى البسائط ، ومع سواحل البحر الشمالي والغربي ، والحصون ، والقرى ، والجبال .

وكل المغرب سهله وجباله مواطن للبربر وما خلف جبل درن لناحية الجنوب فيه عماير صحراوية على انهار وعيون، وبها نخيل وبساتين ، ومزارع

---

1) الابيض المتوسط   2) المحيط الاطلسي

وقصور وقرى ، لا تعد ولا تحصى ، فى أماكن معلومة غير متصلة بالعمران ، وها أنا أفصله لك حتى كانك تشاهده .

جبل درن وما احتوى عليه من القصور والبساتين من جميع الجهات :

فمن جهة الغرب يقابله تارودانت خلف جبل درن ، اقليم طاطا وتسنت، واقا وشنقيط ، كلها قصور وقرى ونخيل وبساتين ومزارع ، وامم لا حصر لها

وما قابل مراكش خلف جبل درن ، اقليم درعة على واديها الاعظم ، عليه قصور وقرى وحصون لا عدد لها ، والنخيل والبساتين والمزارع مسيرة خمسة مراحل

وما قابل دمنات خلف جبل درن غسات وسكورة، قصور وقرى ونخيل وبساتين ومزارع على عدوتي الوادي المنحدر من درن لذرعة، ونخيل وبساتين ومزارع وامم لا تحصى .

وما قابل تادلة خلف درن اقليم دادس ممتد مع الوادي المذمور عليه قصور ، وقرى ، ونخيل ، وبساتين ، ومزارع ، وامم لا تحصى .

وما قابل ادخسان وفازاز خلف درن اقاليم ثلاث : تدغة ، فركلة ، وغريس غير متصل بعضها ببعض ، وبها قصور ، وقرى ، ونخيل ، وبساتين ومزارع ، وامم لا تحصى

وهذه العمائر تسمى الفايجية ، وما قابل مكناسة وفاسا خلف درن ، صحراء نهر ملوية ، ونهر زيز ، المنحدر من درن لسجلماسة ، وعليه قصور زيز ، وقصور الخنق ، وقصور مدغرة ، وقصور الرتب ، وقصور سجلماسة ، قصوره وقراه لا تحصى ولا تعد ، وهي بلاد النخيل والثمار والفواكه الطيبة ، والمزارع الكريمة والبركة الظاهرة

ويقابل تازة خلف جبل درن اقليم وطاط على نهر ملوية ، قصور وقرى وامم لا تحصى وخلفه اقليم ڤير على واديه الاعظم المنحدر من درن لناحية الجنوب عدة مراحل ، وعليه كرزاز ووادي الساورة وقصور وقرى ونخيل وبساتين وامم كالجراد .

وبعده على عدة مراحل اقليم تيفوراوين ، وبعده بمراحل اقليم توات مدن وقصور وقرى لا تحصى وكلها بلاد النخيل والفواكه والمياه العذبة في الابار المتصلة الى أن تخرج على وجه الارض

ويقابل تلمسان خلف جبل درن ضفيق فيه قصور وقرى كثيرة وعمائر معتبرة ونخيل وبساتين ومزارع ومياه جارية وامم لا تحصى .

ويقابل تاهرت جبل درن اقليم فتالية فيه قصور وقرى وبساتين ومزارع وامم

ويقابل الجزائر (1) خلف جبل درن قصور معينات تناهز المائة عليها نخيل وبساتين ومزارع .

ويقابل بجاية خلف جبل درن مدينة ورقلة كبيرة لها سبعة ابواب وعدة مساجد وعليها نخيل وبساتين وعلى سمتها مدينة بسكرة وقراها وعمايرها ذات نخيل وبساتين ومزارع

ويقابل مدينة قسنطينة (2) خلف جبل درن اقليم قسطيلة وهو ذو نخيل وبساتين وقرى وقصور وخيرات كثيرة

ويقابل تونس خلف جبل درن نقطة وتوزر وقفصة وبلاد نفزاوة وقراها وعمايرها كلها ذات نخيل وبساتين ومزارع

ويقابل سوسة خلف الجبل مدينة قابس هي حاضرة البخر ومن اعظم مدن افريقية ، وكانت دار ملك ابن غانية المسوفى ، ذات نخيل وبساتين ومزارع ، ومرسى عظيمة .

ويقابل طرابلس خلف جبل درن اقليم فزان ، واقليم ودان ، واقليم غدامس ، عمايرها متصلة ، وقراها منتظمة ، وهي أول ما فتحه المسلمون فى الفتح الاول ، فى خلافة عمر ، لما غزا عمرو بن العاصي مصر ووجه لبرقة ، ففتح هذه الاقاليم الثلاثة مع طرابلس .

---

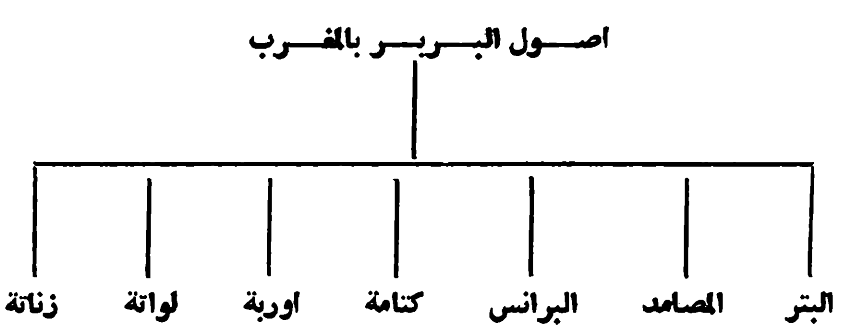
1) هي مدينة انشأها البربر مكان « اكرسيوم الرومانية » اواخر القرن 10 م اصبحت لها اهمية على عهد بربروسا واخيه خير الدين التركيين 1518 م هاجمها الفرنسيون سنة 1830 وبعد الاحتلال انشأوا بها ميناء يعتبر من الموانيء الرئيسية بشمال افريقية

2) قسنطينة مدينة قرطاجية الاصل عرفت باسم سرته كانت عاصمة لنوميديا ثم مركزا لشحن الحبوب لروما خربتها الحروب الاهلية سنة 311 م اعاد بناءها قسطنطين الاول استولى عليها الفرنسيون سنة 1837 م ، وبها معهد ابن باديس وتعتبر مركزا هاما للنشاط الاسلامي الذي مصدره جمعية العلماء

ويقابل مدينة برقة ، اقليم الواحات خلف جبل درن ، واقليم سيوة بعده يقابل الاسكندرية ، وهما معظم عمارة برقة ، ونخيلها افضل النخيل تمرا ومنها يحمل لمصر وبلاد الترك ، وهذه العماير التي ذكرنا كلها من آخر السوس ، الى نيل مصر ، ليس بها الا اجناس البربر ، وصنهاجة ، وزناتة ، ولم يكن بالمغرب كله احد من قبائل العرب الى ان جرهم المنصور الموحدي بمكيدة الجهاد في وسط المائة السادسة (1)

وخلف هذه الاقاليم المذكورة على طولها سياج العرق الرملي من واد نول يمتد كامتداد جبل درن ، الى نيل مصر ، عرضه ثلاثة مراحل ، ويعترض هذا العرق الرملي من وسطه ارض محجرة يقال لها الحمادة ، وبعد هذا العرق الرملي لناحية الجنوب ، فيافي وقفار ، بينه وبين السودان هي مجالة للملثمين وغيرهم من قبائل البربر ونواجع السودان (2) ، وعرب المغافرة وذوي حسان من قضاعة (3) دخلوا من افريقية من بعد ما دخلت المضرية (4) واليمنية ينتجعون فيها الى وادي نول اه

وقال ابن خلدون هؤلاء البربر جيل كبير عظيم ، ولهم شعوب وقبائل اكثر من ان تحصى ، وتفرع من البربر الاولى البتر ، والمصامدة ، والبرانس ، وصنهاجة ، وكتامة ، واوربة ، ولواتة ، وزناتة .



---

1) يلاحظ ان المؤلف لم يصل علمه الى ان قبائل بنى سليم وبنى هلال ورباح وصباح وبنى معقل وهي قبائل قدمت منذ الفتح العربي الاول من صعيد مصر الى عموم المغرب توجد خصوصا بالجنوب (ع الفيلالي)

2) نجع ج نواجع مطالب الكلا .

3) قضاعة قبائل عربية قطنت شمال الحجاز بين العراق وسورية والشام ، ثم مصر منهم بنو كلب ـ غسان ـ تنوخ ـ وبلى ـ وجهينة .

4) مضر : هي الفرع الثالث من نزار بن معد بن عدنان بحيث تتحد هى وربيعة وهم اهل دجلة وعياض التي انقرضت ـ في الاشتقاق من نزار ومضر تتفرع عنها قيس عيلان، وجندب ، وعن قيس هوازن وسليم وهلال وغطفان ، وعن جندب ، هذيل وتميم وكنانة قريش ... الخ .

هذه أصول البربر ، وكل فريق من هؤلاء تشعب منهم قبائل فى طبقات الاولى من البربر انقرضت فى حروب الجاهلية على الملك بالشام ومصر وما بقي منها دخل فى اهل الطبقة الثانية ، **والطبقة الثانية دخل عليها الاسلام** ونفقت فى سبيل الملك بافريقية (1) ، والواسطة (2) ، وهي التي كانت تحارب طوالع العرب وجموعهم أيام الخلفاء وبني امية وبني العباس ، وشاركهم اهل المغرب الادنى والاقصى ، وخرجوا على الملوك وعساكر العرب فاذا غلبوا اسلموا ، واذا غلبوا ارتدوا

قال ابن أبي زيد ان البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة بافريقية والمغرب ، ولم يكمل اسلامهم الا فى أيام موسى بن نصير فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، وظهرت نجدتهم فى جهاد الكفار ، **ولم يذعنوا الا لولاية اهل البيت لما نزل عليهم ادريس ابن عبد الله الكامل** أيام الرشيد ، فتمسكوا بدعوته وانقادوا له وتخلوا عن الملك ، ولما فشلت دولة الادارسة وغلبت دولة الشيعة ، استبدوا عليهم وقاموا بملك المغرب بنو يفرن ، بتلمسان وبنو مغراوة (3) بفاس ، وسلا ، واغمات ، وبرغواطة بتامسنا ، ودكالة ، وصنهاجة ، وكتامة ، بافريقية ، ولمتونة من صنهاجة بالصحراء الى أن ملكوا المغرب كله ، والاندلس وافريقية ومكناسة بتاهرت ، وسجلماسة ، وتازة ، ثم قام بعد لمتونة بالملك بنوا عبد المؤمن بالمغرب والاندلس وافريقية ، ولما فشلت ريحهم قام بملك افريقية بنوا أبي زكرياء الحفصيين الهنتاتيين من المصامدة ايضا ، وقام بملك تلمسان والواسطة بنو عبد الوادي من زناتة البربر ، وبملك فاس والمغرب ، بنوا مرين من زناتة أيضا ، وطال ملكهم وامتد الى افريقية اه كلام ابن خلدون .

قلت ولما فشلت دولتهم وفنيت قبائلهم فى سبيل الملك وحروبه ، فساءت أحوالهم بذلك وانحل نظامهم ، فبايع برابر الصحراء من صنهاجة أهل الطبقة الثالثة ، والمصامدة اهل السوس اهل البيت الشريف ؟؟ الزيدانيين الذين كانوا بذرعة ، وقاموا بأمرهم استنكافا من ولاية العرب الذين فى عسكر بني مرين ، وحاربوا الوطاسيين من بني مرين الى ان غلبوهم على ملك المغرب ، وتشتتوا فى القبائل واذعنوا الطاعة وصاروا من جملة القبائل الغارمة ، واستمر الحال على ذلك فى ولاية الزيدانيين ، وكانوا أيضا يستخدمون عساكر العرب من المصرية واليمانية ، فاستنكف البربر من ذلك

---

1) يقصد المؤرخون بافريقية عادة الجريد بالجنوب التونسي • 2) يقصد بها الجزائر
3) راجع كتاب الاسرات الحاكمة : زامباور

وخرجوا عليهم وقاسموهم الدولة بثائرهم محمد الحاج المجاطي وبرابرة صنهاجة أهل فازاز ، واستولى على معظم المغرب غير مراكش ، وقام بالسوس المصامدة وقوموا الملكه عليا بودميعة السملالي فقام به ، ثم لما قام الاشراف العلويون أهل سجلماسة لطلب (1) الزيدانيين ، انتصر لهم أهل المغرب وقاموا بدعوتهم وغلبوا على الثائر الكبير محمد الحاج المجاطي وغيره من الثوار ، ومهدوا ملك المغرب لانفسهم ، **وغلب السلطان اسماعيل** منهم على أهل المغرب عربهم وبربرهم ، باستعمال العسكر من العبيد وانتزاع الخيل والسلاح من قبائل المغرب ودفعها لعسكر عبيده ، وقد **بلغ عددهم مائة وخمسين الفا** ، فاستراحت دولة العلويين من عيث البربر نحو الخمسين سنة ، الى أن مات السلطان اسماعيل وملك أولاده السبعة فقارعوا من أهوال هذا الجنس البربري ما شابت نواصيهم من عيث البربر وحروبهم وهزائمهم الى أن عجزوا عن دفاعهم ، وساءت أحوال أهل المغرب معهم الى أن رحمهم الله بولاية السلطان سيدي محمد ابن عبد الله رحمه الله ، فساسهم بحلمه وحزمه ، وارهف الحد لعصاتهم وقتل أبطالهم ، ونهب حللهم المرة بعد المرة ، **ولما بويع ولده امير المؤمنين مولانا سليمان** ملك وقتنا ابقاه الله ، ساسهم سياسة والده بالرفق والحلم والاغضاء عن هفواتهم ، فأطغاهم حلمه ، وافسدهم عدله ، ولم يرهف لهم حدا

وصية عبد المومن ابن على ولده بما يصنع مع العرب والبربر

وسياسة البربر هي ما أوصى به عبد المومن بن علي ولده يوسف العسري لما كتب له ولاية العهد ، قال له : عقوبة العرب المال وعقوبة البربر القتل ، فاياك أن ترفع السيف عن البربر ، وترفع المال عن العرب ، فلا يستقيموا الا على هذا المنوال

---

1) لم يثبت نسب السعديين كما هو الشأن بالنسبة للعلويين من ابناء ادريس بن عبد الله الذي دخل المغرب سنة 170 هـ وابناء الحسن بن قاسم الداخل 664 هـ ومهما يكن فان دولة السعديين التي دام سلطانها ح 149 سنة من 1496 ـ 1635 والتى أسسها محمد المعروف بـ « القائم بأمر الله » الذي خلفه احمد الاعرج اذ قامت دعوة هذه الدولة اثر انتصار الاخوين فى معركة قرب تيزنيت بعد ما قاموا من درعة وكان هذا الانتصار دافعا لاحتلال مدينة مراكش 1528 ثم محاربة الوطاسيين والبرتغاليين فى الشواطيء ، ومما يرفع هذه الدولة الى أعلى مرتبة فى تاريخ المغرب ما قام به كل من عبد المالك فى موقعة وادي المخازن 1578 حين قتل سبسطيان وجميع قواده وكذا ما قام به احمد المنصور الذهبي الذي استرجع المغرب فى ايامه عزه القديم ، وآخر ملوك هذه الدولة احمد العباس بن ابى مروان بن عبد الملك . ولا يحط من قيمتها عدم ثبوت النسب

هذا حال هؤلاء فى القديم ، منذ خرجوا من الشام فى حروب بني اسرائيل ، ودخولهم لافريقية مع افريقش الحميري لغزو الروم ، وبلوغهم لاقصى المغرب وتفريقهم بتله وصحرائه ، واستيطانهم ببسائطه وجباله ، الى زمننا هذا بعد المائتين والالف عام الواقعة، وهو سنة اربع وثلاثين بعد المائة ا ه.

قال **ابن خلدون** (1) واما تخلقهم بالفضائل الانسانية ، وتنافسهم فى الخلال الحميدة ، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم ، ومرقاة الشرف والرفعة بين الامم ، ومراعاة المدح والثناء من الخلق ، من عز الجوار وحماية النزيل ، والادمة (2) ، والوسائل والوفاء بالقول والعهد ، والصبر على المكاره، والثبات فى الشدائد ، وحسن الملكة ، والاغضاء عن العيوب ، والتجافي عن الانتقام ، ورحمة المساكين ، وبر الكبير ، وتوقير أهل الدين ، وحمل الكل وكسب المعدم وقرى الضيف ، والاعانة على النوائب ، وعلو الهمة ، واباء الضيم ، ومشاقة الدول ، ومقارعة الخطوب ، وغلاب الملك ، وبيع النفس من الله فى نصر دينه ، **فلهم فى ذلك ءاثار ينقلها الخلف عن السلف** ، لو كانت مسطورة يحفظ منها ما يكون اسوة لمتبعيه من الامم ، وحسبك ما اكتسبوه من حميدها ، واتصفوا به من شريفها ، ان قادتهم الى مراقي العز ، وأربت بهم على ثنايا الملك حتى علت الايدي أيديهم ، ومضت فى الخلف بالبسط والقبض أحكامهم ، وكان منهم مشاهير فى كل طبقة من طبقات الاسلام بعد اسلامهم.

ففي الطبقة الاولى منهم بافريقية : مناد الصنهاجي وولده زيري وابنه بلكين ابن زيري الصنهاجي أميرها ومحمد ابن خزر وابنه الخير ابن محمد، بالواسطة، وعروبة ابن يوسف الكتامي القائم بدعوة أبي عبد الله الشيعي ومصالة الكتامي ، وبالصحراء أبو بكر ابن عمر اللمتوني ، وبالمغرب يوسف ابن تاشفين اللمتوني وولده علي ابن يوسف وعبد المومن ابن علي القومي صاحب المهدي ، وولده يوسف وحفيده المنصور ، ويحيى ابن غانية المسوفي صاحب الثورة على الموحدين وكان من اهل الطبقة الثانية من عظمائهم ، وذوي الفضل ، منهم عبد الحق المريني ، وولده يعقوب المنصور ، وعظيم بني عبد الوادي ، يغمراسن ابن زيان ، ومحمد ابن عبد القوي التجيتي ، وابن عمه

---

1) ما وصف بـه ابن خلدون لجيش البربر كان للعرب اكثر منه ، كما ياتي . (الزياني)
2) يقصد القرى واطعام الطعام يقصد اسداء المعروف واغاثة الملهوف .

وترمار ، وثابت ابن منديل المغراوي ، امير شلق ، ووزبار ابن ابراهيـــم الراشدي ، وانظارهم ممن تركنا ذكرهم لكثرتهم (1)

هؤلاء الذين أثلوا المجد لقومهم ، وخلعوا اردية العز على قومهم وبلغوا الغاية فى تمهيد ممالكهم ، ودفع اعدائهم ، كل على شاكلته وقوة جمعـــه ، فكانوا من ارسخهم فى تلك الحال قدما ، واطولهم فيها يدا ، واكثرهم لهـــا جمعا ، طارت لهم فى ذلك قبل الملك وبعده اخبار ، عنى بجمعها ونقلـــها نسابتهم وغيرهم من المؤرخين ، وبلغت فى الصحة والشهرة منتهى التواتر ، ومع هذا فقد كانوا قائمين بمراسم الشريعة ، واخذهم باحكام الملة ، ونصرهم لدين الله ، فقد نقل عنهم الاعتناء باتخاذ المعلمين لكتاب الله لصبيانـــهم ، والاستفتاء فى فروض أديانهم (2) ، وابتغاء الائمة للصلوات فى دينهم ، وتدارس القرآن بين أحيائهم ، وتحكيم حملة الفقه فى نوازلهم وقضاياهم ، واصفائهم الى اهل الخير والدين من اهل أمصارهم ، للبركة فى أثارهم ، وطلب الدعاء من صلحائهم ، واعتنائهم بالمرابطة فى ثغور الجهاد ، وحرصهم على ركوب البحر لملاقاة العدو الكافر بدار الحرب ، وبيعهم النفوس من الله فى سبيله وجهاد عدوه ، وذلك مما يدل على رسوخ ايمانهم وصحة معتقدهم ، ومتين ديانتهم التي كانت ملاكا لعزهم ، ومقادا لسلطانهم وملكهم ، وكان المبرز منهم فى هذا المنتحل ، يوسف ابن تاشفين ، وعبد المومن ابن علي ، وبنيهم ، ثم **يعقوب ابن عبد الحق المريني** ، من بعدهم وبنوه ، فقد كان لهم من الاهتمام بالعلـــم والجهاد ، وتشييد معالم الدين ، وسد الثغور وبذل النفس فى ذات اللـــه ، وانفاق الاموال فى سبل الخيرات ومخالطة أهل العلم وترفيع مكانهم ، فى مجالسهم ، ومفاوضتهم ، فى الاقتداء بالشريعة والانقياد لانذارهم فى الوقائع والاحكام ، ومطالعة سير الانبياء وحديث الرسول واخبار الاولياء وســـرد ذلك بين ايديهم فى دواوين ملكهم ، ومجالس أحكامهم ، وقصور عزهـــم ، وجلوسهم بالمقاعد لشكوى المظلومين وانصاف الرعايا من العمال ، والضرب على ايدي اهل الجور ، وتحصين ثغور المسلمين بالبنيان ، وآلات الحرب ، وتجهيز الكتائب لدار الحرب ، وانفاق الاموال العريضة ، شهدت لهم بذلك آثار خلفوها بعدهم

واما وقوع الخوارق فيهم ، وظهور الكمال منهـــم ، **فقد كان فيهم** من الاولياء والمحدثين ، أهل النفوس القدسية ، والعلوم الوهبية ، ومن حملـــة

---

1) راجع الاسرات الحاكمة زامباور خلدون تاريخ العبر »
2) الجمع هنا بمعنى المفرد اذ دينهم واحد وهو الاسلام •

العلم عن التابعين ومن بعدهم من الائمة والكهان المفطورين ، المطلعين علـــى الاسرار المغيبة ، من الغرائب التي خرقت العادة ، واوضحت ادلة القدرة على عناية الله بهم وكرامتهم لهم

وقد كان من مشاهير حملة العلم فيهم ، سعيد بن واسول جـــد بني مدرار ملوك سجلماسة ، ادرك التابعين واخذ عن عكرمة مولى ابن عباس ، كما ذكر عريب ابن محمد فى تاريخه

ومنهم ابو مزيد مخلـد بن كيداد اليفرني صاحب الثورة الشيعيـــة بافريقية الخارجي صاحب الحمار أخذ العلم بتوزر ، عن رؤسائها ، وراس فى الفتوى وقرأ مذهب الاباضية من الخوارج

ومنهم داراس بن اسماعيل فقيه فاس أخذ العلم عن الاندلسيين

ومنهم منذر ابن سعيد قاضي قرطبة **من ظواعن ولهاضة** ثم من سماتة منهـــم

ومنهم محمد ابن ابي زيد عالم الملة وهو من نفزة

ومنهم موسى ابن صالح الغمري الزناتي ، وغيرهم من علماء النسب والتاريخ ممن يطول ذكرهم ، وانما ذكرنا هؤلاء تنبيها على محاسن هذا الجيل من البربر الشاهدة بوجود الخواص الانسانية فيهم ، من ولاية ، وكهانة ، وعلم ، وسحر ، وشجاعة ، وكرم ، وعلو همة ، وكل نوع من أنواع البشرية المطلوبة (1) ، ولم يزالوا على هذا طبقة تبعد بطبقة ، الى أن نالوا الملك والعز وغلبوا الدول وقمعوا الكفر ، واعزوا الاسلام وبلغوا غاية المرام (2) اهـ .

اعتراض المؤلف على ابن خلدون

قال كاتبه أبو القاسم ابن احمد الزياني ، ما وصف به ابن خلدون هذا الجيل البربري من الاوصاف الحميدة ، والمناقب السنية العديدة ، معلومة للعرب الكرام ، فى الجاهلية والاسلام ، ولما ساءت أحوالهم ، وخالف فعلهم مقالهم ، حلى بها الله هذا الجنس البربري قبل أن يخون ويفتري ، ويزيغ عن الحق ويمتري ، ولما خالفت الافعال منهم الاقوال ، وعاثوا فى النفـــوس

---

1) يقصد الحضارة البشرية من باب ذكر الصفة وحذف الموصوف ، كما ورد فى القـــرآن العظيم « وحملناه على ذات الواح ودسر » ذكر الصفة وحذف الموصوف وهي السفينة .
2) مـن كـــلام ابـن خلـدون .

والاموال ، سلبهم الله الملك والعز والسلطان ، اذ ازلهم الشيطان ، وضربت عليهم المغارم فى كل الاوطان ، وانعكس حالهم فيما وصفهم به من الخصال ، وسعوا فى طريق الانفصال ، بعد الاتصال ، ولم يبق لهم وفاء يعتمد ، ولا جوار لمن اراد المستند ، وصار ما صار لمن قبلهم من العرب ، يستبقون للخذلان والهرب ، شنشنة لبسوها من عادات (1) جيرانهم ، عرب البسائط يستعملونها فى الحروب بالوسائط ، ولم يبق منهم متخلق بتلك الاخلاق الحميدة ، والاوصاف الفريدة الا برابر الصحراء المنقطعون فى القفر ، لا يعرفون الغدر والحفر ، متنفرين (2) عن ممالك الارياف مقيمين لرسم الوفاء والانصاف ، فهم مع هؤلاء البربر أهل الجبال وان كانوا اخوانا ، وفى العصبية أعوانا ، فالواحد منهم كالدينار ، يصرف بالدراهم ، وصغيرهم ينفع المراهم ، صان الله جوهرهم عن الفساد ، وابقاهم مصلحة للعباد

كما قال مولانا علي كرم الله وجهه لمن معه من العرب فى حرب الخوارج، وكان كلما دفعهم يعودون اليه منهزمين ، وددت ان لو كان لي بكل عشرة رجل من بني فراس ابن غنم ، صرف الدينار بالدراهم (3) اه

سبب حركة مولانا سليمان للبربر عام 1234

ويؤيد ما ذكرته ما ظهر لنا من غدرهم وما اشتهر بين المسلمين من مكرهم ، وقلة وفائهم فى سرهم وجهرهم ، ودليل ذلك **ما وقع فى حركتهم مع امير المؤمنين مولانا سليمان** لبغاة آيت امالوا أهل جبل فازاز عام 1234 والسبب فى تلك الحركة أن بني مطير وآيت ادراسن ، وقروان ، وزمور ، ويمور ، وحكم ، هم برابرة الدولة وتحت قهرها وغلبتها ولهؤلاء آيت امالوا غلبة عليهم وقهر لهم من قديم الزمان ، وفى كل عام يغيرون عليهم فى رحلة الشتاء والصيف ، ويطردونهم من بلادهم الى ان كادوا أن يستولوا على جميعها ، وفى كل وقعة ياتون لامير المؤمنين شاكين متظلمين ، ويوجه معهم الجند لاعانتهم ، ولما أعياه أمرهم وتعين طغيانهم وظلمهم لكل من يجاورهم من البربر ، ومن عرب تادلة ، تعين على أمير المؤمنين حربهم ، والدخول لبلادهم ، وصعود جبالهم ، لاراحة الناس من شرهم

---

1) فى الاصل « عوائد » وهي جمع عائدة بمعنى فائدة • اما العادة فتجمع على عادات ـ عاد
2) اي مبتعدين
3) يقصد اعتراضه على ابن خلدون •

ولما كثرت عليه الشكاية بهم وهو بمراكش ، جمع قبائل الحوز وعرب دكالة وتامسنا ، وتادلة ، وكتب لولده مولانا ابراهيم رحمه الله ، أن يجمع قبائل الغرب ، والجند من برابرة الدولة ، ويقدم بهم على والده لبلاد آيت امالو فامتثل أمره وتوجه بالجميع الى ان نزل ببلادهم ، **واجتمع مع السلطان** وتكلم مع أمراء البربر وقدمهم لحربهم ، واردف لهم قبائل العرب ، ولما التقى الجمعان انهزم البربر وجروا الهزيمة على العرب وخانوه جميعا ، وهربوا ولم يبق مع أمير المؤمنين الا الجند وولده ابراهيم رحمه الله ، وراودوه على الركوب والفرار ، فاقسم لهم بالله أن لا يراني مدبرا وفارا من الزحف ، وما اتيت الا للجهاد وطلب الشهادة ، ولا أبرح من هاهنا ، وحارب خدامه ومواليه بين يديه ، الى أن أصيب ولده ، ووقع صريعا أمامه ، وقال له ما قاله مصعب ابن الزبير لولده فى حرب عبد الملك ابن مروان ، لما انهزم عنه من كان معه من العرب وخذلوه وجروا عليه الهزيمة ، قال لولده انما احتجتك لهذا اليوم حتى أرى كرمك ، فقاتل بين يديه الى أن قتل ، ولما فر من بقي معه من العسكر ودخلوا عليه لفسطاطه واخرجوه ، لم يهتكوا عليه سترا ، ولا وضعوا له حرمة ، وتوجهوا به لمنازلهم موقرا وتبركوا به وعظموا حرمته ، وقاموا بضيافته وزيارته ، الى أن طابت نفوسهم ، وساروا به الى دار الملك بمكناسة ، وهم فى ساقته على هيئته فى موكبه ، جزاهم الله خيرا ، فهذه منقبة عظيمة ، ومكرمة جسيمة ، ومزية لهؤلاء القوم عميمة ولو وقع له هذا مع غيرهم من قبائل العرب وهزموه وظفروا به ، ما ابقوا عليه ولا اقاموا له وزنا ، ولا أقالوا له عثارا ، فهم اخس من هؤلاء البربر الذين استنصروا به وقام لنصرتهم وفروا عنه واسلموه قبحهم الله ، وقد جاءوا به ، وسلبوا كل من وجدوا من العرب وغيرهم ، وقطعوا فى احواز المدن ، ونهبوا قرى المستضعفين من الرعية ، وسرى فسادهم فى القبائل كلها ، ولا زال أمير المؤمنين يقارع اهوالهم ، ويكابد شرهم ، ويتجرع غصصهم ، مع ما هو فيه من تقويم أسباب العسكر التي تلفت من الخيل والسروج والسلاح والكسوة والمباني والحمولات والآلات ورقع هذا الخرق اعانه الله ، مع قلة المعين المشير ، والناصح ، ولقد هانت المصيبة مع وجوده وبقائه لامته ، اذ هو روح العلم ، والمال ولله الحمد عنده موفور ، والرجال كالذباب ؟ مع حضور العسل ، تجتمع من كل قطر ، والايام مقبلة وهذه أحوال الدهر كما قيل

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر

رجوعا لخبر مغربنا واول من عمر سواحله البحرية قبل دخول البربر **اولاد يافث ابن نوح** (1) **عليه السلام** : لما نزلوا الاندلس (2) ، واندلس ابن يافث هو أول من نزلها فى اخوته ، وتناسلوا بها ، ولما كثر نسلهم تفرقوا ، **فبنى** سبت ابن اندلس سبتة ، وبنى طنج ابن اندلس طنجة ، **وبنى** بلش ابن اندلس بليونش ، اذ كانت الاندلس وارض العدوة متصلة لا فاصل بينهما ، وهذا قبل دخول البربر للمغرب ، وقبل حفر الاسكندر للزقاق الذي هو البوغاز الآن

ولما دخل البربر للمغرب ونزلوه وتفرقوا بجباله وبسائطه ، وبلغوا سواحل البحر وطنجة وسبتة وبليونش ، اذ لا فاصل بينهم كانوا يغيرون على الروم بالاندلس ، ولما ظهر الاسكندر اليوناني ، وملك أجناس الروم وبلغ الاندلس وملكها ، شكا عليه هذا الرهط من أولاد يافث الذين بها له بالجلدة اليونانية ما لحقهم من ضرر البربر الذين يغيرون عليهم فاحضر الحكماء والمهندسين وجالوا فى تلك المسافة التي بين البحرين ووزنوها ، فقالوا للاسكندر ان أردت أن تفتح فى هذه المسافة خليجا بين البحر الاعظم والاخضر ويجمع بينهما ، فانه ممكن وانالبحر الاعظم يعلوا الاخضر بدرجات، فيجر له ويملؤه ، فأمر بحفر الخليج الذي هو الزقاق الآن ودخل الخليج من الاعظم للاخضر ، ولم يبق للبربر دخول للاندلس ، فأسس أمير غمارة لنزله مدينة تيكاس ، وسميت باسمه على ساحل البحر ، ياتيها نهر من الجبل ، ولها بسيط للحراثة والبساتين ، وهو أخصب البلاد .

ولما قسم محمد ابن ادريس أعمال المغرب على اخوته ، كانت فى سهم عمر ابن ادريس ومدنها ، وكان أهلها فى أمن من القحط لكثرة مياهها ومرافقها، ولم تزل عامرة الى حدود الثمانية ، فكان الوالي بها عامل بني مرين ، فارح ابن مهدي ، كثير الجور ، فانجلى أهلها وتفرقوا فى الجبال من جوره ، وارتحل عنها فخربت ولا زال سورها مؤثلا الى الآن ، هذا خبر تيجساس

---

1) نوح هو نبي الله بانى السفينة التى انقذت الحياة البشرية والحيوانية من الطوفان. ابناؤه : سام ـ حام ـ يافث اسلاف الجنس البشري ، ورد ذكره فى القرآن الكريم ونادى نوح ربه الآية . وفى الكتاب المقدس « التكوين 6 ـ 10 » كما حدد تاريخيا انه الاب 8 لابراهيم عليه السلام .

2) الاندلس اقليم بجنوب اسبانيا تخترقه جبال سيرانيفادا وسيراموربنا ونهر الوادي الكبير مساحته 87218 كم م سكانه 5219362 تربته خصبة وبه كثير من المعادن عرفه الفينقيون فى القرن 5 ق.م والقرطاجنيون واليونانيون فى القرن 6 ق.م والرومانيون فى القرن 3 ق.م ثم فتحه العرب فى العقد الثاني من القرن 8 بعد الميلاد . ثم خرجوا منه سنة 1492 عندما سقطت دولة الاسلام بالاندلس .

وبقيت سبتة وطنجة وبليونش فى هذه العدوة ، وانقطع عن الروم وبني يافث ضرر البربر

واول بناء بناه البربر لما دخلوا المغرب مدينة « سلا » (1) ، قيل ان الاسكندر لما دخل المغرب بناها وبني مدينة شالة مقابلة لها ، وقيل ان الذي بناهما افريقش بعد دخول الصعب ذي القرنين بمدة كثيرة ، وهو الــــذي دخل المغرب بالبربر محل سلا على واديها ، فصهلْ فرسه ومن يوم دخـــل افريقية لم يصهل الى أن نزل محل سلا ، فقال سلا الفرس وامر ان يبنى فى محل نزله حصن ، فبنى وعمره البربر وسماه سلا الفرس وامر ان يبنى فى محل نزله حصن ، فبنى وعمره البربر وسماه سلا ، **ولما قطع وادي « سلا »** ونزل محل **« شالة »** ، امر أن يبنى بها حصن آخر مقابل لسلا ، لما شال : يعني لما ارتحل ، فسمي المحل شال ، فصحف لكثرة الدوران ، ولما استقرت قبائل البربر بالمغرب ونزل زناتة تامسنا وتادلة ، ونزل صنهاجة دكالة ، بنى امراء زناتة مدينة « آنفا » بتامسنا ، ومدينة « داي » بتادلة وبنى امــــراء صنهاجة مدينة « طيط » بدكالة ومدينة **« ازمور »** بها ايضا ومدينـــــة « اسفي » بها ايضا

قال الشيخ احمد القسمطيني ، لما دخلت المغرب فى رحلتي له توجهت لقضاء دكالة ، ولما قطعت وادي أم الربيع لازمور ، وبتنا به ومنه نزلنا مدينة « طيط » القديمة ، ثم « عين الفطر » ثم مدينة « الوالدية » القديمة ثم مدينة « ايير » ثم « الزاوية » ثم « اسفي » هو آخر دكالة ، وطولها وعرضهــــا خمسة مراحل ، وليس فيها انهار ، ولا عيون ، الا الابار ، العذبة ، وليس بها شعاب ولا خنادق ولا جبال ، الا البسائط المستوية ، والزروع والضروع ، وبها زيادة على عشرة آلاف قرية غير مدن السواحل ، ومدينتها العظمى فى وسطها وبها خمسة وعشرون مسجدا ، وخمسة وعشرون مدرسة معمورة بطلبة البربر من صنهاجة ، اهلها قل ما تجد فيهم من يتكلم بالعربية ، وبها اجتمعت **بالشيخ ابي بكر ابن العربي** ، لما قدم من سفارة العراق وتوجه لامير المسلمين يوسف ابن تاشفين اللمتوني ، سنة اربع وتسعين واربعمائــــة ، وتعجب من قلة مائها وكثرة ثمارها وخيراتها ورخص اسعارها وطيب زرعها وضروعها ، وقد بلغ عدد سككها ازيد من مائة الف سكة اهـ .

---

1) سلا وشالــة بناهما الاسكنــدر وقيــل افريقــش

ثم اسس قبائل المصامدة مدينة « **شوشاوة** » ومدينة « اغمات وريكة ومدينة « **اغمات ايلان** » اسسها نفيس المسمى به الوادي ، واسس ملوك قبائل حاحة ، « **قلعة الصويرة** » « **وقلعة اقدير** » واسس امراء قبائل شتوكة وجزولة مدينة « ردانة » ومدينة « وادكي » «مرلاقي » السودان واسس « ورقيته » « وقدميوه » قلعة « أمصمير » وقلعة « تنبيمل » وهي التي كان بها المهدي ابن تومرت واسس « فزواطة » « وترنانة » وقبائلهم قصور ذرعة واسس بنو مدرار مكناسة و « سجلماسة » قبل الاسلام ، ولما اسلموا كانوا على مذهب الاباضية ، وأسس امراء فطواكة مدينة « دمنات » قبل الاسلام ، واسس امير صنهاجة بجبل فازاز « القارة » وهي الخربة فوق قلعة دخسان قبل الاسلام ، وأسس أمير زناتة قلعة « أزرو » قبل الاسلام ، واسس امير مكناسة مدينة « مكناسة » قبل الاسلام

وكانت قرى لمكناسة احدى قبائل زناتة من البربر ، ومدنها ملوك الموحدين من بني عبد المومن وبنوا قلعتها ، والذي جدد قلعتها العظمى وادار عليها الاسوار العظيمة **السلطان مولاي اسماعيل العلوي** رحمه الله ، واما مدينة « مغيلة » اسسها امير مغيلة قبل اسلامهم وهو مغيل عام ثمانية وتسعين ، **واما بعد ظهور الاسلام** ، فأول مدينة بنيت بالمغرب مدينة « **النكور** » اسسها ادريس ابن صالح الحميري عام ثمانين ، وجهه حسان ابن النعمان الغساني أمير عبد الملك ابن مروان بافريقية لفتح المغرب ، فنزل الريف وعليه أسلم قبائل لواتة ، واقام بتلك البلاد وورثها أولاده من بعده الى ان انتقلوا اعوام الفتنة للاندلس ، ثم مدينة « بادس » أسسها أمير « لواتة » الذي كان مع ادريس ، واسمه بادس ، عام تسعين ، ثم مدينة « مليلية » أسسها أمير بني يفرن الذي كان مع ادريس ابن صالح ، واسمه امليل ، عام اثنين وتسعين ، ثم مدينة فاس اسسها ادريس ابن ادريس ، عام واحد وتسعين ومائة ، وكانت مدينتين القرويون والاندلس ، ولما دخلها يوسف ابن تاشفين اللمتوني ، هدم اسوار المدينتين وجعلهما مصرا واحدا ، وادار عليه سورا واحدا ، وامر اهلها ببناء المساجد بكل حومة وشارع ، وعظمت عمارتها عام سبع وستين واربعمائة ، ثم مدينة « **العرائش** » (1) اسست فى الاسلام اسسها نصارى البردقيز عام ثلاثة

---

1) العرائش هي مدينة فى الشمال الغربى للمغرب وميناء على المحيط الاطلسى ج٠غ طنجة بنحو 70 كم بالقرب من موقع محلة فينيقية تحولت فيما بعد الى مستعمرة رومانية اخذتها اسبانيا 1610 استرجعها المولى اسماعيل ابن الشريف العلوي 1101 - 1698.

وعشرين ومائتين ، ثم مدينة ((**اصلة**)) الكبرى اسسها بنو ادريس ، عام خمسين ومائتين ، واما الموجودة الآن ، فقد بناها البردقيز ، وفتحها السلطان اسماعيل العلوي ، ثم مدينة « تاهرارت » اسسها بنو ادريس أيام دولتهم ، عام ستين ومائتين ، ثم مدينة « حجر النسر (بقرب سبتة أسسها بنو ادريس أيام ملكهم سنة ثمان عشر ومائتين ، ثم مدينة « قصر كتامة » اسسه امير كتامة عبد الكريم فى أول الاسلام ، عام اثنين ومائة ، ثم قصر مصمودة ، وهو قصر المجاز بين سبتة وطنجة ، اسسه امير مصمودة أيام ولاية طارق ابن زياد الليثي بطنجة ، ومنه كان جوازه لجبل طارق عام تسعين ، ثم مدينة « المهدية » اسسها أمير بني يفرن ، عام ست وعشرين وثلاثمائة ، ثم مدينة ((**مراكش**)) اسسها يوسف بن تاشفين اللمتوني عام اربع وخمسين واربعمائة ثم مدينة « **الرباط** » اسسها يعقوب المنصور الموحدي عام احد وتسعين وخمسمائة ، ثم مدينة ((**تازة**)) ، كانت رباطا فمدنها عبد المومن بن علي ، عام تسعة وعشرين وخمسمائة ، ثم مدينة ((**تطوان**)) اسسها بنو مرين عام ثلاثين وسبعمائة ، ثم مدينة ((**شفشاون**)) ، اسسها علي ابن راشد الشريف العلمي فى الدولة الزيدانية ، عام عشرين وتسعمائة، ثم مدينة ((**وزان**)) اسس زاويتها عبد الله الشريف العلمي فى دولة الزيدانيين ، عام اثنى عشر والف ، ثم مدينة ((**الصويرة**)) اسسها أمير المومنين سيدي محمد ابن عبد الله العلوي عام ثمانية وسبعين ومائة والف ، واما مدينة ((**فضالة**)) فقد اسسها سيدي محمد ابن عبد الله عام اثنين وثمانين ومائة والف

واما قلعة ((**دبدو**)) ((**واكرسيف**)) ((**وتاوريرت**)) فقد احدثها امراء بني مرين فى السبعمائة ، واما ((**وجدة**)) فقد احدثها بنو يفرن امراء تلمسان قبل الاسلام ، أيام ملكهم بتلمسان

هذا خبر مغربنا واما غيره فكل بلد حللناه نذكره ان شاء الله تعالى

واول من ادخل دين الاسلام للمغرب ، فقيل انهم رجال رقراقة السبعة، من المصامدة ، وقيل كانوا اثنى عشر رجلا ، اجتمعوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكلمهم باللسان البربري ، والصحيح انهم لم يجتمعوا به ، وانما اسلموا على يد عمر (1) ، وعلمهم دينهم وتوجهوا لمغربهم ، ولما بلغوا قومهم منهم من اسلم ومنهم من ابى ، وذلك عام ثمانية عشر من الهجرة ، وفى أيام عثمان أسلم مغراوة ، قيل وفدوا على عثمان مع أميرهم « صولات » ، وقيل اسر فى

---

1) راي بعيد الاحتمال اذ ليس ثمة ما يؤيده من الادلة .

الحرب مع جماعة من أعاينهم ، ولما بلغوا المدينة اسلموا على يد عثمان ، وله عليهم الولاء ، عام اربعة وثلاثين ، ثم تتابعت الفتوحات الى أن بلغ الاســـلام وادي نول ، ايام عقبة بن نافع (1) ، عام واحد وستين من الهجرة ، وفى ايام عبد الملك (2) دخل المغرب من افريقية ادريس ابن صالح الحميري ، ونزل الريف وهو الذي بنى مدينة النكور ، وعليه اسلمت قبائل الريف ، ولما توفي عبد الملك وبويع الوليد ، وجه لافريقية موسى بن نصير (3) واوصاه ان لا يعزل ادريس ابن صالح لعدله ، ويتركه على رايه ويتوجه هو لاقصى المغرب ، فتوجه له الى أن بلغ السوس والفائجة وذرعة (4) ، واكمل فتحه واستقر به الدين ورجع وترك معه جندا من العرب وجندا من البربر ، وفى عام تسعين جاز الى الاندلس ابو زرعة طريف مولى موسى بن نصير ، فابتدأ حرب الروم بالاندلس ثم فى عام احد وتسعين ، جاز طارق (5) بن زياد فيمن كان معه من العرب وطوائف البربر فكان الفتح ، وفى عام ثلاثة وتسعين ، قدم موسى من افريقية بعساكر العرب ، فأكمل فتح الاندلس ، وبعد موسى لم يدخل للمغرب

---

1) عقبة بن نافع « 621 – 683 م » هو ابن خالة عمرو بن العاص قائد من قواد الفتوحـات الاسلامية شهد فتح مصر وولى افريقية 662 م واسس القيروان 670 م كما شيد جامعها عزله معاوية 675 ثم بعثه يزيد الى المغرب 681 – 688 قتلـه كسيلة مع 300 من رفاقـه 683 م حيث يوجد قبره حتى الان معلوم بالجزائر سيدي عقبة

2) خامس الحكام الامويين ولد ح 646 م وتولى الحكم 685 وتوفى 705

3) الفاتح العربـي ، ولد بالشام 640 م تولى حكـم البصرة بعـدما تقلب فى عـدة وظائـف ولاه الوليد بن عبد الملك بن مروان على افريقية فتح غزوانوالقيروان 698م ارسل ولدهعبد الله لفتح صقلية 705 وعبد الله بن مـرة لفتح سردينيـا 708 ارسل طريف بن مالـك النخعى على راس حملة الى الاندلس 710 ثم طـارق بن زيـاد المصمـودي فى جيش من المسلمين المغاربة فيهم 300 عربي ففتح الاندلس مدينة بعد أخرى وانتصر على «لذريق الملك القوطى   ودفعت الغيرة موسى بن نصير الى أن يحقد عليه بدعوى عدم تنفيـذ أوامره بعدم فتح طليطلة وهذه القصة مشهورة فى التاريـخ الاسلامـي • توفـى موسى بعدما شهد انواع العذاب من سليمان بن عبد الملك هو واولاده سـنة 715 م •

4) اسم لواد بالجنوب المغربى وهو فى الغالب مستورد من « درعـة بالشـام »

5) هو طارق بن زياد بن عبد الله المصمـودي فاتـح الاندلس التـي دامت فى حكـم الاسلام مـن 710 الى 1492 م راجـع هامش (4) قبلـه •

الاقصى احد ، وقام به الخوارج (1) ، وكل من أتاه في الدولة العباسية تقع عليهم الهزائم ، **الى أن قدم له ادريس** (2) عام سبعين ومائة .

رجوعا لخبر رحلتنا للاصطنبول عام مائتين والف والسبب فيها أن امير المؤمنين كان كثيرا ما يوجه الهدايا للاصطنبول ، **للسلطان مصطفى ابن احمد العثماني** (3) ، ولاخيه بعده **السلطان عبد الحميد ابن احمد** (4) وكان يوجه

---

1) الخوارج هم اولى الفرق الاسلامية وسموا خوارج لخروجهم على الامام علي عليه السلام عندما قبل خدعة التحكيم المقترح من عمرو بن العاص ، عقيدتهم « لا حكم الا لله » اغلبهم من بادية بلاد العرب تحصنوا في بعض المناطق بالعراق وجزيرة العرب والمغرب الادنى والاوسط والاقصى حيث اصبح لهم شأن كبير واثر بالغ في هذه الديار .

قاوموا الدولة الاموية وصدر بني العباس مقاومة عنيفة ، انقسموا الى عدة فرق اهمها :

أ ـ الازارقة ب النجدات جـ الاباضية د الصفرية اشتهروا بالتشدد في العبادة والانهماك فيها وبالاخلاص لعقيدتهم والدفاع عنها حتى الموت . يرون ان الخلافة لابد ان تتم عن اختيار وليس لمن اختير ان يتنازل او يحكم لذلك اقروا خلافة الشيخين وخلافة عثمان في سنيه الاولى وخلافة امير المومنين علي عليه السلام الى ان قبل « التحكيم » يرون كذلك ان العمل جزء من الايمان فتارك الفرائض يحارب على تركها

2) ادريس الاول هو ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط قدم المغرب في عهد بني العباس الذين انتحلوا العلوية لم تنكروا لها واسس الدولة الادريسية التي كان قوامها المغاربة المتشيعون لآل البيت وذلك بعد مشاركته في وقعة فخ ايام موسى الهادي

واذا كان بعض المؤرخين السياسيين يرجعون تجمع القبائل المغربية حول ادريس لاسباب سياسية اكثر منها دينية ، فان الواقع يقر شيئا من ذلك لان عمال بني امية من عبد الله بن موسى بن نصير الى عبد الرحمن بن حبيب لم يتصرفوا التصرف اللائق بالدعوة الاسلامية لا في المغرب وحده من هؤلاء .. وانما في مختلف البلاد الاسلامية ، ناهيك وتاريخ ما وراء النهرين « الشعوبية »

ومهما يكن فان المغرب قد استطاع بفضل ادريس ومن خلفه ان تكون له دولة مغربية استطاعت ما لم تستطعه كثير من الدول التي تكونت بعد شتات بني امية ، بحيث استطاعت الدولة الادريسية ان توحد المغرب وان تبسط نفوذها على جزء من الاوسط . واخيرا توفي ادريس بسم دس له بتحريض من هارون الرشيد بعد ما كل من عدم قدرة الاغالبة على مناواة ادريس الذي انتهى اجله سنة « 793 م » .

3) هو مصطفى الثالث ابن احمد الثالث ولد 1717 وتولى سلطنة تركيا 1757 خلف ابن عمه عثمان الثالث كان الحادث الرئيسي ايام حكمه هزيمة بلاده في حربها مع روسيا 1768 ـ 74 حيث انتهت الحرب بمعاهدة كوتشوك كينارجي وهي نفس السنة التي توفي فيها اي 1774 م .

4) هو عبد الحميد الاول بن احمد الثالث ايضا ولد 1726 وتولى بعد اخيه 1774 بدأ حكمه بمعاهدة « كوجوك فينرجى » التى فقدت تركيا بمقتضاها آزوف والقرم ومنحت روسيا حق حماية الرعايا المسيحيين بتركيا وجميع اراضيها في تعيين والي الافلاق والبغدان « رومانيا » كما كان لهذه المعاهدة اثرها السيء بحيث اكرهت النمسا عبد الحميد على النزول لها عن ولاية « بوكوفينا » 1775 توفي عبد الحميد 1789

بها مع اخصائه من أعيان دولته ، واتصلت بينه وبين ملوك بني عثمان مودة كثيرة ، وكان أهل الجزائر على طرفي النقيض مع أمير المؤمنين ، لما يبلغه عنهم من المناكر والعيث فيمن بايالتهم من قبائل العرب ، وتاتيه وفودهم يتظلمون عنده ، ويلوذون بجنابه فكان يكاتبهم فى قضاياهم ، ويحضهم على العدل وينهاهم عن ارتكاب الكبائر فيأنفون من ذلك ويقابلون من ياتيهم بمكاتبه بالعقوبة الفادحة ، ولما اعياه أمرهم كتب بحالهم للسلطان عبد الحميد ، وما هم عليه من الجور والظلم لضعفاء العرب ، والعيث فيهم بالقتل وارتكاب المحرمات ، فى دين الاسلام ، ووجه الكتاب مع خديمه القائد علال الدراوي ، والقائد قدور البرنوصي والكاتب السيد محمد الحافي ، كان جهه لفداء الاسرى من جهة مالطة (1) من اجناس الترك ، ثم ان الكفار رهم الله انكروا الفداء وردوا المال ، وحيث رجع المال من عندهم ، امر هؤلاء الثلاثة ان يتوجهوا بذلك المال وقدره مائتان واربعة وسبعون الف ريال « دورو » حتى يدفعوه للسلطان عبد الحميد ، ويقولون له ان هذا المال أخرجه امير المؤمنين فى سبيل الله ، لفكاك اسراكم ، ورده الكفار ، ولا يرجع لنا ، فانفقه فى فداء اسراكم او فى الجهاد أو فيما يظهر لكم ، وكتب لهم بهذا ، **ولما بلغوا للاصطنبول** وطلبهم اهل الدولة بالهدية على عادتهم ، اخذوا من المال اربعة عشر الفا ، **وكان وزير البحر حسن باشا** غير حاضر بالاصطنبول لهديتهم ، فلما قدم توجهوا له بكتاب أمير المؤمنين ، ولم يدفعوا له هدية فلما قرا كتابه وجد فيه مائتين واربعة وسبعين الفا وهم لم يدفعوا الا مائتين وستين ، فوجه لهم على باقي المال ، فاجابه أحدهم بجواب خارج عن الصواب، وقال ان المال دفعناه للوزير ومناله ، فلا كلام لنا معك ، ففي الحين امر بطردهم وازعاجهم عن الاصطنبول ، لثلاث ، ولما وقع لهم ذلك خافوا سطوة امير المؤمنين ، فتوجهوا للمشرق ، ولم يعودوا للمغرب ، وكتب قبطان باشا لامير المؤمنين انهم لم يدفعوا الا مائتين وستين الفا ، ووجه

1) هي مجموعة جزر ح 315 كم م تقع فى الابيض المتوسط ج صقلية • خضعت للفينيقيين واليونان والقرطاجنيين والرومان والعرب وفى 1530 حكمها الفرسان الاسبتارية الى ان هزمهم نابليون 1798 سنة 1814 وفي 1947 نالت الاستقلال الذاتى ثم نالت الاستقلال فى 1964/9/21 وجدت بمالطة آثار هامة ترجع الى العصور: الحجري القديم والحجري الحديت والبرونزي •

كاتبه اسماعيل افندي بكتاب وهدية ، وعذر عن أهل الجزائر ، وكان وجه امير المؤمنين بعدهم بهدية مع عبد الكريم العوني التطواني ، احد اعيان اهل تطوان ، ومعه كتاب ثاني على أهل الجزائر يقول فيه ، ان لم ترفع ضررهم عن المسلمين فدعني واياهم ، فلما بلغهم هذا الكتاب عظم عليهم الخطب ، وكتبوا لباشا الجزائر وباشا تونس أن يتأدبوا مع السلطان مولاي محمد سلطان الغرب ، وينفذوا ما يكتب لهم عليه ، ويفعلوا معه من الادب ما يفعلونه مع السلطان عبد الحميد ، وكتبوا للسلطان يعلمونه بهذا ويطلبون اعراضه عن أهل الجزائر ، وانهم مجاهدون ، فليحسن جوارهم ويغض الطرف عن جهلهم وأفعالهم الذميمة ، ولا يقابلهم بمكروه ، ودفعوا المكاتب لصاحب قبطان باشا وكاتبه اسماعيل أفندي

ولما طلب العوني الجواب على اهل الجزائر ، قالوا له انه عند الباشدور المتوجه معك ، ولما اجتمع معه بالمركب سأله عن جواب أهل الجزائر ، فقال عندي المكاتب لباشا الجزائر وباشا تونس ، ولسلطان المغرب ، فان السلطان عبد الحميد كتب لهم أن يكونوا عند أمر مولاي محمد ، واني متوجه لهم بالمكاتب فلم يشك العوني أن السلطان عبد الحميد ولى أمرهم لسلطان المغرب، فلما بلغوا طنجة نزل العوني من المركب واجتمع مع قائد البلد ابن عبد الملك ، فأخبره بقدوم الباشدور معه ، وانه أتى بالمكاتب لاهل الجزائر وتونس بولاية سلطان الغرب عليهم ، فلم يشك القائد فى ذلك وفى الحين كتب لامير المؤمنين ان السلطان عبد الحميد اعطاه الجزائر وتونس ، ومع صاحبه قدم بالمكاتب فكتب له السلطان أن يكرمه الى أن يوجه أمير المؤمنين من يأتي به ، وفى الحين وجه السلطان كبير الطبجية القائد الطاهر فنيش المذكور، وقدم أمير المؤمنين من مراكش لرباط الفتح لاستعمال سنة العيد به ، اذ هو واسطة المغرب (1)

---

1) الرباط هى عاصمة المغرب اليوم انشأها عبد المومن بن علي الموحدي فى القرن 12 ثم عززها خلفه يعقوب المنصور الذي اتخذها عاصمة لملكه وفى سنة 1912 اختارتها الحماية قصد القضاء على العاصمتين العريقتين فاس ومراكش ، وذلك باقتراح من اليوطي • بها اليوم جامعة وكليات ومعاهد ويبلغ تعداد سكانها حوالي 300٠000 نسمة ، لها تاريخ حافل بالامجاد وبها ضريح الملوك العلويين محمد بن عبد الله والحسن الاول ومحمد الخامس رحمهم الله •

وحضر للعيد أعيان القبائل كلها ، من الحوز والغرب وعلماء المدن وقضاتها ، وقدم الطاهر فنيش بهذا الباشدور من طنجة فى اكرام عظيم ، حيثما نزل الى ان بلغ للرباط ، فانزل بسانية الرحماني ، واقبل عليه أمير المؤمنين بترادف الكرامات والانعامات ، الى أن كان يوم العيد ، فأمر السلطان باقامة صـــلاة العيد بعين عتيق ، ببسيط من الارض على ثلاثة أميال من المدينة ، وخرجت العساكر كلها والقبائل القادمة لحضور العيد من الحوز والغرب ، ووقفت سماطين من الميمنة والميسرة ، من باب المدينة الى محلة امير المؤمنين بعين عتيق ، وأمر نصره الله بحضور الباشدور ، فأتي به وخرج من باب المدينة يخترق السماطين ليشاهد قوة عساكر الاسلام بالمغرب ، **ولما بلغ المحلـــة** اجلسوه بالمصلى الى أن خرج أمير المؤمنين من قبته ، واقام سنة العيـــد ، وأوقفوه عندها ، الى أن أخرج « حاضروه البارود » ثــلاث مــرات الى أن اهتزت الارض والجبال ، ثم خرجت المدافع من المدينة ، من الصقائـــل والابراج ، والمراكب الحربية ، واشتغلت العساكر بلعب البارود ، طول ذلك اليوم ، ورجع الباشدور لمحل نزله وافيضت عليه النعم من أمير المؤمنين الى يوم الجمعة ، فأتى عامة الفقهاء والاشراف الذين قدموا لحضور العيد مــع امير المؤمنين للصلاة معه بمسجد السنة .

ولما فرغ من الصلاة جلس بالمحراب وحلق عليه عامة القضاة والفقهاء ، وأمر بحضور الباشدور ، فقدم على أمير المؤمنين ووقف بين يديه وكتـــاب السلطان عبد الحميد على رأسه ، وادى واجب التحية ، وأمر قاضي القضاة بمباشرة الكتاب وقبضه منه ، فأخذه وجلس القاضي بين يدي أمير المؤمنين والباشدور بجنبه ، وأمر بفك ختام الكتاب وقراءته ، ففك ختمه وقراه على أمير المؤمنين باعلا صوته الى أن ختمه ، فلم يوجد به الا العذر عن اهـــل الجزائر والتملق لهم والايصاء بهم وباهل تونس ، فسقط فى يده وأمر برد الباشدور لمحله وركب امير المؤمنين لقصره ، وبعد العصر امر باحضـــار الباشدور ، وكان أمير المؤمنين بفسطاط مضروب خارج باب قصره ، فدخل عليه واستفهمه عن أهل الجزائر ، فقال ان معي كتبا من السلطان لهم ، أتوجه بها اليهم ولاهل تونس ان يتأدبوا معك كما يتأدبوا مع السلطان عبد الحميد ، وينفذوا امرك فيما تبعث لهم عليه ، فاعرض عنه وأمر باخراجه ورده لمحله ،

وبعد ثلاث امر بمواصلته وتوجيهه لتطوان (1) الى ان يعين له المركب الذي يتوجه به للاصطنبول ، ولا يتوجه للجزائر ولا لتونس وعين معه للسفر كاتبه السيد محمد ابن عثمان ، وقال له اذا بلغت للاصطنبول فعرفهم ان هذا الرسول كذاب ، ولا يصلح للسفارة بين الملوك ، فتوجه ابن عثمان لتطوان بمكاتب السلطان ، وبعد أيام عين له لمرافقته السيد عمر لوزيرق بمكاتب اخرى فوصلها لتطوان ، ثم بعد أيام امر بتوجيه صهره مولاي عبد الملك ابن ادريس ، وشيخ الركب النبوي الحاج عبد الكريم بن يحيى ان يتوجها معهم للاصطنبول بهدية كبيرة للاشراف ، ومن الاصطنبول يتوجهون للحج ، وكان مقدار المال المتوجهين به ، ثلاثمائة الف ريال « دورو » ، وستين الفا ومن الذهب ضبلون ، ومنيضة وبندقي اربعين الفا ، للمعينين فى الحرمين الشريفين ، فى احقاق كل حق مكتوب عليه صاحبه ، ولما اجتمعوا بتطوان كتبوا لامير المؤمنين أن لا يوجه معهم هذا الباشدور فانه يفسد عملهم بما يسمعونه منه من السب والطعن فى جانب الدولة ، فاخره عن السفر معهم وأقام بتطوان وهو يكاتب أمير المؤمنين فيرد جوابه بالوعد

ولما بلغ السلطان خبر الذين اخذوا أربعة عشر الف ريال من مال الاسارى من جهة قبطان باشا ، غضب عليهم ونظر فى أمر من يوجه لهم لياتي بهم فعينني لذلك وكنت مقيما بسجلماسة (2) ، فكتب لي بالقدوم ، ولما قدمت عليه وجلست بين يديه . قال لي : اخترتك لتشفي غليلي فى أمرين : أحدهما ان تقبض أولائك الظلمة الذين سرقوا من مال الله

---

1) هي احدى مدن المغرب ذات الاهمية بالشمال أسسها ابو ثابت عمر بن عبد الله المرينى 1314 م شهدت حوادث واهوالا كثيرة ايام السعديين والعلويين كانت الحرب التي دارت فيها ايام محمد بن عبد الرحمن عاملا من عوامل ضعف المغرب والتكالب عليه اصبحت تحت نفوذ الاسبان 1915 وكانت ايام التحرير معقلا استطاع المقاومون المغاربة ان يوجهوا منه أعنف الضربات الى الاستعمار الفرنسي ، رجعت الى الوحدة فى محفل كان على راسه محمد الخامس سنة 1956 م

2) لاتزال حتى الآن الدار التي كان بها ابو القاسم تعرف بـ « دار الزياني » بجانب «بوعام» اما سجلماسة المدينة القديمة فقد كانت قصبة تافيلالت وهى اليوم اطلال حيث تقع على الشاطىء الايسر لوادي زيز شيدت 758 م بناها بربر مكناسة وحكمها بنو مدرار 771 ـ 772 وسجن بها ابو عبد الله الشيعي مؤسس دولة الفاطميين ايام اليسع المدراري واستولى عليها جوهر الصقلي سنة 958 ـ 959 ثم وقعت فى قبضة عبد الله بن ياسين داعية المرابطين 1055 ـ 1056
زارها ابن حوقل والشريشى ، والمقري وابن باطوطة وهذا الاخير 1351 م وقد كانت سجلماسة العاصمة التجارية والعلمية لجميع المناطق المتاخمة للسودان مثل تمبكتو، مرجة ـ سالي ـ وتيمن ـ أدرار وغيرها من المدن كما كانت القوة الفعالة لتركيز نفوذ الدول التي حكمت المغرب ومنها خرجت الجموع التى ركزت نفوذ المولى محمد والمولى الرشيد والمولى اسماعيل ابناء المولى الشريف بن علي والذين ولدوا جميعا بها.

والثاني تسفه هذا الباشدور الذي كذب علي ، وتعرفهم انه لا يصلح للسفارة بين الملوك ، ويلزمه ما يلزم أصحابي الذين سرقوا من مال الله ، وكان وجه لمركب اكتراه من قالص ودخل طنجة فحمل الباشدور ورجع للصويرة يحمل النحاس وملح البارود نتوجه به هدية ، ولما بلغ المركب للصويرة وسقوا فيه النحاس وملح البارود ، واخبروا امير المؤمنين فوجهني للصويرة فوادعته وانصرفت لها ، وتوجهت ومعي الباشدور التركي ، وكان هذا الرجل فقيها فاضلا ، كان اماما يصلي بقبطان باشا ، ويدرس فى مسجده فقصد نفعه بهذه السفارة فكانت عليه وبالا ، لانه لا ذنب له الا ما تكلم به مع العوني فى المركب لما سأله عن أهل الجزائر من قولهم مكاتبهم عندي ، على أنه لم يعلم ما فى المكاتب لانهم لا يخرجون من يد الكاتب الا مختومين محزمين ، ولما سافرنا من الصويرة (1) دخلنا مرسى مالقة من بلاد الاندلس، لحمل الماء وحيث الجانا الوقت لدخول هذه المرسى ، تعين علينا ذكر مدن الاندلس ، اذ هي من حسان مغربنا فأقول :

هذه « مالقة » مدينة حصينة قديمة من بناء الروم ، ولما فتحها المسلمون عام ثلاثة وتسعين من الهجرة عمروها وحصنوا أسوارها وشيدوا مساجدها ، وغرسوا بها الحدائق واستداروها بها من كل وجه ، حتى انهم يقولون أن مسيرة حدائقها يوم للمسافر ، ومنها يحمل التين والزبيب الى اقاليم الارض ، حتى للهند والصين ، وفى اقليمها مدينة غرناطة ، وهي محدثة، والذي حضرها وبنى أسوارها وقصبتها ، حسن الصنهاجي وزاد فى عمارتها ابنه باديس (2) ، وكان بقربها مدينة البيرة ، هي المقصودة ، ولما خربت انتقل أهلها لغرناطة ، وبقربها مدينة « المرية » بساحل البحر وكانت مدينة الاسلام أيام الملثمين وبها صناعات الحرير والطرز والذيباج الغريب ، كان بها الف نول لنسج الحلل المزركشة ، والديباج الف نول ، وللسقلاطور كذلك وللثياب الجرجانية كذلك ، وللعتابي مثل ذلك ، وللمفاخر المدهشة ، والستور المكللة بالسرج ، وبها يصنع أصناف آلات الحديد والنحاس والزجاج من كل غريب ، وبجوارها قرطاجنة (3) على البحر ، ذات مزارع وانهار وطيب

---

1) مدينة بها ميناء على المحيط الاطلسي انشأها سيدي محمد بن عبد الله (1178 هـ — 1764 م)

2) بادريس الصنهاجي : لقب بالمظفر ملك غرناطة من بنى زيري (1038 - 1073 م) وطد سلطانه بقتل مناوئيه شن حربا على العباسيين فى اشبيلية من اجل امتلاك الاندلس فاستولى على قرمونة (1067) ازدهرت غرناطة فى ايامه •

3) هي كرتهقة بالاسبانية وهى مدينة بمقاطعة مرسية ج٠ق اشبا ثم هى ميناء على البحر المتوسط وقاعدة بحرية اسسها هسدروبال ح 225 ق٠م واصبحت القاعدة الرئيسية للقرطاجنيين فى اسبانيا واستولى عليها الرومان 209 ق٠م خربها القائد البريطاني دريك 1585 يستخرج بجوارها الرصاص والحديد والزنك •

وتربة ، يقال ان الزرع يكتفي فيها بمطيرة واحدة او سقية واحدة ، ومن مدن الاندلس « اشبيلية » (1) مؤسسة على ضفة نهر قرطبة ، وعليه جسر مربوط « بالسفن » ، وهي مدينة هائلة عامرة ، ذات متاجر ، وعليها من البساتين مشي يوم ، وعليها نحو ثمانية آلاف قرية ، يتوجه الفارس فى ظلال الزيتون والكرم ولا يرى شمسا ، وكل قراها ذات أسواق وعمارات ، وفوقها مدينة « قرطبة » (2) وهي قاعدة بلاد الاندلس ، ودار الخلافة الاسلامية ، وأهلها أعيان الناس فى المأكل والملابس والمراكب ، ودار العلم والعلماء .

مسجد قرطبة :

وبها الجامع الاعظم (3) الذي ليس فى المعمور مثله ، طوله مائة ذراع فى عرض ثمانين ذراعا وله عشرون بابا مصفحا بالصفر والنحاس ، وفى صحنه مائة شجرة من الزيتون ، ونحو الخمسين من شجر النارنج وبه الصومعة التي لا نظير لها ، طولها مائة ذراع بالمالكي المعروف بالرشاشي ، وفيها من سواري الرخام ألف سارية ، ومائة وثلاث عشرة ثرية للوقود ، وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه ، وبه المنبر الذي ليس على وجه الارض أحسن منه ، وهي فى نفسها خمس مدن بين المدينة والمدينة سور عظيم حصين حاجز ، ولكل مدينة ما يكفيها من الاسواق والمساجد والحمامات والفنادق ، وطولها ثلاثة أميال

ثم مدينة « أشبونة » (4) على نهر طليطلة المسمى باجة ، وهي مدينة عظيمة ممتدة مع النهر الى البحر ، ويقابلها على البحر حصن المعدن

---

1) اشبيلية هى عاصمة مقاطعة ج غ اسبانيا ثم هى ميناء تتصل بالمحيط الاطلسى بنهر الوادي الكبير كما انها ميناء ومركز ثقافى وصناعى هام كانت على جانب كبير من الاهمية فى ايام الفينيقيين ثم الولداليين والقوط الغربيين سقطت فى يد المسلمين 712 م ثم اصبحت امارة لبني عباد 1023 ـ 1091 وازدهرت ايام المرابطين والموحدين الى ان هزمها فرديناد 3 حاكم قشتالة 1248

2) مدينة وعاصمة لمقاطعة قرطبة ج الاندلس على نهر الوادي الكبير ازدهرت فى عهد الرومان ثم آلت الى الاسلام 711 ووصلت اوج عظمتها كعاصمة فى عهد الحكم الاموي (756 ـ 1031 م) اشتهرت بفناها وثقافتها الاسلامية ايام عبد الرحمن الثالث الاموي. وبعد سقوط الامويين خضعت لاشبيلية 1078 وفى 1236 استولى عليها فرديناند 3 حاكم قشتالة وقرطبة وهي مسقط راس ابن رشد وموسى بن ميمون وسينيكا ولوكان . بها قصر الحمراء .

3) هو الجامع الاعظم الذي شيد فى القرن 8 م يعتبر من أروع فن المعمار كما انه اليوم من اهم الآثار الاسلامية اصبح كنيسة كتدرائية منذ 1238

4) وهناك ايضا لشبونة ميناء يمتاز بهدوئه غرب البرتغال وهي العاصمة لهذه الدولة تقع بمقاطعة استرمدورا على نهر تاجة اعاد فتحها المسلمون 1147 زلزلت 1755 .

ثم مدينة « قنطرة السيف » وهي مدينة عظيمة ، وبها قنطرة عجيبة من عجائب الدنيا وفوق القنطرة حصن عظيم كالجبل .

مدينة طليطلة :

ثم مدينة « طليطلة » (1) ، وهي مدينة عظيمة عجيبة قديمة من بناء العماليق الاولى ، على ضفة البحر الاعظم ، يشقها نهر باجة ، ولها قنطرة عظيمة عجيبة ، قوس واحد يجري الماء فيه كالميزاب بسرعة ، وفى الوادي ناعورة من النحاس علوها تسعون ذراعا بالرشاشي ، تصعد الماء الى أعلا القنطرة فيجري على ظهرها ويدخل الى المدينة ، وكانت دار مملكة القوطيين ، الى أن فتحها طارق بن زياد الليثي مولى موسى بن نصير ، الهمداني عامل افريقيا للوليد ابن عبد المالك ، سنة اثنين وتسعين ، ووجد فيها المائدة والتاج ومصحف الزبور بخط يوناني مكتوب فى ورق من الذهب مفصل بالجوهر والياقوت ، ومصاحف كثيرة ، فيها علوم وصنائع وحكم وادوية وغيرها ، وبها بساتين ليست بغيرها من كل جهاتها

ثم مدينة « بلنسية » (2) وهي من قواعد الاندلس ودار تجارة رابحة ، ومقصودة لمن ياتي من شرق الاندلس واهلها ذوو يسار

ثم مدينة « مادريد » من أعظم المدن وهي الان دار مملكة الاصبنيول

هذه قواعد مدن الاندلس وأعظمها وفيها ما دونها توسطا وحضارة وصقرا برية وبحرية كطريفة ، والجزيرات ، والجزيرة الخضراء ، والمنكب ، وبطليوس ، وماردة ، ويابرة ، وغافق ، وشربش ، ولبلة ، وقادس ، وآسجة ، ومربلة ، وجيان ، وابدة ، ووادي آش ، وبسطة ، وشنتمرية ، وشلوبانية ، وبرجالة ، وقلعة رباح ، وشنترين ، وقورية ، ومدينة سالك ، وطبيرة ، ووادي الحجارة ، وقلمرية .

---

1) هى عاصمة بهذا الاسم تقع وسط اسبانيا باقليم قشتالة الجديد وجدت قبل عهد الرومان حيث سقطت فى قبضتهم 193 ق٠م اصبحت عاصمة لمملكة القوط الغربيين 507 ق٠م بلغت قمة المجد ايام حكمها المسلمون 712 ـ 1085 ، بعد سقوط الاندلس اقام فيها شارل 5 معظم عهده 1516 ـ 1556 لها اهميتها اليوم كعاصمة روحية للكاتوليكية الاسبانية من معالمها الاسلامية جسر القنطرة عبر نهر باجة كما انها مركز من مراكز الفن الاسلامي كما انها مركز لفن المدجنين

2) هى مدينة وميناء تجاري وصناعي ثم عاصمة لاقليم على ساحل الابيض المتوسط شمال اسبانيا ، كانت امارة اسلامية وفى القرن 11 انتقلت الى حكم المرابطين والموحدين حتى غزاها جيمس 1 حاكم اراجون 1238 ـ 1252 م الفي انضمامها الى المملكة الاسبانية في القرن 18 .

هذه مدن غرب الاندلس .

وفى شرقه : لفته ، ودانية ، وطركونة ، ومورقة ، وشقورة ، ومرسية ، وشاطبة ، وشقر ، وطرطوشة ، وجنجالة ، وابدة ، وافراغة ، وقلعة أيوب ، وسرقسطة ، ولاردة ، وجرندة ، وقرقوشنة ، وبرصلونة ، واربونة ، ومشامون ، وشلمنكة ، وشغوبية

وزاد الكفار لما استولوا عليها غيرها لا خبرة لنا بها ، انما نسمعها من تجارهم ، وبحارتهم ، اعادها الله للاسلام ، بجاه النبي عليه السلام .

بطليموس وضع الاسطرلاب والكورة وقسم الربع المعمور :

قال فى ديوان الاسكندر (1) وديوان بطليموس بعده الذي وضع الاسطرلاب والكورة ، وقسم الربع المعمور على الاقاليم السبعة

ان الاندلس فى الاقليم الرابع ، بعضها فى آخره من جهة المغرب ، وبعضها فى الخامس ، وارتفاع القطب الشمالي فى الجملة ثمانية ادراج وكسر ، وهو شكل مثلث ، ركنها الواحد فيما بين المغرب والجنوب ، عند صنم قادس القريب من مجمع البحرين ، وركنها الثاني من بلاد جليقية ، حيث الصنم المشبه بصنم قادس ، يقابل جزيرة برطانية ، وركنها الثالث بين مدينة برجونة ومدينة برديل ، حيث يقرب البحر المحيط الغربي من البحر الاخضر الشامي، ويكادان يجتمعان بذلك الموضع ، ولم يبق بينهما الا مرحلتين أو نحوهما من البر ، وذلك المدخل من البر الكبير الى الاندلس ، ويقال له باب الابواب

---

1) هو الاسكندر الاكبر او الثالث كما يعرف (356 ـ 323 ق٠م)ملك مقدونيا ابن فليب الثانى من اوليمبياص تتلمذ على ارسطو ، واخضع الثورات التى قامت بعد موت ابيه فى المدن الاغريقية وتراقيا والليريا حارب الفرس 334 ق٠م حارب صور وغزة مدة سنة وفى 332 احتل مصر بواسطة استسلام واليها الفارسى ، وفى نفس السنة أسس الاسكندرية ، حارب ولم ينهزم الا امام الصحراء حل بسوسة 324 ق٠م حيث تزوج هو ورفاقه ورجال دولته باتخاذ زوجات شرقيات وكان من نصيبه الاميرة روكسانا وفي 323 اصيب بالحمى ومات وعمره 33 سنة دون وصية او ترشيح خلف له او تنظيم طريقة الحكم فى تلك الامبراطورية الواسعة ولكنه رغم ذلك مات وقد سجل التاريخ له ما لم يسبق له من فتوحات وانه أول من حاول ربط الشرق بالغرب عن طريق المصاهرة كما كان تواقا الى نشر المحبة والمساواة ، ولكن قواده من بعده نقموا عليه كل هذه الافكار فتفرقت الامبراطورية واحتفظ التاريخ للاسكندر الاكبر ما لم يحتفظ به لاحد قبله

اول من عمر الاندلس :

وأول من نزلها وعمرها أولاد اندلس بن يافت بن نوح عليه السلام ، وقيل اولاد طوبال بن يافت عليه السلام ، وهم الاصبهانيون الذين يعرفون بالاسبانيين ، وعدة ملوكهم بها مائة وخمسون ملكا ، وكثر نسلهم بها ثم لحقهم بها أجناس الروم ، وكانوا يحاربونهم الى أن الجئوهم لبر العدوة ، حيث الزقاق اليوم ، قبل أن يحفر ، واستقر بنو يافت به وأسس سبت « سبتة » ، وطنج « طنجة » ، وابلوش « بلشة » ، وجعلوها معاقلا لحراسة من ياتيهم من بر العدوة من البربر ، واقاموا على ذلك دهورا الى أن عمرت هذه الاندلس وغصت باجناس الروم والفرنج

وأول من غزاها من ملوك الاجناس الاسكندر اليوناني لما غلب اجناس الروم وقدم مع البر الكبير واستولى على ممالك الدنيا ؟ ودخل الاندلس وحارب اهلها ولقي من بأسهم وشدتهم ما لم يلقه من احد الى أن غلبهم ، واستكانوا لصولته ، وطاف على اقطارها الى أن بلغ طريفة (1) ، فتوجه اليه بنو يافت المتحيزون الى سواحل العدوة ومتوا اليه بالجلدة اليونانية ، وشكوا اليه ما يلحقهم من ضرر البربر أهل العدوة ، يدخلون اليهم من المدخل الذي هو الزقاق الآن قبل حفره ، فتوجه الى موضع الزقاق وعبره وأحضر اهل المعرفة فوزنوا الارض التي بين البحر الاخضر والاعظم ، فوجدوا البحر الاعظم يعلوا البحر الاخضر بدرجات ، فجمع الصناع والمهندسين وامر أن يحفر الزقاق فى ذلك المدخل من طرق البحر الاخضر (2) الى أن بلغ لطرق البحر الاعظم ، ولم يبق له الا مقدار السد ، وامر ببناء جانبي الزقاق

---

1) طريفة هي مدينة بالاندلس بمقاطعة قادس وميناء بحري محصن على مضيق جبل طارق سميت باسم القائد العربي طريف 710 م •

2) يقصد بالبحر الاخضر البحر الابيض المتوسط وهو بحر داخلي يقع بين اوربا الجنوبية وافريقية الشمالية وآسيا الغربية ويتصل مع المحيط الاطلسي ببوغاز جبل طارق، ومع البحر الاحمر بواسطة قنال السويس ، فهو بحر يمتاز بمناخه الحار وبقوة نسبة الاملاح فيه ، وبضآلة حركتي المد والجزر ، ولعل الممر الضيق الواقع بين جزيرة صقلية وتونس يقسمه الى حوضين اثنين :

أ ـ البحر المتوسط الغربي • ب ـ البحر المتوسط الشرقي •

وتبلغ اقصى نقطة فى عمقه 4٠400 متر وقد كان هذا البحر هو المركز الحيوي في العصور الاولى من التاريخ وقد فقد قسطا من أهميته على اثر الاكتشافات العظمى خلال القرنين 15 ـ 16 للميلاد الا انه قد استعاد صولته حينما اصبح يعتبر احد الطرق العظمى العالمية للملاحة البحرية وذلك بفضل حفر قنال السويس سنة 1869 كما ان هذا البحر سمى ببحر الروم لكثرة استعماله من قبل الرومان فى فتوحاتهم وغزواتهم ، وسمى بالمتوسط لتوسطه بين قارات العالم القديم ، وبالاخضر لما اكتنفه من الغابات والبساتين من حوله •

بالصخر والجير كالرصيف ، الى أن استويا مع الارض ، وبقـــي الزقاق فى الوسط كالدرب ، وأمر بحفـر « الميـنــات » (1) وملأهــا بارودا تحت ذلــك السد الذي بقي حائلا بين البحرين ، وقذف النار للمينات فانقلع السد ودخل البحر الاعظم للزقاق ، واخذ ما وجد أمامه فى ساحلي البحر الاخضر من المدن والقرى من بر العدوة ، وبر الاندلس ، الى الواسطة ، الى افريقية ، الى برقة الى سواحل مصر والشام وبلاد الترك وبلاد الروم ، الى الاندلس ، وامتلأ البحر الاخضر ولم يسلم من عمارة سواحله الا ما كان مرتفعا على ربوة، أو جرف ، او جبل ، وما كان فى البسـائط فغرقه ، وعلى فوق الرصيفيـن اللذين بنى الاسكندر بقامتين ، واستراح أهل الاندلس من ضرر البربر ، ورجع الاسكندر من طريقه الى المشرق ، فهو أول من دوخ أجناس الـــروم بالاندلس ، واستولى على ممـاليكهم ، وذلك بتاريخ ستــة آلاف واربعمائــة سنة من هبوط آدم ؟؟

واستمرت الاندلس تحت ملكية اليونان الى أن غلبهم الروم الاغريقيون اهل انطاكية ، واستولى عليهم ملكهم « اكشان » وهو القيصر الاعظم على اكثر الدنيا ، وجمع كلمتهم كجمع الاسكندر لها أو أكثر ، وتوجه مع البر الكبير الى أن بلغ الاندلس ، واستولى على ممالكها وعساكرها ، وقبض على ملوكها واعيانها ، وقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، وبنى بالاندلس آثارا عظيمة ، وكان اكشان هذا فى زمن المسيح ، وفى أيامه تنصرت الروم ورجعت على دين عيسى عليه السلام .

وكان ذلك على راس ستة آلاف وخمسمائة سنة من هبوط آدم عليه السلام ؟؟

وبقي ملك الاندلس بيد القياصرة الى أن غلبهم عليها « كلس » ملك الافرنج وملك بلاد الروم ، ووضع صنم قادس وصنم جليقة ، وذلك بتاريخ ستة آلاف وست مائة سنة

الحروب التى وقعت بالاندلس بين الاجناس

وفى تاريخ ستة آلاف وسبعمائة سنة وخمسين ، ملــك الاندلـــس الرومانيون أهل رومة ، وملكوا اجناسها ، وصيروهم تحت قهرهم وغلبتهم ، وانزلوا عساكرهم بها

---

1) يقصد المتفجرات وفيها دلالة على اقتباس ابى القاسم للمفـردات المستعملـــة فى لغـــة الـروم آنـــداك .

وفي تاريخ ستة آلاف وثمانمائة ، دخل الاندلس « بلغار » ملك الافارقة اهل افريقية ، وحارب الرومانيين والاندلسيين حروبا عظيمة آخرها هزموه وقتلوه ، واستولوا على عسكره بما فيه

وفي تاريخ ستة آلاف وتسعمائة سنة ، دخل الاندلس انثل « كذا فى الاصل » (1) ملك الافارقة ، في مائة وعشرين الفا ، نزل بسواحلها ، وحارب اهلها ، وقتل امراء الرومانيين ، واستولى على جميعها ، وخرج على البر الكبير ، وشق الطريق فى الجبال الشواهق التي بين الاندلس والروم « بالهند » (2) والنفط والنار والخل ، وكان فعله فى ذلك أمرا غريبا ، وحارب الفرنج والبشكنسير والجليقيين والنفروديين ، واستولى على جميعهم ، وبلغ مدينة رومة فحاصرها وحاربها ، وترك نصف عسكره على حصارها ، وتقدم الى القسطنطينية فملكها ، والى انطاكية فملكها ، ودوخ اجناس الروم، واستأصلهم ورجع الى حصار رومة ، فأقام عليها ست عشر سنة ، والحرب قائمة ، وبعث الى قرطاجنة بثلاثة صناديق مملوءة بخواتم الذهب ، وقال هذا عدد من قتلت من أشرافهم واعيانهم ، فضلا عن عامتهم ولم استوف بثار جدي بلغار الذي قتله أهل رومة بالاندلس ، وبقي الحرب بين الافارقة والرومانيين دهورا ، الى أن غلبهم الرومانيون بمكيدة : خرج سلطانهم بالليل، وركب سفينة ، وتوجه الى صقلية ، واحتشد منها ، وسار الى افريقية ، ونزل بساحلها ، وحاصر قرطاجنة دار ملك الافارقة ، وضيق بهم ، وكتبوا

---

1) لعل المؤلف يقصد هانيبال الذي يطلق عليه بعض المؤرخين العرب حن بعل • فهو الذي كان بافريقية وهو الذي حارب الرومانيين وحطم كيانهم عاش ومات من 247 الى 128 ق•م وهو ابن ها ميلكارو عدو الرومان اللدود بل اكبر خصم عرفته روما فى الحروب البونية خلف زوج اخته هازدروبال فى قيادة القوات القرطاجنية فى اسبانية 221 ق•م عبر جبال الالب وفتح ايطاليا واستولى على وادي « البو » وفى 217 ق•م عبر جبال الابنين ليزحف على روما ولكنه تجنب اسوارها الى جنوب ايطاليا حيث اثار حلفاء روما ضدها •

احرز نصرا كبيرا سنة 216 ق•م ولكن قرطاجنة لم تستطع امداده فعدل عن مهاجمة روما بعدما زحف عليها فى 207 ق•م •
وفى 203 استدعى للدفاع عن قرطاجنة ضد اسكيبيو لكنه انهزم فى موقعة زاما 202 وبعد عقد الصلح 211 اصبح الحاكم الرئيسي فى قرطاجنة ، ولم تلبث روما ان طالبت بتسليمه اليها ، فبارح بلاده من للقاء نفسه مفضلا النفي على الاسر وعندما استقر به المقام فى بيثينيا وشعر ان مضيفيه على وشك تسليمه للرومان انتحر حتى لا يقع فى قبضتهم •

وبالرغم من ان جل ما كتب عنه بعد من اعدائه فانهم لم يستطيعوا تجريده من وصفه بانه من اعظم قواد البشرية الى جانب ما كان يتصف به من حلم ورحمة •

2) آلات الحفر والنقب المصنوعة من الحديد والصلب ، والطلاق وارد من اطلاق العرب على السيف المصنوع بالهند •

الى ملكهم انثل وهو على حصار رومة ، وأعلموه بما هم فيه من الحصار ، فارتحل عن رومة وقدم فى مراكبه الى بلاده افريقية ، وخرج لمحاربة اهل رومة ، فتوالت عليه الهزائم الى أن غلبوه ، وملكوا بلاده واستولوا على افريقية كلها ، ودخلت تحت قهرهم وغلبتهم ، وانزلوا عساكرهم بها ، **وذلك** بتاريخ سبعة آلاف من هبوط آدم ، واستمر الحال على ذلك الى أن تولى الملك « ايور » الذي هو الرابع والثلاثون من ملوك القياصرة ، اهل رومة ، فتقوى عليهم الافرنج والقوطيون ، وضعف ملكهم ، وخرج القوطيون الى ناحية الشمال ، وأبعدوا عن رومة ، وغلبوا عليها ونهبوها ، وصالحوهم على ملك الاندلس ، فرفعوهم له ، ودخل القوطيون (1) الى الاندلس وحاربوا أجناسها من الفرنج والعندليس والرومانيين والجليقيين فغلبوهم وقهروهم ، واستولوا على ممالكهم ، واستوطنوا الاندلس ، وصيروا دار ملكهم طليطلة واشبيلية ، وعدد ملوكهم بالاندلس سبعة وثلاثون ، ومدة ملكهم بها أربعمائة سنة ، الى أن جاء الاسلام

أول من فتح الاندلس طريف وطارق :

وجاز للاندلس أبو زرعة طريف مولى موسى بن نصير ، عام تسعين ، فى شهر رمضان منه ، وفى عام واحد وتسعين جاز لها طارق بن زياد الليثي مولى موسى بن نصير الهمداني ، عامل الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وغلب القوطيين عليها واستولى على دار ملكهم بطليطلة ، ولحقه موسى بن نصير فاكمل فتح الاندلس ، وتوجه مع البر الكبير الى أن قرب من رومة واقام فى غزوة ثلاثة أعوام .

ولما رجع خلف بالاندلس ولده عبد العزيز ، وتوجه لافريقية ثم للشام، **وذلك** عام أربع وتسعين ، وتداولها بعده أمراء بني أمية من افريقية ستة

---

1) هم القوط الغربيون واصلهم من الجرمان • انفصلوا عن الشرقيين اوائل القرن 4 م تغلغلوا فى ولايات الدانوب • اول من نصرهم اولفيلاس • هربوا بعد اثر غزوة الهون وكان زعيمهم فريتجرن • ولكن نزاعهم مع الموظفين الرومان ادى الى تاديبهم من قبل فالنز الامبراطور ورغم مقاومتهم انهزموا فى درنة 378 ونزلت روما 382 عن بعض الولايات كي يقيموا بها على ان « آلارك » الاول الذي نودي به ملكا عليهم 395 بدا فتوحات دفعتهم الى ما وراء ايطاليا ثم بعد الارك اروما 410 ثم دفعهم الملك اتولف الى جنوب بلاد الغال وشمال اسبانيا 412 ووسعوا ممتلكاتهم الاسبانية • على حساب الوندال واندفعوا شمالا الى اللوار • وبلغت قوة القوط اوجها فى حكم يوريك ولكن الفرنجة هزموا الارك فى سنة 507 ونزعوا منه جميع اراضيه شمال البرانس ومن ثم اصبح تاريخ القوط فى صميمه تاريخ اسبانيا وكان آخر ملوكهم رذريق الذي هزمه طارق بن زياد المصمودي 711 م •

عشر أميرا ، فى مدة اثنتين واربعين سنة ، الى عام مائة وسبعة وثلاثين دخلها عبد الرحمن (1) بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الاموي ، وهو الذي يقال له صقر قريش ، كان أديبا بليغا ناظما ناثرا ، قال الرازي وقف بين يديه أحد جند قنسرين يستجديه ، فقال له يا ابن الخلائف الراشدين والسادات الاكرمين ، اليك اتيت ، وبك عززت ، من زمان ظلوم ، ودهر غشوم ، قلل المال ، وخشن الحال ، فانت ولي الحمد ، ورب المجد ، والمرجو للرفد ، فقال له عبد الرحمن على البديهة قد سمعنا مقالتك ولا تعودن لاراقة ماء وجهك بتصريح المسألة ، والالحاح فى الطلب ، واذا الم بك خطب ، ودهاك امر ، فارفع الينا ذلك فى رقعة ، وأمر له بجائزة سنية ، واستمرت بيد بني أمية ، الى الاربعمائة ، وقام بها ملوك الطوائف (2) الى الثمانين او نحوها ، فملكها لمتونة (3) ملوك المغرب ، ثم بعدهم ملوك الموحدين (4) ثم

---

1) هو عبد الرحمن الملقب بالداخل توفى حوالي 788 م اسس دولة بنى امية بالاندلس بعد زوالها بالمشرق عبر فلسطين ومصر ثم المغرب • وقد ساعده على تأسيس دولته ما كان عليه العرب من انقسام الى مضريين ويمنيين من جانب ثم ما كان عليه العرب ازاء البربر من جانب آخر وفى قرطبة نودي به اميرا سنة 756 م حيث استمر حكم بنى امية الى 1031 حيث زال نهائيا •

2) قام ملوك الطوائف بالاندلس من 1023 الى 1092 بعد اضمحلال بنى امية بالاندلس وثب الامراء والوزراء والزعماء والاعيان عربا وبربرا قام كل واحد بالامر فى ناحية بالاندلس ومنهم

1) بنو عباد باشبيلية : (1023 – 1061)
2) بنو جهور بقرطبة : (1031 – 1070) ثم ضمت قرطبة الى اشبيلية
3) بنو حمود بالجزيرة : (1035 – 1058)
4) بنو زيري بغرناطة وبنو برزال بقرمونة فى 1067
5) وبنو مزين بشلب (1028 – 1051)
6) وبنو مجاهد بدانية •

3) هى دولة المرابطين 1053 – 1147 هم من صنهاجة احدى قبائل المغرب اسس دولتهم ابو بكر بن عمر اللمتوني 1087 واشهر ملوكها يوسف بن تاشفين صاحب معركة الزلاقة 1086 التي كانت نهاية عهد ملوك الطوائف وبداية عهد جديد تحت حكم المغرب وتوفى يوسف 1106 ثم ملك بعده علي وتاشفين وابراهيم واسحاق بن علي وكان آخرهم بالاندلس يحيى بن غانية المسوفي 1148 اما فضل هذه الدولة وموجهها عبد الله بن ياسين فلم يقتصر على المغرب والاندلس ، بل يرجع الفضل فى انتشار الاسلام بغانة القديمة الى عبد الله بن ياسين

4) من دول المغرب التى حكمت الاندلس وشمال افريقية من 1130 الى 1269 اسسها محمد بن تومرت وتلميذه عبد المومن بن علي ، بلغت ذروة المجد فى عهد ابو يوسف يعقوب المنصور (1184) الذي انتصر فى معركة الاراك « 1195 » كما خلف كثيرا من العمران• وفى عهده ازدهرت المعرفة ووجد الفلاسفة مبتغاهم فى بلاطه كابن طفيل وابن رشد اعظم فلاسفة الاسلام فى القرن 12

ومن ملوك الموحدين ايضا محمد الناصر ، وابو يعقوب يوسف 2 وابو محمد عبد الواحد، ويحيى المعتصم بالله ، وابو العلاء ادريس المامون ، ثم اخرهم ابو العلاء ادريس الواثق بالله وفى الاندلس كان آخر حكم الموحدين معركة (العقاب 1212) ثم انقسمت 1268 واستولى المرينيون على دولة مراكش 1269

بعدهم ملوك بني مرين (1) مع بني الاحمر (2) من العرب الخزرج ، ملكوها الى ان استولى عليها الكفار دمرهم الله تمام الالف

الزياني في تونس :

رجوعا : **ولمـــــا** قضينا الغرض بمالقة ، وسافرنا منها وقعت بنا فرتونة في البحر ، تكسر لنا فيها احد صواري المركب فدخلنا تونس لاصلاحه وكان هذا الباشدور لما خرجنا مالقة ، طلب مني أن ندخل للجزائر ليدفع الكتاب الذي معه لباشا الجزائر ، فلم أوافقه لان امير المؤمنين أوصاني على عدم الدخول لها

ولمـــــا تكسر لنا صاري المركب دخلنا مرسى تونس وكتبت لاميرها « حمودة » (3) أن يوجه لنا المعلمين لاصلاح المركب بحلق الوادي ، فلما ورد عليه الكتاب ، وجه أصحابه بالخيل والبغال ، لركوبنا وركوب خدامنـــا ، واقسم علينا ان ناتيه للمدينة للضيافة ، حتى يصلح المركب ، فاسعفنـــاه وتوجهنا اليه فاكرمنا ، واقمنا عشرة ايام ، الى ان اصلح ما كان تكسر في المركب ، وركبنا ووجه لنا غنما ، وبقرا ، وزادا ، وتوجهنا من تونس .

في بلاد الترك :

ولمـــــا دخلنا جزر بر الترك استأنس هذا الباشدور ، وسرح لسانه بالشتم في دولة المغرب وأهله ، وهو يسمعني ذلك ، فواعظته المرة بعد المرة ، ونهيته فلم يرجع عن فعله ، واستمر على ذلك الى أن الجأنا البحر واهواله الى مرسى الشيشمة واشرفنا على المهالك وايسنا من الحياة ، والمركـــب مشرف على التلف بكلنا ، وهو يسب أمير المؤمنين ويدعوا عليه ، فقمت اليه واخذت بلحيته وقبضه خدامي وهو يصيح ، فقلت والله يا ملعون لاتقرب

---

1) المرينيون اسرة حكمت المغرب (1195 ـ 1470 اتسم حكمهـــا بالقـــوة والعظمـــة. برز منها يعقوب بن عبد الحق وابنه يوسف وابو سعيد عثمان وابو الحسن علي وابو عنـــان الذي بمقتله ساد الوزراء وطغى نفوذهم وضعفت الدولة واحتل البرتغاليون اجزاء من شواطىء المغرب ، ثم آل الحكم الى ايدي الوزراء الوطاسيين وكان أولهـــم ابو زكريا يحيى بن زيان الوطاسي ، الذي كان وصيا على عبد الحق آخر ملوك بنى مرين. ومن آثـــار المرينيين بالمغرب كثير من المدارس والمساجد والقناطر وغيرها

2) هـــم آخـــر عهـــد العـــرب بالانـــدلس

3) هـــو من اسرة حسين باي الاكبر مؤسس دولة البايات بتونس 1705 على عهد هذا الامير ضعفت الدولة وفي عهد خلفه استولت فرنسا على الجزائـــر ايـــام محمـــود الـــذي تولـــى 1815 وحسين 1823

بذبحك قبل الموت ، وجاء الرئيس واعوانه فرغبوني (1) فيه وسرحوه من يدي ، وخلصنا من تلك الورطة ، ودخلنا المرسة ، وارسينا بها ، ونزل من المركب للمدينة ، واجتمع بحاكمها وطلب أن ينزل بها ، ويتوجه فى البر للاصطنبول ، فوجه الوالي صاحبه واخبرني بما طلب منه الباشدور ، فقلت لا يمكن هذا ، لان الرجل معه هدايا من السلطان لاهل الدولة ، ومكاتب وساعات للوزير ، ولقبطان باشا وللكاهية ، وانا المكلف بها ، فلا تخرج من يده الا بعد حضوري على دفعها فتوجه واخبر الوالي ، فوجه خليفته يطلبني فى النزول عندهم ، والاستراحة ، الى أن يطيب الهواء وحتم علي ، فما وسعني الا اجابته ونزلت من المركب ، وتقدمنا لدار الوالي ، فخرج لملاقاتنا ومعي ترجمان تركي جاء معي من الصويرة ، ففرح بنا ، واظهر السرور والبشاشة بمقدمنا ، وادخلنا مجلسه ، فوجدنا اسماعيل افندي هناك ، فقام ومن معه للسلام علينا

ولما فتح الكلام فى قضية اسماعيل افندي ، قلت له هذا الترجمان الذي هو منكم ومن بلادكم يجيبكم عن فعله وقوله ، فصار يعد لهم اقواله وافعاله الى أن سب السلطان محمد ، وسب السلطان عبد الحميد ، فالتفت الوالي عنه ، وقال والله يا أفندي انت لجدير بالذبح والحرق، والتّفت الي وقال ما ذكر لنا هذا ، فنريد منك أن تسامحه ، والا عاقبناه نحن ، واستمر فى العذر ، وطلب التجاوز عن حمقه الى أن طابت نفسي ، وحضر الطعام ، فأكلنا وشربنا وبتنا عنده فى اكرام وانعام ، ومن الغد دخلنا حمامه، واجتمع علينا أعيان البلد بالفواكه والفوانيد ، والحلاوات ثلاثة أيام ، الى أن طاب الهواء ، وركبنا وسافرنا الى أن بلغنا للاصطنبول ، وارسينا بمرساها

فى اسطنبول

ولما راى قائد المرسى سنجق (2) الباشدور ، جاءتنا الفلوكة تسأل من أين الباشدور ، فقلت من سلطان الغرب ، فتوجه الخبر الى الوزير الاعظم ، وقدم علينا أصحاب الطلبة ابن عثمان والوزير ومولاي عبد الملك وابن يحيى (3) ، وجدناهم لا زالوا بالاصطنبول ، وجدوا الركب الاصطنبولي

بقصد طيبوا خاطري رافة به والتعبير مغربي يقال رغبه فلان ان طلب منه النفع والسماح ..

2) سنجق الاسم القديم لايالة هاتاي ، ج تركيا ميناؤها الاسكندرونة ضمت الى سورية 1920 ثم عادت الى تركيا بعد اشتباكات ورقابة عسكرية من فرنسا وتركيا. ولا تزال سورية تطالب بها حتى الان .

3) بعثة السلطان سيدي محمد بن عبد الله الى الحجاز .

سافر ، واقاموا الى العام القابل ، فاخبرونا بما هم عليه من التباين مع أهل الدولة ، والمنافرة ، بسبب انهم لم يعطوهم هدية ، ولا عرجوا عليهم بما هو قانون فى دولتهم ، فاهملوهم ولم يعتنوا بهم ، الا ما هو معلوم من النفقة للواردين على الدولة .

ولما بلغ خبرنا للوزير ، عينوا الدار لنزولنا ، ووجه لنا الخيل لركوبنا، وركوب أصحابنا ، « والجوخا دارية » الذين يتوجهون معنا ، على هيئة أعيان الدولة ، ووجهوا الكراريط (1) لحمل حوائجنا ، وضرورياتنا الى أن بلغنا الدار ، فقدم علينا السيد محمد بن عثمان ، والسيد عمر « لوزيرق » ، وابن يحيى للسلام علينا ، وكانوا مفترقين متقاطعين ، مولاي عبد الملك فى دار معه ابن يحيى ، وابن عثمان ولوزيرق فى اخرى ، واقام معنا الاغا (2) بالدار ، وهو المكلف بنزول الباشدورات ، وبالصائر عليهم ثلاثة أيام ، الى أن أطلعنا على الاحوال وعرفنا بقوانين الدولة ، وبما وقع لمولاي عبد الملك ورفاقه ، من ابطال قوانين الدولة التي هي أساس كل جميل ، وبعد سبعة أيام ، وجه لنا الوزير الخيل « والجوخا دارية » فركبنا ، وتوجهنا لملاقاته بدار الوزارة العظمى ، فقام لملاقاتنا وعانقنا ، وبالغ فى التكريم والتعظيم ، ودفعنا له المكاتب السلطانية ، وسألنا عن امير المؤمنين وعن أحواله ، وعن سفر البحر واهواله ، وخلع علينا « الكرك والشال » ولاصحابنا « الفرجيات والقفاطين » وطيبنا وخرجنا لمحل خليفته كاهي باي ، فسلمنا عليه ، وسألنا ، وفرح بمقدمنا ، ثم دخلنا لمقعد كبير الكتاب ، رئيس افاندي ، فسلمنا عليه ، وهش وبش وسأل عن الاحوال ، وطيبنا وسقانا قهوة كمن سبق ، ثم خرجنا من عنده ودخلنا لمحل صاحب الاموال ، داخلها ، وخارجها ، « الدفتر دار » فسلمنا عليه ، وسألنا واظهر البشر والسرور ، وطيبنا وسقانا قهوة ، ثم خرجنا ودخلنا المجلس « التشرفتشي » الذي صحبنا حين دخولنا لدار الوزارة ، وجلسنا عنده أولا ، الى أن أخبر الوزير بقدومنا ، وادخلنا عليه ، وكان يطوف بنا على أهل الدولة ، وجلسنا ببيته فقدم لنا سفرة الطعام من عند الوزير ، فأكلنا وشربنا القهوة ، وطيبنا ، وخرجنا ، فركبنا وتوجهنا للبيت

---

1) كذا ورد فى الاصل ولعلها « الكراريص » حسب اللسان الدارج المغربي وهي العربة
2) اغا فى اللغة التركية الشرقية الاخ الاكبر ويعنى بها الاب او الجد او العم وفى التركية العثمانية الرئيس او الشيخ او السيد وكان يحمل هذا اللقب صغار الضباط، وخصيان القصور ، وقائد الانكشارية ، ويكتبها الفرس « اقا » .

ومن الغد وجهنا الهدية للوزير وأهل دولته ، كل واحد منهم بهديته ، على قدر منصبه ، مع الترجمان الذي معنا ، والكاتب فاعطاهما ، كل واحد منهم ، ما هي عادته ، ولما فرغنا من امر الهدية وقراوا المكاتب ، وجهوا لنا ما هو معلوم عندهم من حق الحمام ، ومكافاة الهدية ، كل واحد من الوزير واهل دولته يوجه لنا ليلة للضيافة ببيته ، ومن الغد يتوجه بنا للنزهـــة فى بستانه ونعود لبيتنا ، ومن الغد يوجه لنا مكافاة الهدية ، كل على قدر منصبه وبعده الثاني والثالث الى تمام جميعهم ، وكانوا يقصدون بذلك نكاية من سبقنا ، ولم يعرجوا عليهم بهدية ، فلم يعرجوا عليهم بمكافأة ، ولا ضيافة ولا حمام ، فلما راى ذلك ابن عثمان ولوزيرق ، قالوا ان هذا الهوان اوقعنا فيه عبد الملك وابن يحيى ، فعينا هدية وجهاها لاهل الدولة ، فتضاحكوا عليها ، وقالوا بعد خراب البصرة ، فاهملوها ، ولم يكافوا عنها ، واخبرنا الكاهي باي بها ، لانه كان يوجه لي كل ليلة خميس أبيت عنده ببيته ، ويحضر أهـــل السماع ، وكان شريفا أصله عربي من العبيديين ملوك افريقية ومصر ، وكان مؤرخا ، اديبا ، فاضلا ، يحسن اللسان العربي ، **وكان لي أيضا** اتصـــال ومصافاة مع الوزير الاعظم يوسف باشا

ومن جملة اكرامه لنا امر الاغا الذي نزلنا عنده ، وهو المكلف بامرنا ، والقائم بضرورياتنا ، أن يتوجه بنا للوقوف على جميع الاماكن المعتبرة عندهم بالاصطنبول ، « كبيت المال » ، ودار « الضرب » ، التي تخدم فيها سكة الذهب والفضة ، « ودار الصنعة » ، التي تفرغ فيها المدافع والمهاريز ودار « القز » التي يخدم فيها الوشي والديباج والطرز والالوية والستور ، لدار المملكة ، « ودار الزجاج » التي يخدم فيها الزجاج ، والبلور ، « والطرسانة » التي تنشأ بها المراكب القرصانية ، السلطانية ومرسى مراكب السلطـــان الجهادية ، « ودار الهندسة » التي يتعلم بها علم الهندســـة والحســـاب والتنجيم « ودار الكاغيد » التي يصنع بها أنواع اجناس الورق وانواعه ، واوقفونا بها على دار مصنوعة كلها من الكاغد ، حيطانها وسقفها ، وقرمودها ، وزليجها ، ودفعها (1) ، وفرشها ، وجميع آلاتها ، حتى آلات الطبخ ، الا الماء. « ودار العدة » التي يصنع بها آلة الحرب ، « ودار النيشان » التي يتعلمون بها رماية المدافع والمهاريز ، ويرمون على الشارة ، وكل من صادفها يقبـــض عددا معينا ، ومن قاربها دون المصيب ، وهي على سبعة مراتب ، وفى كل يوم نركب ويتوجه بنا لمحل من هذه الاماكن المذكورة ، فاذا بلغناه ودخلناه ، يلقانا

---

1) الدفـة فى لهجـة العامـة بالمغرب الباب

امينه وخدامه بالتشريف والتعظيم ، واظهار السرور ، ويقفوننا على عملهم وصنائعهم ، واذا فرغنا من المشاهدة ، يحضرون سفرة الطعام والفوانيد ، والمرقدات ، والاشربة المختلفة ، وقت الانصراف يوجهون معنا احد الخدام بهدية من عملهم ، يصل بها الى البيت ، وبعد الفراغ من هذه الاماكن توجهوا بنا الى زيارة الشيخ ابي أيوب الانصاري (1) ، رضي الله عنه ، بمدينـــة يسمونها أيوب سلطان ، على ساعة ونصف ، لمن يتوجه فى البر ، ولمن يركب فى الزوارق فى البحر ، على ساعة من الاصطنبول .

ولمـــا بلغناه قدم علينا قائد البلدة وأعيانها ، الى أن فرغنا من الزيارة وتبركنا بمقامه وتربته المباركة ، وانزلونا بدار الحاكم وبالغوا فى الاكرام وفى رجوعنا وقفت على رجل على شاطىء البحر يتطلب ، فنادى فاخبروني انه مقعد ليس له رجلان ولا فخذان الا البطن ، كالمزود ، بها ثقبتان للبول والفائط وهو أعمى وينشد الشعر بالعربي ، والتركي ، والفارسي ، فوقفنا عليه وكلمناه بالعربي فأجابنا به وقال

وان اكتفى غيري بطيف خياله فانا الذي بوصاله لا أكتفي

فأعطيناه صلة وعجبنا من حاله ، ومثل هذا ذكره الشيخ اليوسي فى حسن المحاضرة ، ان الرئيس محمد الحاج الدلائي ، أخبره انه لما رجع من الحجاز ونزل مصر خرج للقائد الفقيه النبيه أبي العباس المقري ومعه رجل ضرير البصر ، فقال له : هذا الضرير من اعاجيب الدنيا فى بديهة الشعر ، فالق عليه اي بيت فى اصعب قافية ، يات به ارتجالا ، فاتيتكم به ، لتشاهدوا من عجائب هذه البلاد ونوادرها ، وتذهبوا بخبر ذلك لبلادكم ، فاقترحوا عليه بيتا يقول عليه ، قال محمد الحاج فخطر على بالي بيت ابن الفارض (2) وهو:

---

1) ابو ايوب الانصاري تـ 669 م صحابي تقى كان يحمل الراية فى غزوات النبى صلى الله عليه وسلم الح رغم تقدم سنه على اللحاق بحملة يزيد بن عبد الملك لفتح القسطنطينية 669 م ومـات اثناء الحصار ودفن عند احد ابواب المدينة ، نسجت الاقاصيص حـــول انتصاراته ولا سيما عند العثمانيين ايـام فتحهم القسطنطينية (1453) شيد السلطان محمد الفاتح مسجدا من الرخام الابيض اشتمل على ضريح كبيـر يعـرف اليـوم بأن جثمـان ابى ايـوب يرقد فيـه وهو من مـزار المسلمين من انحاء العالـم

2) هو عمر بن ابى الحسن (1181 – 1234 م) عرف بكنية ابيه الذي كان يشغل منصب الفارض وهو الذي يثبت فروض النساء على الرجال بين أيدي الحكام • هـو حمـوي الاصل مصري المولد والدار والوفاة ، تصوف بعد دراسة عميقـة وتجـوال بيـن وادي المستضعفين ومكة حيث قضى 15 عاما لقب بسلطان العاشقين • له ديوان صور فيه اشواقه واذواقه فى حب الذات الالهية ومعرفة الحقيقة العلية • وهو يستعمل الرمـوز والاشارة على طريقة الصوفية ، حين يعبرون عن مواجيدهم وحقائقهـم اهم قصائـده التائيـة الكبـرى ، وقـد اهتم المغاربـة اكثر باليائيـة التـي منهـا البيت الذي ردده ابـو علي اليـوســي •

سائق الاظعان يطوي البيد طي منعما عرج على كثبان طي

قـــال فاندفع على هذا الروي فى صعوبته ، حتى أتى بنحو مائة بيت ارتجالا ، قال الشيخ اليوسي وهذا غريب ، فان هذا القدر كله مما يعز وقوعه من العرب المطبوعين ، فكيف بالمولدين ؟ فكيف بآخر الزمن الذي غلبت فيه العجمة ، لكن رب الاولين والآخرين واحد ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، اه

حكاية عجيبة ذكرها فى سبط ابن الفارض :

قلـــت وقد اتفق لقصيدة الشيخ ابن الفارض التي منها هذا البيت ، حكاية ذكرها سبط ابن الفارض ، **ونصها :** قال ولده كان السلطان الملـــك الكامل يحب اهل العلم ويحضرهم فى مجلس مختص به ، وكان يميل الى فن الادب ، فتذاكروا يوما اصعب القوافي ، فقال السلطان من اصعبها اليـــاء الساكنة ، فمن كان منكم يحفظ شيئا منها فليذكره لنا فتذاكروا ذلك ، فلم يتجاوز أحد منهم عشرة أبيات ، فقال السلطان انا احفظ منها خمسين بيتا ، قصيدة ، وذكرها ، فاستحسن الحاضرون ذلك منه ، فقال القاضي شرف الدين ، كاتب سره ، انا احفظ منها مائة وخمسين بيتا ، قصيدة واحدة ، فقال السلطان يا شرف الدين فى خزائني اكثر دواوين الشعراء فى الجاهلية والاسلام ، وانا احب هذه القافية ، فلم اجد فيها اكثر مما ذكرت لكـــم ، فانشدني هذه القصيدة التي ذكرتها ، فانشده قصيدة الشيخ ابن الفارض اليائية ، التي مطلعها !

سائق الاظعان يطوي البيد طي منعما عرج على كثبان طي

فقال له السلطان يا شرف الدين لمن هذه القصيدة ، فلم أسمع بمثلها ، وهذا نفس محـــب

فقال له : هذا نظم شرف الدين ابن الفارض .

قال وفى أي مكان مقامـــه .

فقال كان مجاورا بمكة ، والآن حضر الى القاهرة ، وهو ببيت الخطابة من المسجد الازهر .

فقال السلطان يا شرف الدين خذ هذه الالف دينار وتوجه الى عنده ، وقل له عنا ولدك محمد يسلم عليك ويسألك ان تقبل هذه منه برســـم

الفقراء الواردين عليك ، فاذا قبلها منك ، فسله الحضور عندنا لناخذ حظنا من بركتـــه

فقال يعفيني مولانا السلطان من هذه ، فاني لا أستطيع أن اخاطبه فيه، وان خاطبته لاجل مولانا السلطان فانه لا يأخذ الذهب ولا يحضر ولا أقدر بعد ذلك ان أدخل عليه حياء منه .

فقال لابد من ذلك ، فأخذ الذهب وتركه مع انسان صحبه وقصد مكان الشيخ ، فوجده واقفا بالباب ينتظره ، فابتداه بالكلام ، وقال :

يا شرف الدين ، مالك ولذكري فى مجلس السلطان ، رد الذهب اليه ، ولا ترجع تجيئني الى تمام سنة ، فرجع وقال للسلطان ، وددت ان افارق الدنيا ولا افارق الشيخ سنة ، فقال السلطان مثل هذا الشيخ يكون فى زماني ولا ازوره ؟ لابد من زيارته ورؤيته ، فتوجه ليلة مختفيا ، وقصده لبيت الخطابة ، فلما علم به خرج من الباب الاخر وفر منه واختفى ، وسار الى الاسكندرية واقام بمنارها مدة ثم رجع لمصر لبيت الخطابة ومرض ، فلما سمع السلطان وجه له مع فخر الدين يستأذنه ان يجهز له ضريحا « عند أمه » بقبة الشافعي (1) ، فلم يأذن له ، ثم استأذنه ان يبني له قرارا مختصا به ، فلم يأذن له بذلك ، ثم نصل من ذلك المرض وعافاه الله منه .

فانظر الى علو همة هذا الرجل وزهده فى الدنيا .

حكاية مستملحة وقعت فى زمن مولانا سليمان :

ومثل هذا كان فى وقتنا بمدينة فاس ، زاهد متعبد ناسك شريف اسمه مولاي عمر ، ولا يقبل شيئا مما يعطيه الناس ، حتى أن أمير المؤمنين مولانا سليمان أبقاه الله ، لما بلغه زهده وورعه واعتزاله عن الخلق ، واشتغاله بأمر دينه ، وجه ولده لزيارته ومعه صلة كبيرة ، ولما اجتمع به بمسجد الاندلس، دعا له بخير وترك الصلة وخرج من المسجد كانه يريد قضاء حاجة فلم يعد اليه اهـ .

---

1) كـــذا فى الاصـــل .

بعض عجائب مدينة الاسطنبول :

رجوعـــا وعدنا للاسطنبول عشية اليوم ، ومن الغد توجهوا بنا لمسجد الملوك العشرة التي بالاصطنبول ، وكل مسجد ندخله يدخلوننا الى خزانـــة الكتب التي به ، وهي عبارة عن دار عظيمة ، بابها فى صحن المسجد ، وبها مقاعد كثيرة ، وبها من الطلبة عدد لا يحصى كثرة ، منهم من ينسخ ، ومنهم من يطالع ، وبعد العصر يخرجون ، ولا تعار الكتب ولا تخرج من الخزانة حرصا على حفظها وصيانة لها

ولمـــا دخلنا مسجد السليمانية ودخلنا لخزانتها العظمى ، انزل لنا قيمها«ربيعة»(1) فيها فهرست السلطان سليمان اعظـم ملوكهم ، واعلمهـــم ، مكتوبة فى أوراق من فضة على شكل أوراق القزدير ، كتابتها بالتركـــي ، منحوتة فى الفضة ، مطعمة بحروف من ذهب ، ذكر لنا القيم على الخزانة ان فيها نسبه الى جده سليمان شاه الداخل ، فى اخوانه لبلاد الروم ، على عهد السلطان علاء الدين السلجوقي ، فى ايام الخليفة احمد الناصر لدين اللـــه العباسي ، عام ستة عشر وستمائة ، **وعمود** نسبه الى يافت بن نوح عليه السلام ، وصارت هذه الفهرست عندهم أصلا معتبرا كل من ملك منهم ياتون بها محمولة فى كدش الى دار السلطنة ، يحملونها على رؤوسهم ويذكرون الله علانية ، وتوضع بين يدي السلطان وشيخ الاسلام والقضاء والعلماء والوزراء والامراء ، يتبركون بها ويكتب شيخ الاسلام البيعة ، وفيها يرفع نسبه الى سليمان ، وفيها ذكر اشياخه الذين اخذ عنهم ، ويضعون خواتمهم عليها ، ويدفع لهم الانعام والاكرام ، ويردوها لمحلها الى أن يوجه الوزير للمعلم الذي يكتبها فى ورقة الفضة بالذهب ، وتجعل الورقة فى الربيعة مع الاوراق ، وهذا الوزير هو الذي اتحفني بمطالعة « تأليف الروح » الذي الفه كمال الدين باشا فى دولة آل عثمان ، ورفعه الى السلطان عبد الحميد قبل موته ، وكان فى قيد الحياة عام مائتين والف .

---

1) صندوقا : حسب التعبير الدارج بالمغرب الاقصى ، والربيعة عربية .

الزياني وابن عثمان في بيت كمال الدين باشا :

واختصرت التأليف المذكور واجتمعت بمؤلفه وامليته عليه ، **وخبـــر** عجائب الاصطنبول لا يسعها هذا الاختصار ، **وقد بسطت** الكلام فيهـــا في تأليف الترجمان فليطالعه من اراد الوقوف على ضخامة الاصطنبول

ولمـــا اتيت أول يوم لبيت الشيخ كمال بقصد سرد اختصار كتابه عليه ، وجدت صاحبنا السيد محمد بن عثمان سبقني اليه ، **حيث بلغــه** اختصاري للتأليف ولم يجد هو اليه سبيلا ، بلغ به الحسد كل مبلغ ، واراد رؤيته ، اذ أخبره الترجمان بتوجهي اليه يوم الخميس ، فسبقني حتى يكون وقوفه عليه اتفاقيا غير مقصود

ولمـــا طال بنا الجلوس قال لي الشيخ بسم الله لسرد الكتاب ، فما وسعني الا ابرازه من تحت ابطي ، ارغاما لانف الحاسد الذي من جنســـي ورهطي ، ولما فتحت السرد وقرات فحو الورقة اراد الحاسد أن يسومني باللحن والتخطي ، فقلت له ما قاله ابن القويقع الهاشمي لابن النحاس ، حيث أراد تخطئته بمحضر جم غفير من الناس

لا تتكلم الا فيما تعلم ، ودع عنك ما لا تعلم

فقال له الشيخ ليس هذا محل البحث ، وهذا مما يوقع صاحبه في المقت

والتفت الي وقال : من صاحب هذا المقال ؟

فقلت أعز الله جنابك : انها لمحمد بن القويقع القرشي الهاشمي التونسي أصلا ، المصري دارا ، كان بسوق الكتب ، وابن النحاس بجنبه ، والـــدلال ينادي على ديوان ابن هانيء ، فقبضه من يده ابن القويقع وفتحه ليراه ، فوقع نظره على بيت فترنم به وابن النحاس يسمع ترنمه بالبيت وهو يقول :

فتكات لحظك أم سيوف ابيك   وكؤوس خمرك أم مراشف فيك

ونصب الجميع .

فقال له ابن النحاس يا مولانا الشيخ ، هذا نصب كثير ، فقال له ابن القويقع نزه نفسك عما لا تعرفه ، وابحث فيما تعرفه ، فاني أعرف الـــذي اردت من رفعها ، على انها اخبار ابتداءات مقدرة ، والذي ذهبت انا اليه اغزل وامدح (1) ، وتقديره ، اقاسي فتكاتِ لحظِكِ فكأنما القمه حجرا فأراد

---

1) يعنـــي اكثـــر غـــزلا ومدحـــا

ان يزيل خجله وقال : يا مولانا لم لا تتصدر وتشتغل ، فقال له « وايش » هو النحو فى الدنيا حتى يذكر ، وكانت فيه بادرة وحدة ، وقط ما سعى فى ولاية منصب ،وبعد أن كان نائبا فى الحكم بالقاهرة ، تركه رحمه الله اهـ .

ولما سمع الشيخ كمال هذه الجملة ، قال لا تسرد حتى تمليها علي ، وكتبها ، وكان بالمجلس الشيخ احمد النميلي التونسي ، الذي شرح الكشاف وحسده علماء الاتراك اذ هو عربي ، فقال للشيخ سبحان الله هذا رجل غريب مثلي ، تسلط عليه غريب مثله ، كما يتسلط الغريق فى البحر على الفريق مثله ، فيتعلق به حتى لا ينجوا فيكون تعلقه به سببا لموتهما ، فلله در الصنوبري اذ قال :

محن الفتى اخبرتنا عن فضل الفتى كالنار مخبرة عن فضل العنبر

وقال :

اذا جمعت بين امراين صناعة فأحببت أن تدري الذي هو احذق
فحيث يكون النقص فالرزق واسع وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق

وحيث سمع الشيخ ما سمع قال : ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : الحسد فى العلماء مغروز كما غرز البغض فى الجيران ، وقال الشيخ احمد النميلي قال صلى الله عليه وسلم لم يخلق الله وليا الا خلق له شيطانا منافقا يؤذيه ، فقلت يا مولانا الشيخ ، لسنا من امثال اولائك ، وانما نحن من صعاليك البربر الذين لا يميزون بين الطيب والخبيث ، فقد قال « **ابو سالم العياشي** » من أزمة مغربنا لم يزل شياطين الجن والانس يضمرون العداوة لاهل العداوة ، وينصر الله أولياءه بمقتضى وعده ، « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ، وينجيهم من كيدهم ويحميهم من شرهم بحمايته، ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين

قال هذا لما ذكر قضية شيخه علي الاجهوري ، وان بعض المغاربة اراد اذايته فى نفسه ، وضربه بالحديد فى مجلس درسه ، بالجامع الازهر من مصر، **وقال** الشيخ « **أبو علي اليوسي** » من ائمة مغربنا ، ما زال اهل الجنس ، يعني جنس الفقهاء يتحاملون على من يتوسمون فيه شغوفا عليهم ، ومزاحمة فى رتبة ، أو حظ ، الا من عصمه الله منهم ، وقليل ما هم ، كما قيل

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغضا انه لذميم

وقد افتى بعض الفقهاء انه لا تقبل شهادة بعضهم على بعض ، لهـــذا المعنى ولاشك ان هذا ليس على العموم ، ولكنه شائع معلوم ، واعتبر بما وقع للامام سيبويه فقصته مشهورة ، وما وقع لسيف الديـــن الأمدي مـــع أهل مصر فانه لما برز عليهم فى العلوم ، انكروه ونسبوه الى الاهواء وكتبوا عليه رسما بذلك ، ويوجهه بعضهم لبعض ، ليوقعوا عليه شهادتهم بذلك ، **ولما** انتهى الى بعض من وفقه الله وعصمه ، وقع تحت خطوطهم هذا البيت.

حسدوا الفتى اذا لم ينالوا سعيه   فالقوم اعداء له وخصوم

وقـــد تناهى به ذلك حتى خرج من مصر ، وما وقع للفقيه محمد بن تومرت امام الموحدين المعروف بالمهدي ، لما قدم من المشرق ودخل مراكش واشتغل بدرس العلوم العقلية ، وكانوا أهل بادية لا يعرفونها ، فقالوا هـــذا ادخل علينا علم الفلاسفة ، ووسوسوا به لامير لمتونة علي بن يوسف ، فنفاه منها الى أن كان من امره ما كان .

ومثله وقع « لابي الفضل ابن النحوي » لما دخل « سجلماسة » فجعل يدرس أصول الدين وأصول الفقه ، فمر به عبد الله بن بسام أحد رؤســـاء البلد فقال : ما يقرأ هذا فاخبروه بما يقرأ ، وكانوا قد اقتصروا على علـــم الراي ، فقال هذا اراد أن يدخل علينا علوما لا نعرفها ، وأمر باخراجه ، فقام ابو الفضل وقال له امت العلم أماتك الله ، ها هنـــا ، فخـــرج ابـــن بسام صبيحة اليوم لعقد نكاح بباب المسجد ، فمر به جماعة من « ملوانة » احدى قبائل صنهاجة ، فناشوه برماحهم ، ومات بموضعه ، فارتحل ابن النحوي لمدينة فاس ، فسلط الله عليه القاضي ابن دبوس ، ولقي منه ما لقي من ابن بسام ، فدعا عليه فهلك ، ولما رجع لوطنه بالقلعة واشتغل بالتقشـــف ، تسلط عليه ابن عصمة ، فقيه البلد بالاذاية ، واكثر ما يقع هذا من أهـــل المناصب كالقضاة وغيرهم ، كما وقع للقاضي ابن الاسود مع الامام العارف بالله أبي العباس ابن العريف ، وللقاضي ابن البر مع ابي الحسن الشاذلي ، وكلاهما اخذهما الله بذنوبهما فى الدنيا قبل الآخرة

حكاية للمقرى بمصر :

وقـــد حكى الرئيس محمد الحاج ابن ابي بكر الدلائي ، انه لما حج وكان بمصر وقعت لابي العباس المقري مع فقهاء مصر غريبة ، وذلك انه لما دخل مصر حضر سوق الكتب وهو اذ ذاك لم يعرف ، فوقع بيده سفر من

تفسير كذا ، ففتحه فوجد فيه سورة النور ، وقد تعرض لمسألة فقهيـــة غريبة ، فيها اختلاف كثير وتفصيل وبحث وجواب ، فحفظ جملتها ، فى وقت مطالعته لها ، اذ كان حافظا، ثم اتفق بقرب ذلك، ان اجتمع الفقهاء فى تلك المسألة نفسها فى دعوى ، وحضر معهم فدفع المدعي للمفتي رسم دعواه ، فنظر فيه ودفعه لغيره فنظر فيه ، ودفعه للاخر ، الى أن بلغ لابي العباس المقري ، فلما قرأ الرسم استدعى بدواة وكتب عليه ما حفظه من التفسير المذكور الذي وقف فيه على القضية المذكورة فى سورة النور ، ودفع الرسم لجاره ، فنظره ، ثم للاخر الى أن طالعه الفقهاء كلهم، فاستعظموا ذلك وانكروه، وقالوا له من ذكر هذا الذي كتبت ، قال لهم ذكره فلان فى تفسير ســـورة النور ، فالتمسوه فاذا الامر كما ذكر لهم فدخلهم من ذلك بما هو شأن النفوس

وفـــي نوازل المعيار ، ان القاضي ابن بشير سعى عليه الفقهاء حتى عزله المعتمد بن عباد لشفوفه عليهم ، وورد اقوالهم واجوبتهم وفتاويهـــم ، حسدا وبغضا ، واستمروا على تنقيصه والسعاية به الى أن عزله ، وكذا وقع للامام ابن حزم مع علماء وقته لما اشتهر علمه وكثرت تصانيفه وكـــان ينقض ما ابرموه فى الاحكام ويرد فتاويهم ، اجتمعوا على تضليله ورشوا به لملوكهم وحذروا عامتهم من الاجتماع به الى أن عزل ونفي من البلد ونـــزل البادية **وكذلك** وقع للفتح بن خاقان مع ابي بكر بن الصائغ فانه كان فى مجلس درسه يكثر مدح نفسه ، ويذكر ما وصله به امراء الاندلس ، وكانت تبدو من انف الفتح فضلة زرقاء ، ولما بلغ ابن الصائغ ما ذكره به الفتح فى قلائده ومطمحه اجتاز به يوما وهو فى ملأ من أعيان أهل الاندلس ، فوقف عليه وقال يا فتح سمعنا ما وصلك به الامراء فاخبرنا بمن وصلك بهـــذه الزمردة التي على شاربك ، فخجل وانقطع ، وكان ذلك سبب جوازه الى العدوة ، وقصد مراكش فمات بها مذبوحا فى فندق ، غفر الله له .

ما انصـــف فـــاس ولا أعلامهـــا علمي الكثير ولا جلالـــة منصبـــي
لو انصفوا لصبوا الى كمـــا صبـــا راعي سنين الى الغمام الصيب

* * *

ما قيل فى الحسد نثرا ونظما :

قلـــت : وعدم الانصاف سببه الكبر والحسد ، وهما الداء العضال الذي هلك به ابليس ، وذلك معجون فى طينة الآدمي ومبتلى به ، الا من طهره الله من اصفيائه وقليل ما هم ، ولم يزل ذو الفضل محسودا ، وكلما كثر الفضل كثر الحاسد ، فوجود الحساد دليل على وجود الفضل ، فاذا قيل لشخص كثر الله حسادك ، كان دعاء له ، واذا قيل له قلل الله حسادك ، كان دعاء عليه ، وقد اكثر الشعراء من هذا المعنى **قال الكميت :**

ان يحسدوني فاني غيـــر لائمهـــم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بـــي ومـــا بهـــم ... ومات أكثرنا غيظا بما يجـــدوا (1)
انا الذي يجدوني (2) فى صدورهـــم ... لا ارتقي صـــدرا منهـــا ولا ارد (3)

وقـــال ابي على الحاتمي بدل البيت الاخير

لا ينقص الله حسادي فانهـــم ... أحب عندي من اللاىء لهن الـــوذ

وقـــال نصـــر بـــن سيـــار :

منذ نشأت وحســـادي ذوو عـــدد ... ياذا المعارج لا تنقص لهـــم عـــددا
ان يحسدوني على ما بي وما بهـــم ... فمثل ما بي لعمري مبرىء الحسدا

وقـــال معـــن بن زائـــدة

اني حسدت فزاد الله فى حســـدي ... لا عاش من عاش يوما غير محســـود
ما يحسد المرء الا مـــن فضائلـــه ... بالعلم والحلم أو بالبأس والجـــود

وقـــال آخـــــر

لا مات اعـــداؤك بـــل خلـــدوا ... حتى يروا منك الـــذي يكمـــد
لا زلت محسودا علـــى نعمـــة ... فانما الكامـــل مـــن يحســـد

* * *

ولمـــا فرغنا من الحديث اراد الشيخ « كمال » أن يجبر خاطر الحاسد ويزيل خجله ، فقال له يا شيخ ما نلنا هذه الفوائد الا من بركتك وسببك ، واشتغلنا بالسرد الى ان اكملناه فى مدة أيام ، ومثل هذا وقع لنا لما الفت

---

1) 2) كـذا فى الاصل • وحذف النون فى المضارع هنا غير لائق • 3) كذا ورد وهو ركيك •

منظومة « الفية السلوك » ، وجعلتها نظما ثم شرحتها ، ووجه لي الفقيه السيد حمدون (1) بن الحاج رحمه الله ليراها ، قلت له وجه لي منظومتك التي تأنقت فيها لا تجمل بمطالعتها ، لاني لست من أهل القريض ، وقصدي منه تحقيق الوفاة ، فيمن مضى وفات ، ولا الحق نظمك ونثرك ، وشفعك وترك ، واعتذرت له بقصر الباع ، وقلة البضاعة والمتاع ، ووجهت له ووجه لي ، فاجملت له وما اجمل لي .

ولما ورد منه الجواب ، تلطف فى الخطاب، وقال : ولا يعيبها انتتبدل كلمة باخرى للوزن ، فذلك من تمام الحسن ، فاني والله لو وجدت من علي بشير ، بتبديل كلمة من منظومتي ، لكدت من السرور أطير ، وكتبت عليها ابياتا تاتي امام ، عرض فيها بما لا يناسب المقام ، لا يتفطن لها الا ذو ذوق سليم ولا يعتبرها الكريم الحليم ، ولما طالع التأليف أمير المؤمنين وعليه ما كتب (2) ، فطن لدسيسته وعرف السبب ، ولما طالع ما كتبت رد علي عند التمام ، والله يعاملنا من فضله والسلام

فالناس اكيس من أن يمدحوا رجلا   من غير أن يجدوا آثار احسان

* * *

رجوعا ، ولما امليته عليه واكملته كتب لي بخطه ما نصه :

تقدير كمال الدين باشا للزياني :

الحمد لله الذي وصى بالمحافظة والاعتناء بأهل البيت صغيرا وكبيرا ، وشرفهم بقوله تعالى « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ، والصلاة والسلام على من بعثه بالحق بشيرا ونذيرا ،

وبعد فيقول عبد ربه ، واسير آثامه وذنبه ، المعترف بخطاياه وسوء كسبه ، الراجي الرحمة من ربه لوعده الصادق ، فى كتابه الناطق ، « يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » ، فكيف يخاف من اخلص واناب الى الله ان لا تناله رحمة الله ، وانه لما قدر الله جلت قدرته ، وتقدست اسماؤه وصفاته ، الاجتماع بهذه الحضرة المقدسة ، والسدة التي

---

1) عالم بليغ فى جميع الدراسات الاسلامية   شاعر الدولة العلوية فى عهد المولى سليمان • له ديوان مخطوط 1840 م شرحناه وعلقنا عليه • جاهز ولم يطبع بعد • النسخة الاصلية توجد بخزانتنا :   عبد الكريم الفيلالي

2) اكثر   يقال الزب لمن كثر شعره

على الجهاد والدين مؤسسة ، سدة مولانا السلطان الاعظم ، والخاقان الافخم ، مالك ممالك العرب والعجم ، ومجتبى الخلافة العظمى ، والحصن الحصين الاحمى ، المؤيد لهذا الدين الحنيف الذي نسخ به أديان الامم ، من عــرب وعجم ، مع الشيخ الاكرم ، المعظم المحترم الابر : **ابو القاسي افندي الزياني** سلمه الله ، الوارد سفيرا على هذه المملكة العثمانية ، والسدة الخاقانية من ملك المغرب ، السلطان الشهير ، والقطب الكبير ، والقر المنير ، صاحـــب الخيرات على الاجمال والتفصيل ، الشريف الجليل ، **مولاي محمد بن عبد الله ابن اسماعيل** ، اطلعني على ما قيده واختصره من تأليفي الذي سمحت به القريحة ، وجمعته من الدواوين المعجمة والصريحة ، الى دولة السلطان ، الذي علا مجده على الملوك ، واضاء بدره على سائر الكواكب وقت الحلوك ونام فى ظل عدله الغني والصعلوك ، سلطان البرين ، وخاقان البحرين ، صاحـب الممالك الرومية ومصر والشام والعراقين ، خديم الحرمين الشريفيـــن ، **السلطان عبد الحميد خان ، بن السلطان احمد خان ، بن السلطان محمد خان**، الى تمام ستة عشر سلطانا ، وطلب مني أن يملي ما قيده واختصره مـــن تأليفي علي (1) ، وينسب ما نقله منه الي ، فاجبت نداءه ، ولبيت دعـــاءه واملأه علي فى مجالس ، ترجمة بعد اخرى ، ودولة اثر دولة جهرا ، فرايت انه به حري واحرى ، وعجبت من حسن ملكته وترتيبه ، ونباهته وتنقيحـــه وتهذيبه ، وعوضه على ملتقطات دره وجمع غريبه ، وعلمت انه من فحول الرجال ، ومن أهل النباهة والكمال ، وقد افادني بخبر مملكة الغرب القديمة والجديدة الدانية منا والبعيدة ، وحقق لي ما كان عندي من دول الفـــرب متروك (2) ، وأزاح عني الاوهام والشكوك ، فلله دره من قادم ، وناهيك به من صقر حائم ، يخفق بالخوافي والقوادم ، **فاجزته** فيما قيده واختصره واملاه وما راى من تأليفي وما لم يره ، وكفى شاهدا على نبله وفراسته استخراجه من مكمنه وخزانته ، وتلك لم يقع مثلها لبعيد ولا قريب ، ولا ولي ولا حبيب ، فهو السابق فى حلبة فرسان التاريخ والانساب ، ومن يتعاطى الادب مـــن الكتاب ، وارغب من مسبب الاسباب ، حصول الاجر والثواب ، من الملك الوهاب ، لا اله الا هو الغفور التواب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله والاصحاب ، انتهى .

كتبه عبد الله كمال الدين احمد افندي ، ابن ركن الدين مصطفى افندي ابن خير الدين علي افندي ، فى جمادى الاولى من عام مائتين والف .

---

1) ما الفه ويقصد به ما كتب عن نفسه اي مذكراته
2) وقع فى خطأ نحوي لضرورة السجع .

ترتيب العلماء بالاسطنبول ومرتب كل واحد فى الشهر

واما ترتيب العلماء عندهم ، فاعلاهم مرتبة :

1) شيخ الاسلام ، وهو مفتي السلطنة العظمى وهو بمنزلة الوزير الاعظم ، لا يوليه ولا يعزله الا السلطان متى شاء ، على العام أو على العشرة ، كالوزير ، وله فى كل سنة من بيت المال ، فى كل شهر قروش الفان وسبعمائة، كان مولى أو معزولا

وادنى منه فى المرتبة :

2) قاضي عسكر الرميلي ، اعني قاضي قضاة بلاد الروم كلها ، له من بيت المال فى كل شهر قروش الفان

وادنى منه مرتبة :

3) قاضي عسكر انضولي ، وهو قاضي قضاة بلاد العرب كلها ، له من بيت المال فى كل شهر خمسة عشر مائة قرش .

وادنى منه مرتبة :

4) قاضي مدينة الاصطنبول له فى كل شهر الف قرش ، مولى او معزولا.

وادنى منه مرتبة :

5) قاضي الحرمين ، مكة والمدينة ، له فى كل شهر خمسمائة قرش .

وادنى منه مرتبة :

6) قاضي احدى المدن الاربعة وهي أدرنة ، وبرصة ، ودمشق ، ومصر ، له فى كل شهر اربعمائة قرش .

وادنى منه مرتبة :

7) قاضي احدى المدن الثمانية ، وهي الاسكدار ، وسلطان ايوب ، والقدس الشريف ، وحلب الشهباء ، ويكي شهر ، وسلانيك العظمى ، والغلطة وازمير ، هذه مراتب القضاة

مراتب المدرسين عندهم :

واما مراتب المدرسين فاعلاها رتبة مدرس السليمانية ، وفيها خمس مدارس ، له فى كل شهر من وقفها خمس وخمسون قرشا .

ثـــم مدرس « موصلة » السلمانية ، فيها خمس واربعون مدرسة ، اعني مضافة للسليمانية ، له فى كل شهر من وقفها خمسون قرشا

ثـــم مدرس حركة التمشلي مضاف له خمس وثلاثون مدرسة له فى كل شهر من الوقف خمس واربعون قرشـــا

ثـــم مدرس رتبة التمثل مضاف له ثلاثون مدرسة له فى كل شهر من الوقف خمس وثلاثون قرشا

ثـــم مدرسة رتبة الصحن مضاف ، له ثمانية مدارس ،له من الوقف فى كل شهر عشرون قرشا ، وهذه المدارس الثمانية هي التي بناها السلطان محمد الفاتح ، لما فتح الاصطنبول ، وبنى مسجده وادارها به رحمه الله .

ثـــم مدرس موصلة الصحن ، له من الوقف فى كل شهر عشـــرون قرشا ، ومضاف اليه ثمانين مدرسة

ثـــم مدرسة حركة الداخل مضاف ، له ستون مدرسة ، له فى كـــل شهر من الوقف عشرة قروش .

ثـــم مدرس رتبة الدخل مضاف ، له خمسون مدرسة له فى كل شهر من الوقف عشرة قروش .

ثـــم مدرس حركة الخارج مضاف ، له خمسون مدرسة له فى كـــل شهر من الوقف عشرة قروش

ثـــم لا يكون احد مدرسا حتى يلازم القراءة بهذه المراتب كلها مـــن ادناها الى اعلاها ، يقطعها فى سبعة أعوام فان حصل على علم وطلب الامتحان ودخل لدار التميز واختبره الميزون من جملة من يختبرون فان كان أعلى ، ويتوجه بها لشيخ الاسلام فيسرح له التدريس فى أحدى المدارس الصغرى، وفى كل سنة ينتقل لمدرسة فوقها ، الى تمام سبع مراتب هي المنتهى ومنها يسرح له شيخ الاسلام القضاء أو الكتابة او التنجيم

وان اختبروه وكان وسطا ، يرجع للقرءاة ، وان كان ادنى كذلك يرجع حتى يفتح عليه .

كيفية اختبار المتعلمين :

وكيفية اختبارهم بدار التمييز ان ياتيها فى اول يوم من السنة اثنا عشر رجلا من الفقهاء يسمونهم المميزين ، ويدخل الطلبة الاول فالاول الى ان يجتمعوا ويتقدم الاول فالاول ، ويلقي عليه كل واحد من الفقهاء مسألة من المعقول لا غير ، فمن اجاب جميعهم فهو المحصل ، ويكتبون له فى بطاقة فلان اعلى ، ومن أجاب عن الاكثر يكتب له فلان قريب الاعلى ، ومن أجاب عن النصف يكتب له فلان وسط ، ومن أجاب عن اقل من النصف يكتب له فلان أدنى ، فالاعلى يسرح له التدريس ومن دونه يرجع لملازمة القراءاة الى سنة قابلة ، ويدخل الدار مرة اخرى وهكذا الى أن يحصل على المرغوب



فتح القسطنطينية عام 857 هـ

فمن أعظم مبانيها مسجدا آية صوفيا (1) التي كانت كنيسة على عهد الكفار ، **ولما** فتحها السلطان محمد بن مراد عام سبعة وخمسين وثمانمائة صيرها مسجدا جامعا للمسلمين وسميت آية صوفيا ، باسم بانيتها صوفيا، أم الطاغي قسطنطين ملك الروم ، **ولما** اكملت بناءها اوقفت عليها اموالا كثيرة ورباعا وادارت بها ثلاثمائة حجرة واربعا وستون حجرة بعدد ايام السنة العجمية ، وفى كل حجرة رهيبان يقرآن اناجيلهما كل يوم ، ويهديان ثوابها لصوفيا ، وشكل بنائها غريب غير معهود لا فى مساجد المشرق ولا فى المغرب ولا فى الاندلس ، لانها قبة واحدة ، طولها من الباب الى المحرّاب ، ثلاثمائة وخمسة وعشرون قدما ، عبرتها بقدمي ، وعرضها من السواري الى السواري مائة وثلاثون قدما ، ولها بلاطان عن اليمين وعن الشمال ، عرض كل واحد منهما سبعة وخمسون قدما من حساب القبة ، وفوقها بلاطان محمولان على سواري عظام من الرخام ، لهما مدارج من القبة يشرف من يصلي بهما على القبة ، وخلفهما بلاطان آخران ، أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال ابوابهما من القبة عرض كل واحد منهما خمسون قدما ، هما من حساب المسجد وبهما يكمل عرض القبة كطولها ، ثلاثمائة وخمسة وعشرين ،

---

1) هي هاجيا صوفيا او باليونانية سانتا صوفيا ومعناها « الحكمة المقدسة » اعظم نموذج للفن المعماري البيزنطي ، كانت اصلا كنيسة ارثوذكسية بالقسطنطينة وهي الان متحف للفن البيزنطي ، تقوم على بقعة كانت تشغلها كنيستان :
الاولى شيدها قسطنطين الثاني سنة (360 م) وقد احترقت سنة 404 م
والثانية شيدها تيودسوس الثاني (415) وقد دمرتها النيران سنة 532
وشيد يوستنيان المبنى الحالى (532 – 537) وفقا لتصميمات انتيميوس الترالي ، واريدورس الميليتي
وفي عهد الفتح العثمانى 1453 م اصبحت مسجدا واضيفت لها المآذن الاربع الرفيعة. لها قبة كبيرة « قطرها 30 متر » تنيرها 40 نافذة مقوسة ، والداخل مغطى بالرخام الملون والفسيفساء المذهبة ، اتخذت نموذجا معماريا لعدة مساجد تركية عظيمة شيدت بالاصطنبول .

وصعدنا لهذا الفوقي بالمدارج وقت فراغه من الناس ، فوجدنا به تصويرا ونقوشا واشكالا غريبة ، وبعد أن محيت الوانها لما فتحها المسلمون ، لا زالت اشكالها قائمة الرسوم ، وحيطان هذا المسجد واعمدته كلها من الرخام الابيض الفائق ، وسقفه كذلك ، ومحرابه ومنبره كذلك من الرخام ، وفي زاوية هذا الفوقي بيت كان متعبدا للكفار ، لما كانوا بها ، لا زالت صورهم في حيطانه الى الآن ، واما البيت قبر صوفية أم قسطنطين بانية الكنيسة ، وهو معروف عندهم الى الآن ، وخارج هذه القبة التي هي المسجد ، ومستدير بها الصحن العظيم مفروش كله بالرخام الابيض الشفاف ، وفي وسطه بركة ماء عليها قبة من شبابيك الصفر ، دائرة بها أنابيب كثيرة للوضوء والشرب ، مستدير بها دكاكين من رخام لجلوس المتوضئين ، فمن أراد ان يتوضأ أو يشرب يدير لولب الانبوب ويقضي غرضه ، فاذا فرغ يدير اللولب فينقطع الماء .

وعن يمين المحراب وشماله « حسكتان » (1) عظيمتان فوق القامة ، بهما شمعتان في غلظ النخلة وطولها ، توقدان من المغرب الى العشاء ، ومن الفجر الى الاسفار ، ويجاور كل واحدة سلم لايقادها له سبعة عشرة درجة ، وفي كل ليلة المولد تبدلان باخرتين ، وما يفضل من الاوليين ، يدفع لدار السلطان للبركة

وأما ثريات الصفر والنحاس ، ومصابيح الذهب والفضة فلا يحصى عددها

وبها عشرة من الوقادين للمصابيح والثريات ، وكل مساجد الاصطنبول التي هي للملوك ، فيها الشمعتان والثريات والمصابيح مثل ذلك .

مساجد الملوك والامراء والوزراء وعددها وعدد مساجد الخطبة :

واقرب من آية صوفيا وعلى شكلها مسجد السلطان محمد بن مراد الفاتح (2) ، كله بالرخام ، وقبة واحدة ، ولا فوقي له .

واصغر من آية صوفية مسجد السليمانية التي بناها السلطان سليمان الغازي (3) ، في الشكل والكبر .

---

1) مفرده حسكة وهي الشمعدان
2) (1481 - 1451)
3) (1566 - 1520)

ويقرب منها مسجد العثمانية ، الذي بناه السلطان عثمان (1) ، وأعظم منه مسجد السلطان أحمد الباني (2) ، وعلى شكل ما قبله

ثم مسجد السلطان مصطفى (3) ، مثل ذلك فى الضخامة والاتقـــان وغرابة الصنعة ، ومثله مسجد السلطان بايزيد (4) ، ومثله مسجد السلطان ابراهيم (5) ومثله مسجد السلطان مراد (6) ومثله مسجد السلطان سليم (7) ومثله مسجد علي باشا (8) الوزير الاعظم

وأما مساجد الامراء والوزراء واعيان الدولة فدون ذلك فى الضخامة .

واما غيرها من المساجد فلا تذكر معها ولا تحصى .

وقد خبرني الشيخ سليمان افندي صاحب الدفاتر ، ان عدد مساجد الخطب بالاصطنبول مائتان ونيف وسبعون ، واكثر منها من المدارس .

وأما مساجد الاوقاف فلا تحصى ، واما ما فيها من الاسواق والحرف والحومات وديار الصناعات والارحية ، والطواحين ، وارحية الريح ، والافران والسبائل ، والزوارق والقهاوي فشيء لا يحصى كثرة ، وقد نقلته من ديوان الدفتردار ، ورسمته فى تأليفنا الترجمان لطوله ، وما قيدت هنا الا ما يتعلق بامر الدين والعلم والعلماء . انتهى

---

1) (1757 – 1699)
2) (1618 – 1603)
3) (1774 – 1717)
4) (1512 – 1482)
5) (1648 – 1640)
6) (تـوفـــى سنـــة 1389)
7) (1520 – 1512)
8) علي باشا 1741 ــ 1820 هـو الباني تولى باشوية يانينـة (1787 ــ 1820) سمـي اسد يانينـة كان اصلا من زعماء قطاع الطرق الالبانيين حكم حكما فرديا على معظـم البانيا وابيروس لمـا خلعه الباب العالي 1820 ثـار وقاوم الجيش التركي وكانت تركيا فى حاجة اليه لاخماد الثورة اليونانية ، اغتاله احد العملاء وقـد وصف بيرون بلاطه البسيط فى قصيدته (تشيلد هارولد)

وحيث ذكرنا ضخامة دولة الاتراك بالقسطنطينة ، فلابد من ذكر ضخامة دولة العرب فى الاسلام ببغداد من اقليم العراق الذي هو وسط الدنيا وأفضلها وأعدلها وعينه بغداد ، فقد بلغت بغداد من الضخامة والمباني العظيمة والقصور الشامخة والهياكل الهائلة لعظماء بني العباس ما لم يكن لمن كان قبلهم من ملوك الفرس باقاليم العراق ، فقد اشتملت بغداد على ثمان مدن ، مسورة متصل بعضها ببعض على شاطىء دجلة الشرقي والغربي، وبينها جسور معقودة على السفن ، وصار الكل مصرا واحدا لا يقطع دوره الفارس فى يوم كامل .

فأول هذه المدن :

1) المدينة التي أحدثها ابو جعفر المنصور بالجانب الغربي ، وتسمى دار السلام

2) ثم المدينة التي احدثها ولده المهدي فى خلافته بالجانب الشرقي ، وتسمى الرصافة

3) ثم قصر زبيدة الذي شيده الرشيد بالجانب الغربي .

4) ثم مدينة الهاشمية التي بناها الرشيد بجوار دار السلام .

5) ثم مدينة العباسية التي بناها ابو العباس السفاح بالجانب الشرقي ايام خلافته وهو بالانبار

6) ثم القصر المسمى بالخلد ، الذي أسسه الامين ايام خلافته .

7) ثم القصر الماموني الذي شيده المامون ، لما قدم من خرسان لبغداد ، وتزوج ببوارق ابنة الحسن بن سهل ، وبناه لها .

8) ثم مدينة سر من راى ، التي شيدها المعتصم لما ضاقت بغداد من جنده ، وانتقل لها بجنده وخاصته

9) ثم مدينة الصناع المسماة دار القز التي تخدم بها جميع الصنع والحرف مجاورة لدار السلام

10) ثم مدينة مشهد الامام ابي حنيفة النعمان بن ثابت ، رضي الله عنه ، بالجانب الغربي مسورة .

11) ثم المدينة الهارونية التي بناها هارون الواثق ايام خلافته .

12) ثم المدينة المتوكلية التي بناها جعفر المتوكل ايام خلافته

هذه المدن الثمانية كانت كلها مصرا واحدا ، كما كانت مدائن الفرس بالعراق التي خربها المسلمون فى الفتح الاول ، فى خلافة عمر رضي الله عنه ، وهي المسماة بالمدائن. التي كان منها القصر الابيض ، ومدينة الاسكندر ، وايوان كسرى الاعظم الذي لم يكن فى الدنيا مثله ، الذي وجد به البساط العظيم مفروش على سعته ، فى كل ربع منه ستون ذراعا قطعة واحـــدة ، مفصل بقطبان الذهب الابريز والاحجار الملونة

قال المسعودي صور له الحكماء فى هذا البساط الدنيا كلها ، واقاليمها السبعة بجبالها ، وبحارها وانهارها ، وبلدانها ، بحيث يرى جميعها فـــاذا جلس على سرير ملكه يقف بين يديه الترجمان ويذكر له ما فى كل ناحية وما فى كل اقليم من بلدان ، وعمال كل ناحية ليتذكر جميع من فى مملكته وعماله ورعاياه ، ويكتب لكل ناحية ما اراد من زيادة او نقص ، وياتيه خبر كل من فى مملكته ، فشملهم عدله وبقي ذكرهم بعد خراب ملكهم شاهدا ،بعدلهم ، كيف وقد ذكره صلى الله عليه وسلم ، وافتخر به فقال : ولدت فى زمن الملك العادل كسرى انو شروان انتهى



المؤلف مع السلطان عبد الحميد

لما توجهنا له بالهدية وبلغنا مرسى الاسطنبول ، وبلغ خبرنا للوزير الاعظم ، وجه « المهمندار » الذي ينزل الباشدورات الذين ياتون من ملوك الاطراف عندهم ، ويصرف عليهم طول مقامهم بالاصطنبول ، ومعه ورقة كتبها الوزير لنا يهنينا بالقدوم ويأمرنا بالنزول للدار المعدة لنا ، فنزلنا من المركب للشط ، فوجدنا أصحابه بالخيل التي نركب عليها ، والكراريط واقفة لحمل مرافقنا واثاثنا ، فركبنا وتركنا خدامه ياتون مع أصحابنا وتوجهنا للبيت ، فبلغناه على ساعة فوجدناه مفروشا ، فجلس معنا الاغى ، وكان معي ترجمان تركي توجه معي من الصويرة ، فكان يترجم بيننا وبينه ، الى أن اتى اصحابه بحوائجنا التي فى المركب ، وجاء الغذاء فأكلنا ، وانصرف يخبر الوزير بنزولنا ، واقمنا سبعة ايام استرحنا فيها من شواغب البحر ، وبعث لنا الوزير الخيل للملاقاة معه فوصلنا لمحله ، واجتمعنا به ، ودفعنا له المكاتب التي وجه له السلطان ، وسألنا عن سفرنا وأحواله ، وعن السلطان ، وحضر غذاؤه ، فأكلنا وخلع علينا وعلى أصحابنا ما هو معلوم فى عوائدهم ، ورجعنا لمحلنا فاقمنا شهرا لاننا وجدنا الديوان فات ، ولا تكون الملاقات مع السلطان الا يوم الديوان ، أو يوم عيد الفطر ، أو يوم عيد الاضحى ، أو عيد المولد ، والديوان يكون على راس كل ثلاثة اشهر ، وهو اليوم الذي يفرق فيه السلطان راتب العساكر ، كل ثلاثة اشهر يقبضون واجبها ، وهو خمسة قروش للواحد ، وهي مثقالان والكسوة فى رمضان وهي عشرون مثقالا واذا خرجوا للحركة يقبضون راتبها من غير هذه الاعانة ، فاذا كان يوم الديوان يطلع الوزير واعيان الدولة وامراء العساكر لقلعة السلطان فى برج متسع ، ويجلس الوزير واهل الدولة فى الميدان فى مقعد معد لهم مفروش ، وامراء العساكر ، كل أمير مع قواده فى مقعدهم المعلوم لهم ، فياتي السلطان لمحل جلوسه فى مقعد مشرف على القوم ، فاذا جلس فى مقعده يفتح «الشرجم» (1) الذي يشرف منه على القوم فاذا فتح قام القوم ووقفوا فى اماكنهم والسلطان

---

1) كلمة دارجة فى اللهجة المغربية ـ الشباك ـ النافذة .

ينظر اليهم ، فيخرج مال العسكر الاول ، وهم « دُورْد بَلُوكْ » وهو العسكر القديم الذي يتيامنون به ، ويقدمونه في الحروب ، وفي الخروج للجهاد ، وكله خيلا (1) عددهم أربعون ألفا ، ومن يموت منهم يتخاف من « الاصبايحية » من اقدمهم واكبرهم سنا

كيف يفرق المرتب العسكرى :

وياتي مع المال « التلخصيجي » وهو الذي يتوجه بين الوزير والسلطان التي فيها عدد المال ، فيقبلها ويجعلها على راسه ، وينزل المال في خناشيه (2) بواسطة الراح قبالة اربابه ، ويرجع للسلطان فياتي بمال العسكر الثاني ، وهم الاصبايحية ، كلهم خيلا مائة الف وعشرة الآف ، فاذا قابل الوزير وقف هو واهل مجلسه حتى يدفع له الورقة ويضعها على راسه بعد تقبيلهـــا ، ويجلس ويتوجخ المال فينزل وسط البراح في مقابلة اربابه ثم يرجع للسطان فيأتي بمال الانقشايرية ، رهم رجالة (3) لاخيل لهم ، وعددهم مائة وخمسون الفا ، فاذا قابل الوزير قام ايضا وفعل مثل ما تقدم ثم يرجع فياتي براتـــب « المنوية » ، وهم رجالة أيضا وعددهم مائة الف ، فاذا قابل الوزير فعل مثل ما تقدم ثم يرجع فياتي براتب « الحشوية » و « القلق » وهم مائة الـــف رجالة ، ثم يرجع فياتي براتب « البحرية » و « الطبجية » و « العربجية » والمعلمين وهم مائة الف ، وكذا ثم يرجع فياتي براتب اهل الدولة من الوزير الى كل من هو في خدمة الدولة وخدمة السلطان ، وعسكر السلطان الذي هو معه في القلعة ، لا يخرجون عنها لحركة ولا غيرها ، وهم عشرون الفا ، وكلهم عزاب لا يتزوجون ومن مات منهم يخلفونه من عسكر الانكلشارية والاقشارية ومن مات منهم يخلف من مطلق الناس ، يجتمع في دفترهم ست مائة الف من الجيش ، نصفها بالاصطنبول ، ونصفها مفرق في البلدان ، فاذا خرج هذا الراتب كل أمير من أمراء العسكر يأخذ عدده، يفرق على من معه بالاصطنبول، ويبعث لمن عنده في غيرها ، فاذا كان المال موضوعا بذلك البراح ، قام له أمراء العساكر وقوادهم دفعة واحدة ، ونادوا باجمعهم بالدعاء للسلطان ، ويحملون المال والسلطان ينظر اليهم ، فيحصل له السرور العظيم ، ويخرج الصدقات في ذلك اليوم ، ويعتق المماليك لاجل رضاء العسكر عليه ، لانهم اذا لـــم

---

1) كذا في الاصل يقصد « خيالـة أي الفـرسان
2) يقصـد اكيـاســه : كذا في الاصــل
3) يقصـد فـرقـة المشاة .

يستبقوا لحمل المال يعلم السلطان ان العسكر غير راضين ، وانهم لم يقبلوه فينظر فى أمره حتى يعلم من حيث اوتي فيصلحه .

وقد خبرني ذات ليلة خير الدين افندي عن ملاقات مولاي عبد الملك ورفقائه ابن عثمان ولوزيرق وابن يحيى ، لما حضروا يوم الديوان واجلسهم الوزير معه فى محله الى أن يفرغ من امور الدولة والمال ويقدمهم للسلطان

ولما كان ياتي صاحب الورقة للوزير يقوم هو من معه تعظيما لامر السلطان ، قام عبد الملك المرة الاولى والثانية ، وقال لهم ما هذا القيام كل ساعة ، فجلس هو ولم يقم ، والسلطان ينظر ، يرى الناس ولا يرونه ، فلما أساء الادب بعدم القيام ، تغير الوزير واهل الدولة ، وذلك سبب اهمالهم له واعراض الوزير واهل الدولة عنه ، ولم يباشروه مباشرة امثاله ، وقصروا مما يجب له عليهم من مراعات منصبه ومحله من السلطان .

وكنت انتظر يوم الديوان للملاقاة ، وبعد كمال الشهر ، ورد الخبر على السلطان أن عدو الدين « الموسكو » كتب للسلطان عبد الحميد بالحرب لستة اشهر اما يعطيهم اسماعيل ، والا الحرب ، فلما سمع ذلك السلطان عبد الحميد ، تغير لذلك وعظم عليه امرها وبلغ منه مبلغا لشفقته على المسلمين

وكان هذا السلطان من الصالحين ساعيا فى أفعال البر محبا لاهل الخير والدين ، فأمر أهل الدولة ان يعملوا المشورة فى ذلك بدار شيخ الاسلام ، فعملوها عشرة ايام واتفق رايهم على الحرب فاعلموا السلطان بذلك وجلسوا لحساب اللوازم التي تلزم العساكر فى سنة ، حتى عرفوا مقدارها ، وحسبوا ما فى بيت المال ، فالفوا من المال ما يقوم بلوازم ثلاثة أعوام لا غير ، فلما اخبروا به السلطان بكى واسترجع ، وقال ما شاء الله ، فقال له الوزير يا مولانا ان جاء على خاطرك ان نذكر لك مسألة تشرف عبدك بسماعها ، قال ما هي ؟ قال : نوجه الى سلطان الغرب يسلفنا مالا فانه لا يبخل علينا به وانه لينفقه فى سبيل البر ، خصوصا اذا ذكرنا له هذه الحرب ،وتوجه له سفيرا من اطرافك بكتابك فان طابت نفسك بهذا استشرنا صاحبه الباشدور الذي اتى بالهدية ، فان وافق وجهت معه من تعين لذلك ، فقال صواب ما قلت : وهذه من حسناتك فلما رجع الوزير من دار السلطان تكلم فى ذلك مع خليفته خير الدين افندي وعرفه الخبر ، وقال له ، توجه له ياتيك ليلا ونجتمع عندك ونتكلم معه فى هذا الامر ، فان وافق عليه وجهنا الرجل ، وان قال لا

يمكن هذا السلف تأخرنا عن توجيه السفير ، فوجه لي خير الدين مع « الاغى » على عادته كان يوجه لي كل ليلة جمعة ابيت عنده واتانس معه ، فبلغ الي فرسه قبل المغرب بساعة ، فركبت وصلينا المغرب عنده فى بيته .

* * *

ولما صلينا العشاء جاء الوزير مختفيا ، فقمنا لملاقاته والسلام عليه ، وجلس فكان يترجم بيني وبينه خليفته خير الدين ، لانه يحسن العربية

فأول ما بداني به ، قال له قل للافندي اني اوحشتك ، وما اردت ان اكلفك المشقة الى بيتي ، واوصيت خير الدين ان ياتي بك الى بيته ، واكون انا الوافد عليك ، والساعي اليك ، ولولا ان المانع الذي هو قانون عندنا ، لاتيت لبيتك فسامحني فى تعبك ، واستمر كلامه فى شأن العذر وغيره الى أن بلغنا لخبر الحرب مع « الموسكو » وانهم كتبوا للدولة ، ومن جملة فصول كلامه ، استفهمني عن سلطاننا اذا سمع بهذه الحرب مع الكفار ، هل تسمح نفسه بمعونتنا ، فاجبته على مقتضى كلامه ، وقلت له : ان سلطاننا له رغبة فى الجهاد ، ولولا مشقة البحر وبعد الغرب لسعى للجهاد بنفسه ، فقال وهل اذا احتجنا المال يسلفه لنا ، فقلت والله يعطيه دون سلف ، فلا ترضى همته السلف ، فاثنى خيرا ودعا بخير ، وسره ما سمع ، واقام معنا ثلاث ساعات وانصرف لبيته ؟!

ولما اجتمع بالسلطان خبره الخبر ، وانا لا علم لي بذلك ، فأمره السلطان أن يعين الباشدور الذي يتوجه ويعين الهدية ، فقال له الوزير تحتاج ان تعجل ملاقات الرجل ولا يبقى الى الديوان ولا الى العيد ليتوجه معه صاحبنا ، لان هذه مصلحة معينة ، فتحدث لها قانونا جديدا ، فعين له السلطان اليوم الذي يوجهنا له فيه ، ورجع فأخبر « الكاهي باي » بما عزم عليه الوزير من ملاقاتنا مع السلطان قبل يوم الديوان أو العيد ، لقضاء غرضهم وتعيين مصلحتهم وذلك لم يكن لاحد من الواردين من سفراء الملوك، ففرح الكاهي بذلك وسره سرورا عظيما لمحبته فينا ، وبعث لي فرسه فبت عنده ، وحينئذ شرح لي القضية من أولها الى تمامها ، وقال لي أن هذا الامر لم يقع لاحد غيرك ، وسترى ذلك بعينك فانك تدخل على السلطان لداره الخاصة به وسدة سره التي ما بلغها احد قبلك ، وذلك من يمنك وسعادتك ، فغدا يوم السبت يبعث لك الوزير الفرس « والجو خادارية » الى بيته ، ومنه تتوجه مع حاجب السلطان الخاص فتهيأ للملاقات ، واذا رجعت

من عند السلطان ، تاتي لبيت الوزير ، فهناك نجتمع ويكون الكلام ان شاء الله فاقمنا يوم الجمعة ، ويوم السبت جاءنا الفرس ، وتوجهنا لبيت الوزير فوجدناه فى انتظارنا والحاجب عنده ، فسلمت عليهما وسقانا قهوة وطيبنا ، وقال على اسم الله ، فتوجهنا ودخلنا قلعة السلطان وبلغنا لباب الحجاب فقاموا لنا ، وسرنا لباب دار السعادة التي بها حريم السلطان ، ونزلنا وجلس اصحابنا هناك ، وتقدم بنا الحاجب ، وصعد بنا مع درج متسعة من الرخام نحو العشرة ، فوجدنا « كزلا زاغاسي » وهو قائد عبيد الدار ، قائما على قدميه براس الدرج ، وخلفه جماعة من عبيد الدار ، فسلم علينا وعانقنا وقبل الذين معه اطراف البرنس ، ورجع الحاجب من الدرج وخرج ، وتقدم بنا الخصي الى قبة جلوسه ، فدخلناها وجلسنا بها ، ورجع أصحابه الى اماكنهم وسقانا قهوة وطيبنا ، وبعث الى ترجمان السلطان الخاص به ، فجلس امامنا وسألنا عن سفرنا وعن بلادنا وعن سلطاننا الى ان مرت ساعة وجاءه الاذن فدخل ، تركنا والترجمان ، وفى الحين رجع فقال :

ملاقاة المؤلف مع السلطان عبد الحميد
لما أراد الاعانة من سيدى محمد بن عبد الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرددنا عليه السلام ، فقال للترجمان

قل للافندي ، أن مولانا السلطان يسلم عليك ، ويحمد سلامتك ، ويقول لك :

كيف هو اخي مولاي محمد ، وكيف هم اولاده ، وكم عنده من الاولاد ، فقال الترجمان ذلك ، واجبته عن سؤاله .

فتوجه فبلغ الجواب ورجع فقال للترجمان :

قل له كم بيننا وبين بلاده التي هو بها فى البر ؟ وكم بيننا وبينها فى البحر ؟

وهل هي مثل بلدنا أو احسن ؟ وهل هي أكبر أم بلادنا ؟

وكم طولها وعرضها ؟

وكم بينكم وبين السودان ؟

فأجبته عن سؤاله وتوجه فبلغ الجواب ورجع فقال للترجمان

قل له كم سن مولاي محمد وعمره ان كنت عارفا فأجبته عن ذلـــك وتوجه بالجواب ورجع فقال للترجمان قل له سني وسنه وعمرنا واحد ، ورضى الله عنك به ؟

وجاءت سفرة الطعام من عند السلطان فأكلنا الطعام وقدموا لنـــا الحلاوي وبعدها المرقدات والفوانيد ثم الاشربة والقهوة .

ولما بلغ الزوال دخل الخصي وخرج ، وقال قم بنا للوضوء فقمت انا وهو والترجمان ، ودخل بنا على باب صغير قريب قبته ، فوجدنا القبة التي يجلس بها السلطان وسريره بها ، فقال للترجمان قل له هذا محل ملاقاتك معه ، وخرجنا من بابها لوسط دار السعادة ، فوجدنا بها أربعة قبب كالتي دخلنا منها ، والقبب فى الاركان ، واربعة مقاعد ، مقعد فى كل ربع ، قائم على عشر سواري من رخام ، كل واحد يقابل الآخر ، وفى وسط الدار قبـــة السعادة قائمة على اربعين سارية ، عشرة فى كل وجه ، يقابلن ســـواري المقاعد الاربعة ، وبين السارية والسارية دربوز من رخام مؤلف فى السواري ، فدخل بنا القبب كلها وفى كل واحدة سرير للسلطان ، وقال للترجمان قل له هذه قبة استراحته اذا خرج من الحمام ، وهذه المعدة لاكله ، وهـــذه لصلاته ، وهذه لجلوسه .

ولما دخلنا لقبة الاستراحة فتح لنا بابا دخلنا منه فوجدنا الحمام فى ناحيته ، والميضات فى ناحية ،وسقف الحمام والميضات من رخام ، فيه جداول وترنجات ، واشكال على هيئات ، لدخول الضوء عليها بلار مفروغ ، علـــى اطرافه الرصاص والقزدير ، يدخل الضوء ولا يدخل المطر والثلج ، فدخلنا الحمام فوجدنا محل الجلوس « وطشوت » واباريق فتوضأنا ، وخرجنـــا لمحلنا الاول ، فتنفلنا ، ودخل الامام ، فاقام الصلاة المؤذن ، ووقفنا الثلاثة فى صف ، ودخل المفاتي (1) خلفنا ملأوا القبة على سعتها

ولما سلم الامام خرجوا دفعة واحدة اظنهم نحو المائة كلهم مفاتي ، سود وبيض .

ولما فرغنا من الصلاة ، وصلى السلطان فى قبته مع أهـــل خدمتـــه القائمين باشغاله ، خرج لتلك القبة القريبة منا ، التي دخلنا اولا ، وفتح

1) كذا فى الاصل ويقصد بهـا جماعـة الفتيـان

الباب الصفير ، وجاء « سلح دار » فأخذ المفتي معه ، ورجعا لنا ومعهما الخلعة السلطانية لنا ولاصحابنا ، فنحوا لنا البرنس الذي علينا والبسوا لنا الكرك وجعلوا على راسنا الشال ، ووجهوا لاصحابنا العشرة القفاطين المعلومة عندهم ، وتقدموا بنا للسلطان « السلح دار » والترجمان ، كل واحد منهما واضع يده على كتفنا على عادتهم

ولما واجهناه وقربنا منه وقفوا فاستعملت انا التحية كعادتنا مع سلطاننا اذا وقفنا امامه تقبل الارض ، وذلك يعد من سجود الشكر ، فلما هويت الارض ارادا ردي فاشار لهم بالكف والرجوع عني ، وتبسم ووضع يده على فمه ، ولما قمت من السجود تقدمت اليه وقبلت ركبته وهو متربع على سريره وقبضت على يده اليمنى بكلتا يدي ، فقبلتهما ، وتاخرت فاشار لي بالجلوس فجلست وبصري الى الارض ، فاشار الى الترجمان ، وقال له .

قل له كيف حال اخي مولاي محمد ، فقالها ، فقلت : بخير يحبك ويطلب دعاءك لانك أمير المسلمين وخليفة سيد المرسلين ، ويقول لك لولا ان هذا البحر الذي بينه وبينك لقدم عليك ، فقال له الترجمان ذلك ، فقال له :

قل له اني احبه لانه ابن رسول الله واطلب منه الدعاء ، ومن رعيته ان ينصرنا الله على هذا العدو الكافر الذي شغلنا عن ديننا ، واراد اطفاء نور الله ، فقال لنا ذلك ، فقلت له : ان المسلمين كلهم فى نصرتك وداعون لك ، وانك بحول الله مؤيد عليه منصور بعون الله وقوته ظافرا به وباهل ملته ، فطب نفسا وقر عينا ، فاشار لي ان اسلم على ولده وهو جالس عن يساره اسمه مصطفى ، واظنه من خمسة اعوام وكنت لم اره ولم التفت اليه ، فلما اشار لي قمت اليه وقبلت راسه ورجعت لمحلي ، فقال للترجمان قل له يدعو لولدي ولاخيه ، واشار لناحيته فلما قال لي ذلك الترجمان التفت لناحيته فرايت الولد واقفا بالباب الذي يدخل منه السلطان لدار الحريم ، وهو اصغر من اخيه مصطفى اسمه محمود ، هو السلطان اليوم فى وقتنا ، وهو عام ستة وعشرين ومائتين والف فرفعت يدي ورفع يديه ودعوت لهما بخير ، وامرنا بالانصراف فقمت قائما وخرجت ودخلنا قبة المفتي .

ولما دخل السلطان دخل علينا خدامه القائمون باشغاله ، كانوا وقوفا عن اليمين والشمال وهم اربعون الذين يباشرون اموره أكبرهم السلحدار وهو صاحب السيف « والمهردار » وهو صاحب الطابع « والخزندار » وهو صاحب المال « والجوخدار » وهو صاحب لباسه « والقهوجي » وهو صاحب

النعال ، وصاحب المراة ، وصاحب « السفرة » وهو صاحب الماء ، وصاحب « الطشت والابريق » هؤلاء الاربعون مختصون بالوقوف بين يديه كلما دخل او خرج ، وهم فى قصر بجواره ، ثم يجاورهم اربعة قصور ، فى كل قصر مائة، فاذا مات احد الاربعين يخلفونه من المائة الموالية لهم ، اقدمهم فيها ويتخلف الذي خرج للاربعين بواحد من أهل المائة الثانية ، ويتخلف الاخير من القشايرية أهل المدينة والقشايرية يخلفون من مطلق الناس

* * *

رجوعا الى خبرنا ثم جاءنا أهل القبة فاكبوا على تقبيل ايدينا وطلب الدعاء منا ، وقالوا هذا الذي قبل يد السلطان عبد الحميد ، وقبل ركبته وجلس أمامه ، شيء لم يقع عندهم لاحد فساعدناهم بالدعاء ، وخرجنا على طريقنا التي اتينا منها ، فركبت وتوجه معي الترجمان السلطاني والحاجب الى بيت الوزير ، فوجدناه فى انتظارنا هو وأهل الديوان ، فقاموا للسلام علينا وجلسنا وبعثوا لصاحب القوانين والدفاتر ، فحضر فى أصحابه وتكلموا فى أمر الملاقات ووصفها لهم الترجمان فكتبوها فى الدفتر ، وقاموا لتقبيل ايدينا حيث قبلنا يد السلطان ، وحصل لهم سرور عظيم بذلك وركبنا وانصرفنا الى البيت بعد العصر ، فبلغت المغرب ، وبعد ساعة ورد علي « المهندار » الذي هو الاغى ومعه صاحب « الكزلاراغاسي » بكيس فيه ألف محبوب من عند السلطان عبد الحميد ، وحق فيه خاتم ذهب ، وحق فيه ساعة ذهب بالاختيار ، ودفع لي هدية « الكزلارشقة » من بركاضوا فى محرمة ، وبقجة من لباسه فى ترزيم ومائة محبوب من عنده ، وبطاقة بالتركي فيها الاعتذار من التقصير ، ولما اخبر الاغى اصحابنا الطلبة بالواقع ، بلغ بهم الحسد مبلغا عظيما حتى فطن لهم الاغى وقالوا له ليس هذا شيئا فقال لهم هذا اكرام زائد من السلطان ، واما معلوم الدولة لا زال ياتيه ، نعوذ بالله من الحسد وسوء عواقبه .

* * *

الكتب التى اشتراها المؤلف للسلطان سيدى محمد

ولما قضيت الغرض واشتريت الكتب التي اوصاني بشرائها أمير المؤمنين وهو مسند ابي حنيفة النعمان ، ومسند الامام الشافعي ، ومسند الامام احمد ، والطريقة المحمدية المختصرة من الاحياء ، اقتصر فيها على ما

هو مشهور ، وبين اعلام الامة يدور ، واعطاني الوزير الاعظم اختصار المواهب الاربع ، فى سفر ، وتأليف الدرر المتداول عندهم فى الفقه الحنفي كخليل عند المالكية ، وشرحه المسمى بالغرر على الدرر ، فى سفرين كالزرقاني .

وبعد عشرة ايام وجهوا لنا الرجل المعين للسفر ، وهو أحد الكتاب اختاروه لكونه يعرف العربية واوصوه أن يتأدب معنا ، وقالوا لي نحبك أن تختبره فان وافق غرضك فذاك وان لم يوافق نظرنا غيره ، فاذا هو من أعلم وقته ، مشارك فى جميع الفنون ، فكتبت لهم جواب الورقة واثنيت عليه خيرا ووصفته بالعلم والادب وحسن الخلف ، وكان ياتيني كل يوم ويستعمل معي آدابا استحيي من فعلها الى أن اخذ بمجامع قلبي .

وحيث عزمنا على السفر ولم يبق لنا الا الطلوع للمركب ، تعين علينا تقييد ما شهدناه من ضخامة هذه الدولة وسبب دخولهم لبر الروم ، ومـا يتعلق بالدين من المساجد والعلم والعلماء ، فنقول :

تاريخ آل عثمان :

ان من ضخامة هذا الاصطنبول مسجد آية صوفيا ، الذي كان كنيسة للكفار ايام ملك الروم بها ، ولما فتحها السلطان محمد بن مراد صيرها مسجدا وسبب دخول هؤلاء العثامنة لبلاد الروم ما ذكره القرماني فى تاريخه اخبار الدول ، وآثار الاول ، ونصه : « **آل عثمان** من اعظم سلاطين الدنيا ابهة وجلالة وشدة وقوة وآثارا فى الارض »

فأول من ملك منهم فى ممالك الروم الامير عثمان الغازي بن الامير ارطفل شاه ، ابن الامير سليمان شاه ، وعمود نسبه يتصل بيافت بن نوح عليه السلام ، وهو الجد الثاني والاربعون للسلطان محمد الفاتح للاصطنبول، لا زالت خلافته مرفوعة والوية سلطنته منصوبة

ولما كانت اسماؤهم بلغة الترك القديمة فيها تعقيد كثير ، وضبطها عسير ، تركت ذكرها واستكفيت بالعدد ، واستغنيت عن طلب المدد ، وكان جدهم سليمانا هذا ، سلطانا فى بلاد ما هان ونواحي بلخ .

ولما ظهر جنكيز خان ملك التتر وخرج من الصين وقصدوا مدينة بلخ ، وغلب عليها السلطان علاء الدين خوارزم شاه ، وخربها وتفرق أهلها فى البلدان عام أحد عشر وستمائة ، ترك سليمان شاه تلك البلاد من جملة من

تركها من الملوك لظهور التتر عليهم وقصد السلطان الروم علاء الدين السلجوقي لعظم دولته ، وكثرة عساكره واعتنائه بغزو الكفار ، ومع سليمان شاه من اخوانه اربعمائة جركاه ، اعني خيمة ، يكون الف مقاتل ، من الراكب والراجل ، وكلهم كالسباع ، من غير الخدم والاتباع

ولما بلغوا « أرزنجان » تحاربوا مع الكفار فهزموهم وقتلوهم وسبوا منهم سبيا كثيرا ، وقصدوا نواحي حلب من ناحية الشمال

ولما وصلوا الى نهر الفرات أمام قلعة جعفر ، لم يعرفوا المعبر ، ودخلوا النهر فغلبهم الماء وغرق سليمان شاه ومات ، فأخرجوه ودفنوه عند قلعة جعفر ، فقبره هناك يزار ، وبقي اولاده الثلاثة وهم سنقور زلكي ، وكور طوعدي ، وارطفول فارتحلوا بحلتهم

ولما بلغوا « تقات » رجع سنقور زنكي « وكور طوعدي » الى بلاد العجم ، واقام ارطفول شاه فى قومه ، وهو جد الملوك العثامنة ، واولاده ثلاثة، وهم قدر ، وصار وبنى ، وعثمان ، فاقوا بتقات ، على جهاد الكفار ، ووجه ارطفول ولده صار وبنى الى سلطان قونيا وسوار ، وهو السلطان علاء الدين كيقباذ السلجوقي ، يستأذنه فى الدخول لبلاده ، ويطلب منه محلا ينزله ويستوطنه ، فعين له جبال طومالخ وجبال ارمناك وما بينهما من الارض ، ينزلها فتوجه لها ارطفول فى قومه ، ونزلوا فى فرجة طاع ، واقاموا بها الى عام خمسة وثمانين وستمائة ، فنازل السلطان كيقباذ الساجوقي ، مدينة كوتاهية ، وهي يومئذ بيد الكفار ، وحاصرها ، فقدم عليه الامير ارطفول شاه فى قومه ، ونزل معه ففرح به واكرمه وجعل له النظر فى حصار القلعة وحربها فاجتهد ارطفول واخوانه فى حربها الى أن فتحوها عنوة ، وحصلوا على اموال كثيرة وسبي كثير ، فازداد عند السلطان قربا وحظوة ، واستمر على الجهاد الى أن مات عام سبع وثمانين وستمائة فاسف عليه السلطان كيقباذ وولى امارته لولده عثمان بيك ، ووجه له الخلع والمراكب واللواء والطبل السلطاني .

وكان عثمان هذا مجاهدا يحب أهل العلم ويكرمهم ، قبل ملكه وبعده ، وكان كثيرا ما يتوجه الى الشيخ العارف ارذبالي القرماني ويبيت بزاويته فراى ليلة وهو عنده كأن قمرا خرج من حضن الشيخ ودخل فى حضنه ، وعند ذلك نبت فى سرته ، شجرة سدت اغصانها الافاق ، وتحتها عيون واشجار ، والناس ينتفعون بتلك المياه ، فقص رؤياه على الشيخ ارذبالي فقال له ، لك البشارة بملك الدنيا والسلطنة ، ويعلوا أمرك وينتفع الناس بك

وباولادك ، واني زوجتك ابنتي هذه فقبل عثمان بيك وتزوجها ، فولدث له اولادا من جملتهم السلطان اورخان الذي تولى السلطنة بعده

ولما كثرت هزائم التتر للسلطان علاء الدين كيقباد ، ومات ، ملك بعده السلطان قلج ارسلان السلجوقي ، وغلب عليه التتر وأسروه . ولما حصل فى اسره سم نفسه ومات

ولما بلغ خبر موته بايع الناس السلطان عثمان الغازي وخطب له ختنه الشيخ ارذبالي مولانا طورستان الفقيه بمدينة « قرا حصار » ، « عام تسع وتسعين وستمائة » واستمر على غزو الروم الى أن فتحوا مدن الانضولـــي وقطعوا الخليج الى الرميلي وفتحوا مدنه الى ان فتحوا الاصطنبول ، « عام سبع وخمسين وثمانمائة »

الزيانى فى طريقه للمغرب وما حصل له :

رجوعـــــا ولما سافرنا من الاصطنبول فى البحر استأسد الرجـــل واصحابه واظهر لي الجفاء واراد ان يتقدم علي فى الاقوال والافعال بعـــد وصيتهم له أن يكون عند أمري فحضرني بيتان كتبت له بهما وهما :

لا تركنن لتركي وان عظمـــت	منه العبادة حتىطار فى السحب
ان جاد يوما فكانالجود عن غلط	وان تمرد عـــن أم لـــه وأب

فكان يتكلم مع رئيس المركب فى الدخول لمرسيلية لنعمـــل فيـــها « الكرنطينة » فذكر لي الرئيس ما اراد فقلت له لا يمكنني ذلك لان السلطان امرني ان لا أدخل لبلاد الروم فلا حاجة لي بدخولها

فكان هواه ان يتوجه لها لانها بلاده ، واطمع التركي لقلة معرفته بان قال له اذا سمع أهل مرسيلية وحكامها وقنصواتها بك وانك باشـــــدور العثماني ، اهدوا لك ووصلوك ، وتحصل على شيء كثير ، فدلاه بحبـــل الفرور ، ووافقه النصراني ، واصفقوا على ذلك حيث لم أساعدهم عليه ، وقالوا اذا بلغنا المحل الذي تفترق فيه الطرق ، رجعنا لطريق مرسيلية ، فبلغني ذلك ، فكنت ارصدهم وكل يوم انظر فى الكارطة واعرف اين محلنا واين بلغنا ، الى أن وصلنا المحل الذي يتوجه منه لمرسيلية ، فطلعت فـــوق القامرة وجلست ووقف خدامنا بسلاحهم

ولما اراد الرئيس ان يعمل « طيرموله » قلت له ماذا تريد قال ادور لمرسيلية ، قلت ابق على طريقك ، والله لو درت بالمركب لاقتلنك فقـــال

بالغضب على ، قلت نعم ، قال بسم الله ، وقصد طريقه والتركي لما رأى مني ذالك رجع لمحله ففسد ما بيننا وبين الرئيس ، واشتغل معنا بالعكس ، فقال لم يبق لي ماء فقلت هذه جزيرة « برطماعون » امامنا فاحمل منها الماء ، ومن الغد بلغناها ، فدخل المرسى وجاءتنا الفلوكة فارسل لقونصوا الفرنسيس ان ياتيه فاتاه فى فلوكـــة

ولما قرب من مركبنا وقف وانا انظر اليه من طاق المركب ، فوقف له الرئيس وسلم عليه ، من اين والى اين فقال له ، حملت باشدورين احدهما للعثماني ، والآخر لسلطان الغرب ، واردت ان اعمل الكرنطينة بمرسيليـــة باتفاق من باشدور العثماني ، فمنعني منها باشدور الغرب ، وقال لي اقتلك، وخفت على راسي منه ، فاريد منك ان تخلصني ، فطلع التركي وسلم على النصراني وقال له صحيح ما قال لك الرئيس ، هذا تعصب عليه وعلينـــا باصحابه ، فقال واين هو هذا الرجل كلموه لي ، ولقد سمعت ذلك كله لاني اعرف اللسان ، فقالوا لي ان القونصوا يطلبك ، فقلت لهم يأتي امام الطاق واكلمه ، فزاد الى ان واجهني وسلم علي ، وقال لي يا سيدي هذا الرئيس يزعم انك منعته من جعل الكرنطينة بمرسيلية ، واردت قتله ، فقلت له ذلك رئيس احمق لا عقل له ، واضاف حمقه الى حمق التركي فقواه ، انا مأمور من سلطاني ان لا ادخل بلاد النصارى ، واكترينا المركب الى طنجة فلا حاجة لنا بمرسيلية ولا غيرها ، فانظر فى عقدة الكراء تعلم صحة حمقه ، فامره ان يخرج عقدة الكراء فقراها عليه ، فقال له القونصوا لا حجة لك عليه ولا تدخل به الا للمحل الذي يريده ، فقال لا اتوجه معه ، فانه يقتلني على هذه الشكاية وعلى هذا الكلام ، فراوده القونصوا فلم يقبل ، فتوجه القونصوا وقال الى غد ان شاء الله يكون خير ، ومن الغد وجه لنا القونصو فلوكة مملوئـة فيها ثور وشاة ودجاج وخبز وتين وحب الملوك وخضر كثيرة ، واصناف النوار ، وانواع الورد ، فنزلت للبر بقرب الكرنطينة ، وكان زمن الربيع ، فذبحنـــا وطبخنا واستحمنا وجلسنا الى الليل ، وطلعنا للمركب ، ومن الغد جاءنـــا القونصوا يرغب وقال اردتك أن اكتري لك مركبا غير هذا وهو مخلص الكراء فاجبته لذلك لاحسانه ، وجاء المركب ، فجاورنا ونقلنا له ما كان فى مركبنا واثقلنا له وسافرنا لطنجة ، فلما بلغناها ونزلنا بها اهملت التركي ، ولم اعرج عليه ، فلما رأى ذلك خضع ورغب وندم واعترف بذنبه ، وقال : اني رجل لا مال لي واطمعني النصراني بما ذكر لي من الاكرام ، فقلت له والله لو ذهبت لمرسيلية حتى تبيع حوائجك فى الملازم ، ولا ترى من يقف عليك لو انك اتيت باشدور لسلطانهم ، لابد من اكرامك فكيف وانت عابر سبيل .

الزياني في المغرب بعد السفارة

ولما قدمنا على السلطان سيدي محمد رحمه الله تعالى وبلغه مكاتب السلطان عبد الحميد وهديته ، سالني عن الامر فقصصت عليه الخبر من أوله الى آخره ، وبما سمعت منهم وبما قلت لهم فاستحسن الجواب وقال ، لابد لنا من اعانتهم على الجهاد ، فاستشارنا رحمه الله فى العدد فقلت مليونين فقال كثير ، فقلت مليونين عندهم هي ستمائة الف ريال وخمسين الفا من الدورو ، لان سكتهم ربعها فضة وثلاثة ارباعها نحاس ، اذا سكت كان عددها مليونين وسماع المليونين تعلوا به همة سيدنا ، قال رحمه الله « عافاك ، الله يصلحك » وامر بعدد الستمائة الف ريال وخمسين الف ريال ، سبائك من الذهب ، جعلها فى أربعة صناديق وختم عليها ووجهها لطاغية الاصبنيول ، يوجهها لطاغية الفرنسيس ، وهو يبلغها ليد السلطان عبد الحميد بالاصطنبول فجاء الجواب فى ستين يوما ، والباشدور لا زال عنده ، وقدم كاتب آخر وجهه بعده

ولما جاء الجواب ببلوغ المال ، بعثه لهما السلطان فاطلعا عليه وتعجبا من علو همته وسرعته لافعال البر ، وحينئذ كتب لهما الجواب ، واكرمهما اكراما كثيرا ، فوق اكرامهم لمن ياتي من المغرب من خدامه ، ومراده من توجيه المال على يد طواغيت الكفر ، النكاية لهم والارغام لانوفهم رحمه الله

وكان رحمه الله مولعا بافعال الخير وادخار ثوابها للاخرة ، وكان ينفق الاموال التي لا تسمح نفس ملك بانفاقها ابتغاء مرضاة الله وثوابه

* * *

ولما وجه للاصطنبول المرة الاولى مع القائد مبارك بن هماد والامين الحاج عبد الله الشرفي ستمائة الف ريال ، وركبوا بها من طنجة سالني يوما فقال لي ، ما يقول الناس فى هذا المال الذي وجهت للجهاد ، فقلت يقولون لو صرفته فى الجهاد بالمغرب كان اولى ، فضحك وقال وأي جهاد فى غربنا ، قلت : سبتة ومليلية وبادس والنكور قال لا فائدة فى عمارة تلك القرى الثلاثة، نعم سبتة هي واسطة ارض المغرب ، ولكن لا يحار بها الا احمق أو جاهل ، لا-

ينفع فيها حرب ولا ينشأ عنها الا السبة للاسلام ، فالاعراض عنها اولـى ، وذلك المال الذي وجهنا للسلطان العثماني الذي هو بصدد الكفار وعساكره مقابلة لهم ، اولى من صرفه بمغربنا وبقائه عندنا عرضة للتلف ، فوالله لا يصرف بعدنا الا في المحرمات ، نسأل الله أن لا يحرمنا من ثوابه كله

وبعد ايام وجه لهم على يد طاغية الاصبنيول مائتين واثنين وسبعين الف ريال « دورو » كان وجهها لفكاك اسرى المسلمين من مالطة فلم يقبلوها وردها وندموا في بيع الاسرى فوجهها للاصطنبول وقال لهم ، هذا مال كنا اخرجناه فى سبيل الله بقصد فكاك اسراكم ، وحيث جحد الكفـار البيع لا يرجع الينا اصرفوه فى الجهاد ، ثم وجه لهم نصره الله بعد هذا مائـة وخمسين الف ريال وقال للسلطان اصرفها بنظرك اما للحرمين أو للجهاد

ثم وجه لهم اربعة الآف برميل من البارود ، فى كل برميل قنطار مـع الطاهر فنيش .

ثم وجه لهم اثنى عشر الف قنطار من ملح البارود طلبها السلطان له ، فوجهها فى اربعة مراكب ، كل مركب فيه ثلاثة الآف ، مع العوني مركب ، ومع عبد العزيز والصنهاجي مركب ، ومع الزوين مركب .

ثم وجه لهم اربعة مراكب من قراصينه مع العباس مرين ورؤسائهم ، ثم وجه لهم معنا اربعة الآف قنطار من النحاس طلبوها من السلطان .

ثم على اثرها وجه لهم اربعة مراكب قرصانية مع الطاهر فنيش ، فى السفرة الثانية ، ثم وجه لهم على يد طاغية الفرنسيس ، الستمائة الف ريال وخمسين الف ريال سبائك من الذهب لما طلبوا السلف

ووجه مع غير هؤلاء قبل هذا خيلا بسروج ذهب منبتة بالياقـوت والزمرد واسلحة من اسلحته من الذهب منبتة بالياقوت والزمرد وكل ذلك قصد به وجه الله وثوابه ولم يرد به رياء ولا سمعة ، ولو طال عمره لم يترك فى بيت المال درهما واحدا ، وما بقي بعد موته تبذر كما قال رحمه الله ، ولم ينتفع به احد الا اجلاف البربر واهل الجبال ، وما تبذر على حرب سبتة التي لا يطمع فيها عاقل ولا يحاربها الا جاهل كما قال ، وخلف رحمه الله بالدار البيضاء مليونين وهي الفا قنطار بالتثنية ، وكان ببيوت اموال المراسي مليونان وكان بتطوان ذهب سبائك ومقادير ثمانمائة الف مثقال ، حازها اليزيد لمـا بويع .

وكان عند طاغية الاصبنيول من ثمن وسق الزرع واجب خمسين مركبا وسقوها ولم يدفعوا صاكتها قبضها منهم وهي ثمانمائة الف ريال دورو ، وكان رحمه الله وجه على قرب موته مائة الف مثقال للاصطنبول للسلطان عبد الحميد ، يوجهها للحرمين الشريفين مع امين صرة ، فلما سمع بخبرها اليزيد وجه محمد الاسحاقي مع أهل فاس ، وكتب للسلطان سليم يردها ، فردها من الاصطنبول ، وهي آخر ما اتلف عفا الله عنا وعنه ، فانظر الى عقل هذا السلطان الجليل الذي يخبر عن الامور قبل وقوعها ، ويعرف مآل الامور قبل ظهورها ، رحمه الله ورضي عنه .

مكيدة قيصر لسابور :

ومن شاهد هذه الاصطنبول فقد شاهد العالم كله ، ومن جملة ذلك ما يحكى ان سابور ذا الاكتاف ، كان عظيم الملك مقداما فى الحروب يجول فى اقطار بلاده متنكرا ، ويخاطر بنفسه منفردا ، فخافه قيصر ملك الروم بالقسطنطينية ، فوجه بعض فلاسفته الى بلاد ساور وامره ان يحتال حتى يشاهد سابورا ويصور له صورته حتى كانه يراه ، ولا يكتفي برويته مرة بل يتعرض له مرارا ، حتى ياتيه بصورته على كل شكل وزي شاهده عليه ، واعطاه زاد سفره ووجهه لبلاد سابور ، فلما وصلها نزل بكنيسة وخالط شمامسة (1) الفرس ، وصار يخرج معهم للفرجة فى بساتين البلاد ومنتزهاتها واسواقها ، وبيوت نارها ، ويترصد الفرصة الى أن شاهد سابورا فى يوم عيد لهم فاثبت صورته وحققها ، ثم اقام مرة الى ان رآه ثانية فى يوم النير ، ثم ثالثة ، ثم رابعة ولم يبق عنده ريب فيها ، ورجع الى القسطنطينية فدخل على قيصر ووضع بين يديه صورة سابور مثبتة فى صحيفة من فضة كانه هو ، فتعجب قيصر من حسنه ، واكرم الفيلسوفي ، ووجهه الى حال سبيله ، وامر الوزير أن يحضر الصناع الذين يصنعون ثيابه وان يثبتوها على الثياب ، وعلى البسط ، وعلى الستور ، وعلى الموائد ، وعلى أواني الشرب ، واواني الاكل ، وفى البيوت التي يسكنها ، ويدخلها ، وفى كنيسته وكنائس بلاده ، حتى لا تخفى على احد ، وهذا كله حذرا وخوفا من سابور ان يدخل بلاده متنكرا على عادته ؟!

1) فى الاصل شماسة : وهي تحريف سماسة وهم سدنة الكنائس وهي من السريانية ـ الخادم ومنه الشماس الانجيلي

وكان سابور متطلعا لاخبار قيصر ، ويبعد عن احواله ، وكيفية ملكه ، وحضرية بلاده ، فيخبرونه بما هو عليه من الحضارة وكثرة المال ، ووفورة العساكر ، فيتمنى الاستيلاء على مملكة الروم

وكان له وزير عاقل كبير السن كثير التجارب ، فكلما تكلم معه فى أمر قيصر يوخره عنه ويقول ان بلادك احسن من بلاده ، وقصورك افضل من قصوره ، ورعاياك اكثر من رعيته ، فلا تعتبر ما تسمعه من حضارة بلاده وكثرة ماله ، واقنع بما هيأ لك رب العالم ، ربك يزيدك ، الى أن اراد قيصر ان يزوج ولده ويعمل الوليمة وبعث الى جميع بلدانه واعيان رعيته ان يهيئوا جميع ما يحتاج اليه من كل بلد ، وبالقدوم عليه لحصول الوليمة فى وقت معين سماه لهم فى كتبه ، فسمع بذلك سابور فما امكنه الصبر عنه ، وتكلم مع وزيره فى ذلك ، فسد له ابواب الطمع ، فاعاد المشورة معه فى ذلك فخوفه وحذره ، وقال له لا تغرر بنفسك حتى تدخل بلاد قيصر ، فلا آمن عليك مكره ، فقال سابور ومن له بمعرفتي ومن انا فى بحر من الناس حتى اعرف ، فقال له ان مكر الملوك لا يدرك وحيلتهم لا تنكر ، وانا لا اوافق على هذا ابدا ، فانك اردت ان تغرر بنفسك وبملكك وبرعيتك ، ويتملكهم الروم ، فانهم ينتظرون منك ما تنتظر منهم ، وهم احوج منك الى ذلك ، فقال له سابور لابد لي من الحضور فى هذه الوليمة ودخولي القسطنطينية ، ولو تحقق الموت ، فما وجد الوزير حيلة لمنعه ، وما امكنه الا مساعدته على غرضه ، وتهيئا للخروج معه فى رفقة ، وقال لسابور انا لا اقيم بعدك ، ولكني لا اكلمك ولا اجالسك ولا اراك الا من بعيد ، حتى يقضي الله امر ما هو قاض ، فاوصى سابور من يقوم مقامه على عادته حتى يرجع ، واوصى الوزير من يقوم مقامه وتزيا سابور بزي تاجر فى لباسه ، وتزيا الوزير بزي طبيب ، وحمل جواليقه وآلة الطب وكتبه ، وخرج من المدائن فى رفقة تجار خفية ، فاذا نزل سابور فى ناحية نزل الوزير بعيدا منه فى ناحية ، الى أن بلغا الشام ، فوجدوا اهل الشام متهيئين للقسطنطينية لحضور الوليمة ، فلما خرجوا صحبهم سابور والوزير ، كل فى ناحية ، فاختلط الوزير باهل الرفقة ، وكان ينزل بجوارهم ، فلما سألوه انتسب لهم انه من مصر ، طبيب ماهر عابد يسرمد الصوم ، فاذا دعوه للاكل قال : اني صائم اصوم الدهر ، ولا آخذ الاجرة على الدواء ، وما خرجت من مصر الا لاداوي فى سبيل الله ، فعظم فى اعينهم وشاع خبره بينهم ، فلما بلغوا القسطنطينية دعوه للنزول معهم ، فقال اكرامكم لي هو ان تبلغوا خبري لقاضي القضاة البابا ، الذي هو صاحب دين الروم ، فاني ما

قدمت الا بقصد دواء المجاهدين ، وانفق ثمن الدواء من عندي ، فلما نزلوا توجهوا به الى ذلك البابا ، واخبروه بخبره وعظموا له أجره، ووصفوه بالعبادة والدين والصوم الكثير المسرمد ، وقصد مداواة المجاهدين مجانا فى سبيل الله ، فسر به البابا ، وانزله عنده ، واكرمه اكراما عظيما ، وكان يسامره فى الليل ويحادثه ، فوجده بحرا لا ساحل له فى العلوم والفلسفة واخبار الامم وسيرة الدول ، فاخذ بجميع قلبه وصار لا يفارقه الا وقت النوم ، فاذا نام البابا بفراشه اعتزل الوزير يصلي ، فاذا تيقظ البابا من نومه وجده قائما فى صلاته فتعجب من حاله .

هذا خبره .

واما سابور لما دخل القسطنطينة ، نزل بخان مع تجار ، وكان يطوف فى القسطنطينة ويجول فى اسواقها ، وحاراتها ، وكنائسها ، ويتنزه فى بساتينها الى يوم الدعوة الذي يدخل الناس فيه الى دار قيصر لاطعام الطعام ، فبعث قيصر الى الفيلسوفي الذي صور له صورة سابور فاتاه ، فأمره أن يجلس بباب قصره وينظر الى جميع من يدخل القصر ، وقال له :

اني اعلم واتحقق أن سابورا ياتي لحضور هذه الوليمة مختفيا فى زي خامل ، وما عملت هذه الوليمة ودعوت لها الناس الا بسببه ، فاياك ان يفوتك فانك تعرفه على صورته وعلى كل زي ، فان أفلت منك اتيت على نفسك ، واذا وقعت عيناك عليه فلا تفارقه ، واجلس معه حيثما جلس ، وهذا خديمي يجلس معك فى باب القصر ، فاذا رأيته وجهه الي يخبرني ، وانت لازمه .

أفهمت ، قال نعم

هذا خبره .

واما سابور لما رأى الناس يتوجهون الى دار قيصر ، دعته نفسه الى مشاهدتها ومعاينة ما فيها وليعلم زي قيصر فى داره ، وفرشه واطعمته ، وابهات ملكه ، ليشفي غليله ، فخرج فى جملة الناس وتقدم الى القصر ، فلما رآه الفيلسوفي الذي كان يرصده بنفس ما وقعت عليه عينه ، أخبر الخادم الذي معه وقال اذهب الى سيدك قيصر وعرفه ان المطلوب حصل ، وان الفرض وصل ، وانا فى صحبته حتى يا تيني امرك ، ولما دخل سابور على باب القصر ، تبعه الفيلسوفي من بعيد ، الى أن جلس فى قبة مع جماعة ، فدخل الفيلسوفي وجلس قريبا منه ، فلما رفع راسه ، رأى صورته على ستر ، فرد راسه يمينا فراى صورته على حائط فوضع بصره فرآها على

بساط فسقط بيده ، فتغير لونه فرآه الفيلسوفي فعلم انه رآى صورته ففهم ما وقع فى نفسه .

هذا خبره .

واما خبر الوزير الذي عند البابا ، فانه لما كان يوم الوليمة وبعث له القيصر فى الحضور لداره ليتبرك به ، دعا الوزير للتوجه معه ، فقال له اني صائم وارافقك الى باب القصر ، وانتظرك الى أن تخرج ، وتوجه معه الى باب القصر وجلس بناحية ، وقصده بذلك الاطلاع على سابور وخبره ، فانه متحقق انه لا يصبر على الدخول للقصر ، واذا دخل فانه لا يخرج ، ولما اخبر قيصر بدخول سابور ، وان الفيلسوفي ملازم له ، عظم سروره وبعث الى البابا يبشره بحصول سابور ومشاهدته عيانا ، فلما حضر الطعام ووضع الخوان رآى سابور صورته عليه ، زاد غمه ، فلما جاء الطاس والابريق رآى صورته عليه ، علم انه مأخوذ ، فتكلم الفيلسوفي وقال يا اخواني ان هذه الصورة التي على الخوان وعلى الابريق وعلى البساط وعلى الستر ، تخبرنا ان صاحبها حاضر معنا ، والتفت الناس اليه واستفهموه ، فتحقق سابور الموت ورفع يده من الطعام ، وجاء اذن قيصر بالقبض عليه والمثول بين يديه ، فلما حضر سأله قيصر فانكر وقال : لست بسابور ، فبرز اليه الفيلسوفي وعرفه بنفسه ، فتحقق وعلم ان الانكار لا ينفعه ، فاقر انه سابور ، فأمر به قيصر ان يثقف فى محله بقصره ، وخرج البابا من عند قيصر متعجبا من امر سابور وتغريره بنفسه واقدامه على خراب دولته وملكه لغير ضرورة لحقته ، فوجد الطبيب فى انتظاره فاخبره بقبض سابور ، فاستغرب الوزير ذلك ، وقال متعجبا كيف يكون هذا ويترك سابور ملكه وياتي منفردا ، هذا شيء لا يكون ، ولعل هذا المقبوض احمق زعم انه سابور ، وقال لبابا هذا محقق مقرر لاشك فيه ، وهذا من عجائب الدنيا ، وفى الحين أمر قيصر بحضور وفود الروم التي قدمت عليه لحضور الوليمة ، فقاموا بين يديه مقبلين الارض ، فقال لهم ان هذه الوليمة التي امرتكم بحضورها لا تتم الا بالعراق لان العروس بدار كسرى بالمدائن ، وهناك يولم بها ، فمن اتى بهدية فليبقها تحت يده الى يوم الزفاف ، وقد امرت لكم بضيافة ثلاثة ايام تقضون فيها اغراضكم وضروريات سفركم ، فقوموا فى حفظ الله ومن تخلف بعد الثلاث لا يلوم الا نفسه .

واخرج مضاربه واثقاله وآلةحربه وبلغ البابا بان قيصر متوجه الى العراق لايقاع الوليمة بدار سابور لابنه على بنت سابور ، واخبر بذلك الوزير ، فلما

سمع كلامه ازال عمامته واشتغل بحمد الله وشكره وبكى ، فقال له البابا ما هذا يا سيدي فقال هذه غنيمة ساقها الله الي وهذه مدة وانا اطلب الله أن يرزقني الشهادة ، فلو كنت ببلد مصر وسمعت بهذه الغزوة لقدمت اليها ، أجري ، وانا بهذه البلدة فالحمد الله على تمام نعمته ، فقال له البابا اتق الله يا أخي ولا تفجعني بفراقك ، فانك ملكت ظاهري وباطني ، ولا أقدر على مفارقتك ابدا ، فسلاه الوزير بالرجوع اليه ان سلم ، وقال له نحبك أن لا تحرمني من هذا الاجر ، فان حصلت لي الشهادة فى الجهاد فهو المطلوب ، وان انقذت نفسا اشرفت على الموت بمداواتي فهي غنيمة وثوابها عظيم ، فقال له البابا اوصي بك الوزير ان تكون عنده الى أن يردك ان شاء الله ، فقال له الوزير احسانك الي ان توصيه ان لا يكلفني باكل طعامه ولا شرابه ، فاني من يوم ادركت ، لم آكل طعاما حراما ولا طعام احد قط ، وتجعل الي طعاما بدارك أتزود به وافطر عليه ، ويفردني بقبة بجواره اخلو فيها بزي وتجمع هذه الآلة التي اعددتها لاشفاء الخلق لا غير ، هذه وصيتك بي ، واطلب الله أن يرزقني الشهادة فى الجهاد فتأسف البابا على مفارقته لما جاء الوزير لموادعته ، وطلب دعائه ، قال اني موجه معك بسويداء قلبي وسمعي وبصري، هذا العابد الزاهد الصالح البركة ، ولولا اني مكلف بتدبير هذا الدين لتوجهت فى صحبته ، ولم اقدر على مفارقته فاغتنم بركته وفز بخدمته ، واعلم انه لا يأكل الا الزاد الذي ازوده به من داري ، وافرد له مسكنا يعبد فيه ربه ، ويجمع آلة طبه ، فما قصده الا الجهاد ومداواة الجرحى بلا شيء ، وستعلم بركته وفضله اذا رافقته ، فقبل الوزير يده وكلف من اعوانه من يحمل حوائجه ، وانزله فى خيمة بجواره وخرج معه .

واما قيصر فانه امر الوزير ان يصنع محفة من جلد الجاموس مطبقة بعضها على بعض ، ويجعل لها بابا من اعلاها وقفلها من أسفلها ، ويجعل بها سابور ويغلق عليه الباب ويجعل عليه قفلا موثقا ، وتحمل بين بهيمتين بين يديه ، والحرس عن يمينها وشمالها ، فاذا نزل فى المحلة يجعل المحفة فى قبة بجنب قبته ، ويفتح عليه بابها الى ان يطعم ويسقى ويقضي حاجته ويسدها عليه ويقبض مفاتحها

هذه كيفية السفر به ، فلما فعل الوزير ما أمره به قيصر وخرج ، حمل سابورا فى المحفة بين يديه الى ان بلغ العسكر ونزل فى قبة ، وانزل سابورا فى قبة فى محفته الى جانبه .

ولما بلغ اعوان الوزير بوزير سابور الذي اوصاه به البابا خرج الوزير لملاقاته وانزله بنفسه ، وبنى له خيمة بجانبه الاخر ، افرده فيها بجواره .

ولما امسى المساء دخل الوزير الى خيمة وزير سابور ، وقال له يـــا سيدي اردت ان اتبرك بدخولك الى منزلي ، واغتنم مواعظك وافوز بدعائك لعل الله ان يجعل سببا ببركتك ، ومخرجا فى هذه الحركة ، وهذا سابور معنا ولابد من ملاقات جموعه ، فقال وزير سابور ما سمعت ، فان سمعـــي قليل ، ارفع صوتك ، فاعاد مقالته باعلى صوته ، فقام معه ودخل قبتـــه واشتغل وزير سابور يعرض له فى تغريره بنفسه ، لمخالفته فيما اشار يـــه عليه ، وصار معه فى الطريق كل ليلة يدخل وزير سابور لمسامرة الوزير ، فاذا حضر الاكل امتنع واخذ من زاد البابا يأكله ، وفى كل ليلة يحدثه بحديـــث غريب ليسمعه سابور ويتحقق ان وزيره يسعى فى خلاصه ، الى أن نزلـــوا بأطراف العراق ، فأمر قيصر العسكر بالعبث والحرق وهدم الحصون وقطع النخيل ، الى ان نزلوا بالمدائن دار مملكة سابور قريبا من اسوارها ، فتأهب وزير سابور لخلاصه ، وكان اعد مسكرا للوزير والحرس ، فرماه للطباخ فى المطبخة ، ولما تفرق الطعام على الوزير والحرس واكلوا ، غابوا على الوجود ، فقام وزير سابور واخذ مفتاح المحفة من تحت راس الوزير ، وفتح لسابور فاخرجه ، فلم يقدر على المشي فحمله على ظهرل وتوجه الى جانب الباب ، ونادى على العسكر فكلموه ، وعرفهم انه سلطانهم ، ففتحوا وادخلوه ، ونادى وزيره فى العساكر ، ففتحوا الابواب وداروا بالعسكر فكبسوه والناس نيام ، فقبضوا على قيصر وقرابته ، والزمهم سابور أن يبنوا ما هدموا من تراب بلده ويغرس مكان كل نخلة قطعها ، زيتونة من أرضه ، فأعطى خط يده بذلك فسرحه ووفى له ، ولم يكن بعد سابور أعدل من « كسرى انو شروان » وهو الذي بنى الايوان العظيم ، وجعل فى مجلس حكمه سريرا من ذهب مرصعا بانواع المعادن الحجرية والياقوت والزمرد ، وتاجه معلق بالسلاسل علـــى صورة راس الاسد مجوف مكلل بانواع اليواقيت ، فاذا جلس على السرير يدخل راسه فى التاج ويامر بدخول الوزراء والامراء فيقفون بين يديه يمينا وشمالا ، ثم يدخل اهل المظالم فيفزعون لمشاهدته ، وينادي مناديه بالفارسية ومعناه « يحق الحق ويبطل الباطل ، فمن لا حق له فليخرج سالما قبل ان يصير نادما » وحينئذ يسمع منهم واحدا واحدا ، ذكره الخطيب البغدادي فى تاريخه ، فانظر الى هممهم وما يرتكبونه فى طلب المعالي، ومنهم سلطاننا سيدي محمد رحمه الله ، ولقد تبع سيرته مولانا امير المؤمنين سليمان بن محمد فى جميع امـــــوره .

ولما رجعت من الاصطنبول قلدني رحمه الله ولاية الاعمال اختصرها على الاجمـــــال

وكنت اكيل الفضاء ما بين تلمسان الى رباط ماسة ، الى ان بلغت ولاية سجلماسة ، وهناك اقترح علي المولى الاجل **مولانا سليمان** بن امير المؤمنين جمع تأليف الترجمان المعرب ، عن دول المشرق والمغرب ، فواعدته بجمعه وقت الامكان ، الى ان مات الخليفة ، وكان من أمرنا ما كان ، وقبضه اللـــه لرحمته عام اربع ومائتين والف

* * *

نكبات المؤلف وصنع اليزيد معه :

ولما بويع ولده اليزيد كنت ممن يلطخهم شزرا ، ويرى الايقاع بهم ليس بوزر ، بل هو ثوابا واجرا ، ففوضت الامر فيما اخافه واخشاه الى ما اراده الله ، وزهدت فيما بين يدي لمن يريده ويترجاه ، فلم اشعر الا وانا فى قبضته اسير ، وفى الغل والضيق الشديد العسير ، وكل ما عنـــدي من الـــدور والاسباب محوز ، وممنوع مما لا يجوز وما يجوز ، وهذه النكبة الثالثة

وبعد شهور سرحني وردني لخدمته ، ونظمني فى سلك كتبته ، وبعد شهور وثب علي وثبة الانتقام ، التي هي مسك الختام ، فضربت بحضرته الى ان غبت عن الوجود ، واخرج الكابوس والملأ شهود ، فانقبض لذلك وانتكس ، وسار مغضبا وبس وعبس ، وادبر واستكبر ، وقال هذا ساحر البشــــر ، واقمت بسجن العرائش شهرا ، مع من كان فيه من الاسرى ، ثم امر بقدومي للرباط ، وجلس لقتلي فى نشاط ، وانبساط ، فعصمني الله منه بعـــد أن جردني من اللباس ، وقطعت من حياتي « الالياس »

وهذه النكبة الرابعة فحصل لطف الله من حيث لا يدري بعد ان اراد كسوف شمسي وخسوف بدري ، فاقمت بسجن الرباط الى ان بلغ خبــــر موته ، وتحقق الناس صحة فوته ، فسرحني أهل الرباط على أنف حاكمهم رغما ، وقدمت لفاس مسرعا عزما ، فحضرت لبيعة مولانا سليمان ولا أقول ما يعرفه اهل المعقول والمنقول

ولايته على وجده ونكبته ايضا

ولما تمت بيعته ، وبلغ أمنيته ، قلدني ولاية وجدة التي فى حيز الاهمال، وازعجني لها من غير امهال ، فاستعفيته فلم يقبل كلامي ، واسترحمته فلم يرحم ذمامي ، وخرجت لها فى طالع نحس مكدر ، للسابق المحتوم المقدر ، فجاءنا العرب من كل حدب ينسلون ، ووقع الحرب فانهزم من معنا من العسكر هاربون ، فنهب العرب ما عندنا من صامت وناطق ، وصاهل وناهق، وبتنا بقبضة العيون ، بعد قضاء الديون ، فازمعت الرحلة عن المغرب ، وتركت من بقي من اعجمي ومعرب ، وهي الرحلة الثالثة ، والنكبة الخامسة

فقطعت جبل بني بزناتن لناحية البحر وقصدت مدينة وهران ، التي بها الباي محمد بن عثمان ، ولما اجتمعنا به أظهر التاسف والتوجع على ما أصابنا ، واقسم انه لا يترك الاخذ بثأرنا . من عرب انقاد وقال الحمد للهحيث سلمت وبلغتنا ، فطب نفسا وقر عينا ، فانا نخلف لك جميع ما ضاع ، وشرع فى السؤال عن ملك الغرب وكيف حال اولاد السلطان سيدي محمد ، ومن هو القائم بامرهم ، فقلت ان السلطان مولاي سليمان صاحب عقل وعلم ودين ، وكل الناس راغبون فيه ومحبون له ، فقال وهل عنده مال فقلت نعم عنده ما يقوم به الان من المال ومن الرعايا لا ينقطع ، فنظر الى كاتبه الكبير نظر المنكر ، ثم قال ذهب ملك المغرب مع مولاي محمد ، فقلت له والله ان هذا السلطان مثله واكثر فى العدل ، والرفق ، والسياسة ، وهو الذي يبني مجد والده ويزيد عليه فنظر الى كاتبه نظر المنكر ، كأنه يزيف قولي ثم حضرت سفرة غذائه فنزل عن سريره وجلس اليها وقربني له وامر كتابه بالاكل معنا

ولما فرغنا امر كاتبه الكبير ان ينزلني عنده بداره ، ومن الغد وجه لي وحدثني بحديثه الاول فعدت لجوابي ، فقال ، اقول لك الحق ، ان ملك المغرب تشتت واولاد مولاي محمد لا تقوم لهم قائمة ، ولا يزالون فى الحروب بينهم الى أن ياتيهم من يخرجهم عن المغرب البتة ، فاحمد الله الذي نجاك وسلم ذلك وبلغك الى ها هنا فسترى وتسمع

وامر كاتبه الكبير ان يتوجه معي حتى يريني قصبة وهران وابراجها ومدافعها ومخازنها لانها فتحت على يده تلك السنة ، فمضى بي واوقفني على ذلك كله ورجعنا لمنزله .

ولما جلسنا تكلم معي الكاتب فى شأن المقام عندهم فقلت لا يمكنني هذا فاني اريد ان اتوجه لتلمسان لعل ان ياتي خبر من عند السلطان أو يكون ، رد لما ذهب لنا ، واكون قريبا لخبر ما ياتي من المغرب ، فاريد منك ان تكلم الباي فى توجيهنا لتلمسان والمقام بها الى أن ياتينا الفرج بما يبرره القدر .

ولما توجه له أخبره الخبر وجه لي . ولما قدمت عليه قال اني اشفقت من حالك واردت ان تستريح عندنا ، واما الرد الذي ذكرت فلا يكون الا منا وعلى يدنا ، واما انتظارك ما ياتي من المغرب فضرب فى حديد بارد ، وان لم ترد المقام عندنا واردت التوجه لتلمسان نوجهك لها ، اكتب له كتابا للقائـــد مصطفى وقل له يستوصي به خيرا وينزله بدار ويكرمه ويؤنس وحشته ولا ينقطع عنه حتى ياتيه الخبر من سلطانه ، ووجه معه فارسين يبلغان معه الى تلمسان ، فكتب الكتاب ودفعه لي وودعته وانصرفت .

مدينة وهران من بناء الروم :

وهذه وهران من بناء الروم قبل الاسلام ، ثم فتحت فى الاســـلام واستولى عليها بني يفرن ثم الادارسة بعدهم ، ثم الشيعة ، ثم زناتة ، ثـــم صنهاجة ، ثم لمتونة ، ثم الموحدون ، ثم بنو عبد الواد ، ثم بنو مريـــن ، ثم الاصبنيول ، ثم فتحها الترك ايام السلطان سليمان العثماني ، ولا زالـــت بايديهم

رجـــوعـــا ولما اصبح جاءني الفارسان وسرت معهما ودفعت لهما الكتاب الذي كتب لي . وقلت اتركاه عندكما الى ان تدفعاه للقائد ، ولمـــا ظهرت لنا تلمسان تقدمت عندهم وتركتهم مع أصحابي واسرعت ، ولما بلغت باب تلمسان وجلست فى ظل المسجد الادريسي القديم الى ان وصلاني فقالا لي ، اعزل لنا كتابك من كتاب الباي واعطانيهما ففتحت الاول فوجدته كتب للقائد كتابا بخلاف ما كتب لي ، وانه لا يصرف علي درهما واحدا ولا يخلص كراء الدار ولا ينفعني بشيء قل او جل ، فلما رايت ذلك استرحت وقبضت الكتاب الذي اعطيتهما ودفعت لهما كتابهما وعصمني الله من تلك الفضيحة حيث لم يدفع الكتاب الذي كتب لي . ولما بلغا بالكتاب الى القائد مصطفى وجه لي خدامه فوجدوني انتظر أصحابي بباب المسجد ، ولما قدموا توجهوا معي الى داره فانزلني فى غرفة عنده ، واضافني ثلاثة أيام ، واكترى لي دارا وقال لي ادفع لصاحبها كراءها حسبما كتب له صاحبه جزاه الله خيرا .

دخول المؤلف مدينة تلمسان وما وقع له :

ولما دخلت مدينة تلمسان التي لا يعرفني بها انسان ، خالي الكيس من النقير والقطمير ، ولا معين ولا انيس ولا مشير ، فكنت اقصد المسجد الجامع لعلي اجتمع برئيس ، أو اظفر بخل اتخذه لوحشتي انيسا ، وابحث عن الاعيان والاعلام ، واهل المحابر والاقلام ، وكان يمر بي رجل بهي المنظر نظيف الثياب صقيل المغفر ، يلطخني شزرا ، ويميل عني كبرا ، يطرق النادي، ولا يسلم ، ويبخل بالجواب عن المتكلم ، يرى انه من الطبقة العليا ؛ وفوق المريخ والثريا ، احسبه من جهابذة الاعلام ، وممن له الصدارة بين شيوخ الاسلام ، فقصد الكرسي يميس ويتبختر ، وصعد على ادراجه يتنثر ، فدنوت منه شغفا بعادتي ، وجرني لقربه نبلي وبراعتي ، لاغترف من بحره ، وانال لطيفة من وفره ، فلم اجد فى سفرته ثمرا منه التقط ، ولا فى روضته زهرا بقطافه اغتبط ، وكنت اعتقد ان حركاتي لا تبطي ، وفراستي لا تخطى ، فرجعت على نفسي باللوم ، وجفاني فى تلك الليلة النوم ، حيث انخدعت بحسن الثياب وتيه الغلمان ، وتذكرت قصيدة السلطان ابي سعيد عثمان ، التي منها :

فما ينفع الفتيان حسن وجوههم اذا كانت الافعال غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى فما كل مصقول الحديد يمان

وقلت بماذا يفتخر هذا ويتكبر ، ويجر ذيوله علينا ويتجبر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله ، الكبرياء ردائي ، والعظمة ازاري ، فمن نازعنيهما ادخلته النار وقال عليه السلام : لا ينظر الله يوم القيامة اليه

وقال المتنبي :

وما الحسن فى وجه الفتى شرفا له اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وقال الشريف الرضي :

لا تجعلن دليل المرء صورته كم مخبر سمج فى منظر حسن

وقال منصور المصري فى الكبر والتيه « والتجري » (1) .

---

1) كذا فى الاصل .

تتيه وجسمك من نطفة   وانت به عالم تعلم

ولما سألت عن حاله ومنصبه المغتر بجماله، قيل لي انه قاضي المواريث، من محلى الخبائث ، فحينئذ قطعت نظري عن الانيس ، ونزهت نفسي عن تكبر كل خسيس ، وقصدت قرية ابي مدين بالعباد ، واعتزلت بها عن العباد ، وقلت مخاطبا لهذا المتكبر الذي هم بقسم الترائك يفتخر بهذه الابيات :

يا من تكبر فوق ما يناسبه   وظن أن خدمَته الشمس والقمر
وتاه عجبا وظن ببشاشته   وازور من قسوة تخاله الحجر(1)
ان غرك المنصب المخصب روضته   وبحسن بهجته علينا تفتخر
هو عليك فما يغشاك طارقنا   وما اليك فى قسمة وطر
ما أنت بالحكم الترضي حكومته   ولا بمفت جليل يُرْشَدُ البشر
ولست اشهب فى نشر العلوم ولا   لديك نحو الخليل يجتنى الثمر
ولا احطت بمعقول العلوم ولا   علم الكلام شربت ماءه النمر ؟؟
ولا سموت الى علم البديع ولا   بسطت من هيئة مشكلها الوعر ؟
ولا ركنت الى علم البيان ولا   تفسيرك البحر منه تخرج الدرر ؟
ولا اليك انتهى القريض ولا   علم العروض ولا هندست مستتر؟
ولا جمعت جذورا فى الحساب ولا   رصدت سير النجوم فى الدجا سحر؟
ولا رتعت مروج الادباء ولا   عرفت فى الدهر من مضى له خبر؟
ولا ولعت بلحن المنشدين ولا   تحسن فى الموسيقى طبع ولا وتر ؟
ولا شرحت سماع الندماء ولا   مفني يطرب الاسماع والفكر ؟
ولا ظفرت بعلم الكيمياء ولا   سر الحروف لكي تستجلب البشر؟
ولا طبيب يرجى للعلاج ولا   ذو حكمة يقلب الاشياء والبصر ؟
ولا جواد شجاع فى الحروب ولا   لص أصاب الورى من ناره شرر ؟
ولا غنى اخا كسب وبذل قرى   يخرج وقت الزكا الاغنام والبقر ؟
ولا ولي شهير ناسك عابد   يلقن الذكر والاوراد معتبر ؟
ولا امير سخي او بغى يرى   ذا سطوة بيديه النفع والضرر
ولا مهاة فلا خود منعمة   ولا غلام شهي زانه الحور
ولا سلكت طريق الزاهدين ولا   ابقيت ذكرا بأي العذر تعتذر
ان تهت بالقسم متروك : ان لنا   حظا من العلم يقتنى ويدخر
او ساعدتك الليالي فاغتررت بها   فعند صفو الليالي يحدث الكدر

1) كذا فى الاصل والصواب الحجرا تخال من افعال اليقين والرجحان وهي تتعدى الى مفعولين .

لو كنت تدري وما يدريك اذ خبثت ... منك الطباع بأي شيء تفتخر
مضى لعمري ذوو الاحلام والشرف ... وما بقي لهم عين ولا اثر
كانت تلمسان بالاعلام صائلة ... وبالجياد ولم تربط بها الحمر
اصابها المسخ اذ عادت تباع بها ... مناصب العلم للاجلاف والخور
وكيف لا وجنود الترك حولكم ... تسوقكم بعصى الخسف ولا تذر
لكن الى الله اشكو دفع غصتكم ... فهو المؤمل والمرجو ينتصر
ثم الصلاة على المختار من سجدت ... لعزه الشامخات الشم والشجر(1)

ولما انتقلت من تلمسان ونزلت بجوار ابي مدين بالعباد ، واخترت العزلة عن العباد ، انهال علي طلبة البلاد من ذلك المصر ، وفقهاء ذلك العصر ، بسبب هذه الابيات لما شاعت بين الناس ، وكانت لهم جبة لباس ، وقصدونا للانس والمذاكرة ، والمسامرة والمحاضرة ، واتحفونا بما عندهم من كتب الاخبار ، وتواريخ من كان ببلدهم من الاحبار ، فاتحفني الفقيه الاديب ، السميذع الاريب ، خطيب مسجد ابي مدين بالعباد ، بتاريخ الامام المؤرخ احمد بن يحيى البلاذري فى ستة أسفار ، التي بها من مصر لما كان مجاورا فى مدة أعوام ، وطالعت بها تاريخ سليمان بن اسحاق المطماطي ، وتاريخ هاني بن يصدور القوصي ، وتاريخ كهلان بن ابي لؤي الاوربي ، في انساب البربر وايامهم فى الجاهلية والاسلام ، لانهم كانوا نسابة البربر ، وتاريخ العقباني في دولة بني زيان، وتاريخ ابن مرزوق الذي سماه المسند الصحيح الحسن، في محاسن ابي الحسن ، وغيرها من كتب التاريخ ، من جملتها واسطة السلوك. فى سياسة الملوك ، الذي الفه السلطان ابو حمو موسى الزياني ، ملك تلمسان، ووجهه هدية لسلطان الاندلس ، ومدحه فقهاء الاندلس وعجبوا من سياسته وادبه وحسن صنيعه ، ذكره ابو عبد الله ابن الخطيب فى الاحاطة ، فى ترجمة الامير ابي حمو موسى ، سلطان تلمسان ، وذكر من غرر قصائده قصيدة أجاب بها احد رؤساء ايالته ، خرج عليه وشق عصاه ، ثم طلب منه الرجوع الى الطاعة والانخراط فى سلك الجماعة ، فاجابه ، بها وهي من المفردات التي يعجز عنها غيره ، تاتي بعد هذا مع نظائرها ، فقيدت منها كل غريب ، زيادة على ما فى الجريب ، وهؤلاء الطلبة الذين بتلمسان ليس فيهم من يحسن منطقا ولا لغة ولا عربية لاصلاح اللسان ، ولا يتعاطون الفروع الفقهية ، والاحاديث النبوية ، واقمت بها سنة ونصفها شربت زلا لها واستنشقت عرفها

---

1) اوردنا هذه القصيدة كما هي على ما فيها من هنات

الخبر عن مدينة تلمسان :

هذه تلمسان قاعدة من قواعد المغرب الاوسط ، قديمة ازلية البناء ، اسست قبل الاسلام بكثير من الاعوام ، أسسها بنو يفرن، احدى قبائل زناتة، اذ كانت فى مواطنهم ومجلات قفرهم ، ويسمونها بلغتهم أجدير ، وما يزعم ساكنوها من قولهم انها مدينة الجدار المذكور فى القرآن فى قصة موسى والخضر عليهما السلام ، فامر بعيد عن التحصيل باطل ، لان موسى عليه السلام لم يفارق المشرق الى المغرب ، وبنو اسرائيل لم يتسع ملكهم الى افريقية ، فضلا عما وراءها ، ولم نقف لها على خبر اقدم من خبر ابن الرفيق

قال لما توغل ابو المهاجر الانصاري فى أرض المغرب ، بلغ الى تلمسان ونزل بساحتها على عيون سميت به ، فيقال لها عيون ابي المهاجر .

وذكرها الطبري عند ذكر ابي قرة اليفرني ، واجلابه مع ابي حاتم والخوارج على عمر بن حفص بطبنة ، ثم قال فافرجوا عنها وانصرف ابو قرة لمواطنة بنواحي تلمسان ، وذكرها ابن الرقيق ايضا فى اخبار ابراهيم الاغلب قبل استبداده بافريقية وانه توغل فى غزوة المغرب ونزلها

بلوغ مولانا ادريس للمغرب عام 170

ولما خلص ادريس بن عبد الله من واقعة ابي جعفر المنصور وبلغ الى المغرب عام سبعين ومائة ، فى خلافة موسى الهادي واستولى عليه ، وقام بدعوته برابرة اوربة ومقيلة ومكناسة ، نهض الى المغرب الاوسط ، عام اربع وسبعين ومائة ، فتلقاه محمد بن خزر بن صولات ، أمير زناتة وتلمسان ، فدخل فى طاعته ، وحمل عليها قومه مغراوة ، وبنو يفرن ، بعد ان غلب عليها امراؤها من بني يفرن ، ومكنه منها فدخلها ، وهو الذي اختط مسجدها باجدير وصنع منبره واقام بها اشهرا ورجع الى المغرب .

ولما هلك ادريس وبويع ولده ادريس الاصغر بعد مدة وقدم اليها عام تسع وسبعين ومائة ، جدد مسجدها واصلح منبره واقام بها ثلاث سنين دوخ فيها اقطار المغرب الاوسط ، وقبائل زناتة ، وعقد عليها لبني عمه محمد

بن سليمان ، ورجع الى المغرب ، فلما انقرضت دولة الادارسة وقام موسى بن ابي العافية المكناسي بدعوة الشيعة ، نهض اليها عام تسعة عشر وثلاثمائة، وغلب عليها اميرها .

موسى بن ابى العافية المكناسى قام بدعوة الشيعة :

لذلك العهد الحسن بن ابي العيش ، وفر الى مليلية فحاصره موسى مدة وسالمه الى أن غلب الشيعة على المغرب الاوسط ، فاخرجوا اعقاب محمد بن سليمان من تلك النواحي كلها وانحازوا الى الريف وتمسكوا بدعوة الاموية من وراء البحر ملوك الاندلس ، واجازوا اليهم ، وفى أعوام اربعين وثلاثمائة ، غلب يعلى بن محمد اليفرني على المغرب الاوسط وتمسك بدعوة الاموية ، فعقد له الناصر الاموي على تلمسان والمغرب الاوسط .

ولما هلك يعلى وقام بالمغرب الاسط محمد بن الخير بن محمد ابن خزر المغراوي داعية الحكم المستنصر ملك تلمسان اعوام ستين وثلاثمائة وفى اعوام تسعين وثلاثمائة غلب صنهاجة على المغرب الاوسط وملكوا تلمسان ووهران وارشكولا وتاهرت وما بين ذلك كله .

تداول الدول لملك المغرب :

ثم بعد ذلك عقد عبد الملك المظفر بن المنصور بن ابي عامر للمعز بن زيري على المغرب كله ، فانزل ولده يعلي بن المعز بتلمسان ، فتوارثها بنوه من بعده الى أن غلب يوسف بن تاشفين على ملك المغرب ونزل تلمسانا وملكها وملك وهران وارشكولا وتاهرت وتنس والجزائر وبنى تلمسان الجديدة فى موضع محلته ، وسماها تاچرارت بلغة البربر يعني « المحلة » وبنى مسجدها وانزل بها محمد بن تينغير المسوفي ، والقديمة التي بها مسجد ادريس هي اجدير الخربة اليوم ، وذلك عام ثلاث واربعين واربعمائة .

ولما مات محمد بن تينغير بها تولاها اخوه تاشفين بن تينعمر ، واستمرت فى ملك لمتونة الى ان غلبهم على الملك عبد المومن بن علي القومي وحاصر بها تاشفين بن علي ابن يوسف اللمتوني الى أن فر عنها الى وهران ، فتبعه عبد المومن وحاصره بوهران فخرج منها ليلا ، فتردى به فرسه من شاهق فمات ، ودخل عبد المومن وهران وامر بقتل حاميتها ، وهدمها وفعل

بتلمسان كذلك ثم بداله راي فى عمارتها واصلاح ما تهدم من اسوارها وذلك عام اربعين وخمسمائة .

وكان بنو عبد المومن يعتنون بامر تلمسان ولا ينزل بها الا السادات منهم كان بها السيد ابو عمران موسى بن امير المومنين يوسف العسري ، وليها عام ستة وخمسين وخمسمائة وهو الذي بنى المشور العظيم ، واتخذ بـه القصور والصروح ، وغرس البساتين وامر الناس باختطاط الدور الرفيعة، وغرس البساتين ، والتوسع فى الرفاهية ، وادار عليها الاسوار العظيمة والخنادق العميقة التي بها الآن ، ثم وليها بعده السيد ابو الحسن بن السيد ابي حفص بن عبد المومن ، وتقبل فيها مذهبه .

خبر تلمسان ومن ملكها ، ودخول الترك اليها :

ولما خرج عليهم بنو غانية المسوفيين من ميورقة عام احد وثمانين وخمسمائة وملكوا بجاية وقسطنطينة والجزائر ، وعاثوا فى المغرب الاوسط ، ورجوا تجديد ملك لمتونة ، اشتغل ابو الحسن بتجديد اسوار تلمسان وحفر الخنادق وجعلها خلف الاسوار سياجا واحدا الى ان تركها احصن معاقل الدنيا لم يكن فى وقتها امنع منها .

وفى هذه السنة اقطع ملوك الموحدين لبني عبد الواد نواحي تلمسان واختصوهم بالولاء دون سائر زناتة وانزلوهم بها لما قدر لهم من الملك بتلمسان والمغرب الاوسط .

وبسبب هذا الولاء نافسهم بنو مرين ودخلوا للمغرب وعاثوا فيه نكاية للموحدين ، وبني عبد الواد ، واستمروا على ذلك الى ان ولي السعيد ابو عزة زاكدار ، بن زيان ، على تلمسان ، فملك بعده وضرب بنو مرين على قبائل المغرب المغرم ، وحاربوا عساكر الموحدين وتوالت عليهم الهزائم الى ان ملكوا كرسي الخلافة بمراكش عام ثمانية وستين وستمائة .

وكان السعيد من ملوك الموحدين ، على تلمسان واعمالها لابي عـزة زكدار وولاه أمر المغرب الاوسط عام اربعين وستمائة .

ولما مات ابو عزة ولى امر تلمسان اخاه يغمراسن بن زيان ، فلما مات السعيد استقل يغمراسن بملك تلمسان عام ستة واربعين وستمائة ، واستقل ابو زكرياء يحيى بن ابي حفص بملك افريقية ، وتوزعت دولة الموحدين ،

واستمر الحرب بين بني مرين وبني عبد الواد على تلمسان الى ان ملكها ابو الحسن المريني اعواما ، ثم ردها لهم ابو عنان ، ثم غلبهم عليها ابو عنان ، ثم ردوها ، ثم غلبهم عليها عبد العزيز المريني ، ثم رجعوا لها ، ثم غلبهم عليها ابراهيم المريني ، واستمر الحال على ذلك الى ان انقرض ملك بني مرين وبني عبد الواد ، وملكها الترك من يد عبد الله الزياني ، آخرهم عام اثنين وخمسين وتسعمائة ، دخلها حسن بن خير الدين باشا ، قدم لها من الجزائر ، ولا زالت فى ملك الترك الى وقتنا هذا ، وهو عام سبعة وعشرين ومائتين والف .

ما بقى من مدن الواسطة التى بين تلمسان والجزائر وما ليس منها قبل الاسلام وبعده

هذا خبر تلمسان مختصرا ومن تداولها من دول الاسلام .

ثم بعد اقامتنا بها سنة ونصفها ، خرجنا منها الى مدينة الجزائر فرارا من الوباء الذي حل بها ، وكان عاما فى العمائر التي بينها وبين الجزائر ، فما نزلنا منزلا الا وجدنا أهله يدفنون موتاهم ، واما ما بقي من هذه الواسطة التي بين تلمسان والجزائر بعد خرابها فأول مدنه :

« القلعة » أسسها امير صنهاجة سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة .

ثم مدينة ارشكول سيف البحر ، اسست قبل الاسلام على عهد تلمسان وتداولها ملوك تلمسان .

واما مدينة مستغانم فأسست قبل الاسلام للروم ، ولما فتحت ملكها امراء تلمسان ومن بعدهم من دول الاسلام

واما المعسكر فاسسها امير توجين من زناتة عام أثنين وستين واربعمائة .

واما مدينة تاهرت فاسسها امير مغراوة عام عشرين ومائة .

ثم مدينة تنس اسسها امير يفرن سنة ثلاثين ومائة .

واما شرشار اسست على عهد الروم قبل الاسلام ، وملكها زناتة ومن بعدهم من الدول .

واما مدينة مازونة فاسسها امير بني راشد عام ستين ومائة .

واما لمدية فأسسها لمدية فرقة من صنهاجة عام واحد وستين وثلاثمائة
واما مدينة البليدة أسسها أمير صنهاجة عام خمسة واربعين وثلاثمائة

واما مدينة الجزائر فكانت قرى لبني مزغنة من صنهاجة ، والـــذي اسس المدينة بلكين بن زيدا الصنهاجي عام احد وستين وثلاثمائة ، والذي بنى مسجدها الاعظم يوسف بن تاشفين اللمتوني لما ملكها اعـوام الستيـن واربعمائة وعلى سمت الجزائر بارض الصحراء مدينة ورغلة مدينة ازلية لها سبعة ابواب ، ولها سور حصين ومحيط به خندق ممتلىء بالماء خلف سورها وبها طائفة من الرافضة الاباضية مع اهل السنة ، ولهم مسجد مخصوص بهم لصلاتهم ، ولهم عصبية على أهل السنة ، لا يقدرون على زجرهم ، ويقع بينهم الحرب ومشيختهم لبني مزاب من طوائف زناتة البربر ، وهم الذيــن اسسوها فى صدر الاسلام ايام فتح افريقية .

وبالقرب منها فى غربيها مدينة بسكرة من حساب عمالة الجزائر ، وهي من احسن المدن لكثرة مرافقها وخصبها وتوسطها بين التل والصحراء ، وبها مساجد معتبرة البناء وأهلها تحت قهر الاتراك ومذلة العرب .

وفى شرقيها بمرحلة زاوية على مسجد الرجل الصالح التابعي ، عقبة ابن عامر (1) الذي أسس مدينة القيروان فى خلافة عثمان رضي الله عنهما .

فاتح المغرب الاقصى عقبة :

وهو الذي فتح المغرب الاقصى وبلغ السوس والفائجة ورجع بالغنائم على طريق الصحراء ، ولما بلغ الـــزاب اعترضته طوائف البربر برأي الكاهنة « دهيا » بنت ثابت القراوية ، صاحبة جبل اوراس ، وذلك حين كتب لهـم كسيلة الاوربي الذي كان فى ثقافهم واخبرهم ان جند العرب فى غاية الضعف والفشل من تعب الطريق وثقل الغنائم ، فاعترضوهم على وادي الـــزاب فشتتوا جمعهم وحازوا ما معهم من الغنائم ، والخف والحافر ، وقتلوا اميرهم عقبة ، هذا وأبا المهاجر الانصاري ، وكثيرا من اشراف العرب واعيانهـــم ، وتفرق جلهم فى القفر ، وقام بامر البربر كسيلة الاوربي وطرد باقي العرب من افريقية وهناك دفن الامير عقبة رضي الله عنه .

---

1) كذا فى الاصل والحقيقة انه عقبة بن نافع الفهري احد كبار قواد المسلميـن . وهـو ابن اخت عمرو بن العاص فاتح مصر تولـى القيادة فى افريقية سنـة 62 هـ ـ 663 م ثبت اركان الدولة الاسلامية بتأسيس القيـروان .

التعريف بالاخضري صاحب السلم :

وعلى مرحلة منه زاوية ضريح العلامة الصالح في زاويته المشهورة به وهو سيدي عبد الرحمان الاخضري صاحب المنظومة في المنطق المسماة بالسلم المرونق ، وله منظومة في السلوك تشابه المباحث الاصلية ، وله مقدمة في الفقه يتعاطاها اهل تلك البلاد .

قبر نبى الله خالد بن سنان العبسى ببلاد الواسطة :

وهو الذي اظهر قبر نبي الله خالد بن سنان العبسي المشهور بتلك البلاد وهو من المزارات العظام يقصده اهل الواسطة والزاب وافريقية من الحاضر والبادي ، وعليه مسجد عظيم ومدرسة ، ويشاهدون له كرامات ولم اقف له على خبره في كتب التاريخ ولا في تقييد لاحد الا ما رايته في رحلة الشيخ العلامة ابي سالم العياشي ، فانه « قال لما وقف على قبره وزاره وسمع ما يذكره به الناس من كراماته ، وانه بذلك المحل مدفون ، ولقد اشكل علي امره ، الا ان الذي شهر قبره من جهة الكشف ، قال انه راى نورا صاعدا من تلك البقعة الى السماء ثلاث ليال ، وذكر انه قبر خالد بن سنان فيسلم له ، لانه اهل لذلك ، ولان بالمشرق ارض الشام مشاهد للانبياء عليهم السلام كلها مظنونة وشهرها اهل الكشف كقبر كليم الله موسى عليه السلام ، فانما شهره بعض اهل الكشف بعد ستمائة سنة او قريب منها ، وهو الآن من المزارات العظام ، وقد ذكر بعض اهل العلم ان قبر خالد بن سنان هذا مذكور في بعض التفاسير المنقولة عن الامام ابن عرفة ، وانه في هذا المكان ، قال العياشي ويبعد عندي كل البعد ان يكون خالد بن سنان العبسي مدفونا في هذا المحل .

وقد ورد في بعض الاحاديث ان نبيا من العرب بعث بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، وانه بارض الحجاز ، وانه مات بها وانه أوصى بنيه ان ينبشوه بعد حول ، فيخبرهم بخبر ما ارادوه ، فاذا ثبت ذلك فما الحجاز والزاب،وقد ورد في بعض الاثار انهم لم يدفنوه ، وانهم حملوه على ناقة فذهبت به ، فان صح ذلك فربما يتوهم انها اتت به الى هذا المكان ودفن به ، وهو خرق عادة ايضا ، وقد سالت شيخنا ابا بكر السكتاني فقال لم ار خبره مقصوصا ، واقرب ما يحمل عليه ان يكون احد رسل عيسى عليه السلام

المذكورين فى قوله تعالى « واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون » فقد ذكر بعض المفسرين ان احدهم اسمه خالد ، وانه نبي أصحاب الرس .

وقد ذكر بعضهم ان بلاد الزاب هي بلاد أصحاب الرس ، فان صح ان هذا قبر نبي اسمه خالد ، فهو هذا والله اعلم . انتهى كلام العياشي .

رجوعا ولما بلغنا لمدينة الجزائر وجدنا الوباء بها خفيفا فنزلت خارجها وبنيت مضاربي ووجهت من حاشيتي من ياتيني باللوازم من لحم وحطب وعلف دواب ، فما رجع الا وانا مصاب بالحمى فايقظني للعشاء ، فلم اقدر ، ولما اصبح رايت المحل الذي اصبت فيه متورما فعالجته بما عرفت فاقام ثلاثة ايام وانفجر ، وصرت اعالجه بالمراهم الى أن حصلت الراحة .

ولما كان يوم الجمعة لم اجد بدا من الدخول الى صلاتها ، فركبت الى المسجد فصليتها وانحدرت الى المرسى لرؤية المراكب وآلتها وتحقيق خبرها بالمشاهدة ، فجاءني بعض الاحبة من أهل فاس والزموني بالنزول عندهم ، فامتنعت وخرجوا معي الى الخباء وانسوني ساعة ودخلوا ، ومن الغد جاءوني وفى جملتهم قاضي البلد الفقيه السيد محمد بن مالك ، أصله من المغرب ، فخرجت لملاقاته وجلس معنا وانس وحشتنا ، وطلب منا النزول عنده فلم يمكنني ذلك وواعدته ليوم معين نزوره فى بيته ، فجاء للوعد وتوجهت معه لداره وبتنا عنده ، وحضر معنا بعض اصدقائه من اهل دولة الباشا كاتبه وحاجبه وصهره ، وتذاكرنا أحوال الدنيا وهمومها ، وما يؤول اليه حالها ، واقمت بالجزائر اربعة وعشرين يوما ، وانا فى خبائي وخدامي فى آخر ، الى أن تهيئا لنا السفر ، فجاء الكاتب والحاجب والصهر والقاضي لوداعنا ومعهم صلة من حسن باشا بواسطتهم دون شعوري وعلمي ، ومعهم لطف (1) وحلاوات من دورهم للزاد ، وقالوا ان مولانا الباشا يقراك السلام ويطلب منك الدعاء فى الحرمين الشريفين ، فاستعن على سفرك بهذا النزر القليل الذي هو ستمائة سلطاني وهذين المكتوبين المطبوعين ، أحدهما لباي قسنطينة ، والثاني لوكيله بتونس ، فكان ذلك من فضل الله دون قصد ولا طلب ، فحمدت الله على فضله ورزقه .

وتوجهنا من الجزائر لقسنطينة وكان فصل الشتاء ، وكنت قدمت وقت اقامتي بالجزائر مكتوبا لصاحب لنا من تلمسان من أصحاب باي قسنطينة

---

1) كذا في الاصل .

يكتري لنا منزلا نستقر به الى أن يخرج فصل الشتاء ، فبلغنا قسنطينة على اثنتي عشر مرحلة ونزلت خارجها فى خبائي ، وخدامي فى آخر ، ووجهت من ياتيني بما لابد منه من المدينة ، فقضى الغرض واجتمع ببعض معارفنا فاتى معه للسلام والسؤال عن اقاربهم ، فسألتهم عن التلمساني الذي كلفته بكراء المنزل ، فاخبروني انه فى بيته ، وانه سقط عن فرسه يوم خروج البـــاي للحركة فتكسرت ساقه ورجع ، ولا زال ملازما لفراشه فما امكنني الا اداء الواجب من عيادته والوقوف عليه ، ومن الغد ركبت ودخلت المدينة الى ان اجتمعت معه فى بيته ، فخبرني ان الرسول الذي اتى بالكتاب لم يصله الا بالامس ، لانه لما سمع بسفر الباي فى الحركة توجه اليه للمحلة ، وحينئذ رجع لقسنطينة والبيت حاضر ، فوجه معنا من أبلغنا الى المنزل ، وبعث الى خليفة الباي يقول له ان هذا الرجل كثيرا ما كان الباي يذكره وينتظر قدومه، وبعث له مرارا ليقدم عليه ، وهو الآن بلغ ، فقم بامره الى أن يقدم الباي .

ولما بلغنا للمنزل وجهت من اتى بالبهائم والاثاث واتى خدام الخليفة بجميع ما يحتاج اليه ورتبه فوق الكفاية

وهذا الباي حسن باشا لم يتقدم له معه معرفة ولا اجتماع ، الا اني لما دخلت تلمسانا وتوجهت لصلاة أول جمعة بها واجتمع علينا بعـــد الصـــلاة بالمسجد جماعة من الحجاج أهل المغرب كانوا محصورين بها لفساد الطريق ، وكان حسن هذا قبل ولايته منفيا بها عند واليها الباي محمد بن عثمـــان ، حيث شكاه باي قسنطينة لدولاتني الجزائر ، فوجه من ياتي به فاستحرم بضريح الشيخ عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر ووقعت فيه الشفاعة مـــن الموت فنفاه لتلمسان .

ولما جاء لصلاة الجمعة وراى الناس مجتمعين علي بالمسجد ، سال عني من انا ، فقالوا له انه كاتب مولاي محمد الذي قدم واليا لوجدة ونهبه العرب ، وسألت انا من هو لما مر بنا ، فقيل لي انه باي حسن المنفي مـــن قسنطينة ، هذه معرفتي له ومعرفته لي ، وبقي بتلمسان الى ان قتل أهـــل قسنطينة صالح باي ، فولاه دولاتني الجزائر بقسنطينة ، ووجهه لها فتوجه معه جماعة من أصحابه الذين كانوا يباشرونه من طلبة تلمسان ، أحدهم هذا الذي كتبنا له على البيت فاحسن لهم ووصلهم ورجعوا لتلمسان فاقاموا مدة ورجعوا له ، فسألهم عن حالي وما صرت اليه ، فقالوا لا زال بضريح الشيخ أبي مدين بالعباد ، فاستفهمهم هل لي جراية من الباي محمد فقالوا لا ، وانكر ذلك عليه ، وقال لهم ليس هذا من الكرام ، رجل من أعيان دولة المغرب،

رمت به المقادير الى بلاده ولا يعتبره ، هذا خارج عن قانون الدول ويأباه اهل الفضل ، والله لو قدم لبلادي واقام بها لاكرمته الى ان ياتيه الفرج، واوصاهم ان عادوا الى تلمسان ان يزعجني لبلاده والمقام عنده فى اسنى المراتب ، فلما رجعوا من عنده واجتمعت معهم بضريح ابي مدين بالعباد ، خبروني بمقالة الرجل وحتموا علي فى السفر صحبتهم ، فأبيت ذلك وقلت لهم من الكفر فروا ، اني لا غرض لي فى صحبة الملوك ، ولو اردتها ما اقمت هنا وغرضي ان شاء الله فى التوجه للحرمين الشريفين ، وما خرجت من بلدي الا بهـــذا القصد نسأل الله تعالى ان يبلغ مقاصدنا وان يسّر الله فى ذلك يكون مرورنا عليه والاستراحة ببلاده ، فسلموا منا عليه ونوبوا عنا فى الثناء على مقامه ، واقمت بعدهم مدة .

ما اجتمع به صاحب الرحلة من العلماء بقسنطينة :

ولما يســر الله اسبــاب السفــر وبلغــت القسنطينــة ، وانزلنــي خليفته حسبما سبق ، كنت اقصد المسجد العتيق بها ، فاجتمعت بامامـــه وخطيبه الوالي الصالح ابي البركات سيدي مبارك ابن الفقيه العلامة سيدي عمر الصائغي .

ومما شافهنا به بعد السلام عليه والجلوس معه وسؤاله ، ان قال لنا ان اردتم ركوب البحر فعندما تضعون ارجلكم فى زورق المركب فاذكـــروا التعوذ بالله والبسملة والفاتحة ، واذكروا الفاتحة خصوصا سبعا ، فانها أمان من الفرق والحرق والاسر ، اه من لفظه .

ثم اجتمعت بها مع الفقيه العلامة الصوفي ابي الحسن علي ابن مسعود الونيسي ، وانسنا بمذاكرته ومحاضرته ابقاه الله ذخرا للاسلام

وممن اجتمعت به فيها الفقيه القاضي ابو عبد الله سيدي الحفصي العلمي واضافنا واكرمنا اكرمه الله

وممن لقيته بها مفتيها الفقيه العلامة سيدي ابو القاسم المحتالـــي ، وبالغ فى الاحسان والاكرام وكان ياتيني لبيتي ويؤنسني ويذاكرني بما يسلي مهجتي ويزيل قنطي ووحشتي ، وانشدني يوما بنفسه هذه الابيات فى معنى حوادث الدهر :

اصاب صرف الزمان وجهه فبدت | فى خده نكتة تعلوه سوداء
كانه لم يكن بالحسن مكتسيا | ولا نأت منه بالتخريب اسواء
ولا جنى فى ظلال العز طيب منى | ولا سقته بكاس العز علياء
كذلك الدهر فى تصريفه دول | رفع وخفض وادناء واقصاء
مهما ارى العز اولى الذل ذا لعب | وفى التلاعب بالضدين انباء
فالدهر ذو عبر فالحظه ذا بصر | تحرز فضائل من بالرشد قد باؤا
نالوا الوداد فحازوا ايما شرف | عند الحبيب وهم للوصل اكفاء
يا ليت شعري هل الاقدار تلحقني | بالسابقين وهل تشتد رغباء
وهل انادم سعد الدين مرتقيا | مراقي السعد أو هم أجلاء
مولاي فضلك مبذول بلا سبب | كن لي فذلك لي عز واغناء
وما ابالي اذا ما كنت يا أملي | لي النصير ومن فى الكون اعداء

ومن اجتمعت به فيها ، المفتي الثاني العلامة سيدي احمد بن المبارك العلمي حفظه الله وذاكرناه وانسنا بمحاضرته وحسن ادبه .

ومن قدم علينا وزارنا لمنزلنا الفقيه الاديب الكاتب ، سيدي محمد المجاري الخوجة واكرمنا واخذ عنا اورادا طلبها منا فاسعفناه بتلقينها نفعه الله بها

ومن قدم علينا الفقيه الاديب صاحب القصائد العالية ومدحنا بأبيات جعلها مقدمة قبل اللقاء ، السيد ونيس البوزنياري كلأه الله .

ومن قدم علينا بعد قدوم الباي من حركته الكاتب الاديب الخوجة الكبير ، كان مع صالح باي قبل هذا ، ولما تولى هذا نكبه واخذ منه اموالا عريضة لا تعد ولا تحصى ، وهو السيد محمد بن كشك علي كرغلي ، واستدعاني لبيته بقصد ان يطلعني على حاله وما آل اليه أمره من سوء الحال ليسليني بذلك ، ولم اشعر الا بعد حصولي فى البيت فما وجدت الا الحصر الى الآن لم يخلف آلته وفرشه ، وقال لي والله ما اتيت بك لبيتي الا لاسليك عما اصابك فى طريقك من ذهاب رزقك ، واكشف لك عن حالي لتكون لك اسوة بي ، فاخبرني عما ذهب منك فى هذه النكبة ، فقلت قد بلغ مقدار جميعه بالمال والبهائم والاثاث عشرين الفا ، فضحك وقال والله ما دفعت بيدي لهذا الباي الا مائة الف محبوب ذهبا ، وستين الف ريال (دورو) ثم بعد ذلك سجنت ونهبت الدار بما فيها من الاثاث واللباس والفرش ، وجميع ما فى العزبان من خيل وبغال وابل وغنم وبقر ، وما فى المطمر من زرع وقطاني مما لا اعرف له عددا .

التحذير من الخدمة مع الامراء :

ولما سرحني الزمني لهذه الخدمة المشؤومة وطلبته فى الاعفاء فابى ، وها انا كما ترى على كبر سني اطلب العتق من الرقيه واقنـــع بالحريـــة، فما ظفرت بها ، فان اطال الله عمرك وبلغك قصدك ببلوغ حرمه والوقوف على تربة نبيه ورسوله وحبيبه ، فاياك ان تحدث نفسك بالعود لهذه الخطـــة الخسيسة والخدمة النحيسة ، فان الدين النصيحة فرحمه الله تعالـــى وقدس ثراه .

واقمت بقسنطينة خمسة عشر يوما ، وقدم الباي من حركته فساعة دخوله للبلد قدم على احد الطلبة المذكورين ، وخبرني ان الباي بلغه خبر قدومك ، وكتب لخليفته ان يكرمك ويحسن نزلك ، وهو الذي وجهني الآن للسلام عليك فقم للسلام عليه فقلت لا يمكن هذا ولا آتيه الا اذا بعث الي فقال يا سيدي ، ليس هذا من عمل بلادكم فكل الناس ياتون للسلام علـــى الباي ، فما عنده حاجب ولا راد ، فقلت لا اتوجه له الا اذا بعث لي ، فاني فى اكرامه وضيافته ، وكيف لي بالدخول على رجل لا يعرفني ولا أعرفه ولا بعث لي ، وادخل عليه بغير اذنه ، هذا شيء فيه قلة ادب عندنا ، فلا اقدم ولا ارتكب الا ما اعرفه صوابا وجائزا فى دولتنا ، فلما رجع اليه وسأله عني اخبره الخبر وما وقع بيني وبينه من الكلام فى شأن الملاقاة فقال له هذا من تمـــام عقله وادبه ، وفى غد ان شاء الله اصحبه معك ، ومن الغد اصبح علي فى غير وقت اللقاء ، وكان رجلا مغفلا ومعه طيش على كبر سنه ، وقال لي ان الباي يدعوك للقدوم عليه فقم بنا اليه ، فتوجهت معه الى ان دخلنا الدار وصعدنا فى المدارج الى محل جلوسه فى محكمته ، فوجدنا اعيان رجاله وشواشـــه ومماليكه قائمين يمينا وشمالا خارج القبة التي هو بها ، وهو فى داخلها مع كتابه وكبار دولته والرجل معي الى أن واجهنا باب القبة ووقع نظري على الباي ونظره علي فلم أجد الرجل ، فلم يسعني الرجوع بعد مقابلته ، ودخلت القبة وسلمت عليه وهو جالس على الارض ، وهو يحسب مالا بين يديه ، فرد السلام وقال : هذا فلان ، فقلت نعم ، فقال مرحبا بك واهلا وسهلا ومد يده لمصافحتي بظاهرها لان باطنها ملطخ بوسخ الفضة التي كان يعدها ، ولحقه من ذلك حياء ، فامر بالابريق والطست والصابون فغسل يديه ، وقام مـــن محله فجلس على مرتبته واجلسني بجنبه ، واقبل علي بالسؤال ، وامر برفع المال فرفع الى أن أكمل غرضه من السؤال ، وقام فقام القوم لقيامه ، وخرج

من المحكمة ودخل مقصورة أخرى ، ووجه لي كاتبه الكبير محمد بن كشك علي ، فادخلني عليه واتى بقهوة فشربت ، وسار كاتبه ان ينزلني بـــداره ، وخرجت معه الى الباب فقال لي ، تتوجه عندي للدار فقلت ان دارك بالقلعة ، وانا مجاور للمسجد اجتمع مع الطلبة به ، وبيتك بعيد عنا فلا انتقل من محلي فاسعفني وتوجه لبيته وتوجهت لمحلي الذي انا به

ولما عاد عشية النهار للباي قال له ان فلانا لم يرد النزول عندي واراد البقاء فى محله فوجه لي الباي .

ولما قدمت عليه سألني عن احوال الغرب ومملكته ، وعن السلطـــان مولاي سليمان، وهل هو مثل مولاي اليزيد فوصفته له بالعلم والدين والعدل، ثم قال لم لم ترد النزول عند سيدي محمد بن كشك علي ، فاجبته بعذري الاول وقلت له لا تسمح نفسي بالنزول عند غيرك وضيافتي فى غير بيتك ، فضحك وتهلل وجهه ، وقلت من يوم قدمنا ونحن فى كرامتك فلا تتشوف نفسنا لغيرك فسره ما سمع ، واقمت عنده الى ان وضعت سفرة غذائه ، فأكلنا وافترقنا ، وبعد العشاء وجه لي رسوله فقدمت عليه فوجدتـــه فى مقصورة جديدة هياها بالفراش والاثاث والاواني الفضية والذهبية ، وفى كل روشن ساعة تضرب كل ساعة الالة . وسلاح كثير معلق بجدرانهـــا ، واصحاب الموسيقى جلوس امامه ، وجلساؤه يمينا وشمالا عنده ، فقـــام للسلام علي على عادتهم فى القيام للداخل ، وقاموا كلهم ، واجلسني بجنبـــه قريبا منه ، وقال : انما وجهت لك فى هذا الوقت لتتأنس بالسماع ، وتزيل الوحشة ، لان هؤلاء الاساتيذ ، قدموا علي من الجزائر فاردت ان تشرفنـــا بحضورك ، فاثنيت عليه خيرا وامرهم باستعمال الموسيقى وهو يسألني عن احوال الغرب ومملكته ، وعن سيرة مولاي محمد ، ويثني عليه ، وقام ودخل من باب المقصورة مع مملوك له

ولما جلس بعد رجوعه استنشقت منه رائحة الخمر ، فعاد للحديـــث معي ساعة ثم قام ودخل من محله الاول والمملوك معه ، ثم عاد وجلس فشاعت رائحة الخمر اكثر مما كانت ، وعلا كلامه فارتفع الشك وزال الوهم ، ثم قال للمملوك هات يدك وقبضها وقام ودخل فلبس عليه كركا من السمور وخرج وعاد لموضعه وقال لم لا تعتنون بهذه الاكراك ، فانها نافعة فى زمن البرد ، فقلت نحن اهل المغرب اهل بادية ، لا يعرفون هذا واشباهه ، وبعد ان تاتي هذه الاكراك فى هدايا الملوك من المشرق ومن الاصطنبول للسلطان يعطيهـــا لرؤساء البحر وقواد الطبجية ، ثم قال للمملوك هات تلك الزوجة مـــن

الكوابيس اشار لها ، فناوله اياها فقال : كم تساوي هذه عندكم ، فمسكتها ونظرت اليها فقلت كذا ، فوضعها وقال للمملوك هات الاخرى ، فناوله اياها ، وقال لي وهذه ، فنظرتها وقلت كذا ، فوضعها وقال هات ذلك السيف ومده الي ، وقال وهذا فقلت كذا ، بحسب ما ظهر لي ، الى أن فرغ مما كان هناك معلقا ، ثم قال لي اما هذه فثمنها الف ريال ، وهذه الف وخمسمائة ، وهذه الفان ، وهذا السيف كذا ، وهذا كذا ، وهذا كذا! ، وتبين لي فى وجهه كراهة ما ذكرت له من الثمن .

ما كان يعطى جنس الفلمنك للسلطان سيدى محمد بن عبد الله :

فقلت له ان اردت ان احدثك بحديث فى هذا المعنى اقصه عليك ، قال نعم ، قلت ان السلطان مولاي محمد رحمه الله كان يقبض من اجناس الروم ما قرره على كل جنس منهم عند طلب المهادنة ، وكان سلطان الفلمنك يعطي ثلاثين الف ريال فى السنة .

ولما قدم باشدوره بالهدية ومال السنة ، أوصاه ان يصنعوا له سلاحا ببلادهم من ذهب منبت باحجار الديمانطي المعتبرة ، وهو مكحلة وزوجة كوابيس ، وسيفا ، وخنجرا ، ودواة للبارود ، بستين الف ريال (دورو) واجب سنتين

ولما بلغ الباشدور لسلطانه اخبره بوصية السلطان على السلاح فامر بصنعه على ما وصف له .

ولما تهيأ جعله فى صندوق كبير على طول المكحلة ووجهه لقونصولهم الذي بالعرائش ، وامره أن يتوجه به للسلطان سيدي محمد رحمه الله .

وكان اذ ذاك بدار دبيبغ من فاس عام ستة وثمانين ومائة والف . ولما دفعه القونصو ودفع مفتاح الصندوق ، وتوجه لمحل نزله أمر بفتح الصندوق ليشاهد السلاح، ولما وقع نظرهعليه وقرأ الكتاب وجد ثمنه اربعة وستينالف ريال (دورو) فاستكثر ذلك واستعظمه وقال هذا كذب وغش من اعداء الدين وفى الحين امر باحضار الذهابين والجوهرين ومن يتجر فى الاحجار ، ولما حضروا ببابه أمر باخراج السلاح لهم ، وتقويمه فلما رأوه قالوا لا يمكننا تقويمه الا بعد ازالة الاحجار ووزنها وحدها مفردة ويوزن الذهب وحده ، فأخبره بقولهم فقال يزيلون الاحجار وتوزن ويوزن الذهب فقلعوا الاحجار

حتى وزنوها ووزنوا الذهب ، فاجتمع فى الاحجار والذهب خمسة عشر الف ريال لا غير ، فقال نصره الله الم اقل لكم هذا كذب من الكفرة ، قالوا هؤلاء أهل بادية وبربرية لا يعرفون قيمة ولا خبرة لهم بثمن الاحجار ، فقالـــوا نخدعهم وأمر برد الاحجار لاماكنها فردت ، واعاد السلاح للصندوق ووجهه للقونصو وقالوا له ان هذا السلاح لم يوافق غرض أمير المؤمنين فليـــرده لسلطانه ويوجه لنا الستين الف ريال واجـب السنتين فوجه بـه القونصو لداره بالعرائش ، وكتب لطاغيتهم واخبره برد السلاح وعدم موافقته لغرض السلطان وهو يطلب بعث المال ، فوجه له المال وامر القونصو ان يتوجـــه بالمال والسلاح ويدفعه لامير المؤمنين هدية ، وهذا من ذلك لان هذه المسائل لا تاتي الا هدية من الملوك ، او من التجار ويغلون اثمانها ، لقضاء اغراضهم بها من الملوك والامراء الذين لا يعرفون اثمانها ، لانها ليست من تجارة بلادنـــا ويظنون انها كما زعموا ، وكما ذكروا ، والحق بمعزل عن ذلك ، فقال رضي الله عنك ، ما قلت هو الحق وكذا مصيرها الينا ، ولو كانت بالشراء مـــا دفعنا فيها ذلك ، وقد كشفت لنا الغطاء عن ذلك باقامة الحجـــة والمشاهدة فجزاكم الله خيرا ، وعاد اليه نشاطه وكثر سروره وانبساطه

ولما حضر الطعام واكلنا ، صرف أهل الموسيقى لمحلهم وخيرنـــا فى النوم عنده او التوجه لمحلنا ، فاخترت التوجه فوجه معنا من ابلغنا لمحلنا

ولما أصبح وحضر كتابه واهل مجلسه فاخبرهم بامر السلاح ومـــا حدثته به ، وقال لهم هكذا تكون الفراسة والحزم والضبط ، فحدثونا بذلك فى المستقبل ، وكان يوجه لي كل ليلة جمعة لحضور انسه ومسامرته الى أن تعين سفر المراكب من تونس وتهيأ الحجاج من قسنطينة للسفـــر ، وكنت وجهت مكتوبا لبعض أهل فاس بتونس يكترون منزلا انزل به اذا قدمنا لها ، ويوم الجمعة توجهت له بعد الصلاة لاوادعه فقال لي لا تسافر الى يـــوم الخميس ان شاء الله بعد هؤلاء المتوجهين فى الاثنين ، ويوم الاربعاء نوادعك فتوجهت لوداعه فى اليوم المذكور .

ولما دخلت عليه قام وعانقني وجلست على « شلية » وضعها لي وتكلم مع كاتبه سرا ، فقال لى الكاتب سرا ، كم تحتاج من البهائم ، فقلت لا احتاج لبهائم ، عندي ما يكفيني ، فقال له ذلك وبعد ساعة قام لوداعي وقال لـــي نحبك ان تدعو لنا فى الحرمين الشريفين وفى الاماكن المطلوب فيها الدعاء ، وتقبل ما ياتيك من عندنا فحقك علينا كثير

هدية الباى للمؤلف :

ولما بلغت للبيت جاءني حاجبه ومعه كبير الحمارين ودفع لي قرطاسين من كاغد مخيط وقال : ان سيدنا الباي يقول لك تتفضل بقبول هذا ، وناولني زماما وقال تتسلم ما فى هذا الزمام من هذا أمين الحمارين بتونس ، فانه حامل له على عشرة بغال مخلص كراؤها ، يتوجه فى صحبتك فقبضت الزمام من يده وقال لي الحمار اردت منك ان اقيم غدا لقضاء اغراضي وبعدغد أبيت معكم حيثما يتم واصحابي يتوجهون معك بالبهائم ، فانعمت له بذلك .

ولما توجهنا فتحت القرطاسين المخيطين فوجدت فيهما ثلاثمائة محبوب كلها ، وفى الزمام ثمانية من كل شيء بشماطا ، وكسكسا ، وارزا ، وسمنا ، وخليعا ، وزيتا وزيتونا ، وخلا ، وعسلا ، وصابونا ، وشمعا ، وابزارا ، وتمرا ، وزبيبا ، وتينا ، الادم فى اوانيها فى « الكربوات » والطعام فى « الخناشي » عدى الملح والبصل لم يذكرا فى الزمام ، فحمدت الله على نعمه وعلمت ان ذلك من «زهري» (1) ، حيث لم ادفع له الكتاب الذي اتيته به من باشا الجزائر ، حيث لم أجده حين قدومي لقسنطينة ، وعينت لي المؤنة من كل شيء ، فلما قدم قلت ان دفعت له المكتوب يظن اني طلبته من باشا الجزائر وهذا غاية ما يحصل بالايصاء فلا اتدنس بهذا الكتاب ، واتهم بالسعي فيه فتركته عندي مع كتاب الوكيل الذي بتونس ، وقد وقفت فى « حلبة الكميت » على جماعة من الامراء المولعين بشرب الراح والمصرين عليها منهم ابو محجن الثقفي الاسري ، وهو القائل :

اذا مت فادفني الى جنب كرمة   تروي عظامي فى الممات عروقها (2)

وحكى من رآى قبر ابي محجن بارمينية بين شجيرات كرم ، وفتيان ارمينية بين شجرات كرم ، وفتيان ارمينية يخرجون بطعامهم وشرابهم فينتزهون عنده ، وكلما شربوا كاسا صبوا على قبره كاسا ، وحكي فى قطب السرور نظير ذلك عن الاعشى ، انه كان مدمنا للخمر فامتدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة ، وقدم بها مكة فلقيه ابو سعيد بن حرب ، فساله عن قدومه ، فقال اريد محمدا ، فقال انه يحرم الخمر والقمار والزنى ، فقال اما الزنى فقد تركته ، واما القمار فعلى أطيب منه خلقا ، واما الخمر فوالله ما تطاوعني نفسي على تركها ، ولكن انصرف فاتزود منها عامي هذا وآتيه ،

---

1) عبارة دارجة مغربية مؤداها بالفصحى هذا من حسن حظي .
2) البيت فى الحقيقة لابى نواس .

فانصرف ولما كان بقرية من قرى اليمامة ، رمى به بعيره فاندق عنقه ومات ودفن بها ، قال النوفلي : اتيت اليمامة واليا فوقفت على قبر الاعشي فرايته رطبا فسألت عن ذلك فقالوا ان الغلمان ينادمونه ويجعلونه كواحد منهم فيصبون كاسه على قبره ، ومنهم بكر بن خارجة وهو القائل :

غسلوني ان مت في ماء كرم ان روحي تحيى بماء الكروم

ومنهم ابو الهندي وهو القائل :

اذا دنت وفاتي فادفنوني بكرم واجعلوا زقا وسادي

ومنهم ابو نواس وهو القائل :

فاخرجوها واسقياني واشربا ودعوا العاذل يهذي كيف شاء

ومنهم يزيد (1) بن معاوية كان مشغوفا بها ، ونهاه والده عنها مرارا فلم يرجع فغضب عليه بسبب ذلك فانشد يزيد يخاطبه :

ساشرب فاغضب لا رضيت كلاهما حبيب الى قلبي عقوقك والخمر

ومنهم الوليد بن يزيد الفاسق وهو القائل لما عزلوه :

خذوا ملككم لا ثبت الله ملككم ثباتا يساوي ما حييت عقالا
أبالملك ارجوا ان اعمر بينكم الا رب ملك قد ازيل فزالا
دعوا لي سليما والرباب وقينة وعودا فذا حسبي بذلك مالا

ومنهم ابو دلامة (2) ، واسمه زند بن الجون كان ماجنا خليعا طريفا ، كثير النوادر ، فصيحا راوية للاخبار والاشعار ، كان ابو العباس السفاح يستظرف شعره وحديثه ويجزل عطاياه ، فان انفلت من عنده لا يوجد الا في بيوت الخمارين ، فاراد السفاح ان يضبطه عن ذلك ، فالزمه مسجده بالقصر ليكون امامه في الصلوات الخمس ، فما وسعه الا الطاعة ووكل به من يحرسه فضاق ذرعا من ذلك وضجر وكتب الى اصدقائه يقول :

---

1) هو اللعين بن معاوية تولى الحكم 645 ـ 683 م امر عبد الله بن زياد والي الكوفة بمحاربة الامام الحسين بن بنت رسول الله الذي قتل 680 بكربلا ثم علق يزيد راسه على باب دمشق .

2) ابو دلامة زند بن الجون ، توفي حولي 778 شاعر نشأ بالكوفة واقام ببغداد كان زنجيا طريفا كثير النوادر ، اتخذه السفاح والمنصور والمهدي نديما وكان ساخرا حاد اللسان فخافه الناس ، وسخر منهم ومن نفسه ومن اقاربه . نظم في جميع فنون الشعر ، وابدع في السخرية ، ووصف الخمر والرياض والوان الخلاعة التي اولع بها حتى انه ليعد اكثر من « بودلير » الشيطان الرجيم فيما ذهب اليه .

الم تعلموا ان الخليفة شدنـــي بمسجده بالقصر ما لى وللقصـــر
اصلي به الاولى مع العصر دائما فويلي من الاولى وويلى من العصر
ووالله ما لي نية فى صلاتهـــــم ولا البر والاحسان والخيرمن امري
وما ضره والله غيَّر أمـــــره لو ان ذنوب العالمين على ظهـــري

فلما بلغت ابياته للخايفة قال : خلوا سبيله ، فو الله لا يفلح ابدا ، فاتت امه الى ابي العباس تستغيث وتشكو من اتلافــه ماله وملازمتــه لبيــوت الخمارين ، فامر بطلبه فأتى به وهو سكران لا يعقل ، فامر بتخريق طيلسانه وحبسه فى بيت الدجاج ، فلما افاق من سكره كتب يقول :

لقد كانت تخبرنـــي ذنوبـــــي باني من عقابك غيـــر نـــاج
اقاد للحبوس من غيـــر جـــرم كاني بعض عمـــال الخـــــراج
فلو معهم حبست لكان عنـــدي ولكني حبست مع الدجـــــاج
امير المؤمنين جزيت خيـــــرا علام حبستني وخرقت ساجـــي

ومنهم الفقيه الاديب القاضي يحيى بن اكثم المعتبر كان منهمكـــا فى الصبوة والانشراح وحكايته مع المامون مشهورة وهو انه اصطبح يومـــا عنده عبد الله بن طاهر فاتفقا على اسكار يحيى ونظم المامون بيتين ودعا بجارية فجلست عند رأسه وحركت العود وغنت بهما تقول

ناديته وهو ميت لا حيـــاة لـــه مكفن فى ثيـــاب مـــن رياحيـــن
فقلت قم قال رجلي لا تطاوعني فقلت خذ قال كفى لا تواتينـــي

فانتبه يحيى وانشد مجيبا لها :

يا سيدي وامير الناس كلهـــــم قد جار فى حكمه من كان يسقيني
اني غفلت عن الساقي فصيرني كما تراني سليب العقل والديـــن
لا استطيع نهوضا قد وهى بدني ولا اجيب المناجي حين يدعونـــي
فاختر لارضك قاض انني رجـــل الراح تقتلني والـــراح تحيينـــي

ومنهم عروة بن ؟ اتلف امواله فى الخمر وكل ما يملك حتى رهن زوجته سلمى فى الخمر مع شغفه بها وغيرته عليها وامثالهم كثير وفى هذا القدر كفاية .

وقال الحريري فى درة الغواص ان الامير حامد بن العباس سأل وزيره علي بن عيسى ديوان الوزارة بمحضر قاضي القضاة ابي عمر وجمع من الكتاب عن دواء الخمار فاعرض الوزير عن جوابه وقال ما انا وهذه المسألة فى هذا المقام ، فخجل الوزير الامير حامد بذلك المجلس فلما رآى خجله القاضي عمر واعراض وزيره عن جوابه ، تنحنح لاصلاح صوابه، وقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، قال الله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ، وقال صلى الله عليه وسلم « استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها ، والاعشى (1) هو امام هذه الصناعة فى الجاهلية وقد قال :

وكأس شربت على لذة   واخرى تداويت منها بها

ثم تلاه شاعر العرب مجنون ليلى (2) فقال :

تداويت من ليلى بليلى «من» الهوى   كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

ثم تلاه شاعر المولدين ابي نواس الحكمي فقال

دع عنك لومي فان اللوم اغراء   وداوني بالتي كانت هي الداء

فتهلل وجه حامد بن العباس لذلك وزال خجله وقال لوزيره علي بن عيسى ما منعك يا بارد أن تجيب بمثل ما أجاب القاضي ابو عمر من هذه النصوص استظهر اولا بكلام الله وبحديث رسوله وبكلام العرب فى الجاهلية وبكلامهم فى الاسلام وبكلام المولدين وبين الفتوى وأدى المعنى وخلص من ورطته فكان خجل الوزير اكثر من خجل الامير حامد انتهى

---

1) الاعشى توفى حوالي 629 شاعر ولد ومات بمنفوحة من الرياض الان تتلمذ على خاله المسيب بن علس وتكسب بالشعر ، فمدح الملوك والاشراف بالحيرة ، واليمن ، وحضرموت، والشام ، واليمامة ، والحجاز ووفد على النبي ص مادحا ومسلما فتصدت له قريش ونفرته فرجع ومات فى سفره اولع بالمتعة فى الخمر والنساء والغناء ، فعاش لها وتغنى بها وصف الخمر ومجالسها وندمائها وحكى غرامه بالنساء وقصصه الداعرة معهن ، وصور مجالس الغناء والقيان فكان امام اصحاب اللذة والخمر من الشعراء يضمه النقاد فى مكانة عالية لكثرة تصرفه فى فنون الشعر ووفرة الموسيقى وعذوبة الفاظه ويسرها حتى سمي « صناجة العرب » وله معلقة تناول فيها الغزل والخمر والهجاء والفخر وديوانه مطبوع

2) محنون ليلى هو قيس بن الملوح (تـ 684 ـ 87 هـ) شاعر عربي عاش اوائل حكم الامويين ويعرف بمجنون ليلى نسبة الى ليلى بنت مهدى بن عامر بن صعصعة التي كان يعشقها ويكثر من ذكرها فى شعره ، وياتي دارها بالليل حتى صار عشقه لها حديث الناس ، فمنعهاهلها عن زيارتها ، ورفضوا ان يزوجوها له فذهب عقله وهام على وجهه حتى مات وذهبت قصته مثلا على الحب العذري ومادة لكثير من القصص والمسرحيات اما شعره فغاية فى الرقة والرصانة ، واقرب الى البداوة مع حسن السبك . فيه صدق العاطفة وروعة التصوير وحرارة الهيام ديوانه مطبوع مرات متعددة فى القاهرة وبيروت احسن شروحه بالمقارنة للدكتور غنيم استاذ الادب المقارن بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

وخبر ما مررنا به من الجزائر الى قسنطينة من المدن فكله خراب غير مدينة بجاية فقد اسست على عهد الروم ، وكذلك قسنطينة وعنابة، وبنزرت، وقرطاجنة ، ومستير ، وسوسة ، وسفاقس ، وجربة ، وطرابلس ، فكلها من بناء الروم الذين كانوا بسواحل افريقية قبل الفتح

ولما فتحها المسلمون بقيت بها المدارس ودرست بها العلوم وفى مدينة سفاقس قال علي بن حبيب التنوخي

سقيا لارض سفاقـــس (1) ذات المصانـــع والمصلـــى
بلـــد كـــان يقـــول حيـــ ـــن تزوره أهـــلا وسهـــلا
وكأنـــه والبحـــر يحـــ ـــسر تارة عنـــه ويمـــلا
صـــب يـــريـــد زيـــارة فاذا رآى الرقبـــاء ولـــى

وعكسه محمد بن تميم فقال :

قد عاين البحر فنجا من جوانبها فكلما هم ان يدنو لها هربا

وفى مدينة قابس قال بعضهم

لهفي على طيب ليـــال خلـــت بجانب البطحاء من قابـــس

وفى مدينة طرابلس قال بعضهم

ان طرابلس (2) لها بهجـــة كجنة الفـــردوس او عـــدن
البحر ياتيها بمـــا فيهمـــا والبـــر بالغلمـــان والمعـــدن

وفى تونس قال ابن رشيق القيرواني :

لا اعدم الله اقوامـــا عهدتهـــم بتونس كلما اتيتهـــم رفعـــوا
وان نديتهم لحاجـــة عرضـــت ورمت نصرتهم فى حادث نفعـــوا

واما القيروان والمهدية وتونس فمن بناء المسلمين ، القيروان اسسها عقبة بن نافع الفهري بعد الفتح ومدينة البريد اسسها ابو المهاجر الانصاري

---

1) سفاقس تقع شرقي تونس وجنوبي سوسة تطل على خليج قابس بها آثار رومانية وهي اليوم مدينة وميناء قصفها الفرنسيون بالمدافع 1881 ووقعت فى قبضة قوات المحور 1942 واستولى عليها البريطانيون 1943

2) احدى مدينتين الاولى بلبنان والثانية طرابلس عاصمة المملكة الليبية ، ميناء على البحر المتوسط قامت فى مكان احدى المستعمرات اليونانية القديمة « القرن 7 ق.م » فتحها عمرو بن العاص 643 م استولت عليها ايطاليا 1911 كانت قاعدة للمحور فى الحرب العالمية الثانية سقطت فى يد الانجليز 1943 بها اليوم كليات جامعية .

ايام الفتح ، والعباسية اسسها ابراهيم بن الاغلب (1) ايام الرشيد والمهدية اسسها المهدي العبيدي عام اربع وثلاثمائة

واما تونس فأسست فى ايام معاوية ابن أبي سفيان عام خمسين من الهجرة ، لما فتح المسلمون قرطاجنة وهدموها بنوا بانقاضها تونس ، وابعدوا بها عن البحر خوفا من الروم ، واما ما بني فى الاسلام فبسكرة ، وتامزيزديت، والمسلية ، وتجانة ، والكاف ، وتستر ، ورقادة ، ومجاز الباب ، وتوزر ، واكحان هذه اسست فى الاسلام ، فى دول البربر الذين كانوا بها ، واما ما قيل فى تأسيس افريقية وهي مدينة قرطاجنة ، فسياتي بعد هذا . انتهى .

* * *

رجوعــــا : ولما اصبح وحملت على بهائمي اتاني ، امين الحمّارين واخبرني ان اصحابي خرجوا ، فكلفته ان ياتينا معه بشيء من البصل للطريق ، وتوجهنا من القسنطينة ، وعلى عشرة ايام بلغنا تونس فبتنا قريبا منها على فرسخ ، ولما اصبح تركتهم يحملون وتقدمت لانظر المنزل الذي كتبت عليه ، فدخلت على باب المدينة وسرت فى سوق وانا اسأل عن جامع الزيتونة (2) فبينما انا اسير فى سوق العطارين اذ رايت احد الذين كتبت لهم على المنزل ولما رآني اختفى فى وسط المارة وهرب مني فعدت أسأل عن بيت الوكيل الحاج على الجزيري ، واقول كيف لي بالوقوف بباب رجل لا أعرفه ولا يعرفني الى أن وقفت ببابه ، فوجدت اعوانا وخداما ونصارى فسألت عنه ، فقيل لي انه عند حمودة باشا بالقلعة فانزلوني بمحل جلوسه وقالوا ما تريد منه ؟ فقلت اتيته بكتاب من باشا الجزائر فتوجه احدهم ، ولما اخبره ركب فرسه وقدم فندمت على قصده والوصول لبابه الى ان وقف بالباب ونزل عن فرسه ، فاذا هو صاحبي من قديم كان بحريا مع الرئيس صالح وهو شاب صغير وكانوا ياتون للسفر فى البحر من العرائش

---

1) اليه ترجع دولة الاغالبة التى حكمت تونس وجزءا من الجزائر (800 – 909 م) كانت قاعدتها القيروان قضى عليها عبيد الله المهدي (908 – 909 م)

2) جامع الزيتونة هو اول جامعة اسلامية بالشمال الافريقي ، بناه عبد الله بن الحبحاب 732 واعاد بناءه محمد بن الاغلب 840 م غير انه لم يصبح جامعة ازدهر فيها التعليم الا فى عهد الحفصيين فى القرن 13 اذ جلب اليه ابو زكرياء الاول الاساتذة من الاندلس وصقلية لتدريس الفقه ، واللغة ، والادب ، والتاريخ ، والفلسفة والرياضيات والطب. ثم عاد المنهاج فى القرن 18 فاقتصر على العلوم الدينية واللغوية والادبية وهو اليوم في عهد الاستقلال تحت اشراف مصلحة التعليم الثانوي بعدما انجب لتونس كثيرا من الرجالات الذين ضربوا بسهم وافر فى تقدم تونس والجزائر ايام كفاحهما .

وانا وال بها ، وبعد ان التحا تزوج بسلا ولما مات امير المؤمنين وتفرق جمع الرياس والبحرية توجه لتونس ، ولما دخلت لتونس فى سفارتي للاصطنبول عام مائتين والف ، وجدته بها رئيس مركب ، وكان خليفة باشا الجزائـــر بتونس ، وادرك منصبا عظيما ومالا كثيرا وعقارا فى اقرب مدة ، فلما تراءينا خجل مني وخجلت منه ، وسلم وسلمت وكل منا لا يرفع بصره للاخر ، لاني كنت اعرفه على حالة ويعرفني على اخرى ، فتبدل الامر وانعكس الحكم ، وساقني القدر الى بابه ، فاظهر من البشر والسرور ما لا مزيد عليه وقال : اين الخدم والبهائم ؟

فقلت تركتهم فى اثري ، فوجه من يعترضهم بباب المدينة وامر خدامه بكنس دار وغسلها ونقل ما لابد منه من الفرش والالة ، وصعد بي الى منزله فحضرت سفرته للغداء ، ولما سمع بخبري ونزولي عنده اصحابنا اهل فاس الذين كتبت لهم على المنزل ، وصلوا بجماعتهم كل منهم يقول المنزل حاضر وعينا لك ثلاثة منازل تختار منهم ما يوافقك ، فاقسم لهم الرجل انه لا يدخل منزل احدكم ، ولما فرغنا من الغداء جاءه خديمه واخبره ان البهائم وصلوا وانزلوهم بالبيت ، فقام بنا الى المنزل ومعنا اهل فاس فدخلنا دارا معتبرة فيها خدامنا واثاثنا ، وصعد بنا الى اعلى مستقل عنها ، فوجدناه مفروشـــا وفيه كل ما تحتاج اليه من الاواني النحاسية والودعية واواني الاتـــاي والقهوة والشمع والسكر ، ورتب لنا ما يكفينا من كل شيء ، واكرمنا اكراما كليا رحمه الله ، ومن الغد جاء وقال من الواجـب عليك ملاقاة امير البلـد حمودة باشا ، ربما يسمع مقامك هنا فقلت اما هذه فلا ، وما لي وله وما اقول له ، فيما مضى كنت سفيرا من سلطان المغرب الى سلطان المشرق ، ولمـــا دخلنا بلاده بعث لنا الخيل واقسم علينا ان نكون فى ضيافته ونستريح ببلاده الى أن نقضي اغراضنا ، والان سفير من ؟ وكيف اقول ؟ انا فلان الذي كنت عندك وقت كذا ، لا افعل هذا ولا ارتكبه ، انما انا رجل حاج اريد السفر فى البحر ويكفينا صنيعك وضيافتك ، ومن تمام اكرامك ان لا تحدثه بهـــذا فراودني مرارا فأبيت واقمت بتونس خمسا واربعين يوما الى ان تيسر لنا السفر ، فاكترى لنا قامرة المركب ودفع لنا من الزاد مثل ما قدمنا مـــن قسنطينة وزاد من الدجاج مائة طير ومن الغنم خمسة عشر راسا

رجوعا الى خبر تونس واقليمها : هي فى اقليم افريقية واول من عمر افريقية على المشهور قوم من العادية ، وقيل اول من عمرها افريق بن ابراهيم عليه السلام ، وقيل افريقش الحميري لما غزا مصر والشام ، وتوجه بهـم

لغزو الافرنج بسواحل افريقية والمغرب ، فلما وصلوا افريقية اعجبهم خصبها وبسائطها وكثرة مرافقها فاستقر بها بعضهم وتوجه معه بعضهم ، فتوغلوا فى ارض المغرب وتفرقوا فى بسائطه وجباله وعمروا اقطاره وصار لهم وطنا ولما رجع افريقش من غزو المغرب اختط مدينة قرطاجنة المدينة العظمى علـــى ساحل البحر الاخضر ، وعمرها وترك بها عددا من عسكره .

قرطاجنة ومؤسسها :

وقيل ان الذي اختط مدينة قرطاجنة الامير بن لود بن سام وجلب لها الماء من حلابية مسيرة مرحلتين شق له الجبال وبنى له القناطير على الشعاب وبنى له الحنايا فى البسائط بالصخر والحجر الصلد الى ان ادخله للمدينة ودامت فيه الخدمة اربعين سنة وكانت هذه المدينة من اعظم مباني الدنيـــا بأنواع الرخام الملون واصناف المرمر وتوارثها بنوه من بعده دهرا الـــى ان غلبهم عليها الافرنج وتوارثها جنسا بعد جنس حسبما قدمنا الى ان ملكهـــا المسلمون ايام الفتح فى خلافة عثمان رضي الله عنه وهدمها المسلمون حين اسس عقبة مدينة القيروان

تونس أسسها المسلمون :

وفى خلافة معاوية رضي الله عنه اسس المسلمون مدينة تونس وعمروها قريبا من قرطاجنة ونقلوا اقامتها (1) لتونس من خشب وابواب ورخام وبها بنيت تونس ، ولم يزل أهل تونس فى زماننا هذا يستخرجون الرخام والمرمر ويجعلونه فى بيوتهم وجعلوا بين مدينة تونس ومرسى البحر ، ثلاثة أميال أو اربعة ، خوفا من الافرنج ، وانتقل كرسي الخلافة الذي كان بالقيروان الى تونس مدة ايام بني امية وبني العباس ، الى ان غلب على افريقية كتامة دعاة العبيديين

بانى المهدية التى بافريقيا المهدى العسرى :

وقدم عبد الله المهدي الى افريقية فبنى مدينة المهدية وحصنها ونقل كرسي الخلافة اليها ولما استقل بلكين بن زيري بملك افريقية ، رجع كرسي

---

1) يقصـــد مـــواد بنـــائها .

الخلافة الى تونس واستمر بها ايام الموحدين وبني مرين وبني ابي زكريـاء ملوك افريقية ، وذلك عام واحد وثمانين وتسعمائة ، ولا زال كرسيهم بها بين خلفائهم من الاتراك امرائها ودولتهم مستقيمة مبسوطة العدل فى الجنـد والرعايا ، وهم احسن ملوك الاقاليم العربية والعجمية وفقهم الله واطـال ايامهم

الخبر عن سفرنا من تونس فى اول يوم من جمادى عام ثمانية ومائتين والف

سفر المؤلف من تونس الى الاسطنبول :

ولما ركبنا البحر الى الاصطنبول ، وهو فى حالة هيجانه علينا يصول ، وحيث حللنا بها زال ما حصل لنا من التعب والاكدار ، واستقرت بنا الدار ، عند صاحبنا الاغا على المهمندار ، وهو الذي كان يشيع ذكرنا فى السفـارة الاولى من سلطان الغرب ، وبذل مجهوده فى رفعتنا بالظعن والضرب ، وجدته أميرا على السنجق فى الجهاد ، المقدم على كل الاجناد ، يتفاءلون بتقديمه وهو المشهور بالعدل والعفاف من الشيب ، عددهم اربعة الآف ، ووظيفه لا زال بيده الذي هو حائز الاضياف ، فاكرمنا اكرمه الله غاية الاكرام ، وزاد على ما عهدناه منه من التبجيل والاعظام ، ومن كمال مروءته لم يسأل عن سبب القدوم ، ولا عرج على ما يؤذن بالمال الذي هو عند الكرام مذموم ، وغاية ما سمعنا منه بعد السلام السؤال عمن كان معنا من الاصحاب والخدام ، ثم قال كيف انتم بعد موت سيد الملوك المحبب عند المالك والمملوك ، مولاي محمد رحمه الله ، وكيف حالكم مع من قام بملكه وتولاه ، فقلت ان سلطاننا اليوم مولانا سليمان من اولياء الله ، فقال : الحمد لله ، ثم الحمد لله ، ولقد سألت عنك علي اغا قبجي باشا لما توجه لسلطان الغرب فى قضية مراكب الاغريق التي اخذتها مراكب سلطان الغرب ، فقال لي انك القائم بامره ، واتيته بجارية سواء من عنده ، واثنى عليك خيرا وذكرك به ، فسرني ما سمعته من الثناء ، وعرفني ما انت عليه من جزيل الخير والوفاء ، فالحمد لله الذي شرفنـا بلقائك ، ومتعنا ببقائك ، فقلت وكيف حال هذه الدولة العثمانية ، فقال من عرفته مات ، ومن طلع تائه فى فلوات ، وما بقي الا الوزير يوسف باشا فى حيز الاهمال ، اذ هو من اهل الكمال ، وسألني عن عبد الملك وابن عثمان ولوزيرق وابن يحيى ومن كان معهم ، فقلت لم يبق ممن قدم بلادكم غيري وغير محمد

الزوين الذي قدم عليكم بعدي ، واخبرنا بما وقع فى دولتهم من النقص فى كل الاحوال ، وما هي فيه من الاهوال ، فى المقام والترحال .

ولما صلينا العشاء دخل بيت حريمه ، ولما اصبح وجه لي كسوة من ثيابه فيها كرك وشال ، وقفطان حرير ، وقميصان ، وعمامة ، ومحارم لها مع جارية سوداء خرجت من خوخة الحريم فقبلت يدي ، وقالت بالعربية : تفضل بقبول هذه البقجة ، فقلت : انت تحسنين العربية ، فقالت : الم تعرفني انا جاريتك فلانة التي اعطيتني لسيدي ، لما قدمت من المغرب وكنت اشتريتني بالصويرة ، فسلمت عليها وقلت كيف انت بعدنا ، فقالت لله الحمد فى نعمة شاملة وعيشة مرضية ، وقبلت يدي ، فأعطيتها منيضة فلم تقبضها وامتنعت كل الامتناع ، ودخلت من حيث خرجت ، ثم خرج الاغا يضحك حيث قالت له لم يعرفني سيدي ، وقال : الم تعرف جاريتك ، فقلت: والله ما عرفتها حتى عرفتني بنفسها ، فقال انها من أصل ساعة ذكرتك لسيدتها ، قالت : يا مولاي ، اريد ان اسلم على سيدي ، فقلت : الى الصباح ولما اصبح قالت : دستورك يا سيدي ، يعني الاذن ، فقلت تقدمي ، فأبت ، فقالت لها سيدتها ، ما شأنك فسكتت ، فقالت : تكلمي ، فقالت : كيف اتوجه لسيدي فارغة اليد ، فقالت سيدتها : والله انك قلت صوابا وانت احسن منا، وقامت سيدتها فاخرجت لها البقجة والله ما حدثتك الا بالواقع وانها لها ، وليس لنا فيها جميل ولا حق فجازيته خيرا ودعوت له بخير ، واقمت عنده ثلاثا فى عز واكرام ، لا يفارقني الا وقت النوم ، وفى اليوم الرابع قلت لكاتبه عثمان افندي ، اردتك ان تخاطب الاغا بامري وما جئت له ، لانه يحسن العربية فاني كنت جئت للاصطنبول فى سفارة السلطان رحمه الله ، ولم يكن عندي اذن بالسفر للحج ولما يسر الله اسبابنا بالتاخير من الخدمة السلطانية اردت ان اطهر بدني ما تعلق به من الاوساخ والادناس التي اثقلت كاهلنا ، بالقصد لحج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ، ونطلبه فى غفران ما سلف منا من الاثام ، ونتقدم بين يدي نجوانا زيارة الانبياء فى طريقنا ، وتربة الخليل والمسجد الاقصى ، فليكن لنا خير معين بالايصاء علينا من يعتني بامرنا وله جميل الدعاء فى كل موقف يلتمس فيه الخير الى بيت الله وتربة رسوله خير الانبياء والمرسلين ، ولا نكلفه بزائد فوق هذا ، وامد الضيافة اكملناه فلييسر علينا بما يكون عليه عملنا ابقاه الله محفوظا ، وبعين عنايته ملحوظا ، فقال لي هذا امر سهل هين ، مالك فيه الا ما يرضيك وخرجنا لزيارة ابي أيوب الانصاري رضي الله عنه ، ركبت فى زورق ، وكنت زرته مرارا لما كنت بالاصطنبول ولما زرت عدت عشية النهار ودخلت بيت

الاغا فوجدته يتحدث مع الكاتب عثمان افندي فقالا : تقبل الله زيارتك وقضى اغراضك ، فقلت : وزيارتكما ، فقد دعونا لكما عنده بما يتقبله الله ، فقال الاغا للخوجة ، قل له يا مولانا نحن مسرورين بقدومك علينا ومؤانستك ، فأردت ان تفجعنا بفراقك ، والله لولا انك جئت بهذا القصد من بلدك ، ما كنا لنسرحك ، لكن هذا يحرم علينا ردك عنه لما فيه من الثواب لنا ولك ، فطب نفسا وقر عينا ، فان أمين الصرة سليمان افندي لبسوه فى هذه السنة للسفر بالامانة ، وهو قريبنا وجارنا فنوصيه بك ، وتتوجه فى صحبته معززا مكرما الى مكة ان شاء الله ولك الخيار فى الرجوع معه أو التوجه لبلدك ولشهر يكون السفر ، لكنك قلت لعثمان افندي اكملنا مدة الضيافة فلا تحسب انك ضيفا عندنا ، فنحن فى ضيافتك ، فالبيت بيتك ، والخدم خدامك ، ولك بعد ذلك الجميل علينا ، فلا تحدث نفسك بهذا حتى نتوادع معك من هذا البيت ان شاء الله .

ويوم الجمعة اجتمع بأمين الصرة وذكر له امري ووصفني له بالعلم والخير والصلاح ، فقال له تتفضل يوم الجمعة بقدومه لبيتي ومنه نتوجه للجمعة ، فاخبرني ليلا بذلك واستمر الحال الى يوم الجمعة ، فقال لعثمان افندي : قل للافندي الموعد الذي واعدنا افندي يوم الجمعة قم بنا اليه ، فهو قريب نتوجه على اقدامنا ، فخرجنا وذهبنا قليلا لبيته فوجدنا خدامه فى الانتظار ، فلما رأونا أسرعوا اليه فخرج لملاقاتنا بباب البيت وطلع بنا لمقعده ، فحينئذ سلم علينا وعانقنا وقبل ايدينا وفعل معنا من الادب والتواضع ما اخجلني به ، وكان يترجم بيننا وبينه عثمان افندي ، وكل سؤاله عن ممالك المغرب وبلدانه ودوله ، وكان من جملة الطلبة ، مشاركا فى فنون العلم ، وكل مرة يقول لا اتأسف على شيء أسفي على معرفة اللسان العربي ، فيقول له عثمان افندي ان الشيخ يعلمك اللسان فى أثناء الطريق ، فيقول ان شاء الله ويضحك ، واقمنا عنده الى ان حضرت سفرة غذائه ، فاكلنا ودخلنا حمامه فتوضأنا وخرجنا لصلاة الجمعة بمسجد السلطان مصطفى قريبا منه ، ولما خرجنا من الصلاة توجهنا لمحلنا

ولما عزمنا امين الصرة مرة ثانية لبيته ، وذكر لنا ما يبلغهم من كذب المغاربة ، قال لي انشدك الله يا شيخ هل عندكم بارض السوس مغارة يقصدها الحكماء ويقيمون بها بزادهم الى ان يفتح بها باب فى ليلة من الليالي ، فيدخلون من الباب الذي فتح ، فيجدون بيتا فيه دفاتر فوق كراسي ، فيأخذ كل واحد من الداخلين دفترا ويقيد منه ما شاء من حكمة وطب

وتدبير ذهب وفضة وطلمسات واسرار حروف وعلم كيمياء طول ليلتهم ، وفى الصباح يخرجون من الباب ومن اخذ معه دفتر او أزال ورقة من دفتر ، لا يقدر على الخروج من الباب ، الى ان يرد ما أخذ ، وكل من يكتب شيئا من اي صنعة احب لا يمكن ان يبطل او تفسد عمله فيما كتب .

فقلت لم نسمع بهذا فى مغربنا ابدا ، سواء صحيحا او باطلا ، فمن اخبركم بهذا ؟

فقال : كان عندنا رجل طالب زعم انه من اهل سوس ، وكان يفعل افعالا غريبة تدل على حكمته ، وعليه ثياب سوداء لا تساوي درهما ، وكل يوم يتصدق بدينار على الطلبة بمدرستنا هذه ، مشهور عندنا بالصلاح والورع ، واضفته ليالي فما اكل لنا طعاما قط ، وطلبناه ان يعلمنا من اسراره فقال : لا يكون ذلك ، ولابد لمن اراده ان ياتي لمحله ،واخبرنا خبر المغارة ومدة اقامته بها ، ومن تعلم منها لا يصح لغيره ممن لم يدخلها ، ولو علمه الداخل

فقلت له هذا كذب محض وليس بالمغرب مغارة ولا كهف الا مسألة ازلية من حكمة الله وقدرته مكتوبة بقلم القدرة شاهدناها ، وهي ان بالمغرب جبل ممتد من قرب الاسكندرية يشق برقة وافريقية والواسطة والمغرب الادنى والاقصى الى وادي نول بساحل البحر المحيط الغربي وبجبل فازاز ، منه وادي يقال له وادي العباد ، فيه اشجار عظام وقشر تلك الاشجار ، وقشر اغصانها واوراقها كلها مكتوب عليه بقلم القدرة :

اشهد ان لا اله الا الله ، اشهد ان محمدا رسول الله .

ثم

لا اله الا الله ، محمد رسول الله .

ثم

محمد رسول الله

ثم

لا اله الا الله

كل الاوراق عليها هذا بالبياض على الخضرة فى الاوراق ، وبالبياض على السواد فى القشور ، ورأينا قشرة كقشر شجر الجوز ، وقشرة شجر الصفصاف ، وهو اشبه شيء بالصفصاف ، من كل الشجر ، وقد رأينا مرارا يهدونه للاعيان اهل تلك البلاد ويكرمونهم عليه ، وهذه آية عظيمة لم نسمع بمثلها الا فى بعض جزر البحر ، ففيها ورد احمر مكتوب عليه بقلم

القدرة مثل هذا ، ذكره القاضي عياض (1)،فتعجب هذا الرجل من هذه الآية العظيمة المقدار ، المؤيدة لهذا الدين المحمدي ، وقال لي والله لو وجدت قشرة من هذه الشجر لاعطين فيها الف دينار لمشاهدتها فقط ، ولو بلغتنا لكانت لنا حجة على الكفار وعبدة الصليب ، وان بلغ الله قصدك ورجعت لبلادك تسعى لنا فى شيء من هذا القشر ، فهو من أعظم الهدايا ولو علم السلطان بهذا لوجه من يطلبه من سلطان المغرب فانعمت له به ان بلغت المغرب ان شاء الله ، ثم تكلم معي فى شأن السفر وقال لي : لاتتكلف بشيء فعلي كل شيء ويدك مع يدي .

ولما سمعت منه ما قال فى شأن السفر أن لا تتكلف بشيء ، واكون معه يدي ويده لم استحسن ذلك ، وتكلمت ليلا مع الاغا على لسان عثمان افندي وذكرت له مقالته وما سمعت منه ، واني لا استعمل ذلك لاني بخدامي وعبيدي ومضاربي ، فلا اكلفه الا بالاحسان والمباشرة فيما اتوقف عليه ، واكون فى محلي وحدي ولا يمكنني الكون معه ولا يلتئم طبع العرب مع الترك فى كل امر امر ، لاننا اهل الغرب اهل بادية وقسوة وجفوة ، ولا نأكل ما ياكله الاتراك من الرقيق واللين ، ولابد لنا من الكسكس واللحم وما تعودناه من الخشين ، ولعل ما معنا من الكسكس والخليع والسمن يكفينا للطريق ، والسفر تتبدل فيه الطباع ، فنحبه ان يكون نظره علينا فى اماكن الزحام على الماء ، وفى المخاوف ، والاعانة بالدواب للحمل والركوب ، لاننا لا نعرف قوانين الكراء ولا الشراء ، فليتكلم لنا مع من يحملنا من المقدمين هنا وبالشام ان بلغناه بخير ان شاء الله ، واكرامه لنا بما ياتي مما هو مفقود فى الطريق لا غير ، فوجه له الاغا مع عثمان افندي وعرض عليه ما قلت له فاستحسنه وقال : والله ان هذا الرجل من الكمل والعقلاء ، ولم اتفطن لما ذكر من عوائدهم وذلك حق ليذكر لنا ما يحتاج من المراكب لخدامه ، وللحمل ، وانا اخلص كراءهم من جملة ما الي ، وهذا فرس من خيلي يركبه الى مكة ان شاء الله .

لا وجود للبغال عند الترك :

ولما قدم علينا عثمان افندي واخبرنا بمقالته ، تكلمنا فى عدد ما نحتاجه للحمل والركوب الى ان اتفق الرأي على ستة من الخيل « رهاون »

---

1) هو صاحب الشفا مؤرخ وفقيه وشاعر ولد فى سبتة 1083 وتوفي 1149 درس على ابن رشد وعلى غيره من علماء عصره ، تولى التعليم والقضاء فى سبتة وقرطبة الف :
أ ــ الشفا بتعريف حقوق المصطفى .
ب ــ مشارق الانوار فى اقتفاء صحيح الآثار

للركوب وعشرة من البرادين للحمل ، لانهم لا ابل عندهم ولا بغال ، وكل اثقال الحاج تحملها البرادين في بلاد الترك كلها ، ولا ترى الابل الا بالشام ومصر والحجاز ولقد بحثت على بغلة اشتريها بالاصطنبول فلم توجد به .

ولما كنت قبل هذه النوبة بالاصطنبول رايت عند ابن يحيى بغلة فسألته عنها ، فقال انهم اشتروها لي من بورصة (1) على خمسة ايام من الاصطنبول ، وكل الناس لا يركبون الا الخيل ، ويحملون عليها وهي فى غاية الرخص من الخمسة مثاقيل الى العشرة الى العشرين ، ولا يباع باغلى ثمن الا الخيل العربية التي تاتي من بلاد المغرب ، ولا يركبوها حتى يخصوها لتزول قوتها وتكسر شدتها ، ولا تنفر بهم لانهم اناس لطاف ، خصوصا اهل الدول واهل المناصب والتجار والقضاة والعلماء والشهود ، فكلهم يركبون الخيل وياتي بها الاتراك للسوق كما ياتي اهل البادية بالغنم والبقر تباع صفارها وكبارها للذبح والاكل وشحمها يجعلون منه الشمع لعامة الناس ، ولا يوقد شمع النحل الا الاعيان والتجار واهل اليسار من المسلمين واهل الذمة .

ما وجهه الاغا للمؤلف :

ولما قرب وقت السفر امرت الخدام ان يبنوا الخزانتين ويدورون بهما فيما يحتاجانه من اصلاح ، فضربوهما فى براح باروى الاغا ، فلما رآهما من الطاق ، سأل عنهما ، فقيل له لفلان ، فدخل علي وقال : انت تخرج من الاصطنبول فى هذا الشكل العربي فى وسط الاتراك ، والله لا كنت تخرج الا فى شكلنا حتى لا تعرف ، هذه واحدة ، والثانية لا تلبس الا لباسنا حتى تكون فى بلاد العرب وافعل ما تريد ، وامر أحد سواس خيله ان يخرج قبيبة مربعة الشكل من عمل الاصطنبول ولها خوامي وشبابيك ، مؤلفة من الفز كانها من حديد ، احدهما عن اليمين والاخر عن الشمال ، ووثائق من القلع الجيد الذي لا يدخله مطر ولا ثلج ، وبناهما وقال : هذه لك ، وهذا للثقال والخدام ، وامر السائس ان يطوي ما كان لنا ويدخله عنده ، وامر ان يجعل بالقبة حصيرا من لبد ، ومضارب من ملف بندقي ووسائد من خز وزرابي اربعة ، ووجاق من حديد وطشت وابريق وصينية من صفر وطزينتين من صحون فى قالب

1) بورصة مدينة شمال غربي تركيا قرب بحر مرمرة . وتسمى بووروسة اشتهرت بصناعة الحرير والسجاد وقد كانت بروسة القديمة من ملّن بيثينيا المزدهرة استولى عليها اورخان 1322 واصبحت عاصمة الاتراك العثمانيين (1326 ـ 1423) لم خربها تيمورلنك 1402 بها مساجد رائعة ومدافن لبعض السلاطين المتقلمين .

واحد للاكل وطشت كبير للصابون وبقي ذلك فى الخزانة التي هي الوثـــاق واخرج لنا بعد ذلك زوجتين من الكربوات باقفالها لتكون بها الاواني المذكورة وفانوسين وحسكتين واربع قرب كبار وبصط اربعة للسمـــن والعســـل والزيت وفنيق من الشمع جعل ذلك فى زمام واتاني وكيله وقال لي يسلم عليك الاغا ويقول لك هذه الالة كنت اسافر بها للجهاد وقد وهبتها لك تستعين بها على السفر للحج ووالله ما اشتريت منها مسالة واحدة ولا تحسب اني تكلفت شراءها انما كانت معدة لسفري فاثرتك بها .

ولما بقيت ثلاثة ايام للسفر وجه لنا أمير الصرة سليمـــان افنـــدي فوجدناه بالاصطبل وعنده خيل كثيرة بسروجها من عملهم فتكلم مع عثمان افندي بالتركي وقال له : اردت الشيخ ان يختار من هذه الخيل ستة لخدامه قبل ان نعرفها فقلت لا اختار الا ما يختاره لنا هو فامر عثمان افنـــدي ان يختار منها ستة فعينها وامر خدامه ان يتوجهوا بها لبيت الاغا واخذوا معهم عمائرها وربطوها وفى عشية اليوم وجه لنا القيم الذي اكترى منه بهائم الحمل وهو الحامل لينظر الحمول وما يكفيه من البهائم فعينا له ما عندنا من المأكول فى غرائرها والخزانتين وفرشهما والمحوت الذي فى الكربوات الاربع وعبدان صغيران يركبان فوق الحمول فقال : لابد من عشرة بهائم ورجع فأخبر امين الصرة ومن الغد وجه لنا فرسه الذي وعد به بسرجه ولجامه واقامته وقال هذا المتوجه لك به هو الذي يباشره وياتي بعلفه ويباشر أكله وشربه وربطه وحله فربطه بأروى الاغا مع الخيل الستة .

الاعتناء بالاشهر الثلاثة ومن يخرج بالصرة :

وفى يوم العشرين رجب قطع الحجاج خليج الاصطنبول لتلك العدوة وضربت الخيام خارج مدينة الاسكدار فى بسيط من الارض ولاهل هـــذه المملكة اعتناء عظيم بالاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان تسرج منهـــم المساجد كلها والمؤاذن والاسواق فى كل ليلة من لياليها ويخرجون الصدقات للفقراء والمساكين والغرباء وتبيت الاسواق عامرة موقودة والسكك كذلك موقودة كل أهل الدور يوقدون على ابواب بيوتهم فلا ترى الا المدينة كنجوم السماء .

ولما كان يوم الثاني والعشرين وهو يوم الجمعة أمرنا امين الصـــرة بالخروج بعد صلاتها ولما صلى خرجت الصرة امامه فى موكب عظيم ومعه

الوزير والامراء واهل المناصب كلها واعيان الناس وعامتهم بطبول ومزامير وطرنبطات والخمسة والخمسين والهندقة فلا تسمع الا اصواتها بكل ناحية ونزلوا بالاسكدار وبات الناس كلهم به وبعد ان عزمت على الخروج اخرني الاغا الى الصباح فرارا من الازدحام فى الفلائك ولما اصبح اتاني ببقجة من لباسه وكرك وشال وودعنا وحملنا الاثقال وقطعنا الخليج فى الزوارق وحملنا وبلغنا الركب فوجدنا هم يحملون فكان سفرنا من الاصطنبول فى الثاني والعشرين من رجب سنة ثمانية ومائتين والالف

الخبر عن سيرة هذا الرجل ـ امين الصرة سليمان افندي رحمه الله ـ معنا فى الطريق ! اقدمها قبل الانتهاء

لما نزلنا فى هذا المنزل الاول اراد الحمّار ـ رب البهائم ـ ان ينزل مع امين الصرة فى وسط الركب فقلت له لا تنزل الا فى طرف الركب ولا ادخل لداخله من مشقة الازدحام فساعده ونزلنا فى طرف المباني ساعة وصاحب امين الصرة يطلبنا حتى وقف علينا وقال ما نزولكم ها هنا وقد تركنا لكم المحل فارغا عندنا فلابد من الانتقال فصعب علينا الحمل ثانية وركبت مع الرجل الى ان بلغت قبة امين الصرة ومعه تاجر جربي يحسن اللسان فسلمت عليه وسال صاحبه عن الثقل فقال له : نزلوا فى طرف المباني، فسالني على لسان الجربي عن موجب نزولي فى طرف الركب فقلت له : اني رجل من الخلوة ولا اقدر على الازدحام مع الناس واحب موالات الفضاء فاريد منك ان تتركني على حالي ولا تكلفني النزول معكم فاني ان شاء الله آتيكم فى كل منزل مقام اجدد العهد بكم وازوركم فقال للرجل قل له اردت ان تكون قريبا منا لنأكل كسكس المغرب معكم ونصلكم بما يستظرف عندنا فقلت اما الكسكس فلا ينقطع عنكم ان قبلتم عليه ومواصلتكم تصلنا اينما كنا فتكلم مع الرجل الذي اتى بنا بالتركي واوصاه ان يتوجه معنا حتى يعرف من جاورنا فى المحل الذي نزلناه منهم ، ويوصيهم بالاعتناء بنا وحسن المجاورة لان كل من نزل منزلا فى الدار الاولى يبقى به وفى الطريق الاول فالاول لا يتقدم متاخر ولا يتاخر متقدم ورجعنا مع الرجل حتى اوصى المجاورين لنا وكانوا من مدينة الاسكدار فقالوا هو استاذنا ومولانا واتوني معه فتكلموا بما فهمناه احسانا وبرورا واجبناهم بالاشارة والمصافحة وتوجه الرجل ثم عاد الي بلحم ودجاج وخضر طرية من امين الصرة فكان ذلك دابه فى كل يوم وكنت اوجه له صحنا من الكسكس مرة بلحم ومرة بدجاج مع وصيف لي فى كل منزل

يجعل عليه غطاءه ويجعله فى فوطة ويحمله به فيتركه الى ان ياتي صفرة عشاء وياكله مع رفقائه وكان ذلك دابه ودابنا مدة السفر الى مكة المشرفة رحمه الله ورضي عنه .

حمام القدرة :

رجوعا لابتداء سفرنا فاول منزل نزلناه من الاسكدار (1) قرية يقال لها قرطل ، على اربع ساعات ومنها لقرية قبره ، على خمس ساعات ، ومنها على ساعتين لخليج سقالة الديل ؛ الخليج خارج من البحر الشامي ، قطعناه فى الزوارق وسرنا ساعة الى قرية يقال لها جارسك كولي ، ومنها دخلنا فى جبال ووادي عبرناه نحو الاثنا عشر مرة يقال لها «قاوركدي» وبالعربي قرية الكفار ، وبها نصارى تحت الدمة على خمس ساعات ، ومنها لقرية يقال لها خان (2) الوزير ، وهذا الخان كان بناه الوزير سنان باشا رحمه الله وهو فندق كبير كانه مدينة ، بقصد ان ينزله الحجاج فى زمن الشتاء ، فسميت به القرية ، وبها مسجد جامع للخطبة ، ومنها لمدينة يقال لها السكوت ، على سبع ساعات وهي مدينة كبيرة بها احد عشر مسجدا للخطبة ، اقمنا بها وهي للبادية أميل ، وبخارجها حمام على عين حارة ، وبها صهريج يغتسل به الناس ماؤه فى غاية الحرارة ، يسمونه « حمام القدرة » اغتسلت فيه ، وهذه المدينة فى غاية البرد فى زمن الحر فضلا عن وقته ، ومنها مسيرنا ليلا تسع ساعات الى قرية يقال لها « سيدي الغازي » اسم رجل من الصالحين مدفون بها اسمه جعفر ولقبه البطل الغازي ، مدفون فى قلعة مشرفة على القرية بنى ضريحه علاء الدين السلجوقي (3) زرته وتبركت به ، ومنها ثمان ساعات لقرية يقال لها « خصوم باشي » ، ومنها سرنا فى غابة من شجر الارز ايضا خمس ساعات لقرية يقال لها « بياض كولي » ، معناه المدشر الابيض ، ومنها ثمان ساعات لقرية يقال لها « بلودم » ، ومنها مررنا بارض فيها شعاب تجتمع بها المياه فى زمن المطر فى غابة من الارز ثم ثمان ساعات ، وتكثر اوحالها بنوا عليها قنطرة طولها ستمائة وخمسين خطوة فخطوة وبها ستون قوسا يقال لها « بلودم كبرسي » يعني قنطرة الطين ، وفيها رخام مكتوب فيه

---

1) اسكودار : اسمها القديم ، كريزوبوليس احدى جهات مدينة استنبول . بها صناعات مختلفة وسوقا هامة . كانت فى حرب القرم قاعدة الجيش البريطاني (1854 – 1856)
2) الخان هو الفندق الذي ينطبق عليه وصف المؤلف .. خانقاه : اماكن الصوفية .
3) هو علاء الدين محمد بن تكش السلطان السلجوقي (1200 – 1220 م) هاجم فارس وقهر بخارى وسمرقند واستولى على غزنة 1214 م .

امر بعمارة هذه القنطرة سليمان بن سليم خان (1) رحمه الله ونزلنا على اثنى عشر ساعة على مدينة يقال لها « بآق شهر » ومررنا قبلها بارض كثيرة المياه والاشجار والازهار ، فى بسيط من الارض يقال لها « سقلى » ، ومنها على تسع ساعات نزلنا على قرية « القين » ، ومنها سافرنا ليلا وعلى تسع ساعات نزلنا قرية « اللاذن » ، وبها تصنع الزرابي والبسط ومنها سافرنا ليلا وعلى عشر ساعات نزلنا مدينة يقال لها « ننيه » فيها مساجد خطب كثيرة صلينا بها الجمعة بمسجد خارج عن سورها ، وهناك ولي يقال له « ملا هنكر » وبزاويته اولاده ، ولهم من يقوم بامر زاويتهم فى كل وقت ولهم وظيف على الدولة العثمانية ، وعادة المتولي منهم على الزاوية ان يجعل وكيله مقام ابي ايوب الانصاري ، فكلما تعين السلطان للملك هو أول من يبايعه ويقلده السيف ، وحينئذ يبايعه أهل الدولة ، فاقمنا بهذه المدينة ، ومنها سافرنا ليلا وعلى احد عشر ساعة نزلنا على قرية خالية يقال « اسمل » ، منها تسع ساعات لقرية « قربناز » فى صحراء موحشة كثيرة الريح فى كل وقت ، وأهلها يصنعون التقاشير للارجل وبها خان كبير ينزله الحاج يسع الآلاف ومنها أحد عشر ساعة لقرية « اركلة » ويقال لها الشام الصغير لكثرة بساتينها ومياهها وازهارها واطيارها ، ومنها تسع ساعات لواد يقال له « وادي قشلة » وبه خان عظيم يسع الآلاف لنزول الحاج وقت المطر ، وبه جامع للخطبة وبخارجه آخر ، ويسمى هذا الخان « الرقشلة » ، يعني ولد القشلة ، والقشلة موضع نزول العسكر فى المدن ، ومنها طلعنا فى عقبة يقال لها « الصندقلي » صعبة المرقى ، ونزلنا على خمس ساعات على وادي قطعناه خمس مرات بين جبال بموضع يقال له « شفرخان » معناه خانان اثنان ، ومنه على ثمان ساعات فى مضايق واوعار وصعود ونزول مع وادي ، الى ان نزلنا بجبل خال يقال له « اوابل » وبه دكاكين يعمرها اهل القرى وقت نزول ركب الحاج ، ومنه فى ارض صعبة ذات حجارة وشعاب ، والوادي فى وسطها ، وتارة فى طريق فتحوها فى الجبل بالمعاول ، وبهذه المرحلة عدة فنادق للقوافل والمسافرين ، فى كل مسافة ، وعلى ثمان ساعات نزلنا بمحل يقال له « الشاقط » وبه مسجد وفندق ، ومنه ثمان ساعة لمدينة « آذنة » كبيرة الجرم بها تسع خطب على حافة النهر المسمى جيحون ، وكانت من المدن المعتبرة قديما ، ودخلها الخراب ، وهي محل اقامة الحاج ، وعلى نهرها

---

1) هو سليمان القانوني ولد وتوفى 1494 — 1566 م وتولى سلطنة توركيا من 1520 الى 1566 م خلف اباه سليم ، وفى عهده بلغت الامبراطورية العثمانية اوج عظمتها . واستولت على معظم الاقطار ذات الاهمية . تحالف مع فرنسيس الاول ملك فرنسا 1536م

قنطرة هائلة ضخمة البناء عدة اقواسها ستة عشر ، وبين كل قوسين قوس صغير يدخل منه الماء وقت الحمل (1) ، معينين الاقواس الكبار ، ومن عجائب نهرها ان فوقه بيوتا من الخشب مسقفة على متن الوادي ، مربوطة بسلاسل فى القنطرة ، وفى داخلها ارحية تطحن القمح بدواليب تدور بها ، فاذا جاء وقت « الحمل » وخافوا عليها يرخون سلاسلها فتاتي الى وسط النهر وتستقر على الارض ، بحيث لا يلحقها تيار الوادي ، ومنها ست ساعات لقريتين يقال لهما « مصيص » بينهما نهر عليه ارحية من الخشب كما تقدم ، ومنها سبع ساعات لمحل يقال له « قرطغراو » وفيه قلعة وخان لنزول الحجاج وبه ثائر ياتي كل عام لامير الحجاج يقبض عوائده ، ويتوجه مع الحجاج فى بلاده يومين، خشية ان ينهب الحجاج فى ذلك المحل الخالي الوعر ، وتوجه مع الركب الى قلعته التي هو بها فى قومه يقال لها « بياض » ذات مزارع ومياه وبساتين ورياحين على ضفة البحر الشامي عند انتهائه ، وكانت هناك مدينة خربها العثماني لاذايتها بالحجاج ، فهرب أهلها للجبال ، ولما عادت العساكر عادوا ، وكان ذلك دابهم الى أن ولى كبيرهم على تلك البلاد وخلع عليه وجعل له عوائد على حفظ الطريق فاستمروا عليها الى الآن ومنها الى قرية « الاسكندرية » (2) على ساحل البحر الشامي على ثمان ساعات لقرية يقال لها « بيلان » واهل تلك الارض لا تنالهم الاحكام ياخذون من الحجاج بوجه الطلب لكنه بالغلب ومنها اثنى عشر ساعة لمدينة « انطاكية » (3) العظمى المشهورة كانت فى القديم من اعظم الحواضر وبها كراسي الروم واليونان والفرس لكنها خربت ووقع لها ما وقع لبغداد ، وفسطاط مصر ، وقرطاجنة، ومراكش ، وتخللها الخراب والفرس ، ولها سور عظيم ليس مثله فى مدن المعمور ، فى جوفه الف بيت لنزول العسكر لئلا يزاحمون العامة فى المدينة،

---

1) الفيضانات

2) مدينة تركية على البحر المتوسط كانت ثغرا لحلب وهي اليوم بيد الاتراك وتطالب بها سورية ومساحتها 5465 م والاسكندرونة هي الاسم القديم لايالة هاتاي .

3) تقع انطاكية على نهر العاص عند سفح جبل ديلبيوس انشأها سلدقوس الاول ح 300 ق.م تقع على ملتقى الطرق الممتدة من الفرات الى البحر المتوسط ، ومن البقاع الى آسيا الصغرى . سقطت فى قبضة الفرس 538 م وفتحها المسلمون 637 م وخضعت للامبراطورية البيزنطية 969 - 1085 وللسلاجقة الاتراك 1085 - 1098 وهي السنة التي استولى عليها الصليبيون واستولى عليها المماليك المصريون 1268 والعثمانيون 1516 وانتقلت الى سورية 1920 لكنها اعطيت لتركية ضمن سنجق الاسكندرونة 1939 بها آثار قديمة وهامة .

بناه على هذا الشكل كسرى انو شروان (1) لما غلب الروم على ملكهم بها ، وهدم سورها وبناه على هذا الشكل فى خبر طويل نقوم بذكره فى هذا الكتاب، وفى الترجمان (2) ، وبها الان خمسة عشر مسجدا للخطبة وحماماتها افضل حمامات الدنيا ، وهي على نهر العاصي الآتي من الشام ، وكلها مرصفة السكك والاسواق ، ولم يبق من بهجتها الا ما يدل على ضخامتها ، وتوالت عليها الدول والنكبات والغلاء والوباء الى أن دثرت محاسنها

وقد حدثني احد فقهائها عن حالها فى القديم ، ودخلت بها حماما فحدثني قيمه الذي كيسني انه كان معه بهذا الحمام ستون كياسا ، فماتوا بهذا الوباء ، ولم يبق معه الا نحو العشرة ، وقد وجدنا بقيته بها ، وبها قبر الرجل الصالح حبيب النجار فقد قيل بنبؤته فتوجهنا لزيارته بداخل المدينة، فلما دخلنا ضريحه نزلنا له بمدارج ستة ، وجدنا به قبرين اخبرني قيمه ان احدهما له ، والثاني لشمعون الصفا ، صاحب عيسى عليه السلام ، احد الحواريين (3) ، قتلهما اهل انطاكية لما جاءهم مرسل شمعون من عند عيسى قتلوه ثم جاءهم حبيب من اقصى المدينة يسعى فقتلوه ورموهما فى بئر فدفنا به ، واقمنا بها ، ومنها احد عشر ساعة لمحل يقال له الزنبن على وادي العاصي بين مداشر وقرى وبساتين ، ومنه ست ساعات لبلدة يقال لها « جسر الشعر » مؤسسة على وادي العاصي ايضا ، بها اربع خطب ، ومنها عشر ساعات « لقلعة المضيق » على وادي العاصي ايضا ، وأهلها ذوو شدة ومنعة ، وهي التي فتحها دامس ابو الهول البطل المشهور فى كتب السير ، ومنها عشر ساعات لمدينة « حماة » (4) ، وهي مدينة عظيمة بها خمس وعشرون مسجدا للخطبة ونهر العاصي يشقها ، وعليه دواليب كثيرة لاستخراج المياه ، وهي التي قال فيها ابو الحسن الغرناطي :

---

1) كسرى انوشروان او كسرى الاول هو اعظم ملوك فارس الساسانيين حكم من 531 الى 579 م وهي السنة التي توفي فيها بسط حكمه على بكشر « بلغ » وشبه جزيرة العرب واجزاء منارمينيا والقوقاز ، حارب الاباطرة البيزنطيين ، اعيد فى عهده تنظيم الادارة الى اربع مرزبانيات ، وفرضت الضرائب الثابتة على الارض ، وادخلت تحسينات على وسائل الري وطرق المواصلات والجيش ، وروج التجارة ، وشجع التعليم وبنى المدن .

2) يعني كتابه : الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب

3) الحواريون لفظة حبشية معناها الرسل ، دخلت العربية بدخول الحبشة الى اليمن وقد تلقاها عرب الحجاز عن اهل نجران مدينة الحارث وكعبة ذي نواس المزعومة .

4) حماة القديمة مدينة شمال سورية على بعد 203 كم من دمشق استولى عليها الاسكندر (300 ق.م) فتحها المسلمون بقيادة ابى عبيدة « 639 » والصليبيون فى القرن 12 واستعادها صلاح الدين « 1178 » تشتهر بنواعيرها ومروجها ، من آثارها الجامع الكبير، وجامع ابن الفداء ، وجامع نور الدين ، وقصر العظم ، يقع فى ضواحيها قصر ابن وردان وقلعة شيزر ، ودير الصلب ، وقلعة مصياف وهي اليوم مركز تجاري تشتهر منطقتها بزراعة الحبوب .

حمى الله من شطى حماة مناظرا ... وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
يلومونني ان اعصى الصون والنها ... بها واطيع الكأس واللهو والقصفا
اذا كان فيها النهر عاص فكيف لا ... احاكيه عصيانا واشربها صرفا
واشذوا الى تلك النواعير شدوها ... واغلبها رقصا واشبهها عرفا
تئن وتدري دمعها فكانما ... تهيم بمرآها وتسألها العطفا

وفى حماة موريا قوله :

يا سادة سكنوا حماة وحقكم ... ما حلت عن ثقة وعن اخلاص
والطرف بعدكم اذا ذكر اللقا ... يجري المدامع طائعا كالعاصي

وبحماة قبر بشر الجافي وزاوية الشيخ عبد القادر الجيلاني وبها ضريح الشيخ عبد الرزاق من ذريته وليس بولده لصلبه ، وانما فى المائة الحادية عشر ، واولاد الشيخ بها قائمون بامر زاويتهم واول من نزلها منهم شرف الدين يحيى ، عام اربع وثلاثين وسبعمائة ، واقمنا بها ، ومنها عبرنا **نهر العاصي** على جسره ، وعن يساره كدية (1) من ورائها قرية بها ضريح ابي يزيد البسطامي طيفور ، اسمها **رستق** .

تاريخ بلاد الشام :

وعلى ست ساعات اشرفنا على مدينة « **حمص** » (2) المشهورة التي بين حماة ودمشق (3) ، قيل ان الذي بناها الهرمز بن عمليق وبها كثير من

---

1) الكدية والكداة والكداية ما جمع من التراب والحبوب . والمؤلف هنا يقصد الربوة .

2) مدينة سورية اسمها القديم « اميسا » تقع فى الغرب على نهر العاص حدثت فيها قديما معركة قادش التى انتصر فيها رمسيس 2 على الحبشيين ، وعندها هزم اورليان الملكة زنوبيا 272 فتحها المسلمون 638 م . خربت اسوارها (745م) ايام الثورة ضد مروان الاموي 2 استولى عليها ابراهيم باشا المصري (1832) احتلها البريطانيون فى الحرب العالمية الاولى فى اكتوبر «1918» يقع بظهرها قبر خالد بن الوليد .

3) دمشق اسمها القديم « دمسكو » عاصمة جمهورية سورية تقع بالجنوب على نهر بردى. استولى عليها الاشوريون والفرس وغزاها الاسكندر الاكبر ، (332) ق.م وضمتها مملكة السلوقيين ، وكانت عاصمة لديمتريوس 3 وانطيخوس 12 حيث عرفت باسم ديمترياس، ضمها يومي الى الامبراطورية الرومانية 64 ق.م . استولى عليها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد وابى عبيدة بعد معركة اليرموك 635 . حكمها الامويون « 661 – 750 » اسقطها هولاكو المغولي 1260 م حاصرها تيمورلنك ونهبها جنوده 1400 م خضعت للحكم العثماني 1516 – 1918 حين احتلها الانجليز ثم خضعت للانتداب الفرنسي 1920 – 1951 اصبحت عاصمة الجمهورية السورية 1943
بها قبور معاوية بن ابى سفيان ، وصلاح الدين الايوبي ونور الدين محمود بن زنكي والظاهر بيبرس ومحي الدين بن عربي وعدد من العلماء والسلاطين .

الصحابة رضي الله عنهم كخالد بن الوليد (1) وقبر عبد الله (2) بن عمر ابن الخطاب على ما يزعمه اهل حمص ، والصحيح انه توفي بمكة ودفن بفخ ، وقيل بدي طوى ، وقبر كعب الاحبار ، ثم قبر جعفر الطيار ، وقيل بها قبر عمر بن عبد العزيز (3) رضي الله عنه ، وسعد بن ابي وقاص (4) ، وابو موسى الاشعري ، وثوبان ، ووحشي وسعيد بن زيد ، ودحية الكلبي (5) وعبد الله بن مسعود (6) ثم ابو الهول دامس ابطل المشهور وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعمر بن معدي كرب الزبيدي ، وغيرهم من الصحابة رضي الله

---

1) خالد بن الوليد «ض» من اشهر قادة الاسلام والمسلمين واحسنهم بلاء فى الاسلام ،بعدما حارب المسلمين فى احد 625 م وفد على الرسول ص مع عثمان بن طلحه وعمرو بن العاص بعد الحديبيه فى المدينه واسلموا ، ومن لم اخذ الرسول يوليه اعنه الخيل ، بعد استشهاد زيد بن حارثة تولى قيادة معركة مؤتة التي استشهد فيها جعفر بن ابى طالب وعبد الله بن رواحه ، ولما عاد الى المدينه سماه الرسول (ص) سيف الله قام بهدم صنم العزى ببطن نخله ، بعثه الرسول الى اكيدر بن عبد الملك فى دوحه الجندل فاسره خالد واتى به الى الرسول فاسلم كان الى جانب ابى بكر فى التمكين لدين الله حيث وجهه لقتال طليحه ابن خويلد فهزمه فى بزاخه ، ثم قاتل بني تميم واسر مالك بن نويره وقتله ، حارب مسيلمة الكذاب وقتله فى عقرباء 633م وفي 634 خلف على العراق المثنى ابن حارثة الشيباني وسار بامر الخليفه الى الشام فاخترق بادية السماوه فى اقل من 5 اسابيع واحتل بصرى وفحل 635 م كما استولى على دمشق بعد حصار دام 6 اشهر انتصر على البيزنطيين فى معركة اليرموك 636م وفي هذه الاثناء توفي ابو بكر ثم خلفه الفاروق عمر بن الخطاب الذي ولى ابا عبيدة بن الجراح القيادة مكان خالد لاسباب تتصل بادارة البلاد المفتوحه وتوفى خالد في حمص سنة 641 م .

2) ابر ابناء عمر بن الخطاب ض شقيق حفصة ام المومنين ولد بمكة 621 اشترك فى معظم الغزوات الا بدرا واحد لصغر سنه عاون الخلفاء الراشدين الاربعة فى السلم والحرب واثار الحياد عرف بالصلاح والزهد والتقوى وسعة الالمام باخبار النبي ص والصحابة عمر طويلا فلجأ اليه التابعون يروون عنه ، اكثر الصحابة رواية عن النبي ص جيد الحفظ دقيق الفهم توفي 692

3) عمر بن عبد العزيز بن مروان ولي بعهد من سليمان بن عبد الملك ولد 682 م وتوفي 719م لم ياخذ من بيت المال شيئا ، وابطل سب علي بن ابى طالب عليه السلام من على المنابر اشتهر بتقواه وتسامحه .

4) سعد بن ابي وقاص قائد عربي محنك ولد 595 فتح فارس بعد معركة القادسية (635م) ومعركة جلو (فى 637 م) اختط مدينة الكوفة 638 م ثم اقام وليا عليها 3 سنين ونصف لم يبايع امير المومنين علي عليه السلام ، وامتنع عن مبايعة معاوية ، مات بالعقيق ودفن بالمدينة 675 م .

5) دحية بن خليفة الكلبي توفى حوالى 670 م صحابي كان تاجرا غنيا تراس قليلا من الكتائب فى معركة اليرموك اشترك فى فتوح الشام

6) عبد الله بن مسعود من اوائل المسلمين وكبار الصحابة ، هاجر الى الحبشة ، ثم الى المدينة ، وسكن على مقربة من المسجد . شهد الغزوات كلها ، ووقف الى جانب ابى بكر فى حروب الردة ، ارسله عمر الى الكوفة ليشرف على بيت المال ويعلم الناس احكام الدين يعد من أول المحدثين والمفسرين والفقهاء . يتحرى فى الاداء ، ويشدد فى الرواية والضبط ، كتب بيده مصحفا يسمى « مصحف بن مسعود » وفي مسند احمد مجموعة رواياته .

عنهم ، وبقربها ((**معرة النعمان**)) التي منها ابو العلاء المعري وبها قبر امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، ومنها الى قرية ((**النبق**)) عشر ساعات ، ومنها الى ضيعة « الحسية » عشر ساعات ، وبها خان كبير ينزله المسافرون والحجاج ، ومنها عشر ساعات الى قرية ((**القطيفة**)) .

دمشق وما بها من المبانى والبساتين :

ومنها ثمان ساعات لمدينة **دمشق** حرسها الله ، وبها ما لا يوصف من الحضارة والمباني العظيمة ، والبساتين المنمقة الى ما لا غاية له ، ؟ وفيها يقول شرف الدين ابي عنيق :

دمشق بنا شوق اليك مبرح	وان لج واش او الح عدول
بلاد بها الحصباء در وتربها	عبير وانفاس الشمال شمول
تسلسل منها ماؤها وهو مطلق	وصح نسيم الروض وهو عليل

وقال فيها عرقلة :

اما دمشق فجنة معجلة	للطالبين بها الولدان والحور
ما صاح فيها على اوتارها قمر	الا وغناه قمري وشحرور
يا حبذا وذروع الماء تنسجها	انامل الريح الا انها زور

وبها قبر نبي الله يحيى بن زكرياء عليه السلام وبطريقه قبر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن مرداس السلمي ، وضريحه داخل مسجد الوادي بجانب المسجد الاموي ، واما جسده فهو بقرية يقال لها ((**الزبدان**)) بينهما وبين دمشق ثمان ساعات ؛ وهناك المصحف العثماني تبركنا به فى مقصورة مسجد دمشق ، وقف معنا القيم عليه ورايناه ، ولا زال دمه على قوله تعالى « ولكن كانوا انفسهم يظلمون » من قوله تعالى : « كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون »

« **وبالصالحية** » قبر الامام محيي الدين ابن العربي (1) الحاتمي الاندلسي، وبالمسجد محل يقال انه متعبد هود عليه السلام مكتوب عليه « **هذا مقام هود النبي عليه السلام** » وبها قبر بلال بن رباح الحبشي ومعه فى قبته محمد بن عقيل « **وبالجبانة** » قبر أسماء بنت ابي بكر ، وقبر عبد الله بن جعفر ، وقد تقدم بحمص وسكينة بنت الحسين ، وزينب بنت علي ، وفاطمة بنت الحسين وعبد الله بن زين العابدين ، وام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وام سلمة ، وميمونة ، وقبر معاوية وابو الدرداء ، وابي بن كعب ، وحسان بن ثابت ، وصهيب بن سنان الرومي ، وعبد الرحمن ابن ابي بكر « والصالحية » مقام الابدال الاربعين ، يصعد لهم بمدارج فى الجبل ، وهو بيت فيه اربعون محرابا ومحرابا فى وسطهم ، يقال انه للخضر عليه السلام ، وهناك مغارة الدم التي قتل بها قابيل هابيل (2)

وفى اسفل هذا الجبل فوق المقبرة قبر نبي الله ذو الكفل ، ومحمد بن مالك النحوي صاحب الالفية ، والربوة بين البساتين وباب الفراديس ، بداخله مسجد فيه راس الحسين يقال له مسجد الراس ، وبدمشق من المساجد للخطب ومن الحمامات ستون .

وأما مدن سواحل الشام فأولها مدينة « العريش » ، « والرملة » ، وغزة ، ويافا ، وعكة ، وصيدا ، وبيروت ، وحيفا ، وطرابلس ، وجبلة ، واللاذقية ، واسكندرية ، ثم وسط الشام دمشق المحروسة ، ثم ايلة ، ثم بيت

---

(1) ابن عربي هو ابو بكر محمد بن علي ولد بمرسية من بلاد الاندلس 1165 م درس باشبيلية صوفي معروف بمذهبه فى وحدة الوجود ارتحل الى المشرق ثم زار مصر والحجاز وبما بين النهرين وآسيا الصغرى والشام واقام بدمشق وتوفي بها 1240 م . كان في العبادات والمعاملات ظاهريا وفي العقائد باطنيا تبلغ مصنفاته (200) ذكر منها بروكلمان اكثر من (150) اهمها « الفتوحات المكية » و ـ نصوص الحكم ـ وفيها يعبر عن مذهبه الصوفي فى وحدة الوجود ووحدة الاديان ، والحقيقة المحمدية ، تعبيرا يمتزج فيه النظر الفلسفي بالذوق الصوفي وديوانه « ترجمان الاشواق » اثار عليه الفقهاء فنسبوه الى الزيغ والضلال ، والهموه باستعمال الرمز سترا لما ينافي الدين والخلق فى حبه فوضع لديوانه شرحا سماه « الذخائر والاعلاق فى شرح ترجمان الاشواق » الهمه بن تيمية (1327) انه يشيع المذاهب المضللة فى الاتحاد والحلول ووحدة الوجود كما اتهمه ابن خلدون (1405) وبن حجر العسقلاني «1448» وابراهيم البقاعي ـ 1454 ـ وبراه مجد الدين الفيروزابادي وفخر الدين الرازي وجلال الدين السيوطي وصلاح الدين الصفدي. ويتركز مذهب بن عربي فى قوله « سبحان من خلق الاشياء وهو عينها » فالوجود كله واحد ، ووجود المخلوقات عين وجود الخالق ، ووجود الله هو الوجود الحقيقي ووجود العالم هو الوجود الوهمي وترجع التفرقة والكثرة الى ان الحس الظاهر والعقل القاصر لايستطيعان ادراك وحدة الوجود الحقيقي والحقيقة المحمدية ويسميها بالقطب تارة وبروح الخاتم تارة الخ

(2) راجع سورة المائدة : 27 ـ 31

المقدس ، ثم مدينة الخليل ، وتيما ، واليرموك ، والاردن ، والسابر ، والطحاء، وبعلبك ، والقوطة ، وقيسارية ، وطبرية ، وبيسان ، وفلسطين ، ونابلس ، وكفر طاب ، والبلقا ، وصور ، وعرقا ، وحصن الخوابي ، وحلب وتدمير ، وسروج ، وقلع الاسماعلية التي يسمونها الفداوية ، والذي اسس مدينة دمشق هو جيرون بن سعد ، وسماها باسمه ، ولما ملكها دامشق بن النمرود ابن كنعان بن حام عدو ابراهيم عليه السلام ، شيدها مدينة عظيمة ، وكان له بها ملك لانه آمن بابراهيم وهاجر معه الى الشام ، ولما شيدها سماها باسمه ، ولما غلب الاسكندر اليوناني على الشام جددها وبنى سورها ، وكانت بها الكنيسة العظمى التي صيرها الوليد مسجدا عظيما وهو الباقي الى الآن .

واما انطاكية فأول من اسسها عيصور ابن اسحاق عليه السلام ، وكانت لاولاده الى ان غلب الاسكندر وملكها اليونان ، وكان لهم بها ملك الى ان غلبهم الروم وملوكها ، ولما غلبهم عليها كسرى انو شروان هدمها وبنى سورها البناء الضخم الذي بها الآن

واما حلب فمن بناء العمالقة ، ولما سكنها ابراهيم عليه السلام كانت له غنم يحلبها الفقراء فيقولون حلب ابراهيم ، فسميت بذلك وفيها يقول الخالدي :

وخرقاء قد تاهت على من يرومها ... بمرقبها العالي وجانبها الصعب
يجر عليها الجو سحب غمامه ... ويلبسها عقد بانجمها الشهب
اذا ما سرى بدر بدت من خلاله ... كما لاحت العذراء من خلل الحجب

وفيها يقول جمال الدين ابن ابي المنصور :

كادت لبون سموها وعلوها ... تستوقف الفلك المحيط الدائرا ؟
وردت قواطنها المسجرة منها ... ورمت سوابقها النجوم زواهرا

الجزيرة :

وبعد الشام ارض الجزيرة وباقليمها الخابور ، رصفين ، ونصيبين ، وحران ، وديار بكر ، وميافارقين ، وهي دار مملكة قاض الدولة احمد بن مروان الكردي ، سلطان الجزيرة ، وكان رجلا مسعودا عالي الهمة ، حسن السيرة ، صاحب سياسة وحزم ، قضى وطرا من اللذات ، وبلغ الغاية

القصوى من السعادات ، ما صادر احد من عماله قط الا رجلا واحدا ، ولم يترك صلاة الصبح فى الجماعة منذ ادرك مع انهماكه فى لذاته ، قسم يومه على اربع ، ربع لمباشرة العلم ، وربع لمباشرة دعاوي الشكايات ، وربع لاكله وراحته ، وربع لتدبير الملك والرعية ، وليله لثلاث : ثلث للعبادة ، وثلث لعياله ، وثلث لنومه ، وكان له ثلاثمائة وستون جارية ، كل ليلة يخلو بواحدة والرحبة ، والرما ، والموصل .

العراق :

واما اقليم العراق فعينه **بغداد** ، وواسط ، والكوفة ، والبصـــرة ، وجلولاء ، والمدائن ، وكوش ، وهي من قرى الانباط ، وبها سجن ابراهيم(1) عليه السلام ، لما ارادوا احراقه ، وبها الحصيرة التي بنيت له وهي المراد بقوله تعالى : « قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم » قاله ابو السعود ، وحلوان ، والانبار ، والهاشمية ، ونينوى والنهروان ، وتكريت ، وشهر زور ، ومراغة ، ونهاوند ، وادربيجان ، وروان ، وتبريز ، والبيقان ، والاهواز ، وعبادان ، والابلة ، والحيرة ، والقادسية .

مدفن سيدنا على كرم الله وجهه :

ومشهد الامام علي رضي الله عنه ، وعليه مدينة عظيمة حسنة عامرة الاسواق ، واهلها كلهم روافض ، يزعمون ان قبره بها ، وتربته عليهـا قبـة عظيمة مفروشة بانواع البسط ، وستور من ديبقاج ، وقناديل ذهب لايقاد الشمع ، وخزائن معمورة بما ياتي من جميع النذور من كل بلد ، واهلها كلهم تجار كرام اهل شجاعة واقدام ، وجلهم اشراف ، وليس بها وال ولا حاكم الا نقيب الاشراف ، يتصرف فيها ، وفى خزائنها ، وما يهدى للتربة كله بيده ، ولها بركة عظيمة ، ويزعمون ان قبره بذلك المشهد ، والذي عليه الاكثر انه دفن بمسجد الكوفة وربك أعلم

---

1) هو نبي الله ابراهيم رأس سلالة العرب والعبرانيين ، قدم ابنه استجابة لله عاش بعد نوح بثمانية اجيال عارض ثمود ثم هاجم الاصنام المعبودة التي كان يصنعها والده . رحل بابنـه اسماعيـل وزوجتـه هاجر الى مكـة حيث بنى الكعبـة .

خصائص هذا المشهد ؟ ؟ :

ويؤيد كونه بذلك المشهد ما تواتر من كراماته ، وما شاع منها بتلك البلاد ، وانهم يجعلون بمشهده ليلة المحيا ، وهي ليلة سابع وعشرين من رجب ، يقصدها الناس من جميع الافاق بمرضاهم من العراق ، وبلاد فارس وخراسان وبلاد الروم ، ويجتمع بالمشهد كل مقعد وصاحب عاهة ، ويحملونهم بعد العشاء فوق الضريح ويجلس الناس للصلاة والقراءة والدعاء والتضرع ، فاذا كان نصف الليل يقوم المقعد ويبصر الاعمى ويستريح المريض ويبرأ صاحب العاهة وهذا أمر مستفيض فى العراق سمعناه من الثقات ، ومن لم يحضر ليلة المحيا يبقى الى العام القابل ويرجع ، وبين هذا المشهد وقصر الخورنق الذي كان للملوك الحيرة مرحلة ، وبينه وبين واسط مرحلة ، واسفل منه مدينة الحلة ، وبينها وبين بغداد قرية يقال لها بوص ، بها كان مولد ابراهيم عليه السلام

أصحاب الرفاعى لهم أحوال كأصحاب بنعيسى بالمغـرب :

وتحت واسط على مرحلة مشهد الشيخ احمد الرفاعي رضي الله عنه بقرية يقال لها أم عبيدة ، يكون به جمع خدامه على الذكر ، واذا اتى لزيارته احد من اولاده يؤججون نارا ويدخلون لها وبعضهم ياكلون الافاعي كعادة طائفة عيساوة بمغربنا

قال ابن خلكان الشيخ احمد بن الحسن الرفاعي (1) كان فقيها شافعيا ينسب الى رفاعة بكسر الراء ، انضم اليه خلق واحسنوا الاعتقاد فيه ، وصاروا طائفة ، واصله من العرب ، وقال القاضي حسن بن باديس فى شرحه الانسية « لشرح قصيدته السنية » المسمات النفهات ، انه منسوب لجده رفاعة ، وهو من اولاد جعفر الصادق ، شريف حسني ، وابو علي بن باديس هذا ، نقل عنه ابن خلدون كان قاضيا بقسنطينة ، وكان بصيرا بما يقول ، وتوفي الرفاعي بقرية أم عبيدة بفتح العين وكسر الباء ، ولعل ابن خلكان لم يحفظ نسبه الخاص وابن بادس حفظه فيقدم من حفظ ، انتهى .

---

1) كذا فى الاصل بن الحسن والواقع انه احمد بن علي نشأ فى البصرة 1106 – 1183 حيث اسس الطريقة الرفاعية التي كانت فى تنافس مع الطريقة الجيلانية .

ولما خرجنا من الشام نزلنا على قرية يقال لها **ذو النون** ، على ست ساعات ، ومنها لقريتين يقال لهما «**الصنمين**»ومنها عشر ساعات«**للمريزب**» وبه اقامتنا،ومنها عشر ساعات **للمفرق**،ومنه اثنتى عشرة ساعة لواد يقال له **الزرقا** ، ومنه خمس ساعات **لخان الزبيب** ، ومنه سبع عشرة ساعة **للبلقا** وهي قلعة ، ومنها ثمان عشرة ساعة لقلعة **قطرانة** ، وبها يترك الناس اثقالهم الى الرجوع ، فيها بركة عظيمة للماء ، وعمارتها العسكر يحرسونها ، ومنها فى البوغازين جبال مخيفة ، خمس ساعات ، ومنها **لعترة** بركة اخرى فى بلاد عنزة ، ومنها سبع ساعات الى **عيون معان عند قريتين** ، وبهما المقام ، ومنها ثمان عشرة ساعة **للعقبة** لا ماء بها ، ومنها اثنتى عشرة ساعة فى رمل الحجاز الى **المدورة** وهي قلعة بها ماء قريب تحت الارض ، ومنها الى **قلعة حج** اثنتى عشرة ساعة ، بها بركتين ، وماؤها قبيح ، ومنها لقلعة **تبوك** على عشر ساعات ، وبها خمس برك ، وليس بعدها ماء ثلاث مراحل ، ومنها فى **البوغاز الوعر** خمس ساعات ، وبعدها عشرساعات للدار ، ومنها **للحمراء** على ست عشرة ساعة

مدائن صالح بها البيوت المنحوتة

ومنها ثلاثة وعشرون ساعة **لمدائن صالح** ، وبها آبار وأنهار ، وكل بيوتهم كانت منحوتة فى الجبل ، ومنها **لستل المطران** مسامت لابار الغنم على احد وعشرين ساعة ، ومنه **للبير الجديد** على أحد وعشرين ساعة ، ومنه **لقرية هدية** عشرون ساعة ، وماؤها تحت الارض قريب ، منها لمحل يقال له **العجانين** اثنا عشرة ساعة ، ومنها **لابار ناصف** خمسة عشرة ساعة

ما بالمدينة المنورة من الصحابة وازواج النبى وذريته والشهداء رضى الله عن جميعهم

ومنها الى **المدينة المنورة على الحال بها أفضل الصلاة والسلام** ست عشرة ساعة ، ولما نزلنا بظاهرها اغتسلنا وتطيبنا ولبسنا ثيابا بيضاء ثم توجهنا على اقدامنا الى المدينة ودخلنا مسجده وقصدنا محرابه وصلينا ركعتين ووقفنا على تربته ننظرها من الشباك ، ودعونا الله تعالى وتشفعنا برسوله وصاحبيه ابي بكر وعمر ، وخرجنا البقيع ، فتبركنا بتربة سيدنا

الحسن (1) ، وزين العابدين (2) ، والسيدة فاطمة (3) ، وجعفر الصادق(4) وامهات المومنين ، عائشة (5) ، وحفصة (6) ، وميمونة (7) ، وجويرية، ومحمد الباقر ، كلهم فى قبة واحدة وزرنا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وجميعهن فى قبة واحدة ، وبنات النبي صلى الله عليه وسلم فى قبة واحدة، وتربة سيدنا عثمان فى آخر البقيع ، وتربة حليمة السعدية (8) بجنبه ، ثم بخارج البقيع تربة ابي سعيد الخدري ، وتربة فاطمة بنت أسد ام علي ، ثم عمات النبي فى قبة ، وزرنا تربة الامام مالك بن انس ، ورجعنا للخيام ، ومن الغد فعلنا مثل ذلك ، وفى اليوم الثالث مثل ذلك ، وزرنا تربة مولانا

---

1) هو ابن بنت رسول الله (ص) فاطمة الزهراء والخليفة علي عليه السلام ولد حوالي 624م وتوفى 669 م بايعه اهل العراق بالخلافة بعد مقتل الامام علي ، لكنه أكره على التنازل.. عاش بقية حياته بالمدينة ، وقيل انه مات مسموما ، ويعزو المؤرخون موته الى جعدة زوجته ، وذلك بايعاز من يزيد بن معاوية

2) زين العابدين هو ابو الحسن علي بن الحسين بن على عليهم السلام ، ولد وتوفي 658 – 712 بالمدينة ، رابع الايمة الاثني عشر عند الامامية

3) هي مولاتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) من زوجته خديجة ام المومنين ولدت بمكة قبل الهجرة بأربع عشرة سنة ، كانت ضعيفة البنية ، وزادها ضعفا موت أمها وهي صغيرة ، تزوجت الامام علي عليه السلام ، وانجبت منه الحسن والحسين عليهما السلام ثم زينب رضي الله عنها ، اشتركت مع رسول الله (ص) فى فتح مكة وحجة الوداع، وحضرت تشييعه ودفنه ، اختلفت مع ابى بكر على ميراث الرسول توفيت بعد وفاة الرسول بستة اشهر وذلك سنة (11 هـ) راجع الامامة والسياسة لابن قتيبة – وشرح الشفا للقاضي عياض

4) جعفر الصادق هو : ابو عبد الله ولد وتوفى (699 – 765) سادس ائمة الامامية ولد بالمدينة وعاش زمنا طويلا بالعراق ، عاصر حكم الامويين والعباسيين ، فسلمه الله من اضطهادهما . كان عالما حكيما زاهدا متبحرا فى علوم الدين مما اثر عنه ان الاصل فى الاشياء الاباحة حتى يرد فيها نهي وانه يجوز نقل الحديث بالمعنى قيل انه كان استاذا لجابر ابن حيان ،وانه كان ذا الـمام بالكيمياء والتنجيم

5) هي أم المومنين توفيت حوالى 678 م بنت ابى بكر تزوجها النبي (ص) وهي صغيرة وتوفي فى بيتها ولما تجاوز العشرين انزل الله قوله فى براءتها حين شاع حديث الافك بعد غزوة بنى المصطلق ، كانت اديبة شاعرة لها نشاط ديني وسياسي ، شاركت فى الفتيا وروي عنها نحو 1200 حديث ، بايعت عثمان واشتركت فى نقده ، وطالبت بدمه كرمها الامام علي عليه السلام فى وقعة الجمل توفيت بالمدينة ودفنت فى البقيع

6) حفصة هي بنت عمر بن الخطاب (ض) وزوج النبي «ص» ولدت 607 م تزوجها رسول الله فى المدينة بعد غزوة أحد وسنها عشرون سنة ، نقية ورعة كثيرة الصوم والصلاة، لم يعرف لها نشاط سياسي ، اختيرت لحفظ الصحف التي كتب فيها القرآن الكريم فى عهد ابى بكر (ض) ثم سلمتها لعثمان بن عفان ض فنسخت منها المصاحف التي وزعت على الامصار توفيت ايام حكم مروان بن الحكم 665 م

7) ميمونة هي بنت الحارث الهلالية توفيت 671 م آخر من تزوجها رسول الله (ص) وآخر من مات من زوجاته (ص) كان اسمها برة فسماها ص ميمونة بايعت بمكة وكانت زوجة لابى رهم العامري . فلما مات عنها تزوجها رسول الله (ص) روت 76 حديثا وعاشت 80 عاما

8) هي مرضع النبي (ص) فكان ذلك سبب سعدها وهي من بني سعد بن بكر .

ابراهيم ابن النبي ، وتربة عمه حمزة (1) بالجبل ، وبقية العشرة على قول بعض المزورين ، لكنه غير صحيح ثم خرجنا من المدينة بعد ثلاث ، ونزلنا على ساعتين بمحل يقال له ((**بيار على**)) وهو ميقات ذي « الحليفة » فسقى الناس الماء واغتسلوا واحرموا ، وسرنا الى قبور الشهداء على ستة عشر ساعة من المدينة ، ومنها الى **الحديدة** على خمسة عشر ساعة ، وبها عين جارية وهي افضل مياه الحجاز ، ومنها مررنا على **الصفراء** ذات نخيل وقرى وعلى ((**حنين**)) كذلك ، وبلغنا بدرا على خمس عشرة ساعة ، ونزل المصري معنا ، ومنه الى **القاع** خمس عشرة ساعة ، ومنه الى **رابغ** خمس عشرة ساعة ، ومنهأحرمت مفردا ، ومنه الى **قديد** ، اثنتى عشرة ساعة ، ومنه **لخليص** اثنتى عشرة ساعة ، ومنه الى سبيل **الخوخة** على ثلاث عشرة ساعة ، ومنه **لظاهر مكة المشرفة** فاغتسلت وقصدت البيت للطواف

طول المسجد الحرام وعرضه :

ودخلنا على باب السلام وطول هذا المسجد اربعة واربعون قوسا وعرضه ثمانية وعشرون قوسا ، وكل قوس عرضه ثمانية عشر قدما ، وهو على اعمدة الرخام ، فيكون فيه طولا سبعمائة قدم ، وعرضه اربعمائة وستة وسبعون قدما

ملاقاة المؤلف مع الوزير يوسف باشا

ولما رجعت من عرفة لمنى نزلت بمحل بعيد من الناس فما شعرت الا والقباب تضرب بجنبي ، والخيول والخدام تنزل ، فسألت عن ذلك فقيل لي: ان هذه قباب الوزير الاعظم يوسف باشا الذي قدم من الاصطنبول واليا بجدة والحجاز ، اتى مع الركب الشامي ليحج ويتوجه لجدة ، وهو الذي كان وزير السلطان عبد الحميد ايام سفارتي للاصطنبول ، وكان لي معه خلة ومصافاة ، فقلت لا بد لي من السلام عليه ، فتربصت الى ان فرغوا من ضرب المباني واستقروا باماكنهم ، واخبرت ان الرجل جلس بوثاق جلوسه مع كاتبه وخاصته ، وتقدمت للسلام عليه ، فلما واجهته وقصدته ورآني قام من مجلسه وصافحني واجلسني بجانبه ، ونادى ترجمانه فحضر ، وهو الى الآن لم يعرفني

---

1) حمزة عم رسول الله (ص) واخوه فى الرضاع ولد معه فى يوم واحد اسلم فى السنوات الاولى للبعثة ، وكان من اوائل المهاجرين الى المدينة ، ابلى فى غزوة بدر بلاء حسنا حتى سمي اسد الله اشترك فى حصار بني قينقاع بالمدينة ، استشهد بعد نضال منيف وسنه 56 سنة توفي 624 م

ولما فرغ من السلام قال له : من اي بلاد هو الشيخ ؟ فقلت لـه كانك نسيتني ، ابو القاسم الزياني ، فقال : هو والله ؟! وقام قائما وقبض يدي وأقامني وعانقني ، وهطلت عيناه بالدموع وخرس لسانه عن الكلام فأبكاني وبكيت معه الى ان شفا غليله ، واشار للقوم فخرجوا ، ولم يبـق غيـر الترجمان فجلسنا وقال ابن السلطان عبد الحميد ؟ واين السلطان مولاي محمد ؟ تركونا ايتاما ، والله لبطن الارض احب الي من ظهرها ، فقد ظهـرت اشارات الساعة ببلادنا ، ولم يبق الا طلوع الشمس من مغربنا ، واخبرنـي بما عليه الدولة العثمانية ، وما صار اليه حالها بعد السلطان عبد الحميد وبيعة ابن اخيه السلطان سليم (1) ، فقد ذهب من كنت تعرفه فى المناصب من اهل المروءة والدين ، وتصدر بها الاحداث والسفهاء من المماليـك والاعلاج واطراف الناس ، ولقد اخترت تعب النفس عن تعب القلـب ، وطلبت اداء الفريضة ، فلما فهم السلطان سليم عنى كراهية المقام بالدولة ، اجابني لغرضي ، واكمل غرضه بولايتي جدة والحجاز وحرب الشقي الوهبي حتى لا اعود للاصطنبول ، فهان علي كلما تركته وما شيدته وما غرسته مع البعد والراحة

اخبرني كيف حالكم بعد موت مولاي محمد وبيعة اليزيد ، فقلت لا تسألني عن حالنا وما لقينا بعد موت والدنا رحمه الله ، وحاصله : مرضنا حتى قطعنا اليأس من الحياة ، وادركت عناية الله المسلمين بولاية ولده مولاي سليمان ، فانه من أهل الدين والعدل والعفاف ، واخوه الثاني بمراكش ، لكنه لا يتم امره ، واهل ذلك القطر كلهم متشوفون له ، ولابد ان تجتمع كلمة أهل المغرب للسلطان سليمان ، لعلمه ودينه ، فقال ليت لنا مثله، وهنيئا للمسلمين بولايته ، اثمر الله غرسه ، وحضرت سفرة غذائه فأكلنا ، ولما اردت القيام قال : يا حبيبي سألتك بحقيعليك ان لا تنقطععني ، فقلت : هذا مضربيبجنبك فقام معي الى باب الوثاق حتى راى محلي ورجع ، وفى الليل ناداني بنفسه فسمرت معه الى آخر الليل انتهى

---

1) هو سليم الثالث ابن اخى عبد الحميد وخلفه من بعده ، ولد وتوفي ما بين 1761 – 1808 وتولى سلطنة تركيا 1789 – 1807 هزم هزائم منكرة فى الحرب الروسية التركية 1787 – 1792 ولكنه لم يفقد اية ممتلكات فى صلح ياسن 1792 كان مصلحا شديد الغيرة ، واخذ يدخل النظم الغربية فى الجيش والاسطول . ويضعف من شوكة الانكشارية التي كانت تعلى وتسفل مثل جيش البخارى فى المغرب . اعلن الحرب ضد فرنسا لاجلاء جنودها عن مصر ووقفت قواته فى وجه نابليون فى عكا 1799 ثم قامت الحرب بينه وبين روسيا 1806 ، ثار عليه الانكشارية وخلعوه واجلسوا مصطفى 4 على العرش . حاولت فرقة موالية لسليم انقاذه واعادته الى السلطة ، ولكن اعداءه خنقوه فى الوقت الذي كانت الفرقة تدخل اسطنبول

مدن الجزيـرة :

اولها ارض الحجاز : فمن مدنه : **ايله** ، ومديد ، والينبوع ، ويثرب ، ومكة ، وجدة ، والطائف ، ونجد وتهامة (1)

واول مدن اليمن من الحجاز مدينة **حلى** بفتح الحاء وكسر الـلام وتخفيفها يسكنها عرب بني كنانة ، ثم مدينة **سرجنة** متوسطة ، بها تجار من اليمن ، ومن اعظم مدنه **زبيد** ، ثم **صنعاء** ، وهي قاعـدة اليمن ودار ملكه في القديم ، ثم مدينة **حيلة** ، ثم مدينة **تعز** (2) وهي مقر ملك اليمن ومن أحسن مدنه ، ثم مدينة **صعدا** دار ملك الزيدية (3) ، ثم مدينة **كلـو** وبيوتهـا كلهـا من الخشب ، وآخر مدن اليمن شرقا ظفار منقطعة عن العمران ويليـها شرقا (4) **عمان** و **حضرموت** ومن أعظم مدن اليمن **عدن** ثم مدينة **غمدان** وهي التي اختط بها سام بن نوح قصر غمدان ، وعلى نصف مرحلة من ظفـار **الاحقاب** مدينة قوم عاد ومنازلهم وبخارجها مسجد يقال ان به قبر هود عليه السلام ، **وقاعدة ارض** عمان مدينة **نزوا** ، واهلها خوارج اباضية « يترضون » عن الشقي ابن ملجم (5) ويقولون له الرجل الصالح قامع الفتنة ، ومن مدنها

---

1) اعتبر المؤلف جزيرة العرب هي الـ 56036000 ك م م الواقعة تحت حكم السعـوديين

2) عند المؤلف « تفـز » والصحيح تعـز بالعين المسكنة ، وهي العاصمة الثانية تقع في سفح المنحدر الشمالي لجبل صبر من اهم المراكز التجارية في جنوب اليمن وتعتمد في تجارتها على ميناء عـدن

3) الزيدية : شيعة تنتسب الى زيد بن الامام امير المومنين علي عليه السلام وهـي مـع الامامية اكبر فرق الشيعـة حتى اليوم والزيدية معتدلة تجاه اهل السنة عملا بتربية الامام زيـد الذي كان تلميذا لواصل بن عطاء ابو حذيفـة الغـزال « 700 ـ 749 م » مؤسس المذهب المعتزلي في العدل والتوحيد وقد راس الزيدية بعـد زيد ابنـه يحيى حيث ظل الاتباع يعملون الى ان نجحوا في بعض البقاع ، كطبرستان واليمن ، واليمنيون جلهم زيدية خصوصا في المناطق الجبلية وللزيدية امـام يختار على أساس استكمالـه لاربعة عشر شرطا هي ان يكون 1 ـ ذكرا ـ 2 ـ حرا ـ 3 ـ بالغا عاقلا ـ 4 افضـل اهل زمانـه ـ 5 سليم الحواس والاطراف ـ 6 لم يمـارس مهنة مرذولـة ـ 7 عـادلا ـ 8 ورعا ـ 9 كريما ـ 10 حسن الدراية بتصريف الامـور 11 علـويا ـ 12 فاطميـا ـ 13 شجاعا ـ 14 مجتهدا ولا تنتقل الامامة بالوراثة وانما هي للاصلـح على اساس الشروط السابـق ذكـرهـا

4) وباليمن ايضا « حديـدة » وهي من اهم مدن تهامة واكبر مرافيء اليمن على البحر الاحمر، بها ميناء حديث شيد 1961 وترتبط بصنعاء وتعز بطرق رئيسية ويسكنها بعض الاجانب، تصدر البـن والجلـود والدخـان

5) ابن ملجم هو عبد الرحمن قاتل الامام علي عليه السلام غدرا توفى سنة 660م كان جاهليـا وهاجر في خلافة عمر ض عاش في مصر بعد فتحها شهد صفين ثم خرج ضمن الذيـن خرجوا ضد قبول التحكيم قيل انه اتفق مع البرك بن عبد الله وعمرو بن ابى بكر على مقتل الامام علي ومعاوية وعمرو بن العاص في ليلة 17 رمضان ولم ينفذ الا ابن ملجـم الـذي قتـل بحكـم التنـزيـل

مدينة **هرمز** على ساحل البحر ، ويقابلها فى البحر جزيرة هرمز (1) الجديدة، وبها **حرون** يسكنها سلطان عمان ، وبها معدن الملح الاندراني فى سباخ بها ، ويجلب لاهلها التمر من عمان والبصرة لا كلهم مع السمك لا غير ، وعندهم مغاصات اللؤلؤ تحت حكم سلطانها ، ثم بعد مدينة هرمز مدينة **جنح بال** على ساحل البحر أيضا ، وسكانها تركمان ، وهم الذين يعمرون تلك المفاوز ، وهم اهل شجاعة وقسوة ، وياتي العرب لقطع الطريق بتلك المفاوز ، وبعدها مدينة **كورستان** بلدة صغيرة ، وبعدها مدينة **لار** ، وهي حسنة كبيرة كثيرة المياه والبساتين ، وبعدها مدينة **قيس** وهي المسماة سيرآن على بحر الهند المتصل ببحر اليمن وبحر فارس ، مدينة عظيمة ذات بساتين ومزارع ، وسكانها عجم ، وبها بعض العرب ، وهم الذين يغوصون فى البحر على اللؤلؤ فيما بينها وبين البحرين ، ثم بعدها مدينة **البحرين** (2) كثيرة المياه ، شديدة الحر ، كثيرة الرمال ، يغلب الرمل فى بعض الاحيان على دورها ، وهي بين جبلين ، كسير وغوير ، وبهما يضرب المثل فيقال كسير وغوير ، وكل غير خير ، وبعدها مدينة القطيف كبيرة حسنة يسكنها العرب ، وكلهم روافض(3) غلاة ، يظهرون الرفض جهارا ولا يتقون احدا ، ويقول مؤذنهم بعد الشهادتين اشهد أن عليا ولي الله ، ثم بعده حي على خير العمل ، ويزيد بعد التكبير الاخير ، محمد وعلي خير البشر ، من خالفهما فقد كفر ، ثم بعد البحرين مدينة **هجر** وتسمى اليوم الحسناء ، وبها من التمر الان محجى ، وهي كثيرة الانهار والاشجار ، يسكنها عرب بني حنيفة وهي بلدهم من قديم الزمان ، فهذه عمائر جزيرة العرب من اليمن الى القادسية ومدائنها وهي باب العرب.

---

1) هرمز هي جزيرة مقابلة لشاطيء ايران الجنوبي في مضيق هرمز بين الخليج الفارسي وخليج عمان كانت اهم مركز تجاري فى المنطقة ابان القرنين « 16 – 17 » استولى عليها البرتغاليون بقيادة البوكرك « 1507 – 1514 » ثم فقدوها 1622 واستولت عليها القوات الفارسية والانجليزية

2) البحرين تتألف من مجموعة من الجزر فى الخليج العربي بين قطر والاحساء . « مساحتها 518 كم » وسكانها 170.000 اكبرها جزيرة البحرين وطولها 45 كم وعرضها 16 كم بها عيون ماء عذبة تتصل بها جزيرة المحرق ، اما الجزيرة الاخرى فهي النبى صالح – صرة – ام نعسان والعاصمة المنامة وتنتج اليوم كميات كبيرة من النفط الذي بدأ انتاجه 1932 وهي واقعة تحت الحماية البريطانية منذ 1861 م

3) رافضة او الروافض ، لقب اطلقه زيد ابن علي بن الحسين عليه السلام على الذين تفرقوا عنه ممن بايعوه بالكوفة لانكاره عليهم الطعن فى ابى بكر وعمر رضي الله عنهما ومن اهل السنة من يطلق الوصف على الشيعة عموما باستثناء الزيدية .

رجوعا لخبرنا ولما فرغنا من مناسك الحج والعمرة اكترينا الابل من عند أغا المغاربة ، ولما بلغنا للمدينة وفرغنا من الزيارة ترافق معنا القاضي عبد الحليم الذي جاء قاضيا لمصر من الاصطنبول مع الركب الشامي

ولما حج انحدر مع الحاج المصري لقضاء مصر ، ولما وقع ما وقع من السوم (1) تسلط على تجار مصر ، اذا سمع بموت احد منهم ، يوجه اعوانه لاحصاء ما خلف ، ويقومون السلع جزافا ويأخذ عشرها ولا يمنعه وارث ولا شريك ولا امير ، واغرب من هذا اذا سمع بمرض احد يوجه كاتبه وحاجبه يثقف المال ويزممه (2) قبل موته ربما يضيع شيء من عشره .

* * *

حكاية ابراهيم الدمياطى :

ولقد اخبرني الشيخ ابراهيم الدمياطي وكان حج معنا ، وحصلت لنا معه الفة فى الطريق بقرية رآها ، لما ذكر هذا القاضي وسوء فعله ، قال: سافرت من بلدي دمياط (3) بقصد جزيرة كندية فى مركب للمسلمين ، فلما قربنا من كندية وقع مركب للمالطية فاسرونا ، وكان معي خرج فيه دفاتر ونحو المائة ريال ، اخذوا الخرج والريال ورموا لي بالدفاتر ، ولما دخلوا بنا لمالطة طلبت رئيسهم ان يرد علي الخرج لاحمل فيه الدفاتر فكلمهم فرموا به الي فجعلت به الدفاتر وجعلته على كتفي ، ولما وقفوا بنا عند طاغية مالطة ورآى الخرج على كتفي ، سأل الرئيس عني بلسانهم فما ادري ما قال له فاخرني ، وتوجهوا بالمسلمين للسجن وخلوا سبيلي ، فقلت لهم الى أين اسير انا ، فكلمني احدهم بالعربية وقال : انت مسرح ، انزل بالكنيسة عند الرهبان ، وتوجه بي اليها ، فلما بلغتها دخل بي الى الراهب الذي بها وقال له بالعربي هذا القاضي سرحه الامير الى ان يظهر مركب يتوجه لارض المسلمين ويركب فيه ، فوضعت الخرج عن كتفي وجلست مع الراهب ، فوجدت عنده دفاتر بجنبه ينظر فى بعضها ، فقلت اتعرف خط المسلمين؟

---

1) يقصد : سومه الامر ، كلفه اياه واولاه ، ثم حكمه وصرفه

2) زمم البضاعة او الاشياء سجلها وهو من الالفاظ الاجنبية الدخيلة على اللهجة المغربية الدارجة .والزمام هو المساحة المطلقة او المساحة الزراعية المحددة لكل قرية حسب تعريف كل من : جوته ــ روبرت بروانتج والاخوان جريم

3) محافظة تقع شمال الدلتا بمصر تعددت غارات الروم لها فى القرنين 8 ــ 9 استولى عليها الصليبيون 1219 ــ 21 م بقيادة بريين ملك بيت المقدس ، 1249 ــ 50 بقيادة لويس 9 ملك فرنسا .

فضحك وقال لعلك تقرأ ؟ قلت نعم ، فناولني السفر الذي بيده فوجدته تفسير ابي السعود ، ثم ناولني آخر فوجدته تفسير البيضاوي ، ثم ناولني آخر فوجدته تفسير الزمخشري ، ثم ناولني آخر فوجدته تفسير الرازي ، وفى آخر ورقة كتب هذا التاليف ببيت المقدس سنة كذا ، فقلت له : من اين لك هذا التفسير قال استنسخته ببيت المقدس لما كنت قاضيا به فقلت له من اين لك القضاء ببيت المقدس وانت راهب قال: سبحان الله ليس هذا ببعيد اني كنت غلاما عند قاضي العسكر فلان وانا على نصرانيتي وكنت اخدمه واكتب فتعلمت الخط والكتابة والترسيل ثم ترقيت الى فقيه ونجبت فيه .

ولما رآى نبلي وفطنتي رقاني الى المراتب فقضاني مرة ، بكذا ، واخرى بكذا ، وعلى سبعة مراتب بلغت القضاء ببيت المقدس فتوجهت له

ولما بلغني موت استاذي واكملت سنتي ، رجعت الى وطني ممتلىء الحقائب ، وعدت الى دين آبائي واجدادي ، ووالله اني لا اشتغل الا بدفاتر دين الاسلام وهي انسي ، ومحافظتي على المسيحية لا ابغي بها بدلا قال : فكنت استائس به ويسليني .

ولما ظهر مركب متوجه لكندية لبعض الكفار الصالحين كلف رئيسه بحملي ، وزودني من عنده واحسن لي مدة اقامتي معه نحو الشهر ؟!

* * *

مقام المؤلف بمصر :

ولما نزلنا على مرحلة من مصـــر وخرج اهـــل مصر لملاقاة الركـــب والتبرك بمباشرة الحجاج ، ومن له قريب قدم له مركوبا مزينا للدخول عليه للمدينة ، لان مراكبهم لا تبلغ الا ضعيفة من كثرة التعب والسهر وقلة العلوفة والماء ، فوجه لنا صاحبنا التاجر محمود حسن أصحابه بمركوبه وقال لهم اياكم ان تفارقوه الى ان ينزل بدارنا ، فاعترضونا فى الطريق وابدلوا مركوبنا بمركوبهم ، وما امكنني الا مساعدتهم ، ووقفنا الى ان وصلتنا الابل الحاملة لنا ، واوصيت الخدام بالنزول بدار الاغا الحامل لنا والجواري يدخلـــن للحريم ، وسرت مع القوم الى دار التاجر المذكور بالازبكية (1) فوجدته فى الانتظار ، فتسالمنا ودخل بنا لداره وسأل عن الخدام والجواري ، فاخبرته

1) سوق تباع به التحف ومختلف المصنوعات اليدوية جوار الجامع الازهـــر .

انهم بدار الاغا ، فاقسم علي ان ابعث بهن لداره الى ان يسترحن ، فوجهت لهن واقمت عنده ثلاثا ، واكترى لنا الاغا بيتا انتقلنا له واقمنا به

وكان الى جانبي بيت الشيخ عبد الرحمن الجبرتي فقيه خير الدين عزمني لبيته يوما وكان ياتيني كل يوم ، ثم اجتمعت بالشيخ سليمان الفيومي كبير العلماء فى وقته ، وعزمني لبيته واتى بيتي مرارا ، ثم اجتمعت بالشيخ كامل افندي ، والشيخ اسماعيل المصري شيخ الاطباء فى وقته ، وكنت أدخل مع الشيخ عبد الرحمن الى خزانة الكتب بمسجد محمد باي ابو الذهب (1) بما فيها من غريب الكتب ، وخصوصا كتب التاريخ ، وكنت أطالع بها اولا ، ثم تمكنت الصحبة مع قيمها ، فكان يعيرني ما أطلب منه ، فطالعت تاريخ **الكرماني** ، وتاريخ **النووي** ، وتاريخ **الخلفاء** للاسيوطي ، **والورقات** له والثلباني ، **والخطط** للمقريزي ، **وبحر الانساب للشيخ** المرتضى ، وغير ما ذكر

المؤلف مع حفيد ابن يعقوب المستمسك العباسى

ثم اجتمعت بمؤرخ مصر وشيخ الاطباء بها الشيخ اسماعيل العباسي، وهو الباقي من نسل بني العباس خلفاء مصر ، كنت ابحث عنه الى ان دلوني عليه بمقعده من المارستان الكبير ، فسلمت عليه وجلست ثم سألني فاخبرته اني لم آت الا لزيارته والتبرك به ، فقام وعانقني وجدد السلام ، وامر ولده بالسلام علي ، واكرمني اكراما تاما ، وعرفته أني وقفت على ترجمة جده الخليفة بمصر ، محمد بن يعقوب الذي أخذه السلطان سليم العثماني للاصطنبول لما غلب على مصر وملكها ، ولما حضرته الوفاة سرح السلطان محمد بن يعقوب لمصر ، ورتب له ستين درهما تعطاه من خراج مصر ، له ولعقبه ، واستمر اولاده على قبضها الى سنة ثلاثين ومائة والف، لما حج الشيخ سيدي محمد المسناوي اخبر انه اجتمع ببقية هذا البيت بمصر ، ولا زالوا يقبضون ذلك الراتب ، ثم من ذلك التاريخ لم ادر ما كان ؟!

---

1) محمد ابو الذهب : توفي سنة 1775 م احد مماليك علي بك الكبير تولى امارة الحج 1764م قاد الجيوش وفتح الحجاز والشام ثم خرج على سيده واعاد مصر الى احضان العثمانيين، اقره السلطان على ولاية مصر 1772 بقي فى ولايته عامين ، قاد الجيش لمحاربة الشيخ طاهر العمر بالشام واستولى على غزة ، ويافا ، وعكا ومات بها ونقل جثمانه الى القاهرة ودفن فى مسجده المواجه للازهر الذي كان المؤلف يتردد على خزانته . وبموت ابى الذهب خلص حكم مصر الى زعيمي المماليك مراد وإبراهيم بالاشتراك بينهما وكلاهما من مماليك ابى الذهب .

ولما دخلت مصر لم يكن لي هم الا السؤال عن ذلك ، الى ان فتح الله فيمن عرفني بوجودكم فجيئتكم ، فقال لي جزاك الله خيرا عن قصـــدك وحيث انت مشغوف بهذا فانا ابلغك غرضك واحضر المحبرة والورق وقال : اكتب للشيخ بخط يدك ما املي عليك فكتبت :

الحمد لله ، هذه جمهرة آبائي : عبد الله ، اسماعيل ، بن محمد ، بن زكرياء ، بن الفضل ، بن علي ، بن عثمان ، بن محمد ، بن يعقـــوب ، العباسي ، آخر خلفاء بني العباس بمصر .

واضافني اكرمه الله ، وكنت آتيه لمجلسه ، ثم اخبرني ان المرتب السلطاني كان يقبضه اجداده ، وكان يقبضه هو الى أن قدم لمصر حسن باشا وزير السلطان عبد الحميد ، سنة مائتين والف ، وطرد الغز من مصر ، وقطع المرتبات كلها ، فتوجهت له بفرمان السلطان سليم لجدي محمد بن يعقوب ، ولاولاده ما تناسلوا ، فكتب للسلطان عبد الحميد واخبره بشأني ، فكتب له ان يعين لي ما فيه الكفاية ، حيث اقسم ان لا يترك للغز بمصر خراجا ولا لمتعلقاتهم ، وكل من كان فى خدمتهم ، واعطاني النظر فى اوقاف المارستانات كلها ، والوقوف عليها فحصل لنا والحمد لله الكفاية التامة بلا حد ولا حصر ، وهذا ولدي العباس قائم بها ، فادع له .

وكنت لا انقطع عنه واجاريه فى التاريخ ، وكان له الولوع بخبر دول المغرب الحديثة التي لم تبلغهم ، كدولة « الاشراف الزيدانيين والعلويين » فكنت اشفي له الغليل ويقيد ذلك عني ، ولما عزمت على السفر اتحفني بتاريخ الخطط للمقريزي فى خبر مصر ومن عمرها قبل الطوفان وبعده ، ومن ملكها من الدول الى ان ملكها السلطان سليم العثماني عام اثنيـــن وعشرين وتسعمائة ، وكتب لي معه هذه الابيات

اتحفتني بملوك الغرب اجمعهـم	فاقبل اية مصرنـــا باجمـــاع
من فتحها دولة تاتي على دولـة	الى انتهاء بني العباس كن واع ؟
مع اعتذاري لديكم انني رجـل	بليد طبع واني ناقص البـــاع

* * *

وصف الاسكندرية القديمة :

واقمت بمصر سبعة اشهر ، ونزلت للاسكندرية فاقمت بها شهرين لقلة المراكب المتوجهة للغرب بسبب الوباء الذي بافريقية ، وحيث لم يتيسر

لنا سفر للغرب رجعت لمصر بنية العود للحرمين الشريفين ، واما خبر ما كانت عليه الاسكندرية القديمة قال واصفها ...؟

انه لم ير مدينة احسن منها ، ولا ابدع منها صنعا ، ولا اجمل رونقا ، ولا اوسع مسالك ، واعلى مباني ، ولا اجمل مراسم ، ولا اوضح معالم ، ولا املح ازقة ، ولا اعجب رونقا ورقة ، ولا احسن تفصيلا وجملة .

وشعـــــره :

هي القصور البيض لا ما حدثوا عن ارام وغيرها من البنـــا ؟
تختطف الابصار مـــن لالائهـــا والليل قد القى القناع الادكنـــا

فكأن محاسن الدنيا فيها مفروشة ، وصورة الجنة فيها منقوشة ، وهل هي ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها فى البلاد فقد ذكـر المفسرون عن ابي بن كعب فى قوله تعالى « ارم ذات العماد » انها الاسكندرية ، فهي من اعجب مباني الدنيا ، ولا مثيل لها ، قال اهل الجغرافيا : انها بنيـت في مدة ثلاثمائة سنة ، ومكث سكانها لا يمشون بها نهارا الا « معصبين » الاعين بخرق سود ، خوفا على اعينهم مدة من سبعين سنة ، الى ان الفوا ذلك لشدة بياضها

المنار وعمود السوارى الذى بالاسكندرية :

وفوق منارها سرطان من الرخام والمنار على اربعة اساطين من رخام، وطوله ثلاثمائة ذراع ، وحيطانها واسوارها من رخام ، وفيها قبة كانـت لفرعون ، وفيها قصر سليمان تهدم وبقيت آثاره ، وبها اسطوانة تستديـر الدهر كله ، وكان فى القدم على منارها مرآة كبيرة صنعها الحكماء ، يتطلع منها على القسطنطينية وبلاد الروم ، حتى احتيل فى ازالتها فبطل عملها ، ومن عجيب وضع هذه المدينة ان بناءها تحت الارض كبنائها فوقها بل اعتق وامتن ، لان ماء النيل يخترق جميع دورها ويتخلل ازقتها تحت الارض ، فتتصل بالابار بعضها ببعض ، ولقد عاينت فيها من سواري الرخام والواحه عددا ، وكثرة واتساعا وحسنا ما لا يتخيل بالوهم ولقد راينا بها سواري يغص الجو بها صعودا لا يدري معناها ولا لما كان اصل وضعها

وقد ذكر انه كان عليها فى الزمن القديم مباني الفلاسفة واهل الرصد والرؤساء ، ومن اعجب ما فيها عمود السواري ، وهو من اعظم آثار اهل الدنيا ، له قاعدة مرتفعة هو قائم عليها عددت فى احد جوانب القاعدة احد

عشر شبرا ، ورايت فى بعض التآليف انه اكبر عمود على وجه الارض ، وانه واقف على كنز وربك اعلم ؟ وان طوله تسع واربعون ذراعا الذي فيه ذراعان وانه لا يتزحزح عن موضعه ولو سقطت عليه الجبال الشم ، ومن عجائب ذلك المنار الذي كان بخارجها كالبرج الاعظم من عنان السماء ، اساسه معقود بالرصاص ، وبناؤه بالحجر المنجور الجابي يزاحم الجو سوا وارتفاعا، وقد وضعه الله على يد من سخر له ذلك آية للمتوسمين وهداية للمسافرين يهتدون به فى البحر الى بر الاسكندرية ، ويظهر على ازيد من سبعين ميلا ، عرض احد جوانبه الاربع ينيف على خمسين باعا ، ويذكر ان فى طوله ازيدمن مائة وخمسين قامة ، ووجدت فى بعض التآليف المعتمدة ما نصه :

عجائب الدنيا أربعة :

ذكر عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ، انه قال : عجائب الدنيا اربعة ، منار الاسكندرية (1) كان الناس يجلسون تحتها فيرون من بالقسطنطينة وبينهم عرض البحر ، وفرس من نحاس بارض الاندلس باسط يديه مقابل بكفيه كانه يقول اليس بعدي مسلك فلا يطأ احد تلك الارض الا اكلته النحل ومنارة من نحاس عليها راكب ، ونحاس بارض عاد ، فاذا كانت الاشهر الحرم هطل منها الماء فشرب الناس واستقوا وصبوا فى الحياض ، فاذا انقضت الاشهر الحرم انقطع ذلك الماء الى عام آخر ، وشجرة من نحاس بارض رومة فوقها زرزور سودانية من نحاس ، فاذا كان اوان الزيتون ، واحدة فى منقارها واثنتين فى رجليها حتى تلقيها على تلك السودانية من النحاس فيعصر منه اهل رومة ما يكفيهم من الزيت لسنتهم « لادامهم » وسرجهم فى كنائسهم الى عام قابل ، وبهذه المدينة من المساجد والمدارس ما لا يستوفيه وصف واصف ، قال **ابو الربيع الكلاعي** فى كتاب الاكتفاء كتب عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما لما فتح الاسكندرية.

اما بعد فاني فتحت مدينة لا أصف ما فيها ، غير اني اصبت فيها اربعة آلاف حمام واربعين الف يهودي عليهم الجزية واربعمائة حلة للملوك، وفيها اثنا عشر الف بقال يبيعون البقل الاخضر ، الى غير ذلك من الحرف والصنائع والمعاهد والمفاخر والمشاهد والمآثر ، ويقال ان بها تربة بعض

---

1) ظلت منار الاسكندرية احدى عجائب الدنيا ترشد السفن الى النيل لمدة 1500 سنة وكانت تؤدي عملها باحراق الخشب فيرشد الدخان السفن نهارا والوهج ليلا .

الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبعض التابعين والاولياء والعلماء الراسخين انتهى .

الاسكندرية الجديدة اسست عام 500 :

هي ليست بأزلية وانما هي محدثة في المائة الخامسة ، واما الاسكندرية القديمة الاولى التي بناها شداد بن عاد الحميري لما ملك ارض مصر ، لم يبق الا اطلالها الدارسة ، وكان الاسكندر اليوناني لما ملك اكثر الدنيا بناها وجدد أسوارها وفنادقها وشيد ابوابها وحصن « بالصقائل » والابراج مرساها ، وبها كانت المئذنة العظمى التي بها المرآة التي كانت تحرق السفن التي تقصدها بالحرب من حكام اليونان وصيرها الاسكندر دار ملكه وتوارثها ملوك اليونان من بعده الى ان ضعف ملكهم وفشل ريحهم،وغلبهم ملوك الروم ودخلو فى حكمهم ، وصيروهم من جملة الروم، ولم يبق لهم ملك يقوم باصلاح مدينتهم ، ومرت عليها الاحقاب والدهور فتخربت وزالت بهجتها الى ان فتحها عمرو بن العاصي رضي الله عنه ايام معاوية بعد فتح مصر ، فسكنها العرب فكمل خرابها واستولى عليها الهرم

سبب ابطال المرآة :

وفى ايام هشام بن عبد الملك تهدمت المئذنة التي هي المرآة المطلسمة التي كانت تحرق السفن اذا قابلتها ، جاء فيلسوف من الروم وقال له ان تحت المئذنة بيت مملوء مالا وجواهرا ، كان وضعها الاسكندر فيه وبنى عليه المئذنة فلو سمحت نفسك بهدم تلك المئذنة لحصلت عليه ، واطلعه على خط يوناني عربه له فيه ما ذكر من المال ، واشتغل بهدم المئذنة ففر الفيلسوف ولم يوقف له على خبر فلما اكمل الهدم لم يجد بيتا ولا مالا ففطن للخديعة وندم فلم ينفعه ندم ، وبطل عمل المرآة فى آخر دولة العبيديين ، ملوك مصر لما اصاب دولتهم الهرم ، حين ملكوا الشام ودمياط ، وخربوا المدينة لما استولوا عليها وتركوها ارضا دكا ، ولم يبق بها الا المسجد الاعظم وبعض حماماتها

ولما رجع المسلمون لها ايام الملك الناصر يوسف ابن ايوب ، تركوها وعمروا المدينة الموجودة الان فى غربها الشمالي ، وليس لها سور الا ان البحر محيط بها من ربعين ، والربع الثالث سور المدينة القديمة والربع الرابع للفضاء ، ويجلبون الماء من مطافي المدينة القديمة ، وكانت هذه المدينة القديمة لما بناها الاسكندر جلب لها الماء من النيل مسيرة مرحلتين ، فى خليج

احتفره الى باب الاسكندرية ، وجعل له بركة عظيمة بناها بالرخام والحجر الصلد ، يجتمع فيها ماء الخليج ويتوزع على دورها وحماماتها وخاناتها وكنائسها ، وفى كل دار مطفية على مقدار الدار ، تعمر من تلك البركة كلما فاض النيل وجرى الخليج ، ولا زالت المطافىء على حالها ، ومنها شرب اهل المدينة الجديدة المحدثة

قال ابن عبد الحكم (1) وبالاسكندرية خمسة مساجد مقدسة مسجد موسى عند المنارة ، ومسجد سليمان بعده ، ومسجد ذي القرنين عند القيسارية ، ومسجد الخضر عند باب المدينة ، ومسجد عمرو بن العاصي الكبير اهـ .

نهر النيل :

وهذا النيل (2) هو احد الانهار العظام الخمسة التي فى الدنيا ، والثاني

---

1) ابن عبد الحكم ابو القاسم عبد الرحمن توفى سنة 870 م مؤرخ عربي وفقيه الف اقدم ما وصل الينا فى تاريخ مصر الاسلامية ، عاصر احمد بن طولون اهم مصنفاته « فتوح مصر والمغرب » روى عنه كثير من المؤرخين كالمقريزي وابن تغرى بردى .

2) نهر النيل يقع فى شمال شرق افريقية من اطول انهار العالم طوله (حوالي 6640 كم) ويخترق عدة بلاد من اقصى منابعه فى نهر كاجيرا الذي ينبع من الحدود بين تنجانيقا ورواندا – بروندي – حتى مصبه فى البحر المتوسط كان للنيل مكانة عظمى عند قدماء المصريين وسموه « حبى » اي الفيض وقد وصفوه بـ (رب الرزق الوفير) و « اله الارباب وخالق الكائنات » و (المحيي) ساواه الفراعنة بارباب الخلق والخصب امثال : رع وبتاح وافروديس وآمون . وكانت مصر ولم تزل تحتفل بوفائه حتى اليوم ولا احد يعرف اصل اسم النيل اللهم الا ان يكون من الاصل العبري « نخل » وتبلغ مساحة حوضه نحو 2,9 مليوم كم مشتملة على تنجانيقا وكينيا واوغندا والكونغو والسودان واتيوبيا ومصر ، له مجموعتان من المنابع : بحيرات الهضبة الاستوائية « فيكتوريا والبرت وادوارد » ومياه هضبة الحبشة ، وتلتقي مياه المنبعين عند الخرطوم بحمخ الاولى النيل الابيض ، والاخرى النيل الازرق اهم روافده بحر اللعزال وبحر الزراق والسوباط والنيل الازرق والعطيرة يظل النهر فى معظم مجراه محافظا على اتجاهه نحو الشمال حتى يصب فى البحر المتوسط بدلتا واسعة تبدأ الى الشمال من القاهرة بنحو 22 كم ويتفرع فيها النيل الى فرعي دمياط « شرقا » ورشيد (غربا) ينحدر النهر فيما بين الخرطوم واسوان نحو 282 م فى شلالات يفيض فى فصل الصيف بسبب سقوط الامطار الموسمية على هضاب اثيوبيا وقد اكتشف جيمس بروس بحيرة تانا « منبع النيل الازرق » 1770 واكتشف سبك بحيرة فكتوريا 1858 ترجع مشروعات ضبط النهر الى القرن 40 ق م

الفرات (1) ، والثالث دجلة (2) ، والرابع سيحون (3) ، والخامس جيحون (4) ، وهي احسن مياه الارض عذوبة وخفة ، وتماثلها خمسة انهار اخرى تقرب منها وهي :

نهر السند (5) مهران ، ونهر الهند الكنك ، واليه تحج الهنود ، واذا احرقوا امواتهم يرمون رمادهم فيه ويقولون هو من الجنة ، ونهر الجون هو

---

1) هو احد نهري العراق الرئيسيين يستمد ماءه من منابع عديدة تقع شرق تركيا في منطقة يزيد ارتفاعها على 3000 متر اهمها فرات صو الذي يجري في سهل لرضوم وفرات صو الذي يجري في هضبة ارمينيا ويلتقي بفرات صو قرب مدينة كيان بمعز فيكونا نهر الفرات وتغذيه صو الذي تموته جبال صوروس بالمياه ، ثم يلتقي بنهر الفرات . ويدخل نهر الفرات سورية بالقرب من جرابلس ، ويتجه نحو الجنوب الشرقي ويصب فيه بعد ذلك تابعه البليخ في ضفته اليسرى ايضا . ويدخل حدود العراق بعد مروره بمدينة البوكمال بمسافة قصيرة ويمر بالهضبة الصحراوية بواد ضيق ، ثم يدخل السهل الرسوبي وهناك يتفرع الى فروع كثيرة تحيطها المستنقعات والاهولر والبحيرات وفي هذا القسم من مجراه تستغل مياهه للري ، تعتمد عليها الزراعة في العراق ، وقد انشئت على الفرات عدة سدود أهمها سد الهندية . ويلتقي الفرات بدجلة عند كرمة علي فيكونان نهرا واسعا هو شط العرب وبذلك يكون نهر الفرات قد مر بثلاث دول هي: تركيا وسوريا والعراق ، وطوله 2330 كم منها 1200 بالعراق و 675 في سورية و 455 في تركيا ويبلغ معدل المياه التي تجري فيه سنويا حوالي 29 مليار م مكعب وهي تبلغ حوالي ثلثي مياه نهر دجلة والفرات صالح للملاحة للزوارق التجارية والسفن الشراعية في اقسامه السفلى فقط

2) نهر دجلة يتحد مع الفرات في ان منبعه من تركيا ولكن في الجنوب الشرقي ، وتمده عدة روافد اكبرها بطمان صو ويدخل الحدود العراقية بالقرب من قرية فيشخابور ، ويبلغ طول هذا القسم من النهر 300 كم يقع منها 250 في تركيا و 50 مشتركة بين الاقليم السوري وتركيا وتصب خمسة روافد في نهر دجلة بعد دخوله الحدود العراقية وهي من الشمال الى الجنوب : الخابور — الزاب الكبير — الزاب الصغير — العظيم — ديالى وهي تجلب الى النهر حوالي ثلثي مياهه اما الثلث الباقي فيأتي من تركيا. ويتفرع نهر دجلة في اقسامه السفلى الى فروع كثيرة أهمها الغراف — البترة — المشرح — الكحلاء — والمجر الكبير ، وتنتهي هذه الفروع بمستنقعات وبحيرات كثيرة ويلتقي نهر دجلة بالفرات كما سبق بكرمة علي ، وقد كان يلتقي به عند مدينة القرنة، ولكن مجرى الفرات الرئيسي قد تحول الى هور « بحيرة » الحمار الذي يتصل بشط العرب بقناة واسعة هي المسماة كرمة علي ، ويبلغ معدل مياه دجلة سنويا 44 مليارا متر مكعب ويبلغ طوله 1718 كم منها 1418 كم أي 82٪ من مجموع طوله داخل الحدود العراقية ، أهم السدود المنشأة عليه سد الكوت وهو صالح للملاحة للبواخر الصغيرة من مصبه حتى بغداد .

3) نهر سيحون يقع بجمهورية اوزبك بالاتحاد السوفياتي يتكون بوادي فرغانة بالتقائه مع نهري ترين وكره داريا ، طوله حوالي 2090 كم ويجري عبر جمهوريتي طاوجك وقازاق حتى يصب ببحر أرال ، غير صالح للملاحة ولكنه يستخدم للري يمتد عند مجراه الاسفل خط قزوين الحديدي .

4) يقع نهر جيحون بوسط آسيا واسمه القديم « اوجزوس » بالعربية جيحون يصب في بحر آرال طوله 2523 كم

5) نهر السند هو : نهر ينبع في الهملايا بغربي التبت ، طوله 3057 كم يجري في كاشمير وباكستان الغربية ، حيث يتصل به نهر بنجاد ، ويصب في بحر العرب ازدهرت على ضفافه حضارة قديمة

بالهند ايضا ، ونهر اثل هو بصحراء قفجاق ، ونهر السرو ، هو بـــارض الخطا وعلى ضفة مدينة جان بالق ومنها ينحدر الى مدينة الخنسا العظمى ، ومنها لمدينة الزيتون بالصين

ولما سافرنا من الاسكندرية ارسينا بمرسى رشيد (1) ، وبتنا بها ، ومن الغد توجهنا فى النيل لمصر اربعة ايام ، وبلغنا مرسى بولق فمن التيسيـــر ولطف الله وجدنا صاحبا من اهل فاس قائما على الشط يترقب من ياتي من حجاج المغرب ، فلما رآنا فى المركب عرفنا وقدم علينا ، وبعد السلام كلفته ان يكتري لنا بيتا بمصر قريبا من جامع الازهر ومشهد الحسنين ، فتوجه فى الحين وبتنا فى المركب ومن وصلنا ، فنزلنا وحملنا بضائعنا وما معنا ودخلنا مصر ، وبلغنا المنزل الذي عينه لنا

مصر القاهرة فان الذي اسسها هو جوهر الصقلي قائد المعز العبيدي ، عام ثمانية وخمسين وثلاثمائة ، لما ملك مصر الفسطاط المجاورة لها التي فتحها عمرو بن العاصي فى صدر الاسلام ، من يد الروم ، وهي الان خربة ليس بها الا قصور لامراء الغزو وعماة قليلة ومنتزهات ، **واما** ما كان قبل الاسلام من المدن بارض مصر فى ايام القبط ودولتهم ، فأول من بناهـــا وعمرها قبل الطوفان نفراوس ابن مصريم بن مزاكيل بن داريل بن غرباب بن آدم عليه السلام ، وهو الذي اجرى نيلها ، جلبه من نيل السودان وبنى عليه مدينة وسماها **امسوس** • واجرى النيل فى وسطها ، وسمــــى ارض مصر باسم ابيه مصريم ، وبنى لولده مصريم مدينة **برسان** ، واما الاهــرام فبناها سريان ، ولما علم بوقوع الطوفـــان الذي يخرب العالم ، جعل فيهـــا ذخائره وعلومه ومات قبله ، ووقع فى ايام ولده عيقام وهو الذي بنى قصر النحاس خلف خط الاستواء ، ولم يبلغه الطوفان ، وكان ساحرا واليـــه تنسب القبط مصاحف السحر التي بمصر

واما الاسكندرية فبناها شداد بن عاد لما غلب على الشام ومصر ، واول من نزل مصر بعد الطوفان بيصر بن حام ، نزلها فى ثلاثين من اخوانه واولاده ، وقسم لهم ارضها وكل واحد منهم بنى مدينة لنفسه وسماهـــا

---

1) مدينة بمصر بمحافظة البحيرة بالقرب من البحر المتوسط كانت لها اهمية تجارية وجـد بها حجر سمي بها وهو البازلت يحمـل نصا مكتوبا بثلاث لغات هـــي : الهيروغليفيـــة والديموطيقية واليونانية وهي عبارة عن منظـر الكهنـة لبطليموس 5 على عطاياه للمعابـد عثر عليه جنود نابليون 1799 م وقـد كانت اللغـة اللاتينيـة الى جـانب الهيروغليفيـة الوسيلة التي اوضح بها شامبليون هذه الدخيـرة

باسمه ، وبنى هو مدينة **منيف** (1) ، واما مدينة مصر **الفسطاط** فالذي بناها هو مصر بن بيصر وسماها باسمه ولما نزل عليها عمرو بن العاصي بالمسلمين وفتحها بنى مسجده فى محل فسطاطه فلقب بالفسطاط

واما الاهرام فبناها قبطيم بن مصريم بدهشور وهو ابو القبط ملوك مصر ولم يزالوا بها الى الآن على نصرانيتهم ، وفى زمنه كان هود عليه السلام ، واما مدينة **الاشمونين** (2) فبناها اشمون بن مصريم بن بيصر بن حام ، وكانت مساحتها اثنا عشر ميلا ، وفى ايامه اتاه شداد وغلبه وبنى الاسكندرية ، ولما رجع شداد ملك ولده اتريب وفى زمنه جف النيل ، ولم يقض ثمانية واربعين سنة الى ان هلك اهل مصر ، ووجه اتريب لهود عليه السلام ان يدعو الله فى رفع ما نزل بهم ، فدعا الله لهم ففاض النيل ، واوحى الله الى هود ان يتوجه لاتريب ويأمره ان يصعد الى الجبل ويدخل لمغارة فيه فيحفرها ، فوقع على خزين من الزرع فى سنبله ، فزرعوا منه واقتاتوا وفى ايام « طوطيس » كان ابراهيم الخليل وهو فرعون ابراهيم ، وهو الذي وهب هاجر سارة ، وهو احد الفراعنة السبعة ، وهو الذي حفر الخليج المتصل بالسويس ثم غلب القبط على ملكهم الوليد بن دومغ العملقي ، ولما هلك ملك ولده الريان ، وهو فرعون يوسف عليه السلام ، وفى ايامه بنى يوسف مدينة **الفيوم** ، ولما هلك ولده مصعب ، وبعد ولده الوليد ، وهو فرعون موسى عليه السلام ولما اهلكه الله رجع ملك مصر للقبط .

واما مصر القاهرة فبناها جوهر الصقلي امير المعز العبيدي صاحب افريقية ، عام ستين وثلاثمائة كما سبق ، وانتقل لها المعز ، ومن مدن مصر مدينة الطور ومدينة القلزم وبولاق ، والجيزة ، ورفتة ، وشطوفة ، ودلاص، وبوصير ، واخميم وقليوب ، والفيوم ، والاهوت ، وصول ، وقوص ورشيد واسيوط ، واسنا ، وفوه ، ودمياط ، واسوان ، والعريش آخرها ، وغيرها من المدن التي لا تحصى ، فاقتصرنا على هذا القدر منها

---

1) منيف عاصمة من اقدم عواصم الدنيا وثانية عواصم مصر المتحدة قديما ينسب بناؤها الى مينا ، ويربطون نشأتها بقيام الوحدة السياسية الثانية « 3400 ـ 3200 ق.م »

2) هي عاصمة الاقليم 15 من اقاليم الصعيد والاشمونين الشامون اي 5 العناصر الطبيعية التي قامت منها الحياة عند المصريين الذين كانوا قبل يطلقون عليها « يونيو » (الاونية) وقد اسماها الاغريقيون « هرموبوليس ماجهنا » نسبة الى معبودهم (توت) ، وبالاشمونين اطلال معابد من زمان الدولتين الوسطى والحديثة ، وايام الاسكندر والبطالمة والعصر الروماني وبخاصة « هدريان » الذي كان يؤمها ايام الشتاء .

واما ما فوق مصر فبناحية الصعيد مارسكور ، وسمنهود (1)، ومصريم ، ودير الطين ، وبوس ، ودلاس ، وبيا ، ومنية الخصيب (2) وهي التي أسسها عامل مصر لاحد خلفاء بني العباس ببغداد ، لما غضب مرة على اهل مصر ، فولى عليهم احقر عبيده الخصيب ، كان يوقد النار على حمامه، ليسير فيهم سيرة سيئة ، اذ كان من الف الذل والهوان وادرك العز الذي لم يعهده ولم يكن من أهله ، لا يفعل الا القبيح ، وقصده بولايته تنكيلهم واهانتهم وذلهم ، اذ لا يصلحون الا على ذلك ، فلبس الخصيب وقلده عمل مصر ، وامره ان ينزل بمدينة البهنسا ولما نزلها بنى المنية لسكناه فسميت منية الخصيب ، ولما تمكن من الولاية ظهر منه خلاف ما قصده الخليفة من اهانة أهل مصر وتنكيلهم ، واشتهر عدله وكرمه حتى كان يقصده اهل الدولة من بغداد والاشراف والفقهاء ، فمن دونهم ، ويجزل عطياتهم ، فافتقد الخليفة يوما بعض العباسيين فلم يجده ، ولما حضر بعد مدة سأله عن مغيبه فذكر انه كان عند الخصيب بمصر ، وذكر له ما اعطاه وكان قدرا عظيما فاستعظم ذلك الخليفة وغضب على الخصيب وامر بالقبض عليه وعزله عن مصر والقدوم به لبغداد ، ولما بلغه امر بسمل عينيه وطرحه في أسواق بغداد ، وكان معه ياقوتة عظيمة المقدار ، ولما قبضوا عليه خاطها في قميصه الذي على جسده ، فمر به بعض الشعراء وهو مسمول العينين ملقى بالسوق فجلس اليه وقال :

حكاية الخصيب وجوده

يا خصيب ، اني قصدتك لمصر ممتدحا ، فوجدتك انصرفت ، وتبعت اثرك وما قدمت الا اليوم ، فاردت ان تسمع ما مدحتك به ، فقال كيف اسمع وانا على ما ترى ، فقال : انما قصدي سماعك لها ، واما العطاء فقد اعطيت الناس كلهم واجزلت عطاءهم جزاك الله خيرا ، قال له قل : فانشده:

انت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر

فلما اتى على آخر القصيدة قا لله افتق هذه الخياطة ، ففعل ذلك واخذ الياقوتة ودفعها له فابى ان ياخذها ، فاقسم عليه فاخذها وذهب بها الى سوق الجوهريين ، فلما عرضها عليهم قالوا هذه لاتصلح الا للخليفة

---

1) ينطقها المصرويون « سمنود » بحذف الهاء وتشديد النون
2) توجد بالصعيد ، وبسبب قصة صاحبها الخصيب اطلقوا عليها « منيا القمح »

ورفعوا أمرها اليه ، فأمر باحضار الشاعر الذي اتى بها ، فاستفهمه عن خبرها ومن أين وصلت اليه ، فأخبره خبرها ، فتأسف على ما فعل بالخصيب وندم على ما وقع منه ، وأمر باحضاره وأكرامه واعتذر لـه عن فعله واجزل صلته وجعله اخص خاصته ، وحكمه فيما يريد ، فرغب ان يرده لمنيته التي بنى ويستقر بها مع اولاده ، فرده ورتب له ، واقام بها الى أن توفي وورثها عقبه انتهى

الخبر عن مزارتها وأيام الزينة بها واحتفال اهل مصر بخروج المحمل الذى عليه كسوة الكعبة المشرفة

ولما بلغ شهر شوال النصف ، خرج المحمل الخروج الاول ، وذلك يوم يوتى بكسوة الكعبة المشرفة من دار الصنعة ، فتضرب سحابة على باب القلعة فيحضر الصناجي كلهم ، والولاة والامراء والحكام والقاضي ، كل واحد مع اتباعه ، ولكل واحد مجلس معلوم فى السحابة المضروبة ، ومجلس الباشا فى الوسط ، وعن يمينه مجلس القاضي ، وكلما أتى واحد من الامراء وأرباب الدولة ، جلس فى مجلسه المعهود له ، وقربهم من الباشا بحسب قربهم فى مناصبهم ، فاذا تكاملوا كلهم واخذوا مجالسهم ، وصفت الخيول عن يمينهم صفا ، كل طائفة مع جنسها ، الى ان تحيط بالميدان الذي هو أمام مجلس الباشا وهو ميدان كبير يسع الآلاف من الخيل ، وآخر من يخرج الباشا فتخرج امامه طائفة من عسكره ، بعضهم اثر بعض ، على ترتيب معلوم ، وقانون مضبوط ، وآخر من يخرج معه طائفة « الشاوشية » على ارجلهم ، عليهم جلود النمر وعلى رؤوسهم طراطير طويلة من اللمط ، لها ذيول معكوفة بين اكتافهم وعلى جباههم صفائح من الفضة مستطيلة مع الطراطير الى فوق ، مموهة بالذهب تلمع لمعانا ، فاذا خرج هؤلاء خرج الباشا باثرهم راكبا ، فاذا وصل الى السحابة قام الكل له متواضعين ، أيديهم على صدورهم حتى يجلس ، وكذا يفعل من تقدم للجلوس من الامراء على من يأتي بعده ، فاذا جلس الباشا جيء بالجمل الذي يحمل المحمل ، وهو قبـة من خشب رائقة الصنعة بخرط متقن وشبابيك ملونة بأنواع الاصبـاغ ، وعليها كسوة من رفيع الديباج المخوص بالذهب ، ورقبة الجمل وراسه وسائر أعضائه محلاة بجواهر منتظمة ابلغ نظم ، وعليه رسن محلى بمثل ذلك ، والجمل فى غاية ما يكون من السمن وعظم الجثة ، وحسن الخلقة

مخضوب جلده كله بالحناء ، يقوده سائسه وعن يمينه وشماله آخـــر ، ويتبعه جمل آخر على مثل صفته بالكسوة ، ثم بالكسوة المشرفة ملفوفة قطعا قطعا ، كل قطعة منها على اعواد شبه السلاليم ، معدة لذلك يحملها رجال على رؤوسهم ، والناس يتمسحـون بها ويتبركون ، ويتوتى بكســوة الكعبة منشورة على الاعواد ، وتسمى « البرقع » كلها مخوصة بالذهب ، حتى لا يكاد يظهر فيها خيط واحد ، بصنعة فائقة وكتابة رائعة ، ثم يمر بعد ذلك بين يدي الباشا والامراء ، ويقومون لها اذا مرت بهم تعظيما ، ثم يخلع على الذين صنعوها بمحضر ذلك الجمع ثم يذهب بها كذلك حملتها ويمرون بها فى وسط السوق ، والناس يتمسحون بها حتى يبلغوها الى المشهد الحسيني فتنشر فى صحن المسجد وتخاط هناك .

المشهد العظيم بمصر المحتوى على جماعة من أهل البيت :

ولما تفرق الجمع من ذلك الميدان الذي امام القلعة خرجت من هنالك مع أصحابنا لزيارة بعض المشاهد بالقاهرة فكان مما زرناه المشهد العظيم المحتوي على جماعة من أهل البيت رجالا ونساء ، اشهرهم السيدة نفيسة الطاهرة ، واليها ينسب المشهد وبها يعرف ، وعليها بناء عظيم ، وبازائـــه مسجد وبيوت تسكن ، قلما يخلوا من زائر وراغب الى الله فى كشف كربه ، وقبرها معروف باجابة الدعاء ، فهو ترياق لنيل كل مراد كقبر ابن عمهـــا موسى الكاظم ببغداد ، وهي السيدة نفيسة بنت الامير حسين بن يزيد بن علي بن الحسين ، دخلت مصر مع زوجها ابن عمها اسحاق بن جعفـــر الصادق ، وكان الامام الشافعي يصلي بها التراويح فى رمضان رضي الله عن جميعهم

قبر الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه

وزرنا أيضا قبر الامام الذي لا ينبغي لاحد دخل مصر أن يهمل زيارته، اذ هو صاحب التصريف التام بمصر ، رئيس الايمة وشيخ الامة محمد بن ادريس الشافعي (1) رضي الله عنه ، وعليه بناء عظيم ومسجد وخانقات ،

---

1) هو محمد بن ادريس الشافعي ينتهي الى المطلب اخى هاشم جد رسول الله (ص) عـاش ما بين « 767 ـ 819 » ولد يتيما بغزة ، وانتقلت به امه الى مكة ليعيش بين اهله ، وفي العشرين من عمره انتقل الى المدينة ، ولازم مالكا ض تسع سنين ، اخذ عنه فيها الموطا، ودرس فقهه ، ثم ولي ولاية باليمن ، فاتهم بالتشيع وسافر الى بغداد ، ولازم محمد بـن الحسن ، واخذ عنه فقه العراق ، ثم عاد واتخذ درسه بالبيت الحرام ، ودون كتبه ورجع الى بغداد حيث نشر هذه الكتب ، ورواها عنه تلميذه الزعفراني واخيرا سافر الـى مصر 814 م وتوفي بها اشهر كتبه « الام » و (الرسالـة) ومنهاجه فى الاستنبـــاط الكتاب والسنة والقياس والاجماع . وهـو واضع اصول الفقـه .

وقوم من الفقراء يسكنون هنالك ، وقيم المشهد لا يفارقه ليلا ولا نهارا ، وهو من المشاهد الكريمة ، والمآثر العظيمة ، له أوقاف كثيرة ، ويتخذ عند قبره في كل سبت مولد يجتمع فيه ناس كثيرون ، يضيق بهم المسجد وغرفاته ما بين فقراء وامراء ورجال ونساء ، يبيتون طول الليل بين ذكر بجماعة ، وقراءة قرآن وصلاة ، لا يفترقون الى طلوع الفجر ، وذلك دابهم ابـدا في كل ليلة سبت ، ولا يخلوا ذلك الجمع من جماعة من الصالحين

مقالة الشعراني في الامام مالك وتلميذه الامام الشافعي

فقـد ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني (1) ان جماعـة من الاوليـاء يحضرون كل يوم لزيارة الامام الشافعي رضي الله عنه ، وهو حقيق بذلك وجدير ، فانه بالمحل الذي لا يدرك علما وعملا وحالا وفتوة وحسن اخلاق وزكاء اعراق ، ونصرة للدين وحماية له ، باذلا في ذلك نفسه وماله وجاهه ، وقد اتفق العلماء على انه ليس في اصحاب الامام مالك (2) رضي الله عنه اثبت ولا اعلم ولا افقه من الامام الشافعي ، كما اتفقوا على ان ليس في مشايخ الامام الشافعي اجمع للخصال المذكورة من الامام مالك بن انس رضي الله عن جميعهم ، وما علم من تعظيم كل منهما للاخر وثنائه عليه ، يدل على انهما عالما الامة ، وناصرا السنة ، وشيخا مشايخ المشرقين والمغربيـن ، وقمرا « سماء » (3) الكتاب والسنة المنيرين ، فالعلمـاء في عصر قاصريـن بعدهما عليهما ، فهما فرسان رهان وقطبا فلك الاتقان ، ان انفرد الامام مالك رضي الله عنه بفضيلة السبق ورتبة الاستاذية وسكنى المدينة دار الهجرة والسنة الى ان مات ، فللامام الشافعي ايضا مزايا كثيرة ، ومآثر شهيرة ،

---

1) عبد الوهاب الشعراني : صوفي ولد بالقاهرة « 1491 م وتوفي 1565 م » كان نساجـا يكسب معاشه من هذه الصنعة ، كان ينتمي الى الشاذلية التي اسسها علي الشاذلـي. انصرف معظم نشاط الشعراني الى التاليف في التصوف كما تناول فروعا اخرى مـن المعرفة ، كعلوم القرآن والفقه والعقائد ، والنحو والطب ، وكانت له مكانة عقلية مرموقة، لـه اثـر بالغ في العالم الاسلامي ، أهم كتبه : « البحـر المـورود » (الجوهـر المصون والسر المرقـوم) (لطائف المنـن) واشهر كتبـه « طبقات الصوفية »

2) الامام مالك بن انس ض توفي سنة 795 تلقى عن كثيرين من التابعين ، واخذ فقه الـراي من ربيعة الراي ، ويحيى بن سعيد كان ض محدثا وفقيها يتحرى في الرواية فـلا ياخذ الحديث من ذي هوى مبتدع ، ولا من شيخ لايعرف مايحمل ويحدث به ، ولا مـن سفيـه ، ولا من كـذاب وله كتاب الموطا جمع فيه ما صح عنده من احـاديث الرسول « ص » وفقه الصحابة (ض) كان ياخذ في اجتهاده بالكتاب والسنة والاجماع وعمل أهل المدينة ، والقياس ، والمصالح المرسلة ، والاستحسـان وانتشر مذهبه) مصر وشمـال افريقية والاندلس وبعض بلاد المشرق

3) كـذا في الاصـل .

استحق بها ان يشهر ويذكر ، ويحمد في دين الله ويشكر ، تسأل الله تبارك وتعالى ان يرزقنا محبتهما ونظيمهما ومحبة سائر الائمة المجتهدين ، والعلماء المهتدين ، خصوصا شريفاهما في تقرير المذاهب ، وحيازة التشريف بالائمة بالفلبة ، وذلك من اعظم المواهب ، للامـام الاعظم أبا حنيفة (1) ، وناصـر السنة احمد بن حنبل (2) ، فكلهم على هدى من ربهـم ومهتـد حقـا من اهتدى بهم فرضي الله عنهم وعن سائر العلماء أجمعين وجعلنا لمناهجهم من خيار التابعين ، وقد زرنا ايضا قبر الامامين الشامخين الهماميـن الحاملين لراية مذهب الامام مالك السالكين في ذلك احسن المسالك ، راوية المذهب ، عبد الرحمن بن القاسم ، وناصره اشهب واسمه مسكين رضي الله عنهما ، وقبراهما متجاوران بازائهما قبور كثيرة لمشايخ الامة رضي الله عنهم

زرنا أيضا شيخ المشتهرين بحب الله وامير المؤمنين في الشوق الى الحضرة القدسية ، لسان المحبين ابو حفص عمر بن الفارض رضي الله عنه، وعليه بناء ومسجد وعليه آثار المهابة ورقة الصبابة

وزرنا أيضا قبور السادات بني الوفاء مناهل الصفـاء ومشايـخ العارفين

---

1) ابو حنيفة النعمان بن ثابت (ض) عاش وتوفي ما بين « 699 – 767 » فارسي الاصل ولـد بالكوفة ونشأ بها ، ورث تجارة الحرير عن اسرته ، ولم تمنعه من التعليم والدرس . بـدأ بالكلام ثم انتقل الى الفقه ، روى عن التابعين وتابعيهم ، في العراق والحجاز ، واخصهـم ابراهيم النخعي وشيخه حماد ومنهجه الاخذ بالكتاب والسنة وفتـاوي الصحابـة ثم بالقياس والاستحسان والعرف توفي (ض) على اثـر تعذيب المنصور لـه ، لامتناعـه عن تولي القضاء ، وصار مذهبه المذهب الرسمي للدولتين العباسية والعثمانية كمـا انتشـر فـي مصـر .

2) احمد بن حنبل ولد وتوفي ما بين « 780 – 855 » نشأ نشأة دينيـة وجـه الى العمـل بالديوان فعافه وانصرف الى الحديث الذي رحل من اجله وتنقل ولاقى في سبيله اهوالا. جمع احاديث العراق والشام والحجاز واليمن والتقى بالشافعي في مكة فاستطاب نقهه . وطلب الفقه ولم يترك الحديث فكان اماما فيهما وفي عهده اجبر المامون والمعتصم والواثق المحدثين على القول بخلق القرآن ، ولكنه امتنع فعذب وحبس ولم يرفـع عنـه العذاب الا في آخر عهد الواثق . كان عفيفا رفض عطاء الخلفاء ، وله كتاب « المسند » في الحديث ونقهه يقوم على الكتاب والسنة واقوال الصحابة والتابعين ، والقياس عنـد الضرورة ، ويقدم عليه الحديث الضعيف غير المكذوب

وزرنا ايضا الامام تاج الدين ابن عطاء الله (1) ، والامام شرف الدين البوصيري وغيرهما من المشايخ ، وطلعنا الى قبر الشيخ ابي عبد الله المغاوري ، وهو على جرف الجبل مشرف على القرافة كلها ، فاستقبلنا من هنالك من بها من المشايخ ، وقرانا الفاتحة لسكانها ، وتوجهنا اليهم ، فنسأل الله أن ينفعنا بمحبتهم ، وفضل القرافة وما اشتملت عليه من المزارات اشهر من ان يذكر ، واظهر من ان يشهر

وقد ورد فى الاثار انها بقعة من الجنة ، ولذلك امر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بجعلها مقبرة للمسلمين قائلا : لا أعلم تربة الجنة الا التي بها مقابر المسلمين ، فرضي الله عنه ما أصدق فراسته ، واجل امامته

وقد زرنا فى ذلك اليوم المسجد المنسوب للامير العدل احمد بن طولون (2) وهو من اقدم مساجد القاهرة ، وله بركة ، وقد قيل ان موسى عليه السلام ناجى ربه فى ذلك المكان ؟! وكان يعرف بجبل يشكر ؟

وقد ذكر ابن خلكان (3) وغيره ، ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عين له فى النوم المكان الذي فيه قبلته ، وهو على شكل المسجد الحرام، وفى وسط صحنه قبة فيها ماء للوضوء والشرب على شكل البيت كما زعموا ، الا ان هذا المسجد اصغر من المسجد الحرام بكثير ، وبخارج المسجد زيادات كثيرة كان الحجاج المغاربة ينزلون فيها بابلهم واخبيتهم ايام الاقامة ، وكان فى ذلك رفقا بالضعيف الذي لا يقدر على كراء المنازل ، ثم

---

1) ابو الفضل تاج الدين بن عطاء الله الجدامي السكندري ، « 1209 – 1309 م » صوفي نشأ بالاسكندرية وتوفي بالقاهرة تتلمذ على محي الدين المازوني وشهاب الدين الابرقوهي وناصر الدين بن المنير السكندري وشرف الدين الدمياطي وشمس الدين الاصبهاني انكر على ابي العباس المرسي تصوفه ثم اقبل عليه ، وسلك طريق الشاذلية على يديه . قام بالوعظ والارشاد بالقاهرة ودرس بالازهر ، له مصنفات فى التصوف النظري والعمل أهمها « الحكم العطائية » وهي فى آداب السلوك الى الله ، شرحها كثيرون منهم محمد بن ابراهيم الرندي المتوفى « 1393 م » كما شرحت بالتركية والمالوية ، وله ايضا « التنوير فى اسقاط التدبير » يعرض فيه لاسقاط الانسان تدبيره مع الله . و « لطائف المنن » و (القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد) و « مفتاح الفلاح ، مصباح الرواح » وكلها مطبوعة طبعات متعددة .

2) احمد ابن طولون « 835 – 884 » مؤسس الدولة الطولونية بمصر وسوريا . تركي الاصل ولد بسامراء وجاء الى مصر 868 م واليا من قبل العباسيين فاستقل بحكم البلاد ورحل الى سوريا محاربا ، شيد مدينة القطائع 870 م وجعلها قاعدة حكمه وبنى بوسطها جامعه الكبير 876 وهو الاثر الوحيد الذي خلد اسم ابن طولون .

3) ابن خلكان ، شمس الدين احمد « 1211 – 1281 م » مؤرخ واديب عربي ولد ببلدة اربل بالعراق وقضى معظم سنى حياته فى سوريا ومصر ، كان رئيسا لقضاة دمشق وتوفي بها من مؤلفاته : « وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان » يشتمل على 846 ترجمة للاعيان والمشاهير حتى اواخر القرن 13 طبع عدة مرات وترجم الى عدة لغات .

منعوا منها في هذه السنين الاخيرة بعد الستين ، وفي حسن المحاضرة ، ان هذه الزيادة كانت أولا من المسجد

ومن يوم خروج المحمل شمر الناس عن ساق الجد في التجهيز للسفر باتخاذ الزاد وشراء الابل وكرائها ، وازيحت العلل وكان الناس قبل ذلك في سعة من امرهم ، وقدم الجمالون من الصعيد والارياف ، وكثر طالبوا الكراء ، واختلفت رغبات الناس ، فمن مائل الى الكراء ومن مائل الى الطلوع بابله ، فمن اراد راحة بدنه وتعب قلبه والخصومة آناء الليل واطراف النهار اكترى ، ومن اراد سلامة قلبه ودينه والمخاطرة بماله اشترى ابله ، ثم يأتي عرب الدرب للكراء على حمل الفول من مصر الى المويلح ، فيكتري من عندهم كل من يطلع بابلهم على ما يحتاج من العلف الى المويلح ، اذ لا تقدر الابل على حمل زادها ، ومما زاد اربابها ذهابا وايابا ، ومن اراد المخاطرة فلا يكتري شيئا ، ويشتري في كل بندر ما يحتاج ، الا انه ربما يقل في بعض الاحيان فيشتري في بعض المحال غاليا ، وغالب الاوقات يكون الامر متقاربا في الشراء والكراء وربما كان الشراء ارخص من الكراء ، ولا يكتري أحد عند عرب الدرب للفول ، حتى ياتي شيخهم الى أمير الركب « ويتقاطع » (1) معه في الكراء ، ويعطوه حملا ليس هناك بمصر لئلا يغدروا ، ومع ذلك ربما غدروا في بعض السنين ، « فيغلى » (2) الفول في بعض البنادر .

خروج المحمل الكبير وكيفيته وسفارة المؤلف الى الحج ضمن الوفد المصرى :

فاذا كان اليوم الحادي والعشرين من شوال ، خرج المحمل الشريف من القاهرة ، وهذا اليوم هو يوم خروج المحمل الكبير الذي هو من أيام الزينة ، ويجتمع له الناس من أطراف البلد ، يوتى بكسوة البيت من موضع خياطتها ، وتجعل في المحال التي تحمل منها ، ويجتمع الامراء « والصناجق » والجند جميعا على الهيئة المتقدمة في الخروج الاول ، الا أن هذا أتم احتفالا واكثر جمعا ، فاذا تكامل جمع الامراء على الوجه المتقدم وصفت الخيل والرماة ، وخرج الباشا جيء بجميع ما يحتاج اليه امير الركب من ابل ، وقرب ، ومطابخ ، وخيل ، ورماة ، وغير ذلك من الاسباب التي تخرج من بيت المال ،

---

1) اي يتفق معه : تعبير مغربي دارج ، اذ كثيرا ما يستعمل الزياني الالفاظ الدارجة بالمغرب الشيء الذي ربما يوقع غير المغربي في حيرة . لذلك وجب التنبيه

2) كذا في الاصل يقصد به ارتفاع الثمن .

فيحضر جميع ذلك فى الميدان ، كل طائفة لها أمير مقدم عليها ، حتى الطباخين والفراشين ، ثم يوتى بالمحمل الشريف على جمله المذكـور أولا ، يقـوده سائسه حتى يناول « رسن » الجمل للباشا فيأخذه بيده ويناوله لامير الحاج بمحضر القاضي والامراء ومعاينتهم ، ثم يناوله أمير الحاج لسائسه فيذهب به ، وذلك كله كالشهادة على الباشا بانه مكن للامير المحمل وكل ما يحتاج اليه امير الحاج من ذهابه الى ايابه ، وعلى الحاج بانه تسلم ذلك ، ويشهد القاضي والامراء ويكتب بذلك الى السلطان . فاذا مر المحمل بين يدي الباشا وذهب ، جيء بالابل فتمر بين يديه بما عليها من القرب والمطابيخ والآلات ، كل طائفة بمقدمها ، فاذا مرت الابل كلها جيء بالمدافع ، وهي خمس تجرهـا البغال ، ثم جاء الرماة الرجالة من ورائها فيمرون ، ثم تأتي الخيل فتمـر ، فاذا مر جميع ذلك بين يدي الباشا جاء أرباب « الطوائف » كل طائفة من مشايخ الصوفية بشيخهم ولوائهم ، رافعين أصواتهم بالذكر ، كالقادرية ، والرفاعية ، والبدوية ، والدسوقية ، حتى السعاة يأتون بشيخهـم فيمرون بين يدي الباشا ، ويعطيهم ما تيسر فاذا لم يبق احد ممن يمر بين يديه ، خلع الباشا على أمير الحاج خلعة ، وعلى كل امرائه الذاهبين معه ، كالكخيـا ، والدويدار ، وغيرهما ، ثم يودعه وينصرف ، ثم يمر بالمحمل وسائر الابـل والعسكر وسط المدينة ، والناس مشرفون من الديار والمساجد التي تلـي الديار المشرفة على الشوارع ، ويتعطل غالب الاسواق فى ذلك اليوم .

غريبة : اخبرنا ان تلك الديار المشرفة على الشوارع قد تكرى من أول السنة ولا يسكنها مكتريها ولا ينزلها الا فى ذلك اليوم بقصد التفرج ، وفيما سوى ذلك من الايام تبقى معطلة او يسكنها غيره ، وبالجملة فهذا اليوم عندهم من اعظم ايام السنة ، ولا ثاني له الا يوم دخول الباشا لمصر ، ويوم كسـر النيل عند وفائه ، ويقرب منه أيضا يوم قدوم الحاج ، فهذه الايام الثلاثة هي التي يحتفل فيها عندهم غاية الاحتفال ، ويهتبل فيها غاية الاهتبال ؟

فاذا خرج المحمل فى الميدان الذي على باب القلعة الى فضاء الرميلة ، بقي الكثير من الخيل هنالك للعب ، ولا يذهب معه الا المعينون للسفر معه ، والرميلة فضاء واسع خارج قلعة الجبل ، فيه تباع الابل والخيل وسائـر الدواب ، وبه يوجد غالب ما يحتاجه الحاج من الاثاث والامتعة وتنصب فيه ايام الموسم اراحي متعددة « لتدشيش » الفول يديرها الرجال بايديهم مع كبرها وقد اعطوا قوة على ذلك يطحن الرجلان ارادب متعددة فى يوم واحد ، فتكون بالرميلة صبر من الفول المدشش ، كل صبرة تزيد على المائة اردب، ومن هناك « يكيل » غالب الحاج فولهم ويعمرونه هناك فى غرائرهـم

ويمكنونه للجمالين فيذهبون به ، فلا يراه صاحبه الى المكان المشترط معهم وهو المويلح فى الغالب ، وفى الرميلة كثير من « حلق » (1) يلعبون هناك فى سائر الايام كأنواع المشعوذين وأصحاب القرود ومن ضاهاهم من اصحاب اللعب بأنواع الحيوان كالدب والحمير والتيوس والكلاب

وبالجملة فأهل مصر لهم ذكاء زائد ، وحيل غريبة ، قد سخرت لهم انواع الحيوانات فقليل من اصحاب الحيوانات ما لا يوجد عندهم مسخرا مذللا ، فسبحان الذي خلق لابن آدم ما فى الارض جميعا ، « ولقد كرمنا بني آدام وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ».

* * *

مسجد السلطان حسن لا ثانى له فى مصر ولا فى غيرها :

وبطرف الرميلة التي تلي مسجد السلطان حسن (2) وهو مسجد لا ثاني له فى مصر ولا فى غيرها من البلاد ، فى ضخامة البناء ونباهته وارتفاعه واحكامه واتساع حناياه وطول اعمدته الرخامية وسعة أبوابه كانها جبال منحوتة تصفق الرياح فى ايام الصيف بابوابه كما تفعل فى شواهق الجبال، وفى احد ابوابه سارية رخامية لطيفة ، يقال انها من ايوان كسرى ، وفيها نقوش عجيبة يقال على صورتها وضعت ابواب المسجد .

---

1) تعبير مغربي يستدل بـه علي التجمعات التي كثيرا ما تكون حول ذوي الالعاب البهلوانية. اذ يقال لمفردها « حلقة »

2) بدأ السلطان حسن بناء مسجده المعروف باسمه 1356 م واتمه احد امرائه بشير اغا سنة 1363 ويعتبر هذا المسجد من اعظم الاعمال المعمارية الاسلامية تبلغ مساحته 7906 م.م وارتفاع المدخل 37,70 مترا وهو كثير الاضلاع والصحن مربع طول ضلعه 32 م وفي كل ضلع ايوان مرتفع من الصحن مغطى بقبو من الحجر ذو عقد مدبب ويعتبر عقد ايوانه الكبير من معجزات البناء فى العالم الاسلامي اذ تبلغ فتحته 19,20م وجدران ا لايوان الكبير مكسوة بالاحجار الملونة والرخام ، وبدائره اطار من الجص كتبت عليه آيات من سورة الفتح بالخط الكوفي اللذي لانظير له وفي وسط هذا الايوان دكة من الرخام دقيقة الصنع ، ويكتنف المحراب اربعة عمد من الرخام وعلى يمين المحراب المنبر المصنوع من الرخام الابيض وله باب مصنوع من الخشب المصفح بالنحاس المشقول ، وبجانب القبة بابان يصلان الى القبة كانا مصفحين بالنحاس المكفت بالذهب والفضة يؤديان الى القبة التي يبلغ ضلعها 21 متر من الداخل وارتفاعها الكلي 50 مترا وجميع جدرانها مكسوة بالرخام الى ارتفاع 8 م ويفرق الرخام افريز من الكتابة النسخية ارتفاعه 3 امتار وللجامع منارتان ارتفاع كبراها ح 82 م وهي من اعلى المآذن الاسلامية يوجد رسم هذا الجامع ودراسة كاملة عنه بخزانتنا رقم 5783 ت. عبد الكريم الفلالي

قال المقريزي : لايعرف ببلاد الاسلام معبد من معابيد المسلمين يحكي هذه المدرسة فى كبر قالبها ، وحسن هندامها ، وضخامة شكلها ، قال : وذرع ايوانها الكبير خمسة وستون ذراعا فى مثلها ، ويقال انه اكبر من ايوان كسرى بخمسة أذرع ، وقد وجدنا ركنا قد انهدم فكأنه طرف جبل قد سقط ، فملأ ما تساقط منه الشارع والرحاب التي بازائها ، ووجدناهم مجدون فى ترميمه ، وقد اخبرنا انهم اعطوا ستين كيسا من الريال على جمع انقاضه ورفعها من الشوارع والرحاب لتعاد للبناء ثانية ، فاذا كانت هذه اجرة جمع النقض فما بالك باجرة البناء .

ولما رجعنا من الحجاز بعد سنة ونصف ، وجدناهم قد فرغوا من ترميم ذلك المهدوم وبالغوا فى اتقان صنعته ورفع بنائه ليناسب البناء الاول، فكان كما قيل :

يا بارقا باعالي الرقمتين بدا لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

فرحم الله افاضل الملوك الذين درجوا ، والذين من خلفهم على مناهجهم نهجوا ، لقد خلدوا من المآثر الدينية ما أوجب خلود الثناء عليهم ، ووصول الدعاء ممن بعدهم اليهم ، ولم يزل اهل المشرق الى الآن لهم فضل اعتناء ببناء المساجد والخانقات (1) ويبالغون فى تعظيمها ، ويتأنقون فى ذلك ، ويبادرون الى اصلاح ما وهى منها

واما اهل مغربنا فلا تكاد ترى فى مدائنه مسجدا عظيما قد أحدث ، بل ولا مهدوما قد جدد ، أو واهيا قد اصلح ، بل لو سقط شيء من اكبر مساجدهم فاحسن احوالهم فيه ان كان مبنيا برخام ، ان يعاد بجص وآجر، وان كان مجصصا ان يعاد بطين ، بحيث تجد المسجد كأنه مرقعة فقير هندي من كل لون رقعة ، والى الله المشتكى ، وما أرى بمغربنا من الوهن الا سببه امثال هذا من عدم تعظيم شعائر الله ، ولو فى الامور الظاهرة ، فضلا عن الباطنة ، ولم يعتن باقامة معالم الدين الا امير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله ، فقد شيد بمدنه مساجد ومدارس ورباطات، واقتفى فى ذلك آثاره سلطان وقتنا ولده امير المؤمنين مولانا سليمان ، فى تشييد معالم الدين بكل مدينة ، وقد قيل اذا اراد الله خلاء بلد بدأ ببيته ثم يتبعه ما سواه ، واذا اراد الله عمارته فكذلك .

---

1) خانقاه كلمة فارسية تطلق على « الزوايا » أو (التكايا) بالبلاد التي خضعت لحكم آل عثمان الذين نشروها فى القرن 11 م

ثم يسار بالمحمل على هيئته وتعبئته ، ثم ينزل ذلك اليوم بالعادلية خارج باب النصر ، فيقيم هنالك الى يوم الثالث والعشرين ، فيرحلون من هناك الى البركة ، ويخرج أمير الحاج وجميع عسكره ، ويخرج مع الركب من المشيعين ومن العساكر والامراء اضعافهم ، فتنصب الاسواق هناك ، ويخرج غالب الباعة والمتسببين بحيث يوجد هنالك ما يحتاج الى السفر بارخص من سعر مصر ، ويقيمون هناك الى آخر اليوم السابع والعشرين

كيفية خروج ركب المغاربة :

واما ركب المغاربة فلا يخرج منهم الا من قصده الذهاب مع المصري مؤثرا مشي النهار ، مستسهلا مشقة السهر بالليل على حر النهار ، سيما فى ايام الصيف ، وانما يؤثر ذلك صنفان من الناس اهل القوة الذين لهم شقف ومحامل وهوادج ينامون فيها بالليل على ظهور الابل ، ويصحون بالنهار كانهم مقيمون ، ولا شك ان هذا اولى لهم من السير نهارا اذا وطنوا انفسهم على بذل الدينار والدرهم للجمال « والعكام » والسقاء والطباخ وقائد الابل وغيرهم ، والصنف الاخر الفقراء الذين لا ابل لهم ولا امتعة يرافقون الوفد المصري بالماء المسبل فى أوقات من الليل ، وعند الرحيل نهارا مع ما ينالهم من أهل المروءة من التصدق بفضل الاطعمة ، الا انهم يكابدون مشقة عظيمة فى المشي والسهر ليلا ، وفى النهار يشتغلون بالسعي على ما يفوتهم ، فلا يكادون ينامون الا قليلا ، واما المتسوقة والباعة والجمالون من فلاحي مصر ، فلهم قوة وفرط صبر على مكابدة أعظم من ذلك ، فبالليل يسيرون وبالنهار يعملون فى البيع والشراء والسقي والطبخ وعلف الابل واصلاح اقتابها ومداوات جراحاتها ، فلا يكادون ينامون حتى القليل ، وقد اخبرنا عن بعض من اعتاد السفر فى الدرب الحجازي من الجمالين انه لم ينم من يوم خرج من مصر الى ان رجع الى مصر مائة يوم ، وهذا كالمحال عادة ، فان صح فهو من اغرب الغرائب ، ولعله كان لا يضطجع للنوم على هيئة القاصد لذلك ، بل يغفى اغفاءة تارة ، وتارة ، وتارة فى وقت انتظار حاجة او فراغ من اكل وما يضاهي ذلك ، فان كان مثل هذا فلا يستبعد

واما من لم يقصد الذهاب مع المصري من المغاربة فلا يخرجون الى اليوم السابع والعشرين من شوال ، وينزلون بالبركة عند رحيل الركب المصري أو قبله بقليل ، ومن تخلف بقليل عن السفر مع الركب المصري

لضعفه او قلة ذات يده ، يتوجه لمدينة السويس ويركب بجده بحر القلزم ، فكنت ممن تخلف عن السفر في درب الحجاز ، واستخرت الله في سفر البحر فتيسرت اسبابه ، فاقمت بعد سفر الحاج المصري عشرة ايام كنت أقصد فيها مزارات أهل الخير ومظان استجابة الدعاء ، كمسجد المقسم الـــذي اشتهر بانه من بناء الصحابة ، وان الدعاء به مستجاب ، فكنت أقصده وان كنت لم أر في كل ما طالعته من كتب التاريخ ان مسجدا المقسم من بناء الصحابة ويبعد ذلك لان هذا المسجد في طرف مدينة القاهرة داخل بـــاب النصر ، والقاهرة معلوم ان بناءها على يد جوهر الصقلي قائد المعز العبيدي، أسست عام ثمانية وخمسين وثلاثمائة ، وكملت عام ستين فكيف يكون من بناء الصحابة ، اللهم الا ان يقال بناء الصحابة خارج البلد ، ولما اسس جوهر القاهرة ادار عليه السور ، وليس بمصر اصح منه قبلة ومن مسجد عمرو ابن العاص الذي بالفسطاط وعلى كل حال فهو مسجد مبارك مشهـــور البركة ، يؤثر انه لا يلازم فيه احد الصلاة مدة الا ويجتمع بولي من اولياء الله ، ينفعه الله به ، ولم يزل اهل الخير يقصدونه للصلاة ، والدعاء فيه مستجاب ، وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني (1) في كثير من تأليفه ، وبازاء هذا المسجد قريبا منه مسجد سيدي احمد الزاهد وهو الذي قـــال: من صلى في مسجدي هذا ركعتيـــن اخـــذت بيده يوم القيامـــة ، وكنـــت وقفت على هذا في رحلة الشيخ العلامة ابي سالم سيدي عبد الله العياشي وكانت معي فتتبعت مزاراته كلها حسبما ذكرها في الرحلة ، واقتفيت اثره ، فيسر الله اسبابنا باقتفاء اثره في مزاراته كلها ، والسبب في ذلك انه كان في اتصال ومصافاة مع رجل من تجار مصر ، وهو متعلق باطـــراف محمد باي الالفي ، كان ياتيني ويعانقني ويقول انك صاحب القطب مولاي محمد ملك المغرب ، ويطلب مني الدعاء ، ولما تعين السفر في البحر من مدينة القلزم لجدة ، تكلم مع صاحبه محمد باي الالفي ، ان يكتب له رسالة في شأنـــي لوالي السويس ويؤكد عليه في الوقوف معي والاعتناء بامري ، فقال له الالفي ومن هو هذا الشيخ الذي تكتب له قال هو كاتب مولاي محمد رحمه اللـــه سلطان المغرب ، فقال له : لابد ان تأتي به الي لانال من بركته وبركة مـــولاي محمد ، فجاءني الرجل وحتم علي في ملاقاته وما قبل مني عذرا ، فسرت

1) هو عبد الوهاب الشعراني « 1491 ـ 1565 م » صوفي ولد بالقاهرة وعاش فيها منـــذ شبابه كان نساجا يكسب معاشه من هذه الصنعة ، وكان ينتمي الى الشاذلية ، كـــان معظم نشاطه في التاليف ثم تناول فروعا كثيرة من المعرفة كعلوم القرآن والفقه والعقائـــد والنحـــو والطب وكانت له مكانة عقليـــة مرموقـــة أهـــم كتبـــه : « البحـــر المـــورود » و « الجوهر المصون والسر المرقوم » و (لطائف المنن) واشهر كتبه ـ طبقات الصوفية ـ

معه عشية اليوم لبيته بالازبكية ، وصعد بي فى المدارج فوجدنا الرجـــل ينتظرنا على راس المراقي فصافحته وسلمت عليه ، فقبل يدي واظهر لي من التواضع ما لم يخطر لي على بال ، واجلسني فى مجلسه وتأدب معي أدبـــا كبيرا ، وطلب مني الدعاء فى الحرمين الشريفين ، وقمت فى الحين ووادعته وانصرفت لمنزلي ، ومن الغد جاءني الصاحب بكتاب من عنده لوالي السويس عثمان اغا يؤكد عليه فى شأني ويأخذ لي قامرة فى مركب ، واواني ماء ووجاق طبخ ، وما لابد منه فى المركب ، وان يكتب لي كتابا من عنده لوالي جدة فى الاكرام وقت النزول ، وان يكري لي الابل لحمل الاثاث لمكة ، وجاءنـــي الصاحب من عنده بفرس انثى بسرجها اركبها لمدينة السويس واسلمـــها للحاكم يبعثها له بمصر ، وامر الصاحب ان يكتري لي من الابل ما يكفي الزاد واثاث وركوب الخدم فقام بذلك واكترى لنا الابل ، ووقف معنا الى ان خرجنا من مصر ووادعنا ورجع جزاه الله خيرا ، ولما اشرفنـــا على مدينة السويس تقدمت الابل واجتمعت بالوالي عثمان اغا ودفعت له الكتاب فلما قراه وجه لامير المراكب فحضر عنده وامره ان يعين لنا قامرة فى مركب من المراكب ، فقال له ان المراكب كلها ممتلئة موسوقة ، وفى هذا اليـــوم تسافر ، فقال له لابد من ذلك ولا تسافر المراكب الا اذا حملت الشيخ ومن معه ، فتوجه قائد الرؤساء وطاف على المراكب كلها ورجع بغير فائـــدة وايسنا من السفر ، فصمم الوالي عليهم فى المنع من السفر ، واقسم له ان لا يخرج مركب واحد من المرسى الا بعد قضاء هذا الغرض ، فلما راى منه الجد قال له يا سيدي طيب نفسك ، انا اعطي قامرة مركبي واكون معـــه واحمل على الظهر واحمل ما معه وخدامه ، ولا يتوجه الا على ما يجـــب وتحب ، فقال الماء والحطب والوجاق ، كل شيء حاضر ، فأين هذا المحمول والخدام ، قلت هم قادمون باثري ، فقلق الرئيس لموافقة الريح ، وظهرت الابل فوجه الوالي من ازعجها واتى بها الى الشط ، فوضعوا الاحمال فى « الفلوكة » ومنها للمركب ، ولم تزل الشمس حتى كنا فى المركب ، وسرح القائد اقلاع مركبه ، وتبعته المراكب كلها ، فخرجنا من المرسى بخمســـة وثلاثين جفنا بين كبار واغربة ، وبلغنا مرسى جدة على عشرين يوما بعد التعب العظيم والمشقة العظمى ، وقطعنا اليأس من الحياة ، وسلم اللــــه تعالى ، وكنا وقعنا فى محل قصير مهلك على جزيرة تحت الماء لا تظهـــر ارضها وحجارتها ، حرث فيه مركبنا مع خمسة مراكب هلكوا فى المحل ونجى الله مركبنا ، لان ذلك المحل لا تسافر فيه المراكب الا نهارا ، وعند العصر ترسي بالساحل الى الصباح ، ثم تسافر لكثرة جزره ، واحجاره

تحت الماء لا تظهر ، فيكون فى كل مركب رجل عارف وله مرآة ينظر فيها فى الماء فى مقدمة المركب ، فاذا رأى الاحجار ينادي لماسك المقود وهو للمركب كاللجام للدابة ، يمينك ، شمالك ، امام ، وله مسمع ثاني وثالث ، كل واحد ينادي الآخر ، وصاحب المقود يدير يمينا وشمالا ، فاذا غفل صاحب المرآة وقع المركب ، وبعد وقوعنا نزلوا فى الفلايك وعالجوا المركب بالجر الى وراء ، فسهل الله فى جره لانه لم يتمكن كله ، ونجاه الله ، فكان ذلك الرئيس يقول والله ما سلم مركبي الا ببركة هذا الشيخ ، والا فلم يقع مركب بهذا المحل وسلم منذ عقلنا وآباؤنا وآباؤهم فاضحك منه ، ويعتقد ذلك ؟؟

ولما رجع من جدة وبلغ مدينة السويس حدث الوالي بالقضية وقال له ، والله ما نجى مركبي الا ببركته ، وما سلم مركب وقع بذلك المحـــل ، وكتب الوالي لمصر لمحمد باي الالفي يخبره بالقصة ، والالفي اخبر صاحبنا التاجر محمود حسن المصري ، فكتب الالفي لوالي السويس يؤكد عليه ان يخبره بقدومنا اذا رجعنا من الحج ونزلنا مدينة القلزم

* * *

هذا خبر سفرنا فى البحر لجدة ، واما سفرنا فى درب الحجاز فلابد من ذكرنا منازله واحدة واحدة ، وما لقينا به ، وكان تقدم لنا السفر به عام سبعين ومائة والف ، فى حجتنا الاولى ، وكنت به بصيرا ، وكنت صحبت معي رحلة الامام ابي عبد الله البكري ، اطالع بها منازله واقيدها ، وما وافق منها منازلها ابقيته ، وما اختلف منها نبهت عليه وكتبته ، وذكرت جميع ما وصف به تلك المنازل من الاشعار والاسجاع التي رونقتها وحسنتها ، ونبهت على ما حسن منها وما قبح ، وجدب كل منزل وخصبه ، وذكر مياهه حلوة ومرة ، والتنبيه على اماكن وجوده وعدمه ، فكنت على بصيرة فيما نحن متوجهون له ، كالمشاهد له ، مستعد لكل ما يستقبلنا من عوارض السفر ، الا ما ينزل من سماء الغيب من القدر ، فلا ينفع منه حذر كما قيل :

استعمل الحزم فى كل الامور ولا تجزع اذا حل ما ياتي به القدر

وقلت فى سفر البحر

لو كل من ركب البحر اغتنا ونجى لم يبق فى البر للانسان من سفر
او كل راكبه اصابـــه غـــرق فلا ترى طول الدهر من خبـــر
خاطر بنفسك فى العلا لتدركـــه وسل من الله حسن الظن فى القدر
لولا مخاطرة النفوس ما ظفــرت بنيل ما تبتغي فى الدهر من وطر

ذكر منازل الحجارة :

فأول المنازل البركة المباركة ، التي توحدت فى مشارق انوارهـــا ، ومشارع شوارع افطارها ، عن المشاركة ، وقصرت عن اوصاف محاسنها ذوي اللسن ، وجمعت بين الماء والخضرة وقدوم الوجه الحسن ، هـــي مخضرة الاكناف ، بديعة الاوصاف ، قد صدحت أطيارها ، ونفحت بالنسائم ازهارها ، وبها الخيام منصوبة ومرفوعة ، والخيرات لا مقطوعة ولا ممنوعة ، مع وقوف شاراتها على الاقدام ، يستمد بضوئها فى الليل من له على القدوم اقدام ، كأنه فى جنح الليل نجم الثريا اذا اقترنت بالنثرة ، او الاكليل اذا قارن الزهرة ، وبها سوق تساق اليها بدائع البضائع التي يحتـاج اليهـــا المسافر فى كل الوقائع ، ما قصد نحوه قاصد ، الا وعاد منه موصولا بالصلة والعائد ، وكان هذا النعيم المقيم مسامرنا فى الذهاب والاياب ، الـــى أن رجعنا الى بركة الحج ثانيا ولاقينا الاحباب

فى بركـــة الحـــج تـــــرى نخـلا زهـا لكـــن عجـــب

زبـــرجــــدا يحكـــي ومــــا	تخـــالـــــه الا ذهـــــب
فيهــــا نـسيـــم رائـــــق	بلطفــــه يشفـــي الوصـــب
والطيـــر فـــوق بابهــــــا	يشـــدوا بأنـــواع الطـــرب
فيـــا لهـــا مـــن بركـــــة	تبلـــغ القلـــــب الارب
عـــوذتهـــا مـــن طـــارق	وغـــاســـق اذا وقـــــب

وعندما كملت الركائب واجتمع بعد التفريق نجائد النجائب ، وانقضى مقام المقيل ، ونودي فى المكان الرحب بالرحيل ، وحمل المحمل الشريف ، وفارق المربع والظل الوريف وسار الركب سير السيل .

البويب وهو باب الدرب :

وتسابقت العيس بحماة الخير كانها الخيل ، حتى وصل الى قـــرب البويب المعروف بالتصغير ، وفى الحقيقة هو باب الدرب ومفتاح المسير ، فاجتمع شمل الركاب فى ذلك المكان ، ورجع المودع فى خبر كان ، فاستراح الناس والبهائم

واستيقظ بسهر الليل كل نائم ، ثم اطعمت الجمال العائق ، وقطـــع الحجاج من تلك المحطة العلائق ومن المسير الى تلك المرحلة ، ثلاث ساعات

مكملة ، ثم نادى منادي الرحيل ، فسار الركب الى ان اصبح مقاربا للبير الطويل ، وهو المكان المعروف بالمصانع ومطلب راحة الناس فى الاقامة لولا الموانع ، وبه تقطير الجمال وضبطها فى سير الركوب ، واحتياج الماشي من تعبه الى الراحة والركوب ، فيا له من يوم تقطر فيه الدموع ، ويطول فيه الوقوف من الوقوع ، وتشرب فيه الفقراء كاسات الردى ، لشدة ما يحصل لها من جور الجنود واعتداء الاعداء ، فما من فقير الا ويحتاج الى غني يسعفه، والى عادل من ظلماته ينصفه

قد اتينا الى محل المصانع	فاصنع الخير فيه ان كنت صانع
وانفع الناس فى كثير جميل	عل تلقى خيرا كثيرا ونافع

واعلم ان عدة درج المسير الى هذه المنزلة ست ساعات على التحرير ، ثم قام دليل الركب للمسير ، وامر الناس من تقطيع ازمة الجمال بالتقطير ؟

عجرود :

فسرنا طول ليلنا الى الاسفار ، واسترحنا بالوصول الى عجرود عن مشقة الاسفار ، فوصلنا الى بندر عجرود وماؤه ملح اجاج غير مورود ، فاتانا اهل بندر السويس وعطفوا علينا انعطاف الاغصان فى الميل والميس ؟ واهدوا الينا الاحطاب للمشاعل ، والاغنام للمآكل ، وعدة درج هذه المرحلة البهيجة، سبعة وثمانون درجة .

وادى المنصرف :

ثم سرنا الى النواظم وراس وادي المنصرف هو وادي بكثرة الرمال والكثبان قد عرف ، ليس به ماء ولا مرعى ، وانما عيون الناس لمضيق ارجائه ترعى

نزل الركب بوادي المنصرف	وعلى لقياه كرمان صرف
نحمد الله الذي جئنا له	وجميع الهم عنا منصرف

وادى القباب :

ثم سرنا الى وادي القباب وهو وادي فسيح فيه الرحاب ، تهيم به قلوب الاحباب ، ويتذكر به عهد زينب والرباب ، لاسيما اجتماع الاصحاب فى مواطن البعد والاغتراب .

فسقى وادي القباب المرتقى | فى اسمه وهو فسيح فى الربا
فوصلناه وقد قلنا عسى | بعده ناتي الى وادي قبا

وميقات المسير عشر ساعات على التمام ، وبعد اقامتنا به الى وسط النهار ، تهيأنا للقيام

وادى تيه بنى اسرائيل :

ثم نادى المنادي بالرحيل ، فسرنا الى راس وادي تيه بني اسرائيل ، من الغمام

لا تسألن بوادي التيه منفردا | بلا دليل ترى وقع الردى فيه
فما سمعت كلاما من اخى ثقة | فى الناس الا وقال احذر من التيه

قلعة نخل الحمية :

ثم سرنا الى قلعة نخل الحمية وتعجبنا من كثرة الفواكه الشافية ، من سفرجل ورمان وعنب على اختلاف الوان ، والخيرات كثيرة ، وما يحتاج اليه الحجاج من الدخيرة ، والقرب المملوءة بالماء البارد المعدة للقادم والوارد .

الى نخل الحصينة سر حميدا | ترى فيها المنى والخير باق ؟
ولا تشكو الظماء لفقر ماء | فساقيها مقيم بالفساق ؟

ومدة المسير اليه ست ساعات محررة ، وخمس من الدرج مقدرة

وادى القريض :

ثم سرنا من النخيل الى وادي القريض المشهور ، وهو وادي ينبت به الشوك عوضا عن الزهور ، فكم اذى بشوكه الاقدام ، وعطل من له على المسير اقدام ، وسيما الحفاة ، لاتساع ارضه ، وزيادة فضائه فى طوله وعرضه .

فى وادكم ما يرجى غير نعل | جرير ثابت من فوق الكعب ؟
قد صار كالاعجام من يتركه | يرقص من قرص اعلى الكعب ؟

وسرنا عشر ساعات كاملة ، محررة ، فى الميقات مزايله .

بير العلاءة :

ثم سار الركب الى بير العلاءة فى التجربة وهي محضة فى معطلة ، وليس بها قصر مشيد ، وبغربها « حررة محررة » ، واشجار اقل منتشرة ، وبجانبها فسيتان ليس بهما منفعة ، كلما ورد عليها حيوان ظمآن الا وقام عند رؤيتها بالاربعة :

الى بير العلاءة قـــد اتينــا	وفزنا بالنجـــاح وبالبنـــاء ؟
شكرنا للدليل وقـــد دعانـــا	الى شيء يوصـــل للعـــلاء ؟

ومدة المسير اليه اثنى عشرة ساعة بالتحرير

سطح العقبة :

وبعدها الجد الى سطح العقبة فى المسير ، وهو سطح واسع الاكناف ، متسع الجوانب والاطراف ، لا يوصل اليه الا بالاستطاعة لان مدة المسير اليه اثنتى عشرة ساعة .

العقبة :

ثم سرنا الى العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فكم بها من « حـدرات (1) ومضيق » وجبال فى شكل الحمرة والبياض ، وهي علقة فى الطريق ، وصعود وانهباط ، وعلو وانحطاط :

وعقاب تسلك النـــاس بهـــا	بقلوب لم تـــزل مرتعبـــة ؟
قد قطعناها بوقـــت معيـــن	لم نر فيها امـــورا تعبـــة ؟
نحمد الله الـــذي خلصنـــا	وارحنا من عقاب العقبـــة ؟

وادى بشاطىء البحر :

فقطعنا تلك الحدرة الكبرى ثم سرنا الى وادي بشاطىء البحـــر ، واحطت به خبرا ، وبجانب البحر مغاور ماؤها عذب فرات ، وآبار تسقى

---

1) الذي ينحـدر منـه ـ الحـادور جمـع حـوادبـر .

منها الناس بسائر الجهات ، ورأينا نخلا زاهية ، وقلعة حصينة عالية ، فاقمنا بتلك المنزلة ثلاثة ايام ، ونحن فى زيادة وانعام ، وذبح انعام ، وقد وردت الفواكه من غزة واعمالها ، فنصبت للبيع وانخفضت الاسعار البواقي على احمالها ، وبقلعتها توضع البضائع ودائع الى الاياب ، ومدة السير تسع ساعات فى الحساب :

ظهر الحمار :

ثم سرنا الى مرحلة يقال لها ظهر الحمار ، وهي محطة عالية كثيرة الاوعار ، يصعد اليها من عقبتين ، واليمنى اوسع من اليسرى ، فى المسلكين :

صعدوا على ظهر الحمار لعلهم	ان يبلغو بصعودهم كل الامل ؟
تعب الحمار من الطريق وطولها	ومد يدها واجتن من بعد الرمل؟
حتى الجمال شكت به يا هل ترى	نقبل به عذر الحمار أو الجمل ؟

بئر الجزمين :

ثم سرنا الى بئر الجزمين ، وهو مكان كأن الجبال قد قسمت به شطرين ، يحترز منه ان يقذف بالحجاج فى ايام السيل الى البحر المالح الاجاج .

وخمسة احرف فى اللفظ تقرا	فان صحفتها صحت بجرفين ؟
وان اسقطت خمسين فيبقى	ثلاثة احرف من اهل العين ؟

الشرفة :

ومنها الى الشرفة ، وهي بطول السير متصفة ، تتعب فيها الجمال ولو رحلت بالاوحال ، لما فيها من الوهاد «والطلوعات» (1) الشداد ، وخلف جبالها قبيلة بني عطية المعروفين بالسرقة « والاذية » .

اذا ما جئت للشرفة	ترى العربان مختلفة
واما العيس فاجهله	بحسن الحفظ متصفة
فان منعت بحارسها	والا فهي منصرفة

ومدة السير خمسة عشر ساعة من غير ريب .

---

(1) يقصد العقبات وذلك اسلوبه المعروف به

غار شعيب :

ويجاوره المكان المعروف بمغاور شعيب وهو غار تتبرد به الناس وترى فيه الخط والايناس ، وبه الماء العذب والنخيل ، وشجر المغل والاثل والظل الظليـــل

قد وصلنا الى مغـــار شعيـــب فرأينـــا الميـــاه كالانهـــــار
فسقينا مـــن مائـــه وشفينـــا وظفرنـــا بغايـــة الاوطـــــار
وذكرنا بغـــاره غـــار ثـــــور من حـــوى للصديـــق والمختـــار
خير من انـــزل الاله عليـــــه ثاني اثنين اذ همـــا فى الغـــار

ومدة السير ثمانية عشر ساعة محررة ، عند اهل الصناعة والخبرة

عيون القصب :

ثم منها الى عيون القصب ، اذا نظر اليها العابر اذهبت عنـــه الوصب، كأن خضرتها نضرة ، والاشجار بها منتظمة ومنتشرة .

قد وصلنـــا لعيـــون القصــــب واستراح القلب بعد النصــــب
وعيون الماء فيها قـــد جـــرت كسيول الغيـــث فى القصــــب
فجلسنـــا فى صفـــاء حولهـــا وظفـــرنـــا عندهـــا بـــالارب
وتشوقنـــا لشـــاد مطـــــرب يتغنـــى بعيـــون القصـــــب

ورأينا مجاورا لتلك العيون ، نسوة من العرب يوصفن بحسن العيون ، ويتعاجبن بظفائر الشعور ، فيمنعن من عقل المحب الشعور ، كأنهن الاقمار ، وكانما نبتت فى وجناتهن الازهار ، فكان قطع المفاوز والاوعار ، كالمنتزهات فى الرياض والازهار

بروحي افدي ظبيـــة بدويـــة لها وجنة فيها الازاهـــر نابتـــة
اذا رمت منها ان تكلمني غـــدت تكلمني الحاظها وهـــي ساكتـــه

ومدة المسير اليها اربعة عشر ساعة وثلاثة من الدرج ، يتعب فى سيرها من ركب ومن درج .

بئر المويلح :

ثم منها الى بئر المويلح المشهور ، ورأينا بساحله المراكب من السويس والطور ، فياله من بندر فاق البنادر ، ياتي اليه الوارد والصادر ، وبه جملة

من الكروم ، التي تذهب برؤيتها الهموم ، وبجوار القلعة تودع الودائع ، والى سوقها تساق نفائس البضائع ، من ثمار تجلبها العرب ، وزلاية عجينهـــا كاللجين ، فاذا قيلت اشبهت الذهب ، وبهذا البندر رجل من ارباب الاحوال حاز رتبتي الجلال والجمال ، صاحب مجذوب ، تميل اليه محبة القلوب ، وله اسرار ظاهرة ، ومكاشفات باهرة ، يعتقدها الناس ، ويحصل لهم بـــه الايناس ، لا يعرف الدرهم ولا الدينار ، ولا يقبل الا القوت عند الاضــــرار ، لباسه جبة صوف ، وراسه فى غالب الاوقات مكشوف ، وان نطق تكلم على الخواطر ، وان صمت ، عليه السنة بالثناء العاطر ، ويكسوه الناس بلا عدد ، فيقبلها ويعطيها لمن وجد ، لان من رآها عليه ، يطلبها ، فيدفعها اليه ، وهذا شأن الكرام ، الذين قطعوا علائق الدنيا على الدوام فاقمنا بهذا البندر ثلاثة ايام ، وبعدها طوينا المضارب والخيام ، ومدة المسير ثلاثة عشر ساعة وخمس من الدرج فى علم الصناعة :

دار السلطان :

ثم سرنا من المويلح الى دار السلطان التي هي لعرب البادية اوطان ، ونزلنا بوادي سلمى وكفافه وحصل مؤيد الامن بعد المخافة ، وخلف جبلــها الغربي البحر الاصيل ، وبجانبه القسطل البري منتظم كالنخيل ، وحفائر مائها عذب بارد ، يشرب منه القادم والوارد .

ان وادي سلمى بهـــى بهيـــج	حيث فيه قبر الولـــي الاسمـــا
صاحب السر والمصارف مـــرزو	ق الكفافي طاب روحا وجسمـــا
فاذا جئـــت قبـــره فتـــأدب	وتوسل بجاهه ثم سل مـــــا

فاقمنا بتلك الرحلة الاقامة المعتادة ، وحصل لنا ببركة الشيخ مرزوق فى الرزق الزيادة ، ومدة السير كانت ثلاثين تماما وعددها معروف من غير ابهام

بندر الازلم :

ثم سرنا الى بندر الازلم ولا يرغب فيه من بحقيقته يعلم ، فماؤها ملح اجاج ، ما شربه انسان الا احتاج الى العلاج ، فاقمنا به من غير اقبـــال ، ورحلنا منه بعد الزوال ، ومدة المسير اليها ستة عشر ساعة محررة ، وخمس من الدرج مقدرة :

اصطبل عنترة :

ثم سرنا الى مرحلة تسمى اصطبل عنترة ، وقد اخفى بها العربان للاذى وتستر ، والمسير اليه بين جبال صاعدة ، وحدرات واوعار متقاربة ومتباعدة ، وبها آبار عذبة ، يود كل ظمآن شربه .

ان جئت للاصطبل لا	تغفل به عند النزول
واحذر من العرب الذي	بجباله ابدا تصول
واعلم فديتك انه	صعب ولكني اقول
قد سمى الاصطبل من	عرب به شبه الخيول

ومدة السير اليها ثلاثة عشرة ساعة فى العدد ، صحيحة الضبط والسند .

وادى الاراك :

ثم سرنا منه الى وادي الاراك ، وهو وادي ليس لانفراد محاسنه اشتراك ، وبعده دخلنا بين جبال واوعار ، ومضيق واحجار ، وحدرات طوال (1) ، وصعودات وتلال ، حتى نزلنا بندر الوجه المبارك ، وصار حصنه متقاربا متدارك ، فرأينا به الابار الخالية ، وحفائر الماء بقربه غير خاليه ، فاقمنا به الى قبيل العصر ، وقد زال عن الناس الحصر .

قد دخلنا بندر الوجه الذي	فيه قوت كل عام يختزن
وشربنا من مياه عذبة	شربها يجلو عن القلب الحزن
نحمد الله الذي اسعدنا	وراينا ذلك الوجه الحسن

ومدة السير اليها سبعة عشر ساعات وثلثي ساعة بالاجماع ، حددها أهل العلم والاطلاع .

---

1) يقصد « بالحدرات » المنحدر وقد استعمله بكثرة ، شأن ابى القاسم فى تعبيره ..؟ كما قال ايضا صعودات . وقد اخترنا ان ننبه بدلا من النقد حتى لا يحصل لنا مع ابى القاسم ماحصل لابن عثمان معه .

مفرش النعام :

ثم صرنا من الوجه الى مفرش النعام ، ثم الى حوادير وآكام ، واماكن يرى منها البحر الاجاج وشدة تلاطمه بالامواج .

بركة اكرة :

ثم الى حوادير كبيرة المقدار ، كثيرة الصخور والاوعار ، ونزلنا فى مرحلة يقال لها بركة اكرة ، وهي ارض بها حفائر ماء ، تكره ماؤها مر المذاق ، من تغذى بشربه حصل له الاطلاق » ، فهي مرحلة لا تراح فيها النفوس ، ولا يضحك بها العبوس :

يا من أتــى اكــرة فى سيــره	ابشر بنيل القصـد والمنــة
لا تكــره المكــروه فى اكــره	فيا لمكروه حفـت الجنــة

ومدة المسير اليها تسع ساعات بتمامها ، وثلث ساعة ثابتة فى احكامها

الحنك :

ثم سرنا منها الى مرحلة يقال لها الحنك ، ولها من بين القرون اسم مشترك ، بين فضاء واسع المجال ، ومراعي اعشاب للجمال ، الا انها خالية من الماء للوارد ، والاقامة بها انما هي على طريقة السير المعتاد ، ومدة المسير اليها أربعة عشر ساعة من الزمان ، حررها اهل الاتقان .

العقبة السوداء

ثم سرنا الى العقبة السوداء المشتهرة ، وقطعنا مفاوزها ونزلنا بالحوراء النظرة ، وهي مرحلة رملها غزير ، ومحطها كبير ، وبها شجر الاراك الاخضر ، والماء من حفائر رملها يتفجر

جئنا الى الحوراء وهي محطــة	فيهــا الاراك نزاهــة للــراء
ناديت خلي قف هنــا متأمــلا	وانظر لرمل مغمــر بالمــاء
واغنم زمانا مقبلا بسعـــوده	فيها اجتماع الشمل بالحــوراء

ومدة المسير اليها فى اجل الاعداد (1) ، حررها أهل الارشاد

---

1) اهمل ذكر الزمان فى نسختنا وكذا فى نسخة الخزانة العامة ولعله يريد ساعة واحـدة استنادا الى قولـه اجـا ٧١- ـداد

مفازة نيط :

ثم سرنا منها الى مفازة نيط ، وهي حد عربان جهينة فى السيل والحط، وبطرقها مضائق وحذرات ، وجبال راسيات شامخات ، وشجر اثل كالنخيل، وحفائر ماء عذب يشفي الفليل

مرارة ماء تزيد القساوة — وفى اكره والتي بعدها
فانعشنا ماؤها والطلاوة — فجئنا الى نيط نشكو الظما
فاعقبنا صبرنا بالحلاوة — ولما صبرنا على غيرها

ومدة السير اليها عدد كاف ، وهي عشرون من غير اختلاف .

الاباطيح = طراطر :

ثم سرنا منها الى طراطر الراعي ، وهو مكان تحمد فيه المساعي ، وهي حيال سود فوق الجبال ، وتسمى ايضا بالاباطح كما يقال

وادى النار :

ثم الى وادي النار ، وهو وادي بين جبال ووعر وغبار

الخضيرة :

ثم نزلنا بالخضراء وقيل الخضيرة بالتصغير ، وهي من أعمال بندر ينبوع فى المسير

انظر الى الخضراء واغنم بسطها — تاقى رباها نزهة للراء
فلرب حشاش شكا من همه — قد زال عنه الهم بالخضراء

ومدة وصولنا اليها فى المسير ، اثنا عشر ساعة بالتقصير
ثم رحلنا منها واستقبلنا ذلك الوعر ، ورأينا اول الوعرات قد ظهر ، وهي سبع وعرات كبيرة ، اصعبها الاولى والاخيرة ، بين كل وعر فضاء وبعده عقله فى الطريق ، ويليها شفى جبل مقابل ومضيق

بندر الينبوع

ثم انحنى الركاب بندر ينبوع ، وهو أول بلاد الحجاز فى الذهاب واخرها فى الرجوع فيه حدائق ونخيل ، وعيون بين زروع تسيح وتسيل ، وكان به

سور منيع ، وجامع مفرد وسيع ، وبيوت فسيحة الرحاب ، فئال امرها الى الخراب ، وبه الآن سوق للحجاج ، ياخذون منها الذخيرة عند الاحتياج ، وبه افران وحيشان كبار ، وعشش تسقى فيها القهوة من ايدي الجواري .

حبـــذا بنـــدر ينبـــاع ومـــا	فى رباه من ريـــاض وعيـــون ؟
وسقـــاة مـــن مـــلاح نهـــد	يصد عن النصب من نيل العيون ؟
فارتحل عنهن واذهب وانتصـح	فان خالفت اذهبـــت العيـــون ؟

وجميع تلك الاسواق خارجة عن المساكن ، ويعم نفعها الساكن والظاعن، فنصبنا بهذا البندر الخيام ، واقمنا به ثلاثة ايام ، ومدة المسير اليها عشر ساعات فى العدد ، محررة فى ميقاتها صحيحة السند

الدهناء :

ثم من ينبوع الى الدهناء فى فضاء ورمال وآكام وجبال ، حتـــى وصلنا الى الابريقين ، وهي كناية عن جبلين مفترقين ، احدهما رمل صاعد ، والآخر من وعر وجلامد ، وبينهما تدق الطبول الحربية ، لنصرة خير البرية ، فيسمعها من كان أهلا للسماع ، ويحجب أهل الزيغ والابتداع

ثم دخلنا قرية بدر وحنين ، التي حماها الله من كل شين ، وبها جسر طويل ، وعيون تجري من حدائق ونخيل ، وبها مسجد العريش ، وقيـــل مسجد الغمام ، وموضع حوض المصطفى عليه السلام ، ومحـــل النصـــرة بجيوش الاسلام ، على أهل الانصاب والازلام ، وهي الغزوة العظيمة المقدار ، التي شاهت وجوه الكفار ، فيالها من غزوة قاتلت فيها الملائك ، وضاقت بها على أعداء الدين المسالك ، واخزى الله أهل الشرك والغواية ، واستشهد من المسلمين من سبقت لهالعناية ، وخرج فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للجهاد ، وقتل فيها أبو جهل راس اهل العناد ، فبلغت الشهداء من السعادة أوفر نصيب ، وقبلت اعداء الله فى القليب ، ووجدوا ما وعدهم ربهم من العذاب الاليم ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

يا أهل بدر لقد طابت مئاثركـــم	وقد علا قدركم فى ارفع الـــدرج
فزتم بغفران اوزار وحسن ثنـــى	على الذي نشره من أطيب الارج
يكفيكم فى علاكم قول مادحكـــم	هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

فيالها من ليئة بتنا بها ، وقد اشرق بدرها ، وسما قدرها ، اذهبت عن العيون الهجوع ، لاشتغالها بروية القناديل والشموع ، فاما الشموع فقـــد

ملأت الارجاء بالنور ، ومحت بضوئها ظلام الديجور ، وقد دقت طبول الافراح، وزالت عن القلوب الاتراح ، واحضر السكر والماء ، واذيب فى الماء للوارد وملئت به « البواطي » والقلل ، وسقي به جميع الطوائف واهل العمل ، فشرب كل منهم أوفر نصيب ، فكانت ليلة من صفائحها أقصر من جلسة الخطيـــب ، وقضينا الاوطار من مشاهدها المبتهجة ، ومدة السير اليها ثمان ساعات واثنى عشر درجة .

قاع الفروة ـ جبل القرود ـ وودان :

ثم سرنا من بدر الى قاع الفروة ، وتسمى طرق النحجار ، ثم الى عابر وجبل القرود ومكان يسمى ودان

سبيل محسن :

ثم نزلنا بسبيل محسن المشهور ، وتنزهنا فى خضرة أعشابه وسوحه المطور .

قد شكـــا لي بعض المحبين يومـــا ظمأ الماء قلت ذا غيـــر ممكـــن
كيف تشكو الظما وتجزع عنـــه وبهذا السبيل احسن محســـن

ومدة السير اليه ثمانية عشر من الساعات ، وعشرون درجة محررة بالميقـــــات

بستان القاضى رابع

ثم سرنا الى بستان القاضي ، ونسينا بقرب الديار تعب السيـــر الماضي

رابـــغ :

ثم نزلنا برابغ محل الميقات ، وتجردنا من المخيط بصدق النيـــات ، واحرمنا بالعمرة والحج ، عملا بقول العج والثج ، واعلنا بالتلبية لعـــلام الغيوب ، وسألنا الله تعالى غفران الذنوب .

ذى الجحفة :

ورأينا حفائر ماء تنبع ، ومزارع بطيخ ، ومسجدا قديم الاثر ، ويسمى بذى الجحفة كما ورد فى الخبر ، وهو محل احرام المصطفى ، زاده الله رفعة وشرفا

تجردت لما ان وصلت لرابـــغ   ولبيت للمولى كما حصل النـــدا
وقلت الهي عند لي الفوز بالقنـــا   واني فقير قد أتيـــت مجـــردا

ومدة المسير اليها ستة عشر تمام ، وعشر من الدرج ثابتة الاحكام

الجرينات :

ثم سرنا الى الجرينات ، ونزلنا بطـارق قـديـد ، الـذي لا يحل في حرمه للمحرم الصيد ، وارجاؤه واسعة المجال ، كثيرة الوعر والرمال ، الا انها تبشر بقرب البلاد ، وهي مواطن الامجاد

قد نزلنـــا بطـــارق لقديـــد   ودخلنا حماك نرجـــوا الحمايـــة
فتفضل على عبيـــد وفـــود   منك يرجوا دفع العنا بالعنايـــة

ومدة السير اليها سبعة عشر من الساعات ، محررة بالميقات

عقبة السويق :

ثم سرنا الى عقبة السويق ، وهي عقبة عالية الرمال فى الطريق .

خليص والديه :

ثم منها الى خليص الشهيرة ، وبها فسقية من الماء كبيرة ، ومنها الى الديسة ، ويحترز فيها من اللصوص أصحاب النفوس الخسيسة

مدرج عثمان :

ثم خرجنا من مدرج عثمان ، الى قرية عسفان ، وبها البئر التي تفـل فيها خير البشر ، وهي بئر من شرب من مائها زال عنه الضرر .

ان عسفانا تسامت رفعة — وعلت قدرا على كل القرا
وبها بئر النبي المصطفى — خير من صام وصلى وقرا
فاذا جئت لها كن محسنا — فعسى تحسب من أهل القرا

جبل العميان :

ومدة المسير اليها « دز » (1) فى العدد معلومة فى المدد .

ثم سرنا منها الى جبل العميان ، الذي تجتمع فيه الفقراء بقصد الاحسان ، نزلنا بالوادي ، وهو نهاية البوادي وهو واد خصيب ، يرى فيه طالب النزهة اوفى نصيب ، اغصانه زاهية ، وقطوفه دانية ، واطياره ناطقة وجداوله دافقة ، ومزارعه تنبت من كل زوج بهيج ، ويفوح من ازهارها كل عرق اريج ، وهي زائدة الابتهاج ، وعلى كل حديقة سياج ، فلورآه مصري من الناس ، قصى الروضة والمقياس (2) ، وبها عشش تسكنها البوادي، وبارضه ينبت شجر الكادي .

يا حبذا واد فسيح الفضا — أريجه قد عطر النادي
كم فيه من باغية (قد) زكت (3) — وفيه زهر الفل والكادي
وكم ثمار وزروع به — والماء فيه ينعش الصادي
قلت لخلي حين شاهدته — ولاح لي نور السنا بادي
هل دارنا هذي تدانت لنا — فقال لي انك بالوادي

ووصوله خمسة عشرة ساعة فى المسير ، وخمس من الدرج بالتحرير .

الخوجى

ثم سرنا الى سبيل الخوجي المعروف ، ورأينا جنان مكة دانية القطوف ثم مررنا بناجد ميمونة ، وقد اقترن سماء سموها كوكب الثريا بالزهرة ، ولاحت لنا اعلام الديار ، ومشاهد المشاعر والاثار

ثنية كدا :

ووصلنا ثنية كدا ، وبعدها المقلي التي بها مشاهد الهدى ، وكنا عند خروجنا من عدم الوصول خائفين ، حتى تلقت هواتف البشائر بقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين

---

1) دز 11
2) مكانين بمصر القاهرة
3) كذا فى الاصل

باب السلام :

فدخلنا من باب السلام ، وشاهدنا البيت والمقام ، وطفنا طواف القدوم، وذهبت عنا الهموم وجئنا الى محل الصفا ، وسعينا فى طلب الوفا ، ولما تم سعينا والطواف ، وحفتنا من عناية الله الالطاف ، اقمنا بمكة بالاحرام، الى سابع ذي الحجة الحرام

ذكر دخولنا لمكة المشرفة زادها الله شرفا وتعظيما

ولما بلغنا مكة المشرفة ودخلنا البيت الحرام ، واستعملنا طواف القدوم والسعي بين الصفا والمروة ، واكترينا بيتا نزلناه الى ان توجهنا لاقامة مناسك الحج ، ونزلنا منى ثم المزدلفة ثم عرفة ، وعدنا للمشعر الحرام واقمنا بمنى الى أن حللنا من الحج بطواف الافاضة ، واحرمنا بالعمرة واقمنا بمكة

المعتزلى وأبو القاسم :

فكنت اجتمع ببعض السادات من فقهائها نتذاكر معهم اذ جلس معنا عشية يوم رجل اعمى صاحب وجاهة متجمل بزي الفقهاء لسانه بالعربية فيه لكنة فابتدأ كلامه بعد السلام بالسؤال عن دفتر كان بينهم ، فقيل له انه « نقاية السيوطي فى التوحيد » ، فاخذ الدفتر وفتحه وقال : الله اكبر لله الحمد ، ما جئت الا بسبب هذا اباحثكم عن مسائل خطرت ببالي يا اخواني . ما معنى الله ؟

فقالوا : علم على الذات الواجب الوجود ، الى آخر ما يقال فى ذلك . فقال : وما معنى العلم ؟

فاجيب عنه الى ان ظهر من فحوى كلامه انه يريد البحث فى اثبات الصفات ، فشممت منه رائحة الاعتزال والمقصود منه ردها وانكارها دون القوم ، وعرفتهم بمراده فاستيقظوا له واجابوه بالرد ، واقاموا عليه حجج اهل السنة .

فالتفت الى وقال : ومالك انت لم تتكلم بما ظهر لك فيما قلت وما قالوه قلت : وما عسى ان اقول لو كنت من اهل السنة لكفاك ماسمعت واعتمدته فى دينك ، ومخالفتك فى هذا تدل على سوء اعتقادك ، وقلت انتظرني حتى

آتيك بما أجاب به امام أهل السنة ، وقامع أهل البدعة ، واتيته من البيت بجواب الشيخ ابي سالم العياشي بنصه فى المسألة ، وهو قوله لمعتزلي اجتمع به بالمدينة المشرفة وكان من أعلام الروافض ما نصه . نحن أهل السنة والجماعة نجعل معتمدنا فى العقائد الدينية الادلة النقلية من الكتاب والسنة الموافقة للادلة العقلية ، ونرد من خالفنا للكتاب والسنة من مقتضيات المفهوم والاراء ، ونقدم راي صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم وفهمه ، وراي السلف الصالح وفهمهم على رأينا وافهامنا وسهمها وانتم بالعكس تحكمون عقولكم واوهامكم ، فتحملون الادلة الشرعية كلها المقطوع بها على ما يوافق هواءكم وآراءكم فتبصرون المتبوع تابعا والتابع متبوعا فشتان ما بين من يحكم الكتاب والسنة على عقله ورايه ، ويرد ما خالفهما اليهما بتاويل تشهد له اللغة ولا ينفعه العقل وبين من يحكم عقله ورايه فيحمل عليهما الكتاب والسنة بتكلف وتعسف ، ويتخذ الهه هواه ، ومعبوده موهومه .

فلما سمع ذلك وكأنما القم بحجر ، قال : سأنظر ، وقام فلم يعد الينا قبح الله أهل البدع والحمد لله الذي طهّر مغربنا منهم فلا تجد لهم به منهم من ينسب لذلك ولا من يتعاطى مذاهبهم الفاسدة من جميع فرقهم الضالة قاتلهم الله انى يوفكون .

هذه احدى المسائل التي فضل بها المغرب المشرق والثانية هذه المناصب الدينية من القضاء والفتوى والتدريس والامامة والتوريق والخطابة والشهادة لا تباع ولا تشترى كعادة أهل المشرق وكلهم ببلاد الروم والشام والعراق ومصر والحرمين فانها تباع فاذا مات صاحب خطة يشتريها من الولاة غيره على أي حال كان ، وما رأيت قاض ببلد من هذه الاقاليم كلها يقارب ما يشبه أن يكون شرعيا ومدار احكامهم على الرشا وقبض المال فى الحق والباطل وينقض الحكم فى الامر الواحد مرارا ولا حياء ولا من يرده عن هواه.

القاضى الذى اظهر العدل قتل بالمدينة وهرب للحجرة

وقد حدثني الشيخ عبد الله اليمني بالمدينة المنورة عن بعض القضاة فى القديم انه اتى من الاصطنبول عام خمسين ومائة (1) والف ايام السلطان سليمان العثماني للمدينة وكان سلطان الحرمين اذ ذاك السلطان سعد الشريف النمي امامي المذهب كاهل بيته واظهر هذا القاضي من العدل ما لم

---

1) الاصل مائتين والف ولعله خطأ من الناسخ اذ الكتاب الف وكان الفراغ منه في متم ذي الحجة 1233

يظهر من احد قبله وضرب على أيدي الولاة فيما يرتكبون من الظلم وابطل جميع ظلاماتهم فثقلت عليهم وطاته وبلغ خبره للسلطان سعد

ولما قدم سعد من بعض حركاته اليها ، وجه له في أمر فمنعه ولـــم يوافق عليه وقابله بما هو الحق ولم يبال بمقامه من الملك ، فلم يمكنـــه الا استعمال الحيلة في الاراحة منه ، فرصدوه يوما عند صلاة الفجر وكان ياتي للصلاة بالمسجد النبوي راكبا على فرسه ، ولما قرب من باب المسجد قام له رجل وضربه بجنبيه وفر

ولما احس القاضي بالضربة ركض على فرسه الى أن دخل المسجد النبوي على فرسه ، وبلغ الى الحجرة النبوية وتعلق بشباك الحجرة وقبض بيده ، الى ان خرجت روحه رحمه الله ، وقام السلطان سعد فاظهـــر التأسف والتوجع ، وزعم انه لا علم له بذلك ولو علم به لقتله ثم ظهر خبره بمكة أو جدة ، فعلم الناس انه لا يقدر ان يفعل هذا العظيم الا باذنه ، وانه لا يخفى عليه امره فأي قاض بعد هذا يقدر على اظهار الحق وتغيير المنكـــر والضرب على أيدي الولاة الطغاة الجبابرة

وفي ذلك قيل :

ان جئت ارضا اهلهـــا كلـــهم عـــور فغمض عينـــك الواحـــدة

تأليف الذهب المسبوك في عدل عظماء الملوك :

ثم قال : فانظر يا اخي لهؤلاء الامراء وفعلهم في حرم الله وحرم رسوله مع عدل عبده الدال على كفرهم واطلعني على ترجمة كسرى انو شروان في تأليف « الذهب المسبوك في عدل عظماء الملوك » . ونصه :

قال : لما تمهد الملك لكسرى ملك الفرس ، وفتح بلاد العجم وغلب ملوكها ودانوا لحكمه قصد بلاد الروم وفتح الجزيرة واذربيجان ، وحاصر المدينة العظمى وهي « آمد » فامتنعت عليه بحصانتها وضخامة اسوارها وعمق خنادقها ، وقصد حلب فحاصرها الى أن فتحها ، وقتل اميرها ، ثم قصد حمص فغلب عليها وقتل ملكها ابن اخت قيصر ملك الروم ، ثم فتح دمشق وانهزمت الروم من الشام ، وفتح مدنه وقصد المدينة العظمى انطاكيـــة فحاصرها الى ان دخلها عنوة ، وقتل المقاتلة وشرع في هدمها ، فجـــاء تجارها وأهل الدفاع والاصول يتظلمون اليه

ولما وقفوا بين يديه قال ما شأنكم ، قالوا يا ملك الزمان المشهور بالعدل والاحسان ما هذا الذي شرعت فيه من هدم الاسوار التي هي حصن لاموالنا واولادنا فلا مقام لنا بدونها ، فاخر هدمها الى ان نحمل بضائعنا واولادنا ، فقال اني أقسمت ان لا أدع بها حجرة على حجرة ، ولكم علي ان ابني لكل واحد منكم دارا مثل داره واصلا مثل اصله حيثما اردتم ببلادي قالوا لا حاجة لنا ببلادك فلا يلتئم طبع الروم والفرس فان كان ولابد من خروجنا عن وطننا فنتوجه الى ابناء جنسنا ونركب البحر الى القسطنطينية، أو رومية ، فقال اما سفركم للقسطنطينية فلا ، لانها ان شاء الله فى سهمي ولا احب ان افجعكم مرتين ، واما رومية فان اردتموها لكم على ثمن املاككم ورباعكم ، فقدموها وارفعوا لي حسابها ، وان اردتم المقام فلكم النصفة ابر قسمي بهدم السور وابني لكم ما هو اوثق واعظم منه ولا أكلفكم بعطاء ما تعطيه رعيتي فرضوا بالمقام والدعة ؟!

ولما كمل هدم سور المدينة امر بتجديده على كيفية عجيبة واشكال غريبة ، جعل مساكن الجند فى جوف السور حتى لا يزاحمون اهل المدينة فيها على شيء لم يكن فى مدينة غيرها

ولما غلب الفرس الروم خاف قيصر ملك الروم من كسرى ووجه رسوله من القسطنيطية يطلب مهادنته ووجه له مع الرسول هدية وامره أن يختبر حال كسرى فى بلاده ورعيته وسيرته ومقدار جنوده ، ولما كان يوم اللقاء جلس كسرى فى « الاسواق » (1) الجديد الذي بناه بالمدائن ، ونصب الكراسي للامراء والوزراء بمجلسه ، ووقف الملوك فى خدمته واصطفت العساكر يمينا وشمالا من باب قصره الى باب المدائن ، وامر بحضور الرسول يخترق السماطين والحجاب بين يديه الى ان بلغ باب القصر ، فاستؤذن عليه ، وخرج الاذن بدخوله فتقدم ودخل القصر ، فوجد ملوك الاقاليم قائمين على أقدامهم فى خدمته ، والوزراء والكتاب على كراسيهم بين يديه ، والغلمان واقفون بملابس الخز ومناطق الذهب مقرطي الاذان بحلق الذهب فيها الدر والياقوت كأن على رؤوسهم الطير ، وكسرى على سريره والتاج معلق على راسه يدهش كل من قابله ويخضع كل من شاهده

---

1) كذا فى الاصل ، نسخة الخزانة العامة

عدل كسرى أنو شروان :

ولما وقف بين يديه وادى رسالته ودفع هديته ، امر احد مماليكه ان يطوف به فى القصر حتى يشاهده كله ، فطاف به المملوك الى ان اوقف بمحل بارز فى زاوية القصر ، فقال للترجمان ما سبب هذا الاعوجاج فى هذه الزاوية الذي افسد منظرها فقال ذاك بيت لعجوز امتنعت من بيعه لما اراد الملك عمارة القصر فراودوها على بيعه فامتنعت ؟؟؟

فقال الملك : لاتكرهوها على البيع ، وابنوا حائطا معوجا ويبقى بيتها فى محله، فقال الرسول : هذا الذي فعل ملك الزمان، لم يؤرخ فى ديوان ، ولا فعله من مضى ولا من ياتي ، وكيف لا يقهر الملوك « العواتي » (1) ، فلما اخبر المملوك كسرى بمقالة الرسول تهلل وجهه واعطاه غاية الامل والسول ، ورد الرسول بما طلب قيصر من السلم على حمل الخراج ، عند راس الحمل من الابراج ، وكان استيلاء كسرى على ارض الروم فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وقد افتخر صلى الله عليه وسلم بقوله : « ولدت فى زمن الملك العادل كسرى انو شروان » وفى غلب الفرس للروم يدل قوله تعالى « الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون » وحمل كسرى من بلاد الشام انواع الرخام والمرمر ، وهو الذي بنى مدينة رومية العظمى ، لما غلب الروم وضرب عليهم الجزية والخراج ، وخافته ملوك الارض وحملوا له الهدايا والخراج

ولما بنى الايوان واكمله تزوج « بشاه روز » ابنة خاقان ملك الترك وحملت اليه ولم يكن فى زمنها اكمل منها محاسنا ولا ابدع صورة وشكلا

ضخامة ملك كسرى :

ولما عظم امره كتب اليه ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذي فى ساحة قصره نهران يسقيان العود والكافور الذي يوجد ريح قصره من فرسخين ، وتخدمه بنات ملك والذي في مربطه الف فيل ابيض الى أخيه كسرى انو شروان ملك الفرس ومع الرسالة هدية فيها فارس وفرسه من الدر المضود وعيناه وعينا فرسه من الياقوت الاحمر وثوب من الحرير الصيني فيه صورة الملك كسرى وهو جالس على كرسيه فى

---

1) كذا فى الاصل على طريقة ابى القاسم وسجعه

ثيابه والتاج على راسه والملوك فى خدمته والحراب بأيديهم المدبات المصورة المنسوجة بالذهب فى أرض لازوودية فى صندوق من ذهب مرصع بانواع اليواقيت الفاخرة التي لا قيمة لها واهدى اليه جارية خطابية تغيب فى شعرها الحالك ان اسبلته تتلألأ جمالا وبهاء وكمالا وغير ذلك من طرف الصين وأعاجيبه .

هدية ملك الهند لكسرى :

وكتب اليه ملك الهند وعظيم اراكية الشرق صاحب قصر الذهب والزمرد والياقوت والزبرجد ، الذي أبواب قصره من الزمرد الذبابي ، الى اخيه كسرى انو شروان ملك فارس ، ومع الرسالة هدية فيها الف مد من العود الهندي الذي يذوب فى النار كالشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع ، فتبين فيه الكتابة ، وجاما من الياقوت البرهمان يفتح شبرا فى شبر ، سمكه اصبعين ، واربعين درة يتيمة ، كل درة تزيد على ثلاثة مثاقيل، وعشرة امنان كافور كالفستق ، وجارية طولها عشرة اشبار الى صدرها ، وخمسة اشبار الى فرقها ، تضرب اهداب عينيها على خديها ، فكأن بين اجفانها لمعان البرق ، من بياض مقلتيها وسوادهما مع صفاء لونها ودقة تخاطيطها واتقان شكلها ، مقرونة الحاجبين

شجر الكادى افضل انواع الطيب :

وكان كتابه فى لحاء شجر الكادي والكتابة بالذهب ، وهذا الشجر يكون بأرض الصين والهند وهو نوع من نبات الطيب عجيب ، ذو لون أبيض كالفضة ، مصقول كالمرآة ينطوي كالورق ولا يتكسر ، وريحه اعطر من كل طيب يوجد ؟

وكتب اليه ملك « التنبت » ووجه رسوله بهدية فيها من عجائب بلاده مائة جوشن تنبتية ، ومائة قطعة تخافيف كالبرانيس كل واحدة منها تستر الفارس ومائة ترس تنبتية لا تعمل فى هذه الاتراس والجواسن والتخافيف عوامل الرماح ولا بواتر الصفاح ولا شدائد نصول (1) الجراح ، وزنة كل قطعة من هذه المذكورة ما بين اربعين درهما الى ستين ، وأهدى اليه اربعة آلاف من المسك التنبتي وتسعين غزالا من غزلان المسك فى الحياة،

---

1) كذا) الاصل ويقصد نصال .

ومائدة عظيمة من الذهب الاحمر ، مرصعة بأنواع الدر والجوهر ، يـــدور حولها نحو من ثلاثين رجلا فقد كتب على حافاتها اشهى ما اكله الآكـل مـن حله وجاد على ذوي الفاقة من فضله ، ما اكلته وانت تشتهيه فقد اكلته ، وما اكلته وانت لا تشتهيه فقد اكلك .

خواتم كسرى الاربعة وما كتب على كل واحد :

وكان لكسرى خواتم اربعة ، للخراج فصه ياقوت احمر يتقد كالنار نقشه العدل العدل ، وخاتم الضياع فصه فيروزج نقشه العمارة العمارة ، وخاتم للضرب والعقوبات نقشه التاني التاني ، وخاتم للبريد والرسل فصه درة بيضاء نقشه العجل ، وكان له مائدة من المغنين اهداها له قيصر ملك الروم ، فتحها ثلاثة اذرع على ثلاثة قوائم من الذهب ، مفصلة بانـــواع الجواهر ، احد الارجل الثلاثة اسد وكفه والاخرى ساق وعل وظلفه ، والثالث كف عقاب ومخلبه فيها ثلاثون جاما من الجزع اليماني فتح كل واحد شبر في شبر وكان عنده عشرة الآف درة ، زنة كل واحدة منها ثلاثة مثاقيل، وكان يقول خير الكنوز معروف اودعته الاحرار ، وعلم تتوارثه الاعقاب ، واطول الناس عمرا من كثر علمه فانتفع به من بعده ، وكان لكسرى عشرة الاف غلام من الترك واجناسهم ، في نهاية الحسن والجمال ، واستقامـــة الصور والتخطيط في آذانهم قرط الذهب الاحمر ، فيها الدر والياقوت معلق ولباسهم اقبية للديباج المدني على عشرة اصناف ، كل صنف منها على قد واحد وزق واحد من ملابس الديباج ، ولا يزالون اذا جلس على سريره قائمين امامه ، واذا التحا احدهم او مات اتي بغيره مكانه في الوقـــت وفي الحين ، وكان على مربطه تسعة آلاف فيل منها الفان وسبعمائة اشـــد بياضا من الثلج ، ومنها ما ارتفاعه اربعون شبرا ، مات منها فيل فوزن احد نابيه مائتان واربعون بالبغدادي .

وهذا طرف من ضخامة كسرى وعدله ، وهو اخر من ملك من طغاتهم ولم يبق بعده الا الذين تهافتوا على الملك واشتغلوا بالحروب فكان ذلك من الله امتحانا لهم وسببا لخراب ملكهم عادة الله في خلقه وقد كان قبله من ملوكهم من هو أعظم منه واطول عمرا .

ملك الدنيا أربعة :

فمن اراد استقصاء دولتهم فليطالع تاليف « الذهب المسبوك في عدل عظماء الملوك » ومثل هذا في العدل ما حكاه الامام العلامة ابو الفرج ابـــن

الجوزي ، فى تاريخه قال ملك الدنيا أربعة ، مؤمنان وكافران فالمؤمنـــان الاسكندر ذو القرنين الذي قيل بنبوته ، وكان وزيره الخضر عليه السلام وكان يتبع السبب،وهو جبل من نور بين يديه ملك اسمه رفائيل،قاله ابن هشام ونقله السهيلي فى روض الالف ، وهذا الاسكندر الحميري المذكور فى القرآن كان فى زمن ابراهيم عليه السلام وقد تحاكم اليه ابراهيم عليه السلام فى بئر فحكم له ، وكان الاسكندر على دينه وملته واليه كان يدعو الناس فى المشارق والمغارب ، والثاني نبي الله سليمان عليه السلام ، الذي سخر الله له الجن والانس والشياطين والوحش والطير والريح واستولى على اكثر الدنيا حسبما قص الله فى كتابه .

وهذه صفة كرسيه الذي صنع له الجن وكان على صورة مهولة مفزعة، بحيث اذا رآه مبطل أو شاهد زور دهش وارتعد وارتدع ، وكان حوله الف كرسي من ذهب مرصعة باليواقيت والجواهر فيجلس عليهـا عظمـاء بنـي اسرائيل واحبارهم ، ثم ياتي الناس فيجلسون ناحية ، وياتي اشراف الجن فيجلسون ناحية ، ثم يدعو الطير فتظللهم ، ثم يدعو الريح فتقلهم وتسيـر مسيرة شهر غدوا ، ومسيرة شهر رواحا ، وكان هذا الكرسي مصنوعا من عظم الفيل ، مرصعا بالدر والياقوت والزبرجد محفوفا بأربع نخلات من ذهب، شماريخها من الزبرجد الاخضر ، وثمارها من الياقوت الاحمر ، علـى راس نخلتين منها طاووس من ذهب ، وعلى راس نخلتين نسرين من ذهب ومن جانب الكرسي اسدين من ذهب ، وعلى راس كل واحد عمود من زبرجد اخضر وقد عقدوا على راس النخلات الثمار كروم من الذهب ، واتخذوا عناقيدها من الياقوت الاحمر ، بحيث اظل عريش الكرم النخلات والكرسي ، فاذا أراد صعوده ووضع رجله على الدرجة الاولى استدار الكرسي بجميع ما عليـه كالارحى المسرعة وتبسط الاسدان ايديهما ، ويضربان الارض باذنيهما وتنشر الاطيار اجنحتها ، فاذا جلس على الكرسي اخذ النسران تاج سليمان فوضعاه على راسه ، ويطلق الطاووسان المسك والعنبر من افواههما عليه ، وتناوله حمامة قائمة على عمود من ذهب التوراة ، فيقرؤهـا على الناس ويدعوهـم لفصل القضايا فلا يتكلم مبطل ، ولا شاهد زور الا بالحق ، فزعا مما يراه ، فاذا فرغ من فصل القضايا نزل وهكذا كان شأنه كل يوم الى أن مات عليه السلام فانظر الى هذا الملك العظيم الذي لا ينبغي لاحد من بعده ومع ذلك كله فقد ذكر القشيري ان سليمانا طلب ربه ليأذن له فى ضيافة الحيوانات كلها يوما فاذن له ، واشتغل بجمع ما يحتاجه للضيافة مدة طويلة ، ولمـا اكمل غرضه امر بجمع الحيوانات كلها فحضرت فبعث الله له حوتا عظيما

خرج من البحر فاكل كل ما جمعه سليمان فى تلك المدة الطويلة واستزاده ، فقال له سليمان لم يبق عندي شيء وانت تاكل كل يوم مثل هذا قال : رزقي كل يوم ثلاثة أضعاف هذا ، ولكن الله لم يطعمني اليوم الا ما اطعمتني ، فليتك تضفني فاني بقيت حيث كنت ضيفك فانظر الى كمال قدرة الله وعظيم سلطانه ، واما التاج والمائدة فقد ذكر بعض المؤرخين انه لما غلب ملك الروم على ملك بني اسرائيل وقصد بيت المقدس اخذهما ملك الروم وكان يتداولهما ملوكهم الى أن بلغ التاج والمائدة لملوك الجلاقة بطليطلة .

وبعد ما فتح طارق الاندلس وبلغ طليطلة ، دفعهما له خليفة « لزريق » المقتول فى وقعة طارق ، ولما قدم موسى بن نصير للاندلس أخذهما معه للشام، فقومت المائدة والتاج بما عليهما من الياقوت والزمرد والجواهر بأربعمائة الف دينار ، والكافران : كسرى انو شروان الذي تقدم ذكره والاسكندر اليوناني الذي كان تلميذ ارسطاطاليس الحكيم الذي كان قبل نبي الله عيسى عليه السلام ، وغلب الروم والقبط والفرس وجال فى اكثر الدنيا فى مدة من ستة عشرة سنة وملك اكثرها وقهر ملوكها وبلغ الى الاندلس وهو الذي حفر البوغاز الذي بين طنجة وسبتة ، وطريفة والخزيرات وفتح البحر الاعظم للبحر الاخضر ، ليأمن أهل الاندلس من عيث البربر أهل عدوة المغرب ورجع الى المشرق ، وهو الذي بنى دمشق والاسكندرية وملك مصر والشام والعراق وخراسان وارض التبت والهند والسند والصين ، وهو الذي دخل عليه المانكير ملك الصين متنكرا فى زي رسول وصالحه على بلاده ووردت عليه هدايا الملوك ورسلهم ، وبلغه ان بأقصى بلاد الهند ملكا عادلا من ملوكهم ذو حمكة وعدل وسياسة وديانة ، وقد اتى عليه مئون من السنين وهو قاهر لطبيعته مميت لشهوات نفسه يتجمل بكل خلق جميل ويتردى بكل فعل جليل فكتب اليه الاسكندر يقول :

اذا أتاك كتابي هذا فلا تقعد وان كنت ماشيا حتى تاتيني والا مزقت ملكك والحقتك بمن مضى .

فلما ورد الكتاب على ملك الهند كتب جواب الاسكندر بالطف جواب، واحسن خطاب ، لقبه بملك العادلين واخبره إنه قد اجتمع عنده اشياء لم تجتمع عند ملك غيره من ذلك ابنة لم تطلع الشمس على أحسن منها صورة ، ومنها فيلسوف يخبرك عن مرادك قبل أن تسأله . ومنها طبيب لا يخشى معه شيء من الادواء والامراض والعوارض الا ما يجيء من قبل الموت ، ومنها قدح اذا ملأته شرب منه عسكرك جميعه ولم ينقص من القدح شيء وأنا مهد جميع ذلك لملك الملوك وصائر اليه .

قال فلما قرأ الاسكندر جوابه ، وعرف خطابه ، وسمع بذكر هــذه الاشياء قلق اليها قلقا عظيما وأرسل اليه جماعة من الحكماء ان يشخصوه اليه ان كان كاذبا وان يخبروه فى المقال ان كان صادقا ، ويأتوه بهذه الاربعة اشياء المذكورة ، فمضى القوم الى ملك الهند فتلقاهم احسن لقاء ، وانزلهم احسن منزل ، واكرمهم غاية الاكرام ، واقاموا ثلاثة أيام ، وفى الرابع جلس لهم مجلسا خاصا واقبل على الحكماء وباحثهم فى اصول الحكمة والفلسفة والعلم الالهي والمبادىءالاول حتى ملأ صدورهم من العلوم والحكمة ، ثم أخرج اليهم ابنته فبرزت عليهم فلم تقع عين واحد منهم على عضو من اعضائها فتعدته الى غيره من الاعضاء ، اشغل بصره فى التأمل فى ذلك العضو وحسن تخطيطه واتقان صنعته ، فاخافوا على عقولهم الزوال ثم رجعوا الى عقولهم عنــد سترها عنهم ، وقد دهشوا ، ولما استراحوا اكرمهم واجازهم ووجه معهم ابنته فى محفتها فى جملة من جواريها ومعها الفيلسوف والطبيب والقدح ، وصار معهم مسافة من ارضه وودعهم ورجع .

ولما بلغــوا الاسكنــدر انــزل الفيلسوف والطبيب فى دار الضيافــة والاكرام وادخل الجارية الى قصره فلما شاهدها طاش عقله عند رؤيتــها وشغف بها شغفا سلب لبه وفضح حبه ، وكان الاسكندر اذ ذاك ابن خمس وعشرين سنة ، وكان من أحسن الناس خلقا وخلقا ، وأكثر الملوك انصافا وعدلا ، واغزر الناس معرفة وحكمة ، واعظم الملوك هيبة وصيتا ، فأمر قيمة قصره باكرامها واحترامها وتعظيمها وتقديمها على سائر حرمه ومــن فى قصره ، ثم اخبره الحكماء بما جرى بينهم وبين ملك الهند من المباحــث فأعجب الاسكندر به وامتحن القدح بأن ملأه ماء فشرب منه جميع عسكره ولم ينقص منه شيء ، ووجه فى الحال للفيلسوف يمتحنه فيما قيل عنه باناء من السمن مملق بحيث لا يمكن ان يزاد فيه شيء ، وقال للرسول ســر به الى الفيلسوف وضعه بين يديه ولا تخبره بشيء اصلا ، فلما وصله وضع الاناء بين يديه ووقف ولم يكلمه فأخذه الفيلسوف بيده ونظره وتأملــه ونقده ببصره واخذ ابرا صغارا وغرزها فى السمن حتى صار وجه السمن كالقنفد ووجهها الى الاسكندر

فلما راها الاسكندر ووقف عليها حرك رأسه ثم امر بقلع الابر مــن السمن ودفعها لمن صيغها كورة واحدة من حديــد ووجهها الى الفيلسوف، فلما وقف عليها الفيلسوف صيرها مبسوطة وصقلها حتى صارت مــرآة لماعة ترى فيها صورة من واجهها من الاشخاص ، لشــدة تلألئها وصفائهــا وزوال درنهــا ، وامــر بردهــا الى الاسكندر ، فجعلهــا الاسكنــدر فــي

طست فيه ماء وردها الى الفيلسوف ، فلما نظر اليها الفيلسوف صيرها كورة مقعرة فارغة البطن خفيفة فطفت على الماء ووجهها للاسكندر ، فلما رآها الاسكندر ثقبها وملأها ترابا وردها الى الفيلسوف ، فلما رآها الفيلسوف تغير لونه ودمعت عيناه ، وردها الى الاسكندر على حالها من غير ان يحدث فى التراب حدثا ؟؟

قال فلما كان من الغد ، جلس الاسكندر جلوسا خاصا وامر باحضار الفيلسوف ، فلما أقبل نحو الاسكندر ، رآه الاسكندر شابا حسنا كأحسن الناس فتعجب من حسنه وهيئته، فوضع الفيلسوف أصبعه على أنفه وتقدم اليه ، فأشار له الاسكندر بالجلوس على كرسي وضعه له بين يديه ، فجلس بحيث امره ، فقال له الاسكندر : ما بالك لما نظرت اليك جعلت اصبعك على انفك

فقال : ايها الملك المعظم ، دام لك الملك والنعم،لما نظرت الي استحسنت صورتي وقلت فى خاطرك هل حكمة هذا الشاب على قدر صورته فوضعت اصبعي على انفي اخبر الملك انه ليس فى الهند مثلي ؟!

فقال الاسكندر : صدقت قد خطر هذا بخاطري .

ثم قال له الاسكندر : فحدثني بما كان بيني وبينك فى الرسائل .

فقال : أيها الملك ارسلت الي باناء مملوء من سمن بحيث لا يمكن ان يزاد فيه تخبرني انك امتلأت من الحكم ولا يمكن ان يزاد على حكمتك شيء ، فأخبرتك أن عندي من دقائق الحكم ولطائفها ما ينفذ فى حكمتك كما نفذت الابر فى السمن ؟؟

ثم قال : ارسلت بالابر بعد ان صيرتها كورة ، فاخبرتني ان نفسك قد علاها من وسخ الصدأ بقتل الاعداء وسفك الدماء ما قد علا هذه الكورة ، فأخبرتك ان عندي من الحيلة واللطافة ما يجعل نفسك مثل صفاء هذه المرآة حتى تشرق على الموجودات

ثم اعلمتني بالطست والماء ان الايام والليالي قد قصرت عن ذلك، فأخبرتك اني سأعمل الحيلة الى ايصالك الى العلم الكثير فى العمر القصير ، كما شرفت الحديد الذي من طبعه الرسوب فى الماء الى ان طفا على وجه الماء.

ثم ثقبت القعر وملأته ترابا تخبر بالموت والقبر فلم احدث شيئا بعد ذلك مخبرا للملك أن لا حيلة فى الموت

فتعجب الاسكنــدر من حكمتــه وقال والله مــا خطر ببالــي ، ثـم امر له بخلعة وأموال كثيرة فابى من قبولها وقال :

عمر الاسكندر اليوناني ومدة ملكه 16 سنة :

ايها الملك اني راغب فيما يزيد فى عقلي ، فكيف ادخل على عقلي مـــا ينقصه ، أيها الملك احسن الى أهل الهند ولا تتعرض لهم ، فانعم له بذلك وسأله عن القدح الذي شرب منه العسكر ولم ينقص منه شيء فقال : انه قدح آدم عليه السلام مصنوع من انواع الخواص التي تخدمها روحانيتها ، وكان يتوارثه ملوك الهند الى أن بلغ اليك ، واحضر الطبيب حتى شاهد مـــن لطائف صناعته وعجائب علاجه وتلطفه فى ازالة الافات والامراض العارضة بما بهر عقله وازال همه واطلعه الطبيب على خواص كثيرة ، وبيـــن لـــه منافعها ومضارها وودعهما لبلادهما ، ورجع مغتبطا ببنت الملك الهندي .

وهذا الاسكندر اليوناني هو الذي قتل ملك الفرس وملك بـــلاده وعساكره ، وكتــب لمعلمــه ارسطــو يستشيــره فى امر الفرس ، فكتب له ارسطو يقول : وزع مماليكهم ، وكــل اقليــم عين له ملكه واعقد التـــاج على راسه وخاطبه بالملك ، فان من تسمى باسم الملك لا يذعن للاخر ولا تجمعهم على ملك واحد كما كانوا لتأمن شرهم ويرجع باسهم بينهم فان دنوت اليهم خافوك وان نأيت عنهم تعززوا بك ، فهذا رايي له والسلام ؟؟

فلما ورد عليه الكتاب فرق مماليكهم وعين فى كل اقليم ملكا وعقد التاج على راسه وسماه بالملك وصاروا ملوك الطوائف مدة من أربعمائة سنة برأي أرسطو ، الى ان جمعهــم ازدشيــر اكبــر ملوكهم ورجعت مملكتهــم لاصلها بعد المدة المذكورة

اقوال الحكماء :

ولما رجع الاسكندر من بلاد الهند الى العراق مات بشهرزور منه ، وعمره ست وثلاثون سنة ، مدة ملكه ست عشرة سنة ، جال فيها فى اكثر المعمور ، ولما مات جعل فى تابوت من ذهب ليوجهوه لامه بالاسكندرية ، واجتمع الناس لموته فقال حكيم الحكماء للحكماء : ليتكلم كل منهم بكلام يكون للخاصة عزاء ، وللعامة وعظا ، فقام الاول وقال : اصبح مستأسر الملوك اسيرا .

وقال الآخر : هذا الاسكندر كان يخبىء الذهب فصار فى خبا الذهب.
وقال الآخر : العجب كل العجب ان القوي غلب والضعيف مغتر
وقال الآخر قد كنت لنا واعظا ولا واعظ ابلغ من وفاتك
وقال آخر : رب هائب لا يقدر ان يذكرك سرا ، وهو الآن لا يخافك جهرا
وقال آخر يامن ضاقت عليه الارض فى الطول والعرض كيف حالك وانت فى قدر طولك منها
وقال آخر يا من كان غضبه الموت هلا غضبت على الموت
وقال آخر سيلحقك من سره موتك ، ويتمناك من فاته عدلك
وقال آخر : مالك لا تحرك عضوا وقد كنت زلزال الارض

ولما بلغ لامه بالاسكندرية قالت : لا يحضر عندي الا من لم يفقد محبوبا ولا فجع بموت خليل ، فلم يأتها احد ، فقالت ما للناس لم ياتوا، فقيل لها : ان كل الناس فقدوا احباءهم وعشائرهم وانت امرت بذلك ، فلما سمعت ذلك خف حزنها وتسلت

ما وقف عليه المؤلف من كتب التاريخ بمكة المشرفة :

ومما وقفت عليه بمكة المشرفة من الكتب الغريبة فى التاريخ ، من وقف السلطان قايتباي فى تمام السبعمائة جعله فى سبعين جزءا كل جزء فيه خبر عشرة اعوام ، وهو كتاب حافل ، جامع لم يدع فيه شاذة ولا فاذة مما تتشوق اليه النفوس من علم التاريخ الا أودعها فيه مع الاختصار فكانما جعلت له الدنيا فى صعيد واحد .

بنو الاربعين ولدوا فى بطن واحد :

ومما قيدته من بعض اجزائه قال : وفى أيام المامون ولدت امراة ببغداد شيئا بالجراب يتحرك ولما فتحته القابلة وجدت فيه اربعين ولدا كالاصابع وكلهم ذكور ، فرفع خبرها للمامون فأمر أن يجعل لها مراضع وعزلها فى دار واجرى عليهم النفقة الى أن أدركوا كلهم وجعلهم من جملة جنده ، وزوجهم وأعطاهم الدور بمحل واحد ، وكانوا يسمونهم ببني الاربعين .

ومنه في ترجمة قطب الدين العلوي وكان من ظرفاء وقته ، وكان يداعب بعض الطلبة في سماط العدول وهما يكتبان وثيقة فيها ذكر للخليفة فقال: نحن نحتاج الى خليفة جديد بالتصحيف فبلغت لاحمد الناصر، فقال : لايكفيه حليقة ولكن حليقتان وامر به فقيد وجعلت في عنقه حليقتان، وحمل فسجن بالكوفة واقام في سجنها الى أن مات الناصر ولما بويع الظاهر اطلقه .

ومنه في سنة 641 احدى واربعين وستمائة حجت ام المعتصم بالله من بغداد ، ولما بلغت المدائن عدت جمال الركب المتوجهة معها ، فكانت زيادة على مائة الف وعشرين الف جمل

ومنه في حوادث عام سبع وسبعين وستمائة ، وصل الى بغداد ابو منصور الاصبهاني وهو كهل صغير الخلقة جدا ، طوله ثلاثة اشبار وثلاثة اصابع ولحيته اكثر من شبر ، وحمل الى دار الخليفة فأنعم عليه الخليفة واهل الدولة والاكابر بما اغناه ، وفي السنة التي قبلها ولدت امراة ببغداد اربعة انفس في بطن واحد فطلبهم الخليفة حتى رآهم وتعجب منهم ، وامر لامهم بستمائة دينار .

ومنه في سنة ثمانين وستمائة ، اتى البريد من اليمن ان امراة ولدت عشرة اولاد في بطن واحد فسموهم بنو العشرة ، ومن غيره قال ابن شعبان في كتابه الزاهي ، قال شريك ، رايت بني اسماعيل اربعة ولدوا في بطن واحد وعاشوا ، وقال ابن عرفة سمعت من غير واحد ممن يوثق به ان بنوا العشرة الذين بسلا وتعرف دارهم بدار العشرة سبب بناء والدهم داره انه ولد له عشرة ذكور في حمل واحد فجعلهم في مائدة وحملها لامير المؤمنين يعقوب المنصور فاعطى كل واحد منهم الف دينار واقطع والدهم ارضا بوادي سلا فبنى داره بها ونقله ابن مرزوق فسلمه في شرح المختصر واعترضه ابن غازي بقوله وكانه لم يقف على ما في رسم ابي الحسن من تكلمة عبد المالك اذ قال تقول بعض الاغمار ان سبب الشهرة انهم كانوا اخوة توائم فسئل عن ذلك احد اعقابهم فقالوا جعلوا امنا خنزيرة تلد عشرة، حسبهم الله ، كلام ابن غازي قال في كتابه ومثل هذا الزعم يذكره بعض طلبة فاس ان بدرب الوادي من عدوة فاس ، دارا تعرف بدار العشرة وانهم كانوا عشرة ولدوا في بطن واحدة

ومنه قال بن جرير الكلبي : اخبرنا شيخنا ابن الحاج قال اخبرني عبد الله بن رشيد قال لاقيت بمكة نور الدين ابن الزجاج من علماء العراق ، ومعه ابن اخ له فتفاوضنا الحديث فقال لي : هلك في فتنته التتر ببغداد

والعراق اربعة وعشرون الف رجل من أهل العلم لم يبق منهم غيري وغير هذا واشار الى ابن اخيه .

ومنه قال : ان اكبر ملوك الدنيا خمسة ، واكبرهم ملك الترك المتوسط بينهم ، ملك الشام والعراق ومصر عن يمينه وملك الهند والسند عن شرقيه ، وملك الصين عن شماله ، وملك الروم عن غربيه ، وكلهم يهابونه ويكرمونه ويخافونه ، وهو عظيم القوة كثير الجنود ، عادل الاحكام ، وبلاده متوسطة بين هؤلاء الملوك وكان من أعظم ملوكهم علاء الدين طرمشرين ، وكان كافرا وتولى الملك بعد اخيه الملطي ، وكان كافرا أيضا ، وكان تولى الملك بعد اخيه كبك وكان كافرا لكنه عادلا فى أحكامه ويحب المسلمين ويعظمهم ، ويحكى عن هذا السلطان كبك انه اجتمع مع الفقيه الواعظ بنخشب من المدينة التي منها ابو تراب النخشبي الزاهدي وهو بدر الدين الميداني فقال له كبك ، انت الذي تقول ان الله ذكر كل شيء فى كتابه العزيز ، قال نعم قال اين ذكرني أنا واين اسمي فيه ، فقال له على البديهة «فى أي سورة ما شاء ركبك»، فأعجبه ذلك وفرح به وأكرم الفقيه وقال والله ان القرآن مليح وتخلص منه الفقيه بوجه مباح وسلم من شره ، وكان ذلك سببا لميله الى الاسلام .

وكان لهؤلاء ملوك التتر قبل اسلامهم كتاب الفه جدهم جنكيز خان ، فيه قواعد احكامهم ومدار شرائعهم اسمه « اليساق » من خالف ما فيه من احكامهم فخلعه واجب ومن جملة ما فيه الامر بالاجتماع يوما فى كل سنة ، ويسمونه الطوي معناه يوم الضيافة يحضر فيه اولاد جنكيز خان والامراء والعلماء والقضاة ويتكلمون على اعمال بلادهم . وما حدث فى الاقطار كلها ، فان اشتكى احد بنقص حكم من احكام « اليساق » خلعوا السلطان بسبب ذلك التبديل الواقع ، وان كان التبديل من عامل بلد او قاضي بلد ولم يكن من السلطان عزلوه وهذا فى كل عام يجتمعون له ، ويقع فى مخالفة حكم واحد ان كان الخلاف من السلطان وان كان من غيره ولا علم له به يأمر به يعزل مرتكبه من قاض او حاكم او عامل ، ولا يقع قتل الانسة ولا هرج ، وهذا امر أعجب ما سمع .

ولقد وقع هذا العزل لهذا السلطان طرمشيرين وبايعوا احد اقاربه وآل امره الى أن فر وقتل واستمروا على هذا العدل الى ان ملك هولاكوخان الذي قهر ملوك العجم وغلبهم ، وزاد لبلاد العرب وخرب بغداد وشهر زور ، مدن العراق وغيرها من اطراف الشام ، ورجع لبلاده فاختلف عليه التتر حين ابطل يوم الضيافة وخالف ماضي احكام اليساق وحاربوه الى أن قتل وافترقت كلمة اولاده الذين خلفهم فى ممالك العجم ووقع الحرب بينهم الى

ان اسلموا كلهم على رأس السبعمائة من الهجرة ، وهو تمام تأليف تاريخ الاسلام لابي عبد الله الذهبي رحمه الله ، ومنه قال رحمه الله ، قسم الحكماء الدنيا على سبعة اقاليم من المشرق الى المغرب ومن الجنوب الى الشمال عامرها وغامرها برها وبحرها قسمة معتدلة لكنها مختلفة الاحوال في الحسن والقبح والخصب والجدب ، وفيها ملوك عديدة ، وفي كل اقليم سلاطين ، وأعظمهم سبعة ملك المغرب من طرابلس للسوس ، وسلطان مصر والشام والحجاز واليمن ، وسلطان العراقين وما بينهما ، وسلطان الترك وبلاد خراسان والعجم ، وسلطان الهند ، وسلطان الصين وصين الصين وسلطان بلاد الروم كلها

ومنه قال : ان ببلاد بلغار بناحية الشمال يبلغ قصر الليل والنهار عندهم بمقدار ما يصلي الرجل المغرب في رمضان ويفطر ويؤذن للعشاء ثم يصلي العشاء والتراويح المتوسطة ويصلي الوتر ويطلع الفجر ، وفي قصر النهار على هذا المقدار المقرر ، وقال ان ارض الظلمة مجاورة لهم بينهم وبينها اربعون مرحلة ، واذا توجه تجار بلغار ببضائعهم التي تنفق بأرض الظلمة وبلغوا اليها يضعون بضائعهم بالحد المعلوم ويرجعون الى البلد ومن الغد يتوجهون لارزاقهم فمن وجد عند رزقه عددا ورضيه اخذه ومن لم يرضه يتركه ويرجع الى اليوم الثاني ويتوجه فان وجد زيادة ورضيها اخذها وان لم تقنعه تركها ، ومضى الى ثالث يوم ويرجع فمن وجد ما يرضيه اخذه وان لم يجد ما يرضيه أخذ سلعته أو بضاعته فلا يزيد مشتريها شيئا بعد الثلاث ليال ، وهذا بيعهم وشراؤهم وما رآهم احد قط ولا عرفهم من الجن أو من الانس . انتهى كلامه

قلت وهكذا بلغنا عن بعض اجناس السودان المجاورين للمغرب اذا توجهوا بالبضائع لتلك البلاد التي ارضها كثيرة الذهب بالارض لا يتركون احدا يدخلها ويضعون بضائعهم بالحد الذي عندهم معين لمن ياتي بلادهم ويرجعون ، فاذا أصبح ياتي كل واحد لبضاعته فيجد فوقها مقدارا من التبر ، فان رضيه اخذه ، وان لم يقنعه تركه الى تمام ثلاث ليال فان وجد زيادة اخذها وان لم يجد رد سلعته ، وهؤلاء وان كانوا لا يظهرون للتجار ولا يدخلون ارضهم فهم ادميون من أجناس السودان ، وسبب منعهم انهم في القديم كانوا يسرقون لهم الذهب اذا دخلوا بلادهم ونزلوا بها يوقدون النار في الارض التي فيها التبر ، فيذوب ويحملونه ليلا ولما فطنوا لهم قطعوا دخولهم بالكلية ، وضربوا لهم الحد ، وبعد هذا كانوا يدخلون ليلا ويسرقون وتبعوهم كم من مرة ، ومن لحقوه منهم قتلوه ، ولما أعياهم

امرهم ضربوا لهم الحد بحيث بعد أن يدخلوا ليلا لا يبقلون محل الذهب منه
قال رحمه الله : ان الذي ابتدأ فتح الهند وفتح مدينة دلهي ، عام أربع وثمانين وخمسمائة ، هو الامير قطب الدين ايبك ، مملوك السلطان شهاب الدين محمد بن سامان الغوري ، ملك خراسان المتغلب على ملك ابراهيم بن محمود بن سبكتكين ، وهو الذي ابتدأ فتح الهند ودلهي مشتملة على اربعة مدن وسورها واحد ، عرضه عشرة اذرع ، وهي من عجائب الدنيا ضخامة وعظمة ، وبمدينة دلهي من ارض الهند مسجد فيه شجرة يقال لها شجرة الشهادة ، وورقها كورق التين لكنها لينة نضرة ، فاذا كان وقت سقوط أوراق الشجر فى زمن الخريف ، استحال لون أوراقها الى الصفرة، ثم الى الحمرة ، وتسقط وفى كل ورقة مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ، فاذا سقطت الورقة ، اخذ نصفها المسلمون يتبركون بها، وأخذ النصف السلطان الكافر يجعله فى خزانته ، ولما شاهد احد ملوكهم ذلك وكان يعرف العربية أسلم ، ولما هلك وملك ولده الجبار اللعين ارتد عن الاسلام وقطع الشجرة واقلع أصولها ومحا اثرها ، ثم بعد أعوام نبتت وعادت لحالها الاول ، وهي باقية الى الآن والذي قطعها هلك فى الحين ، ومن بعده لم يتعرض لها أحد

واول بلاد الصين من ناحية الهند ، على ساحل البحر الاعظم مدينة الزيتون وليس بها زيتون ، ولا بالصين والهند كله زيتون ، وانما هو اسم وضع عليها ، ومرساها جون عظيم دخل فى البر ، وبها مراكب لا تحصى ، تاتي من الهند والصين بالبضائع تباع بها ، وتحمل منها أخرى من عملها ، وبها يصنع انواع الحرير من المسجر والكمخة والمثقل ، والحرير ، لا قيمة له ولا يلبس أهلها الا ثياب القطن ، واما الحرير فلا يلبسه الا فقراؤهم لرخصه، يدفع التاجر عشرة أثواب من الحرير فى ثوب واحد من القطن ، ويسافر القادم لها فى المدينة اياما لانها غير مجتمعة فى محل واحد ، الدار والبستان والمزرعة والدكان والفندق والمسجد ، وهكذا على طولها فلذلك عظمت ، ويسافر الواحد والجماعة بأموالهم وسلعتهم مسيرة ثلاثة اشهر ولا يلحقه خوف سارق ، ولا قاطع ، وفى كل منزل حاكم يحرسه وفيه فندق لنزل الرفاق والقوافل وفيه كل ما يحتاج اليه فاذا دخلته الرفقة يقف حاكمه وكاتبه ، ويكتب أهل الرفقة باسمائهم ويعد بهائمهم واحمالهم ويغلق باب الفندق ، وفى الصباح يفتح ويخرجون ويوجه معهم احد خدامه بالورقة التي قيد باسمائهم واحمالهم وبهائمهم للمنزل الذي بعده ، حتى ياتي بخط حاكمه المعين به انهم بلغوه بما معهم ، ولم يضع لهم قلامة ظفر ، وهو يفعل

مثل ذلك لمن بعده ومن ضاع له شيء فى منزله أو فى طريقه يغرمه حاكمه وهذا امر ليس مثله فى جميع المعمور ، وهم كفار مشركون ، واذا قدم احد من تجار المسلمين لمدينة من مدنهم واراد النزول خيره صاحب المرسى فى النزول عند تاجر أو فى الفندق ، فان اختار النزول عند التجار عين له واحدا منهم وكلفه ان يبيع له ما اتى به ، ويشتري له ما احب وينفق عليه بالمعروف، وان اراد النكاح زوجه ، وان أحب التسري اشترى له جارية ، لان الجواري ببلادهم رخصية لان كفار الصين يبيعون أولادهم وبناتهم ، ولا عيب عندهم فى ذلك ولا يتركه يزني أو يلوط حتى يريد السفر ، ويدفع له بضاعته وماله وزمام ما انفق عليه ، وهذا كله حذرا من ان يشتغل بالفساد حتى يفسد ما اتى به من ماله أو مال التجار ، ويقال كان بالصين ونهب ماله ، وان اراد ان ينزل بالفندق يكلف به صاحب الفندق ويدفع له ما اتى به من السلع او غيرها يبيعها له ويشتري له ما احب وينفق عليه بالمعـــروف وان اراد التسري اشترى له جارية فان اراد السفر بها برضاها لا يمنع منها وان لم ترد السفر معه يبعث عليه ولو ولد معها ، ولا يجد سبيلا الى الفساد والزنى ببلادهم وهم كفار عبدة النار والشمس ، انظر هذا العدل مـــع الكفر ثم انظر الى هذا الاحتراس من ملوكهم وعدلهم على كفرهم ومن فى بلادهم من المسلمين بمساجدهم وعلمائهم على اقامة دينهم ، لا يتعدى عليهم احد ، وكذلك مدن المسلمين محافظين على من معهم من الكفار تحت ذمتهم بكنائسهم وبيعهم وبيوت نيرانهم ، لا يلحقهــم ضــرر من المسلمين فى المقام والسفر

وبعد هذه المدينة مدينة تنجقوا مدينة عظيمة ذات أشجار وانهار ، تشبه مدينة دمشق فى كثرة الثمار ، وهي للمسلمين بها علماء وقضـــاة وتجار ، ولها اربعة أسوار وأربعة خنادق

وبعدها مدينة الخنسا المتقدمة الذكر وهي أكبر مدائن الدنيا ووصفها سبق وطولها مسيرة شهرين وبعدها القفر الذي بين سد يا جوج وماجوج وبه قوم رحالون ذكروا أنهم يأكلون الآدمي ان وقعوا عليه ذبحوه فلذلك لا يصل احد لناحية السد من هذه الجهة الشرقية واما من الناحية الغربية من بلاد الترك فقد وجه امير المؤمنين الواثق من بغداد سلام الترجمان بمكاتب لملوك الترك والروم فى الوقوف معه وكل ملك يوجهه لمن بعده الى ان بلغه وشاهده ووقف عليه وقيد ما رآه فى طريقه الى ان بلغه ، ووصفه على ماهو عليه ، فقد ذكرنا رحلته اليه فى تاليف « الترجمان المعرب » (1) وسبب توجهه لـــه ان

---

1) هـو لابـى القاسم الزياني ايضا

الخليفة الواثق رآى فى منامه ان السد انهدم او فتح ، وخرج ياجوج وماجوج منه وتفرقوا فى الارض ، فاقلقه ما رآى ووجه لذلك سلام الترجمان فانه كان يحسن سبعين لغة فغاب عنه سنة وشهرين ، وأتاه بصحة خبره ، وانه باق على حاله فارتاح لذلك رحمه الله .

بيع هذه البلدة وشراؤها بالاوراق المطبوعة

وبيعهم وشراؤهم بالكواغيد المطبوعة بطوابع السلطان ومن أتى بذهب او فضة يبدلها بالكواغيد ، ومن أراد السفر من التجار وعنده « كواغيد يتوجه بها لدار الضرب ويبدلها بالذهب بمقدار ما فى الكواغيد ولا يلزمه شيء عليها ، ومن كان من الاغنياء وكثرت كواغيده واراد ابدالها يحسبون وزنها بالنقد ويدفعونه له قطعة من الذهب غير مسكوكة يجعلها بداره ولا يلزمه عليها شيء فأجرة ذلك كله فى الصرف على السلطان

صين الصين وعجائبه :

واما صين الصين ويسمون مدينته العظمى صين كيلان، وبينهما وبين الصين ثلاثون مرحلة فى البحر ، ولا تسافر المراكب اليها الا نهارا وفى كل مرحلة مرسى ترسى بها المراكب ، وبها مدينة يشتري المسافر منها ما احب ويبيت بها ، وفى الصباح يقلع الى ان يصل صين كيلان ، وبها يصنع الفخار الصيني الذي لا يبلغه فخار ، معدنه عندهم تراب يحملونه الى الاقطار ، لكن ما يصنع ببلادهم ارفع من كل ما يصنع بغيرها ، وعندهم معدن الفحم يخرجونه من الارض وهو الذي يطبخون به ، وناره احر من نار الفحم ، واذا فرغ منه يطفيه بالماء ، ويوقده مرة ثانية الى أن يضمحل ويبقى رمادة فيفرغ عليه الماء ويعجن ، فاذا جف أوقده الى ان لا يبقى له اثر ، وهذه المدينة على نهر يقال له « آب حياة » يعني عين الحياة ويقال له مجمع البحرين ، وهي من اعظم المدن واحسنها ترتيبا وأهلها كفار وفى وسطها كنيسة عظيمة بناها احد ملوكهم واوقف عليها مجبى المدينة ومجبى قراها ، وبنى باحد نواحيها حومة يسكن بها المرضى والزمناء واصحاب العاهات من العميان والمقعدين والشيوخ ، ويجري عليهم أرزاقهم من وقف الكنيسة ، وبالكنيسة صورة هذا الملك التي يعبدونها ، وفى جهة من هذه المدينة حومة للمسلمين يسكنونها ، وبه سوق ومسجد وقاضي ومفتي وامام راتب يصلي بمن بها من المسلمين ، وذكروا ان بخارج هذه المدينة

على ساحل البحر ، غارا عظيما فيه رجل لا ياكل ولا يشرب ولا ياتي النساء، ويعبد في ذلك الغار ومضت عليه مئون من السنين مع قوة تامة ، ولا لحية له ويغيب خمسين سنة ويظهر ، ويزوره السلطان فمن دونه ويعطيهم التحف ويعطي للفقراء والمساكين ما يناسب كل واحد ، وليس بذلك الغار الذي هو به ما يطلق عليه شيء ، وذكروا انه يحدث عن السنين الماضية ويذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقول لو كنت معه لنصرته ، ويذكر عمر بن الخطاب وعلي ابن ابي طالب بخير الذكر ويثني عليهما ، ويلعن يزيد بن معاوية ، واهل تلك البلاد يزعمون انه مسلم لكن لم يره أحد يصلي وأما الصيام فهو صائم ابدا ؟؟

قال الشيخ أوحد الدين السنجاري ، دخلت عليه في ذلك الغار فاخذ بيدي ومسكها فتخيل لي وأنا بذلك الغار اني في قصر عظيم ، وان ذلك الشيخ قاعد فيه على سرير وفوق راسه التاج والوصائف ، وقوف على راسه ، والفواكه تتساقط في انهار هنالك ، وتخيلت اني اخذت تفاحة لآكلها فاذا انا في الغار بين يديه ، وهو يضحك علي فاصابني مرض شديد بسبب ذلك لازمني شهورا فلم أعد اليه بعدها ، وحدث القاضي انه لما ذكر له الصلاة في بعض الايام قال لا تدري انت ما أصنع ، ان صلاتي غير صلاتكم واخباره كلها غريبة والله أعلم بحاله ؟؟

انظر كيفية هذه العرس :

قال الشيخ أوحد الدين السنجاري ، حضرت في عرس ولد سلطان الصين وهو ولي عهده يوم الجلوة ، فكان عجبا لم أر مثله في غير الصين ، وذلك انهم نصبوا منبرا في صحن دار السلطان وحلوه بأنواع الديبج ، وخرجت العروس من داخل بيتها ماشية على رجليها ومعها نحو من الاربعين من الخواتين رافعين اذيالها عن الارض ، ومن نساء السلطان ونساء امرائه ووزرائه وكلهن باديات الوجوه ، ينظر اليهن كل من حضر في الدار من رفيع ووضيع وليس ذلك بعادة لهم الا في الاعراس خاصة ، وصعدت العروس على المنبر وتحتها المغنون والمطربون من الرجال والنساء يرقصن ويغنين ، ثم جاء ابن السلطان على فيل مزين على ظهره السرير ، وعلى راسه التاج ، وعن يمينه ويساره نحو المائتين من أولاد الملوك لابسين البياض ، راكبين على الخيل المزينة وعلى رؤوسهم القلانس المرصعة بالدر والياقوت ، وليس فيهم ذو لحية وهم ينثرون الدنانير على الناس ،

والسلطان جالس فى مقعده ينظر ذلك فنزل ابنه وتقدم اليه وقبل رجله ثم صعد للعروس فقامت له وقبلت يده وجلس الى جانبها والجواري وقوف يروحن عليهما ثم جاءوا بالقوقل والتنبول ، فأخذ الزوج منه بيده وجعله فى فمها ، واخذت العروس منه بيدها وجعلته فى فمه ، ثم أخذ الزوج ورقة تنبول بفمه وجعلها فى فمها ثم أخذت العروس ورقة بفمها وجعلتها فى فمه ثم ارخى عليهما الستر ورفع المنبر وهما عليه الى قبة من فين القصر ، وانصرف الناس بعد أكل الطعام ، ومن الغد اجتمع الناس بالقصر وحضر الوزراء والامراء وقضاتهم وجدد السلطان له ولاية العهد

الخبر عن سيرة ملك الترك

هو احد ملوك الدنيا السبعة الذين تقدم ذكرهم ، وهو بمدينة السرايا وبها سرير ملكه ، وله دار ملك أخرى بمدينة الكفار ، وله دار اخرى بالمرسى العظمى التي يسمونها الكرش على ساحل الخزري من ناحية الشمال ، ويجاورها دشت قفجاق ومعناه بالعربية صحراء قفجاق وطول هذه الصحراء ستة اشهر ثلاثة فى حكم هذا السلطان ازبيك خان ، وثلاثة فى حكم الكفار ، وهي صحراء خضراء كثيرة العشب والمياه ، وليس بها حجر ولا شجر ، ووقود اهلها ارواث البهائم ، وسفرهم على العربات تجرها الخيل ، وبوسطها مدينة الكفار دار ملكه الثانية واكثر أهلها نصارى تحت الذمة ، وعلى عشرة مراحل منها دار ملكه الثانية مدينة السرايا ، وهي من عجائب الدنيا خصبا ومواشي والخيل عندهم بمنزلة الغنم عند غيرهم لا يتكلفون لها علفا ، فنباتها بمنزلة العلف للمواشي ، ولا رعاة لهم ولا حراس لها ، وحكم هذا السلطان فى السارق ان ظهرت عليه دابة سرقها لغيره ردها مع تسعة امثالها ، فان لم تكن له دواب اخذ فيها اولاده ، فان لم يكن له ولد ولا بنت ذبح كالشاة ، ولنساء الترك بهذه المملكة شان عظيم فى أفعال الخير والصدقات اكثر من الرجال ، غير انهن باديات الوجوه لا يستترن من الرجال ، وسلطانهم على غاية من العدل وخفض الجناب للشكاة ، لا يحتجب ممن أتى شاكيا ولو كان مع نسائه ، وله قوة عظيمة فى جهاد الكفرة وسيرته فى السفر والحضر اذا صلى الجمعة جلس للناس فى قبة عظيمة بميدانه ، تسمى قبة الذهب ، محلاة بانواع الفرش والستر وبوسطها سرير عظيم مكلل بأنواع صفائح الذهب والجواهر ، فاذا جلس على السرير تاتي ازواجه الخواتين الاربعة واحدة واحدة ، ومن أتت منهن قام لها وتصعد معه على السرير الى أن يجتمعن

عنده ، وتاتي ابنته فتجلس بين يديه ، وياتي اولاده فيقفون على أقدامهم عن يمين السرير وشماله ، والكل باديات الوجوه مسبلات الشعور المكلل بالجواهر ، وياتي بعد ذلك امراؤه الكبار ووزراؤه العظام فتنصب لهم الكراسي عن اليمين والشمال ، وهو مقابل للميدان ، ثم يدخل ابناء الملوك من بني عمه واقاربه ، فيقفون عن يمين أولاده وشمالهم ، ويقف خلفهم وجوه العساكر ثم يامر بعد هذا الترتيب بدخول الناس على طبقاتهم فيسلمون على السلطان بالاشارة ويضعون ايديهم على رؤوسهم ويقفون فى اماكنهم فى الميدان يمينا وشمالا ، ثم يامر بدخول أهل الحاجات والشكايات فيقفون امامه وكل واحد منهم بيده عرض حاله ، ومعناه قضيته فيقوم الوزير الاعظم وكاتبه ويتوجهان فينظران ما بيد كل واحد ، الوزير يقرأ والكاتب يكتب على ظهر الشكوى الى ان يفرغ من تنفيذ دعاويهم ولا من يتكلم ولامن تتحرك له شفة، فاذا خرجوا ينصرف الناس كما دخلوا الاول فالاول الى ان يفرغ الميدان ويخرج اولاده واهل بيته خلفهم ثم نساؤه الاربعة وكل واحدة منهن جواريها خلفها الى باب الميدان ويركبن اكداشهن ، وتتوجه كل واحدة لبيتها وليس بقصر ، وكل واحدة لها دار فى حومة بزوايا المدينة ومن اراد المبيت عندها أعلمها فتتهيأ لمبيته عندها ، وتفريقهن في المدينة زعموا انه جبر لخاطر اهل المدينة حتى لا يفتخر منهم أحد على الآخر أن السلطان فى حوزته ومجاورله

وهذه المسألة كان ابتدعها قبله امير المؤمنين ابو جعفر المنصور رحمه الله لما اختط مدينة بغداد ، بنى داره فى وسطها وقال اني لم اعتزل فى ناحية وانفرد فيها لاكون قريبا من الناس كلهم ، وامر بقرابته فأسسوا بجانبه والوزراء والامراء والكتاب خلفهم والجند محيط بهم ، والمساجد والاسواق خلفهم ، والخانات والطواحن والافران خلفهم ، واهل الباعة والحرف والسكان خلف الجميع

ومنه قال رحمه الله ان باب الهند هي مدينة « غزنة » وهي آخر بلاد الاتراك بناحية الجنوب ، وهي كرسي الملك المجاهد صاحب الفتوحات فى الهند ، السلطان محمود بن سبكتكين ، وقبره بها ، وهو الذي ابتدأ فتح بلاد الهند ، وهي شديدة البرد كثيرة الثلوج ، وبينها وبين القندهار ثلاثة مراحل ، وبعدها مدينة « كابل » من الهند ايضا وكانت مدينة عظيمة واكثرها اليوم خراب ولها زاوية بها رجل يقال له : « اطا اولياء » معناه بالهندي ابو الاولياء ، ذكروا أن عمره ثلاثمائة وخمسين سنة ، ومن رآه حلف انه ابن خمسين سنة ، ولاهل تلك البلاد فيه محبة واعتقاد جميل ، قال

حدثني بعض من لقيه انه رآى بدنه رطبا ولم ار الين منه واخبره ان كل ما مر عليه مائة سنة يسقط شعره واسنانه ، وينبت له غيرها ، وانه رآى اباؤهم رنق الهندي المدفون بمدينة ملتان السند ، قال وسالته عن اشياء فشككت فى حاله وشانه والله اعلم بـه ، وبقربها جبل شامخ وعر ، واهلـه اكثرهم قطاع الطريق ، واسم ذلك الجبل كوة سليمان » معناه جبـل سليمان ، يقولون ان نبي الله سليمان لما صعد فوقه واشرف على ارض الهند ورآها مظلمة رجع منه ولم يدخلها ، وبه سمي الجبل ، وبه يسكن ملك الاقعان (1) ، وهم آخر قبائل الترك من ناحية الهند ، وبالقرب من هذا الجبل على مسافة ثمانية اميال مدينة الاهي على ساحل البحر الهندي

مدينة بالهند مسخ أهلها على حجارة :

وهناك يصب نهر السند الذي يقال له مهران ، كنيل مصر اذا فاض يزرعون عليه الحبوب ، ولا تحتاج لسقي ، وبظاهر هذه المدينة على ثمانية اميال منها محل مدينة خراب ، وبها ما لا يحصى من الحجارة على اشكال بني آدم والدواب والمواشي ويزعـم أهـل تلك البلاد ان مؤرخيهـم يزعمون انه كانت هناك مدينة اكثر اهلها الفساد فمسخهم الله حجارة ، ومسخ دوابهم ومواشيهم وثمارهم وحبوبهم حتى البقل النابت بها على صوره ممسوخا مشاهدا ، ومنه ان بارض الهند مدينة عظيمة يقال لها « فداوقد » هـي بلـد السنبل واهلها كفار ، وبها مسلمون تحت الذمـة ، وبها الشيخ فريد الدين البداوندي من اكابر الاولياء ، وكـان مبتلـي بالوسواس فلا يصافحه احد ولا يقرب منه ، وان مس ثوبه ثوب احـد غسله ؟؟

النساء اللاتى يحرقن أنفسهن على موت ازواجهن :

وبهذه المدينة النساء اللاتي يحرقن انفسهن اذا مات ازواجهن فاذا مات زوج المراة تتزين ويخرج معها براهمة الهنود وصلبانهـم والنـاس يتبعونهم للفرجة مسلمهم وكافرهم ، وقد اججوا النار قبل مجيئهم فيلقون فيها زوجها الميت ثم تلقي نفسها عليه ، ويحترقان معا ، وليس ذلك عندهم بواجب بل مندوب فقط، فمن احرقت نفسها مع زوجها حاز اهلها شرفا بذلك،

---

1) لعلـه يقصد الافغـان .

ونسبوا الى الوفاء ، ومن لم تحرق نفسها مع زوجها لبست اخشن الثياب واقامت عند اهلها ممتهنة لعدم وفائها لزوجها فلا ينكحها احد بعده ، ووقت القائها لنفسها في النار يودعها النساء ويحملونها السلام الى اهليهم الهالكين قبل ، وهي تضحك وتلعب وترقص حتى تحترق وبعض اهل الهند يغرقون انفسهم في نهر الكنك ويحجون اليه ، وفيه يرمى رماد المحروقين ، ومن اراد ان يغرق نفسه يقول لاصحابه لا تحسبوا اني افعل ذلك لامر من امور الدنيا وانما اريد التقرب الى « كساي » وهو عندهم اسم الله عز وجل ، واذا اغرق نفسه اخرجوه واحرقوه ورموا رماده في نهر الكنك . ه ؟؟

فتح الهند عام 500 على يد السلطان محمود :

واما ممالك الهند فقد ذكرناهم فيما سبق جملة ثم ذكرنا ملوكهم منذ فتح الهند في دولة بني سبكتكين في حدود الخمسمائة من الهجرة على يد السلطان المجاهد محمود بن سبكتكين ومن بعده ، الى ان افترقت كلمتهم وتعددت ملوكهم من المسلمين في حدود السبعمائة وخمسين ، وصاروا كملوك الطوائف ، سنة الله في خلقه وهناك انتهى خبرهم في تواريخ الدول وحيث استعملنا هذه الرحلة للمشرق وقفنا في الحرم الشريف على مقيدات تتميما لاخبارهم واخبار اهل الصين واجتمعنا ببعض علمائهم ممن قدم للحج عام ثمانية ومائتين والف ، منهم العلامة المؤرخ ابو عبد الله الصيني الزيتوني املى علينا كثيرا من خبرهم ، هو الذي قيدناه قبل قريبا ، ومنهم ابن الحسين علي الهندي الذي جاور بالحرم الشريف عام مائتين والف ، ولا زال به لما قدر الله الاجتماع به بمكة المشرفة ، وكنت ازوره في بيته كان يملي علي اخبار بلادهم وممالكهم ولم اشف غليلي من املائه للكنة في لسانه هندية ، قال لي رحمه الله انما ارتحلت من بلاد الهندية لفساد اهلها وسوء عقائدهم واختلاف ملوكهم ولقد غلب اهل البدع منهم على اهل السنة ، وكاد امرهم يخرج الى الردة والعياذ بالله ، فان ملوك المسلمين يستعينون على بعضهم بعضا بملوك الكفار المجاورين لهم ، وان كان ملوك الاسلام اقوى من ملوك الكفار لكن ليس الاسلام بمحل واحد ، والكفر بمقابلته ، بل الممالك مختلطة هذه مملكة اسلام ، وهذه مملكة كفر ، فاذا غزا الملك المسلم من جاوره من الكفار ، ينتصر ملكهم بمن يجاوره من ملوك المسلمين فساءت الاحوال بذلك .

ممالك الهند التى فى البر :

وها انا أصور فى هذه الورقة ممالك الهند التي فى البر ، فأولها مملكة دلهي ، وبها دار ملك الهند الذي كان على يده ممالك المسلمين قبل افتراقها ومسيرتها ستون مرحلة منتظمة بالمدن والقرى ، ومن بها من الكفار تحـــت الذمة يؤدون الخراج والجزية ، وفى كل عشرة مراحل ملك تحته بمنزلـــة الخليفة ، ولما افترقت مملكته لسوء سيرته وقام عليه الملوك الذين تحتـــه وكانوا ستة ملوك واتفقوا على مخالفته ، واستعد كل واحد منهم لحربه وجد بذلك السبيل الكفار الذين تحت الذمة ، وقاموا على المخالفين من ملـــوك الاسلام ، فما امكن لكل واحد من الملوك الا اجابتهم لما طلبوا ، واشترطـــوا عليهم ما احبوا وقاموا بملكهم وصالح واحد من الملوك الستة من كان تحته من كفار الهنود، ووقعت المهادنة واشتغل المسلمون بممالكهم والكفار بممالكهم، وصار للملوك الكفار اليد على ملوك الاسلام ، وكانت مملكة الهند أهل الاسلام واحدة فانقسمت على سبعة ممالك ، وفى تلك السبعة ممالك اخرى للكفار ، متخللون مماليكهم

جبل سرنديب الذى نزل به آدم
وفيه أثر قدمه وأنواع الطيب :

واما من كان من اجناس الهنود بعيدا عن هذه الممالك الاسلامية ، كأهل الجزرات ومن فى ناحية جبل سرنديب الذي به نزول ابينا آدم عليه السلام ، وبه أثر قدمه تزوره قبائل الهنود كلها ، وبه الطيب والعود والقرفة والقرنفل وأشجار الفلفل والصندل وجوزة الطيب ، فذلك كله ببلاد الكفار وجزرات البحر ، وذكر ان به اكثر من عشرين الف جزيرة وبها معادن الذهب والفضة ومعادن أحجار الياقوت البرية والبحرية ، وممالك الكفار التي لم تبلغها دعوة الاسلام ، ستة ممالك فى البر واما فى البحر فلا تحقيق عنده فيها ، فعلى ما ذكر وصححه أن بالهند عشرين سلطانا ، سبعة مسلمون وثلاثة عشر كفار فى هذا التاريخ بعد الالف ومائتين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم؟

رجـــوعـــــا لما كنا فيه من سفرنا من مدينة القلزم ولما بلغنا جدة ونزلنا بساحل البحر فى ابنيتنا ، وجهت واحدا من خدامي لوالي البلد بكتاب والي السويس ، الذي كتب له بسببنا ، فلما قراه قال واين الشيخ ؟ قال هو ذا بالمرسى فى خباه ، فبعث خديمه أن ينزلنا بدار « القمرق » فاتانـــي خديمه فقلت سلم منا عليه ، واني اردت السفـــر بكـــرة غـــد ولا يمكننـــي الاشتغال ، فقال يقول لك استاذنا كم تحتاج من الابل ، فقلت خمسة عشر

وبغلة وفرسا ، فتوجه ولما غربت الشمس وجه لنا سفرة الطعام وفاكهة ودلاعا وعنبا وشمعا ، ولما فرغنا من الاكل توجه اصحابه بالاواني وبت في حفظ الله .

حكاية مستملحة على حمار القاضي

ولما أصبح قدم علينا للسلام وللوداع ومعه ابل للفلاحين وفرسا وحمارا مصريا فقال ، لم اجد بغلة كل ما في البلاد من البغال توجهوا للموسم وهذا فرسي وحمار القاضي فخذ أيهما شئت ، فقلت الحمار الذي هو للقاضي فضحك ، وكان صاحب القاضي في الحاضرين ، فقلت لم ضحكت ، اعلى الحمار أم على القاضي ، فزاد في الضحك وقال : والله على القاضي الذي ذهب حماره ، وقد وجه صاحبه ليرى ويسمع ، فقلت اين خديمه فقال : هو ذا ، فقلت له سلم منا على مولانا القاضي وقل له انما اخترت حمارك لاحج عليه واعتمر لعل الله ان يغفر له بسبب هذا الحمار وما يلحقه من تعب السفر ، فضحك الوالي اكثر مما كان ولم يقدر ان يملك نفسه وقال : يا سيدي انما اخذته منه لمكة فقط ويرجع اليه حماره ، فقلت له وكيف اصنع ومن لي بحمار قاض آخر بمكة ، واين اجد قاضيا عاصيا مثل قاضيكم الذي تخلف عن الحج واراد ان يمنع الحمار ايضا ، وتوافقه انت فغشي على الرجل من كثرة الضحك ، وكان هذا الوالي اديبا لطيفا مشاركا ، فقلت له الم تسمع ما انشده الحمار بلسان الحال لما شهق وقال

اراد القاضي حجا وعمرة	ويقضي اركانا على القاضي واجبه؟
فقال استرح واعلف ودعني فما انا	بمستطيع ولو سار الناس قاطبة ؟
ولست مفارقا لبيتي وجدتي	واترك منصبي لمن اتى طالبه ؟
فلا آتي مكة وقدسا وطيبة	ولا ابتغي حجا ولا انا راغبه ؟
فمن شاء فليذهب فلست بذاهب	ومن شاء فليغضب فلست أغاضبه؟
فواعجبا من قاضي جدة عاطل	من الحج ويقضي الحمار وحاربه ؟
فشاق الحمار واستغاث وجاءنا	وقال خذوني انني لست صاحبه ؟

فقال الوالي سألتك بالله يا سيدي « الا ما » اخذت فرسي معك الى مكة ورد عليه الحمار ، وتركب من مكة على فرسي الى أن ترجع من عرفات وياتي به خديمي ، فقلت له انما اداعب القاضي وامازحه ولا اترك حماره يحج جبرا عليه ، ووقف معنا الوالي حتى حملنا وركبنا وودعنا وعين معنا من ياتي بالفرس والحمار اذا دخلنا مكة وبعد انفصالنا عنه لحقنا خديمه بعد ساعة

بزاد لطيف وحلاوات من داره ورجع صاحب القاضي فاخبره بما دار من الكلام مع الوالي فى شأن الحمار فقال : وددت ان الوالي وجه لي حتى لهذه النادرة واشاهد هذا الشيخ اللطيف .

ولما دخلنا مكة شرفها الله نزلت انا ورفيقي الذي ركب الفرس بباب المسجد ، ودفعت الفرس والحمار لصاحب الوالي وتوضأنا ودخلنا المسجد الحرام لطواف القدوم وخرجنا للسعي بين الصفا والمروة ، وكنت أوصيت الخدام ان ياتوا للصفا ، فهناك انتظرهم ، ووجهت رفيقي ان يكتري لنا بيتا وجلست انتظره فسلم علي رجل مغربي محرما وسماني باسمي وكنيتي ، فقلت له من انت الذي عرفتني ولم أعرفك ؟

فقال انا ابن فلان الشريف الذي كنت ركبت من عندك من العرائش وانتسب لشريف بفاس ، فتذكرت امره ، وكان اذ ذاك امرد لا نبات بعارضه وصار شيبا ، فعرفني انه مستوطن بمكة متزوج بها ، فقال وما تنتظر ؟ فعرفته الخبر فقال عندي البيت ، قم بنا حتى تنظره ، فقمت معه وكان بيته قريبا منا ، ودخل بنا منزله فارغ الاسفل وفارغ الطبقة الوسطى وعياله بالعليا ، فاستحسنت المحل ، ووجهته ينتظر الابل اذا قدمت للصفا ياتي بها ، ونزلنا بذلك البيت وآنسني بخبره واعتمدته فيما احتاج اليه ، وكلما حضر الغذاء والعشاء أناديه ، وكان رجلا زاهدا متقشفا يميل الى طريق الصوفية وينتسب للصلاح ويعتقده الناس ، فلما اردت الشخوص لعرفة طلب مني ان يتوجه فى صحبتي فانعمت له بذلك وأوصيته ان يكتري لنا ابلا ومحمل خشب ، فقام لذلك وأتى بالابل للحمل وبمحمل الخشب لركوبي واياه ، وكان زميلي هو فى ناحية وانا فى الاخرى ، وكان رجلا طويلا ضخما كثير اللحم فرجح بي فى الطريق ومال المحمل وحصلت لي منه مشقة لا انساها ، وللجمل ولربه محنة كبيرة ، ولما بلغنا ارض عرفة ونزلنا غاب عني وما رايته الى ان رجعنا يوم الافاضة ، وكان يطوف على امراء الحاج ، المصري والشامي والعراقي والهندي والسندي واليمني « اذ » كان له وظيف منهم يقبضه فى كل سنة ، وكانوا يعتقدونه ولما فرغ من عمله قدم على بعد ثلاث فسألته عن حاله ، فذكرلي حاله وان ما يحصل له من القوم هو رزق السنة

ولما اجتمع مع امير الحاج الشامي وهو احمد باشا الجزار (1) ، وسأله عمن لقيه من طلبة المغرب ذكرني له ووصفني بما ليس في .

---

1) ولى امارة صيدا « عكا » بفلسطين من ارض الشام 1720 – 1735 – 1804 كما ولى امارة الحج من قبل آل عثمان وسمي بالجزار لشدة فتكه وذبحه للمصريين حصن عكا وقاوم حصار نابليون

وكان هذا الجزار رجلا احمق يبحث عن اهل الحكمة وعلم الحدثان ، وكان يزعم انه المهدي المنتظر ويصرح بذلك ، فقال له لابد ان تجمعني بهذا الرجل فقال له لا ياتي معي وأبلغه لناحيتك بحيلة ، فاذا رايته قم اليـــه واعزمه لخيمتك ، فاتفقا على ذلـك ، ولما قـدم على منـــى قال لي (لـم) جلوسك هنا قم لتتفرج فى عجائب هذا الموسم وما اجتمع فيه من الخلق والمباني ، فشوقني لذلك وقمت معه فبلغنا مسجد منى ودخلته وصلينا به تحية المسجد وخرجنا من الباب الاخر فوجدنا قببا ومضاربا عظيمة ، وفى وسطها « مشور » (1) كبيـــر محمول على ثلاثة اعمدة ، يسع الفا مـن الخلق فمررنا مع الطريق الى ان قابلنا المشور المذكور ، فسألته لمن هو ؟ فقال اظنه لامير مصر ، فخرج منه رجل منفرد فقصدنا الى أن ادركنــا وسلم ، فوقفنا وسلمنا عليه فقال حفظكم الله تشرفونا ببركتكم ودخولكم لمحلنا ، وقبض على يدي ومر بي وصاحبي على أثري الى أن وقفنا بالباب ، فقام القوم الذين به تعظيما لاميرهم ، وجلس واجلسني بجنبه وقال للقوم قوموا ليس وقته ، وخرجوا ولم يبق فى المشور غيره والممالك قائمـــون خارج المضرب ، فاعاد علي السلام بالعربي وسألني عن اسمي وكنيتـــي وبلدي ، وعن سلطان المغرب واخوته ، وعن والده الذي رحمه واثنى عليه وترحم ، واول ما سألني عنه أن قال

زعم كثير من الملوك الماضين المهدوية

هل لك علم بالمهدي المنتظر ؟

فقلت لا ، وقد زعم كثير من الملوك الماضين ، وادعى كل واحد منهم انه المهدي ولم تصح دعواه وفى الحديث ولا مهدي الا عيسى بن مريم

فقال المهدي يظهر من غير شك وهذا زمنه فلا شك فى ذلك يا شيخ؟

فقلت يمكن ذلك والعلم عند الله

فقال لي ارايت ان عرفتك به واقمت لك الحجة الظاهرة اتسلم ذلك ؟

قلت نعم

---

1) فى لغة المغرب الدارجة يطلق اسم المشور على الرحاب المحيط بالقصر الملكي وهو ماخوذ من تجمـع الناس فى انتظـار المشاورة

فقال يا ولد ، فقال المالك « بيرن » يعني نعم واسرعوا ، فتكلم مع أحدهم أن ياتيه بدفتر من الخزانة عينه له فأسرع وأتاه به ، فوجده غيره فرده وأتاه بآخر فلم يكن هو ، فقام بنفسه الى الخزانة واتى بدفتر قديم تاريخه فى تلك السنة ثلاثمائة سنة من يوم كتب ، فأراني تاريخه أولا ، وبحث فى وسطه الى أن وقف على جدول موفق باسم الجلالة ، فقال لي اتعرف الحساب ؟

فقلت نعم ؟

قال والتوفيق ـ قلت نعم ؟
قال : فما عدد هذا الاسم ؟

قلت : كذا قال حفظك الله فأمر المملوك ان ياتي بدواة وقرطاس فأتاه بهما ، فمد لي القرطاس والقلم وقال اقسم هذا الاسم سبعة سبعة وما فضل منه اثبته فى القرطاس فقسمت وطرحت وما فضل اثبته ، فقال عد ابيات هذا الجدول سبعا وكل بيت سابع اثبت فى القرطاس حرفه الى ان كمل ابيات الجدول ، فقال بعده هذه الحروف الخارجة من الجدول كلمات فلما لفقتها كلمات خرج منها احمد بن عبد الله الجزار المهدي المنتظر ، فقال ما تقول يا شيخ فى هذا ؟

فحينئذ علمت انه الجزار احمد باشا ، فقلت يمكن ذلك ، فقال لي امكن وهذا هو المهدي المنتظر الذي يملك المشرق والمغرب ويصل بلادك ويملكها ، فقلت له ان شاء الله ، وما ذلك على الله بعزيز فالحمد لله الذي أسعدنا بالاجتماع معك وبمعرفتك وكنا نسمع ان المهدي يخرج بمكة ، واصله عربي شريف ، فقال وانا « كمان » عربي شريف الا أن سلفي نزلوا ارض بوشناق من بلاد الترك واستوطنوها ، ولابد لي من الظهور بمكة ورجوعي للشام ، واتوجه لمصر فأملكها ولافريقية كذلك ، وللجزائر كذلك، فآخذ ما فيها من الاموال وادخل بلاد المغرب وأبلغ وادي نول ، اتعرفه ؟ قلت أعرفه بالسماع لا بالمشاهدة ، وان عشت يا حبيبي فسترى هذا عيانا ، وكأنك شاك فيما طالعته فى هذا الدفتر اسألك بالله الا ما صادقتني واعربت لي عما فى ضميرك

فقلت : يا مولانا سألت بعظيم ، وانك رجل تصدق الصحيح والسقيم هذا الحساب الذي فى الدفتر مستعمل ، فقال : كيف يكون مستعمل وهو

---

1) بلغة مصر الدارجة كمان : ايضا

أقدم من ءابائي واجدادي ، ومن لمستعمله بمعرفتي ومؤلفه فى المائة الثامنة « وقدامته » تدل على صحته ، فانى يكون لاحد القدرة على ذلك

فقلت الذي يستعمل هذا التركيب ويستخرج هذا العدد حتى يجتمع منها الاسم واللقب ، لا يعجز عن تدبير عمله فى الاوراق القديمة والسفر القديم وعلاجها حتى تصير على ما رأيت

فقال هل فى الوجود من يفعل مثل هذا

فقلت نعم واكثر ، وانما هذه حيل موضوعة مستعملة

فقال أريد من جلالك الوقوف على مثلها فقلت ان شاء الله بعد الفراغ من مناسك الحج والعمرة والاجتماع بمكة ، فنهض مغتاظا وامر بفرس فاسرج وقال لخدامه بلغوا الشيخ الى محله فبلغت ورجعوا ومن الغد جاءني الخدام بالفرس وقالوا ان استاذنا يدعوك فركبت الى خيمته فوجدته فى موضع نومه ومعه ثلاثة من وجوه الاتراك ، فلما رآني قام وقاموا وسلموا واجلسني بحدائه وتكلم معهم بالتركي ظنا منه اني لا افهمه، وقال هذا شيخ من أهل المغرب صاحب مولاي محمد صاحب المغرب سمعت منه كلاما ما واجهني به أحد ، ضربني براسه على انفه ضربة تصدع لها جميع جوارحي وسرى ذلك الصداع الى حواس اللمس والشم والذوق فحصل فيهم الفتور ، والتفت الي وقال هل تدري ما قلت لهم قلت لا فذكر لي مقالته وهو يضحك وقال هؤلاء القوم من بلدي وبنو عم لي جاؤا للحج ولزيارتي ولم أرهم الى الان ، وامر قيمه أن ياتي بطعام ، فجاء قيمه بسفرة فيها صحن واحد داخله طرف واحد من اللحم فوقه ثلاث ملوخيات طوال مثل الاصابع ، ونصف رغيف من « الدرمك » الفائق يا أخي هذا حظك تركته لك لما جاء الغذاء ولم تحضر ، قلت اني اكلت فاقسم بالله ان تأكل فاكلت طعاما ما اكلت مثله أبدا وقال لي هذا طبخ يدي والله ما آكل طعاما مسته يد غيري ، لاني لا اثق بهؤلاء الخدام في حضر ولا سفر

ما قتله احمد الجزار المدعى المهدوية :

وحدثني بعجائب وقعت له من ممالكه ، وفى ذلك الموسم قتل سبعة من كتاب اياله ظهرت فيهم خيانة فى مال ، فصحبهم معه فى الحج وتقرب بقتلهم وصلبهم ، وفى تلك السنة بعد رجوعه الى المدينة المنورة قتل شيخ

الحرم وصاحب الروضة المشرفة كبير عبيد الدار بعد ان اخذ منه مائة الف محبوب ، والاخبار عنه فى سفك الدماء متواترة ، وجوده وصدقاته ليست من أهل وقته ولقد جلست معه فى منى ثلاث مرات فشاهدت العجب ، لا يرد احدا وقف امامه غنيا او فقيرا ، فاذا خرج ملأ جيبه ذهبا ويجلس للناس بمشوره المعد لجلوسه ، ويقف الناس امامه ويدفع لكل واحد فى يده الدينار والدينارين والثلاث ، الى العشرة كل ورزقه ، هذا لمطلق الناس وعامتهم ، واما خاصتهم فمن حضره منهم احاله على الخزندار من العشرين الى الخمسين الى المائة ، والخزندار له اصطلاح معه كل مملوك اتاه برجل لا يذكر له العدد ولا يسمعه احد منه فكل مملوك من مماليكه له عدد كانه اسمه ، من العشرين الى المائة ؟!

ولما رجع لمكة كنت اجتمع معه بالمسجد الحرام بعد العصر وخاطبني فى المسير معه الى الشام

فقلت لا يمكنني ذلك ، لاني تركت حوائجي وكتبي وذات يدي بمصر

فقال اذا استرحنا بالشام اوجهك فى مركب لمصر

فقلت فى سفر البحر من الشام لمصر خطر من مراكب المالطية

فقال اوجهك فى البر مع جريدة من الخيل

فقلت لا يمكنني هذا ، فطلب مني الوعد فى شأن الدفتر الذي زعمت انه مستعمل وكنت سهرت ليالي حتى وضعت جدولا فيه مائة بيت طولا ، ومائة عرضا ، وفى كل بيت حرف من حروف المعجم ، فاذا قسم اسم الجلالة وطرحه سبعا فما فضل من العدد يعده من أول بيوت الجدول ، فاذا وقف على البيت السابع يثبت فى ورقة حرفه ، ويستمر مع الجدول يثبت كل حرف سابع الى ان يأتي على آخر الجدول ويلفق الحروف كلمات فخرج من هذا الجدول أحمد بن عبد الله الجزار هو المهدي المنتظر الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وظلما ، بلده مكة ، ويخرج من مكة ؟ !

فجاء هذا الاستعمال اكثر مما عنده واكمل فى المحجة وابلغ فى البيان

ثم ان الله تداركني بلطفه والهمني رشدي وقلت هذا رجل احمق كان يغوي الناس بجدول سباعي ينشأ عنه كلمتين احمد الجزار المهدي المنتظر ، فاذا مكنته من هذا الجدول العظيم الذي يخرج منه كلام كثير ، وبيان كبير ، كان اثم ذلك راجعا الي ، وخطاياه كلها منطبقة علي .

ثم اني اجتمعت يوما بالشيخ البركة الحجة الذي يزعم أهل مكة انه القطب ، بقصد زيارته والتبرك به ، وهو الشيخ جعفر الهندي ، فلما جلست بين يديه كاشفني بما في ضميري وصرح لي بما اضمرت وقال لي ، لابد لك من الرجوع للمغرب وتخلف ما ضاع لك قبل وصولك اليه ولابد لك من الخدمة مع السلطان سليمان ، فقلت له يا سيدي انما خرجت من المغرب بقصد المقام بالحرمين ولما نهب العرب ما كان معي رفعت امري لله ولك ، فقال لم يقسم لك في هذه البلاد ، لابد لك من رجوعك الى ما قدر لك فانك تقع في شدة نفسية وشدة مالية وتسلم فيهما وترجع الى المغرب كما خرجت منه غنيا ، وتخدم سلطانه هذا مدة ، ثم ينكبك ويخلي سبيلك، فاوصيك بالمسلمين ، واياك ونهب اموالهم وسفك دمائهم ، فان فعلت نجوت واوصيك ان لا ترافق الجزار للشام ولا تعنه على معصية الله ، واسع فيما فيه رضى الله يرضي عنك خلقه ، قم في حفظ الله محروسا بعناية الله ، فودعته وانصرفت لبيتي مزمعا على عدم ملاقاة الجزار ، ولما عزم على السفر وجه لي رسوله يقول : ان استاذي يسلم عليك ويقول لك اذا ورد عليك صاحبنا بالمدينة فادفع له الدفتر ، فقلت له ان شاء الله ودفع لي ورقة فيها اسم الرجل ولم انل منه الا ما يثيبني الله عليه على عدم تمكينه من ذلك الجدول ، فأقمنا بمكة بعد سفره الى أن تهيأ الركب المصرى فقدمنا معه للمدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ووقفنا على تربته المشرفة المطهرة المقدسة ، وطفنا على آثاره واماكنه ومواقفه واماكن أهل بيته وازواجه أمهات المومنين ، وقضيت وطر الزيارة فجاءني رجل شامي الاصل مستقر بالمدينة فقال طلبتك منذ ثلاثة أيام ولم أجد من يخبرني عنك الا الشيخ زكرياء المدني

فسألته ما الخبر ؟

فقال كتاب « وحق (1) فيه ساعة تركه عندي له احمد باشا الجزار ، وقال هذه ساعة الشيخ نسيها عندي في الخيمة ، واياك ثم اياك ان تتراخى في البحث عنه والاجتماع به وتبعث لي خط يده واصلا لعكة (2) فهذه الرسالة وهذا الحق مغلفا في اطلس مطبوع عليه فلم اشك انها ساعة فلما توجهت للخباء فتحت الكتاب وقراته فاذا هو يقول لابد ان تمكن حامله من الجواب فان كمل تدفعه للحامل وان لم يكمل فمن مصر ، ولم يذكر الساعة فلما ازلت الغلاف وفتحت حق اللولب وجدت فيه ثلاثمائة

1) حق ـ حك في لغة المغرب الدارجة : علبة

2) اسم بلدة بالشام (فلسطين) تقع في الساحل ، قاومت نابليون 1799 مقاومة شديدة

بندقي « بولوزه » (1) فاكثرت من حمـد الله على رزقـه ، وعلمت ان ذلك بسبب زهدي فى ذات يده وقلة طمعي فيما لديه ، وان الله اثابني علـى تاخيري لذلك وعدم تمكيني اياه لمن يقوى به الخلق ، فالحمد لله على سلوك السبيل الاقوم ، ومن الغد كتبت للرجل جواب الكتاب ووصول الساعة فاشتريت من المدينة جاريتين حبشيتين واشترى صاحبنا واحدة خلصتها له الى مصر ، وارتحلت من المدينة ؟؟

ولما اصابنا الشوم مات الصاحب وبقيت الجارية مع جواري الى أن دخلنا مصر ، وكان يتردد الي آغة عسكر المغاربة صاحبنا الحاج محمد عبد السلام وكنا ترافقنا معه فى الحجاز واكترى لنا ابلا حملنا عليها من مكة، وكان لا يفارقنا هو واخوه مدة السفر

ولما قدمنا مصر راودني على النزول بداره فابيت ، وهو الـذي اكترى لي البيت

ولما مد النيل وفاض ، قدم علي يوما وطلب مني ان اخرج معه لزيارة الشيخ اسماعيل النبابي والنزهة على شط النيل فى العدوة الغربية فاجبته لذلك ، وتواعدنا ليوم السبت الاتي اذ فيه تكون زيارته ، فلم اتذكر ذلك فقدم على للبيت وقال انسيت ما وقع عليه الاتفاق فتذكـرت ، وجاءني بفرسه وبغلته وقال اركب فما جئتك حتى وجهت اخي والخدام بما لابد منه من الفرش والاواني وآلة الطبخ ، فما امكن الا الاجابة ، وركبت معه وقصدنا مرسى بولو ، فاتفق قدوم الباشا الذي ياتي من الاصطنبول لمصر ونزوله فى ذلك اليوم بالمحل الذي قصدنا الزيارة له والنزهـة به ، ووجدناه والخدام قائمين على الشط لم يجدوا مركبا للجواز لازدحـام عساكر مصر على المركب لملاقاة الباشـا وكلما جـاء مركب حازه الممالـك ، فطاف مع الساحل ليكتري مركبا فلم يجده ، فرجع الي وانا جالس انتظره، فقلت قم بنا لمحل نبعد عن الناس وناكل ما شاء الله ونشرب ماء النيل ، ونرجع الى سبت آخر فقال لابد من الجواز ، ورجع وزاحم واكتـرى مركبا بعشرين ريالا ، حمل فيه ما عنده ، وجاءني فقمت معه فما بلغت المركب حتى وجدناه ممتلئا بالغز والخدام ، ولم يبق محل وجاء خدام المركب يصيحون ويتظلمون ، وحملوني والاغى بين أيديهم الى أن وضعونا فى وسط الناس ، واستحيا الرجل فصبرته ، واقلع المركب من المرسى وشرع اقلاعه ، فلما توسط البحر هبت علينا ريح جنونية شديدة ، فلمـا

(1) دينـار مـن ذهـب

شعرنا بانقلاب المركب ونحن فى لجة البحر ففتحت يدي للسباحة وخرجت من تحت المركب فلما فتحت عيناي رايت الاغى مكشوف الراس يستغيث، ورايت البحرية على ظهر المركب المنقلب ، فناديت البحرية خذوا بيد الرجل فمدو أيديهم اليه ليجذبوه فوقعوا معه فى البحر ، وتعلق الغرقى بأذيالي وقبضوا باطراف برنسي واثقلوا كاهلي عن السباحة فنزعت البرنس من عنقي والاحرام ، وتركته ، فجاء آخرون فتعلقوا باطرافي ، فصرت اسبح بيد وأضرب بالاخرى ، والبحر منحدر بنا الى ان عجزت عن السباحة وانحلت قواي واسترخت مفاصلي ، ومات من كان متعلقا بي ، فتشهدت وتذكرت رؤية سبقت لي بضريح الشيخ ابي مدين بالعباد ، فقلت غررت بي يا ابا مدين ورويت من شرب الماء فما شعرت الا بمن دخل تحت فخذي وحملني حتى خرج راسي من الماء ، ونظرت فاذا بمركب قريب مني يقول أصحابه هات يدك فقلت لا يد لي ولا رجل ، فدنوا مني ومدوا ايديهم الى اطواقي وجذبوني منها الى ان ظهرت يداي فقبضوا عليها وجذبوني لمركبهم ومدوني على المركب وعالجوا باخراج الماء من بطني ، وبعد ساعة انزلوني للشط الغربي الذي كنا قاصدين له ، فوجدت اخا الاغى يبكي ويصيح وا اخاه ، فلما رآني اسرع وقال مات اخي ولم يسلم من القوم الا انا وقاضي النيابة والبحرية ، وانا اطلب من يخرج اخي من البحر بالكراء لادفنه ، فجلست فى فدان درة وجاءني حارسه ونزع جبتي وما تحتها وعصرهما من الماء ونصبهما للشمس حتى جفا ثم مكنهما لي فلبستهما وازال قميصي وسراويلي فنصبهما حتى جفا وصحبني الى ضريح اسماعيل النباتي فزرته وقرات فيه سورا ، ثم تذكرت قول الشيخ جعفر الهندي بمكة وقلت هذه المصيبة الذاتية وصلت وسلم الله منها فلله الحمد وبقيت المالية

ثم خرجت الى الشط اطلب مركبا ارجع فيه « لبولاق (1) فلما تعين ركبت من جملة من ركب الى بولاق ، فنزلت وقصدت المحل الذي تركت به الفرس والبغلة مع اصحاب الاغى فوجدتهم جلوسا ينتظرون قدومنا ، فناديت احدهم فما عرفني لتجردي من البرنس والاحرام ، فقال اين سيدي قلت مات رحمه الله فصاح ولطم وجهه ، فقلت دع هذا واصبر واحتسب، وادرك اخاه لعلكم تقفون له على خبر وتاتون به ليدفن ، واخذت منه الفرس فركبته واخذت « شالا » كان فوق راسه جعلته على العمامة

---

1) حي) القاهرة على ضفة النيل .

فى محل الاحرام ، ورجعت لمصر عشية النهار فوصلت البيت ونزعت ما علي ولبست ثيابا اخرى ، وبلغ خبر الغرق لاهل بلدنا ومن له معرفة بنا فترادفوا علينا للبيت فوجدوني به ، لكني لا اقدر على القعود الا مستندا على الجدار للدوخة التي حصلت فى راسي وصحبتني اياما الى ان عافاني الله بمنه ، واما صاحبنا الاغا فوجد بعد ثلاث لفظه البحر بالساحل قريبا من مدينة رشيد (1) ، فوقفوا عليه ودفنوه رحمه الله ، فنزلت من مصر للاسكندرية وركبت لبر الترك ، اذ اخبروني ان مراكبا وردت من الجزائر موسوقة بالزرع لازمير (2) ومنه تحمل العسكر للجزائر ، فاستشرت الشيخ محمد المسيري وجماعة من اعيان التجار ، فوافقوا على ذلك وكتبوا لنا لشركائهم واهل مودتهم فى الوقوف معنا ، وتوجهت فى حفظ الله فانعكس ريحنا ودخلنا مرسى رودس (3) لمخالفة الريح ومنها بمرسى عكة ، الى ان وافق الريح ثم لمرسى طرابلس الشام لمخالفة الريح ، ومنها لمرسى انطاكية (4) فنزلنا شهرا ومنها توجهت فى البر لمدينة الخليل عليه السلام، وتركت الجواري والاثاث بالمركب الى أن عدت

ولما بلغت مدينة الخليل (5) عليه السلام والزمان فى عنفوانه ، والربيع فى ريعانه والروض فى حسنه واحسانه ، والزهر فى زهره وزهوه ، والطير فى شوقه وشذوه ، فآويت الى ايوان واحسن مكان ، وتركت به الثقل والمركوب الى ان أؤوب

انظر اتقان المسجد الاعظم بمدينة الخليل عليه السلام

ثم دخلت المسجد الاعظم ، فرايت من حسنه عجبا ، ومن بنائه ما شئت فضة وذهبا ، لا تدرك مبانيه السامية ، ولا تلحق آثاره العالية ، له ابواب حافلة من الحديد الرفيع ، وشباك بديع وبناء بالرخام ، من الاحجار، الضخام العظام ، الهائلة المنحوتة بالهندام عددت فى طول الحجر الواحد

1) تقع على شاطيء النيل وفيها اكتشف شامبليون سنة 1799 لوحة مكتوبة بالهيروغليفية مترجمة باليونانية وبتلك الترجمة استطاع معرفة اصول الهيروغليفية
2) مرفأ تركي على بحر ايجه ، اخذها السلاجقة من البزنطيين 1084 نهبها تيمورلنك 1402 استولى عليها آل عثمان 1422
3) جزيرة شرقي الرخبيل اغتصبها الايطاليون من آل عثمان سنة 1912 وقت ان حلت العلل بالرجل المريض تركيا
4) مدينة فى تمركية بناها سلوقوس الاول 300 ق.م دمرها الفرس سنة 540 م احتلها المسلمون 638
5) مدينة بالمملكة الاردنية الهاشمية على بعد 44 كم جنوب بيت المقدس وهي مدينة جرون القديمة بها قبر ابراهيم الخليل وزوجته سارة واسحاق ويعقوب

اربعة وثلاثين شبرا وفيها اكبر ، ومنها ما هو اقصر واصغر ، أسس ذلك المسجد العظيم عليها ، وبناء ظاهرة وباطنة منها ، فجاء جامعا بديعـــا ، هائلا رفيعا ، بديع الصنعة كبير المساحة والسعة ، احـدق بجميعـه سور جليل بناؤه من الصخر الجسيم ، والصنع الوسيم ، قد جمع الحســن والحصانة ، والعلو والمتانة ، وكذلك بناء جميع المدينة ، والقصور الثمينة وداخل المسجد تجاه القبلة مبنى بالرخام المجزع ، الرفيع المختـــرع ، المختلف الالوان ، الغريب الترصيع صنوان وغير صنوان ، قد افرغ فيه الذهب الابريز الصوان ، وفي وسط المسجد الكريم التربة المقدسة تربـــة الخليل ابينا ابراهيم عليه السلام ، قد حف بها من التعاليق المذهبة ، والستور الملكية ، والحلل المطرزة ، والمصابيح الفضية والذهبية والموهة ، كل حسن رائع رائق ، وامامها ضريح زوجته الطاهرة سارة رحمة الله عليها ، وامامها ضريح النبي اسحاق عليه السلام ، وتجاه ذلك من الجانب الجوفي قبة اخرى عظيمة القدر متناهية الاتقان ، تحتها ضريح يعقوب النبي عليـــه السلام ، وامامه ضريح زوجته رضي الله عنها وتحتها طبقة وقبة فيها نبي الله يوسف الصديق عليه السلام ، وعليه الستور المدبجة ، والرســـوم المذهبة باسمائهم المباركة على جميعها ، والله تعالى اعلم بصحة ذلك كله وما بين المسجد الكريم والقبة الجوفية صحن عظيم كبير جدا ، يكون فيه وفي المسجد مجتمع الوفود الواردين والمقيمين من الاغنياء والفقراء والامراء والكبراء للضيافة المباركة ، ضيافة الخليل عليه السلام في كل يوم بعد صلاة العصر ، على توالي احقاب الدهر ، وقد حضرتها فيه مع جملة الناس تبركا بذلك كله ولله الحمد ، ومن الغد ركبنا وسرنا قاصدين مدينة القدس (1) الشريفة الشهيرة عن التعريف ، وفي عشية ذلك اليوم بلغنـــا مدينـــة بيت المقدس ، وهي تتبرج لنا ظرها بمجتلى صقيل ، وتناديهم هلموا الى معرس الحسن والمقيل

المسجد الاقصى بمدينة القدس

ثم قصدنا الحرم الشريف ، والمسجد العظيم المنيف ، الذي بـــارك الله تعالى حوله ، وعرفت كل امة فضله ، المسجد الاقصى ومع المعراج

---

1) وهي التي بناها سام بن نوح وكان ملكـا بها ولم ينتقـل لليمـن الى ان مـات بل هي عاصمة داوود الملك دمرها الرومان سنة 70 ثم اعادوا بناءها) القرن الثاني فتحها المسلمون سنة 638 احتلها الصليبيون سنة 1099 واسترجعهـا صـلاح الدين الايوبـي 1187 ظلت في ايـد العثمانييـن الى 1917 ويرجـع تاريـخ بنائهـا الـى القـرن 15 الخامس عشر اما الهيكل فقد بناه سليمان عليه السلام سنـة 975 ق.م وهدمـه نبوخذ نصر سنة 587 ق م وبنى هيرودس هيكلا جديـدا سنة 20 ق م بقـي الى عهـد عيسى عليه السلام ثم خربـه الرومـان سنـة 70 سورها سليمان الثاني سنـة 1541 وهـي مقدسة في جميـع الاديان السماويـة

والاسر ، وكفى بهذا شرفا وفخرا ، فرأت بقعـة لها نور ، وفضـل ماثور ، وشرف معلوم مذكور ، مسجد له حرمات ، ومقام تخطر فيه خطـرات وتعرض مقامات ، ومحل تفيض عليه بركات ، وتستجاب به دعوات ، ومكان لا يمكن عنه الالتفات ، وتقصر عنه الصفات ، وتكل فى تصنيف محاسنه الباءات والالفات ، قد جمع شرف المقدار ، الى طيب التربة وفضيلـة الدار ، وشهرة مفاخره ، فانة البقاع تفاخره ، وراقب محاسنه ، فلا منظـر يحاسنه ، وفاقت مآثره جميع من يكاثره ، وامنع بكل سليم الود سلم وحيا واطلع نور البشر فى افق المحيا

كانه من حسنـه لـم يـزل   يستخدم التوفيـق والاسعـدا
رست بنـاه وعـلا سمتـه   تطـاول الجـوزاء والفرقـدا

وهذا المسجد الشريف هو اعظم مباني الدنيا ، طوله سبعمائة وثمانون ذراعا وعرضه اربعمائة وخمسون ذراعا ، فيكون تكسيره من المراجـع الغريبة مائة مرجع واربعين مرجعا وخمسى مرجع ، وسواريه اربعمائـة واربعة عشر سارية ، وابوابه خمسون بابا يطوف به سور سعته ثـلاث خطوات ، قد أسس بالحجارة العظيمة والواحها الكبار المنحوتة الهائلـة ، بنته الجن لسليمان عليه السلام (1) والمفتوحة الآن من ابوابه اثنا عشر بابا، كل باب منها له الوجه المنقش ، المحسن المرقش ، فيها باب مصفح بالعقيان واللجين مغمد بهما على راق الابصار ، واعجب النظار ، ومنها باب الرحمة وباب التوبة ، وهما بابان من الجهة الشرقيـة

وروى المفسرون عن عبد الله بن عمرو بن العاصي وعن ابن العباس ايضا فى قوله تعالى « فضرب بينهم بسور »أنه سور بيت المقدس الشرقي ، لـه باب يسمى باب الرحمة ، قال باطنه المسجد ، وظاهره وادي جهنم ، وفى الجهة القبلية المسجد الاعظم الذي غلب عليه اليوم اسم المسجد الاقصى ، فيه الخطبة والجمعة والمنبر الذي جمع الله فيه من كل ابدع عجيـب ، واختراع غريب ، والمقاصير التي لا نظير لها غرابة صنعة وجودة انشاء ، والسواري المفضضة الملونة من الوان شتى ، كحمرة قانية ، وصفرة فاقعة، وبياض ناصع ، ومن الحبرية الحالكة الصافية ، ومن الجزية المجزعـة البديعة ، كلها مطلية الرؤوس بالذهب الذائب ، التبر الخالص وقد قامت

1) ورد ذكر بيت المقدس وما جرى به من حوادث فى جيمع الكتب المقدسة ، ولعل قول الزياني هذا بنته الجن ؛ مستنتج مما وهبه الله لنبيه سليمان : « وسخرنا لـه الريـح تجري بأمره رخاء حيث اصاب والشياطين كل بناء . . »

بين يدي المحراب منتظمة بها قبة عظيمة جليلة مقسمة على اقباء معقودة باقواس محنية متراكبة مدخلة على الوان شتى ، وتصنيف غريب مذهب ما بداخلها من التثمين والتربيع وتذهيب مشجر مورق بالذهب مصنف محكم قد رونق الحسن استتمامها ، واستوفق من خطوط البراعة اقسامها، لها منظر رائع وزواق لامع ، فتراها تشتعل ذهبا ، وتستقل عجبا ، فيها تواريخ مكتوبة بالذهب فى أرض فيروزية وفى ارض حمراء لازنجفوريـــــة ، وباعلى المحراب مكتوب بالذهب فى اربعة اسطر مانصه

بسم الله الرحمان الرحيم ، أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الاقصى صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه ، فى شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وهو يسأل الله شكر هذه النعمة ، واجزل حظه من المغفرة والرحمــــــــة

وبشرق هذا المسجد داخلا فيه ومتصلا به المسجد المبارك الذي بناه عمر بن الخطاب امير المؤمنين رضي الله عنه ، وبجوفه تربيعة خلفها محراب زكرياء عليه السلام ، مكتوب عليه بالذهب يا زكرياء انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، وبخارج المسجد الاعظم من ناحية المشرق ، مسجد بقبتين مسجد عيسى ، وفى شرقيه باب له مدارج كثيرة تفضي تحت الارض الى موضع كبير كمسجد فيه مهد مصور من الحجر الصلد ، يذكر انه مهد عيسى عليه السلام ، جلست فيه وتبركت به ، وبقربه مسجد حسن للمالكية يسمـــــى بمسجد المغاربة ، لان حارتهم تلاصقه ، وبناحية الغرب مدرسة حافلــــة تسمى الفخرية ، وبخارج المسجد الاعظم صحن كبير مثمر بانواع الثمـــــار والاشجار الكبار المختلفة الانواع ، ومن أكبر الزيتون ، وفيه « آبار » كثيرة.

حكاية عجيبة :

ذكر عبد الملك بن حبيب بسنده ، ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما قدم بيت المقدس ، خرج رجل من اصحابه يستسقي فى جب سليمان ، وهو جب فى داخل المسجد فخرت دلوه فى الجب فنزل لها يستخرجها ، فبينما هو فى الجب اذ أتاه ملكان فأخذا بعاتقه فذهبا به حتى ادخلاه الجنة ، فجعلا يسيران به فيها ، فكان كلما مرا به على شجرة لها ثمار يمد يده الى ثمرها فيوخره الملكان ، حتى مرا به على شجرة ذات افنان فمد يده فاخذ ورقة واحدة فقال له الملكان لو ملكت يديك لسرنا بك الى يوم القيامة ، ثم انصرفا به الى الجب فخرج عند صلاة الظهر فاتى عمرا فأخبره بالذي كان وضبط

يده على الورقة ، فقال عمر اضمم يدك عليها ثم بعث الى كعب الاحبار فاتاه ، فقال له

يا ابا اسحاق هل تجد فى علمك ان رجلا من امة محمد صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة ثم يخرج منها ؟

قال نعم يا أمير المؤمنين

قال هل تسميه ؟

قال نعم هو شريك بن خمعاشة النميري ؟!

قال فانظر هل تراه فنظر كعب مليا ثم قال :

هو ذا ، فقيل لكعب صف لنا الورقة .

قال نعم : كانت مثل الكف العظيمة اشبه شيء بورق الدراقين « يعني الخوخ »

وفى بيت المقدس اثنا عشر جبا « ليس » (1) فيها اطيب ولا أبرد ولا أعذب من هذا الجب ، وهو يسمى بير الورقة انتهى

وهذا الصحن المبارك فيه ساقية ماء تاتي من مسافة شاقة ومهوى بعيد من الارض قطعت لها الجبال قطعا وصدعت لها الصخور صدعا بالمال الجسيم والايدي الشديدة ، حتى انصبت منها المياه على المسجد الاقصى فأروت واغرقت وفاضت الى خصة من الرخام كبيرة امام المسجد الاعظم ، فى وسطها فوارة يجري فيها الماء ، وفى وسط هذا الصحن صحن آخر مرتفع عال يصعد اليه بادراج عالية كثيرة من جهات ثمانية ، وهو مفرش بالرخام الابيض

قبة الصخرة المباركة :

وفى وسط هذا الصحن الاخير المرتفع القبة العظيمة القدر التي كأن محاسن الدنيا مجموعة فيها ، ومحصورة فى نواحيها ، فهي من أعاجيب الدهر ، واحسن ما يرى بالبصر ويتخيل بالفكر ، قبة الصخرة الكريمة ، وهي مسجد مصنوع من قبة مثمنة الحائط والاركان وداخلها وخارجها مكوبة السقف ، اعلاها ذهب مضروب فى صنائع عجيبة ، وجوانبها كلها ومن داخلها ملبسة بانواع الرخام المنشورة الملصقة الصاقا محكما مخططا بالخطوط

---

1) سقطت فى الاصل

الكحل ، تخطيط القدرة الربانية فجاء منها خواتم عجيبة ، وطوابع مختلفة الصنعة غريبة ، وفي وسط هذه القبة المثمنة المستوية السقف قبة اخرى قد بعد في السماء مرتقاها حتى تساوى ثراها مع ثرياها ، وجازت الجوزاء سمتها وعزلت السماك الاعزل سمكها ، وارتقت في الهوى الى السماء النجوى ، وانتمت في الحسن الى الغاية القصوى ، فكانما صورت جنة الخلد واشربت حبة القلب ، واوسعت قرة العين ، ونعشت في عرض الارض ، وابرزت من الابريز الخالص المحض ، قد اتفق الذكر فيها ، وضرب المثل بتناهيها ، وبلغ الخاصة والعامة خبرها ، وبعد فيهم صيتها ، وارتفع ذكرها، وعظم خطرها ، وتوافد الناس اليها من البعد والقرب ، والشرق والغرب ، متأملين لها ، متعجبين من رونق ثراها ، ورونق سناها ، والتقى رجال برجال قد دخلوا البلدان ، واستبدلوا الاوطان ، وجالوا في الامصار ، وجابوا في الاقطار ، فاقسم كل رجل منهم بجهد قسمه ما راوا بتمام محاسنها تماما ، ولا بتأنق ما انتظمته مطالعها انتظاما ولا بعجيب ما تضمنته ابهاؤها ، واجتجنته اقباؤها ، من النقوش السرية ، والصنائع السنية التي لا تبلغها نقوش اهل الهند ، ولا تنتهيها نمنمة اهل الصين ، ولا تدركها رقوم أهل « ريَ » (1) ، ولا تساميها ديابيج « تستر » (2) ، ولا يقارن بها وشي « صنعاء » ولو لم يكن لها الا السطح المرد المشرف على الصحن الكبير والقبة وعجائبها وما تضمنته من اتقان الصنعة ، وفخامة المهمة ، وحسن المستشرق وتراهة الملبس والحلة ، ما بين مرمر مسنون ، وذهب موضون ، وعمد كانها افرغت في القوالب ، واعيرت بلمس النظار « الولامص» ونقوش كقطع الحياض ، وتشجير كالفات الرياض ، يتسنم بين ذلك كله على انه سنام الدنيا سلسل برود يفرغ امامه من تماثيل عجيبة الاشخاص في خوابي رخام تهد الجبال ضخما ، ولا يهتدي الاوهام الى سبيل الايماء بها ؟؟

عدد 120.000 قناطير الرصاص التى على قبة الصخرة وعدد النحاس 8.000

ذكر لي الشيخ العالم القدوة ، شمس الدين الكرمي ، قال بلغت زنة الرصاص الذي على سقف قبة الصخرة هذه ، ثلاثين الف قنطار بالدمشقي وهي بالمومني مائة الف وعشرون الف قنطار كاملة

1) هي مدينة قديمة في فارس جنوبي طهران الشرقي ، فتحها المسلمون زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، على يد عروة بن زيد 639 م وفيها ولد هارون الرشيد

2) تستر : مدينة في ايران « عربستان » غزاها البراء بن مالك في زمن عمر ض ثم تيمورلنك سكانها شيعة وتعرف بدار المؤمنين لشدة ورع أهلها .

وذكر عبد الملك ابن حبيب رحمه الله ان عبد الملك بن مروان رضي الله عنه بنى القبة التي على الصخرة ، وجعل على الجاتية التي بأعلى القبة ثمانية آلاف صحيفة من نحاس مطلية بالذهب ، في كل صحيفة سبع مثاقيل ونصف مثقال وافرغ على راس الاعمدة مائة مثقال ذهبا ، وفي وسطها مكتوب بالذهب في ارض سماوية لازوردية على الدائرة ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم امر بتجديد تذهيب هذه القبة الشريفة مولانا السلطان الملك الناصر ، العالم ، العادل ، المجاهد ، المؤيد من السماء ، ناصر الدنيا والدين ، محي العدل ، في العالمين ، ظل الله في ارضه ، القائم بسنته وفرضه ، محرز ممالك الدنيا ، مظهر كلمة الله العليا ، مشيدا اركان الشريعة الشريفة ، سلطان الاسلام ، محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاون ، تغمده الله برحمته ، وذلك في شهور سنة ثمان عشرة وسبعمائة

الصخرة الشريفة :

وتحت هذه القبة العجيبة الصخرة الشريفة التي هي كالجبل الراسي والطود العظيم معلقة وسط الفضاء ، بين الارض والسماء ، ولا صعودا ولا نزولا ، انما يمسكها الذي يمسك السموات والارض ان تزولا ، وقد انصنع بهذه الصخرة الشريفة وبالبنيان الدائر بها نوع مغارة كبيرة تفضي اليها بادراج جملتها خمسة عشر درجة ، وفيها سطح مفروش بالرخام المجزع المختلف الالوان ، البديع الصنعة ، وهو موضع مبارك للصلاة

وفي الطرف القبلي من الصخرة الشريفة اثر قدم هو على ما يذكر قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتبرك به الناس ويمرغون خدودهم فيه وقد طاف بالصخرة الشريفة شباك من العود ، وبعده شباك آخر من الحديد ، فيه ثلاثة ابواب ، فالباب الجوفي منها يسمى باب الجنة ، وباعلاه مكتوب بالخط الغليظ الحسن هذا باب الجنة ، وبأعلى الباب الثاني منه لوح نحاس كبير مكتوب فيه بالنقش المحكم ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ، ولا شريك له ، الاحد الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤا احد ، محمد بن عبد الله ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، آمنا بالله وبما انزل على محمد ، وبما اوتي النبئون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ، صلى الله على محمد نبيه

وعبده ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه ، انه مما أمر به عبد الله الامام المامون امير المؤمنين اطال الله بقاءه فى ولاية أخي اميـــر المؤمنين ابي اسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد ابقاه الله وجرى على يـدي صالح بن يحيى مولى أمير المؤمنين فى شهر ربيع الآخر ، سنة ست عشرة ومائتين

قبة السلسلة التى كأن يحكم فيها داوود ومـــا كتب عليهـــا :

وباعلى الباب الثالث من الباب الشرقي لوح آخر من نحاس ايضـــا مكتوب فيه هذا النص المذكور بجملته ، وامام باب الجنة المذكورة ، قبـــة تغشى النواظر بشعاعها ، وتخطف الابصار بالتماعها ، تسمى قبة السلسلة وهي التي كان يحكم بها داود عليه السلام ، وهي قبة عجيبة حافلة ، قد قامت على سواري مختلفة ، وصناعة على الحسن مشتملة ، بوسطهـــا تاريخان مكتوبان بالذهب ، احدهما فى ارض خضراء زراعية ونصه :

بسم الله الرحمن الرحيم « وداوود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم ، وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان ، وكلا آتينا حكما وعلما » ، كمل تجديد بطن هذه قبة السلسلة المباركة ، ونقش سقفها وتبليطها فى شهور سنة ست وتسعين وخمسمائة

وفى الركن الغربي من هذا الصحن المرتفع المذكور مسجد فيه قبتان منتظمتان عجيبتان ، فيهما رسوم مذهبة ، وتواريخ مختلفة ، اقربها عهدا هو ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ، وصلواته على خير خلقه ، محمد وآله وصحبه ، اما بعد فما زالت همم ملوك الاسلام تتناصر على اثبات آثار يبقى ذكرهم ببقائها ، وانشاء محاسن يباهون الامم ببهائها ، فيجـدون رسوما طالما نسجت عليها العناكب ، ويرقمون على صفحات الايام رقمـــا تشرق اليه الكواكب ، فتضل عيون الاماني بمئاثرهم قريرة ، واعـــواد احبائهم بمفاخرهم مورقة نظيرة ، اعطاهم الله قدرة فصرفوها الى رفـــع اقدارهم ، واتاهم الدنيا فلم يتركوها غفلا من محاسن آثارهم

فتراهم دون الزحام وذكرهم باق بها فكأنهم احياء

فلله در فتى تبقى بعده مساعيه مشكورة ، ومناقبه ما بقيت آثـــاره مذكورة ، **ولما** تشعث هذا السقف من هذا الهيكل السعيد ، أمر بتجديده

الملك العادل الرشيد ، السلطان الاعظم ، والخاقان الافخم ، مالك مماليك العرب والعجم ، المجاهد الفازي الاكرم سليمان (1) ، ابن سليم خان ، بعد الالف من هجرة المصطفى ، صلى الله عليه وعلى آله الاخيار الشرفاء .

ابواب المسجد الاقصى وطوله وعرضه

رجوعـــا لما بقي من خبر المسجد الاقصى ، واوصافه التي لا تستقصى ، فاما ابواب مدينة القدس فهي سبعة :

الاول الذي دخلنا منه باب العمـــود
والثاني باب الزاهرة
والثالث باب الاسبـــاط
والرابع باب المغاربـــة
والخامس باب النبي داوود
والسادس باب الخليل
والسابع باب خطة

واما أبواب المسجد الاقصى الذي يصلي فيه امام الشافعية وهـــو المسقف من الاقصى وصار اليوم اسم الاقصى علما عليه بالغلبة ، فعرضه من المحراب الى الباب الكبير مائة وخمسون قدما ، وطوله اربعمائة وخمسة وخمسون قدما ، هذا مما يلي صدر المسجد فى بلاط المحراب وما يليـــه ، وفيما دون ذلك أقل ، ولهذا المسقف منه احد عشر بابا ، سبعة فى صف واحد فى مقابلة الصخرة ، اوسطها هو الباب الكبير المقابل للمحراب ، وامام هذه الابواب بلاط مسقف واربعة ابواب فى جانبه ، وفى الجهة الغربية مـــن الصحن عدة مدارس بقربها ، متصلا بها مسجد وهو بلاط واحد كبير طويل جدا ، يقال له البقعة البيضاوية ، ويصلي امام المالكية قرب مربط البراق(2) ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى به ، وبقربه زاوية سيدي عبد القادر الجيلاني ، وطوله ما بين المسقف وغيره وهو ما تقدم ، وهذا تفصيله:

من باب الاسباط الى محراب داوود عليه السلام وسوق المعرفة هو مكان مسقف بين محراب داوود والمحل الذي فيه محراب مريم ، ومهد عيسى عليه السلام ، والمفتوح من ابوابه احد عشر بابا

---

1) هو سلطان آل عثمان ولد 1642 تولى 1687 توفى 1691 شغل مدة حكمه بالحرب مع النمسا
2) دابة « بين البغل والحمار » كمـا ورد فى الاثـر يقـال انهـا بيضاء اللـون ذات جناحين ركبهـا النبـي صلى الله عليه وسلم ليلـة الاسراء من مكة الى بيت المقـدس

اولها بابان متحدان فى السور الشرقي وهذان البابان يسمى احدهما باب الرحمة ، والاخر باب التوبة

والثالث باب الاسباط

والرابع باب حطة ، فى جهة الشمال ، وهو الذي امر الله بني اسرائيل ان يدخلوا سجدا ويقولوا حطة فبدلوا وخالفوا ما امروا به لعنهم الله .

والخامس باب شرق الانبياء فى جهة الشمال ويروون انه الذي دخل منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الفتح

والسادس باب المغاربة مجاور لباب الشرق
والسابع باب الغوانمة
والثامن باب الحديد .
والتاسع باب القطانين

والعاشر والحادي عشر باب السلسلة وباب السكينة ، وبها بابان متحدان وباب المغاربة سمي بذلك لانه مجاور لجامع المغاربة ، التي تقام به الصلاة اولا ، ولانه ينتهي الى حارة المغاربة وفى هذا الحرم الموضع الذي فيه محراب سيدتنا مريم ، وفيه مهد عيسى عليه السلام، وقد نزلنا له بمدارج، وزرته وقعدت فى المهد تبركا بصاحبه واشرفت من هذا المكان المحمول عليه المسجد الاقصى كله ، فهو محمول على اعمدة من الحجارة العظيمة من بناء الجان على عهد نبي الله سليمان عليه السلام

وذكر لنا بعض المزورين ان عدد السواري المحمول عليها المسجد الاقصى من اسفله تحت الارض ثلاثة آلاف قائمة والعمدة عليه ، وطول هذا المسجد سبعمائة ذراع واربعة وثمانون ذراعا ، وعرضه اربعة أذرع وخمسون ذراعا ، وله خمسون بابا ، لكنها لا تفتح كلها ، وفيه من السواري الرخام ستمائة واربعة وثمانين سارية ، وداخل قبة الصخرة ثلاثون سارية ، وهذه القبة عليها صفائح الرصاص من الصفر ، مموهة بالذهب واداروا بقية الصخرة مسجدا لصلاة الحنفية ، وفيه قناديل من الذهب والفضة ، والواح منهما وحلي منهما وحلل مثل الكعبة ، وسطح هذا المسجد مسقف باللوح ، ملوح بصفائح الذهب فى ابدع ما يكون ، فوق المسجد الذي اداره بالصخرة، واصل الصخرة لم يزل على اصله من التراب يتفتت منها لطول المدة ياخذه خدامها الموكلون بها ، يجمعونه فى كل جمعة يعطونه للاعيان والزوارويثيبونهم عليه ، ليحملوه بركة ، ودار بهذه الصخرة العظيمة دربوز من ساج ، فيه طيقان تدخل منها اليد للمس الصخرة يتبركون بها .

اول من بنى المسجد الاقصى :

واول من بنى هذا المسجد نبي الله آدم (1) بعد بناء البيت الحرام باربعين سنة ، وكان بني من قبل آدم بالاف من السنين ، ثم خربه الطوفان ، ثم بناه سام (2) بن نوح عليه السلام ، ثم خرب وبناه ابراهيم (3) عليه السلام بعد بناء الكعبة ثم خرب ، فبناه يعقوب (4) عليه السلام ، ثم خرب ، فبناه داوود (5) عليه السلام فانهدم ، ثم اعاده فانهدم ، فاوحى اليه ان لا يتم بناءه الا سليمان(6) فبناه الجن بامره بناء ضخما عظيما شاهقا ، فكان علو قبة الصخرة اثنى عشر ميلا وزينوها بانواع اليواقيت والجواهير والذهب والفضة ، ثم خربه بخث نصر واخذ جميع ما فيه من الذخائر العظيمة ، ثم بناه الملك كوشر المؤمن ملك الفرس على لسان نبي الله ارميا عليه السلام ، ثم خربه طيطوس ملك الروم لعنه الله ، ثم بنته هيلانة ام قسطنطين ملك الروم وبنت قبة الصخرة المباركة، فلما اكملتها دخلها سبعون الف راهب ليكفروا بها فسقطت عليهم ولم ينج منهم احد ، فبناها النصارى ثانيا وثالثا فسقطت عليهم ، فأشار عليهم ابليس لعنه الله ان يبنوا القمامة الكبرى فاخذوا حجارة المسجد واعمدته وبنوها بها والجثمانية ، وبيت لحم ، والمصعد ، وجعلوا سطح المسجد والصخرة مزبلة الى ان جاء الاسلام وفتح بيت المقدس صلحا على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فازال المزبلة وغسل الصخرة وبنى قطعة من المسجد للصلاة فى صدر المسجد الى ان جاء عبد الملك فبناه كله على ما هو عليه اليوم .

---

1) هو ابو البشر والانسان الاول خلقه الله من تراب وخلق حواء من ضلعه
« وعلم آدم الاسماء كلها   واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس
ابى واستكبر »
قال اخرج منها مذموما مدحورا »
قال الشيطان « لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين »
وكانت اول غواية لآدم وحواء باكلهما من الشجرة
2) سام : هو احد ابناء نبي الله نوح عليه السلام والذي وجد قبل ابراهيم بثمانية اجداد
3) ابراهيم : هو نبي الله ورسول الملة ، كما ورد فى القرآن الكريم « ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين »
وفى سفر التكوين « 11 ـ 25 »
4) يعقوب : هو احد الرسل كما ورد فى الكتب المقدسة .
5) داوود هو نبي الله الملك الذي ورد فى حقه من القرآن الكريم « يا داوود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله »
يرجع نسبه الى اسحاق بن ابراهيم عليه السلام تولى الملك سنة 1012 ق م خلفا لاخيه شاؤول ، آلان الله له الحديد ورزقه كثيرا من المواهب وهو اول من غير العاصمة جيرون الى القدس   بقي الحكم فى اعقابه الى 586 ق م
6) سليمان : هو نبي الله وابن داوود ذكر فى القرآن 16 مرة تولى الملك من 972 الى 932 ق م

دمشق :

ثم توجهت لمشاهدة دمشق ومسجدها الاموي ومزاراتها واماكن الاستجابة بها لما ورد من الاثر فيها ، **واما** قبور الانبياء عليهم السلام ، فقبر ابراهيم ، واسحاق ، ويعقوب بالمغارة التي هي داخل السور ، في محل يقال له قرية جيرون ، وقبر موسى عليه السلام بمسجد دمشق ، واما غيرهم من الانبياء فلم يثبت شيء من قبورهم وهؤلاء المعينون منهم ، كل قبورهم مظنونة ، وغير المعينين لا يعلمهم الا الله ، وارض الشام مشتملة عليهم ، يقال ان بطرسوس (1) عشرة من قبورهم ، وبالمصيصة خمسة ، وبسواحل الشام الف قبر ، وبانطاكية (2) قبر حبيب النجار يزار بها ، وبحمص ثلاثون قبرا ، وبدمشق (3) خمسمائة ، وبالاردن خمسمائة قبر ، وبفلسطين خمسمائة ، وببيت المقدس الف قبر ، وبالعريش عشرة

وروي بالاسناد عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : بالشام من قبور الانبياء عليهم السلام الف قبر وسبعمائة قبر هو لما قدمنا دمشق لم اقدم شيئا قبل الصلاة في مسجدها الجامع ووقفت بالاماكن المطلوب فيها الدعاء ورايت من عجائب هذا المسجد ما ازهدني فيما رايت قبله ، عمره الوليد (4) بن عبد الملك رحمه الله ، وكان قبل عمارته كنيسة عظيمة للنصارى عمرها اليونان لما بنوا دمشق ، وكانوا يعبدون الكواكب ، وفي كل عام يجعلون عيدا لكل هيكل من السبعة ، وعمروا تلك الكنيسة لصلاتهم ، وكانوا يصلون للقطب الشمالي ، ومحراب الكنيسة الى ناحية وباب الكنيسة الى جهة القبلة خلف المحراب اليوم ، كما شاهدته عيانا من الحجارة والصلوة المنقوشة ، وعن يمينه وعن يساره بابان صغيران عنه ، وكان غربي هذه الكنيسة بباب جيرون قصر آخر كان به سلطان اليونان بدمشق .

ولما فتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليد من الباب الشرقي عنوة بالسيف ، ودخل ابو عبيدة من باب الجابية صلحا ، فالتقيا في وسط

---

1) طرسوس مدينة بالشام اصبحت اليوم تركية فتحها المامون 788 وفيها دفن
2) مدينة في تركيا بناها سلوقوس الاول سنة 300 ق م
3) عاصمة الجمهورية السورية تقع في طرف بادية الشام ، وهي من اقدم المدن على ملتقى الطرق العسكرية والسبل التجارية القديمة يرجع تاريخها الى 5000 سنة كانت عاصمة الاراميين فتحها الاشوريون والبابليون والفرس واليونان والرومان ثم فتحها المسلمون سنة 635 واتخذوها عاصمة لهم احرقها تيمورلنك 1400 احتلها سليم الاول 1516
4) الوليد بن عبد الملك بن مروان اموي ولي الخلافة بعد ابيه 705 بلغت جيوشه الى القوقاز وصقلية والمغرب والاندلس ، و) ايامه حكم قتيبة بن مسلم بخارى وسمرقند وخوارزم وفرغانة وطشقند ، وفتح محمد بن قاسم الهند ، وطارق بن زياد بلاد الاندلس هدم مسجد المدينة والدور المحيطة به ثم بناه بناء جديدا ، وشيد المسجد الاقصى في القدس والمسجد الكبير الاموي بدمشق والذي اتمه اخوه سليمان .

الكنيسة ، فصار المسلمون يصلون في ناحية ، وبقي الكفار يصلون في الناحية الاخرى الى ان ولي الوليد بن عبد الملك ، وعمرت دمشق وضاق نصف الكنيسة بالمسلمين فطلبهم الوليد ان يتركوا الكنيسة للمسلمين ويحملون انقاضها ليبنيها كلها مسجدا ويعطيهم مالا يبنون به كنيسة أخرى ويزيدهم كنائسا غيرها من التي في ارض العنوة (1) فابوا وامتنعوا ولجوا ، فعمد اليها وهدمها وبناها مسجدا ، فلما رأوا ذلك طلبوا منه الانقاض والكنائس فابى وشارعهم فوجدوا أكثر الكنيسة من حساب ما اخذ عنوة فحينئذ كفوا وطلبوا منه مرارا ان يعطيهم كنائس فأعطاهم ثلاثة من أرض العنوة كانوا يصلون بها ، وهؤلاء اليونان اختطوا مدينة دمشق وبعدهم العمالقة وبعدهم الجبابرة وبعدهم الروم الى ان فتحها المسلمون في خلافة عمر (2) رضي الله عنه ، **وممن اجتمعت به بدمشق** البركة سلالة العلماء والصالحين الفقيه المحدث المؤرخ الاديب الشيخ سعد الدين الحنفي ، حفيد الشيخ القدوة العمدة سيدي عبد الغني (3) النابلسي ، وسلك هذا الحفيد مسلك جده سيدي عبد الغني النابلسي المذكور وادخلنا لبيته واكرمنا اكرمه الله ، واطلعني على رحلة له الى بيت المقدس نحا فيها نحو جده ، واطلعني على عدة تآليف لجده منها تاليف في حيلة العشبة المسماة عندنا بطابة ومنظومة عدد فيها منافعها وهي كثيرة وكان اعزه الله ياتيني لمحلي واتوجه لمحله ويجاريني في تواريخ المغرب ودوله التي لم تصلهم ، وقيد عني دولة الاشراف الزيدانيين والاشراف العلويين ، الى أمير وقتنا مولانا سليمان ابقاه الله ، ومدحني بابيات ضاعت مني ، وتوجه بي الى دار الحديث بالاشرفية التي بها النعل الشريف « للرسول » صلى الله عليه ، فزرته وقبلته وتبركت به

وممن لقيته بدمشق ايضا الفقيه اللبيب الحسيب الاديب كمال الدين الشيخ محمد بن محمد الدمشقي المشهور بالغزي اجتمعت معه بالمسجد الاموي ، وادخلني الى بيت له كبير بالمسجد بناحية الصحن ، يقعد به بقصد المطالعة والافتاء ، واتاني لمحلي ودار بيننا الكلام في شأن الشيخ ارسلان صاحب الكرامات ، وسألته عن نسبه فقال ارسل لك التعريف به فابطأ عني وعزمت على السفر فكتبت له بطاقة اعلمه بسفري ونصها :

---

1) اي الارض التي اخذت عنوة ؟
2) راجع هامش 3
3) النابلسي عبد الغني ولد بدمشق 1640 وتوفي بها 1731 وهو من كبار علماء التصوف من مؤلفاته « ايضاح الدلالات في حق جواز سماع الالات » و (الاوراد) وقيل انه اول كتاب طبع في دمشق

احيي طلعة ذلك الهلال ، المرغوب بسلامته من النقص بعد الكمال، الذي هو للدنيا زينة وجمال ، وللدين كمال ، وللمستعين فال ، وللمعتزين آمال ، تحية صب معتكف على حبكم لا يبرح ، وذي وجد لمجالسكم لا يكيف لعدم انتهائه ولا يشرح ، ويستنجز منكم ما وعدتم به من ترجمة الشيخ ارسلان ، فقد كان فى ذلك عليكم الاعتماد « والتكلان » ، والله تعالى يتولى هداكم ، ويفسح فى بقاء مدتكم ومداكم ، ولا تبخلوا علينا برؤيتك وانفسنا تفديك ، ولا تجعلها بيضة الديك ، **فبعث الترجمة ومعها هذه الابيات :**

يا واحد الفضل وفرد النهى	واكمل الناس مقاما وحال
شيدت فى التاريخ مرتبة	قد قصرت عنها فحول الرجال
لا عجيب من بدر بشام اضا	فمن جهات الغرب يبدو الهلال
تبارك الواهب قبلي له	وجل من قد خصه بالكمال

واجبته بقولي :

وانتم أهل لكل الذي	ذكرتم دون بقاء احتمال
وحزتم علما ومكرمة	لله انت يا فصيح المقال
خلقا وخلقا وانبساطا له	أدب غض للنفوس استمال
وحيلة حلا درب العلى	بها لكم على القلوب اشتمال
فما عسى يثنى عليكم به	وانتم للدين صوت كمال

ولما اصبحنا على السفر قدم علينا وودعنا الى خارج البلد سدده الله ، وتوجهت لمدينة انطاكية (1) **ولما** بلغتها قدم للسلام علي الفقيه النبيه المؤرخ الوجيه مفتي الحنفية الشيخ اسماعيل الجزاعي الذي كان مجاورا لنا بالمحل الذي نزلت به ، وكان اعجوبة فى الادب والتاريخ يحسن اللسان العربي ، فدخل فى أثره رجل من أهل بلده فكلمه بالتركي والمفتي يضحك والتفت الي وقال يا شيخ هذا رجل اختل من عقله جاءني اشفع له فى حق واجب عليه لقاضي البلد ، وذلك ان رجلا كان يتنازع معه فى ميراث وسجنه القاضي الى ان دفع له ما وجب له فى الارث ، ولما تمكن من حقه طالبه القاضي فى العشر فلم يقبل وهذا شيء لازم متعين لا يترك لاحد الا من كان له يد او شفيع مجبر ولما رآى ذلك اراد ان تأخذ بيده ربما يستحيي منك القاضي ، فقلت له ومن اين أنا ومن اين أعرف القاضي حتى اشفع عنده فقال لي لما نزلت هاهنا بلغه خبرك واثنى عليك خيرا وقال : ان خدام مولاي محمد ملك المغرب كلهم اولياء ، فقلت له لا سبيل لهذا ولا اسعى فيه .

---

1) راجع هامش 2 ص 151

فانظر لهذا العجب وهذه عادة قضاة المشرق كلهم نسأل الله السلامة والعافية من هذه الورطة التي وقعوا فيها ، فقد عمت البلوى فى هذه الدولة العثمانية فى القسطنطينية وبلاد الترك كلها ومصر والشام والعراق وخراسان وما وراء النهر ، وباعوا آخرتهم بدنياهم ، متفقين على ذلك من غير توقف ولا تأمل ولا تخوف ولا استحياء ولا تستر ، فليس للوعظ فيهم عمل ولا تاثير ، فانها عندهم جباية من اصول ، ويسمونها بالمحصول ، فتجد القاضي يناضل على قبضه ويصول من غير ارتياء ولا استحياء ولا حشمة ، ولا اعتبار شنعة أو وصمة ، كانه حق واجب ، ويزاد للجليس والحاجب ، فان كانوا معاظهارهم لهذا الامر جلية ، معتقدين حليته ، فقد باؤوا بالصفقة الخاسرة ، وجوه يومئذ باسرة ، فيا حسرة على الاحكام الشرعية المرضية المرعية ، فقد ضاعت حقوقها ، وساغ عقوقها ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وقد كان هناك قاضي مكة ورد من الاصطنبول متوجها لها فتعلق به هذا المفتي يشفع عند القاضي الانطاكي فى هذا الذي استجار به ، وكتب له ابياتا فباللاتى والتي اسقط له نصف حقه ، واستخلصه بالمشقة من رقة ، بعد ان علق باظفاره مثل ما علقت اظافر سنور بفارة ، وبقي ينهق تحسرا مثل حمار فاره ، من كثرة ما هو شاره . هـ .

ثم كان رجوعنا الى انطاكية فى خمس وعشرين يوما ومنها سافرنا لمدينة ازمير (1) فكان دوراننا بسواحل الشام ومراسيها ثلاثة اشهر شاهدنا فيها من المشاق واهوال البحر ما يكون كفارة للذنوب ان شاء الله ، وحصل لنا من السرور ومشاهدة آثار الاقدمين بالسواحل الشامية ما تقر به العيون، خصوصا مدينة انطاكية وضخامة بنائها وعظيم اسوارها وابوابها شيء لم يكن فى غيرها وتعجز عنه قدر الدول ومساحة سورها يسير فوقه خمسة فرسان من اعلاه ، وفى جوفه من أسفل بيوت مقبوة لسكنى العساكر ، عدتها حسبما ذكروا لنا عشرة رجال بمرافقهم ، فكان تعجبي من هندسة واضعها اكثر من ضخامتها حيث جل نزول العساكر مستقر فى جوف السور ، حتى لا يزاحمون سكان المدينة فى الدور ، واما حماماتها وخاناتها وكنائسها التي عمرت مساجدا فشيء زائد على الحد ، ولقد خربت ولم تبق على حالها الاول من العمارة وتخلل عمارتها الغرس والبساتين ، وصار لها ما صار لبغداد ومصر ومراكشة عادة الله فى خلقه وارضه ، فسبحان من بيده ملكه .

---

1) راجع هامش 3 ص 143

دخول المؤلف لازمير وما وقع لـه مع صاحب الجمرك :

ولما ارسينا بمرسى ازمير وجهنا المكاتب التي معنا من الاسكندرية ففي الحين قدم علينا للمركب بعض التجار وسلم علينا ، وكان يترجم بيننا وبينه رئيس المركب فقال تنزل معي الساعة فالمنزل حاضر ، فقلت لابـد ان اراه وحينئذ ابعث للمتاع فوافق وتوجهت معه الى ان بلغنا الشط وتوجهنا قليلا ففتح لنا البيت فدخلته فوجدته من احسن البيوت ، له غرسة وحمام ومربط فاقمت به ووجهت صاحبي مع الرجل للمركب فاخذوا الزوارق معهم وانزلوا الاثاث وافردوا الجواري فى زورق وقدموا بالجميع دفعة ولما بلغوا محـل القمرق وبعثوا لي فوصلتهم وجدت الشيء كله موضوعـا بالشط وصاحب القمرق واقف وجهه قائد البلد وهو فى قبة بازائنا وكانت لي عدة صنادق من الطعام لما ركبت من الاسكندرية وفرقت البضاعة فى غرائر الطعام وكلـها ابدلتها بالاسكندرية قروشا سكة بلاد الترك ، فكان منها نحو العشرين الف قرش ، كل الف فى وسط غرارة من طعام ، فلما حضرت وجاء صاحـب القمرق فسأل عما فى الغرائر فقلت الزاد وما فى الصنادق فقلت حوائـج اللباس والكتب ، فادخل السفود فى الغرائر فلما وصل الى القروش وقف فقال مافى هذه الغرائر؟ قلت بضاعة لنا ، فقال فى كلها؟ قلت نعم فرد الخبر على قائد المرسى فقال: لابد من مشاهدة ذلك ، فنصبنا بساطا وفتحنا الغرارة واخرجنا الكسكس الى ان ظهرت الخنشة التي فيها الالف ورآها فقال هذا ريـال « دورو » ، فقلت نعم ، فرد الشيء لمحله وحسب الغرائر وتوجه لصاحبـه فقال كل الغرائر فيها الوف الدورو فى وسط الطعام فاستعظم ذلك واستكثره وبعث الى التاجر الذي نزلنا عنده فوصله فقال من هذا ؟ قال رجل قدم من الحج وكان كاتبا لمولاي محمد سلطان المغرب ، وكتب لنا عليه اصحابنا مـن الاسكندرية ، فقال نحبك ان تاتي به الينا لنتبرك به ، فجاءني وقال لي ان الوالي يطلبك ، فوصلت الى قبته ، فلما ابصرني قام ومن معه ونزل مـن الدرج وتلقاني وعانقني ، وكذلك صاحب المرسى ، وكان يحسن العربيـة وسألوني عن الحال وبالغوا فى طلب المقام ببلادهم ، وامر الوالـي بحمل حوائجنا فاجتمع الحمالون ورفعوها دفعة واحدة الى المنزل

ولمـا بلغناه ورد أصحاب التاجر بسفرة الطعام والشمع والفواكـه الوقتية ، واحسن الضيافة جزاه الله خيرا ؟؟!

ولمـا اصبح قدم علينا جماعة ممن وردت عليهم المكاتب من اصحابهم فى الوقوف معنا والاستيصاء بنا ، فسلموا وعظموا وآنسوا وتكلموا فى شأن

الوباء واخبرونا انه ظهر ببلادهم منذ ثلاث ، ونحن فررنا من القدوم لتونس بسببه فاخترنا الجولان لبر الشام وبلاد الترك فوقعنا فيه ، فأسلمنا الامور لمدبرها ، وكان الجماعة جعلوا الضيافة مناوبة بينهم كل يوم يتوجه بنا واحد لبستانه نقيل ونبيت به ، وهم مجتمعون على الاكل والشرب والسماع ، ولا ندخل المدينة الا يوم الجمعة ، الى ان تجاوزنا الشهر والوباء فى الزيـــادة ، وفرت المراكب من المرسى ولم تاتها الى مدة من ستة اشهر فانقطع الوبـــاء وتحدث الناس بالسفر وقدمت المراكب من الافاق

وكـــان ذلك الوالي ممن اصابه الوباء واصاب ابنته ومملوكته ام بنته فماتت الام ، فاخبرني احد أصحابه من التجار « وهو » تونسي فتوجهـــت معه لحضور الجنازة ، فوجدته شاكيا ملازما للفراش ، فوقفت عليه وهـــو يتقلب من حرارة الحمى فقرأت عليه ما شاء الله وطلبت ماء ورد فجعلته فى اناء كتبت فيه اسماء ومحوتها بذلك الورد ودهن جسده بها وانصرفنا ومن الغد جاءني رسوله التونسي يطلب مني الوصول اليه ويخبرني انه بخير ، فما وسعني الا اجابته والتوجه للبيت ، فدخلت عليه ثم وجدته ملقى بين وسائد من ديباج فسلم وقبض على يدي يقبلها ويبكي ، فما تخلصت منه الا بمشقة وصار يقول شفيتني شفاك الله يا سيدي ، ابنتي تنظرها لوجه الله وكلـــم اخاه ان يقوم اليها فلما دخلت عليها على ما هي عليه من تعب الحمى رأيت أمرا مهولا ودهشت من حسن صورتها وما رزقت من كمال الخلقة فقـــرأت عليها ما شاء الله ، وجاء بالاناء المتقدم فكتبت به اسماء ومحوتها بماء الورد ودهنوا به ذاتها فلم تعد لها الحمى من ذلك اليوم ولا ظهر بها أثر ، وشفاها الله ، وبعد سبعة ايام وجه لي الوالي مع الصاحب التونسي بالحضور الى بيته لانه خرج لمحل جلوسه مع ندمائه ، وجعل صنيعا للصوفية والفقراء ذبح لهم بقرا سبعا وغنما ، وتصدق بلحومها على من ذكرنا واعتق عبدا وامـــة ، واطعم الناس شكرا لله على سلامته وسلامة ابنته ، فحضرت مجلسه واعيان الناس عنده ، فامرهم بالقيام لدخولي والسلام علي ، وتكلم معهم فى شأنـــي بسبب شفائه وشفاء ابنته فاثنوا خيرا وبالغوا فى التعظيم ؟!

ولمـــا اردت السفر للجزائر اكترى لي قامرة بمائة محبوب خلصها من كيسه ، وكنت اشتريت بتلك القروش التي عندي حريرا

ولمـــا اردت وسقه وقف عليه التونسي ووزنه بالقمرق وتعين مـــا يجب عليه فى الورقة ، وهو ستمائة ريال دورو وكذا ، ادفعها له ولعله يترك الباقي فدفعت له العدد وتوجهت معه للقمرق فوجدنا الوالي فى عمل فجلسنا عنده الى ان فرغ منه وحضر غذاؤه فاكلنا وفرغ المجلس فتكلم معه التونسي

بالتركي وقال هذه ثلاثمائة ريال نصف الواجب على الحرير الذي قدره كذا ، اتى بها الشيخ فقال استغفر الله فى قبض ذلك منه والله لو وسق المركب كله ما قبضت منه لا تذكر هذا ، قم رد ما قبضت ولا تعد بمثل هذه رحمه الله .

ولما وسقنا الحرير وحملته للمركب وحملنا زادنا وحوائجنا وبقينا فى الدار بروسنا ، صعدت للمركب لانظر المحل الذي أعد لنا وهي القامرة ، وجدت المركب ممتلئا بالعسكر الى باب القامرة ولم اجد اين اتحرك ، فما امكنني الا أن احضرت رئيس المركب واطلعته على ما فى القامرة من الصنادق والحرير والاثاث وكتب لي بخط يده بذلك ودفعت له مفتاح القامرة وكتبت له مكاتب لقاضي الجزائر وبعض معارفنا من فاس ان يدفع لهم ما فى القامرة اذا بلغ الجزائر ، ونزلت من المركب للبلد فاجتمعت مع الوالي وقلت لم يتهيأ لي سفر فى هذا المركب لانه ممتلىء بالعسكر ومعي جواري ومماليك صغار لا يجدون طريقا ولا مجازا مع الاتراك وربما رموا بهم فى البحر فقال اوصي اعيانهم وامراءهم فقلت لا يمكنني السفر معهم وقد اوصيت رئيس المركب على رزقي واعطاني خط يده بما عنده وانا اتوجه فى المركب المتوجه لتونس فاكترى لنا منه القامرة وخلصها ايضا من عنده ، وحملنا فراشنا وزادنا وسافرنا من ازمير مع مركب العسكر فى يوم واحد ، ولم يكن معي الا مائة ريال فضلت بعد قضاء مؤونة السفر ، انفقتها فى المراسي التي دخلتها ببلاد الترك وبجزيرة مالطة (1) لما ارسينا بها

ولما بلغنا مرسى تونس لم يقبلونا لمجيئنا من ازمير الذي كان به الوباء وانزلونا بقلعة تيكي فى وسط البحر ، بقصد بدعة الكرنطينة التي جعلوها دفعا للوباء قبح الله مبتدعها .

رجوعا لما بقي من خبر فتح الترك لمدن الروم :

ولما كنت بازمير وصليت يوم الجمعة بمسجد المرسى اجتمعت بكاتب الدولة سليمان افاندي الواقف مع الحاكم يحصي مستفاد المرسى ومستفاد الجزية ، فالزمني المسير معه الى بيته وكان عزبا واولادهبالاصطنبول فاكرم مقدمنا وقال والله اني احبك ومستحيي منك فى أمر الضيافة لان عيالي بالاصطنبول ، وكم مرة سألت عنك فيقال لي انه مع الجماعة فى البستان وهذه الكلفة التي انا بها لا يمكنني التخلف عنها ولا فيها يوما اخلوا فيه بنفسي حتى

---

1) جزيرة فى البحر الابيض المتوسط بين صقلية وغربي تونس جنوبا حط فيها الفينقيون حوالى القرن 11 ق م فتحها اسد بن الفرات 870

اتانس معك في بيتك او في بيتي ، وهذا الوباء قد اتلف الناس عن اشغالهم وتجارتهم ، فاريد منك ان تتفضل ليلا بالقدوم لبيتي او تقبل قدومي لبيتك فاني مثلك غريب الدار اتانس بك وتتأنس بي ، اذ لا تجد في هذه البلاد ومن طلبتها من يحسن العربية الا قليلا من التجار الاجلاف الذين لا منفعة فيهم ، فقلت حبا وكرامة ليلة عندي وليلة عندك ان قبلت وقنعت بما عندنا ، فقال لا اكلفك شيئا الا المسامرة والمحاضرة ، تخبرني باحوال ممالك المغرب ، واخبرك بممالك الترك وما في حكمها ، وانفصلنا على هذا وقبل المغرب بساعة جاءني سائسه بفرسه لبعد بيته عني ، فما وسعني الا التوجه معه فوجدته في انتظاري ، وطلع بي الى محله وقدم لنا سفرة العشاء فأكلنا ، وجلسنا للمفاوضة والمحاضرة فوجدته حادقا لبيبا ، يحسن اخبار دول الترك والعجم والروم ، الى ان انتصف الليل وقمنا

ولما أصبح انفصلنا وبعد صلاة المغرب قدم علي للبيت وطرق خديمه الباب فخرجت فوجدته فنزل وامر خديمه برد الفرس واوصاه ان ياتي به صباحا وطلعنا لمحلنا وتحدثنا ساعة ولما حضر العشاء ووضعت السفرة وحضر الطست والابريق امتنع من الاكل وقال الم اقل لك لا تتكلف لنا بشيء لاني لا أصلي المغرب حتى اتعشى ، فأكلت وصليت واتيت ، فقلت له لابد لك من أكل كسكسنا ولا تكدر علينا بعدم الاكل والا لم آكل عندك ، فقال الى مرة اخرى وآتي فارغا لاني ان اكلت على هذا الامتلاء ربما يحصل لي ضرر قلت لابأس عليك ببركة نبي الله سليمان

قال كيف ذلك ؟

الكسكس صنعه طبيب الجان لسليمان عليه السلام ؟؟؟

قلت الم تسمع بان الكسكس اخترعه طبيب الجان لنبي الله سليمان لما حصل له السهر وارق ليالي فشكا امر السهر ، فصنع له الكسكس ، ولما اكله نام فكان لا يخلو من سفرته

فقال اسالك بالله ؟

فقلت تواتر هذا وانا عبد الله ان لم آكله ليلة ينقص نومي ، وهذا مجرب عندي .

فقال باسم الله وطلب ملعقة ثم صار ياكل بها ، وكلما اكل لقمة يقول لي والله اني خفت منه لانه فطير ، فاقول له قال هذا قبلك علي آغا المهمندار

الى ان الف اكله معنا فصار يأكل بيده وترك الملعقة فأكل ، الى أن روى واكتفى، واستطابه وقال والله طيب .

ولمـــا فرغنا من الاكل جلسنا للحديث ، فكنت احدثه بخبر المغرب ودوله وعن ممالك السودان ، وكان ذلك دابي ودابه مدة من شهر نقلت عنه ممالك العجم والترك والروم زيادة على ما فى تاريخ كمال باشـــا الـــذي استنسخت بالاصطنبول فى سفارتي لها ، وقال لي اني سمعت به ولم اره ، وهذه الممالك العثمانية التي ملكها اول ملوكهم تزيد على سبعين مملكة ، فانها لما كمل نصابها وتم بدرها فى ايام السلطان سليمان بن سليم الذي كان اعظم ملوكهم وكانت تحت ملكه سبعون مملكة ، كل مملكة يوجه لها اميرا من امرائه معروفة كمملكة الجزائر ، وتونس ، وطرابلس ، ومصر ، والشام ، والحجاز، واليمن ، وحلب ، والجزيرة ، والعراق ، والبحرين ، هذه ممالـــك ارض العرب وباقي السبعين كله ببلاد العجم ، أولها :

مملكة الروم ، وادربيجان ، وبلاد الاكراد ، واقليم مكران ، واقليم بابل، واقليم الاهواز ، واقليم الجبال ، واقليم بلاد فارس ، واقليم كرمان ، واقليم سندان ، واقليم خراسان ، واقليم جرجان ، واقليم طبرستان ، واقليـــم خورستان ، واقليم كيلان ، واقليم بخارى ، واقليم سمرقند ، واقليـــم فرعانة ، واقليم خوارزم ، واقليم طخارستان ، واقليم بلخ ، وغير ذلك ببلاد الروم

وكل اقليم من هذه الاقاليم يشتمل على مدن وقرى وعمائر ، فقـــد ذكروا ان باقليم خراسان ازيد من ثلاثمائة مدينة حواضر ، وكان جميع ذلك لنظر السلطان العثماني ، والذي بلغنا من مشاهير مدن هذه الاقاليم هو هذا:

أول ما فتحه الاتــراك مـــن بـــلاد الروم

مدينة العلايا ، وانطاكية ، وبردور ، وسبرتا ، واكريدور ، وآقشهر ، وقارحصار ، ولادو ، وطراس ، وميلاس ، ولارندة ، وانقورية ، وقونية ، وبنجك ، وسلطان اولى ، واسكي شهر ، وايلة كول ، ولبري حصار ، ومرمرابرصي العظمى ، وازمير (1) ، والقصبات ، وطيرة ، وكسضاش ،

1) يقول المؤلف فى الهامش ، مدينة ازمير هذه من بلاد افلاطون الحكيـم ، وداره بهـا مشهورة الى الان و قف عليهـا المؤلـف هـ من خطـه
وافلاطون الحكيم الفيلسوف ولـد فى اثينـا ما بين 427 ـ 347 ق.م ، وهو من تلامـذة سقراط وفى عام 388 ذهب ليعين فى بـلاط طاغيـة سرقصة ولمـا عـاد الى اثينـا اسس الاكاديمية حيث علم الرياضة والفلسفة حتى آخر حياته باستثناء رحلتين الى سرقصـة حيث حاول تطبيق جمهوريته ، ومؤلفاته التى تاثرت بها الدراسات العربيـة عبـارة عـن محـاورات تقسم فى مجموعـات ثـلاث حسب زمـان تاليفهـا ...

وسمندرية ، وايدوس ، وازنكمير مدينة الاسكندر ، وهركة ، وقارة تكير ، وطانمان ، وازنيق .

ثم قطعوا الخليج لبر الروم ففتحوا مدينة :

كالبولى ، وبنطون ، وسرلي ، ومسلي ، وبرغاز ، وبابا اشكا ، وادرنة العظمى ، وبلاقونية ، وبولي ، وخير بولي ، وقرق كنيسة ، وحصار بيكار ، وويزره ، وقلمرونة ، وصاروبا ، وصوفيا ، وفليبية ، وقارجيك ، وبني شكول ، وشاطال بوغاز ، وبلونية ، وبوفورلي ، واسكينة ، ومارولية، وكوتلنجنة ، وسرف ، وسمدرة ، والنش ، وسليستو ، ونيكيولي ، والمانستير ، وبورلبا ، وقاريلي ، واشبت ، وسلانيك العظمى ، وموخيا ، والبوصنا ، وهرشك ، ونيدفولي ، وسيروز ، واونة ، وشترون ، وقسطموني ، وقونية ، وتوقات ، وسيواس ، وقيسارية الروم، وحامصون واصناب ، وسودان ، ومرزيقون ، وجابيك ، ورومية الصغرى ، وارمنية الكبرى ، ووسيرة كه ، واسكي ككبيره ، وطاوق حيي وقرتال ونبريك ، وسمندرية ، وبلغراد ، وكرما ، وبودنج ، وانج حصار ، واسكندرية الارنوط ، والاصطنبول ، والاسكدار ، وبعدها **اينور** ، والآس ، ونورة ، وكردوس ووسكوب ، وكورتي جلنك ، ووصودا ، وتخلاطوا ، واسترغون ، واستولني ، وتاتا ، وبوديم ، وشقراد ، ونوغراد ، واشمون ، وطورنة ، واندريك ، واينور ، ودوزورة ، وأماسية ، ومغنيسة ، ومنيصة ، وبركش، وطوماس، وجزيرة مدلي، ولمنين ، وساقص ، ورودس ، وسطنكوى ،وقبرص، وكندية ، والمورة ، والجوخان ، وقريطش ، وبوخشادة ، وغيرها من الجزر ، وقيل انها مائة .

ثم مدينة **افريبوز** العظمى للفرنصيص ، والعلابية ، وسلفة ، وموقنين ، وكولي ، وآق كرمان العظمى ، ونجاح وايجده قلعة واليبيج ، وطمشوار ، وكستوار ، وآغرك

ثم فتحوا بلاد اليمن بعد ان اخذها البردقيز عام احد وثمانين وتسعمائة ، هذا ما اخذوا من مدن الارمن واليونان ، والخزر والروم ، **وهي اشهر بلاد الفرس :**

الاهواز ، وتستر ، والسوس ، وجند اسابور ، ورام هرمز ، وارجان، وسابور ، واصطخر ، وشيراز ، والسند ، والرودان ، والشيرجان ، وبست ، وجيرفت ، واصبهان ، ويزدشير ، والفهرج ، والطاق ، وسرخس وغزنة ، واستراباد ، وهرات ، وسفراين ، وقاشان ، وبوسنج ، ومروا

الروذ ، والصالقان ، والجورجان ، والناميان ، وترمد ، والدينور ، والري، وطوس ، وبسطام ، وخازرون ، والمهرجان ، والشاهجان ، والظاهرية ، والجرجانية ، وطراز ، وبخارى ، وسمرقند

واعظم مدينة بالهند **دلهـــي** وهي دار مملكة الهند قبل افتـــراق ملكهم ، لانها اليوم موزعة على عدة ممالك مسلمين وكفـار ، وليس فوقهـا واعظم منها الا مدينة **الخنســا** التي بالصين ، وليست الخنسا الشاعرة العربية ، وانما اتفاق فى الاسماء ، وهذه المدينة مساحتها طولا مسيرة ثلاثة ايام للراكب ، يسير فيها المسافر ويبيت ويسافر ، ثلاثة مراحل ، وهي مشتملة على ستة مدائن وكل مدينة بسورها واسواقها وخاناتها ، وعلى المدن الستة سور جامع للكل ، وكيفية وضعها حتى عظمت ، ان كل واحد له بستان وداره فى وسط بستانه وتجاوره ارض فلاحية ويجاوره غيره عن يمينه وشماله وامامه وخلفه ، والطريق بينهم ، وعن يمين الطريـــق وشمالها دكاكين وخانات ومساجد للمسلمين فى مدينتهم ، وكنائس وبيع وبيوت نار للنصارى واليهود والمجسوس ، فمدينة المسلمين بمساجدها ، ومدينة اليهود والنصارى والمجسوس بكنائسهم ، وبيع وبيوت نارهم

والمدينة الاولى لا يسكنها الا حراس المدن ، وهم من جملة عساكر السلطان عددهم اثنى عشر الفا

والمدينة الثانية يسكنها اليهود والنصارى والمجوس

والمدينة الثالثة يسكنها عامة المسلمين من اهل الصين ، وبها تخدم الصنائع كلها من الديباج والكمخة والمشجر ، واواني الذهب والفضة ، والتصاوير ، واواني « الودع » والصيني والسلاح ، حتى انهم يصنعون الاواني من القصب ويموهونها بالاطلية ، فتظهر لمن يراها كانها قطعـــة واحدة ، ويستعمل فيها الطعام الحار ولا يؤثر ذلك فى طلائها ، ولا تفسد وتسقط من اليد على الارض ولا تتكسر للينها ، وحتى الصواني والقصع الكبار يصنعونها منها ، كما يصنع اهل الهند القصع والخوابي من الفرع ، لان الفرع يعظم عندهم فيقطعونه انصافا قبل جفافه ويبسه ، ويجعلـــون منه قصعا وجفانا وخوابي ويستعملونها فيما ارادوا ويجعلون منها قصعا عشرة ، واحدة داخل الاخرى وفوق العاشرة مكبة منها كانما نحتت من شجر الصفصاف ، مع الخفة وعدم التشقيق بالحر ، كانها نحاس

والمدينة السادسة يسكنها البحرية والصيادون والحمالون والنجارون والبناؤون وعامة أهل الاشغال والامتهان ، وسلطان الصين يقال له القان الاعظم ، وتحته ملوك فى كل اقليم من الصين ، وهو من نسل جنكيز خان .

ومن اشهر مدن بلاد الهند كابلي ، وبلهرا ، وقشمير ، والمهـــراج ، وسمور ، وقماري ، وقنوج ، والدبوج

واشهر مدن ملوك الصين خانكو الكبرى ، وخانكو الصغرى ، وايسلي ، وسوسي ، وباجة ، واسفيريا ، وطوخى ، وجمدان ، وجيعون

واما جميع مدن الصين والهند فلا يحصيهم احد ، **واما مدن ملـــوك السند :** فالملتان ، والمنصورة ، والمنيعة ، وطوبران ومدينة الصنم الاعظم

واما مدن ملوك ارض اليونان المجاورين للروم فاولها :
قرقيسيا وآذنة ، وطرسوس ، والمصيصة ، والعلات ، ومرعش ، وملطية ، وانقرة ، وكرميان ونيقية ، والبيلقان ، وخرشنة ، وهرقيلية ، وعمورية ، ومقدونية ، والرميم ، وآمد

وامـــا مدن بلاد **الارمن** ، **فارمينية** العظمى ، ونصيبين ، واردبيـــل ، والزان ، واذربيجان ، وخلاط ، وارزن ، ودبيل وتلفيس ، والباب، والابواب، وصول واطرابزندة ، ومدينة السرير ، وهرقلية ولانية وبردعة

وامـــا اشهر مدن السودان ، **فوليلي** ، وسلي ، وتكرور ، ولملـم ، وونثارة ، وونفرة، وشمقارة ، وعنبارة ، وكركرة ، وغانة ، وقمدونة، وويلولة، ونوابية ، وطرمي ، ويلان ، وكعبرا ، ودنقلة ، وعيذاب ، وبربرة ، ودمدمة ، وتنبكت ، ومغراوة الى البحر ، وما ذكرنا من مدن الروم الا المدن التـــي حاربوها وحاصروها ، واما التي اسلموها دون حرب او صالحوا عليهـــا واقاموا اهلها تحت الجزية والذمة ، والقلع والقرى ، لم نذكرها اذ لا تحصى كثرة ، ولقد استرد الكفار منها كثيرا لما انحل نظام الدولة فى هذا الزمن حسبما تسمع ، ثم فتحوا بعد هذا بلاد العجم وخراسان ، والعراق ، والجزيرة ، والشام ، والحجاز ، وجزيرة العرب ، واليمن ، ثم عطفوا على بلاد البربر طرابلس وافريقية والواسطة ، الى تلمسان ، وهذه الفتوحات كلها كانت على يد اثني عشر ملكا من ملوكهم آخرهـم السلطـان مراد (1) بن سليم ابن سليمان ومنه رجع ملكهم القهقرا على تمام الالف ، والثالث عشر منهم السلطان محمد بن مراد هو الذي فتح عمله بقتل عشرين من اخوته ، ومن هناك لم تقم لهم قائمة لان اهل الدولة حجبوهم ولم يبق لهم تصرف فى الدولة ، ورجع الحل والعقد بيد الوزراء ، ففسدت الاحوال الى ان يتم أمر الله

---

1) هو مراد الثالث ابن سليم الثاني ولد 1546 وتولى سلطـان تركيـا 1574 وتوفـى 1595 تعتبر مدة حكمه بداية انحلال الامبراطورية العثمانية رغم انتصار جيوشه على فـارس وذلك لان حريمـه كان مسيطـرا على حكومتـه

تقسيم كل اقليم من الاقاليم السبعة الى عشرة اجزاء ومن عمره

وحيث ذكرنا فى هذه الرحلة ما وقفنا عليه من البلدان بالمغرب والسودان ، والواسطة ، والاندلس ، وافريقية ، وبرقة ، ومصر ، والشام ، وبلاد الروم ، والجزيرة ، والعراق ، والحجاز ، واليمن ، والسند ، والهند ، والصين ، وخراسان ، الى السد ، وكل هذه البلدان فى الاقاليم السبعة التي هي المعمور من الارض ، محدودة من المغرب الى المشرق طولا ، وكل اقليم مقسوم على عشرة اجزاء ، وكل جزء من العشرة اجزاء طوله اربعون مرحلة، واربعون مرحلة عرضا ، يجتمع فى المعمور كله اربعمائة مرحلة طولا ، وعرض المعمور من سد ياجوج وماجوج (1) الى بلاد النوبة من السودان عند خط الاستواء مائتي مرحلة وعشرة ، هذا المعمور من الارض طولا وعرضا تعين ان نبين لمن يطالع هذه البلدان اين محل كل بلد ، واين هي من هذه الاقاليم السبعة ، وفى اي جزء من الاقاليم ، الاول او الثاني الى تمام السابع ، فلم تكن على هذه القسمة السباعية ، لان الاقاليم متداخلة بعضها ببعض ، وتتخللها البحار ، فانقطعت واشتركت فجعلت لها قسمة اخرى على اسماء الاراضين وحدودها ، ونبهت على كل ارض اين هي من الاقليم وجزئها من الاقاليم السبعة ، فاذا ذكرت المدينة من الارض الفلانية ، تعرف جزءها واقليمها وبعدها وقربها ، فكان استنباطا عجيبا ، وتبصرة للمطالع ، وتقريبا والله المستعان ، وعليه التكلان

الاقليم الاول

هو الموالي لخط الاستواء من بحر المغرب الى بحر الزنج والهند ، اربعة أجزاء ، عمرتها امم السودان ، وخمسة اجزاء ونصف فى البحر وجزره

---

1) هو سور الصين العظيم وهو عبارة عن استحكامات تمتد حوالي 2400 ك م عبر شمال الصين بين اقليم كانسو الى اقليم سنوانجتا وهوبيه وتمتد فى معظمها على طول الحافة الجنوبية لسهل منغوليا ، وقد اقيم هذا السور لحماية الصين من غارات المتوحشين الشماليين ، والذي بدأ تشييده هو « شن هوانجتى » الذي حكم من 246 الى 209 ق.م واما السور على صورته الحاضرة فمرجعه الى اسرة المينج 1368 ـ 1644 وهو متوسط ارتفاعه 7 ونصف م ويتراوح سمكه بين 4 ونصف و 9 م عند القاعدة حتى يبلغ 4 م فى اعلاه بنيت اجزاؤه الشرقية.من الحجر اما اجزاؤه الغربية فهى مجرد تكوينات من الطين واقيمت على مسافات متساوية من السور مراكز للحراسة وابراج للمراقبة ، ورغم كل هذا فان الغزوات المتتابعة التى تعرضت لها الصين من الشمال اظهرت انه لم تكن للسور فائدة عسكرية كبيرة .
واما ما نسجه خيال الكتاب حول هذا السور الكبير فمرجعه الى تلك الحروب التي عرفها التاريخ الصينى القديم عبد الكريم الفلالى

وفى قطعة من نصف الجزء الخامس اليمن وارضه ومدنه ، وفى الاربعة اجزاء امم الزنوج والسنود والهنود والصينيون

الاقليم الثانى :

الموالي له ، ابتداؤه من المغرب ، اكثره قفر وفيه عمائر قليلة وامم رحالون ، اربعة اجزاء ونصف الى بحر الهند ، ونصف هذا الجزء الخامس مع سواحل البحر ، زالع وسواكر والحبشة والزنج من امم السودان ، وبحر القلزم وجزيرة العرب وهي الحجاز ، ونجد ، وتهامة ، وقبالة ، وعكاظ ، وحضر موت ، والاحقاف ، والرس ، وقلمات ، والشحر ، ونجران ، وسبا ومارب ، واليمامة ، وعمان ، والبحرين ، وهجر ، ودومة الجندل ، ورضوى والحجر ، وتبوك ، وبعدها بحر فارس

وفى ناحيته الشرقية فى الجزء السابع من الاقليم الثاني من الموالي له، الهند والصين

وفى الجزء التاسع الهند وطرف فيه الصين ، وفى العاشر كله الصين، وفى طرف عاشر الاقليم الاول على طرف البحر صين الصين ؟؟

الاقليم الثالث

الجزء الاول من المغرب فيه المغرب الادنى والاقصى والوسط
والجزء الثاني فيه الزاب وافريقية الى طرابلس
والثالث فيه برقة الى حدود مصر
والرابع فيه ارض مصر وصعيدها
والخامس فيه ارض الشام ومدنها

والسادس فيه اليرموك ومغائص الفرات والحيرة والقادسية والبصرة وواسط والكوفة والابلة وعبادان وطرق من بحر فارس وارض الفرس .

والسابع كله للفرس والعجم وفيه المفازة

والثامن فيه خراسان ومدنها ونهر جيحون وعراق العجم وفيه امما ومدنها

والتاسع فيه ارض التبت والصين ومدنه .
والعاشر كله صين ومدنه الى البحر الاعظم .

الاقليم الرابــع :

وسط الجزء الاول فيه الاندلس .

والثاني والثالث والرابع وبعض الخامس كله بحر ، وفيه جزائر عددها مائة اكثرها معمور بالروم والترك ، وبعض الخامس فيه بقية الشام وارض الجزيرة كلها ، التي بين دجلة والفرات .

والسادس فيه العراق كله

والسابع فيه طبرستان وجرجان وهمدان واصبهان وامم لا تحصى وامم الديلم

والثامن النهر فيه بخارى وسمرقند وخوارزم وشروسنـــــة وارض العجم

والتاسع فيه فرغانة والشاس وامم الترك

والعاشر فيه ارض الاتراك الرحالون ومجالتهم الى الجبل الفاصل بينهم وبين ياجوج وماجوج .؟؟

الاقليم الخامــس :

الجزء الاول منه نصفه بحر ونصفه للروم واجناسهم
الجزء الثاني والثالث للروم
والرابع كان للروم واخذه الترك ومن فيه تحت الذمة .
الخامس الذي فيه الاصطنبول للترك
السادس للتـــرك
السابع فيه بحر الخزر وكله للترك .

والثامن والتاسع قفر وفيه مجالات للترك واممهم الى جبل ياجوج وماجوج
العاشر لياجوج وماجوج .

الاقليم السادس :

الجزء الاول منه ثلثاه بحر وثلثه للروم
والثاني ثلثه بحر وثلثاه للروم .

والرابع للروم .
والخامس فيه البحر الاسود وعاد للروم .
والسادس للترك واممهم
والسابع للترك ومجالاتهم
والثامن للترك
والتاسع قفر وخلاء لكثرة البرد والثلج ، وفى الصيف مجالات للترك
وفيه السد العاشر لياجوج وماجوج .؟؟

الاقليم السابع :

الجزء الاول بحر
والثاني بحر وفيه جزيرة نقلاطرة بلاد الانجليز
والثالث نصفه بحر فيه جزيرة رسلاندة وجزيرة برقاعة للروم
والرابع نصفه بحر ونصفه للروم
والخامس للروم
والسادس للصقلب وبعضه لياجوج وماجوج
والسابع لهم والثامن من خراب وبعضه لياجوج وماجوج
التاسع لهم والعاشر لهم وهو بحر هـ .

البحر المحيط الذى منه مادة البحـــار :

رجوعـــــا **وحيث ذكرنا الاقاليم السبعة** فلابد من ذكر ما تخللـــها واحاط بها من البحار والانهار والعيون ، فأولها البحر الكبير ويسمـــى المحيط وهو البحر الاعظم (1) الذي منه مادة جميع البحـــار المتصلـــة والمنفصلة ، وهو بحر لا يعرف له ساحل ولا يعلم عمقه الا الله تعالـــى ،

---

1) يقصد المؤلف المحيط الهادي، اذ هـو اكبـر المحيطـات بالعالـم مساحتـه حـوالـى (181.300.000) كم م وطـولـه حوالي 11263 كم وعرضـه 17699 كم واطلق عليـه هذا الاسم ماجلان الملاح البرتغالي حين دخله بعد رحلته التي ساعدتـه عليهـا اسبانيـا 1520/11/28 والذي قتل فى الفلبين يـوم 27 – 4 – 1521 والمحيط الهادي تنتشـر فى جنوبه وغربه جزر كثيرة ، وهو اعمق المحيطات غـورا ويقدر متوسط عمقه 4270 مترا أهم تياراته التيارات الاستوائية الشماليـة والجنوبيـة والتيـار الاستوائـي الشرقـي وتيار همبولدت « بيرو » ، وتيارات اليابان وكاليكفورنيا
اكتشف بلبـاو ساحله الشرقى 1513 ، فـازت اسبانيـا والبرتغـال بالسيادة عليـه فى القرن 16 وثبت الانجليز والهولنديـون سيادتهم عليـه فى القـرن 17 ، ثـم الفرنسيـون والروسيون فى القرن 18 ، والالمان واليابان والولايات المتحـدة فى القـرن 19 ، وللمحيط الكبير شان كبير فى الاستراتيجية الدولية

والبحار التي على وجه الارض خلجان منه ، وفى هذا البحر عرش ابليس لعنه الله ، وفيه مدائن تطفو على وجه الماء ، وهي آهلة من الجن فى مقابلة الربع الخراب من الارض ، وفيه حصون وفيه قصور تظهر على وجه الماء طافيةثم تغيب ، وتظهر فيه الصور العجيبة والاشكال الغريبة ثم تغيب فى الماء ، وفيه الاصنام التي وضعها ابرهة ذو المنار الحميري قائمة على وجه البحر وهي ثلاثة اصنام .

ابرهة ذو المنار واصنامه الثلاثة كل واحد واشارته

واحدهم اخضر وهو يومىء بيده كأنه يخاطب من ركب يامره بالرجوع.

والصنم الثاني احمر يشير الى نفسه ويخاطب من ركب هذا البحر أن يقف عنده ولا يتجاوزه

والصنم الثالث ابيض كانه يومىء باصبعه الى البحر من جاوز هـــذا المكان هلك ، وعلى صدر الصنم (1) مكتوب بالمسند :

هذا ما صنعه ابرهة ذو المنار التبعي الحميري لسيدته الشمس تقربا ء اليهـــــا .

وفى هذا البحر ينبت شجر المرجان كسائر الاشجار فى الارض وفيه من الجزائر المسكونة والخالية ما لا يعلمها الا الله تعالى قال ابو الزنجـــان الخوارزمي :

ان المحيط الذي فى المغرب على ساحل بلاد الاندلس يسمى بالمظلم (2) ايضا لا يلج فيه احد ابدا ، مادا فى جهة الشمال وهو بحر **القرم** ، يمر على سور

---

1) ابرهة المقصود هو القائد الحبشى الذي غزا اليمن فى القرن 6 للميلاد انتقاما لما تعـرض لـه « اصحاب الاخدود » والذي ارسله هـو ملك الحبشـة تلبيـة لرغبـة (جوستينيان) قيصر الروم ، للانتقام من اليهود ، واستمر فى حروبه سنتين انتحـر فيها ذونواس ملـك اليمن اليهودي العقيدة ، وذلك عند يأسه من النصر
وقد بنى ابرهة بضعة كنائس باليمن اهمها « القليس » بصنعاء ورمـم سد مـارب عنـد تصدعه وهو آخر ترميم كما قام بمحاولة فاشلة للاستيلاء على مكة والكعبة المشرفـة وذلك ليحول انظار القبائل وسوق التجارة الى صنعاء وفى حقه يقول الله تعالى : « الم تر كيف فعـل ربـك باصحـاب الفيـل » (السـورة)

2) المظلم او بحر الظلمات عند المغاربة هو « المحيط الاطلسى » ثانـى اكبر المحيطات مساحته 82.439.700 ك ٠ م يقع بين الامريكتين وقارتى اوربا وافريقيـا ، ويتصل بالمحيـط الهاديء بواسطة قناة بنمـا ، وبالبحر المتوسط بواسطة مضيق جبل طارق ، وبالبحـر الاحمر من خلال الابيض المتوسط بطريق قناة السـويس
اهم اذرعه الغربية خليج هدسن ، وبافـن ، وخليج المكسيك ، والبحر الكاريبى
واهم اذرعه الشرقية البحر البلطيقي ، وبحر الشمال ، وخليج بسكاي والبحـر المتوسط وخليـــج غينيـــا
اقصر مسافاته : عبره بين دكـار بغربى افريقية ومنبـع البرازيـــل
تصب فيه انهار كبيرة كثيرة ، تسوده عدة تيارات بحرية ينتج عنها ضباب كثيف ، اهمهـا تيـار الخليج تمخـر فيه أضخـم حركة للملاحة بين العالمين القديـم والحديث .

قسطنطينة، ويتضايق حتى يقع فى بحر الشام ، ثم يمتد نحو الشمال فى محاذات ارض الصقالبة ويخرج منه خليج فى شمالي الصقالبة فاذا وصل الى قرب أرض المسلمين وبلادهم انحرف نحو المشرق وبين ساحله وبين ارض الترك اراضي وجبال وخراب غير مسكونة ولا مسلوكة ، ثم يتشعب منه اعظم الخلجان وهو **الخليج الفارسي** المسمى فى كل اقليم ومكان من المحيط باسم ذلك الاقليم والمكان للمحاذات له فيكون اولا بحر المذكور خليجان عظيمان : **احدهما** بحر **مكران وكرمان وخورستان وعبادان** وهو الخليج الشرقي الشمالي ، **والاخر بحر** الزنج والحبشة وسقالة الذهب والبربرا (1)، والقلزم وبلاد السودان حتى ينتهي الى بلاد مصر الى عيذاب وهو الخليج الجنوبي الغربي ، وفى هذا البحر اعني الخليج الشرقي بجملته من الجزائر العامرة والمسكونة والمعطلة ما لا يعلم عدد ذلك الا الله سبحانه وتعالى . **وسنذكر كل بحر علي حدته وما فيه من الجزائر والاثار والعجائب على الترتيب ان شاء الله :**

اما البحر الاول (2) من هذا الخليج الشرقي وهو بحر الصين (3)، وبحر التيبت وبحر الهند وبحر السند ثم يمر اولا بالصين ثم بالتيبت ثم بالهند ثم بالسند ثم على جنوب اليمن وهناك ينتهي الى باب المندب طولا فتكون مسافة طوله من مبدئه من المحيط فى الشرق الى باب المندب فى الغرب اربعة آلاف وخمسمائة فرسخ ثم يتشعب من هذا البحر الصيني .

الخليج الاخضر (4)، وهو بحر فارس، والابلة، ومكران، وكرمان، الى ان

---

1) البربرا هي مرفأ وقاعدة الصومال سكانها 30.000 منهم 99 ٪ مسلمون .

2) يقصد المؤلف البحر الاحمر ، الممتد لمسافة 2400 بين افريقيا وآسيا وتحتل مياهه اعمق اجزاء الاخدود الافريقى العظيم . يحف به فى الغرب : مصر والسودان والحبشة والصومال وفى الشرق المملكة العربية واليمن ، يتصل فى الجنوب عن طريق بوغاز باب المندب بخليج عدن والبحر العربى وفى الشمال يتفرع الى ذراعين هما : خليج العقبة وخليج السويس ، وبينهما تقع شبه جزيرة سيناء . ظلت اهمية الملاحة فيه محدودة الى ان تم فتح قناة السويس 1869 واصبح جزءا من أهم الطرق البحرية للملاحة فى العالم التى تربط اوربا بالشرق الاقصى واستراليا وجل موانيئه صغيرة منها :
السويس ـ القصير ـ عردقة ـ بورسودان ـ مصوع ـ العقبة ـ جدة ـ الحديدة سواحله رتيبة منبسطة ، لتركز اعماقه فى الوسط واقصاها 2100 م تكثر بالسواحل شعب المرجان والجزر المرجانية وهي خطيرة على الملاحة . اما مناخ الحوض فحار رطب.

3) يقصد ببحر الصين الجزء الغربى من المحيط الهادىء وتقسمه فرموزا الى بحر الصين الشرقي وبحر الصين الجنوبي .

4) يعرف بالخليج العربى وهو عبارة عن ذراع من البحر العربى يمتد بين ايران وجزيرة العرب ، وتحف به ايران والعراق والكويت والمملكة العربية ومشيخة ساحل الصلح البحري . يمتد حوالي 965 كم من مصب الدجلة والفرات «شط العرب» حتى مضيق هرمز الذي يربطه بخليج عمان . اهم موانئه : بوشهر او عبدان ، والكويت والدكام ، اكبر جزره البحرين يتوسط منطقة غنية بالبترول اشتهر فى الحرب العالمية الثانية لانه كان طريقا للسفن المحملة بالعتاد الى الاتحاد السفياتى

ينتهي الى الابلة حيث عبادان فهناك ينتهي آخره ثم ينعطف راجعا الى جهة الجنوب فيمر ببلاد البحرين واليمامة ويتصل بعمان وارض الشحر واليمن وهناك اتصاله بالبحر الهندي ، وطول هذا البحر اربعمائة فرسخ واربعون فرسخا ويتشعب من هذا البحر الصيني ايضا

خليج القلزم (1) ومبداه من باب المندب المقدم ذكره حيث انتهى البحر الهندي آنفا فيمر فى جهة الشمال مغربا قليلا فيتصل بغربي اليمن ويمر بتهامة والحجاز الى مدين وايلة وفاران وينتهي الى مدينة القلزم واليها ينسب وينعطف راجعا فى جهة الجنوب فيمر بشرق بلاد الصعيد الى جون الملك الى عيذاب الى جزيرة سواكي الى ذالعي من بلاد البجة الى بلاد الحبشة ويتصل بالبحر الهندي وطول هذا البحر الف واربعمائة ميل والله اعلم

البحر الثاني الخليج الغربي (2) ، الاخذ من البحر الغربي المظلم وهو بحر المغرب والشام والروم ومبداه من الاقليم الرابع ويسمى بحر الزقاق لان سعته هناك ثمانية عشرة ميلا كما لزقاق وكذلك طول الزقاق ايضا من طريق الى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا فيمر مشرقا فى جهة بلاد البربر وبشمال المغرب الاقصى الى ان يمر بالمغرب الاوسط ويتصل بارض افريقية الى وادي الرمل الى ارض برقة وارض لوقا ومراقيا الى الاسكندرية الى شمال ارض التيه الى فلسطين الى سائر ساحل الشام الى ان ينتهي طرفه الى السويدية وهناك نهايته ثم ينحرف راجعا الى جهة المغرب فيتصل بالخليج القسطنطيني الى جزيرة بليونش وكشميل الى اردنت وهناك يخرج الى الخليج(3) البندقي، ويتصل الى مجاز صقلية ، الى بلاد رومية، الى بلاد سقوبية واريونة ويجتاز بجبال اليونان فيمر بشرقي الاندلس من جنوبها الى الجزيرتين ، من حيث ابتدأ ، وطول هذا البحر الف ومائة وستة وستون

---

1) بحر داخلي تمتد حدوده ما بين اوربا وآسيا ، شكله مستطيل وحوضه يشمل بلاد القوقاز وقاز اختلسان وتركمانيا وايران ، مستواه على 26 مترا دون مستوى البحر الاسود وبالرغم من كون نهر الفولكا ينصب فيه فانه فى نقصان مطرد ، تبلغ مساحته 424 000 كم • م •

2) هو البحر الابيض المتوسط وهو اكبر بحر يتوسط ثلاث قارات 1) اوربا 2) آسيا 3 افريقيا مساحته 2.965.550 كم • م • م يمتد حوالى 53700 م طولا وحوالى 1930 عرضا ويصل عمقه فى بعض اجرائه الى حوالي 4412 مترا يتصل بالاطلسي بواسطة بوغاز جبل طارق وبالبحر الاسود بالدردنيل وبحر مرمرة والبوسفور كما يتصل بالبحر الاحمر بقناة السويس ، مياهه اكثر ملوحة من مياه الاطلنطى اختلاف المدى غير كبير ، شواطئه المطلة عليه جبلية فى الغالب عززت قناة السويس (1869) اهميته التجارية القديمة ، ودعمت مكانته الاستراتيجية ، نشأت على شواطئه أهم الحضارات القديمة المصرية والافريقية والرومانية والفينيقية والاسلامية والاوربية تطل عليه دول اسلامية واوربية كثيرة وتتناثر فيه عدة جزر هامة منها : قبرص ، وكريت ، ورودس وصقلية ، ومالطة ، وسردينية ، والبليار

3) خليج فنيسيا « البدقية »

فرسخا ، ويخرج من هذا البحر الشمالي خليجان احدهما خليج البنادقة ومبداه من شرقي بلاد فلورية من بلاد الروم عند مدينة ادرنة فيمر من جهة الشمال عن تفريب يسير الى ساحل سنت ثم يأخذ فى جهة المغرب الى ان يمر بساحل البنادقة ، وينتهي الى بلاد ادكالية (1) من هناك ينعطف راجعا مع المشرق على بلاد جزر اسية والمانية الى ان يتصل بالبحر الشامي من حيث ابتدا وطول هذا البحر الف ومائة ميل

والخليج الاخر نيطش ، ومبداه من البحر الشامي حيث فم اندة ، وعرض فوهته هناك رمية سهم ، ويمر ثلاثة مجار رمية سهم ، فيتصل بالقسطنطينية ، فيكون عرضه هناك ستة اميال ويمر نحو نيطش من جهة المشرق فيتصل فى الجنوب بارض هرقلية الى سواحل اطرابزندة الى ارض أشكالة الى ارض لانية وينتهي طرف هذا الخليج هناك حيث الجزيرة ومن هناك ينعطف راجعا الى مكانه ، ويتصل ببلاد الروسية ، وبلاد جرجان ، ولا يزال حتى ينتهي الى مضيق فم خليج قسطنطينية ، ويتصل به ويمر بشرقي مقدونة الى أن يتصل بالموضع الذي منه ابتدأ ، وبين ساحله وبين أرض الترك ارضون وجبال مجهولة وطول بحر نيطش وهو بحر القرم من فم المضيق الى حيث انتهائه الف وثلاثمائة ميل . **وبحر جرجان والديلم فهو** بحر الخزر فانه يخرج منقطعا لا يتصل بشيء من البحار المذكورة وتقع فيه عيون كفيره وعيون دائمة الجريان **وذكر** الحوقلي ان هذا البحر مظلم القعر ، وانه يتصل ببحر نيطش من تحت الارض ، ويتصل بهذا البحر من جهة الغرب بلاد ادربيجان ، ومن جهة الجنوب بلاد طبرستان ومن جهة الشرق ارض الفرية ، ومن جهة الشمال ارض الخزر ، طوله الف ميل وعرضه من ناحية جرجان الى موضع نهر ايكة ستمائة ميل وخمسون ميلا ، وفى كل بحر من هذه البحار جزائر وامم مختلفة ونباتات وحيوانات مختلفة وجبال وغير ذلك ونحن نفصل ما وصل اليه علم الناس .

البحر المظلم سمى بذلك لكثرة أهواله وصعوبته :

بحر الظلمة وهو البحر المحيط الغربي وسمي المظلم لكثرة اهواله وصعوبة متنه ولا يمكن أحد من خلق الله ان يلج فيه ، انما يمر بطول الساحل لان امواجه كالجبال الرواسي ، وظلامه كدر ، وريحه زفر ودوابه متسلطة ، ولا يعلم ما خلفه الا الله تعالى ، ولا وقف بشر على تحقيق خبره .

1) لعله يقصد ايطالية ــ لمانية المانية

العنبر الجيد وخواص حجر البهت :

وفى ساحل هذا البحر يوجد العنبر الاشهب الجيد ، وحجر البهت ، وهو حجر من حمله اقبل الناس عليه بالمحبة والتعظيم وقضيت حوائجه ، وسمع كلامه ، وانعقدت عنه السنة الاضداد ، ويوجد ايضا بساحله حجارة مختلفة الالوان ، يتنافس اهل تلك الارض والبلاد فى اثمانها ، ويتوارثونها ويزعمون ان بها خواصا عظيمة وفى هذا البحر والجزائر العامرة والخراب ما لا يعلمه الا الله تعالى وقد وصل الناس منه الى سبعة عشر جزيرة .

بحر الصين اكبر البحور الا الميحط وفيه عجائب

واما بحر الصين وما به وبها من العجائب ويسمى هذا البحر باسماء عديدة بحر الضب ، وبحر الهركند ، وبحر صقجي ، وهو متصل بالمحيط من المشرق ، وليس على وجه الارض بحر اكبر منه الا المحيط ، وهو كثير الموج ، عظيم الاضطراب ، بعيد القعر ، فيه المدن والجزر ، كما فى بحر فارس ، ويستدل على هيجانه بان يطفو السمك على وجهه قبل هيجانه بيوم واحد ، ويستدل على سكونه ببيض طائر معروف ، يبيض على وجه الماء فى مجتمع القذى ، وهو طائر لاياوي الى الارض ابدا ، ولا يعرف الا لجة البحر ، وفى هذا البحر مفاص اللؤلؤ يطلع منه الحب التي لا قيمة لها ، وفى هذا البحر من الجزائر ما لا يعلمه الا الله تعالى عددا ، الا ان بعضها مشهور يصل اليه الناس ، قيل ان فيه اثنى عشر الف جزيرة عامرة مسكونة ، وبها عدة ملوك وفى بعض جزائره ينبت الذهب ، ويكثر فى بعض السنين ويقل فى بعضها كالنبات ؟؟؟

واما بحر الهند (1) فهو اعظم البحار واوسعها واكثرها خيرا ومالا ولا علم لاحد بكيفية اتصاله بالمحيط لعظمه وسعته وخروجه عن تحصيل الافكار ، وليس هو كالبحر الغربي ، فان اتصال البحر الغربي بالمحيط ظاهر ويتشعب من هذا البحر خليجان اعظمهما بحر فارس ثم بحر القلزم

---

1) هو ثالث محيطات العالم مساحة يمتد من الهند الى المنطقة المتجمدة الجنوبية ، ومن شرقي افريقية الى جزيرة تلمسانيا
ينبسط حوالي 6436 كم بمحاذاة خط الاستواء و 9654 كم من شماله الى جنوبه .
اعمق اغواره المعروفة حوالى 4270 مترا بالقرب من جزيرة جاوة ، تجلب رياحه الموسمية الكبرى « مونسون » الامطار لجنوب شرقى آسيا يتميز الجزء الشمالى منه بحركة السفن الملاحية

فالاخذ نحو الشمال بحر فارس ، وفى هذا البحر جزائر كثيرة ، قيل انها تزيد على عشرين الف جزيرة ، وفيها من الامم ما لا يعلمه الا الله تعالى ، فاما ما وصل اليه الناس فاقل قليل ..؟؟

بحـــر فارس وما خص به من عجائب الخيرات :

واما بحر فارس فيسمى البحر الاخضر وهو شعبة وبحر الهند الاعظم وهو بحر مبارك كثير الخير دائم السلامة وطي الظهر قليل الهيجان بالنسبة الى غيره **قال عبد الله الصيني** خص الله بحر فارس بالخيرات الكثيرة ، والبركات الغزيرة ، والفوائد والعجائب ، والظرف والغرائب ، **منها** مغاص اللؤلؤ الذي يخرج منه الحب البالغ الكبير وربما وقعت الدرة اليتيمة التي لا نظير لها وفى جزائره معادن انواع اليواقيت والاحجار الملونة النفيسة ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والسنبادج والعقيق وانواع الطيب والافاوية

واما بحر عمان فهو شعبة من بحر فارس عن يمين الخارج من عمان وهو بحر كثير العجائب ، غزير الغرائب ، وفيه جزائر كثيرة معمورة مسكونة

واما بحر القلزم فهو شعبة من بخر الهند جنوبية بلاد البربر او الحبشة وعلى ساحله الشرقي بلاد العرب وعلى ساحله الغربي بلاد اليمن والقلزم اسم المدينة على ساحله وهو البحر الذي اغرق الله فيه فرعون وهو بحر مظلم وحش لا خير فيه باطنا ولا ظاهرا وفى هذا البحر جزائر كثيرة وغالبها غير مسكونة ولا مسلوكة

واما بحر الزنج فهو بحر الهند بعينه ، وبلاد الزنج منه فى جانب الجنوب تحت سهيل ، وراكب هذا البحر يرى القطب الجنوبي ولا يرى القطب الشمالي ولا بنات نعش ، وهو متصل بالبحر المحيط وموجه كالجبال الشواهق ، وينخفض كاخفض ما يكون من الاودية وليس زبد مثل سائر البحار وفيه جزائر كثيرة ذوات اشجار وحياض ولكنها ليست بذوات ثمار مثل شجر الابنوس والصندل والساج والقنا والعنبر يضاد ويلقط بساحله وبها يوجد كل قطعة كالتل العظيم

واما بحر المغرب فهو بحر الشام وبحر القسطنطينية مخرجه من المحيط ياخذ مشرقا فيمر بشمالي الاندلس ثم ببلاد الفرنج الى القسطنطينية ويمر ببلاد الجنوب الى سبتة الى طرابلس الغرب الى الاسكندرية الى سواحل الشام الى انطاكية **وذكر فى اخبار مصر** انه بعد هلاك الفراعنة كانت ملوك بني دلوكة فى شق البحر المحيط من المغرب وهو البحر المظلم فتغلب الماء على بلاد كثيرة وممالك عظيمة فاخربها وركبها وامتد الى الشام وبلاد الروم وصار يبحر احاجز بين بلاد مصر وبلاد الروم على احدى ساحليه المسلمون وعلى الاخرى النصارى وهناك مجمع البحرين هما بحر الروم والمغرب وعرضه ثلاث فراسخ وطوله خمس وعشرون فرسخا والمد والجزر هناك فى كل يوم وليلة اربع مرات وذلك ان البحر الاسود وهو بحر المغرب عند الشمس يعلو فيصب فى مجمع البحرين حتى يدخل فى بحر الروم وهو البحر الاخضر الى وقت الزوال فاذا زالت الشمس غاض البحر الاسود ويصب فيه الماء من البحر الاخضر الى مغيب الشمس ويعلو البحر الاسود الى نصف الليل ثم يفيض ويعلو البحر الاخضر على الدوام وفى هذا البحر من الجزائر شيء كبير

واما بحر الخزر فهو بحر الاتراك وهو فى جهة الشمال الشرقية جرجان وطبرستان وعلى شماله بلاد الخزر وغربيه الان وجبال القبق وعلى جنوبه انجير الديلم وهو بحر واسع ولا اتصال له بشيء من البحار وهو بحر صعب خطر المسلك سريع الهلاك شديد الاضطراب والامواج لا جزر فيه ولا مد وليس فيه شيء من اللئالي ولا الجواهر . **وذكر السمر قندي** فى كتابه ان ذا القرنين اراد ان يعرف ساحل البحر ، فبعث قوما فى مركب وامرهم بالمسير فيه سنة كاملة ، لعل ان ياتوه بخبر ساحله فساروا بالمركب سنة كاملة فلم يروا شيئا سوى سطح الماء وزرقة السماء فارادوا الرجوع فقال بعضهم نسير شهرا آخر لعلنا ان نرجع بخبر فساروا شهرا آخر فاذا هم بمركب فيه ناس والتقى المركبان ولم يفهم احدهم كلام الاخر ، فدفع قوم ذي القرنين اليهم امراة واخذوا منهم رجلا ورجعوا الى الاسكندر واخبروه بالامر ، فزوج الاسكندر الرجل بامراة من عسكره ، فاتت بولد يفهم كلام الوالدين فقال له سل اباك من اين جئت فقال جئت من ذلك الجانب ، فقيل له فهل هناك ملك ، قال نعم اعظم من هذا الملك ، قيل فكم لكم فى البحر ، قال سنتين وشهرين، وقيل دور هذا البحر الفين وخمسمائة فرسخ، وطوله ثمانمائة فرسخ، وعرضه ستمائة فرسخ، وهو مدور الشكل الى الطول اميل، وبهذا البحر عجائب كثيرة، منها ما ذكر أبو حامد عن سلام الترجمان رسول

الخليفة الى ملك الخزر ، قال لما توجهت من عند الخليفة اليهم ، اقمت عندهم مدة ، فرايتهم يوما اصطادوا سمكة عظيمة ، فجذبوها « بالكلاليب » والحبال ، فانتفخت اذن السمكة ، فخرجت منها جارية بيضاء حمـــراء طويلة ، والشعر اسود ، حسنة الصورة ، طويلة القامة كانها القمر المنير ، وهي تضرب وجهها وتنتف شعرها ، وتصيح ، وفى وسطها غشاء لحمي كالثوب الصفيق ، من صرتها الى ركبتها كانه ازار مشدود عليها ، فلم تزل كذلك الى ان ماتت . **وهذه صورة البحار المتخللة للارض والدائرة بها والانهار والعيون التي بها وما فيها مبسوطة بمحوله فى الوجهين .**

جزر البحـــر (1) :

فان مدنها وقراها وقلعها لا تحصى ، ونذكر منها ما بلغنا خبـــره ووقفنا عليه فى كتب الجغرافيا ونبدأ بجزر البحر الاخضر المسامة لمغربنا ولبلاد الاندلس والروم ثم بقربها :

الجزيرة الخضراء (2) المقابلة لبر العدوة كانت دار اسلام وهي الان للـــــــروم

ثم بقربها **جزيرة يابسة** قريبة من بر الاندلس كانت للمسلمين وهي الان للــــــروم

ثم بقربها **جزيرة منورقة** بالنون كانت للمسلمين وهي الآن للروم
ثم **جزيرة ميورقة** بالياء كانت للمسلمين وهي الآن للروم

---

1) جزر جمع جزيرة والجزيرة عبارة عن مساحة صغيرة من الارض يحيط بها المـاء من كـل جانب ، وتقع فى محيط او بحر او بحيرة او نهر ، ولما كانت المحيطات تكـون كتلـة مائيـة ثابتة دائمة ، فيمكن القول ان االقارات جزر كبيرة ، واكبر جزر العالم هى جزر 1) سيلان تليها 2) غنيا الجديـدة ، ثم 3) بورنيو ، 4 فمدغسقر ، 5 فجزيـرة بافيـن 6 فسومطـرة فهـــونشــو
وتنشأ الجزر فى ظروف مختلفة ، كحدوث التواء فى قاع البحر بحيث تبرز اجزاء منه فوق سطح الماء . وتسمى عندئذ جزر محيطية ، او حين يغمر ماء البحـر اجـزاء مـن اليابسة فلا تبقى الا القمم العالية ظاهرة فوق سطح المـاء او حين تعمل التعرية البحرية على فصل اجزاء من صلب اليابسة ، وتسمى الجزر فى الحالتين الاخريين جزرا قارية ، ومنها الجزر البريطانية ، وجزر ارخبيل اليابانى ، وجزر صقليـة
وثمة جزر تنشأ نتيجة امتداد مرجانى ، وجزر بركانية تنشأ نتيجة تراكم اللاقـا البركانية حتى تظهر قمة المخرط البركانى فوق سطح مـاء البحـــر
وقد حدثت حالات نادرة اتصلت فيها الجزر الساحلية مرة اخرى بصلب اليابسة

2) مدينـة بالاندلس سكانها 110.000 ميناؤها مقابلا لميناء جبل طارق فقدها المغـرب سنـة 1344 ويرتبط ذكرها بالعقد الذي نشأ عن المؤتمر المنعقد بها بطلب من المغرب ايام المولى عبد العزيـز بن الحسن 1906

ويقرب منها **جزيرة برطماعون** كانت للمسلمين وهي الآن للروم
وبعدها **جزيرة سردانية** كانت للمسلمين وهي الآن للروم

وبعدها **جزيرة صقلية** المشتملة على عشرين مدينة وهي من اعظم جزر البحر وهي اول ما فتح المسلمون بعد فتح افريقية وقبل فتح الاندلس واستمرت بايدي المسلمين الى بعد الثمانمائة من الهجرة واستولى عليها الكفار دمرهم الله

ثم بعدها استولوا على الاندلس فى سني الالف الى تمامه

ثم بعدها بناحية افريقية **جزيرة جالطة** كانت للمسلمين فاستردها الروم

ثم بعدها **جزيرة مالطة** كانت للروم ولم تفتح قط ولا زالت بايديهم الى الآن وكم مرة حاصرها ملوك آل عثمان فلم يقدر فتحها

ثم يقابلها **جزيرة كندية** فتحها آل عثمان واستمرت بايديهم ثم استردها الكفار مدة ، ثم اعاد فتحها آل عثمان ولا زالت بايدي المسلمين ، وهي تشاكل جزيرة صقلية فى كثرة المدن والقرى والعمارة والخيرات، ولكبرها فيها مملكتان كل واحدة فيها باشا بعساكره ومنفرد بعمالته ، ومنها تمتد الاسطنبول

وبقربها **جزيرة المورة** كانت للفرنج وفتحها آل عثمان مشتملة على مدن عديدة وقلع وقرى وعمارة ، وان كانت فى الحقيقة متصلة ببر الروم الا من باب واحد كجزيرة الاندلس وبعد فتحها استردها الفرنج ثم عاود فتحها ملوك آل عثمان بعد الالف ولا زالت بايديهم بمدنها ورعاياها من الروم تحت الذمة

ثم يقابلها **جزيرة اثريطش** وبها مدن للروم وهي الآن بيد المسلمين
ثم بعدها **جزيرة الجوخان** بيد المسلمين فتحها آل عثمان
ثم **جزيرة ساقص** كانت للروم فتحها آل عثمان
ثم **جزيرة مدلي** فتحها آل عثمان
ثم **جزيرة لمنى** فتحها آل عثمان
ثم **جزيرة رودس العظمى** فتحها آل عثمان قرب الالف
ثم **جزيرة اسطنكوى** تقابلها فتحها آل عثمان .
ثم **جزيرة قبرص** هي التي فتحها معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه تقابل سواحل الشام لقربها منه ، ولم تزل بيد المسلمين الى الآن .

وغير هذه من الجزر اعرضت عن ذكرها لعدم استشهارها وقلة منفعتها من جملة الجزر الخالية ولا عمارة بها وهي التي يختفي بمراسيها « الزمنطوط » من المسلمين والكفار لقطع الطريق على المراكب ، المسلمون يقطعون على الكفار ، والكفار يقطعون على المسلمين ، وبعض مراكب الزمنطوط يختلط فيه باغية المسلمين والكفار ، ولولا قراصين الدولة العثمانية الذين ياخذونهم ويقتلونهم ، ما سلك احد بتلك الجزر فان عددها على ما حسبته بنفسي فى هذا البحر الاخضر مائة جزيرة ، بين صغارها وكبارها عامرها وغامرها

جزر البحر الاعظم الغربي :

فاولها من ناحية المغرب الاقصى :

الجزر الخالدات (1) التي من حساب الاقليم الاول الموالي لخط الاستواء ، يسكنها كفار البردقيز ومراكبهم تصل لمراسي السودان ، وبه تجارتهم واسفل منهم بمقابلة الاقليم الثاني .

جزر كنالية الثلاثة فيهم كفار البردقيز ايضا واسفل منهم

جزيرة قادس بساحل الاندلس وكانها من حسابه وبعدها

جزيرة الاشبونة ملاصقة لبر الاندلس وهي دار مملكة سلطانة البرقيز وكانت بيد المسلمين هي وجزيرة قادس ، ولما غلب الكفار على الاندلس اخذهما من جملته (2) بعد الالف ، ثم اخذها من البردقيز سلطان الاصطنبول مرارا ، واستردها البردقيز بمنافسة سلطان الانجليز لانه حليفه ثم بعدها :

---

1) تعرف هذه الجزر « بجزر خط الاستواء » وهى مجموعة مرجانية فى المحيط الهادي الاوسط والجنوبى ، تتألف من عشر جزر هى :
1 ـ جارفس 2 ـ بالميرا 3 ـ كريستماس 4 ـ فاننج 5 ـ واشنطن 6 ـ فلنت 7 ـ نستك 8 ـ كارولين 9 ـ ستاربوك 10 ـ مالدن .
وتقع جنوب جزر هاو اي شمال وجنوب خط الاستواء ، بحيث يقسمها الخط الى مجموعتين :
تمتلك بريطانيا كريستماس فاننج وواشنطن وتمتلك الولايات المتحدة بالميرا وجارفس واما باقي الجزر فتبعيتها مشتركة بين هاتين الدولتين وقد استغلت الجزر فى بداية الامر لاستخراج السماد المتكون من مخلفات الطيور البحرية ثم تحولت الى قواعد جوية قوية.

2) كذا فى الاصل ولعله يقصد : فى حملته بعد الالف . وهو الصواب

الجزيرة العظمى **انقلاطرة** (1) بينها وبين بـر الروم المجـاز المسمـى بالزبط لا تسلكه المراكب الا بالخبير لضيقه وصعوبة مسالكه وبهذه الجزيرة عشرون مدينة وبها دار ملك الانجليز وقاعدة ملكه الاندلس مساحتها ست ساعات للراكب . **اخبرنا** من يوثق به من رؤساء البحر الذين وجههم لها أمير المؤمنين سيدي محمد رحمه الله سفراء لملك الانجليز وغيره من الباشدورات والخبر بهذه متواتر عند عامة التجار من المسلمين الثقات الذين يعتمـد بخبرهم ، ثم بعدها قريبا منهـا

جزيرة بن سلاندة للانجليز ايضا وهي بلاد الحرث والمواشي والخيرات: ثم بعدها .

جزيرة برقاعة بجنس السويد تقابل بلادهم : ثم بعدها

جزيرة ماركة بجنس دين المارك تقابل بلادهم ، واستدار البحر الاعظم بناحية الشمال مع بر الروم الى ان اتصل بجبل قوقابا الفاصل بين ياجوج وماجوج ، وصحراء الاتراك الى المشرق ، ويجاور هذه الصحراء المتراكمـة بالثلوج وهي خلف الاقليم السابع ، الترك ، والصقالبة ، والـروس ، وسحرت ، الى حدود الصين

---

(1) انجلترا : 130.800 كم م سكانها حوالى 45 000.000 نسمة وهى اكبر قسم فى هـذه الجزيرة البريطانية تقع ويلـز فى غربها واسكوتلاندا فى شمالها يفصلها عن اوربا القنـال الانجليزي ومضيق دوفر وبحر الشمال مما ساعدها على تعزيز وسائل دفاعها ، اما مناخها فمعتدل سهلة الاتصال بالعالم الخارجى عن طريق موانئها الجنوبية والشرقية والغربيـة الواقعة على مصاب انهار او على سواحل البحار والمحيطات ، سطحها فى الجنوب والجنوب الشرقى منخفض ں وخصب التربة ، وفى الشمال الشرقى تغطيه المستنقعات وفى الغـرب غير مستو ولنتهى بشبه جزيرة كورنرول ، وفى شمال اللمبـر سلسلة جبال بنيس المؤدية الى منطقـة البحيـرات ذات المناظـر الطبيعية والى اسكوتلاندا
واهم المدن فى انجلترا : لندن العاصمة ـ منشستر ـ لفربول ـ ليدز ـ سفيلد ـ وبرمنجهام بريستـل ـ بـرادفـورد ـ هل
وقد كانت هذه المدن فى عهد ابى القاسم الزيانى سببا فى ازدهار انجلترا مما ى بها الى قيادة العالم فى صادرات السلع المصنوعـة
وتتكون المملكـة المتحـدة من : انجلترا ـ ويلـز ـ اسكوتلانـدا ـ شمال ايرلانـدا اما حكومتها فبرلمانية وتتركز السيادة فى العرش متحدا مع البرلمان ، والوزارة مسؤولة امـام البرلمان والكنيسة الرسمية على راسهـا الملكـة او الملـك ، والتعليم فيها بالمجـان حتـى سن 16 وبها احد عشر جامعة اهمها واقدمها اكسفورد ـ كمبردج
ثم جزر الفرزية وهى سلسلة من الجزر تجاه بحر الشمال الهولاندية والالمانية والدانماركية
ثم جزر ليباري وهى مجموعة جزر بركانية بايطاليا شمال صقلية فى البحر النيرانى .

جزر بحر الهند والسند والصين (1) :

فاكثر من أن تحصى أو تعد ، ونذكر منها ما هو مشهور ووقف عليه اهل البحر والتجار ، **قال ابو عبد الله الصيني** : ان بهذا البحر الهنـــدي والصيني ازيد من عشرة آلاف جزيرة بين العامر والغامر ، منها ما بلغـــه المسافرون ، ومنها ما لم يصلوه ، ونبدأ منها بذكر

جزيرة الورد : لهذه المعجزة النبوية على صاحبها افضل الصـــلاة والسلام ، **قال القاضي عياض** فى الشفا ان بهذه الجزيرة ورد احمر ، مكتوب عليه بقلم القدرة بالبياض ، لا اله الا الله محمد رسول الله ، وهذا مـــن خوارق النبوءة ودلائل الرسالة

قال مؤلفه وبمغربنا ما يماثل هذا وشاهدناه بجبل درن بوادي العباد، شجر مكتوب على اوراقه وعلى قشر اصله وفروعه بقلم القدرة ، أشهد ان لا اله الا الله ، واشهد ان محمدا رسول الله بالبياض على خضرة الورق ، وبالرسم على قشر اصلها وفروعها ، وقد شاهدنا هذا القشر ياتي به أهل تلك البلاد ولا شك فيه ، ثم

جزيرة اخرى فيها ورد على جميع الالوان ، ومن قطع منه وجعله فى ثوب او ملاءة احرقها ولا يخرجه احد من تلك الجزيرة ، ثم :

---

1) جزر الهند الغربية او جزر الانتيل هى ذلك الارخبيل العظيم الذي يضم عددا كبيرا مـــن الجزر الكبيرة والصغيرة ، والذي يمتد فى شبه دائرة قطرها 4022 كم بين ولاية فلوريدا وشواطىء فنيزويـــلا ، فاصلا بين البحر الكاريبى والمحيـط الاطلنطـى وهـى ثـلاث مجمـوعـــات رئيسيـــة :

ا ـ جــزر بهامـا فى الشمـــال الغربـــى

ب ـ جزر الانتيل الكبرى فى الوسط ، ومنها كوبا وجاميكا واسبانيولا وبورتوريكـو

ج ـ جزر الانتيل الصغرى فى الجنوب الشرقى ومنها جزر : ليوارد ـ وندوارد ـ ترينيداد وبارمادوس وكلها غير مستقلة ماعدا كوبا وترينيداد واسبانيولا وتضم الاخيرة دولتين هما هايتى وجزيرة الدومينيكان . اما باقى جزر الارخبيل فهى تابعـة لـدول مختلفـة : لبريطانيـا بهاما ـ ليوارد وندوارد ـ بارمادوس ، ولهولانـدا كوراسو واوربا . ولفرنسا جزيرتى جوادالوب والمارتنيك وما يتبعهما من جزر صغيرة ويلحق بالولايات المتحـــدة بورتوريكو وجزر العـذراء « فرجيـن ايلانـدز » وتملك فنيزويـلا جزيرة مركريتـا . وقد اكتشف كولومبوس كثيرا من جزر الانتيل سـنـة 1692 وفى سـنـة 1696 نزلتها اول جماعة من البيض للاستيطان . وجلبت جموعا كثيرة من زنوج افريقية للعمـل بالجـــزر فتكاثروا وما زالت اعقابهم تمـلا تلك البقاع .. وتكثـر ببعض الجـزر المناطـق الجبليـة والبراكين العاملـة وتجتاحها الاعاصير البحرية التى تهب كثيرا بين اغسطس واكتوبـــر خاصة ، والمناخ شديد الحرارة عموما تعمل على تلطيفه الرياح الشمالية الشرقية وتشتهر الجزر بجوها المشرق المعتدل شتاء وبمياهها الهادئة الجبلية ، وهى لذلك من اشهر المشاتى فى القارتين الامريكيتين وفى 1961/6/17 اعلنت بريطانيا عزمهـا على منح اتحاد جـزر الهند الغربيـة التابعـة لها الاستقـــلال داخـل نطـاق الكومنولت فى مايـــو 1962 . ثم مجموعة جزر هاواى وتتالف من عشرين جزيرة 16628 كم م .

جزيرة الياقوت : تقابل أرض الصين ، وبها حيات عظام قتالة ، لا يقدر احد ان يصعد للجبل منها ، فيحتال أهل تلك البلاد في استخراج الياقوت بان ياتوا بلحم طري ويجعلونه اطرافا ، ثم يرموا به في ساحلها ويبتعدوا عنها وهم في زوارقهم ينظرون ، وللعقبان اوكار في اجراف البحر ، فاذا رأوا أهل الزوارق ورجعوا من الساحل طارت العقبان من اوكارها ونزلت على اللحم ، فتحمله وتعود الى اماكنها بالاجراف فتاكل اللحم وما يلتصق به من احجار الياقوت يسقط تحت اوكارها ، فياتي اهل الزوارق وينزلون بتلك الاجراف يلتقطون ما يسقط من احجار الياقوت التي تتعلق باللحم ، فكل يحصل على ما قدر له ، وهذا دابهم ، وكان العقبان يخافون من الحيات فلا يقدرون ان ياكلوا اللحم في الجزيرة خوفا من الحيات ، كل واحد يسقط على طرف فيحمله في مخلبه ويسير به الى محله **فانظر الى هذه الاعجوبة** من الآدمي ومن الطير ، وقدرة الله صالحة لكل شيء وكل ميسر لما قدر له.

قال ابو حامد الهندي اول هذه الجزر :

جزيرة الزنج بها قوم من الآدميين لا يفهم كلامهم ، ويطيرون من شجرة الى اخرى ، وبها سنانير لها اجنحة كالخفاش يطيرون بها ، وبها قوم يقال لهم من المخرمة ، مثقوبة انوفهم ، فاذا قصدهم عدو لحرب يخرجونهم ويجعلونهم في السلاسل ويقيدوهم من انوفهم ، فاذا قابلوا العدو أزالوا لهم السلاسل ودفعوهم للعدو ، فيحطونه وياكلوه ، ولا يقف لهم احد ، ومن قابلهم قتلوه واكلوه ، ثم

جزيرة الرخ بها هذا الطائر المهول الذي يقال له الرخ « طول جناحه عشرة آلاف باع وبيضته كالقبة العظمى (1) » وجعب ريشه يستعمل منها الخوابي للخزن ، تنشر الريشة جعابا على مقدار الخابية ، وتجعل لها قيعان من الخشب ويخزن بها كل شيء ، ويخرج من الريشة آلاف من الجعاب : ثم

---

1) لعل المؤلف يقصد الرخمة اي النسر : والرخمة او النسر عبارة عن جارح يستوطن المناطق المعتدلة والحارة ، ومعظم غذائه من الجيف ، وتشبه نسور الدنيا القديمة الصقور وتنتمي نسور الدنيا الجديدة الى فصيلة اخرى منها : الكندور ـ الصقر الرومي ـ ومن نسور الدنيا القديمة المعروفة بمصر : النسر الاسمر ـ الابقع ـ الاسود ـ ذو الاذن ـ ذو الذقن ـ كاسر العظام . وهو من اعظم الطيور الجوارح جرما ، طول جناحه 3 امتار ونيف كما ان هناك نوعا آخر يعرف بالعقاب منه انواع كثيرة نوع منها يستوطن الفليبين تصيد القردة ونوع آخر يوجد بشواطيء البحر الاحمر يصطاد السمك ـ طول جناحه حوالي نصف متر

جزيرة القرود لهم ملك يحكم بينهم بالعدل :

جزيرة القرود بها اصناف منها على كل لون ، لهم سلطان يحملونه على اكتافهم وينصف مظلومهم من ظالمهم بالعدل ، واذا قصدهم احد رجموه بالحجارة الى ان يهلك ، ويصيدهم جيرانهم اهل جزيرتي خرثان ومرثان ، ويبيعونهم للتجار باليمن ، يجعلونهم بالدكاكين لحراستها ، فلا يمكن لاحد ان يخدعهم بسرقة او حيلة لفطنتهم ، ثم

جزيرة الواق واق بها الذهب الكثير يجعلون منه اللبن للبناء فى الدور والقصور ، وقلائد كلابهم من الذهب ، وهي متصلة وسلطانتها امراة عريانة لا تلبس ثيابا غير النعلين ومن لبسهما من غيرها تقطع رجله ، ولها عساكر وافيال كثيرة ، وبها شجر له ثمر كصور الادميين له راس ويدان ورجلان وثديان وفرج امرة ، وكل واحدة فى غلاف كالصفصاف معلقة من شعر راسها فى الاشجار ، فاذا بلغن نادين واق واق ويسقطن فيمتن ؟ ثم

جزيرة السحاب وجزيرة هلاتي فيهما طيب كثير وسكنى اهلهما فى بيوت من خشب فوق الماء وارحية الريح فوق الماء ولهم ملك عظيم له ابهة ضخمة وعنده الفيلة ثم

جزيرة القمر اهلها يصنعون الثياب من الحشيش كالحرير والديباج ، ولهم مراكب ، كل مركب منحوت من عود واحد ، وكل مركبة تحمل مائتي مقاتل ، طولها ستون ذراعا بالرشاشي ثم

جزيرة السعالي فيها قوم مشوهوا الخلقة منكروا الصورة ، قيل انهم مولدون بين الانس والجن ، ومن وقع عندهم من الانس اكلوه ، ثم :

جزيرة اطوران بها قردة كالحمر ، يتوالدون فيها كالخنازير ، ثم

جزيرة التمساح بها قوم لهم اذناب كالكلاب ، وقوم ذواتهم كالآدمي ورؤوسهم كالسباع ، ثم :

جزيرة النساء ليس بها ذكر واحد الا النساء ، يلقحن ويحملن من الريح بنساء مثلهن ، ثم :

جزائر سرانديب (1) وهي الف جزيرة وفيها الجبل الذي نزل عليه آدم عليه السلام واسمه الراهون وهو باعلى الصين وبه اثر قدم آدم عليه السلام غائص في الحجر طوله سبعون شبرا ، ولابد من نزول المطر عليه كل يوم ليغسله ، **وقد خطا** من هذا الجبل خطوة واحدة لساحل البحر ، مسيرة يومين ، وعلى هذا الجبل ضوء عظيم ونور لماع يخطف البصر ، ومن تحته توجد الاحجار الثمينة والياقوت وانواع العطر والعود والديمانطي ولملك تلك الجزيرة صنم من ذهب مكلل بالدر والياقوت ، وليس عند احد من الملوك ما عنده من انواع الاحجار ، وياخذ الخمس من كل ما يستخرج منها ثم

جزيرة كلة يسكنها ملك بني باجة اسمه باجة وبها معادن القزدير واشجار الكافور مثل الصفصاف وانواع العود وبها قوم شقر ، وجوههم في صدورهم ، ثم

جزيرة هزك وجزيرة سلاهط يجلب منهما الصندل والكافور وأهلها ياكلون الناس وياخذون قحوق رؤوسهم يعبدونها ، ثم

جزيرة برطاليل يأتي منها القرنفل والكرنكر واهلها لا يظهرون لاحد ، يضعون بضائهم اكواما بالنهار ، وياتي التجار بالليل فيضعون اثمانها كل كوم بجنبه ثمنه ، ويعودون في الليلة القابلة ، فمن وجد ثمنه اخذه رب الكوم ومن وجد حمله باقيا يزيد الى تمام ثلاث ليال ، فمن باع مضى ، ومن لم يقبل يحمل كومه ، ولباسهم ورق الشجر واكلهم من ثمره ومن سمك البحر ، ويقال ان الدجال بهذه الجزيرة والله اعلم ، ثم :

---

1) سرنديب او سيلان : لانكا باللغة السنسكريتية ، وهي جزيرة بالمحيط الهندي جنوب القارة الهندية مساحتها 65609 كم.م سكانها حوالي 10.850.000 عاصمتها كولومبو وهي اهم موانئها اغلب ارضها جبلي وبها سهل ساحلي عريض ، اهم حاصلاتها ، الارز وجوز الهند ، والمطاط والشاي

في القرن 6 ق.م دمرها احد الامراء الاريين بالهند فيجايا الذي اقام اول مملكة سنغالية وفي القرن 3 ق.م اعتنقت الجزيرة الديانة البوذية واصبحت انورا ضابورا مركزا بوذيا عظيما

في القرنين 12 و 13 م تردد كثير من التجار العرب على هذه الجزيرة

في القرن 16 استولى عليها البرتغاليون ثم طردهم الهولانديون 1658 وفي سنة 1795 96 استولى البريطانيون على المستعمرات الهولاندية وسيطروا على مملكة كندى 1815 وانتهى حكمهم 1948 حيث اصبحت سيلان دولة مستقلة تولى رئاسة الوزارة بها سيرجون كوتلاوا (1948 – 1956) ثم خلفه باندرانيكا الذي اغتيل 1959 ثم ولجانيندي دهينايكه (1959 – 1960) فالسيدة ناندرانيكا التي تنهج ببلادها سياسة الحياد المرسومة من قبل.

جزيرة القصر بها قصر عظيم من بلور لماع ، يرى لاهل المراكب من مسافة بعيدة ، فاذا راوه استبشروا بالسلامة ، ومن ينزل تلك الجزيرة ياخذه الخدر وتنحل قواه ويغلب عليه النوم فيهلك ، وقد وصل الاسكندر لهذه الجزيرة وهو ذو القرنين ، واراد النزول بها فمنعه بهرام الهندي الفيلسوف ، وخبره بما فيها من الخدر المفضي الى الهلاك ، ثم

الجزائر الثلاث : قال صاحب تحفة الغرائب : هذه الجزر واحدة يلمع فيها البرق طول الليل ، والثانية فيها ريح شديدة طول الليل ، والثالثة فيها المطر طول الليل ، صيفا وشتاء لا ينقطع ، ثم

جزيرة صيدون الساحر : كان ملكا ساحرا تخدمه الجن ، وتصنع له الآلات المعجزة فدل عليه بعض الجن نبي الله سليمان فغزاه وقتله وقتل من معه ، وآسر بعضهم وخرب بلاده ، ثم :

جزيرة الطوبران : بها قوم ابدانهم كالادمي ورؤوسهم كالسباع والكلاب وبها شجرة تظل خمسمائة من الخيل ، وفيها من كل نوع من الثمار احلى من العسل والشهد ، وكل ثمرة طعمها لا يشبه الاخرى ، ثم .

جزيرة القومس : معروفة تغيب باهلها وجبالها ومساكنها ستة اشهر ، وتظهر ستة اشهر ، ويقال ان اصحاب ذي القرنين وصلوا الى تلك الشجرة واخذوا من ثمارها فلم يقدروا على الخروج بها ، وضربوا له بالسياط على ظهورهم ولم يروا الضاربين لهم وهم يقولون ردوا ما أخذتم ولا تتعرضوا له ، فردوه وركبوا سفنهم ، ثم :

جزيرة رامني : قال ابن الفقيه بهذه الجزيرة عجائب كثيرة ، منها اناس حفاة عراة ، رجالا ونساء على ابدانهم شعور تغطي سوءاتهم ، وماكلهم من الثمار ويستوحشون من الناس وينفرون فى الغياض ، وطولهم اربعة اشبار ، وشعرهم زغب احمر ، ولا يلحقون فى الجري لسرعتهم ، وفى ساحل هذه الجزيرة ايضا قوم يلحقون المراكب فى البحر سباحة وهي تجري فى تيارها ، يبيعون العنبر بالحديد ويحملون الحديد فى افواههم ويرجعون الى الجزيرة سباحة ، ولا يعرف ما يصنعون به : **وقال الجهني** ان بهذه الجزيرة الكركدان وهو حيوان على شكل الحمار ، وله قرن واحد معقب لخلفه وله خواص وعنقه معوج كعنق الجمل او دونه

ثم **بجزيرة من جزر سرنديب** دابة تسمى ملكان لها رؤوس كثيرة ووجوه مختلفة وانياب معقوفة ولها جناحان وهي تاكل دواب البحر وتصاد

لملوك الهند ويجعلها الملك فى موكبه تقاد امام مراكبه بعد ان تجلل بانـــواع الحرير والديباج والحلي لها هيبة عظيمة .

وبجزيرهناك دابة المسك البحري ، تخرج من البحر فى كل عام فى وقـــت معلوم بكثرة عظيمة ، فتصاد وتذبح فيوجد المسك فى صرتها كالدم ، وهذا المسك هو أفخر الانواع ، غير انه فى مكانه لا ريح له ابدا ، فاذا خرج عـــن حد بلاده ظهر ريحه ، وكلما بعد زاد ريحه .

جزيرة العباد دخلها ذو القرنين فوجد بها قوما يعبدون الله وطعامهم السمك والثمار ، فاراد ان يحملهم فابوا ، واوقفوه على واد كله بحجـــارة الياقوت والزبرجد وغيرهما ، يكفي اهل الدنيا وهم زاهدون فيه ، فتركهم وسار عنهم وتعجب من حالهم وزهدهم فى نعيم الدنيا واقبالهم على الآخرة ، وهذا القدر كاف من خبر الجزر . انتهى .

أشهر الأنهار

قيل ان الامطار والثلوج اذا وقعت على الجبال تنصب فى مفارتها وتبقى مخزونة فيها فى الشتاء ، فان كان فى اسافل الجبال منافذ ينزل الماء فى تلك المنافذ فيحصل منها الجداول وينضم بعضها الى بعض فيحدث منها الانهار والغدران والاودية فان كانت المغارات التي هي الخزانات لهذه المياه فى اعالي الجبال ، استمر جريانه ابدا من غير انقطاع ، لان المياه لا تنصب الى سفح الجبل ، ولا ينقطع لاتصال الامداد من الامطار والثلوج ، وان انقطعت لانقطاع المدد بقيت المياه بها واقعة كما ترى فى الاودية من الغدران التي تجري فى وقت وتنقطع فى وقت

قال بطليموس (1) فى كتاب « جغرافيا » ان بهذا الربع المسكون مائتي نهر طوال ، منها من خمسين فرسخا الى الف فرسخ ، فمنها ما يجري من المشرق الى المغرب ، ومنها ما يجري بالعكس ، وكلها تبتدىء من الجبال وتنصب فى البحار بعد انتفاع العالم بها ، وفى ضمن ممرها تتصور بطائح وبحيرات فاذا صبت فى البحر المالح واشرقت الشمس على البحار ، تصعد الى الجو بخارا وتنعقد غيوما ابدية كالدولاب الدائر ، فلا يزال الامر كذلك حتى يبلغ الكتاب اجله ، فسبحان المدبر لمملكته ببدائع حكمته ، لا اله الا هو ، **فاول** ما نبدأ بذكره :

---

1) بطليموس علم للملوك اسرة البطالة التى حكمت مصر من 323 الى 30 ق.م وقد سمي بهذا الاسم 16 منهم واما الذي يشير اليه المؤلف فهو « بطليموس كلودبوس بطليموس العالم الفلكي الرياضي الجغرافي المؤرخ فهو يوناني نشأ بالاسكندرية فى الربع الثانى من القرن الثانى الميلادي . وتوفى بعد (161) اكتشف عدم انتظام حركة القمر ، وله ارصاد هامة من حركات الكواكب ، كما ان له مكانة فى تاريخ العلوم ناقدا ومفسرا ، قام بتبويب وتسجيل نتائج علماء الاسكندرية ، واعتبرت اعماله فى الفلك والجغرافيا مرجعا اساسيا حتى ايام « كوبرنيكوس » ، له كتابه المعروف (المجسيطي فى الفلك والرياضة) وقد اعتمد فى اعماله الجغرافية على مارينوس الذي اعتمد بدوره على بوتسيدونيوس فيما يرجع الى خطوط الطول والعرض للبلاد المختلفة والتى تعتبر غير دقيقة ولا واقعية فيما يرجع الى مواقع البلاد .

نهر اثل وهو نهر عظيم فى بلاد الخزر **وقد ذكر الحكماء** انه يتشعب من هذا النهر خمس وسبعون شعبة منها نهر عظيم وعموده لا يتغير ولا ينقص لغزارة مائه وقوة امداده ، فاذا انتهى الى البحر يجري فيه يومين ولونه بائن من لون البحر ثم يختلط ويجمد فى الشتاء لعذوبته وفى هذا النهر حيوانات عجيبة .

حكــى احمد بن فضلان رسول المقتدر من خلفاء بني العباس الى بلغار قال لما دخلت بلغارا سمعت ان عندهم رجلا عظيم الخلقة ، فسألت الملــك عنه فقال نعم ، ما كان من بلادنا ولكن قوم خرجوا الى نهر اثل وكان قد مد وطفى ثم اتوا وقالوا ايها الملك انه قد طفى على وجه الماء رجل كأنه من امة بالقرب منا ، فان كان ذلك فلا مقام لنا ، فركبت معهم حتى وصلت الى النهر واذا برجل طوله اثنا عشر ذراعا ورأسه أكبر ما يكون من القدر ، وانفه نصف ذراع ، وعيناه عظيمتان ، وكل اصبع أطول من شبر ، فاخذنا نكلمه وهو لا يزيد على النظر الينا ، فحملته الى مكاني وكتبت الى « راسو » وبيننا وبينهم ثلاثة اشهر استخبرهم عن امره ، فعرفونا ان هذا الرجل من ملجأ ياجـــوج وماجوج ، وقالوا ان هذا النهر يحول بيننا وبينهم فاقام بين اظهرنا مدة ثم اعتل فمات

نهر اذربيجان : قال صاحب المسالك والممالك الشرقية ، ان هـــذا النهر يجري ماؤه ويحتجر فيصير صفائح صخر ، يستعملونه فى البناء

نهر اشعار : قال صاحب تحفة الغرائب ، ان هذا النهر يخرج من موضع يقال له فج العروس ، ويفيض تحت الارض ثم يخرج وينصـــب فى البحر

نهر جيحون : قال الاصطخري : نهر جيحون يخرج من حـــدود بدخستان ثم ينضم فى بحيرة خوارزم التي بينها وبين خوارزم ستة ايام ، وهذا النهر يجمد فى الشتاء عند قوة البرد ، فيجمد قطعا ثم تصير القطع على وجه الماء حتى يلصق بعضها ببعض ، الى ان يصير سطحا واحدا على وجه الماء ، ويثخن حتى يصير سمك ذراعين وثلاثة اذرع ، ويستحكم حتى تعبر عليه العجلات والقوافل المحملة ، ولا يبقى بينه وبين الارض فرق ، والماء يجري تحت الجليد فيحفر اهـل خوارزم بالمعاول آبارا يستقـون منهـا ، ويبقى كذلك شهرين ، فاذا انكسر البرد تقطع قطعا كما بدأ اول مرة ، ويعود الى حالته الاولى وهو نهر قتال قل ان ينجو غريقه .

نهر حصن المهدي : قال صاحب تحفة الغرائب هو بين البصرة والاهواز ، وهو نهر كبير يرتفع منه فى بعض الاوقات منارة يسمع منها اصوات كالطبل والبوق ، ثم يغيب ولا يعرف شأن ذلك

نهر خزلج : وهو بارض الترك وفيه حيات اذا وقع عين ابن آدم عليها يغشى عليه

دجلة (1) **:** هي نهر بغداد مخرجه من اصل جبل بقرب آمد عند حصن ذي القرنين وكلما امتد انضم اليه مياه جبال ديار بكر ، وبثامد يخاض فيه بالدواب وتمتد الى ميما فارقين ، والى حصن كيفا ، والى جزيرة ابن عمر ، والى الموصل ، وتنصب فيه الزابات ، ومنها يعظم امره ويتم الى بغداد والى واسط والى البصرة ، وينصب فى بحر فارس ، وماء دجلة اعذب المياه واكثرها نفعا ، لان ماءه من مخرجه الى مصبه جاري فى عمارات ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اوحى الله عز وجل الى دانيال عليه السلام ان اجري لمصالح عبادي نهرا ، واجعل مصبه فى البحر ، فقد امرت الارض ان تطيعك ، قال فأخذ خشبة فجرها فى الارض والماء يتبعه وكلما مر بارض يتيم أو ارملة او شيخ ناشده الله فيحيد عنهم ، وهو الدجلة وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه ؟؟؟

وحكي انهم وجدوا فيه غريقا فاخذوه فاذا به رمق ، فلما رجعت روحه سألوه عن مكانه الذي وقع فيه فاخبرهم ، فكان من موضع وقوعه الى موضع نجاته خمسة أيام ؟

نهر الذهب : وهو بارض الشام وبلاد حلب ، زعم اهل حلب انه وادي بطنان ، ومعنى قولهم نهر الذهب ، لانه جميعه يباع اوله بالميزان وآخره بالكيل ، فان اوله يزرع عليه الحبوب والبذور وآخره ينصب الى بطحة فرسخين فينعقد ملحا

نهر الرس : باذربيجان وهو شديد الجري ، وبارضه حجارة بعضها ظاهرة وبعضها مغطى بالماء ، ولهذا السبب لا تجري فيه السفن وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه ؟

---

1) وضعنا لنهري دجلة والفرات هامشه قبل راجع ص 200

حكايـــة عجيبـــة :

حكى ديسم بن ابراهيم صاحب اذربيجان قال كنت مجتازا علـــى قنطرة الرس بعسكري ، فلما صرت بوسط القنطرة رايت امراة ومعها طفل فى قماطه اذ صدمتها دابة ، فانقلب الطفل من يدها الى الماء ، فما وصل الى الماء الا بعد زمان ، لبعد ما بين ظهر القنطرة ووجه الماء ، ثم غاص الطفل وطفا على وجه الماء ، وسلم من تلك الاحجار والقرابيص ، وجرى مع الماء والام تصيح ، وللعقبان اوكار فى جوف النهر ، فارسل الله عقابا منها فانقض على الطفل ورفعه بقماطه وخرج به الى الصحراء ، فصحت بأصحابي اليـــه ، فركضوا فى اثر العقاب فاذا العقاب قد اشتغل بحبل القماط ، فلما ادركوه وصاحوا طار وترك الطفـــل ، فوجدوه سالما موقى ، فردوه الى امـــه وهـــو ساكت ؟

نهر الزاب : وهو نهر بين الموصل واربل ، يبتدي من اذربيجـــان وينصب فى دجلة ، يقال له الزاب المجنون لشدة جريه ، قـــال القزويني ، شربت من مائه فى شدة القيظ ، فاذا هو أبرد من الثلج والبرد ، وذلـــك لشدة جريه وعدم تاثير الشمس فيه

نهر زمرود : هو باصبهان موصوف باللطافة والعذوبة ، يغسل فيه الثوب الخشين فيعود انعم من الحرير والخز ، وهو يخرج من قرية يقال لها « ماكان »

خـــواص هـــذا النهر :

ويعظم بانضمام المياه اليه عند اصبهان ، ويسقي بساتينهاوغرساتها ثم يغور فى رمل هناك ويظهر بكرمان ويجري وينصب فى البحر الهندي ، ذكروا انهم اخذوا قصبة وعلموها وارسلوها فى موضع غوران المـــاء ، فخرجت بكرمان ؟

نهر سحة وهو نهر بين حصن منصور ولكسوم لا يتهيا خوضـــه لان قراره رمل سيال ، وعلى هذا النهر قنطرة هي احدى عجائب الدنيا لانـــها عقد واحد من الشط مقدار مائتي خطوة من حجر صلد مهندم ، طول كل حجرة عشرة اذرع

وحكي ان عند الارمن اهل ذلك البلد لوح عليه طلسم اذا غاب من تلك القنطرة مكان ادلوا ذلك اللوح الى تلك العين فينعزل الماء عنه ويحيد فيصلح ذلك الموضع بلا مشقة ، ويرفع اللوح فيعود الماء الى مكانه ؟

نهر سلق : بافريقية المغرب ، وهو نهر كبير يجري فيه الماء بعد كل ستة ايام يوما واحدا ، وهذا دابه دائما ، وقيل هو نهر صقلاب .

نهر طرية : هو نهر عظيم والماء الذي يجري فيه نصفه بارد ، ونصفه حار ؟ فلا يختلط احدهما بالاخر ، واذا اخذ من الماء الحار فى اناء وضربه الهواء صار باردا ؟

نهر العاصي : هو نهر حماة وحمص مخرجه من القدس ومصبه فى البحر بارض السويدية من انطاكية ، وسمي العاصي لان اكثر الانهار هناك تتوجه نحو الجنوب ، وهذا يتوجه نحو الشمال

نهر الفرات العظمى : هو نهر عظيم علب طيب ذو هيئة ، مخرجه من ارمينية ، ثم يمتد الى فاليقلا بالقرب من خلاط والى ملطية والـــى شميساط ، والى الرقة ، ثم الى غانة ، ثم الى هيت ، فيسقي هناك المزارع والبساتين والرساتيق ، ثم ينصب بعضه فى دجلة ، وبعضه يسير الى بحر فارس ، وللفرات فضائل كثيرة

روى ان اربعة انهار من انهار الجنة : سيحون ــ وجيحون ــ والنيل والفرات ــ وعن علي رضي الله عنه انه قال : يا أهل الكوفة ان نهركم هذا ينصب اليه ميزابان من الجنة ، وروى عن جعفر الصادق رضي الله عنه انه شرب من ماءِ الفرات ثم استزاد وحمد الله تعالى وقال ما أعظم بركته ، لو يعلم الناس ما فيه من البركة لضربوا عليه القباب ، ما انغمس فيه ذو عاهة الا بـــرىء .

وعن السدى ان الفرات مد فى زمن عمر رضي الله عنه ، فالقى برمانة عظيمة فيها كثير من الحب فامر المسلمين ان يقتسموها بينهم ، فكانوا يرون انها من الجنة

نهر القورج : هو بين الفاطول وبغداد ، وكان سبب حفره ان كسرى انو شروان لما حفر الفاطول ضر باهل الاسافل فخرج اهل تلك النواحـي للتظلم فرآهم فثنى رجله عن دابته ووقف ، وكان قد خرج متنزها فقال بالفارسية ما شأنكم ايها المساكين ؟

قالوا جئناك متظلمين .

قال ممن ؟ قالوا من ملك الزمان كسرى انو شروان فنزل عن دابته وجلس على التراب وقال بالفارسية « زنها » اي مسكينا فاتى بشـــيء ليجلس عليه فأبى وادناهم منه وتظلم اليهم وبكى وقال قبيح وعار على ملك

يظلم المساكين ، ما ظلامتكم قالوا يا ملك الزمان حفرت الفاطول فانقطع الماء عنا وقد بارت اراضينا وخربت ، فدعا كسرى بمؤبران وقال ما جزاء ملك اضر برعيته من غير قصد ؟ قال المؤبران جزاؤه ان يجلس على التراب كما فعل ملك الزمان ويرجع عن الخطأ الى الصواب والا سخطت عليه النيران ، فقال قد رجعت عما وقعت فيه ، فهل ترضون بسد ما حفرت قالوا لا نكلف الملك بذلك ، قال فما تريدون ، قالوا امرنا ان نجري ماء دون الفاطول لنحيي اراضينا ، فقال لا اكلفكم ذلك ، ثم امر اصحابه وجنوده بالاقامة فى مجلسه ذلك حتى أجرى لهم نهرا دون الفاطول ناحية « القروح » وساقوا الماء الى اراضيهم وعمرت ، بهذا كان عدله فى رعيته وهو كافر يعبد النيران ؟؟

نهر الكـــر : وهو بين ارمينية وازال ، وهو نهر مبارك وكثير مـــا ينجو غريقه ؟

قـــال بعض فقهاء « نقجوان » وجدنا غريقا فى الكر يجري به الماء ، فبادر القوم اليه فادركوه على آخر رمق ، فلما رجعت اليه روحه قال فى أي موضع انا ، قالوا فى نقجوان ، قال اني وقعت فى المكان الفلاني ، فاذا مسيرة ذلك المكان ستة ايام ، فطلب منهم طعاما ، فذهبوا لياتوه به فانقض عليـــه جدار فمات ؟

نهر مهراق : وهو بالسند ، عرضه عرض جيحون ، يجري مـــن المشرق الى المغرب ، ويقع فى بحر فارس ، قيل انه يخرج من جبل يخرج منه بعض انهار جيحون ، وهو نهر عظيم فيه تماسيح كنيل مصر ، الا انها اضعف واصغر ، وهو يمتد على وجه الارض ويزرع عليه كمـــا يزرع على النيل ويزبد كالنيل « خـذو النعلين » ولا يوجـد التمساح قط الا بنهـــر مهران والنيل .

نهر مكران : هو نهر عظيم عليه قنطرة قطعة واحدة ، من عبر عليها يقيء جميع ما فى بطنه ولو كانوا الوفا ، وان وقفوا عليها هلكوا من القيء ؟

نهر اليمن : قال صاحب تحفة الغرائب ، بارض اليمن نهر من طلـــوع الشمس يجري من المشرق الى المغرب ، ومن الغروب يجري من المغرب الى المشـــــرق ؟؟

نهر هند مند : وهو بسجستان ينصـب فيه الف نهر ولا ترى فيـــه زيادة ، ويتشعب منه الف نهر ولا يظهر منه نقص ، بل هو فى الحالين سواء .

نهر العمود : وهو بالهند عليه شجرة باسقة من حديد ، وقيل مـــن نحاس وتحتها عمود من جنسها ارتفاعه عشرة اذرع ، وفى راس العمود ثلاث

شعب غلاظ مستوية محدودة كالسيوف ، وعنده رجل يقرأ كتابا ويقـول للنهر يا عظيم البركة ، وسيل الجنة ، انت الذي خرجت من عين الجنـة ، وطوبى لمن صعد فى الشجرة والقى نفسه على هذا العمود ، فيصعد من حوله رجل او رجلين ، فيلقون انفسهم على ذلك العمود فيتقطعون ويقعون فى الماء فيدعو لهم اهلهم بالمصير الى الجنة .

وفى الهند نهر آخر ، ومن امره ان يحضر رجال بسيوف قاطعة ، فاذا اراد الرجل من عبادهم ان يتقرب الى الله بزعمهم ، اخذوا له الحلي والحلل واطواق الذهب والاسورة الكثيرة ، ويخرجون به الى هذا النهر فيطرحونه على الشط ، فياخذ اصحاب السيوف ما عليه من الزينة والاطواق والاسورة، ويضربونه بالسيوف حتى يصير قطعتين ، فيلقون نصفه فى مكان ، ونصفه الآخر فى مكان آخر بالبعد عنه ، ويزعمون ان هذا النهر وما قبله خرجا من الجنـة

نهر النيل المبارك : ليس فى الدنيا اطول منه لانه مسيرة شهرين فى الاسلام (1) وشهرين فى الكفر ، وشهرين فى البرية ، واربعة اشهر فى الخراب، من بلاد جبل القمر ، خلف خط الاستواء ، وسمي جبل القمر لان القمر لا يطلع عليه ، لانه خرج عن خط الاستواء ، وميله عن نوره وضوءه ، يخرج من بحر الظلمة ، ويدخل تحت جبل القمر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم من ورقها(2)؟

وكان وهو هرمس الاول ، قد حملته الشياطين الى هذا الجبل المعروف بجبل القمر وراى النيل كيف يخرج من البحر الاسود ويدخل تحت جبـل القمر ، وبنى فى سفح ذلك الجبل قصرا فيه خمس وثمانون تمثالا من نحاس، جعلها جامعة لما يخرج من الماء من هذا الجبل بصنعة غريبة واحكام هندسية ويجري الماء الى تلك الصور والتماثيل ، فيخرج من حلوقها على قياس معلوم واذرع معدودة ، فتصب الى انهار كثيرة ثم تتصل بالبطحتين وتخرج منهما حتى تتصل بالبطيحة الجامعة ، وعلى هذه البطيحة مدينة السودان العظمى ، وهي « طرمى » وبالبطيحة جبل معترض يشقها ويخرج نحو الشمال مغربا فيخرج النيل منه نهرا واحدا ويفترق فى ارض النوبة فرقة الى اقصى المغرب، عليها جميع بلاد السودان ، والفرقة الاخرى منحدرة الى اسوان لارض مصر، وتفترق على اربع فرق ، كل فرقة الى ناحية ، ثلاثة فرق تصب فى مجرى الاسكندرية ، والرابعة تصب فى البحيرة الملحة بقرب الاسكندرية . انتهى .

---

1) اي فى ارض الاسـلام ...

عجائب العيون :

فمنها عين ادربيجان : قال فى كتاب تحفة الغرائب ، يؤخذ قالب لبن فيمكن فى الارض ويصب عليه من ماء هذه العين وتصبر عليه مقدار ساعة فيصير الماء لبنا وحجرا يبنون به ما ارادوا

عين بقرية من قرى قزوين • تسمى ادربن هسد : اذا شرب الانسان منها اسهل اسهالا شديدا ، ويمكن للانسان ان يشرب من ذلك الماء عشرة ارطال لخفته ، واذا حمل الماء من حد تلك القرية بطلت خاصيته .

عين بادخاني بالدامغان : عند قرية تسمى كهد اذا اراد اهل تلك القرية هبوب الريح اخذ واخرقة حيض ووضعوها فى الماء فتتحرك الرياح ، ومن شرب منها ولو جرعة انتفخ ببطنه كالطبل ، ومن حمل ذلك الماء الى مكان آخر انعقد حجرا .

عين ابلانستان : عند قرية بين جرجان واسفرائن ينتفع بمائها خلق كثير وينقطع فى بعض الاوقات اشهرا فيخرج اهل تلك القرية لابسين زينتهم رجالهم ونساؤهم بالدفوف والطنابير والشبابات وآلة الملاهي ، فيغنون ويرقصون ويطربون ويلعبون ولا يرجعون حتى تمد العين بالماء الكثير مقدار ما تدور به رحوان وهذه عادتهم كلما انقطعت .

عين باحيان : هي بارض باحيان ينبع منها ماء كثير بصوت عظيم وجلبة ، ويشم منه رائحة الكبريت ، من اغتسل منها زالت عنه حكة الجرب والدماميل ، وان جعل فى اناء وسد الاناء سدا محكما وتركه يوما صار كالطين، وان قرب من النار اشتعل والتهب .

عين جاج : بقرب جاج عقبة على راسها عين ، اذا كانت السماء صاحية لا ترى فيها قطرة ماء ، واذا كانت السماء « مغيمة » تراها ممتلئة تتدفق ،

وبناحية باميان جبال فيها عيون لا تقبل شيئا من النجاسات ، واذا القى فيها احد شيئا من النجاسة هاج الماء وغلا وفار ، فان لحق الذي القاه غرقه .

عين زغر : وهي على طرق البحيرة الخشنة بالشام ، وبينها وبين بيت المقدس ثلاثة ايام ، وزغر اسم ابنة لوط عليه السلام ، وغورانها من اشراط الساعة ؟

عين سياه سنك : بجرجان موضع يسمى سنك سياه ، به عين على تل ياخذ الناس منها الماء للشرب ، وهو عذب طيب ، وفى الطريق الى العين دودة معروفة بين اهلها ، فمن اخذ ذلك الماء واصابت رجله تلك الدودة وهو ذاهب بالماء صار علقما فيريقه ويمضي الى الماء ثانيا .

عين الاوقات . وهي بالمغرب ، لا تجري الا اوقات الصلوات الخمس ، ثم تنقطع ، ومقدار لبثه « نبعه » بمقدار ما يتوضأ الناس .

عين شرم : بين اصبهان وشيراز ، بها مياه مشهورة ، وهي من عجائب الدنيا ، وذلك ان الجراد اذا نزلت ووقعت بارض يحمل اليها من تلك العين ماء فى ظرف او غيره ، فيتبع ذلك الماء طيور سود تسمى السمرمر ، ويقال لها السودانية ، بحيث ان حامل الماء لا يضعه على الارض ولا يلتفت وراءه ، فتبقى تلك الطيور على راس حامل الماء فى الجو كالسحابة السوداء الى ان يصل الى الارض التي بها الجراد ، فتصيح الطيور عليها وتقتلها ، فلا ترى من الجراد متحركا ولا ساكنا ، بل تموت من اصوات تلك الطيور .

عين شيركيران : وهي من قرى مراغة فيها عينان تفوران بماء احدهما بارد عذب والاخر حار ملح ، بينهما مقدار ذراع .

عين العقاب بأرض الهند : عين على راس جبل اذا هرم العقاب وضعف عن السعي لمعاشه تاتي به اولاده محمولا الى تلك العين وتغسله فيها ثم تضعه فى شعاع الشمس فيسقط ريشه وينبت له ريش غيره جديد ، ويذهب هرمه وضعفه وترجع اليه قوته وشبابه .

عين غرناطة : قال ابو حامد الاندلسي بقرب غرناطة كنيسة عندها عين ماء وشجرة زيتون ، يقصدها الناس فى يوم معلوم من السنة ، فاذا طلعت الشمس فى ذلك اليوم فاضت تلك العين ثم يظهر على تلك الشجرة زهر الزيتون ، ثم ينعقد زيتونا فى الحال والوقت ويكبر ويسود فى يومه ذلك ، فياخذونه ويدخرونه ويدخرون الماء للتداوي ، وذلك فيما بينهم منافع عظيمة .

عين غزنة : بقرب مدينة غزنة عين اذا القي فيها شيء من القاذورات او النجاسة يتغير الهواء في الحال ويظهر البرد والريح العاصف والمطر والثلج، ويبقى على تلك الحال الى ان تزول منها تلك القاذورات ؟

وزعموا ان السلطان محمود ابن سبكتكين السلجوقي (1) لما حاصر غزنة القى اهلها في العين شيئا من القاذورات فقامت عليه القيامة من شدة الريح والبرد والمطر والثلج ، فرجع بعسكره كالمنهزم ، ثم قصدها مرة ثانية فوقع له كذلك ، ثم ثالثة ، ثم في الرابعة لما نزل عليها بات يصلي ويدعوا ثم قال : الهي وسيدي ومولاي ، ان كا ن قصدي في فتح هذه البلاد حصول الدنيا فاثرت عزمي عنها وخذ بناصتي الى الخير ، وان كان قصدي لتعبد فيها ويتلى فيها كتابك وتقام بها سنة نبيك فاجعل لي الى فتحها سبيلا وارح عبادك المسلمين المجاهدين في سبيلك ، ثم سجد سجدة ونام في سجدته ووجهه على التراب ، فأتاه آت وخاطبه بكلام مبين قائلا يا ابن سبكتكين ان رمت الخلاص من هذه المحنة فارسل جنودا يحرسون العين من القاذورات ، وقد فتحت غزنة فسعيك مشكور وفعلك مبرور ، فانتبه من نومه ووجه مقدما الى حراسة العين وتنقيتها من الادناس ثم زحف لغزنة ففتحها في طرفة عين ، وغزنة هي باب الهند وهو الذي فتحها رحمه الله .

---

1) السلجوقي نسبة الى سلجوق ، وهو مقدم عشيرة الغز التركية . خرج سلجوق بعشيرته الى جند فيما وراء النهر حيث كانت الاحوال السياسية ملائمة لنمو قوتهم وقد ظهر السلاجقة بايران في القرن 10 م حيث اعتنقوا الاسلام على المذهب السني ، ثم لم يلبثوا ان سيطروا على خوارزم وايران ، بعد ان قضوا على الدولة البوهية بفارس ، واتخذوا اصفهان عاصمة لهم ، وفي 10,55 م استنجد القائم العباسي بزعيمهم طغرلبك للتخلص من سيطرة البوهيين على حكم العباسيين ، فدخل طغرلبك بغداد ، وبذلك انتهت سيطرة البوهيين على نفوذ العباسيين وخلع القائم على الزعيم السلجوقي لقب ملك الشرق والغرب وتمكن السلاجقة بزعامة البارسلان ابن اخي طغرلبك من فتح بلاد الكرج وارمينيا ، وجزء كبير من آسيا الصغرى واكتسحوا الشام وهزموا البيزنطيين في معركة بلاد كرد « 1071 م » واسروا الامبراطور البيزنطي رومانوس ديوجنس وخلف الب ارسلان ابنه ملكشاه فقام بالوصاية عليه ـ لصغر سنه ـ الوزير العالم نظام الملك. ونعمت امبراطورية السلاجقة في عهد ملكشاه بادارة منظمة ، وبنهضة ثقافية في العلوم الفقهية والرياضية والطبيعية . وممن اسهموا بقدر كبير في هذه النهضة صديقه نظام الملك وزميليه الغزالي وعمر الخيام الذي وضع التقديم الجلولي وتجزات دولة السلاجقة في القرن 13 م وخلفتها دول متفرقة منها :

ا ـ الدولة الزنكية التي حملت اللواء ضد الصليبيين

ب ـ وامبراطورية خوارزم التي كادت تبلغ حدود الدولة السلجوقية الاولى

ج ـ سلطنة الروم او « قونية » التي ضمت الجزء الاكبر من آسيا الصغرى .

وفي نفس القرن 13 اكتسح جنكيز خان كل هذه الدول ، وبعد اكتساح موجة المغول، استولت امارة قرمان على سلطنة الروم في قونية . وقدر للاتراك العثمانيين ان يقضوا على الامبراطورية البيزنطية وان يستولوا على آسيا الصغرى .

عين الفرات : من اغتسل من مائها ايام الربيع امن من امراض تلك السنـــــة .

عين نهاوند : فى شعب جبل وتحت الشعب بسيط زراعة ، فمــــن احتاج لسقي زرعه يذهب الى العين ويدخل الى الشعب وهو يقول بصوت عال ، انا نحتاج الى الماء ! ثم يضع رجله فى ماء العين ويرجع لزرعه والمـــاء يتبعه حتى يسقي زرعه ، فاذا اكتفى يرجع الى الشعب ويقول قد اكتفـــت ارضي وربحتم اجري ، ويدخل رجله فى العين فيقف الماء ، وهذا داب تلك الارض على الدوام ، انتهى .



الآبار وعجائبها

فاولها :

بئر ابي كود : بقرب طرابلس (1) من شرب من مائها تحمق ، وهـــو مثل يقال بينهم للاحمق شرب من بير ابي كود .

بئر بابل : قال الاعمش ، كان مجاهد يحب ان يرى الاعاجيب ويقصدها وكان لا يسمع بشيء من ذلك الا توجه اليه وعاينه ، فاتى بابـــل فلقيـــه الحجاج (2) فقال له ما تصنع هاهنا فقال اريد ان تسيرنـــي الـــى راس الجالوت ، وان تريني موضع هاروت وماروت ، فامر به فارسل الى رجل من اعيان اليهود وقال : اذهب بهذا فادخله على هاروت وماروت لينظر اليهما ، فانطلق به حتى اتى موضعا فرفع صخرة فاذا هو شبه سرداب ، فقال له اليهودي انزل معي وانظر اليهما ولا تذكر اسم الله تعالى قال مجاهـــد فنزل اليهودي ونزلت معه ، ولم نزل نمشي حتى نظرت اليهـــما وهمـــا كالجبلين العظيمين منكوسين على رؤوسهما ، والحديد فى اعناقهما الـــى ركبتهما ، فلما رءاهما مجاهد لم يملك نفسه اذ ذكر اسم الله تعالى ، قال :

---

1) طرابلس اسم لمدينتين الاولى بالشام ـ لبنان ـ والثانية بالمغرب ـ ليبيا ـ

2) الحجاج بن يوسف الثقفي عاش ما بين « 660 ـ 714 م » حيث ولـد بالطائف وتوفـــي بواسط بالعراق اشتغل بالتعليم بالطائف ثم انتقل الى دمشق وولي الشرطة الحربية لروح بن زنباع نائب عبد الملك الاموي ثم لهذا الاخير ايضا ، واشترك معه فى حروبـه مـع مصعب ابن الزبير ، وبعثه للجيش المحارب لعبد الله ابن الزبير الذي قتله الحجاج بعـد معارك طاحنة . وبذلك ولاه عبد الملك الحجاز واليمن واليمامة ، ثم استدعاه وولاه العراق المضطرب ولما استقر به المقام بالعراق جند المسلمين لفتح بخارى وبلخ والسند ، وبنى واسط واتخذها عاصمة . كان قاسيا فظا غليظ القلب ، الى جانـب انـه كـان خطيبـا يستهوي الافئدة بقدر ما كان يعتمد على الالفاظ الجزلة الضخمة الرنيـن غيـر المالوفـة والاستشهاد بما ماثلها من اشعار وابراز المقدمات التي قد تؤدي الى ما يريد من نتائـج . فرض العربية على المسلمين فيما وراء النهرين ، ولما ادى ذلك الى اللحـن فى القـرآن عمد الى نصـر بن‌عاصـم بضبطـه .

فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان ما عليهما من الحديد ، فهرب مجاهد واليهودي حتى خرجا ، فقال اليهودي لمجاهد ، ما قلت لك لا تفعل كدنا والله نهلـــك ؟؟؟

قال المفسرون : ان رجلا اراد ان يتعلم السحر فاتى ارض بابل ودخل عليهما فقال : لا اله الا الله . فاضطربا اضطرابا شديدا وقالا له ممن انت ؟

قال : من بنـــي آدم .

قالا من اي الامـــم ؟

قال من امة محمد .

قالا او بعث محمد ؟

قـــال نعـــم

فاستبشرا بذلك وفرحا .

فقال الرجل

لم تفرحان .

قالا قد قرب فرجنا ، فان محمدا نبي الساعة وقد قربت .

قال لهما : اريد ان اتعلم السحر

قالا له اتق الله ولا تكفر قال لابد من ذلك ، فعاوداه ثلاثا فلم يرجع . فقالا له امض الى ذلك التنور ثم « بل » فيه ، قال : ففعل فخرج منه نور حتى صعد الى السماء ، ونزل دخان اسود فدخل فى فيه فقالا قد فعلت ؟

قلت نعم قال فما رايت ؟

فاخبرتهما فقال احدهما :

النور الذي خرج منك هو نور الايمان .

وقال الاخر الدخان الذي دخل فيك هو ظلمة الكفر ؟

اذهب فقد علمت ؟؟

وحكي ان امراة جاءت الى السيدة عائشة رضي الله عنها باكية تطلب

النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم تجده ، فقالت عائشة (1) :

مم تبكين وما الذي تريدين منه ؟
قالت اريد ان اسأله عن شيء من السحر ؟ فقالت وما هو ؟

قالت ان زوجي سافر عني وغاب مدة طويلة فجاءت امرأة الي فقالت اتريدين مجيئه ؟

قلت نعم
قالت فاعملي ما اقول لك ؟

قلت نعم فغابت واتتني عند العشاء بكبشين اسودين فركبت واحدا واركبتني الاخر ، فلم نلبث الا قليلا حتى دخلنا على هاروت وماروت ، فقالت لهما :

ان هذه المرأة تريد أن تتعلم السحر . فقالا لها :
اتق الله ولا تكفري وارجعي فابت وقالت :
لابد لي من ذلك فاعادا عليها ثلاثا فابت فقالا اذهبي فبولي فى التنور
قالت فذهبت ووقفت على التنور ولم افعل فرجعت اليهما فقالا فعلت .

قلت نعم قالا :
فما الذي رأيت ، قلت لم أر شيئا ، قالا :
لم تفعلي شيئا

اذهبي فبولي فى التنور ، فذهبت ولم افعل ورجعت لهما فقالا قد فعلت
قلت نعم ، فقالا :

ما رايت ، قالت لم ارشيئا . قالا :

لم تفعلي شيئا .

اذهبي فافعلي فذهبت وانا ارتعد فبلت فخرج مني فارس مقنع بحديد فصعد الى السماء فرجعت اليهما واخبرتهما ، قالا : فذلك الايمان خرج من قلبك

---

1) هي عائشة بنت ابى بكر توفيت حوالي « 678 م » تزوجها النبي وهى صغيرة وتوفي ف بيتها ولما تجاوزت العشرين ، انزل الله فى براءتها آيات من القرآن الكريم حين شاع حديث الافك بعد غزوة بنى المصطلق ، كانت اديبة لها نشاط ديني وسياسي شاركت فى الفتيا وروي عنها 1200 حديث ، بايعت عثمان واشتركت فى نقده وطالبت بدمه دفعت لمحاربة الامام علي عليه السلام فى وقعة الجمل توفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع .

اذهبي فقد تعلمت فخرجت انا والمراة وقلت لها والله لم يقولا لي شيئا قالت بلى قد تعلمت .

خذي الحنطة فابذريها فبذرتها فنبتت قالت افركي ففركت ، قالت اطحني فطحنت ، قالت اخبزي فخبزت ، والله لم افعل بعد ذلك شيئا ابدا

بئر بدر : وهي بين مكة والمدينة فى الموضع الذي كانت فيه وقعة بدر (1) بين النبي صلى الله عليه وسلم وكفار قريش ، ورمى منهم جماعة فى القليب وهو هذا البئر

وحكي بعض الصحابة انه رأى فى اجتيازه هناك شخصا مشوها خرج من البئر هاربا ، وخرج فى اثره آخر ومعه سوط وهو يلتهب نارا ، فصاح بـه وضربه ورده الى البئر وانا انظر اليه ؟ ؟

أرواح الكفـــار فى بئر برهوت بحضرموت :

بئر برهوت : وهو يقرب حضرموت (2) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيها ارواح الكفار والمنافقين ، وهو بئر عادية فى فلاة مـــن الارض مقفرة ، وواد مظلم ، وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ابغض البقاع الى الله تعالى برهوت فيه بئر ماؤها اسود منتن تأوى اليها ارواح الكفار ؟

---

1) بدر قرية صغيرة قرب «المدينة» على طريق القوافل بين مكة والشام كان يتزود المسافرون من بئرها بالماء . لم تعرف الا بغزوة بدر الكبرى التي وقعت بقربهـا فى 17 رمضان عـــام 2 هـ انتصر فيها المسلمون وهم قلــة «300» على كفار قريش وهم كثـرة (1000) وذلـك ان عيرا لقريش ذهبت الى الشام وعلى راسها ابو سفيان فترقب النبي عودتها وخـــرج اليها ونفرت قريش لحمايتها وكانت معركة لم تدم الا نحو ساعة قتل فيها مــن المشركيـن سبعون واسر سبعون آخرون . ومن القتلى عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل ابن هشام ومن الاسرى العباس ابن عبد المطلب ، وعمرو ابن ابى سفيان ، وابو العاص ابن الربيع وافتدت قريش اسراها ، وكـان للمعركـة اثرها فى نفوس العـرب جميعـــا ، اذ هـــي بـدايـــة الفتـــح المبيـــن

2) حضرموت منطقة بجنوب جزيرة العرب على خليج عدن والبحـر العربـي تمثـل الجـــزء الاوسط من محميات عدن ، اهم مدنها وموانئها المكـلا ، تمتد لمسافة 650 كم تقـريبا مــن الشرق الى الغرب تتكون من سهل ساحلي جاف ينتهي الى هضبة داخلية واسعة متوسط ارتفاعها 350 م فوق سطح البحر ، يقع خلفها وادي حضرموت من الغرب الى الشـــرق محاذيا للساحل وعلى بعد 200 كم منه ويمتد لمسافة 320 كم ، يصب فى البحر العربـــي عند سيحون ، وتتكون حضرموت من مشيخات اهمها :

ا ـ الدولة القعيطيـة فى الشحـر والمكـلا
ب ـ الدولة الكثيريـة فى سيـــون
جـ ـ سلطنات الواحدي فى بئر علي وبلجان وقشن
د ـ ومشيخـة الحـــورة
هـ ـ مشيخـــة عـرقـــة

وحكى الاصمعي (1) عن رجل من اهل الخير ان رجلا من عظماء الكفار ملك ، فلما كانت تلك الليلة مررت بوادي برهوت فشممنا ريحا لا يوصف نتنه على خلاف العادة ، فعلمنا ان روح ذلك الكافر قد نقلت الى البئر ، وروى بعضهم قال : بت بوادي برهوت فكنت اسمع طول الليل قائلا ينادي يا دومة يا دومة الى الصباح ، فذكرت ذلك لرجل من اهل العلم فقال : دومة هو اسم الملك الموكل بتلك البئر لتعذيب الكفار .. ؟؟

بئر قضاعة بصق فيها النبى صلى الله عليه وسلم

بئر قضاعة (2) وهي بالمدينة (3) المشرفة روى ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بئر قضاعة فتوضأ من الدلو ورد ما بقي الى البير وبصق فيها

---

1) الاصمعي ولد وتوفي بالبصرة ما بين « 740 – 831 م » درس الحديث على شعبة بن الحجاج والحمادين ومسعر بن كداج ، واللغة على ابى عمر وعيسى بن عمر والخليل، والشعر عن خلف الاحمر . طوف بالبوادي فصار اماما في الاخبار والنوادر واللغة والشعر. عرف بكثرة الحفظ ورواية الشعر والرجز خاصة ، والصدق والتدين ، وعدم تفسير شيء من القرآن ولا شيء من اللغة له نظير او اشتقاق في القرآن او الحديث ، ولا شعر فيه هجاء ، وعدم الافتاء الا فيما اجمع عليه العلماء ، والتوقف فيما ينفردون به ، وتجويز افصح اللغات فقط فنالت مروياته من التوثيق اكثر مما نالت مرويات غيره . استقدمه هارون الرشيد وعهد اليه بتاديب ولده تتلمذ له ابو عبيدة والسجستاني والرياشي وغيرهم روى كثيرا من دواوين الشعر والف كثيرا من الرسائل اللغوية الصغيرة وينسب اليه كتاب تاريخي ، واهم ما وصل الينا من كتبه التي اعتمد عليها من جاء بعده من اللغويين « خلق الانسان » و (فحولة الشعراء) و « الاصمعيات » وهي اثنتان وتسعون قصيدة ومقطوعةمن الرجز اختارها الاصمعي لواحد وسبعين شاعرا ، 44 جاهليون و 14 مخضرمون و 16 اسلاميون و 7 يجهل الدارسون تاريخهم ، وتعالج القصائد موضوعات متنوعة لم يعد فيها المؤلف الى تبويب ، ولم تنل من الشهرة ما نالته المجموعات الشعرية الاخرى ، لا ن قيمتها اللغوية تفوق قيمتها الفنية ولان بعضها مختارات من قصائد طويلة، وان تمتعت بالتوثيق الذي عرف به الاصمعي

2) قضاعة قبائل عربية تقطنت شمال الحجاز بين العراق وسورية ومصر منهم : بنو كلب – غسان – تنوخ – بلي – جهينة .

3) المدينة هي مدينة بالحجاز ثانية المدن الاسلامية المقدسة تقع بالداخل على بعد «175» كم من البحر الاحمر يربطها بجدة طريق معبد «425» كم ويتفرع منه عند بدر طريق الى ميناء ينبع «90 كم» كانت ترتبط بدمشق بخط حديدي عطل في الحرب العالمية 1 تقع المدينة بواحة وفيرة المياه يزرع بها كثير من الفواكه كان اسمها يثرب قبل ان يهاجر اليها النبي صلى الله عليه وسلم من مكة 622 م اتخذ منها مركزا للدعوة الاسلامية ونجح في تحصينها ضد غزوات المشركين كانت عاصمة الدولة في عهد الرسول وخلفائه الثلاثة اخذت اهميتها تقل حينما انتقل الحكم الى الامويين الذين اتخذوا دمشق عاصمة لهم 662 م تعرضت لكثير من الحروب المحلية وتوالى على حكمها عدد من الحكام القليلي الشأن . دخلت تحت الحكم العثماني سنة 1517 واحتلها الوهابيون 1808 ثم استخلصها منهم محمد علي والي مصر 1812 واستولت عليها قوات شريف مكة الحسين بن علي الذي اعلن استقلاله عن تركيا 1916 اخذها بن السعود 1924 بعد حصار دام 15 شهرا كانت محاطة بسور ذي تسعة ابواب تهدم الآن ، تستقي من مياه العين الزرقاء بها المسجد النبوي وفيه دفن الرسول (ص) وخليفتاه ابو بكر وعمر .

وشرب من مائها وكان ملحا اجاجا فعاد طيبا عذبا ، وكان اذا أصاب الانسان مرض فى ايامه صلى الله عليه وسلم يقول اغسلوه من ماء بئر قضاعة ، فاذا غسل فكأنما انشط من عقال ، وقالت اسماء (1) بنت ابي بكر رضي الله عنهما كنا نغسل المريض من بئر قضاعة ثلاثة ايام فيعافى .

بئر بن علاصم اليهودى الذى سحر النبى عليه السلام

بئر ذروان : بالمدينة المشرفة روى ان النبي صلى الله عليه وسلم مرض فبينما هو بين النوم واليقظان اذ نزل ملكان فقعد أحدهما عند راسه والاخر عند رجله ، فقال الذي عند راسه ما وجعه ؟ قال الذي عند رجليه طب ، قال ومن طبه ؟ قال لبيد بن الاعصم اليهودي ، قال فاين طبه ؟ قال فى كربة تحت صخرة فى بئر ذروان ، فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حفظ كلامهما فوجه عليا وعمارا مع جماعة من الصحابة فاتوا البئر فنزحوا ما بها من الماء وانتهوا الى الصخرة فقلبوها فوجدوا الكربة تحتها وميها وتر فيها احد عشر عقدة فاخرجوها وحلوا العقد فزال وجع النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عليه المعوذتين احد عشر آية تحل بقراءتها العقد المعقودة فى الوتر

بئر زمزم (2) لما ترك ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم اسماعيل وهاجر بموضع الكعبة وانصرف ، والقصة مشهورة ، قالت هاجر يا ابراهيم الله أمرك ان تتركنا بهذه البرية « المحرقة » وتنصرف عنا ، قال نعم ، قالت حسبنا اذا فلا نضيع ، فاقامت مع ولدها حتى نفد ماء الركوة ، فبقي اسماعيل يتلظى من العطش ، فتركته وارتقت الصفا تلتمس غوثا او ماء ، فلم تر شيئا ، فبكت ودعت هناك واستسقت ثم نزلت حتى اتت المروة وتشوفت ودعت مثل ما دعت عند الصفا ، ثم سمعت اصوات السباع فخافت على ولدها فسعت اليه بسرعة ، فوجدته يفحص برجليه الى الارض

---

1) اسماء بنت ابى بكر توفيت 692 م هي اخت عائشة لابيها وام عبد الله بن الزبير عاشت بعد طلاقها منه بمكة الى ان قتل وعميت ، فاخرت بابنها ، هي وابنها وابوها وجدها من الصحابة شهدت اليرموك وقالت الشعر . ولها مع الحجاج اخبار مشهورة فى قتال ابنها عبد الله ، سميت ذات النطاقين لانها شقت نطاقها لتربط به الطعام على راحلة الرسول(ص) عند هجرته مع ابيها روى لها مسلم 56 حديثا

2) زمزم : بئر بالمسجد الحرام قريبة من الكعبة وبينهما مقام ابراهيم حفرها ابراهيم عليه السلام لولده اسماعيل حين اسكنه مكة مع والدته هاجر بعدما نفرتها سارة أم اسحاق. عنى بها العرب فى جاهليتهم وبعد الاسلام اصبحت موضع عناية المسلمين ، وللحجيج اعتقاد كبير فى ماء زمزم يتهادون به ، وقد حلل فظهر انه قلوي مما يجعله شبيها بالمياه المعدنية الصحية فى تاثيرها اهتم بتوسيعها وتعميقها ابو جعفر المنصور والمامون وغيرهما ولا تزال محل عناية المسلمين

وقد انفجر من تحت عقبه الماء ، فلما رات هاجر الماء حوطت عليه بالتراب من خوفها ان يسيل ، فلو لم تفعل ذلك لكان جاريا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسماعيل ، لو تركت زمزم لكانت عينا جارية ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له ، ولكم ابرأ الله به من مرض عجزت عنه حذاق الاطباء ، قال محمد بن احمد الهمداني (1) كان ذرع زمزم من اعلاه الى اسفله اربعون ذراعا ، وفي قعرها عيون غير واحدة ، عين حذاء الركن الاسود ، وعين حذاء ابي قيس والصفا ، وعين حذاء المروة ، ثم قل ماؤها في سنة اربع وعشرين ومائتين ، فحفر فيها محمد بن الضحاك تسعة اذرع فزاد ماؤها ، واول من فرش ارضها بالرخام المنصور ثاني الخلفاء العباسيين .

حكى المسعودي (2) ان ملوك الفرس يزعمون ان جدهم الخليل ، وانهم كانوا يحجون البيت ويطوفون به تعظيما لجدهم ، وآخر من حج منهم أزدشير بن بابك (3) وطاف بالبيت وزموه بالزمزمة على زمزم ، وهي قراءتهم عند صلاتهم

بئر اريس (4) : وهي بالمدينة ، وروى ان فيها عينا من الجنة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيب ماءها ويبارك فيها ، وروى انه بصق فيها .

---

1) هو ابو محمد الحسن بن احمد الهمداني توفي سنة «945م» يعرف بابن الحائك جغرافي عربي ومؤرخ ونسابة وشاعر ، ولد بصنعاء باليمن ، وعني بدراسة الادب الشعبي القديم في جنوب الجزيرة العربية . ترك كثيرا من المؤلفات اهمها : « صفة جزيرة العرب » ويتناول فيه مظاهرها الطبيعية واجناسها وقبائلها وفلاتها الحيوانية والمعدنية وطرقها ومواطن الاستقرار البشري فيها

2) المسعودي هو ابو الحسن علي بن الحسين : توفي سنة « 957 م » جغرافي ومؤرخ عربي ولد ونشأ في بغددا ، زار فارس وكرمان والهند وسرنديب ومدغشقر وما وراء النهر واذربيجان ، وجرجان والشام . واخيرا قصد مصر سنة 956 م واستقر بالفسطاط وبها توفي . وضع عشرات من الكتب اشهر ما بقي منها : « مروج الذهب ومعادن الجوهر » وهو تاريخ عام يبدأ من الخليقة وينتهي بسنة 947 جمع فيه مشاهداته ودراساته في جميع تلك البلاد . وله ايضا كتاب « التنبيه والاشراق »

3) بابك هو زعيم فرقة الخرامية في خلافة المعتصم هزم بغا الاكبر عند جبال مراغة حارب المعتصم ثم هزم – حكم حوالي 20 سنة

4) اريس : الهة الخصام والنزاع عند اليونان تثير الشقاق بين الالهة والبشر

بئر المطرية (1) : وهي قرية من قرى مصر وبها شجر البلسان (2) وسقيها من البئر والخاصية فى البئر لا الارض ، ذكر ان عيسى عليه السلام اغتسل فيها ، والارض التي ينبت بها هذا الشجر نحو ميل فى ميل محوطة عليها، وليس فى الدنيا موضع ينبت فيه البلسان الا هذه القرية .

بئر العظمة وتسمى بئر العظام وهي بالقاهرة عند الركن المخلق يقال انها من آثار موسى عليه السلام .

حكاية :

وحكى ان طاسة لفقير وقعت فى بئر زمزم وعليها منقوش اسم الفقير، فرجع الفقير مع الركب المصري الى القاهرة ، فجاء الى البئر المعظمة ليتوضأ منها للتبرك ، فطلعت الطاسة بعينها فى المستقى وشهد له جماعة من الحجاج انهم شاهدوا وقوعها فى بئر زمزم ، وليكن هذا آخر الكلام على عجائب الابار؟

ذكر الجبال وما بها من الاثار :

وجه المناسبة بين الابل والسماء والجبال فى هذه الاية :

قال الله عز وجل « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الارض كيف سطحت » فلو قال قائل ما وجه النسبة بين الابل والسماء والجبال والارض، والنسبة بينهن غير ظاهرة فالجواب : أن القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى بلاد العرب وبين ظهرانهم ، ونزل بلغاتهم ومن المعلوم ان

---

1) المطرية : هي ضاحية تقع شمال القاهرة ، تقوم وجارتها عين شمس على انقاض اقدم عاصمة للديار المتحدة « ابون ، اون : مدينة الشمس » ومركز عبادتها ولذا اسماها الاغريق هليوبوليس ، ومن بقايا آثارها المسلة المعروفة باسم مسلة عين شمس التي لم تزل فى مكانها ، وهي احدى اثنتين كان ستو سرت الاول قد نصبها امام مدخل المعبد ، وبالمطرية شجرة تسمى شجرة مريم ، قيل ان مريم استظلت بها عند ما جاءت لاجئة بطفلها عيسى عليه السلام الى مصر وربما هي التي سماها الزياني « البلسان »

2) بلسا او كرومة : شجرة سليبة الاوراق تسمى « آكروما » موطنها امريكا الاستوائية يستعمل خشبها الخفيف جدا ـ ويسمى ايضا « خشب فليـن » فى بناء الطائرات وفى صناعة اطواق النجاة والعوامات والعوازل

أجل اموال العرب واعظمها الابل ، فبدأ بذكر الابل لاستمالة قلوبهم اذا مدحت عظائم اموالهم ؟

ثم ذكر السماء ، اذ الابل لابلاغ لها الا بالنبات ، ولا يكون النبات فى الغالب الا بالمطر والمطر لا ينزل فى الارض الا من السماء ، ثم ذكر الجبال لان العرب واهل البادين ليس لهم حصون ولا قلاع يتحصنون بها من اعدائهم اذا راموهم ، فكانت الجبال حصونا لهم وقلاع ، وبها لهم الماء والمرعى .

ثم ذكر الارض وتسطيحها ، لان العرب فى اكثر الدهور يرحلون وينزلون فى الاراضي السهلة لاراحة الابل التي هي سفن البر ، ومنها معاشهم وبلاغهم وهذه حكمة الاهية ، ومن بعض معاني هذه الاية هذا الوجه وهو وجه حسن ، فاعظم جبال (1) الدنيا :

جبل قاف : وهو محيط بها كاحاطة بياض العين بسوادها ، وما وراء جبل قاف فهو من حكم الاخرة لا من حكم الدنيا ؟؟؟

قال بعض المفسرين ان لله سبحانه وتعالى من وراء جبل قاف ارض بيضاء كالفضة المجلية ، طولها مسيرة اربعين يوما للمشى ، وبها

---

1) الجبل : هو كتلة برية عالية لاتستوى الارض فيها الا قايلا عند القمة ، وتوجد بعض الجبال المنعزلة ، ولكن الاغلب انها توجد فى مجموعة او صف ، اما فى شكل حيد واحد مركب ، او سلسلة من الحيود المترابطة . ومجموعة الجبال هي عدد من الصفوف الجبلية المترابطة من حيث الشكل والاصل . اما السلسلة فهي عدد من مجموعات الجبال التي تشغل منطقة عامة بعينها واما الكوردليرا أو الحزام فهو مركب من صفوف ومجموعات وسلاسل جبلية تشغل المساحة الكاملة لاحدى القارات وبعض الجبال بقايا لهضاب نحتتها عوامل التحات ، وبعضه الاخر اصله مخروطات بركانية ، او تدخلات من صخور نارية كونت قبابا صخرية ، وتتكون جبال الكتل الصدعية نتيجة رفع كتل ضخمة من سطح الارض بالنسبة للكتل المجاورة لها وكل السلاسل الجبلية ، اما ان تكون جبال طي او تراكيب بنائية معقدة دخلت فى تكوينها عوامل الطي والتصدع والنشاط الناري. ومعظمها يتعرض للرفع الراسي بعد حدوث الطي
اما عن حدوث الجبال فلا تعرف على وجه التحقيق الاسباب الاصلية للحركات الارضية المسؤولة عن بناء الجبال ويوجد بعض التشكيك فى الفكرة التي طالما اقتنع بها الناس من ان الحركات الارضية هي مجرد تلاؤم القشرة الارضية مع باطن الارض المستمر في الانكماش .
وهناك فرض احدث من ذلك يقول بان الحركات الارضية هي حركات ، ايزوستاتيكية ، اي خاصة بحفظ التوازن من حيث الثقل بين القطاعات المختلفة من قشرة الارض .
ويوجد فرض ثالث يعزو نشوء الجبال الى ما هو معتقد من ان القارات تنجرف فى اتجاهات فوق مادة قاع المحيط فتتجمد مقدماتها نتيجة للاحتكاك والمقاومة الشديدة .
اعظم كتل الجبال هي سلاسل جبال غرب امريكا : روكي ـ انديز والحزام الاوربي الاسيوي ، الذي يضم البرانس والالب وجبال البلقان والقوقاز وهندكوش والهيملايا.
ومن بين القمم المفردة المشهورة ، افرست وجودوين ـ اوستن فى آسيا وشيمبورازو وكوتوباكس فى امريكا الجنوبية ، وماكينلي ولوجال فى امريكا الشمالية ، ومونت بلان فى اوربا وكليمنجاروكينيا فى افريقية .

ملائكة شاخصون الى العرش لا يعرف الملك منهم من الى جانبه من هيبة الله تعالى ، ولا يعرفون ما آدم ولا ابليس ، هكذا الى يوم القيامة ، وقيل ان يوم القيامة تبدل ارضنا هذه بتلك الارض والله اعلم

جبل سرنديب : هو جبل عال باعلى الصين فى بحر الهند ، وهو الجبل الذي أهبط عليه آدم عليه السلام ، وعليه اثر قدمه غائص فى الصخر طوله سبعون شبرا ؟ وعلى هذا الجبل ضوء كالبرق ، لا يتمكن احد ان ينظر اليه ، ولابد كل يوم فيه من المطر فيغسل قدم آدم ، وحوله من انواع اليواقيت والاحجار النفيسة واصناف الافاوية والعطر ما لا يوصف ، وان آدم خطا من هذا الجبل الى ساحل البحر خطوة واحدة ، وهي مسيرة يومين ؟

جبل اولسناق : هو بارض الروم وفى وسط هذا الجبل درب من دخله وهو يأكل الخبز من اول الدرب الى آخره لا تضره عضة الكلب الكلب ومن عضه الكلب الكلب وعبر بين رجلي هذا الرجل برىء من الغائلة

جبل ابي قبيس : هو جبل مطل على مكة ، زعموا أن من اكل عليه راسا مشويا أمن من وجع الراس ؟

جبل راوند : بالقرب من همدان ، وفيه ماء أذا شربه المريض تعافى

حكي ان رجلا دخل على جعفر الصادق رضي الله عنه من همدان ، فقال له جعفر من اين انت ، قال من همدان ، قال اتعرف جبل راوند ، فقال له الرجل جعلت فداك راوند ، قال نعم قال فيه عينا من عيون الجنة .

جبل سنسنان : فيه ماء ينبت فيه قصب كثير ، فما كان فى الماء من القصب ، فهو قصب من حجر ، وما كان خارجا عن الماء فهو قصب على حقيقته ، وما رمى فى الماء من القصب الخارج بورقة صار حجرا فى الحال ؟

جبل اسبرة : وهو بناحية الشاس مما وراء النهر ، قال الاصطخري هناك جبال بها منافع كثيرة من الذهب والفضة والفيروزج ، والحديد ، والنحاس الاصفر ، والانك والزئبق ، وفيه حجر اسود يحرق ويبيض به ، ولا يقوم شيء مقامه

جبل النز : على ثلاثة مراحل من قزوين (1) وهو جبل شامخ لا تخلو قلته من الثلج صيفا ولا شتاء ، وعليه مسجد تأويه الابدال ، ويتولد من ثلجه دود ابيض اذا غرز فيه ادنى شيء يخرج ماء ابيض صافي يرجع دابة ، وليس هو حيوان ؟

وبالاندلس جبل فيه عينان بينهما مقدار شبر ، واحدتهما فى غاية البرودة والعذوبة ، والاخرى فى غاية الحرارة والملوحة ، ولهما رائحة طيبة

---

1) مدينة شمال غربي ايران ، كانت عاصمة فارس « 1514 ـ 90 م » بها مسجد قديم ينسب الى هارون الرشيد تتجر بالحرير والفاكهة والارز والسجاد .

عطرة ، وبه **جبل البرانس** ، وفيه معدن الكبريت الاحمر ، والكبريت الاصفر ، والزئبق ، ومنه يحمل الى سائر البلاد ، وفيه معدن الزنجوفور ، وليس فى جميع الارض معدن الزنجفور الا هناك .

جبل القدس : قال صاحب تحفة الفرائب ، بأرض القدس جبل فيه غار كالبيت تزوره الناس ، فاذا اظلم الليل اضاء البيت ، وليس به هناك ضوء ولا سراج ولاكوة ولا طاقة .

جبل قبيس وهو بمكة بقرب منى (1) وهو جبل مبارك تقصده الزوار ، وعليه اهبط الكبش الذي فدى به اسماعيل عليه السلام

جبل الزورا : وهو بقرب مكة وهو الجبل الذي فيه الغار الذي كان فيه النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضي الله عنه حين خرجا مهاجرين

جبل الجودي : بقرب جزيرة ابن عمر من الجانب الشرقي الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام ، وبنى نوح به مسجدا وهو الى الان باق تزوره الناس .

جبل جوشي : غربي حلب ، وفيه معدن النحاس الاحمر ، قيل انه بطل منذ عبر عليه سبي الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما ، وكانت زوجة الحسين مثقلة بالحمل وطرحت هناك ، وبه مسجد يعرف بمشهد الطرح وطلبت من صناع النحاس ماء للشرب فمنعوها وسبوها فدعت عليهم فامتنع منه الربح من ذلك الحين

جبلا حارث وحويرث : هما بأرض ارمينية (2) لا يقدر احد على

---

1) منى بلدة قريبة من مكة تبعد عنها بنحو ستة كيلومترات ، وفيها مرمى الحجار ومذبح الفدى « مناسك الحج » وبها مسجد الخيف ، وعلى مقربة منه غار كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، احيانا ، ونزلت عليه فيه سورة المرسلات ، ويسمى « غار المرسلات » ، ويقال ان ابراهيم هم فى منى بذبح ابنه اسماعيل ، ولذا كانت موضع الذبح فى الحج

2) ارمينية هضبة يتراوح ارتفاعها بين 1828 ـ 2437 مترا وكانت تقوم فى هذا الاقليم فى العصور القديمة مملكة آسيا الصغرى ، التي شملت شرق تركيا وجمهورية ارمينيا السوفييتية الحالية وتقول الرواية القديمة بان حايك من سلالة نوح عليه السلام اسس هذه المملكة بمنطقة بحيرة فان ، ثم صارت ساحة حروب بين الاشوريين والميديين والفرس واصبحت فى حوالي القرن 6 ق.م ايالة فارسية ، وفتحها الاسكندر الاكبر فى القرن 4 ق.م ثم حكمها سلوكس 1 وصارت مملكة مستقلة « 189 ـ 69 ق.م » حينما وقعت فى قبضة الرومان وبارمينية توفي عبد الرحمن بن حبيب الفهري سنة 662 م وارمينية اول دولة صارت مسيحية ، ولكنها حينما دخلت فى حوزة الفرس بعد القرن3 قاسى المسيحيون من السكان الوانا من الجور والاضطهاد عاد الى ارمينية استقلالها الذاتي تحت حكم ملوك ارمن « 885 ـ 1046 م » حين اعاد البيزنطيون فتحها ، ولكن ما لبث الاتراك السلاجقة ان طردوهم منها ، واضطر جانب من السكان الى الارتحال

ارتقائهما اصلا ، قال ابن الفقيه السيرفي (1) كان على نهر الرس بارض امينية الف مدينة عامرة آهلة ، فبعث الله عز وجل اليهم رسولا فكذبوه وآذوه ، فدعا عليهم فحول الله الحارث والحويرث من الطائف وارسلهما على المدن واهلها ، فهما تحت هذين الجبلين حتى الساعة .

جبل حراء : (2) وهو ثلاثة اميال من مكة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيه للخلوة ويعبد الله فيه قبل نزول الوحي عليه ، واتاه جبريل هناك

جبل جورفون : وهو بين حضر موت وعمان **حكى** احمد بن يحيى اليمني ان فى ناحية قورشق فى جبل يقال له جورقور غار غوره مقدار خمسة ارماح ، وعرضه قليل ، فمن اراد ان يتعلم السحر فلياخذ ماعز اسود ليس

غربا ، واقاموا مملكة ارمينيا الصغرى فى كبليكية ، وفتح « 1386 ـ 94 م » تيمورلنك ارمينية الكبرى وقتل عددا كبيرا من السكان وطرد الفرس المغول ولكن الاتراك العثمانيون اخذوا فى فتحها تدريجيا ، وفى القرن 16 كانت ارمينية كلها فى ايديهم ثم ادعت فارس حق ملكية الجزء الشرقي من ارمينية ، واحتلته ، ولكن روسيا طردتها من هذا الجزء 1828 م واعطى مؤتمر برلين 1878 بعض الاراضي الارمينية التابعة لتركيا الى روسيا ، ولكن رقعة كبيرة من هذا القطاع اعيدت الى تركيا 1925 وبقي الارمن من 1894 الى 1915 تحت حكم الاتراك وجعلت معاهدة برست ليتوفسك 1918 ارمينية دولة مستقلة تحت رعاية المانيا ، ولكن معاهدة سيفر 1920 اقامت دولة ارمينية العظمى، ثم نادى الشيوعيون فى العام نفسه بارمينية الروسية جمهورية سوفيتية ثم ابرم الروس والترك 1921 معاهدة وضعت الحدود القائمة الآن وجعلت فى 1936 ارمينية احدى الجمهوريات التي تؤلف اتحاد الجمهوريات السوفييتية الروسية ومساحتها 29.900 كم وسكانها 1.600.000 نسمة عاصمتها اريفان جبلية السطح وبها مراع جيدة يستخدم المطر الصناعي للزراعة الدورية ، اهم غلاتها النبيذ والقطن والصوف والنحاس تولد الكهرباء من بحيرة سيفان

1) السيرفي نسبة اعلام ثلاث 1) سليمان التاجر عراقي الاصل عاش بسيراف على الساحل الشرقي للخليج العربي جمع كتاب « سلسلة التواريخ » 851 م وضمنه وصف بلاد الصين والهند وجزائر البحار المجاورة . 2) الحسن بن عبد الله السيرفي 893 ـ 979 نحوي ولد بسيراف ومات ببغداد . خرج من بلدته قبل العشرين الى عمان ثم عاد اليها ثم خرج الى عسكر مكرم وسكن بغداد اخذ القرآن عن ابن مجاهد واللغة عن ابن دريد، والنحو عن ابن السراج وحبرمان حتى اشتهر بالنحو البصري خاصة «الف الاقناع» فى النحو و ـ اخبار النحويين والبصريين ـ و ـ صنعة الشعر ـ و ـ البلاغة ـ شرح مقصورة ابن دريد وغيرها اهم كتبه شرح كتاب سيبويه . 3) ابو زيد حسن السيرفي: رحالة ظهر فى القرن 10 اضاف ذيلا لكتاب سلسلة التواريخ الذي جمعه سليمان السيرفي « التاجر » ولعل المؤلف يقصد هنا ابن الفقيه الهمداني صاحب مختصر كتاب البلدان طبع دى جويه ليدن 1885 م

2) حراء جبل شمال شرق مكة على بعد 4,8 كم به غار كان رسول الله يتحنث فيه قبل البعثة شهرا كل عام على ملة ابراهيم الخليل عليه السلام . فيه اوحى الى رسول الله وانزل عليه القرآن لاول مرة اذ نزل قوله تعالى : « اقرا باسم ربك الآية » .

فيه شعرة بيضاء ويذبحه ويسلخه ويقسمه سبعة اجزاء ، يعطي منها جزءا واحدا للمقيم بذلك الجبل ، وستة اجزاء ينزل بها الى الغار ، ثم يأخذ الكرش يشقها وينطلي بما فيها ويلبس الجلد مقلوبا ويدخل الغار ليلا ، وشرطه ان لا يكون له أب ولا أم ، فينام فى الغار تلك الليلة ، فان أصبح جسمه نقيا من حشو الكرش مفسولا ، فقد قبل وحصل له السحر ، وان وجده بحاله لم يقبل ولا يحصل له القصد ، فاذا خرج من الغار بعد القبول لا يحدث احدا ثلاثة ايام ، فيصير ساحرا ماهرا

جبل الحيات : بأرض تركستان (1) حيات من نظر اليها مات لوقعته ، الا انها لا تجاوز هذا الجبل ابدا

جبل نهاوند : بقرب الري (2) يناطح النجوم ارتفاعا ؟ قال مسعود ابن مهلهل هذا الجبل لا يفارق اعلاه الثلج ليلا ولا نهارا ، صيفا ولا شتاء البتة ، ولا يقدر احد ان يعلوه ، وزعموا ان سليمان بن داوود عليهما السلام حبس فيه صخر المارد ، وزعموا ان افريدور الملك ، حبس فيه بيوراسب الضحاك ، ومن صعد الى هذا الجبل لا يصل الى نصفه الا بمشقة زائدة شديدة ومخاطرة بالنفس

قال مسعود بن مهلهل صعدت الى نصفه بمشقة شديدة ، وما أظن أحدا وصل الى ما وصلت ، فرايت هناك عينا كبريتا ، وحولها كبريت مستجمر اذا طلعت عليه الشمس اشتعل نارا ، وسمعت من اهل تلك الناحية ان النمل اذا كثرت من جمع الحب على هذا الجبل استشعر الناس بعده بجدب وقحط ، وانه متى دامت عليه الامطار والندى وتضرروا بذلك صبوا لبن الماعز على النار فينقطع المطر والندى فى الحال والحين وجربته مرارا فوجدته صحيحا كما قيل ، واما ذروة هذا الجبل متى انكشفت من الثلج وقعت فى تلك الارض فتنة عظيمة على ممر الايام لا ينخرم ابدا ، بل تكون الفتنة فى الجهة المنكشفة دون غيرها

---

1) تركستان منطقة بالاتحاد السوفياتي تشمل جمهوريات ، تركمانستان ــ ازبكستان ــ تادجيكستان ــ قرغيرستان ــ قازاقستان على ان هناك تركستان اخرى بالشرق تعرف بالصينية او الشرقية « وهي الان مقاطعة سينكيانج فى الصين » وتركستان كل سكانها يتكلمون اللغة التركية

2) الري مدينة كان اسمها القديم راغا تقع اطلالها على بعد 8 كم ج ق طهران بايران . تذكر الروايات ان زرادشت « المنسوب اليه المذهب الديني فى القرن 7 ــ 6 ق.م » ينسب اليها ضمتها امبراطورية الفرس ثم امبراطورية الاسكندر ثم مملكة السلجوقيين فتحها المسلمون فى خلافة عمر (ض) على يد نعيم ابن مقرن . ولد بها هارون الرشيد . تضم اطلالها آثار من العهود الساسانية والعباسية والبويهية والسلجوقية وينسب اليها ايضا محمد بن زكريا الرازي الطبيب الكيميائي ، وفخر الدين الرازي صاحب « مفاتيح الغيب » او التفسير الكبير

قال محمد بن ابراهيم الضراب عرف والدي معدن الكبريت الاحمر فاتخذ مغارفا طوالا من حديد فادخلها فيه فذابت ولم يحصل على قصد ، وقال اهل تلك الناحية هذا المكان لا يدخل فيه حديد الا ذاب فى وقته ، وذكروا ان رجلا جاءهم من خراسان ومعه مغارف طوال من حديد ، ولها سواعد طوالا قد طلاها بادوية حكيمة ، فاخرج بها من الكبريت الاحمر شيئا طائلا لبعض ملوك خراسان ، وذكر محمد بن ابراهيم ان الامير موسى ابن خضر كان واليا على الري اذ ورد عليه كتاب من المامون بن الرشيد امير المؤمنين يامره بالشخوص الى هذا الجبل ويعرف هذا المحبوس به ، قال فوافينا حضيض الجبل واقمنا اياما لا نرى الاهتداء لصعوده حتى اتانا شيخ مسن حاذق وهو ذو همة عالية ، فسألنا فعرفناه امر الخليفة فقال : اما هذا فلا سبيل اليه اصلا ، وان اردتم صحة ذلك اريتكم عيانا ، فاستحسن الامير موسى كلامه ، وقال : هو القصد ، فعند ذلك صعد الشيخ بين ايدينا ونحن في الاثر فاوقفنا على موضع فبالغنا فى حفره حتى انكشفت لنا عن بيت منقور من الحجارة وفيه تمثال شخص على صورة عجيبة ، يضرب بمطرقة ، على اعلاه ساعة بعد ساعة من غير فتور ، فاستخبرنا الشيخ عن شانه فقال : هذا طلسم موضوع على بيوراسب الضحاك المحبوس هاهنا ليلا ينحل من وثاقه، ثم امرنا ان لا نتعرض الى الطلسم وان نرده الى ما كان عليه ففعلنا ، ثم دعا بسلاسل وسلالم طوالا فربط بعضها الى بعض بالحبال وكلبها من اسافلها واواسطها بالسلاسل واوثقها فارتفعت مقدار مائة ذراع ، وثقب موضعا على راس السلالم فظهر باب من حديد عليه مسامير كبار جدا مذهبة الفلوس، فوصلنا الى عتبة فوجدنا على الاسكفة كتابة بالفارسي كانما كتبت الان ، مكتوبة بالذهب مدهونة بادهان التأبيد تنطق الكتابة عن كلام معناه ان على هذه القلة سبعة ابواب من حديد على كل مصراع منها اربعة اقفال من حديد وعلى العضادة مكتوب « هذا سجن لهذا الحيوان المفسد وله امد ينتهي الى غاية ، فلا يتعرض احد الى هذه الاقفال بمكر ، فانه متى فتح عن اقفالها ولو قفل واحد هجم على هذه البلاد آفة فلا يندفع ابدا ، فقال الامير موسى لا اتعرض لشيء حتى استأمر امير المؤمنين ، فجاء الجواب برد البيت الى ما كان وترك ذلك على حاله .

جبل الربوة : هو على فرسخ من دمشق ، ذكر بعض المفسرين انها المراد بقوله تعالى « وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » وهو جبل عال على قلته مسجد حسن بين بساتين واشجار ورياض ورياحين من جميع جوانبه ، وله شبابيك تطل على ذلك كله ، ولما ارادوا اجراء نهر ثورا ، وقع هذا الجبل فى طريقه معترضا فنقبوه من تحته واجروا الماء من النقب ، وعلى

راسه نهر يزيد ، وهو ينزل من اعلاه الى اسفله ، وفى هذا الجبل كهف صغير وزعموا ان عيسى بن مريم عليهما السلام ولد فيه

قال القزويني رايت فى هذا المسجد فى بيت صغير به حجرا كبيرا حجمه كحجم الصندوق ذو الوان مختلفة عجيبة ، وقد انشق نصفين كالرمانة المنشقة ، وبين الشقين من اعلاه فتح ذراع ، واسفله ملتم لم ينفصل شق عن الاخر ، ولاهل دمشق فى هذا الجبل اقاويل كثيرة اضربنا عنها

جبل رضوى : (1) قال عدامة بن الاصبغ هو من المدينة على سبع مراحل وهو جبل عال منيف ذو شعاب واودية ، وهو اخضر يرى من البعد ، وبه اشجار وثمار ومياه كثيرة ، تزعم الكيسانية ان محمد بن الحنفية (2) رضي الله عنه مقيم به بين اسد ونمر ، وعنده عينان نضاختان تجريان ماء وعسلا وانه سيعود بعد الغيبة فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وكان السيد الشريف الحميري على هذا المذهب وهو القائل :

الا قل للرضي فدتك نفسي اطلت بذلك الجبل المقاما

ومن رضوى يقطع حجر المسن ويحمل الى جميع البلاد .

جبل الرقيم : المذكور فى القرآن قيل هو اسم الجبل وقيل اسم القرية التي كان فيها اصحاب الكهف وهو بالروم بين ارقية ونيقية (3) ، حكى عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال ارسلني ابو بكر الصديق رضي الله عنه الى ملك الروم رسولا لادعوه الى الاسلام ، فسرت حتى دخلت بلاد الروم ، فلاح لنا جبل يعرف بأهل الكهف فوصلنا الى دير فيه وسألنا أهل الدير عنهم فاوقفونا على سرب فى الجبل ، فوهبنا لهم شيئا وقلنا نريد ان ننظر اليهم فدخلوا ودخلنا معهم ، وكان عليه باب من حديد ففتحوه ، فانتهينا الى بيت عظيم محفور فى الجبل فيه ثلاثة عشر رجلا مضجعين على ظهورهم كانهم رقود ، وعلى كل واحد منهم جبة غبرا وكساء اغبر ، قد غطوا بها من رؤوسهم الى اقدامهم ، فلم ندر ما ثيابهم من صوف ام من وبر ،

---

1) جبل رضوى يقع بجوار ينبع النخل على بعد 215 من المدينة واليه يرجع اصل مؤسس الاسرة المالكة بالمغرب الحسن بن قاسم الداخل سنة 664 هـ

2) محمد بن الحنفية هو ابن سيدنا علي عليه السلام . ولد سنة 637 وتوفي سنة 700 م . امه من بني حنيفة ، واليها ينسب ، قضى اغلب حياته فى الحجاز بين مكة والمدينة ، ولم يذهب الى الشام الا زائرا لحاكمها ، عرف بالفقه والتقوى والميل الى الهدوء فلم ينافس فى الخلافة بعد سيدنا الحسن وموت سيدنا الحسين عليهما السلام منافسة ابن الزبير رضي الله عنه فى الحجاز والمختار الثقفي فى العراق . ومع هذا يأبى الكيسانية اتباع المختار الا ان يقولوا بامامته بعد ابيه عليه السلام ، لانه دفع اليه الراية يوم الجمل، ويعتقدون انه حي لم يمت يقيم بجبل رضوى بجوار ينبع ، وانه المهدي المنتظر ! !

3) نيقية اسم لمدينة قديمة باسيا الصغرى اسست فى القرن 4 ق.م كانت مركزا تجاريا هاما فى ظل الحكم الروماني ، ومقرا لمجمعين كنسيين « 325 – 787 » وظلت مزدهرة خلال العصور الوسطى استولى عليها الصليبيون 1097 واصبحت 1204 مركزا لامبراطورية نيقية التي نتجت عن الحرب الصليبية 4

الا انها كانت أصلب من الديباج ، فلمسناها فاذا هي تتقعقع من الصفاقة ، فى ارجلهم الخفاف الى انصاف سوقهم منتعلين بنعال مخصوفة وخفافهم ونعالهم مخصوفة فى جودة الخرز ولين الجلود لم ير مثلها ، قال فكشفنا عن وجوههم رجلا رجلا فاذا هم فى وضاءة الوجوه وصفاء الالوان وحسن التخطيط كالاحياء ، وبعضهم فى نضارة الشباب ، وبعضهم قد وخطه الشيب وبعضهم شعورهم مضمومة ، وبعضهم شعورهم مضفورة ، وهم على زي المسلمين ، فانتهينا الى آحرهم فاذا فيهم واحد مضروب على وجهه بسيف كانما ضرب يومه ، فسألنا عن حالهم وما يعلمون من امرهم فذكروا انهم يدخلون عليهم كل عام يوما ، وتجتمع اهل تلك الناحية على الباب فيدخل اليهم من ينفض التراب عن وجوههم واكسيتهم ويقلم اظفارهم ويقص شوُاربهم ويتركهم على هيئتهم هذه ، قلنا لهم هل تعرفون من هم وكم مدة لهم هاهنا ، فذكروا انهم يجدون فى كتبهم وتواريخهم انهم كانوا انبياء بعثوا الى هذه البلاد فى زمان واحد قبل المسيح باربعمائة سنة ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان أصحاب الكهف سبعة وهم مكسلينا ، تمليخا ، مرطونس ، طينونس ، دوانوانس ، كسيطيطونس ، وكلبهم قطمير

جبل نانك : قال صاحب تحفة الغرائب بارض نانك وهم طائفة من الترك ببلاد تركستان ، ليس لهم زرع ولا ضرع ، وفى بلادهم ذهب كثير وفضة كثيرة ، وربما يقع لهم كل قطعة كراس الشاة من الذهب والفضة ، فمن اخذ من القطع الكبار مات فى الحال او فى اليوم ، ومن اخذ من القطع الصغار انتفع بها من غير ضرر يمسه ، ومن ذهب بقطعة كبيرة الى بيته مات هو واهل بيته الا ان يرجع بها من اثناء الطريق ، وان اخذ الغريب من القطع الكبار فلاباس عليه ولا سوء .

جبل ساوة : وهو على مرحلة منها وهو شامخ جدا وفيه غار يشبه ايوان يسع سبعة آلاف نفر وفى آخر الغار قد برز فى صدر حائطه اربعة احجار متفرقة شبه ثدي المراة ، يتقاطر الماء من ثلاثة منها ، والرابع يابس لا يقطر منه شيء ، ويزعم اهل تلك الارض ان كافرا مصه فيبس ، وتحتها حوض يجتمع فيه الماء ، وهو طيب لا يتغير ، وعلى باب الغار ثقب ذو بابين يدخل الناس من احدهما ويخرجون من الآخر ، يزعمون انه من لم يكن ولد لرشده لا يقدر على الخروج منه .

قال القزويني رايت رجلا دخله ، وما خرج منه حتى عاين الهلاك .

جبل سيلان : بقرب مدينة اردبيل من ادربيجان ، وهو اعلا من جبال الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ : (سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى وكذلك تخرجون) كتب الله له من الحسنات بعدد كل ورقة ثلج تقع على جبل سيلان ، قيل وما سيلان يا

رسول الله قال جبل بارمينية وادربيجان عليه من عيون الجنة وفيه قبر من قبور الانبياء ؟؟

قال ابو حاتم الاندلسي على راس هذا الجبل عين عظيمة مع غاية ارتفاعه ، ماؤها ابرد من الثلج ، كانما شيب بالعسل لشدة عذوبته وبجوف الجبل ماء يخرج من عيون يصلق البيض بحرارته ، يقصدها الناس لمصالحهم وبحضيض هذا الجبل شجر كثير ومراعي وشيء من حشيش لا يتناوله الانسان ولا حيوان الا مات لساعته ، قال القزويني ولقد رايت الخيل والدواب ترعى في هذا المكان فاذا قربت من الحشيش نفرت وولت منهزمة كالمطرودة، قال وفي سفح هذا الجبل بلدة اجتمعت بقاضيها واسمه ابو الفرج عبد الرحمن الارديبلي ، وسالته عن حال تلك الحشيشة فقال الجن يحميها ، وذكر ايضا انه بنى في القرية مسجدا فاحتاج الى قواعد كبار حجرية لاجل العواميد ، فاصبح فوجد على باب المسجد قواعد من الصخر منحوتة محكمة الصنعة كاحسن ما يكون

جبل السمان : وهو باعمال حلب يشتمل على مدن وقرى وقلاع وحصون واكثرها للاسماعلية (1) والدرزية (2) وهو منبت السمان وهو مكان طيب كثير الخيرات .

---

1) الاسماعيلية : فرقة من الشيعة الباطنية تنسب الى اسماعيل الابن الاكبر لجعفر الصادق الامام السادس المتوفى بالمدينة «760 – 761م» والذي جعلوا له الامامة بعد وفاة ابيه، واضطهد ابناء اسماعيل بعد وفاة ابيهم فتركوا المدينة وانتشروا في دماوند وخراسان وقاندهار والهند والشام وبلاد المغرب ، واوفدوا الدعاة الى البلاد الاسلامية يدعون الى مذهبهم الباطني ، ومن اشهر دعاتهم « ميمون القداح » وكان ولده عبد الله اماما للقرامطة والحسن بن الصباح زميل الغزالي والخيام ونظام الملك ، والذي اصبح زعيما لحشاشين و « راشد الدين بن سنان ابن سليمان » و « اغاخان » وللاسماعلية اتباع كثيرون حاليا في فارس واواسط آسيا وافغانستان والحوض الاعلى لنهر جيحون والهند وعمان والشام وزنجبار وتنجانيقا . وللاسماعلية دعوة وفلسفة ، فالدعوة عندهم على مراتب لكل من يحل مرتبة منها اسم خاص له مدلوله عندهم بالقياس الى ما يقوم به من تبليغ الكلام المنزل وتاويله . والنبي الذي يبلغ الكلام المنزل اسمه الناطق ، والامام الذي يؤول هذا الكلام اسمه الاساس وبهذا المعنى كان رسول الله (ص) ناطقا . وكان سيدنا علي عليه السلام اساسا ويأتي بعد الناطق والاساس الامام والحجة والداعي ويقوم الحجة باثبات صدق رسالة الاساس ، ولذلك سمي بهذا الاسم ومؤدى فلسفة الاسماعلية ، ان العقل الانساني لايستطيع ادراك حقيقة الذات الالهية ، وان ليس لهذه الذات صفات، ومحل الصفات هو العقل الكلي الذي ابدعه الله بالامر وفيه يتمثل الله ولهذا كانت المعرفة للعقل المبدع الذي بعد العقل الذي ابدعه بمثابة المظهر الخارجي له ومن العقل الكلي تصدر سلسلة من المبدعات او الموجودات . فمنه صدرت النفس الكلية وعنها صدرت المادة الاولى . وعن اتحاد النفس والعقل والمادة والزمان والمكان تصدر حركات الافلاك والطبائع

وتحصل السعادة عند الاسماعلية بتحصيل العلم وحلول العقل الكلي في الناطق وفي الائمة من بعده هو السبيل الى العلم الذي تحصل منه السعادة

وللاسماعلية كتب كثيرة تصور فلسفتهم ودعوتهم واكثرها ما يزال مخطوطا وسريا اهمها كتاب « راحة العقل » للداعي احمد حميد الدين الكرماني

2) الدروز : جماعة من سكان سورية ولبنان يقيمون في جبل الدروز في سورية وينتشرون

جبل الشم : قال الجيهاني ان اهل الصين نصبوا قنطرة من راس جبل الى راس جبل آخر فى طريق آخذة الى تبت ، من جاز على تلك القنطرة يؤخذ بانفاسه ويلتهب قلبه ويثقل لسانه ويموت فى الغالب من المارين جماعة مستكثرة واهل التبت يسمونه جبل اسم ؟

جبل الشب : بارض اليمن على قمة جبل ماء يجري من جانب الى جانب وينعقد شبا ، والشب اليماني من ذلك .

جبل الصور : قال صاحب تحفة الغرائب ، بارض كرمان جبل من اخذ منه حجرا وكسره يرى فى وسطه صورة انسان قائما او قاعدا او مضطجعا ، وان سحقت الحجر ناعما وحللته فى ماء وتركته حتى يرسب ترى فى الراسب منه ما رايته فى الحجر من الصورة وهيئتها ، وهذا من اعجب العجائب

جبل الصفا (1) هو من بطحاء مكة ، والواقف على الصفا يرى الحجر الاسود (2) قبالته والمروة تقابله ، يقال ان الصفا اسم رجل ، والمروة اسم امراة زنيا فى الكعبة فمسخهما الله حجرين ، فوضع كل واحد على الحجر المسمى باسمه لاعتبار الناس ؟؟

فى بقاع كثيرة من لبنان يدعون انفسهم الموحدين كانوا فى الاصل فرقة اسلامية اسماعيلية فاطمية تؤمن بامامة الحاكم بأمر الله حافظ الدروز على عاداتهم وعقائدهم. واختلف مذهبهم من الناحية الفقهية عن باقي المذاهب الاسلامية فى أمور منها : ا ـ عدم جواز رجوع المطلقة لمطلقها . ب ـ وجوب الاقتصار على زوجة واحدة . ج ـ اجازة الوصية بكل المال او ببعضه لوارث وغير وارث ومن دعاة ومنشيء الدرزية حمزة وخصمه محمد بن اسماعيل الذي وفد على مصر 1017 حيث التف حوله كثير من الانصار ابرزهم برذائيل جهر محمد بن اسماعيل بالوهية الحاكم بأمر الله ، وقال ان العقل الكلي قد تجسد فى آدام فى مبدأ العالم ، ثم انتقل منه الى الانبياء ، ثم الى علي عليه السلام ، ثم الى خلفاء الفواطم وكتب كتابا بسط فيه مذهبه واخذ يقرؤه فى اهم مساجد القاهرة ولم يعترض عليه الحاكم الذي دبرت قتله اخته ست الملك كما اغتيل بن اسماعيل بتدبير من حمزة سنة 1019 م .

1) الصفا والمروة : جبلان قريبان من المسجد الحرام يسعى بينهما الحاج والمعتمر سبع مرات يبتديء فيها الصفا ، والمسعى هو ما بينهما وطوله 420 مترا وفى المسعى عمودان اخضران بينهما 70 مترا اذا وصل الساعي الى احدهما هرول فى مشيته بان يسرع ويتحرك كل جسمه، وكان من يريد السعي يخرج بعد الطواف من باب الصفا فى البيت الحرام ثم يسعى وبعد التوسعة الجديدة فى المسجد الحرام ادخل المسعى فيه

2) الحجر الاسود وضعه سيدنا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فى الركن الشرقي من الكعبة عندما رفعا قواعدها اعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه وعمره 35 سنة حين اعادت قريش بناء الكعبة وعرف كيف يفض الخلاف بين قبائلها والتي كانت تتسابق على شرف وضعه الحجر الاسود احد مناسك الحج وعنده يبدا الطواف بالكعبة .

وجاء في الحديث ان الدابة التي هي من اشراط الساعة تخرج من الصفا ، وكان ابن عباس يضرب بعصاه حجر الصفا ويقول : ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه ؟؟

جبل صقلية (1) هو في وسط بحر الروم وهو بحر المغرب اعلاه مسيرة ثلاثة ايام ، فيه اشجار كثيرة من البندق والصنوبر والارز ، في اعلاه منافس كثيرة يخرج منها الدخان والنار ، وربما سالت النار فاحرقت جميع ما مرت عليه وتجعله مثل خبث الحديد ، وعلى قمة هذا الجبل السحاب والثلوج صيفا وشتاء لا تفارقه ، وزعم اهل الروم ان الحكماء كانوا يدخلون الى هذه الجزيرة ليروا عجائبها وكيف اجتمع الضدين ، الثلج والنار وفيها معدن الذهب ، وتسميها أهل الروم جزيرة الذهب

جبل الطاهرة : هو بارض مصر ، قال صاحب تحفة الغرائب بهذا الجبل كنيسة فيها حوض يجري من الجبل ، ماؤه عذب يجتمع في ذلك الحوض ، فاذا امتلأ ذلك الحوض من جميع جوانبه ترده الناس ، فاذا ورد الحوض جنب او امرأة حائض وقف الماء وانقطع جريانه فلا يجري حتى ينزع جميع ما فيه من الماء ويغسل الحوض غسلا بالغا فيجري بعد ذلك ؟!

جبل طبرستان : قال صاحب تحفة الغرائب ، بهذا الجبل ضرب من الحشيش يسمى « جومانك » من قطعه وهو ضاحك غلب عليه الضحك في عمره ومن قطعه وهو باك غلب عليه البكاء ، ومن قطعه راقصا غلب عليه الرقص ، وكذلك على اي صفة كانت وقطعه استمر على تلك الصفة ؟

---

1) صقلية جزيرة في اقليم متمتع بالحكم الذاتي مساحتها 25,815 كم م سكانها 4000078 تتبع ايطاليا ويفصلها مضيق سينا عن شبه الجزيرة عاصمتها بالرمو ، وصقلية اكبر جزر الابيض المتوسط واكثرها سكانا تقع بين بحر ايجه والبحر التريني ولبعد حوالي 165 كم شمال افريقيا وهي في الشكل مثلثة الاضلاع بالتقريب ، ومعظم سطحها جبلي فيما عدا سهل كاتانيا .

اسس مدن صقلية القديمة الفينيقيون « بالرمو » والقرطاجنيون « ليليبيوم وترابانا » والاغريق « سيراقوسة وكتانيا ومسينا وجيلا » ادت المنافسة بين الرومان والقرطاجنيين الى الحرب البونية التي انتهت 24 ق.م بان صارت صقلية مستعمرة رومانيه حيث استغلتها روما استغلالا شائنا ، وبعدما قسمت ارضها الزراعية على الملاكين الرومان ادخلت الرق مما أدى الى قيام الرقيق بفتن قمعت في قسوة بالغة في القرن 3 ق.م وغزا البربر صقلية ثم انتقلت الى البيزنطيين 535 م وفي سنة 827 بدا فتح المسلمين للجزيرة وصاروا يحتلون معاقلها الواحد بعد الاخر ، وفي سنة 878 كانوا يملكون الجزيرة كلها بسقوط سيراقوسة في يدهم وخضعت صقلية كلها او بعضها لهم مدة 263 ولكن الحروب الاهلية التي استمرت بين القبائل العربية ساعدت النورمان على غزوها والاستيلاء عليها سنة 1090 على يد روجر 1 « 1060 – 1091 » . ولقد كانت الجزيرة ايام الحكم الاسلامي من ازهر بلاد الدنيا زراعة وتجارة وعلوما ، حتى صارت

جبل طور (1) **سيناء** وهو بين الشام ومدين ، قيل انه بالقرب من ايلة ، وهو المكلم عليه موسى عليه السلام ، كان اذا جاءه موسى عليه السلام للمناجاة ينزل عليه غمام فيدخل فى الغمام ويكلم ذا الجلال والاكرام ، وهو الجبل الذي دك عند التجلي ، وهناك خر موسى صعقا ، وهذا الجبل اذا كسرت حجارته يخرج من وسطها صورة شجرة العوسج على الدوام ، وتعظيم اليهود لشجرة العوسج لهذا المعنى ، ويقال لشجرة العوسج اليهود .

جبل طور هارون : هو مشرف على بيت المقدس ، وانما سمي بهارون لان موسى عليه السلام بعد ان عبدت بنو اسرائيل العجل اراد موسى المضي الى مناجاة الرب العلي ، فقال له هارون احملني معك فاني لست بآمن ان تحدث بنو اسرائيل امرا بعدك ، فغضب موسى وحمله معه، فلما كان ببعض الطريق اذ هما برجلين يحفران قبرا فوقفا عليهما وقال لمن القبر ؟ قالا لرجل فى طول هذا وهيئته ، واشارا الى هارون ، ثم قالا له بحق الاله الا نزلت فيه لنعرف القياس ، فنزع هارون ثيابه ونزل القبر واضطجع فيه ، فقبضه الله فى الحال وانطبق القبر عليه ، فانصرف موسى بثيابه حزينا باكيا ، فلما سار الى بني اسرائيل اتهموه بقتل اخيه ، فدعا موسى ربه حتى يراهم هارون فى تابوت فى الجو على راس ذلك الجبل .

جبل فرغانة : قال صاحب تحفة الغرائب ينبت بهذا الجبل ضرب من النبات على صورة الادميين ، منها ما هو على صورة الرجل ، ومنها ما هو على صورة المراة ، وتوجد هذه مع بعض الطرقيين فيتكلمون عليها ويقولون انها تزيد فى المحبة والقبول ، واكلها يزيد فى الباءة ، ولا تقلع حتى يربط فيها حبل طويل ويربط طرفه فى رقبة كلب ثم ينفر الكلب فيقلع الصورة من اصلها وتقع صيحة على الكلب فيموت فى الحال ؟

معاهدها قبلة الكثيرين من علماء اوربا واستمر ذلك على عهد النورمان كما اصبح روجر2 ملكا للجزيرة سنة 1130 تحت سيادة البابا الاسمية وتزوجت آخر سلالة روجر الاميرة كنستانس الامبراطور هنري 6 فصارت المملكة « بما فيها جنوب ايطاليا ونابلي » من املاك هو هونشتوفن التي وصلت الى قمة مجدها فى عهد الامبراطور فردريك 2 الذي حكم من 1197 الى 1250 » وبعد اخفاقهم توج كلمنت 4 شارل دوق انجو ملكا على صقلية غير ان اعماله اطاحت به واختير بطرس 3 ملك اراجون . ولكن جنوب ايطاليا بقي تحت حكم رانجو . وكان يحكم صقلية ولاة يالون من اراجون فتدهور شانها واعطى صلح ارترضت صقلية الى مملكة سالون 1713 م واستبدلت بسردينيا مع النمسا 1720 وانتقلت بعد الحرب البولندية الى آل بوربون الاسبان 1735 الذين قامت ضدهم الثورات 1820 ـ 1848 ـ وفتح جاريبلدي صقلية 1860 واتحدت مع ايطاليا . وفى الحرب العالمية2 سقطت فى يد الحلفاء بعد قتال عنيف فى 1943 وحصلت على الحكم الذاتي 1947

1) الطور يقع فى شبه جزيرة سيناء على خليج السويس بمصر جنوبي غربي جبل موسى به محجر صحي للحجاج .

جبل قاسيون : هو مشرف على دمشق ، فيه ءاثار الانبياء ، وهو معظم من الجبال ، وفيه مغارات وكهوف ومعابد للصالحين ، وفيه مغارة تعرف بمغارة الدم ، يقولون ان قابيل (1) قتل هابيل هناك وهناك حجر يزعمون انه الحجر الذي فلق به هامته وفيه مغارة اخرى يسمونها مغارة الجوع ، يقولون ان اربعين نبيا من الانبياء ماتوا بها من الجوع .

جبل الهند : قال صاحب تحفة الفرائب ، بأرض الهند جبل عليه صورة اسدين والماء يخرج من افواههما فيروي قريتين ، فوقع بين اهل القريتين خصومة على الماء ، فقال اهل احدى القريتين نوسع فم الاسد الذي يصب على اراضينا حتى يكثر الماء على اراضينا ، فكسروا فم الاسد فانقطع الماء اصلا من ذلك الاسد ، وخربت تلك الارض وانتزح اهلها ، والاسد الاخر على حاله والقرية الاخرى عامرة آهلة !

جبل تلاسيم : بقرية من قرى قزوين ، قال القزويني (2) حدثني من صعد على هذا الجبل ، قال عليه صورة كل حيوان من الحيوانات على اختلاف اجناسها ، وصور الادميين على انواع اشكالها عدد لايحصى ، وقد مسخوا حجارة ، وفيها الراعي متكيء على عصاه والماشية كلها حوله حجارة، وامراة تحلب بقرة وقد تحجرا ، والرجل يجامع امراته وقد تحجرا ، وامراة ترضع ولدها وقد تحجرا ، وهلم جرا وهذا ءاخر الكلام على الجبال وعجائبها والله أعلم .

---

1) قابيل هو اكبر اولاد آدم وحواء عليهما السلام قدم لله قربانا من ثمار زرعه ولم يقبل فى حين قدم اخوه هابيل قربانا من سمان غنمه فقبل ، فحنق قابيل على اخيه وقتله. واستحق لعنة الله . وردت القصة فى القرآن الكريم « سورة المائدة : 27 ــ 31 » وفي سفر التكوين (4 : 1 ــ 8)

2) القزويني زكريا م 1203 ــ 1283 » رحالة من اصل عربي ولد باقليم قزوين فى شمالي فارس ، طاف بفارس والعراق والشام ، ترك كتابين ، احدهما فى الفلك والجغرافية الطبيعية ، وعنوانه « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » والاخر) فى الجغرافية التاريخية بعنوان « عجائب البلدان » او « آثار اخبار العباد » وفي الكتابين استطرادات جعلت بعض المؤرخين يلقبه « هيرودوت العصور الوسطى » و « بليز العرب » توفي ببغداد

الأحجار وخواصها ومنافعها

الحجر الابيض اذا حككته على حجر صلب وخرج محكه ابيض فلا يعبأ به ، واذا كان محكه اصفر ، فمن حمله وتكلم بما شاء واخبر بما شاء وقع الا مر كما تكلم واخبر ، وان خرج محكه اصفر وحمله ، فكل شيء يقوم فيه يصعد معه ، وان خرج المحك اغبر فكل من استعان بحامله اهين به ، وان خرج اخضر وعلق ببستان او زرع او كرم او نخل امن من الافات ، وان خرج مسودا نفع من السموم القاتلة حكا وشربا ؟

الحجر الاحمر : اذا حك وخرج محكه بيضا ، نجحت امور حامله، وان خرج مسودا فكل شيء حدث به حامله نفسه قدر عليه ، وان خرج محكه مغبرا او اصفر فمن حمله احبه الناس ، وان خرج المحك مخضرا ، فكل من حمله لم يؤثر فيه السلاح جراحا ؟

الحجر البنفسجي : اذا حك فخرج محكه بيضا فكل من حمله زال عنه الهم والغم والحزن ، وان خرج محكه مسودا ، من حمله لم تنجح مقاصده ، وان خرج مصفرا ، من حمله اتاه كل شيء وصعد معه ، وان رمى في بئر او عين قل ماؤها ، وان خرج محمرا يرى حامله كل خير ، وان خرج مخضرا ، يزكوا زرع حامله وتنموا غنمه ، وان خرج مغبرا ، فكل من اكتحل به على اسم احد احبه رجلا كان او امراة .

الحجر الاخضر : اذا حك وخرج محكه مبيضا فمن حمله درت عليه الخيرات والبركات ، وان خرج مسودا فكذلك ، وان خرج مصفرا فكل دواء يصفه لمعلول او مريض ينفعه ويشفى به ، وان خرج محمرا ، فحامله لايزال ترد عليه العطيات والصلات من الاكابر ، وان خرج مغبرا ، فحامله متى وضع يده على راس مريض وذكر شيئا من اسماء الله تعالى قام من مرضه .

الحجر الاسود : اذا حك وخرج محكه مبيضا ، نفع من جميع السموم القاتلة شربا ، وان خرج المحك مسودا ، من حمله زاد عقله وحسن رايه وقضيت حوائجه عند الملوك والسلاطين ، وان خرج مخضرا ، لم يؤثر فى حامله سم اصلا .

الحجر الاغبر : اذا حك فخرج محكه مبيضا فسحق كالكحل واكتحل به انسان على اسم رجل او امراة وقعت محبة المكتحل به فى قلب من سماه واحبه حبا زائدا . وان خرج مخضرا او مسودا واكتحل به انسان اكرمه كل من رآه ، وان اكتحلت به النساء احبهن ازواجهن ، وان خرج محمرا او مصفرا وحمله انسان افلح حيث ما توجه ؟

الحجر الاصفر : اذا خرج محكه مبيضا حصل لحامله من الخلق كل ما يروم ، وان خرج مخضرا ، فان حامله لايغلب فى الكلام والخصومة ، وان خرج مسودا فمن حمله وذكر اسم شخص يراه لا يزال يتبعه حيث شاء حتى لا يكاد ينقطع عنه . ؟

حجر السامور : هو الذي يقطع به جميع الاحجار بالسهولة قيل ان سليمان بن داود عليهما السلام ، لما شرع فى بناء البيت المقدس ، استعمل الجن فى قطع الصخر ، فشكا اليه الناس الصداع من سماع قطع الصخور وشدة جلبتهم ، فقال سليمان : اتعرفون شيئا يقطع الصخور بلا صوت وبلا جلبة ؟ فقال بعضهم نعم يانبي الله انا نعرفه يسمى السامور ، ولكن لا نعرف مكانه ، فقال احتالوا فى تعرفه ، فاستدعى اصف بن برخيا وزيره باحضار عش عقاب وبيضه على حاله من غير ان يخرجوا منه شيئا فجيء به فجعله فى جام كبير من الزجاج وامر برده الى مكانه من غير تغيير، فاعيد فجاء العقاب ورأى ذلك فضرب الجام برجليه ليرفعه فلم يقدر، فاجتهد فما افاد ، فغاب وجاء فى اليوم الثاني بحجر فى رجليه والقاه عليه فقسم جام الزجاج نصفين ، فأمر سليمان باحضاره فحضر ، فقال له من اين لك هذا الذي القيته فى عشك ؟ فقال له يانبي الله من جبل بالمغرب يقال له السامور ، فبعث سليمان الجن مع العقاب الى ذلك الجبل فاحضروا له من حجر السامور كالجبال ، فكانوا يقطعون به الحجارة من غير صوت ولا صداع وسكت الناس . ؟

حجر حامي : حجر شديد الحمرة ، منقط بنقط سود صفار، يوجد ببلاد الهند ، من ازال عنه تلك النقط وسحقه والقاه على الفضة صارت ذهبا خالصا (1)

حجر الخطاف : يوجد فى عش الخطاف حجران ، احدهما احمر والاخر ابيض ، فالابيض يبريء حامله من الصرع ، والاحمر يقوي القلب، ويذهب الجزع والخوف والفزع عن حامله .

حجر الرحا السفلاني : من اخذ منه قطعة وتعلق على المراة التي تسقط الاولاد فلا تسقط بعد ذلك . ؟

حجر الصنونو : هو حجر يوجد فى عش الصنونو ، تنفع حكاكته من اليرقان ، والحيلة فى تحصيله ، أن يعمد الانسان الى فراخ الصنونو فيلطخها بالزعفران المذاب بالماء ، ويدعها فاذا راتهم الام تظن ان بهم يرقان فتغيب فتاتي بهذا الحجر وتضعه عندهم فياخذه الطالب له .

حجر القيء : هو حجر بأرض مصر اذا مسكه الانسان غلب عليه الغشيان حتى يرمي مما ببطنه ، فان لم يرمه هلك من القيء . ؟

حجر المطر : هو حجر يوجد ببلاد الترك ، اذا وضع فى الماء غيمت الدنيا ووقع المطر والبرد والثلج الى ان يرفع من الماء ، قال القزويني رأيت من شاهد هذا فأخبرني به .

حجر الحية : هو حجر يوجد فى راسها فى حكم بندقة صغيرة ، وحجمها ينفع الملدوغ تعليقا ، ويقطع نزف الدم وعسر البوم ، ويقوي الفكر ، وان علق فى رقبة مصروع زال عنه .

حجر السبح : هو حجر شديد الرخاوة ، يجلب من الهند ، شديد البريق ، يتكسر سريعا ، اذا ضعف بصر الانسان يديم النظر اليه ينفعه ،

---

1) هو العلم الذي اطلق عليه القدماء علم الكيمياء ، وهو فن قديم ضربت فيه جذور الكيمياء الحديثة ، وقد قال بعض بنشوئه فى مصر القديمة ، وقال آخرون فى الصين « القرن 3 او 5 ق.م » هدفه تحويل المعادن الى ذهب ، وتعتبر الاسكندرية المركز الاول للكيمياء القديمة حيث تأثرت بفلسفة الاغريق ، ونسب اليها انها موطن البحث عن حجر الفلاسفة، واكسير الحياة الذي يحيل المعادن الخسيسة الى ثمينة ، ويعيد الشباب الى الانسان. وزاملت الكيمياء القديمة التنجيم ، واختلط بها السحر حين وصلت الى العرب فى القرن 8 وبقيت معهم الى القرن 12 وانتقلت الى اوربا ترجمات اعمالهم التي اشتهرت منها كتابات جابر بن حيان « آخر القرن 8 واوائل 9 » اول من اشتغل بالكيمياء حيث ترجمت كتبه التي زاد عددها على 80 الى اللاتينية . وهو الذي قال بان الزئبق والكبريت هما العنصران الاوليان وكذا اليوناني زوسيموس ، وسيطرت الرمزية على هذه الكيمياء فى العصور الوسطى وافرقها الغموض اما استحالة العناصر فقد تحقق بالكيمياء الحديثة .

وان حمله الانسان معه منع من العين السوء ويحلو البصر كحلا ، واذا جعل على رأس ازال عنه الصداع

حجر السبناذج : يحلو الانسان ويدمل القروح .

حجر الماس هو حجر فى لون النشادر الصافي ، لايعلق بشيء من الاحجار ، واذا وضع على السندان وضرب عليه بالمطرقة غاص فيهما او فى احدهما ولم يتكسر ، واذا ضرب بالاسرب تكسر ، ولو تكسر الف قطعة لاتكون مقطعاته الا مثلثة ، يضعوا منها قطعة على طرف المثقب ويثقبوا بها الاحجار الصلبة والجواهر ، وان القى فى دم تيس وقرب الى النار ذاب لوقته وهو سم قاتل .

حجر الجزع : هو حجر صلب ، له الوان كثيرة ، من حمله اورثه الهم والغم والحزن واراه احلاما رديئة ويعسر قضاء الحوائج عليه ، وان علق على صبي كثر بكاؤه وفزعه وسال لعابه وعظم نكده ، ومن سقى منه مسحوقا قل نومه وثقل لسانه ، وان وضع بين جماعة حصلت بينهم فتنة وخصومة وعداوة ، وليس فيه من المنفعة الا انه يسهل الولادة على الحامل.

حجر البحر : حجر اسود خفيف خشن ، من استصحبه في ركوب البحر أمن من الفرق ، وان وضع فى قدر لم تغل ابدا

حجر الدجاجة : وهو حجر يوجد فى قوانص الدجاج ، اذا وضع على مصروع ابراه ، وان حمله انسان فانه يزيد فى قوة باءته ، ويدفع عن حامله عين السوء ، ويوضع تحت رأس الصبي فلا يفزع فى نومه . ؟ ؟

حجر البهت هو حجر ابيض شفاف يتلألأ حسنا ، وهو مغناطيس الانسان ، اذا رآه الانسان غلب عليه الضحك والسرور وتقضى حوائج حامله عند كل احد

حجر المغناطيس اجوده ما كان أسود مشوبا بحمرة ، ويوجد بساحل بحر الهند والترك ، واي مركب دخل هذا البحر فمهما كان فيه من الحديد طار منه مثل الطير حتى يلصق فى الجبل ، ولهذا لايستعمل فى مراكب

هذين البحرين شيء من الحديد ؟ واذا اصاب هذا الحجر رائحة الثوم بطل فعله ؟ فاذا اغتسل بالخل عاد الى فعله ، واذا علق هذا الحجر على احد بـه وجع نفعه خصوصا من به وجع المفاصل ووجع النقرس ، ويزيد فى الذهـن، ويعلق على الحامل فتضع فى الحال . وقد قيل فيه شعر :

قلبـي العليـل وانت جـالينوسـه فعسى بوصـل ان تزيـل رسيسه ؟
يشفائـك القلـب العليـل كأنـه ابـر الحديـد وانـت مغناطيسه ؟

وقـال فـي المعنـى :

مـن ءادم فى الكـون مـن ابليـس من عـرش سليمـان ومن بلقيـس ؟
الكـل اشـارة وانـت المعنـى يا مـن هـو للقلـوب مغناطيـس ؟

الأحجار الصلبة ذوات الجواهر

الياقـــوت : هو حجر صلد شديد اليبس ، رزين صاف ، منه احمر (1) وابيض واصفر واخضر وازرق ، وهو حجـر لاتعمل فيـه النار لقلة ذهنيته ، ولا يثقب لغلظ رطوبته ، ولا تعمل فيه المبارد لصلابته ، بـل يزداد حسنا على مر الليالي والايام ، وهو عزيز قليل الوجود ، سيما الاحمر، وبعده الاصفر ، على ان الاصفر اصبر على النار من سائـر اصنافـه ، مـن تختم بهذه الاصناف امن من الطاعون وان أعم الناس ، ومن حمل شيئا منها او تختم به كان معظما عند الناس وجيها عند الملـوك . ؟

الـدر واللـؤلـؤ : (2) يتكون فى بحـر الهنـد وفـارس ، وزعـم البحريون ان الصدف الدرى لايكون الا فى بحر تصب فيه الانهـار العذبـة ، فاذا اتى الربيع كثرت هبوب الريح فى البحر ورفعت الامـواج ويضطـرب البحر ، فاذا كان الثاني عشر من نيسان خرجت الاصداف من قعور هـذه

---

1) الياقوت الاحمر حجر كريم ، وهو ضرب من معـدن الكورندوم الاحمر ، ويعتبر مـن انفس الجواهر ، يوجد فى بروما وسيام وسيلان ، والازق وهو من معدن الكورندوم الازرق يوجد فى سيلان وسيام وبورما والهند واستراليا ومونتانا

2) اللؤلؤ ، مادة تفرزها بعض الرخويات المحارية ، وتستعمل فى صناعة الجواهـر ، ويتكـون اللؤلؤ من نفس المادة التي تتكون منها صدفة الحيوان الرخو «مولسك» فى هيأة طبقـات متبادلة حول نواة قد تكون حبة من رمل او طفيلي ، وتوجد اللالـيء فى اشكـال والـوان مختلفة تبعـا لنوع الحيوان الرخو ونوع الطفيلى او الجسم ، واحسنها عادة هي البيضاء. وقد تشوبها بعض الالوان كالوردي او الاصفر او الاخضر او الازرق ، واحيانا الاسمـر. وهناك لآليء سوداء اللون تماما ، وهي غالية الثمن جدا لندرتها واهم مصادر اللـؤلـؤ محارة الاويستر « بحرية » ومحارة الاونيـو « التي تعيش فى المياه العذبة » واهم مواطن استخراجه خليج العرب وشواطيء الهند ، والصين ، واليابان ، واستراليا وبعض جـزر المحيط الهاديء وكثير من انهار اوربا وامريكا الشمالية. ويمكن زرع اللؤلؤ وتكوينه صناعيا. وذلك بادخال حبة لؤلؤ صغيرة بين الصدفة وبرنس محار اللؤلؤ وهـذه عمليـة غـاليـة التكاليف ، ويمكن التمييز بين اللؤلؤ الطبيعي والصناعي بطرق كثيرة مثـل اشعـة «س» واستعمال بعض الاجهزة الاخرى كالاندوسكوب .

البحار ولها اصوات وقعقعة وبوسط كل صدفة دويبة صغيرة وصفاقتي الصدف لها كالجناحين وكالسور تتحصن بها من عدو متسلط عليها ، وهو سرطان البحر وربما تفتح اجنحتها لشم الهواء فيدخل السرطان مقصه حجرا مرورا كبندقية الطين ويراقب دابة الصدف حتى تشق عن جناحيها فيلقى السرطان الحجرين صفيحتى الصدفة فلا تنطبق فياكلها ، ففي اليوم الثاني عشر من نيسان (1) لاتبقى صدفة فى قعور هذه البحار المعروفة بالدر واللؤلؤ الا صارت على وجه الماء وتفتحت حتى يصير وجه الماء ابيض كاللؤلؤ ، وتاتي سحابة بمطر عظيم ثم تنقشع السحابة وقد وقع فى جوف كل صدفة ما قدره الله تعالى واختار من قطرة واحدة، اما قطرة واحدة، واما اثنان واما ثلاثة وهلم جر الى المائة والمائتين، وفوق ذلك، ثم تنطبق الاصداف وتموت وتلحم الدابة التي كانت فى جوف الصدفة فى الحال وترسب الاصداف الى قرار البحر وتلصق به ، وينبت لها عروق كالشجرة فى قرار البحر حتى لايحركها الماء فيفسد ما في بطنها وتلحم صفقتى الصدفة الحاما بالغا حتى لايدخل الى الدر ماء البحر فيصفره ، وافضل الدر المتكون فى هذه الاصداف القطرة الواحدة والاثنتان والثلاثة ، وكلما قل العدد كان اكبر جرما واعظم قيمة ، والمتكونة من القطرة الواحدة هي الدرة اليتيمة التي لا قيمة لها ، والاخوان بعدها ، فالصدفة تنقلب على ثلاثة اطوار : الاول هو الحيوانية ، فاذا وقع القطر فيها وماتت « الدويبة » انقلبت فى طور الحجرية ، ولذلك غاصت الى القرار وهذا طبع الحجر وهو الطور الثاني ، وفي الطور الثالث وهو الطور النباتي ترسب فى قرار البحر وتمد عروقها كالشجرة « ذلك تقدير العزيز العليم » ولمدة حمله وانعقاده وقت معلوم وموسم تجتمع فيه التجار والغواصون لاستخراج ذلك . هذا فى البحر واما فى البر ففي الثامن عشر من نيسان فى كل عام تخرج فراخ الحيات التي ولدت فى تلك السنة ، وتصير من بطن الارض الى وجهها ، وتفتح افواهها كالاصداف في البحر لماء السماء ، كما فتحت الاصداف كفوفها ، فما نزل من قطر السماء فى فيها اطبقت فمها عليه ودخلت بطن الارض ، فاذا تم حمل الصدف فى البحر لؤلؤا ودرا صار ما دخل فى فراخ الحيات داء وسما ، فالماء واحد والاوعية مختلفة ، والقدرة صالحة لكل شيء . وقيل فى المعنى شعر

---

1) نيسان ، الشهر السابع من شهور السنة السريانية وهي ، تشرين الاول ، تشرين ثان كانون الاول ، كانون ثان ، شباط ، آذار ، نيسان . ايار . حزيران . تموز . آب . ايلول راجع الموسوعة العربية .. تقويم ص 539 طبعة القاهرة 1965 م

اری الاحسان عند الحر دينا وعند النذل منقصة ودما
* كقطر الماء في الاصداف در وفي جوف الافاعي صار سما

البلخش : هو حجر صلب شفاف كالياقوت فى جميع افعاله ومنافعه

الدهنج : هو اخضر كالزبرجد لين الممس ، يتكون فى معدن النحاس وهو انواع كثيرة ، ومن عجيب امره انه يصفوا بصفاء الجو ويتكدر بكدورته ، ومن عجيب امره ايضا انه اذا سقى الانسان من محكه فعل فعل السم ، واذا سقى منه شارب السم نفعه ، واذا مسح به موضع اللدغة بريء ويطلى بحكاكته البرص فيزيله ، وينفع من خفقان القلب ويهيج على حامله شهوة الجماع ؟

الزبرجد : وهو حجر اخضر شفاف يشبه الياقوت الاخضر وليس كقوته ولا فعله ولا قيمته .

الزمرد : (1) وهو حجر اخضر شفاف ، يدخل فى معالجة ادوية من سقى السم وفى اكحال بياض العين ، وحمله يقطع نزف الدم ، ومن رضعه فى الفم يقطع عطش الماء ويبرد حرارة القلب ، ومنه جنس يقال له الذبابي ، خاصيته لايقع عليه الذباب ، ومنه جنس اذا نظرت اليه الافاعي سالت احداقها على خدودها

حجر الباهت هو حجر ابيض شفاف يتلألأ حسنا ، وهو مفناطيس الانسان اذا أبصره الانسان غلب عليه الضحك والسرور ، ومن امسكه معه قضيت حوائجه وعقدت عنه الالسن ، ويسمى حجر البهت

حجر الفيروزج : (2) وهو حجر اخضر مشوب بزرقة : يوجد بخراسان ، وهو كالدهنج يصفو بصفاء الجو ، ويتكدر بكدورته ، وينفع العين

---

1) الزمرد حجر كريم وهو ضرب من معدن البريل ، اخضر اللون ، ويوجد فى صخور الرخام والشست المكانيكي واشهر مناجمه فى جنوب مصر حيث يستخرج من الشست المكانيكي وقد اكتشف هذه المناجم المصريون القدماء واستغلوها استغلالا كبيرا . ولكنها اختفت ثم اكتشفت فى القرن الحالي . ويستخرج الزمرد ايضا من كولومبيا واكوادور وبيرو فى امريكا الجنوبية ، حيث يوجد فى عروق الكلسيت التي تتخلل بعض صخور العصر الطباشيري هناك .

2) الفيروزج ، هو معدن تركيبه فوسفات الالومنيوم المائية والنحاس ويستعمل فى صناعة الجواهر ، ونادرا ما يوجد فى الحالة المتبلورة ، يتراوح لونه بين الرمادي الضارب ، الى الاخضر والازرق السماوي .
اشهر اماكن وجوده نيسابور فى ايران حيث يستخرج من الحمم البركانية ، كما يوجد فى شبه جزيرة سيناء وجنوب غربي الولايات المتحدة

اكتحالا ، والتختم به ينقص الهيبة الا انه يورث الغنا والمال ؟ . وعن جعفر الصادق (1) رضي الله عنه قال ما افتقرت يد تختمت بالفيروزج

المرجان : (2) ينبت فى البحر كالشجر ، واذا فليس المرجان عقد الزئبق ، فمنه ابيض ، ومنه احمر ، ومنه اسود ، وهو يقوي البصر كحلا ، وينفع العين وينشف رطوبتها

العقيق : وهو معروف ، من تختم به سكن غضبه عند الخصومة، وسكن ضحكه عند الاعجوبة ، والسواك بنحاتته يجلو وسخ الاسنان ورائحتها الكريهة ، وينفع خروج الدم من اللثة وحرقه يقوي السن وينفع الخفقان . وقال صلى الله عليه وسلم : « من تختم بالعقيق لم يزل فى خير وبركة وسرور » ؟

الكهربا : هو حجر اصفر مائل الى الحمرة ، ويقال انه صمغ شجر الجوز الرومي ، ينفع حامله من اليرقان والخفقان، والاورام ونزف الدم، ويمنع القيء ويعلق على الحامل فيحفظ جنينها ؟

البلور : وهو حجر ابيض شفاف أشف من الزجاج واصلب ، وهو مجتمع الجسم فى موضعه بخلاف الزجاج وهو يصبغ بألوان كثيرة كالياقوت ، واستعمال ءانيته ينفع من الالتهاب فى القلب والاغبر منه اذا علق على من يشتكي وجع الضرس ابراه فى الحال ؟

الزجاج : معروف وهو يقبل الالوان ويجلو الاسنان ويجلو بياض العين وينبت الشعر اذا طلى بدهن الزئبق ؟

---

1) جعفر الصادق ابو عبد الله ، سادس ائمة الشيعة الامامية ولد بالمدينة سنة 669م وتوفي سنة 765 م .

2) المرجان او المرجانيات ، جوفمعويات بحرية منبتة ، يعيش معظم انواعها فى مستعمرات لكل فرد من افرادها هيكل كلسي خارجي ، ومن مجموعة هذه الهياكل تنشأ الشعاب المرجانية باشكالها المختلفة ، وتوجد هذه الحيوانات فى المياه المدارية وتحت المدارية فقط حيث لاتنخفض الحرارة عن 21 م . فى المواقع الضحلة التي لايزيد عمقها على 30 قامة وبعيدا عن مصبات الانهار حيث يكون الماء رائقا . ومرجان التزين « الاحمر والابيض او ما بينهما » الذي يكثر بمنطقة البحر المتوسط يتكون داخليا فى بعض الجوفمعويات القريبة من المرجانيات الحقيقية وتتكاثر المرجانيات تزاوجيا ولا تزاوجيا بالبرعمة والانتظار، ويتوقف شكل المستعمرة فى النهاية على الطريقة التكاثرية التزاوجية السائدة فى النوع. يستعمل الاحمر للزينة بين النساء باقليم تافيلالت جنوب المملكة المغربية .

الازورد : وهو حجر أزرق وينفـع العيــن اكتحالا الا اذا خلط بالاكحال ، ومن تختم به نبل في اعين الناس وهو يسقط التاليل حملا وحكا ، وينفــع اصحــاب الماخـــوليا ؟

واما غير ذلك من المعادن ، حجر « اليشمن » هو حجر الفلبة من حمله لايغلبه احد في الحروب ولا الخصومات ولا المحاجة ، ومن وضعه في فمــه سكن عطشه ولهذا اتخذه الملوك في خواتمهم ومناطقهم واسلحتهم ؟

التــوتيــا : هو حجر منه اخضــر ، ومنه اصفــر ، ومنه ابيض ، يجلب من سواحل الهند ، واجوده الابيض الخفيف الطيار ، ثم الاصفر ، ثــم الفستقي الرقيق ، وهو بارد يابس يمنع الفضول والنفوذ الى عــروق العين وطبقاتها ، وينفع من الرطوبة وينشف الدمعة ويزيل « الصنان » من الجسد؟

الاثمــــد : هو الكحل الاسود اجوده الاصبهاني وهــو بــارد يابس ينفع العين اكتحالا وينقي اغضانها (1) ويمنع عنها كثيرا من الافات والاوجاع سيما الشيوخ والعجائز ، وان جعل معه شيء من المسك كان غاية في النفــع من حرق النار ، طلاء مع الشحم ، ويقطع الترق ، ويمنع الرعاف اذا كــانت من اغشية الدماغ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير اكحالكم الاثمد ينبت الشعــر ويجلــو البصــر .

الملـــح : وهو حار يابس وهو يدفع العفونات كلها ، ويجلو كآبــة اللون طــلا ويذيب ويذيب الاخلاط الغليظة والبلغم والعفن والخام والسوداء وياكل اللحم الزائد ويحسن اللون آكلا ويضمد بــه مــع بزر الكتــان للسع العقارب ، ومع العسل والخل لنهش ام اربعة واربعين ، وينفع من الجــرب والحكة البلغمية النقرس ويحد الذهن ويشر اللثة المستخرخيــة ، ويسهل خروج التفل وينفع من اوجاع المعدة الباردة ، الا انه يضر بالدماغ والبصــر والرئــة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه : « يا علي ابــدأ بالملــح واختــم بالملــح ، فانــه شفــــاء مــن سبعيــن داء » واللــه سبحانـــه وتعالــى أعلــم

---

1) غض الشيء ، لنـاه وجعده وشنجه . ـ غاض مغاضنة عينه كاسرها

ذكر حيوانات النعم

خواص اجزاء الابل : ليس للبعير مرارة وانما على كبده شيء يشبهها وهو جلدة فيها لعاب يكتحل به فينفع من الغشاء العتيق ، ويطلى به الرقبة فينفع الخوانيق ، وكبده اذا داوم عليه اكلا نفع من نزول الماء فى العين وشحمه متى وضع فى موضع هربت منه الحيات ، وسنامه يذاب وتطلى به البواسير يسكن وجعه ، وكرشه فيه غدة اذا اخرجت منه استحجرت ، واذا سحقت بالخل ابيضت وهي من انفع الاشياء للسموم القاتلة ، وعظمه يسحق ويذاب بالزيت ويطلى به راس المصروع يزول صرعه ، وشعره يشد على الفخذ الايسر يمنع سلس البول ، ويشد على فخذ الصبي الذي يبول فى الفراش يزول عنه اذا در عليها ولبنها نافع من السمومات كلها ، والمضمضة به تنفع الاسنان الماكولة ، ويزيل صفرة الوجه اكلا وطلا ، وبعره قال ابن سينا يقطع الرعاف ويزيل اثر الجدري ويقطع التواليل .

خواص البقر : قرنه يحرق ويجعل فى طعام صاحب حمى الربع يزول عنه ويشرب فى شيء من الاشربة يزيد فى الباءة ويقوي القضيب ويشده ويورث الانعاظ وينفخ به منخر الراعف ، يزول عنه وينقطع دمه ، وقرنه يحرق حتى يصير رمادا ويذاب بالخل ويطلى به موضع البرص مستقبلا به الشمس فانه يزول ، ومخه طريا يذاب بدهن ويقطر فى الاذن الوجعة يزول وجعها ، ولسان الثور الأسود يجفف ويسحق ويمزج به حماض الاترج ويستقى منه مقدار مثقال ، فلا تخاصم احدا الا غلبته والزمته ، ومرارته ببزر الجرجير وبزر الفجل ومائه ، يعرض للنار ليقوى ويشتد ، ويطلى به الكلف فانه يزول اذا لزم ذلك ، ويخلط بمرارته ورق الفبيرا مدقوقا وتتحمل منه المراة فانها تحبل وفي مرارته حجر قدر عدسة يجعل فى الشهدنج وماء القروح ويستعمله صاحب الصرع يزول صرعه وتطلى الشجرة بمرارته فلا يتولد فيها الدود وتخلط مرارة البقر ببعر الفار ويتحمله صاحب الفولنج يزول فى الحال ، وفي مرارة البقرة السوداء يكتحل من ظلمة العين بها

تحتد البصر ، واذا اردت ان ترى عجبا فخذ جرة من فخار وادفنها فى الارض الى عنقها واطل باطنها بشحم البقر فانه لايبقى فى ذلك الموضع شيء من البراغيث حتى يدخل فيها ؟ ؟

خصية العجل : تجفف وتشرب مسحوقة بشراب يهيج الباءة ويعين على الجماع اعانة عظيمة ، وقضيبه يجفف ويسحق ويرمى على البيض البيمرشت ويحشى ، فانه يزيد فى الباءة ، وكعبه يحرق ويدلك به السن يبيضها ويذهب وسخها ، ولبنها يزيل صفرة الوجه ، واذا شرب منه مخيضا نفع البواسير ، وسمنها يطلى به لسع العقرب يبرأ للوقت ، والعتيق منه نافع للجراحات ، ودمه يطلى به الورم يسكن وجعه ، قال بليناس (1) بول الثور يخلط مع بول الانسان ويوضع على اصابع اليدين والرجلين يذهب بحمى الربع ، واقل ما يحتاج الى ثلاث مرات وهما من العجائب ، اخثاء البقر يصمد بها للسعة الزنبور ويسكنها

خواص اجزاء بقر الوحش : مخه يطعم منه صاحب الفالج ينفعه نفعا بينا ، وقرنه من اصطحبه معه نفرت عنه السباع ، ويدخن به فى البيت فتهرب من ريحه الحيات ، ورماده يذر منه على السن المتآكل والوجع يسكنه ، ودمه ترياق للسموم كلها ، وجلده يدخن به فى البيت فتهرب منه جميع الحيات . وشعره يبخر به فى البيت يهرب منه الفار

خواص اجزاء الجاموس : الدودة التي فى دماغه اذا علقت على احد لاينام ما دامت عليه ، ولحمه يورث القمل ، وشحمه يذاب بالملح الاندراني ويطلى به الكلف والنمش والجرب والبرص يزيله .

خواص اجزاء الضان : قرن الكبش اذا دفن تحت شجرة باكرت بثمرها قبل الاشجار وكثر حملها ، ومرارة الضان يكتحل بها مع العسل ينفع من نزول الماء الى العين ومن ازالة البيضاء ينفع نفعا عجيبا ، ومخه يورث البله واصحاب الصرع اذا اكلوا منه اشتد صرعهم ، وعظمه يحرق بنار خشب الطرفا ويخلط رماده بدهن الشمع المتخذ من الورد ويطلى به موضع

---

1) كذا فى الاصل بليناس . ولعله بلينوس الاكبر « 23 ـ 79 م » عالم من علماء الرومان. مات مختنقا عندما ذهب لرؤية بركان فيزوف اثناء ثورته ، ترك كتابا قيما عن التاريخ الطبيعي « 27 » هو اشبه بموسوعة يتكلم فيها عن طبيعة الكون ، والجغرافيا ، وعلم الاجناس ، وعلم الحيوان ، وعلم النبات ، « استخدم النبات فى عمل الادوية » وتاريخ الفنون ، وهذا دليل على سعة الاطلاع وتنوع المعارف مما اثار دهشة النقاد واكسبه اعجابهم الشديد

الشبح ، والهشم يصلحه قال بليناس : اذا تحملت المـراة صوف النعجـــة قطـــع الحبـــل .

خواص اجزاء المعـز : قال بليناس : قرن ماعز ابيض يسحق ويشد فى خرقة ويجعل تحت راس النائم لاينتبه ما دام تحت راسه ومرارة التيس بعد نتف الشعر من الجفن كحلا يمنعه من النبات ، ومرارة تيس مـع مرارة بقر مخلوط يخلط فى فتيلة من قطن عتيق ويجعـل فى اذن يزيـل الطـرش الحادث ، وطحاله يقطعه صاحب الطحال بيده ويعلقه فى بيت هو فيه ، فاذا جف الطحال زال الم المطحول ، ولحمه يورث النسيان ويحـرك السوداء . قال بليناس : دم التيس يفتت حجر المفناطيس وتسقى ابرة بدم تيس ويثقب بها الاذن فلا يلتئم ابدا ، وجلده اذا سلخ وهو حار ووضع على جلد الملسوع او المنهوش من الحيات والافاعي والمضروب بالسياط دفع عنهم الافة والالم، ولبن الماعز ينفع من النوازل ويحسن اللون شربا سيما مع السكر ، ويطلى ببعره الجرب مع السكر فى الحمام ثلاثا ، فانه يذهب ، ولبنه عـلاج للنسيان مع السكر ودواء للفم والوسواس والخيالات الفاسدة والاحـلام الرديئـة ، ويهيج الباءة وانفحة الجدي والخرفان يجذب الفضول من اعماق البدن وبول الجدي يغلى حتى يسخن ويخلط بمثله من سكر ويطلى به الجرب القديم فى الحمام ثلاث مرات فانه يزول . قال بليناس : بعر الماعز والضان مع الخـل يوضع على حرق النار بدهن وشمع ينفعـه

خواص اجزاء الغزال : قرنه ينحت ويبخر به لطرد الهوام ، ولسانه يجفف ويطعم للمراة السلطة الملسنة على زوجها تزول سلطتها ، ومرارتـــه تقطر فى الاذن الوجعة يزول وجعها ، وبعر الظبي وجلده يحرقان ويجعـــلان غب طعام الصبي ينشأ ذكيا فهيما حافظا فصيحـا

* * *

ونرجع الى شرح هذه الكورة المبسوطة التي وضعناها فى هذه الرحلة وان تقدم لنا شرحها فى الترجمان حسبما شرحها اهل الجغرافيا وقسموا هذا المعمور على سبعة اقاليم من المغرب الى المشرق وبينوا ما اشتمل عليـه كل جزء من الامصار والانهار والبحار والجبال والعيون والابـار .

وحيث رايت طول ذلك اختصرت ذلك وذكرت ترتيب هذه الاقاليـم السبعة وما اشتملت عليه من الارضين جملة دون تفصيل ، ليعلم المطالـــع ما فى كل اقليم من الارضين والامم وتفصيلهـا فى الرحلـة معلـوم مشهـور فاقـــولها وبـــه استعيـــن :

اعلم ان الاقليم الاول هو الوالي لخط الاستواء ، وما خلفه الا البحر والقفر ، فأوله من بحر المغرب الجزر الخالدات فى البحر ، وفى البر ارض السودان كلها فى اربعة اجزاء ، واكثر الخامس بحر الزنج السند والهند والفرس والصين فى شرقه ، وجزر البحر

الاقليم الثاني : مبدؤه من ساحل البحر الغربي وكله قفر ، وما به الا مجالات العرب والبربر والملثمين ومجالات السودان ، الى ان تتصل الاجزاء الاربعة بصعيد مصر وسواحل القلزوم ، وبه بحر القلزم والحجاز واليمن ، وجزيرة العرب كلها الى بحر فارس ، وبلاد فارس والسند والهند، والصين في شرقه

الاقليم الثالث من ساحل البحر الغربي السوس الاقصى والادنى والواسطة والزاب وافريقية وبرقة وارض مصر ومعظم الشام وارض الجزيرة واكثر العراق ، والجبال والاهواز وخراسان وفرغانة ، وارض التنبت والصين فى شرقيه وجزيرة الياقوت فى شرقيه

الاقليم الرابع فى غربيه جزيرة الاندلس وارض الروم ، والبحر الاخضر، وجزره الى سواحل الشام ، ثم اسافل الشام وهمدان وقزوين وبقية بلاد فارس الري واصبهان ، وجرجان ، وطبرستان ، واسافل خراسان ، ونهر جيحون ، وبخارى ، وسمرقند ، وفرغانة ، والشاس ، وشروسنة ويلان وارض الخزلجية والكيماكية الى جبل قوقا يا وخلفه ارض ياجوج وماجوج الى البحر الاعظم

الاقليم الخامس فى غربيه بقية الاندلس ثم ارض غشكونية وارض بيط ، وارض جنوة وارض رومة ، وارض البنادقة وارض لمانية وارض نابل وبه خليج البنادقة ، وارض المورة ، وارض اليونان ، وخليج القسطنطينة الى مدينتها ، وارض عمورية ، وارض ناطوس وقاعدتها برصة ، وارض ارمينية وبحر نيطش وادربيجان ، وبحر طبرستان والخزر وبحيرة خوارزم وبحيرة غرغونة ، ومجالات الكيماكية الى السد ، وخلفه ياجوج وماجوج الى البحر.

الاقليم السادس : فى غربيه ارض برطانية من الفرنج ، وارض جالس وقطعة من جزيرة نقلاطرة ولمانية وجرمانية وانكرية ، والروسية الى الموسكو وارض النامسة ، وارض الموردة وبحر نيطش ، وارض هرقلية ، وارض البيلفان وارض الانية وارض الخزر ، وارض البلغار ، وارض يلنجار وجبل شياه ومجالات الاتراك والارض المنتنة والارض المحفورة والارض الخراب وجبل قوقايا وخلفه جبل ياجوج وماجوج الى البحر .

الاقليم السابع في غربيه فى البحر جزيرة نقلاطرة ، وجزيرة يسلاندة خلفها ، ثم بالبر ارض بلونية من الفرنج ، وارض ولانطة (1) وارض فرانسا ثم جزيرة برقاعة ثم بحيرة عتون وبقية ارض بلفار ، ونهر اثل ، وارض فيمارك من الترك ، وارض سحرت ، وارض الصقلب ، وارض الروس ، والارض المنتنة ، والارض المحفورة ، والارض الخراب ، ثم جبل قوقايا، وخلفه جبل ياجوج وماجوج الى البحر ، هذا ترتيب الاقاليم السبعة ومن فيها من الامم ، وبيان مافيها من الامصار والبلدان تقدم تصفيفه فى الرحلة .

* * *

رجوعا لخبر ءال عثمان ولما زاحمتهم الروم ببلاد الشمال وحاربوها واستردوا منهم ما فتحوا شيئا فشيئا وضعفت دولتهم عن مقاومة اجناس الروم وشغلوا بحرهم ، استبد على السلطان العثماني ملوك العجم ، وكل واحد منهم ضبط اقليمه وقطع نظره عن العثماني وعن الباشا الذي ياتي من عنده ولم يبق الا ذكره فى الخطبة ، ورسمه على السكة ، فقنع ملوكهم بذلك ولم يلتفتوا لغيره لما دهمهم من حروب الكفار ، وبعد الالف قطعوا الخطبة ورسمهم على السكة ، واستبد ملوك العجم بانفسهم ، وقاموا بدولهم ، واكثرهم على مذهب الرفض وغيره من البدع ومن هو من أهل السنة لازال على ذلك الى الان ، ولا يتصرفون الا فيما جاورهم من بلاد الروم الى الاصطنبول والممالك البحرية وممالك العرب الى بفداد لاغير وكل الممالك التي ذكرنا فى بلاد العجم فقد خرجت عن ملكها ، واما الصين والهند والسند فلم يدخلوا تحت حكمهم اصلا .

واما اقليم الشرق من سواد الى العراق الى مغايص الفرات الى البحرين ، الى عمان الى نجران ، الى اليمامة ، الى حدود اليمن ، فقد استولى عليها ثوار الوهبية ، واستولى ايضا فى زمن التاريخ على الحجاز والحرمين وتهامة والطائف ، ونجد الى حدود اليمن ، فالوهبي اليوم هو صاحب الامر بجزيرة العرب

---

1) يقصد هولاندة

واما اليمن فقد خرج عن حكم آل عثمان بعد الالف ، واستولى عليه بنو الرسول (1) وتوارثوا ملكه واحدا واحدا ، الى ان غلبهم على ملكه شرفاء الزيدية بنو المهدي (2) فهم الان ملوك به يخطبون لانفسهم بقطر اليمن كملوك الاشراف بالمغرب ، ولم يزل أمر هذه الدولة العثمانية يضعف وهي في مرض من الايام ، وهم يعالجون مرضهم بالسياسة والتدبير الى أن يتم امر الله في شأن الدول عند هرمها ، وحتى هذه الممالك التي تحت حكمهم ببلاد العرب لا ينتفعون منها بشيء ، ولا يجبى لهم منها مال ، كالجزائر وتونس ومصر والشام وحلب والجزيرة وبغداد ، امراؤهم يأخذون خراجها ولا يحصل لهم منها الا الدعاء على المنابر ورسمهم على الدنانير ، فبسبب ذلك امتدت دولتهم ، وطالت مدتهم ، يسيرون مع الايام على مقتضاها ، ولا يعاندون ولا يلحون ، ومن طلب من رعاياهم امرا ساعدوه عليه، لما هم فيه من مقابلة عدو الدين المحيط بهم من كل ناحية ، فاذا عاندوا رعايا دولتهم وطالبوهم بما بخلوا به وارادوا ردهم الى ما كانوا عليه قبل اظهروا العصيان والمخالفة ، فتعين حربهم وتوجيه العساكر لهم فيتسع الخرق ، فاذا سمع العدو الكافر بذلك انتهز الفرصة في بلاد المسلمين بخلوها عن الحامية وشغل الدولة بحرب الرعايا ، فيختل النظام من كلا الطرفين فتمسكوا بالاصلح على الصلاح ، وقد ظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ، فقد قيض الله سبحانه لاهل الحرمين الشريفين من دفع عنهم المبتدع الوهبي ، قام له والي مصر الثائر بها وهو محمد (3) علي التركي الارنوطي وتوجه للوهبي في جموعه وشرده عن الحرمين الشريفين والطائف، ووجه جنوده لدار امارته فشردوه عنها

---

1) بنو الرسول دولة من دول اليمن « 1228 ـ 1453 » ينتسبون الى الغساسنة وقد جاءوا الى اليمن مع الايوبيين من الشام حيث كان آباؤهم الاقدمون قد رحلوا اليها ، وقد تولوا حكم اليمن غدرا حيث كان نور الدين بن رسول يتولى حكم اليمن نيابة على الملك مسعود الايوبي في غيابه فخرج عليه واسس الدولة الرسولية وكان مقرها في تعز ، وتلقب بالملك المنصور ، واعلن نفسه نائبا عن الخليفة العباسي بالقاهرة وقد نجح الرسوليون في حربهم ضد ايمة اليمن وفي اجلاء الايوبيين عن مكة من اهم ملوكهم الملك المظفر ثاني ملوك الاسرة ، وشيد المدرسة المظفرية بتعز والملك الاشرف صاحب جامع الاشرفية في تعز ايضا ، انتهت دولتهم على يد بني ظاهر ولاتهم على عدن

2) بنو المهدي 1159 ـ 1173 اسرة من الخوارج حكمت بزبيد في اليمن اولها الحسن علي بن مهدي وآخر من تولى منهم عبد النبي بن علي الذي هزمه المعظم توران شاه الاول بن ايوب الاخ الاكبر لصلاح الدين ثم عزله راجع الزيدية في الهوامش

3) محمد علي « 1769 ـ 1849 » والي مصر « 1805 ـ 1849 » ولد بقولة من اعمال اليونان سبقت ترجمته .

وخربوها ، ورتب جنده بالحرم الشريف وبالتربة النبوية ، ورتب لهم الكفاية ورجع لمصره اعانه الله

رجوعا لخبر أزمير والترك :

لطيفة : فى مساوى الترك مع دينهم واكرامهم للغرباء وأهل البيت والعلماء وبغضهم لجنس العرب ، وكنت قبل انكر على الطائفة الشعوبية الذين يفضلون العجم على العرب فلما رأيت الترك واستقريت احوالهم وجدت عامتهم على هذا الوصف ، وهم اكثر الامم فلم يبق لي التفات لتلك الفرقة الشعوبية القليلة ، التي هي من افراد الناس وخاصتهم ، واحتقرت امرها واهملت ما كنت اسمعه بمغربنا

ما نسب لابن زكرى ، من تفضيل بنى اسرائيل على العرب ليس بصحيح

مما نسب للفقيت العلامة السيد محمد بن عبد الرحمن بن زكري الفاسي من انه الف تاليفا على راي الشعوبية ، فى تفضيل بني اسرائيل على العرب وشاع ذكره فى البلد ، ثم نسي مدة مديدة ثم حيى ثم نسي ، ثم ذكر فى هذه الازمنة بعد العشرين ومائتين انه شفع بآخر أيده به أحد طلبة بني البناني يسمى احمد بن عبد السلام وايد بنصوص وحجج ودلائل وبدأ مؤلفه واعاد ، وافاد اكثر مما استفاد .

ولما رجعت من رحلتي هذه الاخيرة سمعت بخبر هذا الثاني ، وكنت لم اطالع الاول الذي نسب للعلامة ابن زكري فشرعت فى البحث عنهما والطلب لهما من كل الوجوه الى أن قدر الله الاجتماع بمؤلف الثاني وهو الفقيه العدل السيد احمد بن عبد السلام بناني ، من غير قصد اتاني لبيتي مع بعض العدول فعرفني به ، وجاريته فى الكلام الى أن انس وانبسط ، وسألته عن التأليف ، الاول الذي لابن زكري والثاني الذي له فانكرهما وقال والله ما كان مما سمعت الا مجرد تشييع الحسدة من طلبة الوقت للعلامة ابن زكري وحسدة شياطين الوقت لي اما ما هو لي فاتيك به واما الذي هو للشيخ ابن زكري على هذا الوصف الشنيع فلم يكن وآتيك بما هو الحق الذي الفه ، وتابعته وانكرت على من شنع عليه ولمزه ، وبعد ايام قلائل اتاني بهما اما الذي له فليس من ذلك القبيل ، واما الذي لابن زكري فليس به أثر لهذا التفضيل ، للجنس الاسرائيلي على الجنس العربي الا ما ذكره المفسرون فى شرح الآية الكريمة وهي قوله تعالى واني فضلتكم على

العالمين ، وتعرض للكلام مع علماء وقته فى الانكار على من يفرق بين المسلمين ويفضل بعضهم على بعض ، يشير الى ما عليه عامة أهل فاس عربهم وبربرهم من حقارتهم وحطهم لهؤلاء المسلمة الذين يسمونهم البلد ، وعدم المبالاة بهم فى كل شيء وصار ذلك عندهم عادة لا تزول عنهم بحكم سلطان أو فتوى عالم خلفا عن سلف ، والسبب فى احياء تأليف ابن زكري بعد نسيانه ما ذكره الفقيه العلامة الاديب البليغ سيدي محمد الطيب القادري فى تأليفه على الوفيات ذكر الشيخ ابن زكري ونسب له ما نسب من هذا التأليف ، وشنع عليه ما فيه وما ليس فيه بحسب ما شاهدنا وذكر كثيرا من علماء الوقت بما لا ينبغي

حفاظ المغرب فى القرن الحادى عشر ثلاثة

منهم العلامة المتقن الحافظ الورع سيدي محمد بن العلامة البركة الصالح سيدي ابي بكر الدلائي وشنع عليه تشنيعا عظيما ، واورد عليه اعتراضا ظنه قويا جسيما ، وذلك فى قوله حفاظ المغرب فى زماننا ثلاثة :

1) حافظ ضابط ثقة ، وهو ابو العباس احمد بن يوسف الفاسي
2) وحافظ ضابط غير ثقة وهو احمد المقري
3) وحافظ غير ضابط ولا ثقة وهو عبد الله بن علي بن طاهر الحسني انتهى كلامه (1)

ثم بعد مدة كتب على هذا الكلام الفقيه النبيه الاديب الوجيه ، السيد سليمان بن محمد الشريف ، المدعو الحوات ، فى هامش الكتاب ما رد به ذلك ، واوضح ما انبهم عليه من تلك المسالك ، وقال :

هكذا كانت طريقة السلف الصالح أهل الصدر الاول يعدلون ويخرجون ، وان كان ذلك فيمن بلغ النهاية ، فى الشهرة والعلم والرواية ، وقالوا فى المجروحين من الطبقة السادسة انهم قوم غلب عليهم الصلاح والعبادة ، لم يتفرغوا لضبط الحديث وحفظه والاتقان فيه ، فاستخفوا بالرواية والجرح لابد منه اذ النصح فى الدين حق واجب لحفظ الحق من

---

1) لعل فى هذا الراي ما لايحتمل فى حق المولى عبد الله بن طاهر ، اذ اثبتت الرواية ان هذا الامام كان حجة فى الحديث سندا وضبطا وسلوكا وان تاريخه مع السعديين لمعلوم راجع كتاب الانوار الحسنية لاحمد بن عبد العزيز 1101 هـ ومرآة المحاسن للعربي بن عبد القادر الفاسي والسلوة للكتاني (عبد الكريم الفيلالي)

الدماء والاموال والاعراض ، فاذا علمت هذا تبين لك ان ما ذكره ابن الطيب فى تاريخه من التشنيع على ابن ابي بكر الدلاء من رد هذا التقسيم والتشنيع على قائله فهو خارج عن قصد قائله وهو ابو عبد الله محمد بن ابي بكـــر الدلائي لان قصده انما توجه لاعتبار مصطلح المحدثين فى القديم ، وليس مراده الوقوع فى هؤلاء الائمة فما فر منه القادري المذكور ، من الوقوع فى مثل هذا المحظور ، فقد وقع فيه من ظنه السوء بهذا الامام ، الذي اتفق على رسوخه فى العلم جميع الانام ، فوجد السبيل ــ هذا المؤلف الثاني الذي هو ابو العباس احمد البناني ــ للوصول الى هذا القادري الذي لمز قريبه ابن زكري ففوق فيه السهام ، ورماه بالدواهي العظام ، وكان مثل هذا فى صدر الاسلام ، وذلك ان الفقهاء فى عصر ابي حنيفة ، عابوا عليه الاخـــذ بالراي والقياس ، فقال لهم ما جاءنا عن رسول الله فعلى الراس والعين ، وما جاء عن اصحابه اخترت منه ، وما كان غير ذلك فنحن رجال وهـــم رجال ، وقال يحيى القطان لا نكـــذب الله تعالى ما سمعنـــا أحســـن من راي ابي حنيفة وقد اخذت اكثر اقواله وقال ابو يوسف (1) قال ابو حنيفـــة علمنا هذا ، أرى وهو احسن ما قررنا عليه فمن جاءنا باحسن منه قبلنـــاه ، وقال ابن حزم جميع الحنفية مجمعون على ان مذهب ابي حنيفة ان ضعيف الحديث عنده اولى من الراي ، والشافعي احتاط لمذهبه وقال ان صـــح الحديث فهو كذا : وكان الشافعي يقول ما رايت كاهل مصر ، اتخذوا الجهل علما لانهم سألوا مالكا عن اشياء فقال لهم لا اعلمها ، فهم لا يقبلونها ممن يعلمها لان مالكا قال لا اعلمها واصحاب الراي والتأويل ضد اهل الظاهـــر كالحنابلة ، واصحاب داود وابن حزم الظاهريين رحمهم الله قال ابو الحكم منذر بن سعيد البلوطي يرد على المالكية هذه الابيات :

عذيري مـــن قـــوم يقولـــون كلمـــا طلبت دليلا هكذا قـــال مالـــك
وقد قاله ابن القاسم الثقة الذي على قصد منهاج الهدى هو سالك
فان عدت قالوا هكذا قال اشهب وقد كان لا تخفى عليه المسالـــك

وقال ابو محمد بن حزم لنفسه :

---

1) ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم « 731 ــ 798 » من اصل عربي اخذ عن ابى حنيفة ، وتولى رئاسة درسه كما اخذ عن مالك وكبار المحدثين ، اشتغل بالقضاء وصار كبير القضاة فـــي عهد الرشيد ، وكان لهذا اثره فى دعـــم المذهب الحنفـــي ونشره لـــه مؤلفات اخصهـــا كتاب « الخـــراج » و « اختـــلاف ابن ابى ليلى » و (الرد على سير الاوزاعـــي) وكتـــاب « الآثـــار فـــي السنـــة » .

من عـذيـري من اناس جهلـوا ... ثم ظنوا انهـم اهـل النظـر
ركبوا الراي عنـادا فسـروا ... فى ظلام تاه فيـه مـن عبـر
وطريق الرشد نهـج مهيـع ... مثل ما ابصرت فى الافق القمـر
وهو الاجماع والنـص الـذي ... ليس الا فى كتـاب « الاثـر »

وله من قصيدة اخرى :

فخير الامور السالفات على الهوى ... وشر الامور المحدثـات البدائـع

وقد بالغ فى التشنيع حيث قال :

ان كنت كاذبت الذي حدثتنـي ... فعليك اثم ابي حنيفة مع زفر (1)
الواشين على القيـاس تمـردا ... والراغبين عن التمسك بالاثـر

ولقد استطرد استطرادا قبيحا حاشى له ابو حنيفة وزفر ممن يقال فى حقهما هذا ، وبين أصحاب الراي واصحاب الظاهر خلاف شديد على الوقف فى قوله تعالى : « وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل عند ربنا » وكذلك اختلفوا فى الوقف عند قوله تعالى : « قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء » وقد رجح الوقف عليه امام المحدثين والمفسرين فى وقته ، وامير المؤمنين فى عصره ، مولاي سليمان بن مولاي محمد رحمه الله ، وكتب فى ذلك ما يؤيد عدم الوقف على شيء فليطالع تقييده فى الاية ، ومثل هذا اخبرني به صاحبنا الشيخ احمد النميلي التونسي أصلا ، لما اجتمعت معه فى الاصطنبول وهو من اعيان الاعلام ، والاجلة الكرام ، انه وقف عنـد شيخ الاسلام على دفتر فيه عرض حال ، اعني تقييد مقال . فى عرفنا فان الشاكي عندهم على القاضي او على الامير او على السلطان يكتب ورقة يقيد فيها دعوته ولا يتكلم بلسانه ، يعرض فيها حاله وما يطلب ، يسمونها عرض حال ، وهذا الدفتر الذي فيه عرض الحال وجوابه كان وقع قديما ، وسببه ان فقهاء العرب الذين كانوا بالاصطنبول اجتمعوا واتفقوا على ان يكتبـوا شكواهم لشيخ الاسلام والوزير الاعظم ، ورتبوا شكواهم فى عرض الحـال يقولون للوزير وشيخ الاسلام :

---

(1) زفـر ابن الهذيل « توفي 774 » من أب عربي وام فارسية من اقدم اصحاب ابى حنيفـة وادقهم قياسا تولى قضاء البصرة فى حياة استاذه ونشر علمه بها ولم تؤثر عنه كتب وانما وردت آثـاره على لسـان غيـره

مطالب علمـــاء العـــرب لال عثمان 1151 هـ ـ 1738

لم يخف عن كريم علمكم ان الله اختار من خلقه محمدا رسولا للثقلين جنهم وانسهم ، وابيضهم واسودهم ، عربهم وعجمهم ، ولما قبضه الله قام بامر دينه خلفاؤه الاربعة رضوان الله عليهم فناضلوا عليه العرب والعجم ، الى ان رسخ وقاتلوا عليه من اباه ، ثم قام به من بعدهم من ملوك العرب ، وجاهدوا فى الله حق جهاده الى ان فتحوا الامصار ، وبلغوا منتهى الاقطار ، وكل من دخل فى هذا الدين الحنفي كان له مالهم ، وعليه ما عليهم من احمر واسود وعربي وعجمي ، بل كانوا يميزون العجم على العرب ، ويولونهـــم المناصب الدينية والدنيوية تأليفا لهم وجبرا لخواطرهم ، واقتداء بسنة نبيهم حتى صار اكثر المناصب السلطانية بايديهم وخالطوهم بانفسهم ، بعـــد أن كانوا تحت نبيهم حتى صار اكثر المناصب السلطانية بأيديهم وخالطوهم بأنفسهم بعد ان كانوا تحت قهرهم وغلبتهم ،ما وضعوا من حقهم ولا احتقروهم ولا استبدوا دونهم بمنصب ، حتى ان منصب الخلافة الشرعي جعلوا لهم مثله وهومنصب السلطنة الذي يعادل الخلافة بل هو أعظم منها وتحت حكمه العرب والعجم، ثم كذلك قاسموهم فى المناصب الدينية والدنيوية كالقضـــاء والفتـــوى والتدريس والحسبة والارائة ، والامامة والخطابة والنقابـــة والحجابـــة والوزارة والامارة طول ايامهم الى أن انقرضت دولتهم نحو من ستمائة سنة او فوقها

ولما صارت الخلافة والسلطنة للعجم استبدوا دونهم وانزلوهم عن مراتبهم بل اهانوهم وحقروهم ، ولو وجدوا السبيل لما وعي فى صدورهم من العلم لا زالوه اجيبونا عن هذا بما يوافق الشرع العزيز والسلام

وتوجه بهذا الدفتر اعيان فقهاء العرب لحضرة الوزير الاعظم وشيخ الاسلام الذي هو المفتي

ولما قرىء عرض الحال ، امر الوزير باحضار القضاة واعيان العلماء واسمعهم ما فى عرض الحال ، قالوا غدا ناتيك بالجواب ، وانفصل المجلس واجتمع القضاة والفقهاء عند المفتي على الجواب ، الى ان اتفقوا عليه وكتبوا تحته فى الدفتر ، هذا الذي كتبه ساداتنا الفقهاء مما كان من اختيار الله تعالى لرسوله مولانا محمد بن عبد الله من كافة خلقه ، وارسله الى الثقلين ولما قبضه الله قام بامر دينه خلفاؤه الراشدون رضوان الله عليهم وجاهدوا فى الله حق جهاده الى ان رسخ الدين ثم بعدهم ملوك العرب من بني امية وبني

العباس،وتبعوا ما كان عليه الخلفاء،وجاهدوا و فتحوا وبلغوا لقاصي البلاد،واسلم من اسلم من العجم ، وخالطوهم وقاسموهم المناصب السلطانية ، والمناصب الشرعية ، كل ذلك صحيح معلوم مشهور لا مرية فيه ، فمن شك فى نبوءة محمد ورسالته وسيرة خلفائه وعدلهم فقد كفر أو قارب الكفر ، ومن طعن فى عدل من اشتهر عدله من ملوك بني أمية وبني العباس فقد اثم وباء بغضب من الله ، فقد كان عظماء ملوكهم على ما ذكرتم ولا خلاف عندنا فى ذلك .

ولما آل الامر الى خلفهم الذين هدموا حدود الشريعة ، وقدموا للمناصب من لا يخاف الله من العرب والعجم ، وجاروا فى الاحكام ، واستحلوا الحرام ، وتركوا الجهاد حتى استولى الكفار على ثغور المسلمين وغلبوا على سواحل مصر والشام ، بل على الشام كله وعلى مصر فى ايام بني عبيد وبني العباس ، ولولا ان الله تدارك هذا الدين المحمدي بملوك العجم من الكردية والسلجوقية والخوارزمية والعثمانية ، لترك هذا الدين جملة لعدم من يقوم من ملوك العرب وامرائهم ، وقلة انصافهم ، وعدم عدلهم ، فى الملك والدين ، فوالله لو دخلتم هذه المناصب الدينية لفسدت وبدلت الحقيقة بالمجاز وما تجعلونه حجة من استعمالنا لهذه القوانين فى الاحكام الشرعية لها أصل معتبر فى الشرع العزيز ، يعلمها من له تقدم فى فهم الكتاب والسنة، فلا تحدثوا انفسكم بالتقديم لهذه المراتب ، فان ولا يتكم لها هي ابتداء المفاسد ، فاقنعوا بما ترزقونه فى الملازمة والتدريس ، وما تنتفعون به من الكتابة والصحبة لكل رئيس ، وعليكم منا ازكى السلام ، فى البدء والختام ، قيد عام واحد وخمسين ومائة والف (1)

---

1) يدخل هذا التاريخ ضمن ايام محمود الاول (1730 – 1754)

الخبر عن وصولنا لتونس وما لقينا بها من الأكدار والنغص

ولما بلغنا لتونس الخضرا ، ومعنا جماعة من الحجاج الفقرا وفتيان انجاد من الاتارك ، القامعين لاهل الكفر والاشراك ، ونزل صاحب المركب ابو ثور ، المشؤم الفجور ، وبلغوا حلق الوادي ، ناداهم المنادي ، ابعدوا من البر ، ففيكم الوباء ومعكم الشر ، فرجعوا الى المركب حائرين ، وفى تجارة أملهم خاسرين ، وكنت وجهت معهم مكتوبا لمحبنا الاكرم ، والمجاهد الاعظم، المتأدب باداب الحريري ، الوكيل « الحاج علي الجزيري » ، فخبرنا انه غير حاضر ، وقد توجه للجزائر ، وبعد يومين جاءنا الاذن بالنـــزول الـــى « الكرنطينة » الشنعا ، الممنوعة عرفا وشرعا ، فنزلنا بقلعة تيكلي ، وكل الى قريبه بالرسائل يدلي ، فظهر لنا ان نكتب لصاحب المرسى « رجب بن عياد » واخترناه على غيره من العباد ، لما نعلم بينه وبين محبنا الحاج علي من الالفة ، فى الحضور والغيبة ، فكتبت اتشفع له بمقام المحب المذكور ، وعرفته ان الخير تجارة لن تبور ، فلما رآى المكتوب رجع القهقرا ، وتنحى عن محله الى ورا ، ولما قرىء عليه اعرض ونأى ، كانه لا يسمع ولا راى ، واهمل القضية ، ولم يرحم من شاكية ، فاقمنا فى حيز الاهمال ، عشرين يوما على الكمال ثم امر بتسريح النصارى عبد الصليب ، وابقى المسلمين بعـــد اثباتهم فى الدفتر على الترتيب ، ومن القدر المحتوم ، والسابق المرسوم ، كانت لنا جارية انتخبناها على المراد والوفق ، عزمت على الوضع فجاءها الطلق ، فالجاتنا الضرورة الى اعادة الكتب لهذا الرجل المشؤم ، الظلوم، وعرفناه بالقضية ، لعله يخلي سبيلنا بالكلية ، او يبعث لنا قابلة تقوم بامر القضية ، فزاد فى الاعراض والاهمال ، ولم يجب بنقص ولا كمال ، ثم كتب الاتراك الى امير البلاد ، يطلبونه فى خلاص انفسهم دون غيرهم من العباد ، ويعرضون له بخروج النصارى وابقاء المسلمين ، وان ذلك من اقبح الطعن

في الدين ، فلما بلغه ذلك اقسم بالفلك والنجوم ، انه لا علم عنده بتسريح الروم ، وقال سرحوا هؤلاء الاتراك عزما ، واخرجوهم غدوة حتما ، فتقدم اليه هذا الشقي الدميم النحيس اللئيم ، وقال يا مولاي معهم بضائع التجار ، وهم اسوا حالا من الكفار ، يترددون في السكك والاسواق يسيرون الى المدن والافاق ، فلابد لهم من الاربعين والصواب ان تجعل لهم سبعين ، فسكت هذا الامير الفاضل ، اذ ادحض حجته بالباطل ، فانظر الى هذا الفعل الذي لا يفعله مجرم ، ويزعم صاحبه انه مسلم ، ثم في الليلة القابلة ، جاء الطلق للجارية فكنت انا القابلة ، فسهل الله امرها عن قريب ، وان الله مع كل غريب ، فوضعت ولدا ذكرا ، ليلة الاثنين سحرا ، فسميته عبد السلام ، وزال ما كنا فيه من الغم والسلام ، فتوجهت الى الله في هذا الظالم المتمرد ، الذي هو من الايمان متجرد ، الى ان رايت علامة الاجابة والقبول ، فانشدت في الحال اقول ، على اني لست من اهل هذا الفن ، خصوصا مع كبر السن

قصيدة للمؤلف في الكرنطينة (1)

من كان يسعى لخلق الله في الضرر	ويظهر الخير والاحسان بالكذب
ومن يكن يفعل السوء عادته	يعامل الناس كابن عياد رجب
ذاك الذي قد طغى واخترع البدعا	بشره بالهم والادبار والكرب
يلقى ابا لهب في شرر لهب	وزوجه مثله حمالة الحطب
حاشى لمثله ان يعزي له كرم	او حسب او وفا ينسب للعرب
سن « الكرنطينة » الشنعا ببدعته	في بلدة هي دار العلم والادب
يحسبها بصميم الجهل منجية	يقي بها النفس من سقم ومن عطب
ينسبها الامير الوقت مسخرة	وذاك منه افترا حاشاه من شغب
فكيف يرضى بذا فخر الملوك ومن	فاق ملوك الورى بالعقل والحسب
وكيف يترك ذا الجربي اللعين كذا	يفسد دولته يا له من عجب
ذاك بهمته يرضى الاله وذا	يرضى بخسته عبدة الخشب
وليس هذا الذي الاسم قاطبة	في مذهب جائز فاشدد الى المعرب
وبعد هذا فجمع الروم سرجهم	والمسلمون بقوا في الهم والنصب
ما مثلها سبة في الدين منقصة	لو كان في الدار من يرغب في القرب

1) يقصد بها الجمرك

مضى لعمري ذووا الاحلام والشرف ... وساد فى الناس اهل الهزل واللعب
آه على تونس الخضرا يسود بها ... معتزلي بلا ديـــن ولا حســـب
يدس فى الدين اشيـــاء محرمـــة ... فقلما يسلم الجربى من الجـــرب
عادة اسلافه أكل الكـــلاب وذا ... رخص فى الخمر والازلام والنصب
ظن الخبيث بان المـــوت يفلتـــه ... وما درى انه خلفـــه فى الطلـــب
الموت حتم فلا عنـــه محيـــد ولا ... يدفع بالفضة البيضاء والذهـــب
ملكت نفسك اذ غدوت تحرسهـــا ... من الوباء وامر اللـــه مقتـــرب
لكن ربـــي مـــن الاشـــــرار ... مبدد شملهم والدهـــر ينقلـــب
اسمع مقالة من اهملته سفـــها ... وتهت وهو حليف الضيق والتعب
فى فتية آمنوا مستضعفون بـــلا ... جرم اتوه ولا ذنـــب ولا سبـــب
لم ترقبوا فيهـــم الا ولا ذممـــا ... وانتم فى مزيـــد اللهـــو والطرب
يدعون ربهم فى كـــل مفتـــرض ... سرا وجهرا او دمع العين تنسكب
لاشك انك من اهل الشقاء وعن ... قرب تحل بدار الخزي والغضب
بضربة من وباء غيـــر مخطئـــة ... تاتيك فى القلب او فى صفحة الجنب
خذها ابا ظالم ســـوداء منتنـــة ... ممن دعاك بمكتوب فلـــم تجـب
ابشر فقد جاءك المكروه عن عجل ... وصادفتك سهام الليل فاحتسب
رايت نحسك فى الاشكال متضحا ... مهرولا مقبلا يسرع فى الخبـــب
وحل نجمك فى بيت النكيس وان ... بلغ برجك بيت الذبح فانتصـــب
هذا جزاء امري لمبتدع جائـــر ... فما يفر وبين الراس والذنـــب
وان تكن جاهلا علم النجوم فـــلا ... تتعب فتاريخ ما قدقلته يشرب(1)

تاليف يسمى « تحفة الاديب فى الرد على أهل الصليب »

ولما كنت بتونس فى هذه الرحلة الثالثة مـــن المغرب وقفت بهـــا على تاليف لطيف لبعض الاسلاميين سمـــاه « تحفـــة الاديب » فى الرد على اهـــل الصليب » كشف عن سوء معتقدهم ، وبطلان دينهم ، وتبديلهم لما فى التوراة والانجيل ، من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانجيـــل والتوراة ،

1) لقد سبق ان اثبتنا قبل ان شعـــر الزياني كثيرا ما تبدو عليه « البـــاطـــة » فى الاسلوب وانعدام الوزن مع اللحن ، غير اننا نفضل اثباته كما هو لمـــا فيه من فوائـــد للباحثيـــن . خصوصا من بالدخيل على اللغة العربية فى المغرب فمثلا « الكرنطينـــة » وكـــذا نستـــدل من القصيدة ان ابا القاسم كان منجما وبما لديه مـــن اسرار الاسماء استطاع ان يتعـــرف على مصير رجب بن عياد الذي كان مشرفا على الجمرك وقتها الخ وفعـــلا فقد أصيب رجب بالطاعون ومات كما سيرد تفصيله فى صلب الترجمانة .

وبين فيه ما بدلوا وما غيروا وما حرفوا ، وشفا الغليل فى كشف ما هم عليه ورد عليهم ما يزعمونه فى المسيح عيسى عليه السلام ، من انـه ابن الله ومـا يزعمونه من آنه ثالث ثلاثة بما هو مذكور فى التوراة والانجيـل والفرقـان ، وهذا المؤلف كان من كبار القسيسين والرهبان من اهل جزيـرة ميورقـة ودخل بلاد الروم فى طلب دينهم ، وتعلم دينهم الى ان مهر فيه وصار مـن رؤوسهم ، وممن اليه المرجع فى دينهم ، واطلع على دسائسهم وعلم بطـلان دينهم ، وفساد اعتقادهم فى روح الله عيسى ، وتحقق جحودهم لنبينا صلى الله عليه وسلم ، فشرح الله صدره للاسلام ، وهاجر من بلاد الروم لجزيرة صقلية ، ومنها قصد تونس فنزل على تجار النصارى الذين بها فاكرمـوه ، واجتمع بمن فيها من رهبانهم وقسيسيهم وعرفوا مبلغه فى دينهم ، وبحث على من يتوسط له فى الاجتماع مع سلطانها اذ ذاك ، وهو ابو العباس احمـد ابن ابى زكرياء يحيى الحفصي الموحدي ، وكان من اهـل الفضل والديـن ، فاخبره بامره طبيبه احد الاعلاج الذين اسلموا فى دولته ، وكـان من رؤوس الاطباء ، ولما اجتمع به واخبره عن حاله وما اتى بقصده من الدخول فى دين الاسلام فرح به واكرمه وانزله وعرض عليه الاسلام ، فقال ان اسلمت الان ياتيك تجار النصارى ورهبانهم ويصفوني لك بالزندقة ويرموني بالبهتان ، وربما لمزوني بما تكرهه ويقع منك موقع الشك ، فلا اسلم حتى تحضر التجار ورهبانهم وتسالهم عني وعن خبري وتسمع قولهم فى شاني ، ولا يبقـى لك شـك فى مذهبهـم فى جـانبـي ، ثـم اسلـم . فقـال حقـا مـا قلـت ،

هذا الرجل نحا نحو السيـد
عبد الله بن سلام فى اسلامه

وهـذه مقالـة سيدي عبد الله بن سلام لمولانا رسول الله صلى الله عليـه وسلم لمـا اراد ان يسلم ، فوجه لتجار النصارى الذين بتونس ولرهبانهـم وقال لهم : بلغني قدوم راهب من اهل ملتكم ، وممن له اليد الطولـى فـي دينكم ، وهل هو كما بلغنا عنه ام لا ، فقالوا باجمعهم : هو من اعلام ديننا، ومن «قمامسة»ملة النصرانية، وعماد الدين المسيحي وممن جال الارض ، وخبرها في الطول والعرض ، وممن عبد فى الصوامـع وتهذب فى الجوامـع ، قليـل الشبيه والمثيل ، عظيم الاصل والقبيل ، فامرهم باكرامه والاحسان اليـه ، ووجههم لحال سبيلهم ، واسلم الراهب وحسن اسلامه ، وولاه على خـراج مرسى تونس ليدربه بذلك على تعليـم اللسان العربـي ، فتعلمه فى سنـة ، واعتكف على تعليم العلوم الدينية وكان له خبرة بعلـوم المنطـق والتنجيـم والهندسة وعلوم الاوائل ، وتعلم النحو والخط الى ان كان من اعيان الفقهاء ،

فالف التاليف المذكور في الرد على اهل الصليب ، وبالغ في تكذيبهم وتبديلهم وتدليسهم وابطل حججهم الزعمية فيما ينكرون على المسلمين ويقبحونه من اقوالهم وافعالهم قبحهم الله ، وسأبين ذلك كله بعد هذا ان شاء الله .

المدن التي كانت للروم واستولى عليها العرب :

رجوعا لخبرنا السابق من ذكر ما بقي من المدن في نواحي افريقية وبرقة (1) واما ما بعد افريقية الى مصر ، فاولها مدينة « طرابلس الغرب (2) » فهي أول اقليم برقة مدينة ازلية من بناء الروم فتحت ايام عمرو بن العاص صلحا ، وبعدها على ساحل البحر مدينة لبدة ، وكان ما بين طرابلس ومصر عمارة متصلة ، مدنا وقرى ومزارع وبساتين ، المدن الساحلية للروم ، والقرى والعمائر للبربر ، الى ان ظهر الاسلام ، وكان الفتح واستولى العرب على مدائن الروم وارتحلوا الى جزيرة صقلية ، فعمر المسلمون مدنهم واستمر الحال الى دولة بني عبيد الذين ملكوا افريقية من يد بني الاغلب ، ثم ملك المعز منهم مصر والشام ، وانتقل للقاهرة فخلف بافريقية الامير بلكين ابن زيري الصنهاجي ، وبعده بنوه ، وفي ايام الحاكم العبيدي صاحب مصر نبذ دعوته امراء صنهاجة بافريقية ، ودعوا للعباسي فوجه الحاكم عرب بني سليم وعرب هلال لحرب صنهاجة ، ودخلوا برقة فخربوا عمرانها ، وافسدوا ارجاءها ، ودخلوا افريقية كذلك فخربوا عمرانها، واكتسحوا ارضها ، وحاربوا صنهاجة وغلبوهم واخرجوهم بمدن السواحل بتونس ، والقيروان ، والمهدية ، وسوسة ، وقابس .

هذا سبب خراب برقة ، واما افريقية لما ملكها عبد المومن بن علي طرد منها العرب ورجعوا لبرقة فكملوا ما بقي من عمائرها ، ومدينة لبدة كانت من انشاء الروم وبها مرسى عظيمة ، ولما سقط سورها الموالي للبحر دخلها البحر وخرب قصورها ولا زالت بعض اعمدة الرخام قائمة ظاهرة في ماء البحر ، ولما فتحها المسلمون اسسوا بها مسجدا جامعا ولا زالت صومعته قائمة ، ثم بعدها مدينة مسراته ، خربة وحولها قرى عامرة ، وبها مقام الشيخ العلامة الصالح سيدي احمد زروق البرنسي ، رحمه الله ، وحيث ذكرنا تربته ومقامه ، فلا بد من ذكر بعض كراماته واحواله وعلومه .

---

1) برقة لقب حمله افراد اسرة قرطاجنية هاملكار بارقة الخ
2) طرابلس الغرب قامت في مكان احدى المستعمرات اليونانية القديمة « القرن 7 ق.م ! » فتحها عمرو بن العاص 642 م استولت عليها ايطاليا 1911 هي عاصمة المملكة الليبية اليوم كانت قاعدة للمحور في الحرب العالمية 2 سقطت في يد البريطانيين 1943 بها بعض كليات الجامعة الليبية

قال الشيخ ابن عسكر فى « دوحـة الناشر » ان الشيـخ ابا العباس سيدي احمد زروق البرنسي ، كان من اكابر العلماء والاولياء اخذ عن الشيخ ابى عبد الله محمد الزيتوني ، وصحبه ، وكان رجلا اعمى ، وهو مـن اكابـر التصوف فتوغل فى محبته وادعى فيها قصب السبق ، فكان من امتحانـه له فى ذلك ان الشيخ زروق اتاه يوما زائرا ، وطرق الباب فسمع صوتا فدخل الدار فلم يجد بها احدا فصعد لغرفة بأعلى الدار ، فوجد الشيخ جالسا في وسط الغرفة وعن يمينه امراة متزينة بزينة حسنـة ، وعن يساره اخـرى مثلها ، وهو يلتفت الى هذه مرة فيقبلها ويلتفت الى الاخرى فيقبلها ، فلمـا رءاه على ذلك الحال ولى راجعا وقال في نفسه هذا رجل زنديق ، فنـادى عليه الشيخ الزيتوني يا أحمد الكذاب ، ارجع ، فرجع . فلم يجد معه احدا ، فعلم انه امتحن ، فقال له الزيتوني اما التي رأيت عن يميني فهي الاخـرة ، واما التي عن يساري فهي الدنيا ، وانت كاذب فى دعواك ، ولكنك لم تبق معي بالمغرب ساعة واحدة ، فخرج ابو العباس من حينـه للمشرق مشفقـا على نفسه مما اتفق له حتى وصل الى الديار المصرية فوجد اصحاب الشيخ ابى العباس احمد بن عقبة الحضرمي ينتظرونه على ساحل النيل ، امرهم بذلك شيخهم المذكور ، واخبرهم بقدومه فسلموا عليه وتوجهوا به ، فلما دخل على ابن عقبة وسلم عليه قال له يا ولدي احمد ، ما جرى لك مع الافعى العمياء ، واني لمشفق عليك هاهنا ، فحمله الى بيت عنده وامره بلـزوم الذكـر فيه ، وبعد ثلاثة ايام سمع الشيخ ابن عقبة صيحة عظيمة وهو مع اصحابه فقـال: الله ورفع يده ثم قال قوموا لصاحبنا ، فقاموا فوجدوا البيت الذي به ابـو العباس زروق قد صار دكا ، فقال ابن عقبة لاصحابه : احفروا على صاحبكم ففعلوا الى ان وقفوا عليه ، وابو العباس فى ركن البيت ، وقـد رفعت عنـه الخشب الردم ونجا منه ، فلما رءاه الشيخ ابن عقبة قال له : الحمد لله الذي عصمك يا احمد ، وهذه ءاخر عقوبة الزيتوني ، ولقد ضربك ضربة من اقصى المغرب فرفعتها عنك بيدي ، وها هي مكسورة من ضربته واخرجها من تحته مكسورة ، ثم لازمه الى ان انفصل عنه ، فقال له أوصني يا سيـدي : فقال لـه منشـدا هـذا البيت :

سـلم لسلمـى وسر حيث سارت   واتبع رياح القضا ودر حيث دارت

قـال الشيخ الكراسي التطواني الاندلسي ، لمـا قدم الشيخ زروق من المشرق لفاس خرج الفقهاء لملاقاته والسلام عليه ، وكنت ممن خرج معهـم فلما سلمت عليه وجلست فى خبائه ، صار يسأل الفقهاء عن اسباب اقواتهم من اين ، فقال بعضهم معظم القوت من الاوقاف المحبسة على قبور الموتـى ،

فقال الشيخ لا حول ولا قوة الا بالله يعيشون من لحوم (1) ، فأجابه الشيخ ابا الحباك وقال : يا سيدي الحمد لله الذي جعلنا نقتنص من لحوم الميتة وهي مسوغة عند الضرورة ، فصاح الشيخ وخر مغشيا عليه ، فخرجنا عنه وتركناه كذلك ، فقال الشيخ الهبطي ان الشيخ زروق شرح « حكم ابن عطاء الله » ثمانية عشر شرحا بين مطول ومختصر ، وشرح « رسالة ابن ابى زيد » شرحا عجيبا ، وشرح « حزب البحر » للشاذلي ، وشرح اسماء الله الحسنى ، وقيد فى خواصها تقييدا عجيبا ، وشرح « ارجوزة القرطبي » مرتين ، وله « النصيحة الكافية » وتآليفه اكثر من ان تحصى ، ومما يدل على فضله ما وقع له مع الامام ابن غازي لما دعاه لمنزله من الكرامة العظمى التي وقعت منه فى الطعام الذي صنع له ابن غازي رحمهما الله وحيث جرى ذكر ابن غازي فلا بد من ذكر مرتبته فى العلم والصلاح ، وذلك أن السلطان الوطاسي (2) لما توجه لحصار الكفار بآصلة وحربها وأمر الامام ابن غازي ان يسير معه بقصد التبرك به فسار معه واقاموا على حرب آصلة مدة، فأصاب ابن غازي مرض فوجهه الوطاسي لداره ، وكانوا لا يسيرون به الا ليلا ولما ارتحل الوطاسي من آصلة ورجع مر في طريقه بتافنناوت فوجد الشيخ الفزواني بها فقبض عليه وسلسله وكبله ووجهه ليسجن بفاس ، ولما بلغوا عقبة المساجن وجدوا الامام ابن غازي فى محل هناك الى ان يحملونه ليلا ، فقال الفزواني للموكلين به عوجوا بنا على هذا الفقيه نعوده ونسلم عليه ، فلما وقف وسلم قال له ابن غازي اطلب منك الدعاء ، فدعا له الفزواني وسار مع الطريق ولما ابعد عنهم قال ابن غازي لاصحابه احملوني الساعة فان اجلي بلغ ، واني اودعكم الله ، فقالوا لا بأس عليك ، فقال اسمعوا كلامي فاني طلبت الله أن لا تخرج روحي من جسدي « هنا بتر » ولعله : الا بعد ان ارى الشيخ الفزواني ؟

وبعدها مدينة « الجابية » خربة كانت للروم وعمرها المسلمون فخربها العرب ثم مدينة « برقة » في سفح جبل درن ، مما يلي البحر خربة وبها مسجد جامع ، وبه كان يدرس المدونة الامام عبد السلام سحنون اقام به ثلاثة اعوام

ولما استولى عليها العرب وخربوها « انتقل عنها » وهذا الجبل

---

1) كذا فى الاصل ولعله يقصد « لحوم الموتى »

2) الوطاسي محمد بن يحيى المتوفى 1504 اول ملوك الدولة الوطاسية بالمغرب الاقصى قام فى اعقاب اضمحلال دولة بني مرين واستولى على فاس حولي 1470 وفي ايامه وفد اليها ابو عبد الله ابن الاحمر آخر ملوك الاندلس لاجئا فاستوطنها .

يسمونه اهل البلاد « الجبل الاخضر » لكثرة خصبه وعمائره وقراه ، ومنه تجلب الماشية والصوف والسمن والعسل للاسكندرية وطرابلس ودرنة وابن غازي ، ومن مرسى ابن غازي تحمله المراكب لجزيرة كندية ، لانها مقابلة له وبينهما مسيرة يوم فى البحر ، ومرسى ابن غازي كانت مدينة ازلية من بناء الروم ولما فتحها المسلمون بنوا بها مسجدا جامعا فخربها العرب لكنها الان عامرة وهي من عمالة طرابلس ، ثم مدينة اليهودية التي ذكرها القشيري في رسالته ناقلا عن بعض الفقهاء ، قال بالمغرب مدينة سلطانتها يهودية وبها عسكر كثير انتهى كلامه ، قلت وليس بالمغرب مدينة لليهودية وهي هذه التي ببرقة ، ولعلها كانت فى الجاهلية قبل الاسلام كما كانت الكاهنة دهيا القراوية بجبل اوراس من افريقية ، فانها كانت سلطانة قومها قراوة والبربر ، وما بعد الاسلام فلم تكن مدينة لليهودية بالمغرب

ثم بعدها مدينة « ادرنة » كانت للروم ولما فتحها المسلمون عمروها فخربها العرب من جملة ما خربوا ، وبها الان عمارة بدوية ، ثم قبلة عنها قصور حسان فى واد مخصب ببرقة ، ذكر الشيخ ابو سالم عبد الله العياشي في رحلته انها لعامل كان بافريقية اسمه حسان ، هو الذي بناها ، ولعله لم يطلع على خبرها ، فان الذي بناها هو حسان بن النعمان الغساني(1)امير عبد الملك بن مروان ، وجهه في عساكر العرب لفتح افريقية فحاربته سلطانة البربر الكاهنة دهيا بنت ثابت القراوية وهزمته واسرت كثيرا من اصحابه ، ورجع مهزوما من افريقية لبرقة ، ولما بلغ الوادي المخصب اعجبه ونزل به وكتب لعبد الملك يعلمه بالخبر ويطلب منه المدد ولما طال بهم المقام بذلك الوادي بنى قصره وبنى اصحابه قصورهم ، ولما دخل فصل الشتاء زرعوا الحبوب وغرسوا المقاتي والكروم وكان عبد الملك فى العراق فى حرب مصعب ابن الزبير لم يلتفت اليهم فأقاموا بمحلهم الى ان ادرك الزرع والمقاتي واستمروا بالمحل خمسة اعوام تباعا ، ، فادركت الكروم والاشجار واكلوا من غللها وهم فى انتظار المدد الى ان فرغ عبد الملك من امر مصعب وقتله وملك العراق ، فوجه المدد لحسان بن النعمان من المال والخيل والسلاح ودخل افريقية وقصد الكاهنة دهيا لجبلها فاعترضته ووقعت الحرب فقتلها واستباح عسكرها ودانت له قبائل البربر واطاعوه وملك افريقية ، وبقيت تلك القصور التي بنوا ببرقة تعرف بقصور حسان الى الان وهي

---

1) حسان بن النعمان توفى سنة 700 م والي افريقية من قبل عبد الملك الاموي قاوم البيزنطيين كثيرا امام قرطاجنة حاصرها المسلمون من البر والبحر واستولوا عليها ووقعت فى قبضته جميع حصون افريقية البيزنطية وانتصر على الكاهنة عزله عبد العزيز والي مصر فجأة وجرده من املاكه

خربة ، ثم بعدها بساحل البحر مدينة طلمسة اسمها الروم قبل الاسلام ، ولما فتحها المسلمون عمروا بها المساجد الى ان خربها العرب اعوام الاربعمائة فيما خربوا ، ثم منها للاسكندرية المشهورة ، التي بناها الاسكندر، ثم خربت ثم عمرها الروم ففتحها الفرس ، ثم خربها الروم وتركوها وعمرها المسلمون ثم غلبهم عليها الروم ثانية وملكوها الى ان فتحت فى ايام الملوك من بني ايوب الاكراد الذين ملكوا مصر بعد العبيديين

واما خبر ما بقي من المعمور معدودا من جملة القفر الذي بين الواسطة والمغرب وافريقية وبرقة ومصر وبين السودان ، فهو عمائر غير متصلة تخللت هذا القفر ، كاقليم غدامس واقليم فزان واقليم سوا واقليم ودان واقليم تدكلت واقليم تيقورارين وتوات واقليم فقيق واقليم وادي الساورة واقليم سجلماسة واقليم ذرعة وما بين ذلك هو فى الاجزاء الاربعة التي هي قفر ولا يعمرها الا العرب والبربر ، ونواجع السودان المضافين لهم وعمائرهم المتخللة هذا القفر ، فانها معلومة عند اهلها وما يبلغنا الا خبرها من التجار الذين يتوجهون الى السودان

ولما اكملنا عدة الكرنطينة خرجنا من قلعة التيكي ودخلنا المدينة فوجدنا الوباء لا زال عندهم ، يمنعون من الدخول فانظر الى هذا الجهل العظيم ، فاكترى لنا صاحب المركب « ابوثور » دارا بجواره نزلنا بها واكرمنا بعد الجفاء الذي كان حصل لنا منه فى المركب بسبب القامرة التي كان اكتراها لنا الوالي رغما على انفه من رئيس المركب

ولما نزلنا الكرنطينة تدارك ما فات منه وعطف علينا وباشرنا واكمل ذلك بتعيين البيت لنزلنا ، وكتب عني هذه القصيدة ونحن بالكرنطينة ولما خرج منها نم بها لبعض بطانة قائد المرسى رجب بن عياد فكان من قدر الله وقضائه ان اصيب رجب المذكور بالطاعون ومات بعد ثلاث ، فانظر الى هذا الاتفاق الغريب الذي اجراه الله على لساني وكان فيه سبب الاعتناء بأمري، وانا فى غاية الاحتياج الى ما اقضي به امور سفري ، فانه لم يبق لي من المائة ريال درهم وكنت مؤملا ومتكلا على دين تركته بتونس على ابى هلال وقت سفري للحجاز

ولما رجعت وجدته سافر لفاس ووجدت الصاحب الحاج علي وكيل باشا الجزائر سافر فى البحر ، فبقيت متحيرا ثم بلغنا خبر المركب الذي فيه حوائجنا وفيه رزقنا وفيه العسكر ، اخذه الكفار جنس النبلطان اهل قابل لانهم محاربون مع الدولة العثمانية واسروا عسكر الترك ودخلوا بالمركب لنابل .

واذ جرنا الخبر لذكر هذا الجنس من الروم فلابد من ذكر بعض مدنهم التي بلغنا خبرها فاقول : ان بجزيرة صقلية وهي المقابلة لافريقية من جنس

النبلطان نحو المائة وثلاثين مدينة ومن اعظم مدنها بلرم والخالصة ومسينـة وطبرمين وسرقوصة ونوطس وطرنص وفرنسة ونصالة ومغارة بلكن والحمة وحصن الحمة وجزيرة قوصريها وكركبت ولياح وليناذو ومازو ومرسى علي وبلاص وامام الجزيرة بين الروم نابل وورومية وقشمير وجنـوة وبندقيـة وسمندرية واثل والكرنة وفرنيسية وبينـة وباريز وبرطانيـة وهمانيـة ومرسيلية وطولون وولانظة ومركانة وبلميط والوندريس وبنبلونة وبرطانية ولمانية وبرغونية وشصونية وجرواسية واتكلاية وبرغشت وبيونة وغشكونية ونوابية وانكرية وجيولية وبلونية وفلونيـة وبرقاعـة ولاسلانـدة وطست وجرمانية وجنولية وافرنزة وقمانية السودا وقمانية البيضـا هـذا الحـد بيـــن الـروم والصقلـب .

قال المسعودي ينتهي قصر النهار عنـد البلغـار والروس الى ثـلاث ساعات ونصف في الشتاء وقال « الحوقلي » ولقد شاهـدت ذلك عندهـم بمدينة بلغارة ، وهي مدينة عظيمة يخرج واصفها الى حد التكذيب ، وبعـد الصقلب الخراب الى السد ، ومن ورائهم البرجان ، وهم امم لاتحصى طغـاة قساة لاينقادون لاحد ، وبلادهم ممتنعة بين الجبال بين الفـرس والخـزر ، وفيها مدينة الباب والابواب ، اما مدينة الباب بناها كسرى انوشروان فـي حدود بلاده على بحر الخزر ، وعلى مرساها سلسلة تمنع الداخل والخارج اذا مدت ، واما الابواب فهي شعاب كالابواب في جبل الفبق ، واسمه في كتب التاريخ عند الروم والفرس والترك جبل الفتح ، وعلى كل شعب حصن فاسم بابه باب صول وباب اللان وباب السابران ، وباب الازقـة ، وباب سجسى ، وباب السرير ، وباب بيلان شاه ، وباب كارويان ، وباب ايران شاه ، وبـاب ليان شاه ، وهذا الجبل المسمى جبل الفتح جبل عظيم شامخ ، زعـم ابـو الحسن المسعـودي ان بـه ثلاثمائـة مدينـة واهل كـل مدينة لهم لسان لا يشبـــه الاخـــريـن .

وقال الحوقلي : كنت انكر ذلك حتى رايته وشاهدته وتحققته ، وفيه ممالك كثيرة ، فمنها مملكة شروان شاه امم جبارون كفار لاينقادون لاحد ، ومملكة لايوان شاه ، ومملكة الموقانية ، ومملكة الدودانية واهلها اخبث بنـي ءادم ، ومملكة طبرستان ، ومملكة جرجان ، ومملكة عتيق ، ومملكة رزنكوان، ومملكة الجنوح ، ويقال ان لهذه المملكة اثنا عشر الف قرية ، ومملكة الان ، ومملكة الانجاز ، ومملكة الخزرية ، ومملكة الصطخـــى وهم جبارون طغـاة بغاة لا ينقادون لاحد ، ومملكة الضاربة ، ومملكة شكـي ، وهي منفردة فـي ءاخـر هذا الجبل ، ومملكة الصعاليك ، ومملكة كشك ، وهذه المملكة ليـس في الممالك كلها احسن من رجالهم ولا نسائهم ، ولا اكمل محاسنا منهـم في المعمور كله ، ولا اجمل اوصافا ولا اطيب خلوة ومضاجعة منهن ، ولنسائها

من الحسن والتيه والظرف واللذة الزائدة الوصف التي لم توجد فى نساء الدنيا ، ويبلغ الرجل منهم سن المائة وقوته فى نفسه ومجامعته باقية ، واذا جامع الرجل امراته فانه ينسى الدنيا وما عليها الى ان ينفصل عنها ، واذا بلغت المراة منهم خمسين او ستين او سبعين فلا تتغير محاسنها ، وتبقى على ما كانت عليه وهي ابنة العشرين ، يافتاح يارزاق هب لنا من هذا ، ولولا المشقة فى الرجوع لقصدنا جبل الفتح ، ثم مملكة السبع بلدان ، ثم مملكة ارم وفي هذا الجبل صحراء كالكف نحو مائة ميل بين جبال اربعة ذاهبة فى الهواء ، وفي وسط هذه الصحراء دائرة منقورة كأنها قد خطت ببيكار ، منحوتة من حجر صلد ، استدارتها خمسون ميلا ، قطعها قائم كأنه حائط مبني ، غرقها ستة اميال بالتقريب فلا سبيل الى الوصول الى مستوى تلك الدائرة ويرى فيها بالليل نيران كثيرة ، ويرى فيها وقت الظهيرة اناس لطاف الاجرام جدا كالذباب ، وترى فيها انهار فى رقة الاصابع ودواب كالنمل ، ولا يعلم احد خبرهم ابشر ام غيرهم ، والضباب دائما عليها ومن وراء تلك الدائرة دائرة اخرى صغيرة قريبة القعر فيها اجام وغياض فيها انواع القرود منتصابات القامات والقدود مدوري الوجوه كالادميين الا ان لهم شعورا وهم فى غاية الفهم والذكاء ، واذا صيد قرد منهم ووقع في يد احد من الناس يهدونهم الى الملوك فيحصل لهم فيه عطاء كثير ، لانهم يرغبون فيهم لخاصية فيها ويبذلون المال الكثير فى القرد الواحد فمن ذكائه وخاصيته انه يقف على راس الملك بالمدبة ليلا ونهارا ينش عليه ولا يضجر ولا يفتر ، واذا قدم للملك طعام ووضع منه فى اناء وقدم اليه فان تناوله القرد واكله علم انه مسموم فلا ياكله الملك وان لم يتناول منه القرد علم انه سالم ، ويقال ان الفرس لما فتحوا هذه البلاد بنى قباذ مدينة البيلقان وبرذقة وسد البر وبنى كسرى انوشروان مدينة السافرة وكركرة والباب والابواب ، وبنى على ابواب جبل الفتح ثلاثمائة وستين قصرا عمرها بالعساكر تقابل الخزر في بلادهم ، وهذا ما بلغ الينا من خبر بلاد الروم اهل الناحية الشمالية واما مدنهم فما ذكرنا الا المشاهير منها واما ما هو فى الجزر البحرية فلا علم لنا به الا مانسمعه ممن لا يعتبر قوله

رجوعا الى خبر تونس واقامتنا بها

ثم اصاب الجارية الوباء وماتت بعد ثلاث ، وتركت الولد ولم اجد من يرضعه فطلبت جارية مرضعة اشتريها فلم توجد ، الا ان الله فتح فى امراة مات لها صبي وزوجها مغربي ، فجاءني يطلب الولد فدفعته له وتوجهت معه للمراة حتى وقفت عليها وباشرتها بمعروف واشتغلت بتجهيز ما لابد منه

للسفر فى البر للجزائر ، فسهل الله امره واكتريت البهائم الى قسنطينة بخميسين محبوبا بعث فيها نسخة من صحيح سيدي مسلم فى سفر ، كنت اشتريتها من مصر بمائة ، وما كان معي من كتبي غيرها واخرى مثلها فى سفر من صحيح البخاري .

ولما دخلت قسنطينة لم اجد صاحبها حسن باشا المتقدم الذكر، وما وجدت الا خليفته ، فانزلنا واكرمنا واقمنا عنده عشرة ايام حتى تعينت الرفقة ، واكترى لنا بهائما واشتريت لنفسي بغلة ركبتها وبعت ساعة ذهب بقسنطينة خلصت بها نصف الكراء ، والنصف الى الجزائر وبعث لنا خليفة الباي زادا وحلويات وانحدرت الى الجزائر ، فلما شرفنا عليها تقدمت لانظر المنزل بقصد المقام بها الى ان يظهر لنا ما يئول اليه امر المركب الذي اخذه العدو الكافر دمره الله ، وفيه العسكر الجزيري وبضائع التجار فاجتمعت بأحد التجار وتسالمنا وكلفته ان ينظر لي بيتا ، فقال ان البيت حاضر فصحبني الى البيت وفتحه ونظرته ، وكلفته ان يركب بغلتي ويتعرض للبهائم بالباب وياتي بهم للبيت وانصرفت الى المسجد الجامع فتوضأت وتنفلت وجلست لصلاة الظهر مع الجماعة ، فلما فرغنا فاذا بالشيخ الفقيه القاضي ابو عبد الله محمد بن مالك صاحبنا المتقدم الذي كتبت له ان يتسلم الحوائج من المركب ، فقمت للاقاته والسلام عليه ، وصحبته الى محل جلوسه بالمحكمة الشرعية ، وتفاوضنا فى اخبار المركب فقال : سمعنا ذلك والى الان لم يظهر له خبر ، لكنه يرجع لا محالة ، ولما توجهت من عنده لانظر هل بلغ الاصحاب ،وجدتهم بالبيت والبغلة بالاصطبل فحمدت الله على السلامة ، وقدم علي صاحب القاضي بمؤنة خناشي دقيق واواني سمنا ومثلها خليعا وفحما وانا لا املك درهما ، فزال قنطي وتفكري ، ولما جن الليل شغل بالي بالتفكر فى امر الكراء الذي علي فاذا اصبح وجاء الحمار يطلبه فكيف المخرج وما ابيع فتعين بيع نسخة البخاري التي ليس لي غيرها ففوضت الامر الى الله .

ولما اصبح جاءني رسول القاضي فوجدته بالمحكمة فى بيت جلوسه للراحة فهش وبش وسأل عن الحال الذي يجده الانسان من عناء السفر اذ وقف الحمار صاحب الكراء ، فقال صاحب القاضي ان رجلا يطلبك ، فقال القاضي من هو ؟ زد به الينا ، فاتى به ، فلما عرفته قلت انتظرني الى أن اخرج فتأخر وسألني القاضي عنه ، فقلت رجل جاء معنا فى الرفقة ، قال لعله الحمار الذي حملك ، فضحكت وقلت هو والله ، فقال لعله يتبعك في شيء ، قلت نعم ، فتكلم مع احد اصحابه سرا وجاءه بكيس فيه اربعين سلطانيا دورو ، فامتنعت من قبضها ، فاقسم لتقبضنها فاني أعرف امور

السفر ، خصوصا وا نت فارغ اليد من اجل مالك فى المركب الذي فيه رزقك، فخلصت الحمار منها وما بقي كنت انفقه فيما لابد منه

وفي يوم الجمعة توجهت مع اصحاب لي حملوني على الصلاة فى المسجد الجديد الذي اسسه حسن باشا بعد سفرنا للحجاز واقام به الجمعة ، فدخلته وشاهدته وصلينا الجمعة ، واخبروني بما انفق عليه من الاموال وما جلب له من اصناف الرخام والمرمر ، وما اوقف عليه الرباع والضياع ما لا تسمح نفس احد بانفاقه الا من وفقه الله .

ومن الغد رجعت اليه منفردا وتأملته موضعا موضعا ، وميزت ما فيه من انواع الصنع واختلاف الاشكال ومناسبة الموضوعات من كل نوع ، الى ان احصيت جميع اوضاعه وكأنه نصب عيني فى الغيبة وانشأت فيه رسالة ولفقت ابياتا على قدر وسعي فى مدحه ومدح بانيه وتجزيته الخير على ما قام به من رسم معالم الدين ، واتباع سنن المهتدين ، وتطهير تلك البقعة التي كانت قبل ذلك تبرنة يباع بها الخمر ويجتمع بها الاشرار ، وصيرها معبدا للمسلمين ، جعلها الله فى ميزان حسناته ، وبلغه غاية امنياته ، لا رب غيره

وهذه الرسالة

الحمد لله الذي خلق الانسان ، وعلمه البيان ، والهم من احب من الملوك فى الحديث والقديم ، الى سلوك السبيل القويم ، وحبب لهم افعال الخير ليبلغوا بذلك الى القرار فى جنات النعيم

وبعد ، فلما اراد الله جلت قدرته ، وتقدست اسماؤه وصفاته ، رجوعنا من الحرم الشريف ، ودخولنا لثغر الجزائر الشهير عن التعريف ، واقامتنا به للمانع الذي حصل ، والعذر الذي بسببه بعد عنا ما كان بايدينا وانفصل، كنت اجتمع مع افرادمن الاخيار ، وجماعة من العلماء الابرار ، واتفاوض معهم فى سيرة سلطانهم الاعظم ، الماجد الاكرم ، حامي بيضة الاسلام ، وناصر سنة سيد الانام ، الذي قمع اهل الكفر وقادهم بلا رسن ، المنصور المؤيد السلطان حسن ، فذكروا لنا من اوصافه السنية ، وسيرته المرضية السنية، ما ملأ منا الاسماع ، وقام عندنا مقام الاجماع ، ابقاه الله لحياطة هذه الامة ، وزاده عزا وحفظه من كل ءافة ونقمة .

فأردت ان اثبت ما سمعت من فضائله وان كنت لا احصيها على التمام، المشهورة عند الخاص والعام ، واجعلها فى قرطاس طلبا للاجر والثواب ، واذا احب الله عبدا الهمه الى الصواب ، لترسم فى دفاتره ، وتوضع من جملة ذخائره ، فانه حفظه الله من امراء العدل ، ومن اهل المروءة والفضل ، لما جلس على كرسي « الخلافة » السعيد ، سوى بين القريب والبعيد ، وانتصف للمظلوم من الظالم ، واعز المسكين والشريف والعالم ، وقمع اهل

الزيغ والفساد ، وكف عاديتهم فى كل بلاد ، واجرى احكامه على القانون الشرعي ، والمذهب الحنفي الموعى ، واجرى الصدقات على الفقراء والايتام ، والمعونة لأهل الحرمين فى كل عام ، فشمل عدله الرعايا سهلا وجبلا ، وشاعت مكارمه افرادا وجملا ، ثم حصن ثغور المسلمين بالصقائل والابراج ، وعمرها بالمدافع والمهارز على طبقات تحاكي الادراج ، وملأ خزائن الثغور بالبارود « والكور » « والبحب » والسلاح ، من المكاحل والسيوف والاسنة والرماح ، واكثر من الجواري المنشئات فى البحر كالأعلام ، وشحنها بكل من عساكر الاسلام ، للتضييق على اعداء الدين برا وبحرا ، زاده الله عزا ونصرا، الى ان صير أجناسهم تحت الغلبة والقهر ، ووفدوا على اعتابه صاغرين من كل قطر يطلبون مهادنته على ما يطلب من الاموال ، والكون عند امره فى الاقوال والافعال ، فوظف على كل جنس منهم ضريبة يؤديها فى كل عام كالجزية ، ولا يسرح أسراهم الا بضعاف المسلمين فى الفدية ، وفى كل سنة يأتونه بالهدايا والوظائف ، والتحف الغريبة واللطائف ، ابقاه الله محفوظا ، وبعين عنايته ملحوظا ، ثم صرف همته لجهاد مدينة وهران ، واخلائها من عبدة الصليب اهل الضلال والخسران ، ووجه لها عساكره رجالا وركبانا، وامدهم بالقبائل عجما وعربانا ، ووجه معهم المدافع والمهارز وءالة الحرب ، وبكل ما ينفع للطعن والضرب ، ونزلت عليهم العسكر من كل جانب ، وكلهم للشهادة طالب راغب ، وحاربوهم حرب المهاجرين والانصار ، ووقع بالكفرة ما لم يقع بمصر من الامصار ، الى أن صار البلد عليهم دكا ، وحديث خلاصهم افكا ، فطلبوا الامان لانفسهم على أن يسلموا البلاد ، ولا يحملون الا نساءهم والاولاد ، فأنعم لهم بذلك ووفى ، وقرأ عليهم حسبي الله وكفى ، فأما عظم هذا الفتح الذي لم يحصل لملك من الملوك ، وحصل به السرور للغني والصعلوك ، وشاع) بلاد الكفر والاسلام ، وتحدث به أهل اليمن والعراق، وخراسان ومصر والشام ، ورفع له المسلمون ايديهم فى المشرق والمغرب ، يدعون له بالعز كل أعجمي ومعرب ، فالله يطيل سعادته ، ويديم مجادته ؛ ثم وجه نظره فى فكاك اسرى المسلمين من جميع ايالة الكفار ، والبحث عنهم فى القرى والامصار ، قاصدا بذلك وجه الله وابتغاء مرضاته ، عملا بقول نبينا عليه من الله أفضل صلواته : « من فك اسيرا من ايدي الكفار ، حرم الله جسده من النار » ، وجازاه الله فى الاخرة بالحور العين ، واسكنه في الغرف التي فى اعلا العليين ، ثم الهمه الى تطهير بقعة كانت بقرب دار الخلافة مجمعا للاشرار ، ويباع بها الخمر للكفار ، فاشتراها وما حواليها بمال معتبر ، وصير عاليها سافلها وما تأنى في ذلك ولا صبر ، وصيرها مسجدا جامعا للاسلام ، ومعبدا لاهل الخير والدين والعلماء الاعلام ، وانفق عليه من الاموال مالا تسمح نفس بانفاقه ، وعمره بالحلال

الذي هو من خالص أرزاقه ، ورتب فيه أهل الهندسة و « الفلسفة » من كل صنعة ، واتقنوا بناءه سعة ورفعة ، وجعل أسفل هذا المسجد دكاكين وقهاوي ، أوقفها على هذا المسجد المذكور ، الذي ادخره ليوم البعث والنشور، وحقق قبلة هذا المسجد أهل العلم والفتوى وأوقف على عماراته من لاشك انه من اهل الخير والتقوى ،وجمع له انواع المرمر والرخام ، من بلاد الاتراك والاروام ، من كل قائم ومبسوط ، ومربع ومخروط ، ومدرج ومشجر ، ومنقوش ومسطر ، وخدود وقدود ، وقيام وقعود ، واعتاب وأبواب ، وخصص ومحراب وفي وسطه قبة عظيمة مرتفعة فى الفلك ، يفزع من لمعان انوارها فى البحر السمك ، قائمة على سواري كالصداري مجردات عواري، كالجواري ، يحاكين فى بياض اللون ، البرد النازل من الكون ، كأنهن فى القيام، حور مقصورات فى الخيام ، وجعل لهذه القبة سراجيب بانواع البلور الذي لم ير فى عصر من العصور ، يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ، ودار بهذه القبة قبب على شكل منمق كأنهن جدول موفق ، من ثنائي وثلاثي ورباعي ، وخماسي وسداسي وسباعي ، ومقربص ومشجر وقاطع ومقطوع ومسطر، وداخل وخارج وبخاريات ، وقصاعي وانصاف ترنجيات ، وفوق ذلك من الاسباغ كل لون غريب ، بتدبير أهل الحل والعقد والتجريب ، وكتبوا أسماء الله وءاياته ، وانبيائه وخلفائه ، تعظيما بالذهب الابريز الصيان ، وليس الخبر كالعيان ، وأدار بهذه القبة « شدورانا » من العود مموه بأنواع الاطلية الفائقة بالالوان ، يصلي فيه الامراء والاجناد واعيان الديوان ، عليه « ادواع » وازهار واغصان وثمار واطيار ، وامامه كشك يجلس به المؤذنون واهل الالحان والقراءات ، ومن له وظيف بالمسجد كالموقت والراوي لحديث الانصات ، وجعل لهذا المسجد منبرا من الرخام الشفاف ، مؤلف من سبعة أصناف ، من مرمر وجزع ، وزبرجد وودع ، وفيروزج وفاروز ، كأنه اللواء المشروز ، ابدع فيه كل خارط صنعة الخرط ، وكل ناقش زاد على الشرط، وكل مسطر حقق ما سطر ، وكل مشجر ابدع فيما شجر ، فهو كالامير والتاج على راسه ، والكل فى خدمته وانسه ، وكسا جدرانه بالزليج والفرفري والصيني ، وفوقه الجبص الفائق المعدني ، وجعل فى كل جهة رواشن تسطع منها الانوار مضيئات ، وسلاسل مموهة للقنادل والثريات ، وجعل تحت كل روشن ساعة على كرسي كالعروس ، يطرب لسماعها جوامح النفوس ، فجاز بلطافة شكله ضخامة المساجد والمدارس ، وجاز برقة صنعته انوار الزارع والفارس ، فلو راته السليمانية بالقسطنينة لسلبها ، ولو كلمته ءاية صوفية ما أجابها ، ولو قابله الجامع الازهر ، لتعجب من حسنه وانبهر ، ولو ناظرته مساجد الشام وحلب ، لاعترفوا

بفضله واقروا بـ ب ، ولو سمعت بتشييده بيعة الاشبونة لتهدمت ، ولـو شاهدته كنيسـة ـة العظمى لاسلمت ، فنزهت طرفي فى رياض أزهـــاره وانواره ، واستعملت فكري فى معارف شموسه واقماره ، وتحققت بسيادة بانيــه ، وتيقنت ان السعادة والكرامة تحف بــه وتدانيه ، وداخلنــي مـن القشعريرة والخشية ، ما انطقني الله بما يتقبله من الادعية ، وعلمت أن معمره ممن اصلحهم الله وسرهم ، وان لله رجالا لو اقسموا على الله لابرهم ، فأجابني المسجد بلسان الحال ، وانشد وقال :

طهر ثيابك واحســن الوضـــوء ولا تنس التحية ان شاهـدت اسراري
واممن قبتــي واقصــد الى قبلتــي وسرح الطرف فى رياض أزهـــاري
واحرم وقف واركعن واسجد لربي الورى وادع لمن صانتنـــي وحـــط اوزاري
ابرزني لوجود العز مـــن عـــــدم فهو روحي ومسمعي وابصـــــاري
صيرني مسجدا للـــه عمرنـــــــي بالذكر ذاك الذي عظـم مقــداري
امهر مولاي اكياسا بـــلا عـــــدد فى زينتي ليرى حسني وانـــواري
اقام فى خدمتي حورا على ســـــرر هن شموسي وان امسى فاقمـــاري
انسني بخوان مطربـــات فمــــــا ينمن من شغفي يرصدن انـــداري
طوقنــي بسيــاج العــز مبتهجـــا بكل نوع من الازهار معطـــــاري
توجني التاج والاكليل منتظـــــما مـن اليواقيـت اقراطـي وازراري
وكل حليي واكـــؤس منضـــــــدة وكل فرشي وما تحتي واستـــاري
وزاد فى المهــر املاكـــا معينــــــة لمن يقوم بخدمتـــي واوطــــاري
فمن يجود بما سطرت محتسبـــــا الا التقي الزكي الاســـد الضـــاري
حامي لواء الرسول المصطفى حسن فخر الملوك رعاه مولانا البــــاري

فعودته بالله الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، وحجبته بآياته البينات ، مـن اعين الشياطيــن والكفار المعينات ، ونسأل مولانا الكريـم ، رب العرش العظيـم ، يتقبـل من بانيـه عملـه ، ويبلغــه فى الداريـن رجاءه وأملـه ، ويكافيه بقصر فى جنة المأوى ويوفقه فى السر والنجوى ويصلح به وعلى يده ، ويعطيه من خير ما لديه ، ويبقيه لنصر هذا الدين المحمدي ، ويعزه بالعز الدائم السرمدي ، ويسبل الستر الجميل عليــه ، وعلــى أولاده واخوانه ، واحبائه وعساكره وانصاره ، قال رب الاوائل والاواخر « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر » وقال صاحب التشريـــع والسنة : « من بنى لله مسجدا بنى الله له قصرا فى الجنة » فليحمد الله بانيه على هذه النعمة العظمى التي لا يعد لها ملك ولا مال ، ولا يحصل ثوابها من مواساة اخ ولا عم ولا خال فهنيئا له ولله الحمد ، ودامت كرامته والمجـد ،

وختم افعاله بالشهادة ، وجعله من الذين احسنوا الحسنى وزيادة ، وقلت ابياتا فى تاريخ بنائه لهذا المسجد وهي :

أسرع الى سبل الخيرات تاتيـك	وابشر فان الذي عاملت يدنيـك
حسبنت بالعدل ديننا ومتجرنـا	فنسأل الله بالفردوس يرضيـك
بنيت لله هذا البيت محتسبـا	فرب هذا الذي شيدت ينجيـك
أغنيـت صناعه عظمت حرمتـه	وضحت تاريخه فالله يغنيـك
لازلت يا بهجة الاملاك يا حسنـا	موفقا وجنود الله تحميـك

وقلت أبياتا فى مدح بانيه :

شيدت ذا البيت «أشرف» الملوكومن	احيا الجهاد ببر الترك والعـرب
ما مثله مسجد بالفـيء عمـره	للاتقياء واهـل العلـم والادب
ابقاه دينا على أهل الزمان لمـن	« يرغب ان يقتدى فى الخير والقرب»
فخر السلاطين بين الورى حسـن	ابشر فقد فزت بالفردوس والرتـب
ان جئت روضته شوقا على ظمـأ	فاقصد الى منهل ارخته واشـرب

انتهى كتبه بلقاسم بن احمد الزياني سنة عشر ومائتين والف .
« 1210 هـ - 1796 م »

* * *

ثم اني بقيت مقيما بالجزائـر سبعة اشهر الى أن فتح الله علينا فى رد بضاعتنا وسبب الرد ان الرجل الجزيري الذي كان اتى بالعسكر من أزمير أصله تونسي ولما أسرهم الكفار جنس النبطلان ودخلوا بهم لبلادهم ، ادعى الرجل انه تونسي وانه اكترى المركب من ازمير ، ووسق فيه ارزاق التجار من تونس ، واكترى للعسكر الجزيري وتحاكم معهم بهذه الحجة فغلبهم ، لان اهل تونس مع هذا الجنس بينهم عقد مهادنة ، فدفعوا للرجل بضائع الناس واكترى عليها مركبا آخر لتونس فى الظاهر ، وفى الباطن يبلغ البضائع للجزائر، وخرج قاصدا مرسى تونس الى ان دخلها واقام بها يومين ورجع الـى الجزائر ، واما العسكر الجزيري والمركب فاخذه النبطان لانهم محاربون مع الاتراك ، فلما بلغ المركب لمرسى الجزائر قبضت ما كان لنا من الحرير والاثاث والصنادق بالقامرة حتى المكاتب التي كنت دفعت لرئيس المركب يبلغهـم للجزائر دفعهم النصراني للاخر وكلمه ان يقبض خط يده الذي عندنا ، ولما فتحنا صنادقنا وحوائجنا وجدناهم على حالهم لم يفقد منهم قلامة ظفر بعد النهب والانتقال ، فانظر الى هذا الاحتراز وهذا الصدق الذي هو من شأن

المسلمين صار للكفار ، ولو كان هذا لحادث وقع من عساكر المسلمين وتبين فيه التخليط ، وأمر ولاتهم برده ما بلغ على حاله ، بل لم يرجع نصفه ولا ربعه ، ويأخذ منه الحاكم والرئيس والمباشر لقبضه والمباشر لرده والحامل له والمتكلم فيه ، ولا يحصل صاحبه الا على التافه منه ، ولو كان في وقتنا هذا لا يرجع بالكلية وعلى فرض رجوعه يأخذه الذي تسبب في رده نسأل الله العصمة والسلامة من ظلمات الجور بمنه وكرمه

* * *

ولما يسر الله اسبابنا وجهت غلاما لي من الجزائر لفاس يأتينا منها بجواري لنا كنا تركناهم بفاس ويلقانا بهم لتلمسان بقصد القرار بها ووجهت معه مكاتب للاهل والاخوان فيهم مكتوب للفقيه الكاتب السيد «المكي الغازي» الذي هو سمير وانيس للسلطان الجليل **مولانا سليمان ابن مولانا محمد :** وعرفته ببلوغنا للجزائر وعزمنا على المقام بتلمسان ، فلما وصله الكتاب اخبر مولانا السلطان فأمره ان يكتب لنا أمرا شريفا يحضنا فيه على الرجوع للوطن واجتماع الشمل بالاهل والولد **من جملة فصوله :**

كيف بك سمحت في بلدك ، وأهلك وولدك ، واني اعلم انك فررت من الخدمة السلطانية واعرف ذلك من قديم فاني عاهدت الله ورسوله لا اكلفك بخدمة ولا كتابة ولا اقلدك عملا فانك بمنزلة والدنا واشفقنا من حالك وفراقك لاهلك وولدك فاقدم لدارك ولا ترى منا الا ما يسرك ، وقد اسقطت عنك حتى السلام علينا لا نعاتبك بعدمه ، ولك أمان الله ورسوله الذي جئت من حرمه والسلام

وامر اخاه مولانا عبد السلام ان يكتب لنا بمثل ذلك ، وبمثله كتب لنا صهرنا القائد عياد ، ومحبنا القائد احمد اليموري ، والي فاس ، وغيرهم من الاحبة ، وقدم الغلام بجارية واحدة ولم يوجهوا الجميع حيث علموا ما كتب به السلطان واخوه ورجال الدولة ، وبلغ الغلام لتلمسان قبلي فمرض بها بدار صاحب لي كنت اوصيته أن ينزل الجواري عنده فمات الغلام عنده، وكان دفع له المكاتب قبل موته في وعاء ، فلما بلغت تلمسان نزلت بجوار الشيخ أبي مدين ، وبعث وصيفا لي يسأل صاحبي عن خبر الجواري ، فلما بلغه بالمكاتب وسلم واخبرني بموت الغلام وانه لم يات الا بجارية ، فلما قرات المكاتب وجدت كتاب السلطان واخاه ورجال الدولة ، فظهر لي خلاف ما عزمت عليه من سكنى تلمسان ، وقلت هذه بغيتي ولله الحمد على التخلي من هذه الخدمة والامن مما كنت أخافه وحسنت ظني بالله وبامير

المومنين واعتمدت عهده الذي كتب لي وانحدرت الى المغرب ودخلت مدينة فاس من غير ان يشعر بي احد ، وما علم احد بقدومي الا بعد دخولي للدار فانكب علينا الاقارب والاخوان والاحبة بقصد السلام ، وجاء اهل ودنا من رجال الدولة ، وكل من يسلم علينا يقول : الم تسلم على أمير المومنين فأقول لا فيقول لقاؤك معه واجب والسلام عليه متحتم الى أن اعياني امرهم ، وكل يقيم الحجة فحينئذ تبين لي خطأ رايي واسلمت الامر الى الله وما امكنني الا مواجهته والسلام عليه ، فتقدمت لذلك ويسرت هدية من ثياب هندية وطيب نفيس ، فواجهته فأمرني بالجلوس بعد تقبيل يده ، وفرح بقدومي وأخلى لي المجلس وهش وبش وقال والله اني كنت مهموما بسبب فراقك لاولادك ووطنك ، واني متحقق بكراهتك لهذه الخدمة المخزنية ، فالحمد لله الذي جمع شملك ووصلني بشيء من عنده بعد خروجي ، ومن الغد وصلني بصلة ثانية،وطلبني فواجهته ودفعت له مكاتبا وجهها معنا أصحابها من الحرمين ومصر والاسكندرية فأمر بقراءتها عليه ووعد بصلة اصحابها ، وفي ثالث يوم طلبني فواجهته ، ولما طال المجلس ذكر لي امر الولاية بالعرائش، فقلت بارك الله فى عمرك ، فاني ما قدمت للمغرب الا اعتمادا على عهدك الذي فى كتابك وها هو ذا ، واخرجته من جيبي فاني عاهدت الله فى الحرمين الشريفين أن لا آلي عملا بقية عمري ، فاردت من مولانا ان يوفي عهده باعفائي من تقليد امر المسلمين ، فقال اسكت سامحتك واعفيتك ورجعت مطمئن الخاطر وانقطعت عن الوصول لبابه ، ثم بعد مدة وجه لي رسوله وحدثني ساعة وشكا لي امر المراسي التي الى نظر اخيه مولانا الطيب وأن امرهم غير مضبوط ، ومستفادهم مبدد ، فاردت أن تتوجه لذلك فاعدت له المقالة والعهد فقال لا اوليك ولا اقيدك ولا اكلفك كتابة الا بحرس تلك المراسي ، تنظر بعينك لا غير ، فان فى وجودك بها فائدة لان اخي اذا كنت بها يكف يده عن مستفادها ولا يأكل خراجها ، ولا يبذر صائرها فمهما وصلته وراك بها لا يرتكب امرا خارجا عن المعقول ، ويعلم ان ذلك يبلغني من عندك فلا اقبل منك عذرا فى التوجه لحراسة المراسي الا الاجابة ، فتوجهت لثغر طنجة محل ولاية اخية مولانا الطيب ، فبالغ فى الاكرام واحسن الضيافة واجزل الصلة ، وعرف ما جئت بسببه فاظهر البراءة من ذلك وزهد فيه وعف عنه، واوصى خدامه ان يتخلوا عن الدخول فى امر المراسي ومستفادها وكتب بذلك لامناء المراسي ان لا يحدثوا حدثا الا عن راينا ومشورتنا وتوادعت معه وتوجهت للعرائش فاقمت بها شهرا الى ان رتبت امورها ، وضبطت داخلها وخارجها ، وعينت من يوثق به فى ضبط مرساها ، ثم

توجهت لتطوان فاقمت بها شهرا الى ان أحصيت مستفاد مرساها وعينت من يضبطه ثم رجعنا عنها لطنجة بعد سفر المولى الطيب عنها للعرائش . فضبطت مرساها واحصيت خراجها وجمعت مستفاد المراسي الثلاث فى دفتر عن ستة اشهر ، وما قبض فى اعشارها من السلع وبعثت الدفتر لحضرة مولانا السلطان فطالعه واستوعب ما فيه وعرف جملته فوجد واجب الستة اشهر المذكورة ازيد من واجب السنة قبلها ، فتكلم بذلك لخاصته وعرفهم حقيقة الامر ونوه بذلك وكتب لنا بالثناء الجميل، والمنصب الجزيل ، وعزل اخاه عن المراسي الثلاث ، ووجهه لمدينة آنفا بتامسنة الى ان عزله عنها وبعثه لدارهم بفاس ، ثم ولاه بعد ذلك مراكشة لما فتحها عام عشر ومائتين والف ، وبها توفى بالطاعون الذي عم المغرب عام ثلاثة عشر ومائتين والف ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ، فقد كان من سادات العلويين جلالة وفضلا ، وشجاعة وكرما وتحملا ، وتواضعا وحسن خلق وعقل وحلم وعلو همة ، لم يكن فى اخوته بعد أمير المومنين احسن منه

ولما توفى بمراكشة وبلغ خبر موته لاخيه وخبر موت اخيه هشام والحسين وعبد الرحمن والكاتب الكبير ابن عثمان ، بعث لي أمره بالقدوم فوافيته بمكناسة ، واخبرني بموت من ذكرت من اخوته ، ووجهني فى يومي لمراكش لآتي بمتخلف اخيه الخليفة ، واخوته الثلاث ، والكاتب ، فما وسعني الا الاجابة الى ان قضيت الفرض ورجعت بمتخلفهم ، وقلدني امر الكتابة جبرا وقهرا وشرفني بديوان رسائله سرا وجهرا ، ثم نظمني فى سلك حجابته ووزارته ، ثم الحقني بمنصب اهل اماراته ، وتقلبت في مناصب الدولة عدة اعوام ، الى ان حصل الملل وكثرت السعاية من الاقوام ، فنزلت عن المناصب لرتبة النكبة ، ووقفت على باب النردبة ، فكانت هذه النكبة السادسة ، كفارة للذنوب وتوبة ، واذ قدر الله من هذا السلطان هذه النكبة ، عزمت على الجلاء والغربة ، وشغل بالي، وتضاعفت حسرتي وساء حالي ، وما رايت الا التاسي بجميل الصبر فى المضيق والوعر ، والرضى بالمقدور فى جميع الامور ، ويكفي فى مدح الصبر آية سورة السجدة ، ومن احسن ما قيل فى الصبر قول بعضهم :

صبرت على الاقدار صبرا اصابني ... الى ان ينادي الصبر لا صبر للصبر

وقيل :

اني رايت وفى الايام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الآثر
وقل لمن جد فى امر يحاوله ... فاستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وقيـــل :

الصبر ابرك فاستعـد بجـواره عند الحوادث والمهم النـــازل
فلتحمدن جـواره متعجـــلا ولتعطين ثوابـه فى الاجــــل

وقيـــل

سألبس للصبر ثوبا جميـــلا وافتل للصبر حبــلا طويـــلا
واصبر بالرغـم لا بالرضـــى اخلص نفسي قليـــلا قليـــلا

وقيـــل :

صبرت على الايام حتى تولـت والزمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى فان اطعمت تاقت والا تولـت

وقيـــل :

هي النفس ما احملتها تتحمـــل وللدهر ايـام تجـور وتعـدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلـــة واحسن حالات الرجال التفضـل
ولا عار ان زالت عن الحر نعمـــة ولكن عارا ان يـزول التجمــل
وما المال الا حسرة ان تركتـــه وغنم اذا قدمتـــه متعجـــل

فاستخرت الله فى المقام والترحال ، والتوفيق لصالح الاعمال ، فرايت فى عالم النوم كاني بمقام الشيخ سيدي ابي علي أزوره ، اذ دخل علي رجل وقال يا هذا انك غلطت ، حاجتك عند ابي علي اليوسي ، فخرجت مـن مسجد أبي علي وتوجهت قليلا واذا انا بزاوية الشيخ اليوسي اعرفها من قديم ، فعجبت وقلت ان الارض طويت لي او الزاوية انتقلت

ولما دخلت باب الزاوية رايت الرجل على كرسيه وجماعة من الطلبة امامه ، وهو رجل اشيب نحيف الجسم ، وعلى راسه عمامة ، مجرد من الاحرام وهو يقول كانه يقرر للقوم من قرأ قصيدتي المغربي والبستـي لا يحتاج الى مشير ولا خبير ، ففيهما من فصول السياسة والراي والتدبير، ما لم يجتمع فى ديوان صغير أو كبير ، ورفع يديه للفاتحة وقام مجردا فى عباءة ودخل بابا ، وانفصل القوم ، وانتبهت بما رسم كن كلامه فى عقلي ، فلم يكن لي هم الا البحث عليهما عدة اشهر الى ان وقفت عليهما فى حيـــاة الحيوان ، ولما طالعتهما كان فيهما دوائي ، وانثنيت عما كنت اخوض فيه من الاراء وسكنت وحشتي وفوضت امري الى الله وتمسكت بحولـــه ،

واعتصمت بحبله ، وكان السبب فى تاخيري عن السفر من المغرب مرة رابعة ما رايته فى القصيدتين من الحكم والوعظ والتوكل والتخلق باخلاق أهل الخير والصبر والتفويض وغير ذلك ، مما تسمعه فيهما وأثبتتهما فى هذه الرحلة

قال الاسيوطي (1) اتفق من تقدمنا من الايمة ، وعلماء الملة، على ان من حفظ قصيدة اثير الدين الوزير المعروف بالمغربي المسماة اثميد الاماق ، وقصيدة ابي الفتح البستي فقد جمع السياسة الدينية والدنيوية ، ولا يحتاج لغيرهما ، فقد جمعتا من الحكم والمواعظ والسياسة والوصايا ما اجتمع فى تاليف الفقهاء والمحدثين ، والمفسرين والنحاة والمؤرخين والحكماء والمهندسين والصوفية والزهاد ، واهل الورع والعباد ، فان كان حافظهما ذا عقل ودين ، لا يحتاج لمشير ولا معين ، نقله الشيخ الحسن اليوسي عن الاسيوطي من تاليف الدميري (2) صاحب حياة الحيوان، وهذه لاثير الدين ونصها :

صرمت حبالك بعد وصلك زينب	والدهر فيه تغير وتقلب
نشرت ذوائبها التي تزهو بها	ودنت وراسك كالثغالة اشيب
واستنفرت لما راتك وطالما	كانت تحن الى لقاك وتطرب
وكذاك وصل الغانيات فانه	آل ببلقعه وبرق خلب
فدع الصبا فلقد عداك زمانه	وازهد فعمرك مر منه الاطيب
ذهب الشباب فماله من عودة	واتى المشيب فأين منه المهرب
دع عنك ما قد كان فى زمن الصبا	واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
واذكر مناقشة الحساب فانه	لابد يحصى ما جنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته	بل اثبتاه وانت لاه تلعب
والروح فيك وديعة اودعتها	ستردها بالرغم منك وتسلب

1) يعرف بالسيوطي هو جلال الدين عبد الرحمن 1445 ــ 1505 ولد ومات بالقاهرة جال معظم بلاد الاسلام . وألم بجميع المعارف الاسلامية فى عصره ، خلف حوالي 600 مصنف . اغلبها مقتبسة او ملخصة مما كتب السابقون . له : (المزهر) فى اللغة و (الاتقان فى علوم القرآن) وبغية الدعاة وحسن المحاضرة

2) الدميري محمد بن موسى . ولد ومات بالقاهرة 1341 ــ 1405 اديبا اشتغل بالعلم وكان خياطا اشتهر بالتفسير والحديث والفقه والادب له من الكتب : (النجم الوهاج) وملخص شرح الصفدي للامية العجم و (ارجوزة فى الفقه) و (شرح على ابن ماجه) تقوم شهرته على مؤلفه (حياة الحيوان) وهو معجم رتب فيه الحيوان على الالف باء وتحدث عنه حديثا لغويا ووصفيا واخباريا وفقهيا وطبيا وادبيا كما اشتهر بتفسيره فى الاحلام وهو ذخيرة للاخبار والطبيات جمله فى 3 نسخ كبيرة هي المطبوعة ، ومتوسطة وصغيرة وترجم الى اللغات الفارسية والتركية والانجليزية .

وغرور دنياك التي تسعى لهـــا ... دار حقيقتها متـــاع يذهـــب
والليل فاعلم والنهار كلاهـــما ... انفاسنا فيها تعد وتحســب
وجميع ما خلفتـــه وجمعتـــه ... حقا يقينا بعد موتك ينهـــب
تبا لدار لا يـــدوم نعيمـــها ... ومشيدها عما قليل يخـــرب
فاسمع اخي وصية اولاكـــها ... بر نصـــوح للانـــام مجـــرب
صحب الزمان واهله متبصـــرا ... ورأى الامور بما تئوب وتعقـب
لا تأمـن الدهـر الخنـون فانـه ... ما زال قد ما للرجـــال يــؤدب
وعواقب الايـــام فى غصاتـــها ... مضض يذل له الاغر الانجـــب
فعليك تقوى الله فالزمها تفـــز ... ان التقي هو البهي الاهـــذب (1)
واعمل بطاعته تنل منه الرضـــى ... ان المطيع له لديـــه مقـــرب
واقنع ففي بعض القناعة راحـــة ... والياس عما فات منه المطلـــب
فاذا طمعت لبست ثوب مذلـــة ... فبذا اكتسى ثوبالمذلة اشعب (2)
وتوق من غدر النساء امانـــة ... فجميعهن مكايـــد اذ تنصـب
لا تامن الانثى حياتـــك انهـــا ... كالافعوان يراع منه الانيـــب
تفري بلين كلامها وحديثـــها ... فاذا سطتفهي الصقيل(3)الاشطب
والـق عـدوك بالتحيـــة ولتكـن ... منه زمانك خائفـــا تترقـــب
واحذره ان لاقيته متبسمـــا ... فالليث يبدي نابه اذ يغضـب
ان العدو وان تقادم عهـــده ... فالحقد باق فى الصدور مغيـب
واذا الصديـق لقيتـه متملقـــا ... فهـو العـدو وصدقه يتجنـب
لا خيـر فى ود امـرىء متملـق ... حلو اللسـان وقلبـه يتلهـــب
يلقاك يحلف انه بك واثـــق ... واذا تولى عنك فهو العقـــرب
يعطيك من طرف اللسان حـلاوة ... ويروغ عنك كما يروغ الثعلـب
وصل الكرام وان رموك بجفـــوة ... فالصفح عنهم بالتجاوز اصـوب
فاختر قرينك واصطفيه تفاخـرا ... ان القرين الى المقـــارن ينسـب

---

1) اهـذب : اسـرع يقصد من اسرع الى التقـوى

2) هو اشعب الطامع ابن جبير : توفي سنـة 771 م اسمه شعيب مولى لآل الزبيـر ، ويكنى ابـا العـلاء ، نشأ بالمدينة فى ديـوان آل ابى طالب فى القـرن الاول للهجـرة ، وكـان اشعب مليح النادرة ظريفا شديد الطمع فكانوا يلقبونه بالطامـع واشتهر بطيب الصوت وحسن الرواية فى الغنـاء ، ولاشعب نوادر كثيرة فى حرصه وطمعه ، ولكنه كان بارعا فـي الرقص ، قـادرا على اثـارة الضحك بمـا يجري على وجهه وجسده من تغييرات غريبة، ويدلي به من التعليقات اللبقة والردود السريعة ، فصار نديما ومسليا للاشراف والخلفاء يقدر على استخراج اموالهم ويحرص على حضور مآدبهم حتى عرف بالطمع . ونحلت لـه النوادر الصحيحة وغير الصحيحة ، واشعب احد الاشخاص الذين عنى بهم الادب العربي فالفت عنـه الكتب ، واديرت حوله المسرحيات الف منه حديثا توفيق الحكيـم .

3) الصقيـل السيـف

ان الغني من الرجال مكـــــرم   وتراه يرجى ما لديه ويرهـــب
واخفض جناحك للاقارب كلهـــم   بتذلل واغفر لهم ان اذنبــــوا
وذر الكذوب ولا يكن لك صاحبـا   ان الكذوب يشين حرا يصحـب
الفقر شيـــن للرجـــال وانـــه   يزري بمن يدعي الشريف الانسب
وزن الكـلام اذا نطقت ولا تكـــن   ثرثارة فى كل ناد « تطلـــب » (1)
وتوق من عثراته مـــن زلـــة   والمرء يسلم باللسان ويحطـــب
والسر فاكتمه ولا تنطـــق بـــه   ان الزجاجة كسرها لا يشعـــب
وكذاك سر المرء ان لم يطـــوه   نشرته السنة تزيد وتكـــذب
لا تحرصن الحرص ليس بزائـــد   فى الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
ويظل ملهوفا يـــروم تحيـــلا   والرزق ليس بحيلة يستجلـــب
كم عاجز فى الناس ياتي رزقـــه   رغدا ويحرم كيس ويخيـــب
وارع الامانة والخيانة فاجتنـــب   واعدل ولا تظلم يطيب المكســب
واذا أصابك نكبة فاصبـــر لهـــا   من ذا رايت مسلمـــا لا ينكـــب
واذا رميت من الزمان بريبـــة   او نالك الامر الاشق الاصعـــب
فاضرع لربك انه ادنى لمـــن   يدعوه من حبل الوريد واقـــرب
كن ما استطعت عن الانام بمعزل   ان القليل من الورى من يصحب
واحـــذر مخالطـــة اللئيـــم فانـــه   يعدى كما يعدى الصحيح الاجرب
واحذر من المظلوم سهما صائبـــا   واعلم بان دعاءه لا يحجـــب
واذا رايت الرزق عز ببلـــدة   وخشيت فيها أن يضيق المذهب
فارحل فأرض الله واسعة الفضا   طولا وعرضا شرقها والمغـــرب

ومما كتب به عبد الملك بن حبيب السلمي لامير المومنين عبد الرحمن الناصر الاموي (2) امير الاندلس ليلة عاشوراء هذه الابيات :

لا تنس لا ينسك «الرحمن» عاشوراء   واذكره لا زلت فى الاحياء مذكورا
قال الرسول صلاة الله شاملـــة   قولا وجدنا عليه الحق والنـــورا

---

1) وفـي مكـان آخـر تخطب .
2) هو عبد الرحمـن بن محمـد ابن عبد الله بن محمد الاول ، المعروف بالثالث أو الناصـر، ولد سـنة 891 م وتولـى الحكـم وعمـره 21 سنة حكم (912 ـ 961 م) وكـان اميرا (912 ـ 929) وخليفـة (929 ـ 961) مثل عهـد الـذروة التـي بلغهـا حكم الامويين بالاندلس قـد تقلص حتى كـاد يقتصر على قرطبـة وما جاورها . فاظهـر من الحـزم ما جعلـه من أعظم الرجال ، قضى على الثائر عمر بن حفصون ، الـذي خـرج على محمد (852 ـ 56) والمنذر 886 ـ 888 وعبـد الله 888 ـ 912) ... الـخ .

من بات فى ليل عاشوراء ذا سعـــة   يكن بعيشته فى الحق محبـــورا
ومن يوسع فى انفاق موسمـــــــه   ان لا يزال مدى الايام منصـــورا
فارغب فديتك فيما فيه رغبنـــا   خير الورى كلهم حيا ومقبـــورا

فلما بلغته الابيات وكانت خمسة وجه له خمسمائة دينار لكل بيت

قال الشيخ الوفراني (1) فى تاريخه المسمى « صفوة ما انتشر ، مـــن اخبار صلحاء القرن الحادي عشر » ، ان الشيخ العلامة الصالح سيدي عبد الله بن عبد المنعم السوسي الحاحي كان يرى فى العامي الذي لا يحســـن العقائد ولا يفرق بين الرسول والمرسل ، انه اذا تعلم عقائده « وجب » عليه الاغتسال كما يجب على الكافر اذا اسلم ، لكنه لحسن ادبه مع علماء وقته واستيلاف قلوب العامة ، سمى ذلك الغسل غسل البلوغ ، ومعناه انه بقي عليه أول غسل لزمه من جنابة ، لان صحة العبادات ، تتوقف على صحـــة الاعتقادات ، ولذلك كان يامر من تعلم بالاعادة للصلاة من يوم البلوغ ، بل كان يأمر به جميع الواردين عليه حتى من كان ءارفا بعقائده وديانته ، ويراه فى حقه مستحبا وكانه عنده غسل التوبة ، وكان اذا ورد عليه من يسأل عن هذا الغسل ومن نص عليه يقول دعوه فانما أراد الخصومة .

وذكر الشيخ ابو علي اليوسي فى فهرسته أن ابا فارس الرسموكـــي حدثه ان الرجل الصالح عبد الله بن عبد المنعم المذكور ، كان اذا أتاه مـــن يتوب من المريدين يأمره بالاغتسال ، وسمى هذا الغسل غسل البلوغ ، قال : قلت وقد وقع التسليم لهذا الولي من علماء عصره بعد الامتحان الذي صير ما كان خفيا ظاهرا ، وانه لما شاع ذلك عنه فى بلاد السوس وانتهض له نفر من فقهاء المصامدة بقصد نصحه والانكار عليه فيما ابتدعه من هذا الغسل ، فلما جلسوا بين يديه قالوا وجدت هذا الغسل الذي تأمر به النـــاس فى الشريعة ، فقال لهم : هل اطلعتم على الشريعة كلها ؟ فقالوا : اطلعنا على جلها . فقال لهم اجعلوا هذا من البعض الذي لم تطلعوا عليه ، ثم قال لبعض مـــن حوله من الفقراء ، قوموا فسخنوا الماء لفلان يعني احد اولئك الفقهاء فانـــه جنب ليغتسل فتأمل ذلك الفقيه فى نفسه فاذا هو على جنابة قد نسيها ، فقام خجلا ليغتسل ، فلما رأى ذلك اولئك الفقهاء انقطعوا ورجعوا لبلادهم.

---

1) محمد الصغير الوفراني أحد مؤرخي عهد الدولة العلوية عاصر الوزير ايحمدي، وهو الذي أشار عليه بوضع كتاب (روضة التعريف بمفاخر اسماعيل بن الشريف) قد اقتبسه من كتاب (الأنوار الحسنية..) لأحمد بن عبد العزيز، حيث أحصينا ما أخذه منها وقت نشر كتاب الأنوار.

قلت : فانظر لهؤلاء السادات رضي الله عنهم مع علماء وقتنا وصلحائه، فقد وقفت على قصيدة لفقيه افقه ، وأديب وقته ، وهو من صدور الدولة بزعمه (1) ، وأهل الصولة والجولة فيها بلسانه وقلمه ، بلغ فى المقت الى مدح المبتدع الوهبي (2) فى رسالته ، بقصيدة ميمية كانت مرسلة لفضيحته ، وكذب على الله فى نسبتها لامير المومنين ، وامام أهل السنة وابن سيد المرسلين ، وحاشاه ان يطرق خبرها مسامعه ويرتضيه ، أو يطلع على ما رسم فيها ويمضيه ، ولا تقع الا من مبتدع مثله ، ومن يتعاطى مذاهبه ونحله ، وهذه الابيات التي بها يتمشدق ويتقرب بها للمبتدع ، ليس لها طلاوة ولا رونق مطلعها ؟

حق الهناء لكم جيران ذي سلم وبارق واللوا والبان والعلم
قد سدتم انفسا يا أهل كاظمة وساكني المنحنا والواد والاضم

---

1) سينجلي فيما بعد انه يقصد الشيخ الامام السلفي حمدون بن الحاج والزياني هنا لم يستعمل ما سجله لاثير الدين قبل من حكم ومهما يكن فنفي الموضوع طرافة اذ سرعان ما عاد لمدحه فى آخر الكتاب لمجرد انه طلب اليه الترجمانة ليطالعها. وقد قرضها حمدون ضمن من قرضوها .. على ان حمدون بن الحاج السلمي المرداسي، لم يعرف تاريخ الثقافة الاسلامية فى المغرب قبله ولا بعده من ألم بمختلف الدراسات الاسلامية كما ألم بها حمدون بعد ابن رشد : له مؤلفات فى شتى الفنون وديوان اعددناه للطبع

2) الدهبي هنا ليس هو محمد بن عبد الوهاب الزعيم الديني الذي ولد فى العينية بين 1703 – 1792 والذي عاش زمنا بالمدينة وزار سوريا وظهرت دعوته 730 م ولا محمد بن سعود الذي آزر الدعوة ، وانما المقصود من الزياني اولئك الذين حاربوا الحجازيين ثم قتلوا وخربوا باسم الدعوة ، وهم الذين عاصر المؤلف اعمالهم وما قاموا به ازاء آل البيت ، مما لا يتفق والخلق الاسلامي القويم ، مما تراه بعد من كلام الزياني، كما ان الرسالة التي سترد بعد والتي كتبها حمدون بن الحاج باسم المولى سليمان جوابا على رسالة علماء تونس ، لاتقصد الانتصار لهؤلاء وانما للفكرة السلفية بل ان حمدون ناقم علىاولئك الذين استغلوا فكرة محمد بن عبد الوهاب وما كان يهدف اليه ناصره محمد بن سعود من نشر دين الحق . اولئك الذين اعتدوا على الحرمات وسفكوا الدماء ، فحمدون يحيي ابن سعود ويطالبه بقطع دابرهم

ان قمت فينا بامر لم يقم احد به فجوزيت ما يجزاه ذو نعم؟
بقطع اهل الحراب بالحجاز بان يقتلوا أو يصلبوا بلا رحم

ولا ننسى ان حمدون من اكبر المتشيعين لابناء بنت رسول الله بحق ، وفي انتاجه الادبي الذي بين أيدينا والذي لا يزال بعد لم ينشر ما يكفي للدلالة على ان حمدون هو كما وصفنا ومهما يكن فان الزياني قد تأثر بنشأته الى جانب معارفه من رجال الاتراك الذين كان يرى من البرور بعهده ان يعادي اعداءهم الذين كانوا ينتقصون من نفوذهم ، وكلام ابى القاسم مهما حاول ان يبرره ازاء حمدون فهو مما لايليق ان يصدر فى حقه فالجواب سواء اطلع عليه المولى سليمان ام لم يطلع عليه ، فهو جواب عالم سلفي سليم العقيدة . وانما الذي يؤخذ على ابى القاسم هو اتباعه غير الطريق الذي سلكه حمدون رضي الله عنه ، وتلك عقيدة المولى سليمان المشتقة من عقيدة والده الامام السلفي سيدي محمد بن عبد الله رحمهما الله جميعا .

هل المقدس غير واد فاطمـــــة — وهل طوى غير ذي طوى من الحرم
اراك يا وادي الاراك مقتطـــعا — من جنة الخلد فى وهم وفى نسم
وكيف لا ورسول اللـــه تربتـــه — هناك زارية بالمسك والزهـــم
لاطيب يعظم تربا ضم أعظمـــه — طوبى لمستنشق منه وملتثـــم
عليه أزكى صلاة الله ما وفـــدت — حجاج بيت له جاءوه كالجمـــم
وعنه عادوا باوجـــه مبيضـــة — فى رحمة الله ما تخاف من نقـــم

* * *

ثم قـــال :

لا شيء يمنع من حج ومعتمـــر — وزورة تكمن المامول من حـــرم
اذ غدا درب الحجاز اليوم سالكه — اهنـا وامـن من لحامـة الحـرم
قد لاح فيه سعود ما حيا بدعـا — قد احدثتها ملوك العرب والعجـم
سعود بعد سلام الله شاعك مـن — غرب يسير لشرق ضائع النسم
هذا كتاب اليك من محب أتـى — اذا ما تأتي له الاتيان بالقـدم
مخاطبا لك باللسان من قلـم — اذ ما تسنى له تخاطب بفـم
وانه من سليمان وانه باسم اللـ — ـه لا زلت باسم الله أي سمـى
اعلم وقيت الردى بقيت بدر هدى — لبوسا أي ردا من السنا العمـم
ان قمت فينا بامر لم يقم أحـد — به فجوزيت ما يجزاه ذو نعـم
بقطع أهل الحراب بالحجاز بان — يقتلوا أو يصلبـوا بـلا رحـم
او ان تقطع ايديهم وارجلهـم — من الخلاف أو ينفوا من ارضهـم
حتى جرى الماء فى عود الحجاز لان — طلعت سعد سعود غير ملتثـم

واستمر عفا الله عنه على هذا الاسلوب ، وتحمـل ما اثقـل كاهله من الذنوب ، ووالله لو علم أمير المومنين ما اقترفه وجلبه ، لكان من الحين انتقم منه وصلبه ، وان خفف عقوبته سبه وضربه ، والى السجن دفعـه وقربه ، فكيف يمدح المبتدع الضـال ويشكر بل ، ويهجـر ، ام كيف يتقـرب الى من يخيف أهل الحرمين ويمنع زيارة الانبياء والتوسل بهم الـى رب السموات وينهى عن قراءة دلائل الخيرات والدعاء بمقامات الاولياء أهل الكرامات ؟؟؟

* * *

ولما شاع خبره بالمشارق والمغارب ، تبع مذهبه أهل البدع من كل صوب وجانب ، فظهر بمغربنا وبحضرة فاس ، شيطان وسواس خناس ، انضافت له طائفة من خدام الدنيا أهل اليسار ، وتمذهبوا بما يسوقهم لدار البوار وأطباق النار ، فكان ينهاهم عن زيارة الاولياء ، والصلاة والسلام على الانبياء ، ولا يتمسكون بورد من غيره ، وانه يدخلهم الى الجنة باجره ، فاضلهم الله بمعرفته وخدمته ، وافقرهم بعد غناهم لتمسكهم ببدعته ، ولا زالوا على بدعتهم بعد موته ، ويجتمعون على ما سن لهم من رهبا نيتـــه وخبثه ، ابعدهم الله من رحمته .

ثم بعد موته ظهر مبتدع آخر يزعم انه من اشراف أهل بلده ، وممن يشار اليه من اهل الزهد المصنوع بيده ، فانقطع بزعمه عن الناس ، في بيت بمسجد ياتيه اعيان الناس ، فيظهر لهم الزهد في الدنيا ويتصوف وقلبـــه على الدينار والدرهم يتملق ، ثم بعد هذا صار يتكلم بمسائل اعتزالية في سره وجهره ، توذن بزندقته وصفره (1) ، يسمعها منه الخاصة والطلبـــة وأعيان الناس ، ولم يجد ناهيا أوامرا او منكرا لهذا السوسواس الخناس، من امير او حاكم او قاضي ، أو فقيه ذي لسان ماض ، فلا حول ولا قوة الا بالله ، فقد بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا وهذا المبدع الذي يخـــــدع المسلمين بالحيل ، التي لا ءاخر لها ولا اول ، كيف ولو علم منها ما يعد من الكرامات (2) ، ومن يشاهده لا يشك انه من اكبر العلامات ، لا ادعي النبوة وانواع الرسالات ، فاني أعرف الرجل يلقي من يده السبحة فتسعى اليه بعد الاستدعاء ، ولا يرتكب هذا التدليس والافتراء ، ويتكلم على المصباح الموقود فيطفىء ، ويضع الحاجة امام القوم فتخفى ، ويتكلم على المصباح الذي طفي فيشتعل ، وعلى النائم فينفعل ، ويصب الماء في الاناء فيجمد ، ويقرأ على النار فتخمد ، ويكتب المكاتب لمن بالمشرق ويلقيها من خلفه ، ثم يفتحـــها فتوجد اجوبتها كل على وفقه ، ويستخرج اسم الرجل المجهول واسم ابيه وامه ، وقبيلته وفصيلته وقومه ، ويلقي على النحاس المذاب غبارا ، فيصير نضارا ، وعلى الفضة المذابة شيئا فيصير ابريزا عقارا (3) ، وهو زاهـــد في

---

1) يقـال صفـر وطابـه او انـاؤه اي هلـك

2) الكرامة او خارق للعادة غير مقرن بدعوى النبوة ، وليس ارهاصا لها ، ولا استدراجـا، كما يصنع السحرة مثل كرامات الاولياء ، وشأن الولي الا يباهي بكرامتـه لانهـا مظهـر لنعمة الله واكرامه ، والكرامة مقبولة من حيث المبدأ ،سلم بهـا أهـل السنـة ، وكذلك الفلاسفة (ابن سينا ـ اشارات) وانكرهـا المعتزلـة

3) أي كثيـرا على سبيـل التجـاوز .

ذلك ورع فى حيز الاهمال ، لا يلتفت لمنصب ولا جاه ولا مال ، مقبل فى بيته على تسويد الاوراق ، بما شاهده فى الجولان بالافاق .

وهذا مبتدع لم يجدناه من امير ، فرحم الله السلطان ، ابو حمو موسى الزياني (1) ملك تلمسان ، الذي كان لايقبل عثرة من وقع فى ايالته من اهل البدعة بتلك الاوطان ، وكان يقول رحم الله المتنبي الذي يقول :

«السيف أصدق انباء من الكتب » (2)

ومن نظمه « ابو حمو الزياني » هذه القصيدة التي تقدم خبرها وهي :

تذكرت اطلال الربوع الطواسم	وما قد مضى من عهدها المتقادم
وقفت بها من بعد عهد نسيمها	بصبر مناف أو بشوق ملازم
تهيم بمفناهم وتندب ربعهم	وأي فؤاد بعدهم غير هائم
تحن الى سلمى ومن سكن الحما	وما حب سلمى للفتى بمسالم
فلا تندب الاطلال وسل عن الهوى	ولا تقل فى تذكار تلك المعالم
فان الهوى لا يستفز ذوي النهى	ولا يستبى الا الضعيف العزائم
وكل فتى اعطى الغرام قياده	وبات على ضيم فليس بجازم
فمن فاز بالعليا سوى كل ماجد	مشمر ساق الجد ماضي العزائم
صبور على البلوى طهور من الهوى	قريب من التقوى بعيد المئاثم
ومن يبغ درك المعلومات ونيلها	يساوى بحار الشهد مر العلاقم

1) بنو زيان ويعرفون ايضا ببني عبد الواد ، اسرة بربرية حكمت بالجزائر ، وكانت قاعدتها تلمسان (1239 ـ 1554 م) اول ملوكها ابو يحي يغمراس بن زيان ، خلفه اربعة ملوك من صلبه ، وتولى خلفاؤهم الحكم حتى الغزو التركي سنة 1554 م ، باستيلاء صلاح رئيس باشا على تلمسان نهائيا

2) كذا فى الاصل نسبه الى المتنبي ص 113 ، والواقع ان البيت لابي تمام حبيب بن اوس الطائي (788 ـ 846 م) قاله فى قصيدة مدح بها المعتصم العباسي (795 ـ 841) وقت فتحه عمورية من بلاد البيزنطيين الشرقية ، وكان المنجمون ادعوا ان الزمان غير موافق للفتح فلم يبال المعتصم باختلافهم وغزا المدينة فأوتي نصرا مبينا. وفي ذلك قال ابو تمام :

السيف اصدق انباء من الكتب	في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في	متونهن جلاء الشك والريب
اين الرواية بل اين النجوم وما	صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
قد صيروا الابرج العليا مرتبة	ما كان منقلبا او غير منقلب
يقضون بالامر عنها وهي غافلة	ما دار فى فلك منها وفي قطب
يا يوم وقعة عمورية انصرفت	عنك المنى حفلا معسولة الحلب

ولائمـة لمـا ركبنـا الى العـلا ... بحار الردى فى لجها المتلاطـم
تقول بأشفار مرضن من الدمـا ... وتنثر درا من دموع سواجـم
اليك فانا لا يرد اعتزامنـا ... مقالة باد أو ملامـة لائـم
الم تدر ان اللوم لؤم واننـا ... لنجتنب اللوم اجتناب المحـارم
فما فى سوى العليا هممنا صبابة ... اذا هم قوم بالحسان النواعـم
بروق السيوف المشرقيات والقنا ... احب الينا من بروق البواسـم
واما صهيل السابحات لدى الوغا ... فاشجى لدينا من غناء الحمائـم
واحسن من قد الفتاة وخدهـا ... قدود العوالي او خدود الصوارم
اذا نحن جردنا الصوارم لم تعـد ... لاغمادها الابحـر القلاصـم
نواصل بين الهند واني والطلـى ... بتفريق ما بين الكلا والجماجـم
فيرغب منا السلم كل محـارب ... ويرهب منا الحرب كل مسالـم
نقود الى الهيجاء كـل مضمـر ... ونقدم اقدام الاسود الضراغـم
وما كل من قاد الجيوش الى العدا ... يعود الى اوطانـه بالغنائـم
وننصر مظلوما ونمنع ظالمـا ... اذا شيك مظلوم بشوكة ظالـم
ويأوى الينا كل جان ويلتجـي ... ويحميه منا كل ليث مبـارم
الم تر اذ جاء السبيعي قاصـدا ... الى بابنا يبقى التماس المكـارم
وذلك لما ارجفـاه صحابـه ... وكل خليل وده غيـر دائـم
وازمع اخلاصا الينا رسالـة ... بتضمين ود واجب غير واجـم
وكان رأى ان الملامـة بيننـا ... فخلـى لراب الحب داب المناسم
وقال الاهل من عليـم مجـرب ... ابث له ما تحت طـي الحيـازم
ويبلغ عني الان خير رسالـة ... بود الى خير الملـوك الاعاظـم
على ناقة وجناء كالجرف ضامـر ... تجرمها بين القلاص الرواسـم
من الـلاء يظلمن الظليـم اذا عـلا ... وتشبهه فى جيده والقوائـم
اذا نعلت فوق السحاب جرانهـا ... تخيلتها بين السحاب الرواكـم
وان هملجت(1) بالسيرفى وسطمهمه ... تراءت كمثل البرق لاح لشائـم
ولم يامن الخلان بعد اختلالهـم ... فامسى وفى اكباده اي حائـم
فقالوا تحملنا الحمائم قـال لا ... لعبد المدى أو خوف صيد المحارم
وما القصد الا فى الوصول بسرعة ... فقالوا فحملها اكف النواسـم
فقال لنعم المرسـلات وانمـا ... لها السن مشهـورة بالنمائـم
فلم يبق فيه للامانة موضـعا ... وكـل امرىء للسـر ليس بكاتـم

1) حسن سيرهـا

فحينئذ وافا الينا بنفســــــه فكان لدينا خير واف وقـــــادم
يجوب الينا البيد قصدا وبشرنا يضيء له الظماء فى كل عائــــم
طلاب العلا تسري الوحش فى الفلا ويصحب منها كل باغ وباغــم
على سلهب ذي صورتين مطهــم من المعربات الصافنات الضـلادم
اذا شاء اي الوحش ادركه بـــه فتحسبه فى البيد بعض النعائـم
ويقدمه طوعا الينـــا وجــــاءة حمائلنا اياه من كـــل ظالـــم
الا أيها الاتي لظـــل جنابنـــــا نزلت برحب فى عراض المكـــارم
وقوبلت مما اثن للكرم أهلــــه وفاض عليك الجود فيض الغمائم
كذا دائما للقاصدين محلنـــــا حمي وندى ينسى به جود حاتـم
وهذا جواب عن نظامك اننـــــا بعثنا به كاللؤلـــؤ المتناظـــم
ونحن ذوي التيجان من ءال حمير لعمرك ما التيجان غير العمائـــم
بهمتنا العليا سمونا الى العـــلا وكم دون ادراك العلا من ملاحـم
شددنا لها ازرا وشدنا بناءهـــــا وكم مكثت دهرا بغيـــر دعائـم
نظمنا شتيت المجد بعد افتراقــه وكم بات منسى شمله غير ناظـم
ورضنا جياد الملك بعد جماحهــا فذلت وقد كانت صعاب الشكائم
مناقــــب زيانيــــة موسويــــة يذل لها لز الملـــوك القماقـــــم
يقصر عن ادراكها كل مبتـــــغ ويعجز عن احصائها كل ناظـــم
فلله منا الحمد والشكر دائمــــا وصل على المختار من ءال هاشـم
ويختصم منا السلام الاثير مــــا تضاحك روض عن بكاء غمائـــم

* * *

رجوعا لخبر هذا الوهبـي وسبـب مدحـه فانـه لما عات فى اقطـار الحجاز وجزيرة العرب كلها وتعدى عيثه الى الحرمين الشريفين ولم يجد من يعارضه من ملوك أهل السنة ، وجه كتبه الى اقاليم اهل السنة ، يدعوهم لاتباع مذهبه الفاسد ، وبدعته الشنعاء كالشام ومصر وتونس فوجه اهل تونس نسخة من رسالته لفاس ، ونصها بعد :

رسالة محمد بن عبد الوهاب إلى علماء تونس ومنها الى المغرب

نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شر الفسقاء ومن سيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، ونشهد ان محمدا عبده ورسوله ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ، ولا يضر الا نفسه ولا يضر احدا ، وصلى الله على سيدنا محمد

أما بعد فقد قال الله تعالى : « قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني ، وسبحان الله وما انا من المشركين » ، وقال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » وقال تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ، وقال تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت الاسلام دينا » ، فاخبر سبحانه وتعالى انه اكمل الدين واتمه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وامرنا بلزوم ما انزل عليه ، وقال تعالى : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون » ، والرسول صلى الله عليه وسلم قد اخبر ان امته تاخذ ما اخذت الامم قبلها شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، وثبت في الصحيحين وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه » ، واخبر في الحديث الاخر انه ستفترق امته ثلاثا وسبعين فرقة ، كلها في النار الا واحدة ، قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال من كان مثل ما انا عليه اليوم واصحابي ، واذا علم هذا فمعلوم ما جئتم به من حوادث الامور التي اعظمت الاشراك به والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الاعداء وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، التي لا يقدر عليها الا رب الارض والسماوات ، وكذلك التقرب اليهم بالزيارة وذبح القربات ، والاستعانة بهم في كشف الشدائد ، وجلب الفوائد ، الى غير ذلك من انواع العبادات التي لا تصح الا لله ، وصرف شيء من انواع العبادات لغير الله كصرف جميعها ، لانه سبحانه اغنى الاغنياء عن الشرك ولا يقبل من العمل الا ما كان خالصا

لوجهه ، واخبر ان المشركين يدعون الملائكة والانبياء والصالحين « ليقربهم الى الله زلفى » ، ويشفعوا لهم عنده ، واخبر أنه « لا يهدي من هو كاذب كفار » ، وقال تعالى « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض، سبحانه وتعالى عما يشركون » ، واخبر ان من جعل بينه وبين الله وسائط بوسم الشفاعة فقد عبدهم واشرك به ، واذا كانت الشفاعة كلها للهكما قال تعالى : « قل لله الشفاعة جميعا » فلا يشفع احد عنده الا باذنه » « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » ، وقال تعالى : يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمان ورضي له قولا » ، وهو سبحانه لا يرضى الا التوحيد كما قال تعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى » ، فالشفاعة حق ، ولا تطلب الا من الله كما قال تعالى « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » ، وقال تعالى « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين »

فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء ، وصاحب المقام المحمود ، وءادم فمن دونه تحت لوائه لا يشفع الا باذنه ، ولا يشفع ابتدء بل ياتي فيخر لله ساجدا فيحمد انعامه بمحامد نعمه اياما فيقول له ارفع راسك وسل تعطى واشفع تشفع ثم يحد له حدائد يدخلهم الجنة ، فكيف بغيره من الانبياء والاولياء ، وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه احد من المسلمين ، قد اجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والايمة الاربعة وغيرهم ، ممن سلك سبيلهم ودرج على منهاجهم، وما حدث من سؤال الانبياء والاولياء من الشفاعة بعد موتهم ، وتعظيم قبورهم ، ببناء القباب عليها ، واسراجها والصلاة عندها ، واتخاذها اعيادا وجعل الصدقة والنذر لها ، فكل ذلك من حوادث الامور التي اخبر بوقوعها صلى الله عليه وسلم وحذر امته منها ، وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « لاتقوم الساعة حتى يلحق حي من امتي بالمشركين وحتى تعبد اقوام من امتي الاوثان ، وهو صلى الله عليه وسلم حمى حماية الدين وحمى جانب التوحيد اعظم حماية ووسم كل طريق موصل الى الشرك فنهى أن يجصص القبر ويبني عليه كما ثبت فى صحيح مسلم من طريق جابر ، وثبت فيه لفظ انه بعث علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وامره الا يدع قبرا مشرفا الا سواه ولا عاليا الا طمسه . ولذا قال غير واحد من العلماء، يجب هدم القباب المبنية على القبور لانها اسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل

الامر الى ان قاتلونا وكفرونا ، واستحلوا دماءنا ، وأموالنا ، حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم ، وهو الذي ندعوا الناس اليه ونقاتلوهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، واجماع السلف الصالح من الائمة ، ممثلين قوله تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان ، دعوناه بالسيف والسنان ، كما قال تعالى : « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد » الى ايقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام ، ونامر بالمعروف وننهى عن المنكر ، كما قال تعالى « الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » ، فهذا الذي نعتقده وندين لله به ، فمن عمل ذلك فهو اخونا مسلم ، له مالنا ، وعليه ما علينا ، ونعتقد أيضا ان امة محمد صلى الله عليه وسلم المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة ، وانه لا تزال طائفة من امته على الحق منصورة ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم على ذلك » ، انتهى

ولما بلغت هذه الرسالة لفاس تصدى للجواب عنها الفقيه الاديب حمدون بن الحاج لبراعته وبلاغته ، فضمن الجواب عنها فى قصيدة مدحه فيها ولم يتعرض لبدعته وذمه والرد عليه فيما قدمنا ذكره ، وبعد أن توجهت الرسالة مع ركب الحاج وردت نسخة من جواب اهل تونس لسعود الوهبي من املاء قاضيها ، ابي حفص بن مفتيها ، ابي الفضل قاسم المحجوب الحسني ولما طالعه حمدون سقط فى يده ، وعلم انه اخطأ فى مدحه ، ووقع فى الملامة بين ابناء جنسه (1)

---

1) لم نكلف النفس عناء البحث عن عمر بن قاسم وانما نستدل من كلام الزياني ومن الرسالة نفسها ان مفتي تونس هذا وليس علماؤها لم ينتصر لفكرة السلفية التي ظهرت على يد محمد بن عبد الوهاب ، كما حصل من حمدون بن الحاج رضي الله عنه وكيف ينتظر هذا من قوم كانوا تحت نفوذ آل عثمان الد اعداء دعاة الفكرة . كما اننا لو استوعبنا الحياة الفكرية فى ذلك العهد لوجدنا من العلماء التونسيين من كانوا يدلون بآراء) ميدان الاصلاح والنظريات السليمة التي انتجت امثال النخلي صاحب المساجلات مع الشيخ محمد عبده فيما بعد ، وخير الدين ، والخضر حسين وغيرهم
غير اننا نعود فنقول ان الوازع الذي دفع بأبى القاسم الى الانكار على غزاة الحرمين هو نفسه الذي حدا بقاضي تونس كما يفهم من كلامه « مخاطبا المشرف القائد .. « اما ما قدمت عليه من قتال اهل الاسلام ، واخافة اهل البلد الحرام ، والتسلط على المعتصمين بكلمتي الشهادة ، واضرمتم نار الحرب بين المسلمين وخلعتم من اعناقكم ربقة الطاعة والدين .. الخ »
وجملة القول ان رسالة القاضي عمر بن قاسم تتضمن من الحجج ما يدعم نظرية صاحبها وتقوم بالحجة على المعنى بها ، فهي تنهج نهج السلف مع بعض التناقض المحتمل .

جواب التونسيين على رسالة محمد بن عبد الوهاب

ونص جواب قاضي تونس بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ، ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ، يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون ، يا ايها الذين ءامنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد الى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان .

أما بعد هذه الفاتحة ، التي طلعت فى سماء المفاتحة ، فانك راسلتنا توهم انك القائم بنصرة الدين ، وانك تدعو على بصيرة بما عاد اليه سيد الاولين والاخرين ، وتحث على الاقتفاء والاتباع، وتنهى عن المخالفة والابتداع واشرت فى كتابك الى النفرة عن الفرقة واختلاف العباد ، فاضحيت كما قال تعالى : « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا .. الى الفساد» وزعمت ان الناس قد ابتدعوا فى الاسلام امورا ، واشركوا بالله من الاموات جسورا ، فى توسلهم بمشاهد الاولياء عند الازمات ، وتشفعهم بهم فى قضاء الحوائج ونذر النذور بالقربات ، وغير ذلك من انواع العبادات ، وان ذلك اشراك برب الارضين والسموات ، وكفر قد استحللتم به القتال وانتهاك الحرمات ، ولعمر الله انك قد ضللت واضللت ، وركبت مراكب الطغيان بما استحللت ، وشنعت وهولت ، وعلى تكفير السلف والخلف عولت ، وها نحن نحاكمك الى كتاب الله المحكم ، والى الاحاديث الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم ، أما ما قدمت عليه من قتال اهل الاسلام ، واخافة اهل البلد الحرام ، والتسلط على المعتصمين بكلمتي الشهادة ، واضرمتم نار الحرب بين المسلمين ، وخلعتم من اعناقكم ربقة الطاعة والدين ، قال تعالى : « يا أيها الذين ءامنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا .. الى مغانم كثيرة » ، وقال عليه السلام : « امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » .

وحيث كنت لكتاب الله معتمدا ، ولعماد السنة مستندا ، كيف بعد هذا ويحك تستحل دماء اقوام بهذه الكلمة ناطقون ، وبرسالة النبي مصرحون ، ولدعائم الاسلام يقيمون ، ولحوزة الايمان يجاهدون ، ولعبدة

الاصنام يقاتلون ، وعن التوحيد يناضلون ، وكيف قذفتم انفسكم فى مهوات الالحاد ، ووقعتم فى شق العصا والسعي فى الارض بالفساد

واما ما قلته عليهم فى تكفيرهم بزيارة الاولياء والصالحين ، وجعلهم واسطة بينهم وبين رب العالمين ، وزعمت ان ذلك شنشنة الجهال الماضين، فنقول لكم فى جوانبه معاذ الله ان يعبد مسلم تلك المشاهد ، وأن ياتيها معظما لها تعظيم العابد ، وأن يخضع لها خضوع الجاهلية للاصنام ، وأن يعبدها بركوع او سجود او قيام ، ولو وقع ذلك من جاهل لانتهض اليه ولاة الامر والعظماء (1) ، وانكره العارفون والعلماء ، وأوضحوا للجاهل المنهاج القويم ، وهدوه الصراط المستقيم ، واما ما جنحت اليه وعولت فى التفكير عليه ، من التوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الاعداء وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها الا رب الارض والسماوات ، الى ءاخر ما ذكرته مرشدا به حيران الفرقة والشتات ، فقد اخطأت فيه خطأ مبينا ، وابتغيت فيه غير الاسلام دينا ، فان التوسل بالمخلوق مشروع ، ووارد فى السنة القويمة ليس بمحظور ولا ممنوع ، ومشاع الحديث الشريف بذلك مفهمه ، وادلته كثيرة محكمة ، تضيق المهايع عن استقصائها ، ويكل البارع اذا كلف باحصائها ، ويكفي منها توسل الصحابة والتابعين ، فى خلافة عمر ابن الخطاب امير المومنين ، واستسقائهم عام الرمادة بالعبّاس ، واستدفاعهم به الجدب والباس ، وذلك ان الارض اجدبت فى زمن عمر رضي الله عنه وكانت الريح تدر كالرماد لشدة الجدب فسمي عام الرمادة ، لذلك فخرج عمر رضي الله عنه يستسقي الناس ، ومعه عم الرسول صلى الله عليه وسلم العباس (2) ، فأخذ عمر رضي الله عنه بضبعيه (3) ، واشخصه قائما بين يديه ، وقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك فانك تقول وقولك الحق « واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته

---

1) هذا مردود لان ولاة الامر فى المشرق وقتذاك كانوا لا يتمتعون بوعي اسلامي سليم . وكفى ان نستدل بما ورد في الكتاب الذي بين ايدينا ، وكيف كان صاحب تونس يعقر الخمر اختلاسا فى مجلسه مع الزياني . وكذلك ما كان عليه كبراء وامراء آل عثمان انفسهم.

2) العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى (652 م) اسن منه بسنتين او ثلاث حتى سمي اخاه ، اشتغل بالتجارة ، وكان ايسر بني هاشم ، كفل جعفر ابن ابى طالب كما كفل النبي عليا عليهما الصلاة والسلام . تولى السقاية بعد ابيه وانتصر للنبي(ص). وان كان لم يسلم بعد موت ابى طالب ، وشهد بيعة العقبة الثانية ، أسر في بدر وفدى نفسه ثم اسلم سرا . عند فتح مكة خرج بأهله واستقبل النبي ، واستمر في تولي سقاية الحجيج ، وقف الى جانب النبي فى غزوة حنين ، وعمر بعده طويلا ، وهب داره في خلافة عمر بن الخطاب (ض) لتوسيع المسجد المدني ، واليه يصعد العباسيون .

3) البعير : أسرع في سيره فمد ضبعيه .

كنزلهما وكان ابوهما صالحا » ، فحفظتهما لصلاح ابيهما ، فاحفظ امة نبيك فى عمه ، ثم اقبل على الناس فقال :

استغفروا ربكم انه كان غفارا ، والعباس عيناه تنضحان وهو يقول : اللهم انت الراعي لا تهمل الضالة ولا تذر الكبير ، بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ، ورق الكبير وارتفعت الشكية ، وانت تعلم السر والخفية ، اللهم اغنهم بغنائك قبل ان يقنطوا فيهلكوا وانه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون ، اللهم فاغثهم بغياثك فقد تقرب القوم بي اليك لمكاني من نبيك عليه السلام ، فنشأ السحاب وقال للناس اترون ثم تلاءمت ، واستتمت وماست فيها ريح ثم هدت ودرت ، ثم اقلعوا الحدا واقلعوا المئازر وخاضوا الماء الى الركب ، وعاد الناس يتمسحون بردائه ويقولون انا لنسالك بساقالحر فامد الله به الحياة واخصب البلاد ورحم العباد .

فاخبرني يا اخا العرب : هل تكفر بهذا التوسل عمر بن الخطاب وتكفر من حضر معه من الصحابة والتابعين لكونهم جعلوا بين الله وبينهم واسطة من الناس ، وتشفعوا الله بالعباس ، وهل اشركوا بهذا الصنيع مع الله غيره ، وما منهم الا من انهضته للدين القويم غيره ، كلا والله انهم بالله وتالله ، بل مكفرهم هو الكافر ، والحائد عن سبيلهم هو المنافق الفاجر ، وهم أهدى سبيلا ، واقوم قيلا ، وقد قال عليه السلام : اقتدوا بمن بعدي بابي بكر وعمر ، واذا قدحت فى هؤلاء من الصحابة الدين من جملتهم عثمان ابن عفان وعلي ابن ابي طالب وغيرهما ، فمن أين وصل لك هذا الدين ، ومن رواه لك مبلغا عن سيد المرسلين ، ثم ما تصنع يا هذا فى الحديث الاخر الذي رواه مسلم (1) فى صحيحه مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم في اويس انه اخبره عليه السلام وهو من النبوءة وامر عمر بطلب الاستغفار منه وانه طلب منه ذلك واستغفر له وقد قال تعالى عن اخوة يوسف « يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين » ، فالزائر للاولياء والصالحين، فاما أن يدعو الله لحاجته ، ويدعو ذلك الولي فى انجاح قضيته ، كفعل عمر

---

1) مسلم : هو ابو الحسن الحجاج القشيري (817 – 875) احد ائمة الحديث ولد بنيسابور وطلب الحديث صغيرا ، رحل الى العراق والحجاز والشام ومصر ، وتردد على بغداد وحدث فيها اخذ عنه احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه ، وتتلمذ للبخاري. وضع عدة كتب فى الفقه والحديث عرف منها (الصحيح) وهو في مقدمة كتب الحديث الستة يجيء بعد صحيح البخاري . لان مسلما لم يتحرز فى الرواية تحرز البخاري فيروي عن متقني الحفظ ، كما يروي عن المستورين والمتوسطين يشتمل صحيح مسلم على 7275 حديثا بالمكرر و 4000 بحذف المكرر ، سهل الماخذ يرد فيه الحديث فى مكان واحد ، من اشهر شروحه المنهاج للحافظ النووي .

فى الاستسقاء ، او يستمد من المزور الشفاعة له ، وامداده بالدعاء له ، كما فى حديث اويس القرني ، اذ العلماء والاولياء كالشهداء الاحياء ، فى قبورهم، وانما انتقلوا من دار الفنا الى دار البقاء ، فاي حرج بعد هذا يا أيها القائم للدين ، فى زيارة الاولياء والصالحين ، وأي منكر تقوم بتغييره ، وتقتحم شق العصا واخراج سعيره ، ولعلك من المبتدعة الذين ينكرون انواعا كثيرة من الشفاعة ، ولا يثبتونها الا لاهل الطاعة ، كما أنه يلوح من كتابك انكار كرامات الاولياء ، وعدم نفع الدعاء ، وكلها عقائد عن السنة (1) زائفة وعن الطريق المستقيم زائغة وقولكم ما قلتموه لا يخالف فيه أحد من المسلمين ، افتراء مبين والحاد فى الدين ، لان اهل السنة يثبتون لغير الانبياء الشفاعة كالعلماء والصالحين ، وءاحاد المومنين ، فمنهم من يشفع لقبيلة ، ومنهم من يشفع لاحاد الناس كما ورد ايضا ان اويس القرني يشفع فى مثل ربيعة ومضر (2) ، واما المعتزلة (3) فانهم منعوا شفاعة غير النبي صلى الله عليه

---

1) الشفاعة لغة طلب المعاونة ، واصطلاحا التوجه الى الله ان يتجاوز عن ذنوب المومنين، وشفاعة فى الخاطئين ، وهي مقبولة من كل من يتوجه بها ، وخاصة الانبياء والملائكة والشهداء ، والاولياء ، والشفاعة الكبرى فى اليوم الآخر مقصورة على محمد صلى الله عليه وسلم ويرى المعتزلة انه لا شفاعة فى الذنوب ، وانما هي مقصورة على طلب زيادة الخير والثواب للمومنين

2) راجع جدول القبائل العربية الذي وضعناه

3) المعتزلة مدرسة من مدارس الكلام الاسلامية ، ظهرت فى اخريات القرن الاول للهجرة، وبلغت شأوها فى العصر العباسي الاول ، يرجع اسمها الى اعتزال امامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري ، لقول واصل بان مرتكب الكبيرة ليس كافرا ولا مؤمنا ، بل هو فى منزلة بين المنزلتين ، خلافا لما يقول الخوارج من ان مرتكب الكبيرة كافر. ولما تقوله المرجئة ، من ان مرتكب الكبيرة مؤمن ولكنه فاسق بالكبيرة ، ولما اعتزل واصل مجلس الحسن ، وجلس الزاهد عمر بن عبيد الى واصل بن عطاء ، وتبعهما انصارهما ، قيل لهم معتزلون أو : معتزلة

وامتازت هذه المدرسة بحرية الفكر ، والاعتداد بالعقل ، وقوة الحجة ، ولهذه المدرسة فرعان رئيسيان احدهما بالبصرة ، ومن اشهر رجاله ابو حذيفة واصل بن عطاء الغزال (700 – 749م) والذي هاجر من المدينة الى البصرة وهو مؤسس مذهب المعتزلة في (العدل والتوحيد) وعمر بن عبيد صديق المامون قبل ولايته ، وابو الهذيل، وابراهيم النظام ، والجاحظ

واما الفرع الثاني فاشهر رجاله : بشر ابن المعتز ، وابو موسى المردار ، وثمامة بن الاشرس، واحمد بن ابي داود ، وكلهم رفضوا الوظائف الادارية ليتفرغوا للبحث والمناظرة ، ثم انغمسوا فى السياسة

وللمعتزلة اصول خمسة يدور عليها المذهب ، واهمها العدل والتوحيد ، ولذلك اشتهروا بانهم اهل العدل والتوحيد ، ولهم اصول ثلاثة اخرى هي :

أ – المنزلة بين المنزلتين . ب – الوعد والوعيد . ج – الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في العدل والتوحيد : نفوا ان يكون لله صفات ازلية ، من علم وقدرة وحياة وسمع وبصر غير ذاته ، بل الله عالم قادر وحي وسميع وبصير ، وبذاته الواحدة التي

وسلم ، ولم يثبتوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا الشفاعة العظمى من هول الموقف ، والشفاعة للمومنين المطيعين او التابعين فى رفع الدرجات ولم يثبتوا الشفاعة لاهل الكبائر الذين لم يتوبوا فى النجاة من النار ، بناء على مذهبهم الفاسد فى التكفير بالذنوب ، وانه يجب عليهم التعذيب .

واما ما جنحت اليه من هدم ما بني على مشاهير الاولياء من غير تفرقة بين العامر والخراب ، فهي الداهية الدهماء والعظيمة العظمى ، من الظلم التي اضلك الله فيها على علم ، واقعدك منها فى المقعد المقيم ، واقامك على مطية العذاب الاليم ، قال تعالى : « ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ، لهم فى الدنيا خزي ، ولهم فى الاخرة عذاب عظيم » ، وكنت سمعت فى المحاضر ، بعض الاحاديث الواردة فى النهي عن البناء على المقابر ، فتلقيته مجملا من غير بيان ، واخذته جزافا من مكيال ولا ميزان ، وجعلت ذلك وليجة الى ماتقلدته من السرق (1) والطغيان ، فى هدج ما على قبور الاولياء والعلماء من البنيان ، ولو قاضيت الايمة ، واستهديت هداة الامة ، الذين ولجوا من الشريعة لججها ونتجوا نتيجتها ، وعالجوا عمارها ، وركبوا ثيارها ، لاخبروك ان محل ذلك محل الزجر ومطلع ذلك الفجر ، فى البناء فى مقابر المسلمين الهداة لدفن عامتهم لا على التعيين لما فيه من التحجير على بقية المستحقين ، ونبش عظام السابقين

واما ما يبنيه المسلمون او الكفار فى املاكهم المملوكة لهم ، ليصلوا بمن يدفن هناك حبلهم ، فلا حرج يلحقهم ، كما لا تحجير عليهم فى بناء املاكهم

لا كثرة فيها ، ولا تعد ، ولا صفات زائدة عليها ، وبتوحيد الذات الالهية ابطل المتزلة مذهب الثنوية من الفرس القائلين بمبداي النور والظلمة ، وحاربوا مذهب المشبهة الذين ياخذون بعض آيات القرآن بماظاهرها ، فيشبهون الله بالانسان أو بالجسمانيات وذهبوا فى العدل الى ان الله عادل ، وانه انما يقصد باعماله الى خير العباد وصلاحهم ، لان الله لايصدر عنه الشر ، وانه يثيب الانسان ويعاقبه بحسب عمله الذي يخلقه الانسان بقدرته وارادته وهم بهذا الاصل ينقضون مذهب الجبرية. وبخاصة مذهبالجهمية الذين يسلبون الانسان قدرته على خلق افعاله . وينظرون اليه على انه مجبر تجري الافعال عليه ولا تصدر عنه .

ويذهب المعتزلة الى ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على كل مسلم ، وانه لابد من مجاهدة كل من يخالف اوامر الله ونواهيه ، ويرون ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يصح أن يكونا بالقلب ، فاذا لم يكف القلب فباللسان ، واذا لم يكف اللسان فباليد ، والا فبالسيف .

ومن كتب الفرق والكلام التي عرضت لاصول المعتزلة ومذاهبهم 1 ـ مقالات الاسلاميين للاشعري . 2 ـ الفرق بين الفرق ، للبغدادي . 3 ـ الملل والنحل ، لابن حزم 4 ـ الكتاب المغنى ، للقاضي عبدالجبار المعتزلي وهو اوفى مرجع فى مباحثالمعتزلة ومذاهبهم

(1) سرق سرقا : الامر اغفله ـ جهله ـ اخطاه .

دورا او وحدانينا ومساجد ، كما لا حرج عليهم فى جعلها قبابا او مقامات او مساجد ، ثم ليتك اذ تلقيت هذا منهم ، ووعيته عنهم ، أن تعيد عليهم السؤال ، وتشرح لهم نازلة الحال ، وهل يجوز بعد الوقوع هدم ما بنى على الوجه الممنوع ، وهل هذا التخريب محظور او مشروع ، فاذا اجابوك انه من معالم الانظار ، ومحل اختلاف العلماء والنظار ، وان منهم من يقول بابقائه على حاله ، رعيا فى اتلاف ماله ، وان له شبهة فى الجملة تحميه ، وفى ذلك منفعة لمن ياويه ، وتطيب نفسه عن حقه وترضيه ، ومنهم من شدد النكير ، وابى الا الهدم والتغيير ، فاذا تحقق عندك هذا فكيف تقدم هذا الاقدام ، وتخوض مزالق الاقدام ، وتطلق العنان وتحمل السنان .

هذا ما كتب من الجواب ، والباقي اخرجه من نسخ غير هذا الصواب، فلذلك تركت كتابه لما فيه من الارتياب .

قلت وقد بقي على هذا المجيب فصل ءاخر وهو قول الوهبي : « فنصرنا الله عليهم وظفرنا بهم » نقول فى جوابه انما الاعمال بالخواتم قال تعالى : « انما نملي لهم ليزدادوا اثما » « وان الله يمهل على الظالم حتى يأخذه ، فاذا أخذه لم يفلته » فانظر يا ممروق الى عاقبة امرك ، وقطع اصلك وفرعك ، وطردك فى البلاد شريدا ، وعن حرم الله ورسوله طريدا وحيدا ، وعن مسقط راسك بعيدا ، وسيوف اهل السنة لم تبق من اهل بدعتكم والدا ولا وليدا ، فالمنة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين ، الذين يحمون اهل هذا الدين ، من اهل البدع والبغاة ، ويقطعون دابر الفجر والطغاة ؟ .

* * *

فانظر يا مولانا الامام ، وعلم الاعلام ، ما بين هذا الجواب ، وبين جواب المادح للكذاب ، الحائد عن نهج الصواب ، كما بين السماء والثرى ، وما بين رومة والحرى ، وما بين الحلال والحرام ، وما بين اهل الفضل واللئام ، وبعد ما فرغت من هذا التاليف ورد علينا الخبر مع الذين حجوا فى متم عام 1233 ه ان عسكر الامير احمد (1) ين علي صاحب مصر والحجاز هزموا

1) كذا فىا لاصل : احمد بن علي بل هو محمد علي اليوناني (ولد بقولة من ارض اليونان) سنة 1769 م كان يتاجر فى الدخان بعدما ترك وظيفه الصغير ، شارك فى الحملة ضد نابليون الذي غزا مصر (25 يونيه 1799) رجع الى مصر كقائد لكتيبته الالبانية ، ارتقى في سلك الجندية ، ثم بعدها ولي حكم مصر بسبب تضايق المصريين من خورشيد 1805م انتصر على الانجليز فى حملة فريزر 1807م ، وتلك بداية انتصاراته الكبرى حيث نال رضا السلطان وقضى على المماليك الد اعدائه فى مذبحة القلعة 1811 م

القائم بامر الوهبية ، وتبدد شمل من معه من الوهبية ، وقبض باليد واتوابه اسيرا لمصر مصفدا فى الحديد ، وتفرقت جموعه ووجه به صاحب مصر للاصطنبول للسلطان محمود (1) العثماني اعانـــه الله فالحمد للـــه رب العالمين ، وهذه قصيدة ابي الفتح علي ابن محمد البستـــي (2) اتيـت بها بتمامها لما اشتملت عليه من الحكم والمواعظ ، وما جلبت مـــن المحامـــد والمناقب والفوائد ونصها :

زيادة المرء فى دنيـــاه نقصـــان ... وربحه غير محض الخير خسران
وكل وجد ان حظ لا ثبات لـــه ... فان معناه فى التحقيق فقـــدان
يا عامرا لخراب الدهر مجتهـــدا ... بالله هل لخراب الدهر عمـــران
ويا حريصا على الاموال يجمعها ... نسيت ان سرور المال أحـــزان

وضع اسس حكمه بتغلبه على الوهابيين ببلاد العرب 1811 ـ 19 على يد ابنه وخلفـه ابراهيم باشا الذي اخمد ثورتهم وقضى على حكمهم بموت سعود الكبير 1814 مع ان هذا الاخير عرفه التاريـخ بالذكـاء والعلم وحسن التدبيـر
وبعد حكم آل عثمان دخلت الجزيرة العربية فى مرحلة شبيهـة بمرحلـة ملـوك الطوائف: الادريسي محمد بن علي 1876 ـ 1923 فى صبيا وعسير . والحسن بن علي 1856 ـ 1908 فى الحجـاز . وعبد العزيـز بن عبد الرحمـن الفيصـل آل سعـــود 1880 ـ 1953 م فى الرياض ونجد . واما فكرة محمد بن عبد الوهاب فقد انحرف عنها المتأخرون وباسمهـا السيـر ما قامت من اجله ، فهي فكـرة لم تقـم لعداء أحـد فضلا عن آل البيت الذيـن لايصح الايمان الا بحبهم ، وهي لم تقم لمحاربة كل من امر بمعروف او نهى عن منكر من رجال الاصلاح الدينيين والسياسيين بل هي ايضا ليست لخدمة مصالح احد بقدر ما هي لصالح دين المسلمين ودنياهم ، وتذكيرهم بالواجب الحق الذي كان عليه السلف الصالح ... فأيـــن هـــي اليـــوم ؟ ؟ ؟

1) هـو محمود الثاني ، سلطان تركيا ولد (1784) وتولى السلطنة من (1808 الى 1839) حيث اجلس على العرش بعد خلع اخيه مصطفى 4 ، واصل اصلاحات ابن عمه سليم 3 استمرت فى عهده الحرب الروسية التركية (1806 ـ 1812) ونقدت فيها تركيا بسارابيا ، ولكنهـا عوضتها باسترجاع صربيا (1813) اخمد ثورة علي باشـا والـي يانينا ، كمـا قضـى على ثورة اليونانيين فى المرحلة الاولى من حرب الاستقلال اليونانية بمساعدة محمـد علـي والي مصر ابـاد 1826 فرق الانكشارية لتمردهم على النظام ، عادت روسيا الى محاربته (1828 ـ 29) لارغامه على منح بلاد اليونان استقلالا ذاتيا ، غزا محمد علي فـي عهـده سوريا وفلسطين والاناضول بجيش قاده ابنه ابراهيم باشا (1833 ـ 1839) لكنـه رغـم انتصاراته الباهرة قد حرمته روسيا وانجلترا من جنى ثمـار جهوده (معاهدة لندن 1841) وقد مات محمود الثاني 1839 قبل ان تصله انباء اندحـار جيشه فى معركة خريب وتسليم الاسطول التركـي لمحمد علي بالاسكندريـة .

2) هو ابو الفتح علي بن محمد البستي توفى سنة (1010م) من كتـاب الدولـة السامانية فى خراسان ولد بسجستان ، ومات غريبا فى بخـارى ، رفعه الامير سبكتكين ، لـه ديـوان شعر لا يجمع كل شعره ، تقوم شهرته على القصيدة التي اوردها ابـو القاسـم هـذه (زيادة المرء فى دنياه نقصان) وقد اوردها ابو القاسم بغير مناسبة الا ما كان من حالته التي آل اليها بعد انقطاعه عن العمل خصوصا وان حمدون بن الحاج اصبح صاحب الجـواب عن رسالة التونسيين فيما يخص الوهابيين اصبح يتمتع بجاه عريض لدى المولى سليمان؟! واليه يشير بقـول الشاعـر : (وما اخـا الشيب لو نصحت نفسك) الـخ القصيـدة وهـو غيـر محـق في ذلك .

دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها   فصفوها كدر والوصل هجران
واوع سمك امثالا افصلها   كما يفصل ياقوت ومرجان
احسن الى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الانسان احسان
وكن على الدهر معوانا لذي امل   يرجو نداك فان الحر معوان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة   اليه والمال للانسان فتان
من كان للخير مناعا فليس له   عند الخليقة اخوال واخوان
لا تخدشن بمطل وجه عارية   فالبر يخدشه مطل وامنان
حسب الفتى عقله خلا يعاشره   اذا تجافاه اخوان وخلان
لا تستشر غير ندب حازم فطن   قد استوت منه اسرار واعلان
وللتدابير فرسان اذا ركضوا   فيها وبروا كما للحرب فرسان
من رافق الرفق فى كل الامور فلم   يندم رفيق ولم يذممه انسان
ولا تكن عاجلا للامر تطلبه   فليس يحمد قبل النضج عجلان
هما رضيعا لبان حكمة وتقى   وساكنا وطن مال وطغيان
من مد طرفا بفرط الجهل نحوهوى   غطى على الحق يوما وهو حرمان
من استشار صروف الدهر قام له   على حقيقة طبع الدهر برهان
من عاشر الناس لاقى منهم نصبا   لان طبعهم بغي وعدوان
ومن يفتش على الاخوان مجتهدا   فجل اخوان هذا الدهر خوان
من يزرع الشر يحصد فى عواقبه   ندامة ولحصد الزرع ابان
من استنام الى الاشرار نام وفى   قميصه منهم صل وثعبان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم   وعاش وهو قرير العين جذلان
وان اساء مسيء فليكن لك فى   عروض زلته صفح وغفران
اذا نبا بكريم موطن فله   وراءه فى بسيط الارض اوطان
لا تحسبن سرورا دائما ابدا   من سره زمن ساءته ازمان
يا ظالما فرحا بالعز ساعده   ان كنت فى سنة فالدهر يقظان
يا ايها العالم المرضي سيرته   ابشر فانت بغير الماء ريان
دع التكاسل فى الخيرات تطلبها   فليس يسعد فى الخيرات كسلان
صن حر وجهك لا تحتك غوائله   فكل حر لحر الوجه صوان
لا تحسب الناس طبعا واحدا فلهم   غرائز لست تحصيها والوان
من استعان بغير الله فى طلب   فان ناصره عجز وخذلان
واشدد يديك بحبل الله معتصما   فانه الركن ان خانتك اركان
لا ظل للمرء يغني عن تقي ورضى   وان اظلته اوراق وافنان

سحبان(1) من غير مال باقل حصر(2) ... وباقل فى ثرى للمال سحبان
والناس اخوان من واتته دولته ... وهم عليه اذا خانته اعوان
يا رافلا فى الشباب الرفل منتشيا ... من كأسه هل اصاب الرشد نشوان
لا تفترر بشباب فاحم خضل ... فكم تقدم قبل الشيب شبان
ويا اخا الشيب لو نصحت نفسك لم ... يكن لمثلك فى الاسراف امعان
هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها ... ما بال شيبك يستهويه شيطان
كل الذنوب فان الله يغفرها ... ان شيع للمرء اخلاص وايمان
وكل كسر فان الله يجبره ... وما لكسر قناة الدهر جبران
خذها سرائر امثال مهذبة ... فيها لمن يبتغي التبيان تبيان
ما ضر حسانها والطبع صائغها ... فى أن يصغها قريع الدهر حسان

وذيل

وكن لسنة خير الخلق متبعا ... فانها لنجاة العبد عنوان
هو الذي شملت للخلق انعمه ... وعمهم منه فى الدارين احسان
ومذ اتى ابصرت عمى القلوب به ... سبل الهدى وصغت للحق ءاذان
جبينه قمر قد زانه خفر ... وثغره درريتم ومرجان
فالبدر يخجل من أنوار بهجته ... والشمس من نوره الوهاج تزدان
به توسلنا فى محو زلتنا ... لربنا انه ذو الجود منان
يا رب صل عليه ما هما مطر ... فاينعت منه أوراق واغصان
وابعث اليه سلاما زاكيا عاطرا ... والآل والصحب لا تفنيه ازمان

ولله در الامير الجليل ابي زكرياء يحيى بن غانية المسوفي المعروف بالميور فى صاحب الثورة بافريقية والقيام على الموحدين لما خلص من نكبته وخرج من الاندلس ونزل بجاية فى قومه مسوفة ، وملكها فقيل : له في ذلك فقال

تركت لكم عز الغنى فابيتم ... لأن تتركوني للمذلة والفقر
ونازعتموني فى الخمول وانه ... لدى مهجتي احلى من النهي والامر

---

1) سحبان : هو سحبان وائل ، توفى سنة 674 م خطيب مخضرم من وائل باهلة ، اسلم فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يجتمع به ، عاش مدة عند معاوية ابن ابى سفيان بدمشق ، وقيل انه عمر مائة وثمانين سنة ، وكان اذا خطب يتوكأ على عصا ويسيل عرقا ، ولا يعيد كلمته ولا يتوقف ولا يتنحنح ، ولا يبتديء فى معنى فيخرج منه دون أن يتمه ، فضرب به المثل وقيل (ابلغ من سحبان وائل) واعتبر فى خطبه على العبارات القصيرة المزدوجة التي تضم حكما مقررة صالحة للشيوع او افكارا متقابلة
2) من حصر حصرا : عيي فى النطق واصله من الحصر اي الضيق

وهؤلاء بنو غانية المسوفيين هم من قبائل لمتونة ، ولاهم يوسف بن تاشفين بحواضر الاندلس والجزر البحرية لشجاعتهم وحسن عنايتهم ، ولما انقرض ملك لمتونة بالموحدين وملكوا افريقية والاندلس وفسد ما بين ملوك الموحدين وبني غانية المسوفيين ، وخرجوا من الاندلس ونزلوا بجاية وثاروا بها وعاثوا فى الواسطة وافريقية ، واملوا الاستيلاء على ممالك الموحدين ورد الدولة اللمتونية وقاسى منهم ملوك الموحدين شدائد واهوالا طول أيامهم الى ان استقل الامير ابو زكرياء بافريقيا ومات الامير يحيى بن غانية المسوفي فى القفر عام 631 وعفى قبره وأوصى للامير ابي زكرياء بكفالة بناته فوجه لهن من اتى بهن لتونس وبنى لهن قصرا اكفلهن فيه من كل ما يقوم بشأنهن ، وبقين تحت جرايته الى ان متن معضلات فى عزه وتحت كنفه رحمه الله

قال ابو محمد علي بن محمد بن حزم ، من لبس البياض وتختم بالعقيق وقرأ لابي عمر ، وتفقه للشافعي ، وحفظ قصيدة ابن زريق هذه فقد استكمل الظرف ، وابن زريق هو ابو الحسين علي بن زريق البغدادي ومنها قوله :

يكفيه من لوعة التفريق ان لـه ... من النوى كل يوم ما يروعـه (1)
ما ءاب من سفر الا وازعجـه ... راي الى سفر بالرغم يزمعه (2)
تابى المطامع الا أن تجشمـه ... للرزق كدحا وكم ممن يودعه (3)
كانما هو من حل ومرتحـل ... موكل بفضاء الارض يذرعـه (4)

---

1) كذا فى الاصل عند الزياني فقد حذفت الابيات الاربعة الاولى ، وهي
لاتعذليه فان العذل يولعه ... قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
جاوزت فى لومه حدا اضر به ... من حيث قدرت ان اللوم ينفعه
فاستعملي الرفق فى تانيبه بدلا ... من عذله فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعا بالبين يحمله ... فضلعت من خطوب الدهر اضلعه
يكفيه من لوعة التفريق ان له ... من النوى كل يوم ما يروعه

2) في مخطوطة المستنصرية 694 والتي اوردها الكاتب في (ادباء بغداديون القسم الاول ورد البيت كما يلي :
ما آب من سفر الا وازعجه ... راي الى سفر بالرغم يجمعه؟
وفي الترجمانة الكبرى للزياني : ص 118 مخطوط 1233 هـ يزمعه بدلا من يجمعه
والزمع فى اللغة : الثابت العزم على امر ، وهو ما يليق بالمعنى الذي يقصده الشاعر هنا.

3) في المستنصرية
تابا المطامع الا ان تجشمه ... للرزق كدحا وكم ممن يودعه
وعند الزياني :
تابى بالالف المقصورة وهي الاصح لان ابا اباوة وابوة وابوا صار ابا
واما ابى ـ اباء واباءة وتابى الشيء لم يرضه كرهه فهو آب ج آبون وابان، واحدته آبية ، ومنه ابى الشيء عليه منعه

4) فى مخطوط المستنصرية سقطت الهمزة من (بفضاء)

اذا الزمان اراه في الرحيل غني ... ولو الى السند اضحى وهو مرتعه (1)
وما مجاهدة الانسان واصلة ... رزقا ولا دعة الانسان تقطعه (2)
قد وزع الله بين الناس رزقهم ... لم يخلق الله من خلق يضيعه (3)
لكنهم طلبوا حرصا فلسن يرى ... مسترزقات وسوى الغايات تمنعه (4)
والحرص في الرزق والارزاق قد قسمت ... بغي الا ان بغي المرء يصرعه
والدهر يعطي الفتى من حيث يمنعه ... اربا ويمنعه من حيث يطمعه
استودع الله في بغداد لي قمرا ... بالكرخ من فلك الازرار مطلعه
ودعته وبودي لو تودعني ... طيب الحياة واني لا اودعه
كم قد تشفع لي ان لا افارقه ... وللضرورة حال لا يشفعه
وكم تشبث بي خوف الفراق ضحى ... وادمعي مستهلات وادمعه
لا اكذب الله ثوب العذر منخرق ... عني بفرقته لكن ارقعه
اني اوسع عذري في جنايته ... بالبين عني وجرمي لا يوسعه
رزقت ملكا فلم احسن سياسته ... وكل من لا يسوس الملك يخلعه
ومن عد الابا ثوب النعيم بلا ... شكر عليه فان الله ينزعه
كم قائل لي ذقت البين قلت له ... الذنب والله ذنبي لست ادفعه
الا اقمت وكان الرشد اجمعه ... لو انني حين بان الرشد اتبعه
والله لو لم تقع عيني على بلد ... في سفرتي هذه الا واقطعه

---

1) في مخطوط المستنصرية كتب كما يلي :
اذا الزمان اراه في الرحيل غنى ... ولو الى السير اضحى وهو مربعه
وعند الزياني) الترجمانة الكبرى نفس النسخة :
اذا الزمان اراه في الرحيل غنى ... ولو الى السند اضحى وهو مرتعه
السند ـ السير ـ مرتع ـ مربع ـ وعناه بالالف بدل الالف المقصورة ، والغناء الاكتفاء بالشيء عما سواه .

2) في المستنصرية :
فما مجاهدة الانسان واصلة ... رزقا ولا دعة الانسان تمنعه
وعند الزياني وما مجاهدة بالواو والاصح الفاء لانها رابطة استئنافية ... تقطعه

3) في م . س . ص قد قسم الله وهو انسجاما مع الاية الكريمة : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم الاية ...) 8) في م س . ص : راجع ادباء بغداديون في الاندلس المذكور في المصادر سابقا
لكنهم طلبوا حرصا فليس يرى ... مسترزقا وسوى الغايات تمنعه
للمقابلة راجع القصيدة المنشورة في كتاب « ادباء بغداديون) للدكتور محسن جمال الدين القسم الاول ص 36 ـ الثاني 37 والثالث 38
والواقع ان كثيرا من العبارات الواردة في مخطوط المستنصرية ابلغ من التي وردت عند الزياني .

4) لم يرد هذا البيت عند الزياني في نفس المكان الذي يوجد فيه بالمخطوط العراقي كما ان المخطوط العراقي الوارد في كتاب الدكتور محسن جمال الدين ليس بالسليم ، فمثلا ما ورد في القسم الثالث والاخير من القصيدة ، البيت الاول مكان الثاني والثاني مكان الاول

ما اغتصت من لي عند فرقتــه ... كاس اجرع منها ما اجرعــــه
اني لاقطع ايامـــي وانفدهـــــا ... حزنا عليه وليلي لست اضجعــه
لا يستقر لقلبي مضجع وكـــذا! ... لا يستقر له مذبفيت مضجعـــه
ما كنت احسب ان الدهر يفجعني ... به ولا ظن ، في الايام تفجعــه
حتى جرى البين فيما بيننا بيـــد ... عراء تمنعني حظي وتمنعـــــه
وكنت من ريب دهري جازعا ابدا ... فلن اوق الذي قد كنت افزعــه
بالله يا منزل القطر الذي درست ... ءاثاره وعفت مذ بنت اربعـــــه
هل الزمان معيد فيك لذتنـــــا ... ام الليالي التي امضته ترجعــه
فى ذمة الله من اصبحت منزلــه ... وجاد عيث على مغناك يمرعــــه
من عنده لي عهد لا يضيعــــــه ... كما له عهد صدق لا اضيعـــــه
ومن يصدع قلبي ذكـــره واذا ... جرى على قلبه ذكري يصدعــه
لاصبرن لدهـــر لا يمتعنـــــي ... به ولابي فى حـــال يمتعـــــه
علما بان اصطباري معقب فرجـــا ... فاضيق الامر عند الله اوسعــه
عسى الليالي التي اضنت لفرقتنا ... جسمي ستجمعني يوما وتجمعه
وان تنل احد منـــا منيتـــــه ... فما الذي فى قضاء الله يصنعــه

وهذا ابو الحسن علي بن زريق (1) الكاتب البغدادي كان من الادباء

---

1) ابن زريق توفى بالاندلس سنة 420 هـ ــ 1029 م ولم يعرف من آثاره غير قصيدة واحدة : معجم المؤلفين ص 95 . ترجم له فى مجلة العرفان المجلد 4 من ص 992 الى ص 998 . ثم فى ج 12 من الوافي بالوفيات : صلاح الصفدي .
تناوله الدكتور محسن جمال الدين استاذ الادب الاندلسي بكلية الآداب بجامعة بغداد مع الادباء البغداديين بالاندلس بمناسبة احتفالات جامعة بغداد وكان الموضوع يحتاج الى روية وتدبر ، قبل ان يصدر الدكتور حكمه ، ذلك ان ابن زريــق لم يثبت انه زار الاندلس . وذلك ما لم يستطع الكاتب انباته فى كل ما كتب حول ابن زريق . وما اقرب ما قاله الزياني عندما اورد قصيدته ، الى الصواب حيث قال :
وهو ابو الحسن علي بن زريق الكاتب البغدادي كان من الادباء الفضلاء ، وكان يهوى ابنة عم له وتهواه ، ولم يجد سبيلا للاجتماع بها ونكاحها لقلة ذات يده لجهازها نقصد احد ملوك خراسان مستجديا ومدحه بقصيدة ، ولما قدمها له نقلها ابو عبد الله الحميدي .
والدكتور محسن يقول فى ص 30 من الكتيب المذكور املاه والمطبوع الطبعة الاولى 1962 ـ 1963 بعدما وضع عنوان (فشله بالاندلس) : (لم ار في المصادر التي بين يدي نورا واضحا يدلني على اسباب فشل الشاعر البغدادي فى سفرته الطويلة المضنية، وضياع آماله هناك ، كما وانـي لم استطع ان اتبين ملامح الخليفة او الامير الاندلسي الذي زاره شاعرنا ولم يحظ لديه بالخير والمنحة سوى ما ذكره لنا المرحوم الاستاذ (جرجي زيدان) فى مؤلفه (تاريخ آداب اللغة العربية) عند تحدثه عن شعراء (العصر الثالث) (العباسي) ... الخ
اننا نود من كل قلبنا ان يتفرغ العراقيون لدراسة ابن زريق واستقصاء البحث عن هذا الشاعر العظيم الذي لا مبالغة اذا قيل فى حقه ما قيل من اوصاف الجودة والعظمة فــي حــذق الشعر الجميل

الفضلاء ، وكان يهوى ابنة عمه وتهواه ، ولم يجد سبيلا للاجتماع بها ونكاحها لقلة ذات يده لجهازها ، فقصد احد ملوك خراسان مستجديا ومدحه بقصيدة ، ولما قدمها له نقلها ابو عبد الله الحميري وقال بعضهم عوض عن قصيدة ابن زيدون

واذا تدرجت من اعلا المراقي ، وقعت على دفاتري واوراقي ، فاعتكفت في كسر بيتي ، ايام دهشتي ، على ما يزيل قنطي ، ويدفع وحشتي واقتديت بمن قال ، واجاد في المقال :

رايت الانقباض أجل شيء وادعى في الامور الى السلامة
فهذا الخلق سالمهم ودعهم فخلطتهم تعود الى الندامة
ولا تعني بشيء غير شيء يقود الى خلاصك في القيامة

واعلم ان مراقبة الناس انما هي محض السفه والضلال ، اما اولا :
فان اغراضهم مختلفة ، وطبائعهم متفاوتة ، فربما ارضى شخصا ما لا يرضى ءاخرين ، فهو يعمل في ظنه بما ينفعه عند الناس وهو في نفس الامر ساع فيما يضره عندهم وعند الله ، وقد قالت الحكماء رضى الناس غاية لا تدرك ، واحمق الناس من طلب ما لا يدرك ، وما احسن قول الشيخ سعد الدين التفتزاني حيث قال

اعلم ان مستحسن الطباع باسرها ، ومقبول الاسماع عن ءاخرها ، امر لا يسعه مقدور البشر ، وانما هو شأن خالق القوى والقدر ، ويذكر ان لقمان الحكيم (1) دخل يوما للسوق راكبا حماره وابنه يسوق به فقال الناس : شيخ لم يشفق على صبي فقال لولده اسمع ما يقول الناس فقال: سمعت فاردف ولده معه على الحمار فقالوا : اثنان على حمار ، هل لا زاد ثالثا ؟ فقال لولده اسمع ما يقول الناس ، فقال : سمعت فنزل عن الحمار

واما عن الافتراضات التي افترضها الكاتب للعهود التي زار فيها ابن زريق الاندلس فانها غير قائمة على حجة . اذ في الافتراض الاول نجد انه زار الاندلس في عهد عبد الرحمن الناصر 300 ـ 350 هـ والتي يقول عنها (ورحلة ابن زريق لايستبعد انها كانت في مثل هذه الاحوال المضطربة الخ) ان ابن زريق توفي كما يقول الدكتور وقاله قبل غيره في حدود 420 هـ وحسب فرض الدكتور ، ففي اية مرحلة من مراحل حياة ابن زريق زار الاندلس أسن ما بعد الثمانين ونحن نعلم ان جل شعراء الغزل هدأت حرارتهم في اخريات العمر ، وابن زريق (وجدت قصيدته عند راسه في خان الخ) ان ابن زريق يستحق كل عناية لمعرفة من هو واين ولد ومتى ومن هم رفاقه الخ.
وكل ذلك لاشك يوجد بين ثنايا تراث المسلمين في المشرق والمغرب

1) لقمان : حكيم معمر عرف في الجاهلية قبل ان يعرف في الاسلام فحكمه الكثيرة كما تنسب اليه اكثر تغدق عليه اوصافا كثيرة قيل انه كان نجارا او راعيا ، او عبدا حبشيا واضحى شخصية اسطورية

وترك الولد على الحمار ، فقال الناس شيخ ماش وولد راكب ، فقال الولد اسمع ما يقول الناس ؟ فقال سمعت فنزل الولد وساق الحمار ، فقال الناس حمار يسوقه اثنان ، فقال الولد اسمع ما يقول الناس ، فقال سمعت ، وكان قصد لقمان ان يرى ابنه شأن الناس مع من يريد السلامة منهم وانها لا تتأتى بوجه كما قيل :

الناس داء دفين لا دواء لهم	تحير العقل فيهم وهو منذ مل
ان كنت منبسطا سموك مسخرة	او كنت منقبضا قالوا به ثقل
وان تحبهم قالوا به طمع	وان تجنبتهم قالوا به ملل
وان تعففت عن اموالهم كرما	قالوا غني وان تسلهم بخل
فابتر جميع الورى طرا وكن ابدا	بالله محتسبا نجوت يا رجل

واما ثانية :

فلانه يفوته بذلك راحة قلبه ، وطيب عيشه ، ويسلب الهناء والعز ، ويكتسي المهانة والمذلة ، لاحتياجه الى التصنيع والتزين والنفاق والمداهنة ، وتخالف الاسرار والاعلان ، والتعب الدائم فيما يتخيل فيه رضاهم ، وهذا عذاب استعجله فى دنياه ، ولعذاب الاخرة أكبر ، « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون الاية ، وقال آرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، واخرج ابن عدي فى الكامل ، والديلمي فى مسند الفردوس عن انس ابن مالك (1) رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اعمل لوجه واحد يكفيك الوجوه كلها » وقال الشاعر

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

وقيل

من راقب الناس مات غما ، وفاز بالملذات الجسور ،

وقد قال محمد بن اسلم : مالي ولهذا الخلق فقد كنت فى طب ابي وحدي ثم صرت فى بطن امي وحدي ثم خرجت الى الدنيا ثم تقبض روحي وحدي ، فادخل فى

---

1) أنس بن مالك رضي الله عنه : توفي سنة 795 م عربي الاصل عاش بالمدينة ، تلقى عن كثيرين من التابعين ، واخذ فقه الراي عن ربيعة الراي ، ويحيى بن سعيد ، كان محدثا وفقيها يتحرى فى الرواية فلا ياخذ الحديث من ذوي هدى مبتدع ، ولا من شيخ لا يعرف ما يحمل ويحدث به ، ولا من سفيه ، ولا من كذاب ، وله كتاب (الموطأ) جمع فيه ما صح عنده من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفقه الصحابة كان ياخذ فى اجتهاده بالكتاب والسنة والاجماع وعمل اهل المدينة ، والقياس، والمصالح المرسلة ، والاستحسان ، وانتشر مذهبه فى مصر وشمال افريقية والاندلس والسودان وكثير من بلاد العالم الاسلامي

قبري وحدي ، وياتي منكر ونكير (1) يسالاني وحدي ، فان صرت الى خير صرت وحدي ، وان صرت الى شر صرت وحدي ، ثم اوقف بين يدي الله تعالى وحدي ، فان بعثت الى الجنة وحدي ، وان بعثت الى النار وحدي ، فما لي وللناس

قلت والوحدة متعينة لمن اراد السلامة ، بل هي واجبة فى هذا الوقت، ولقد زارني بعض الاحبة من الكتاب ، وانكر علي الانقباض وبالـــغ فى العتاب ، فانشدت هذه الابيات :

انست بوحدتي ولزمت بيتـــي فدام الانس لي ونما الســـرور
وادبني الزمـــان فمـــا ابالـــي هجرت فـــــلا ازار ولا أزور
ولست بسائل ما دمت حيـــا اسار الجندام خـــرج الاميـــر

وهذا عكس ما قاله الشيخ سعد الدين التفتزاني رحمه الله حيث قال :

جمعت فنون العلم ابغي بها العلا ويمنعني مما احاوله القـــــل
تبين لي ان العلـــوم باسرهـــا فروع وان المال قطعا هو الاصل

قال الشيخ العياشي فى رحلته ، ان الشيخ سعد الدين لما الف كتابه المطول وكان كما ذكر فى الخطبة على حال ضيق من معيشته وقلة ذات يده، مع شدة الاحتياج الى ما يقيم به اربه ، ذهب بالكتاب الى الامير تيمـور (2)

---

1) منكر ونكير ملكان فضان غليظان اسودان عيناهما زرقاوان ، يدخـلان القبـر على الميت فيسألانه عن ربه ودينه ونبيه ، فان قال (ربي الله وديني الاسلام ونبي محمد صلى اللـه عليه وسلم) اعفي من العذاب ، وان كان كافرا عذباه بالضرب الى ان تقوم القيامة .

2) تيمـور : فاتح مغولي ولد قرب سمرقند ح 1336 م وتوفى 1405 م يعرف بتيمور الاعرج ادعى انه من سلالة جانكيز خان . استهل اعماله الحربية باخضاع منافسيه فى المنطقـة المعروفة حاليا بتركستان الروسية ، ولم تحل 1369 حتـى كـان قد سيطـر تماما علـى المنطقة كلها . من عاصمته سمرقند غزا فارس وجنوبي روسيا والهند حيث استولى علـى دلهى وفى سنة 1400 اكتسح بلاد الكرج ثم اكتسح سوريـا الشماليـة واستولى على حلب التي استباحها لمدة 3 ايام تعرضت خـلالها لكثيـر مـن النهب والتخريب ، ثـم سقطت دمشق فى يده فاخذ طائفـة من افضل علمائها وامهر صناعها وفنانيها الى سمرقند ، ثـم زحف على بغداد فدخلها للمرة الثانية وزحف على آسيا الصغرى . وهزم العثمانييـن فى موقعة انقرة 1402 م واسر سلطانهم بايزيد وعامله معاملة حسنة خلافا لمـا هو شائـع، توفى تيمور اثناء غزوه الصين سنة 1405 م وبالرغم مما تعج بـه سيرتـه مـن اعمـــال القسوة ، فله مآثـر منها : تشجيع الفـن والادب والعلم ، واقامة المنشئات العامة الضخمة.

سلطان بلاد العجم رجاء ان يحصل له من جانبه ما يستعين به على دهره ، وكان عند الامير تيمور كاتب له خبرة بهذا العلم وله اليد الطولى فيه فخشي سعد الدين من هذا الكاتب ان قدم الكتاب للامير مع حضور الكاتب ان يصرف وجه الامير عنه ويطعن فى كتابه لما يعلم من تحاسد العلماء وأرباب الصناعات فجعل يرتقب غيبة الكاتب أو مرضه أو سفره او موته حتى يخلو له المجلس منه الى ان حصل للكاتب يوم مرض اغتنم سعد الدين ذلك اليوم ودخل على الامير ووضع الكتاب بين يديه ففرح الامير به ووقع منه موقعا عظيما ، وقال لبعض خدامه ناد فلانا الكاتب ليرى هذا الكتاب ويتصفحه فسقط فى يد سعد الدين فلما جاء الكاتب ونظر الكتاب طار به فرحا وبالغ فى الثناء عليه وعلى مؤلفه وقام وقبل يد الشيخ وقال للامير لو لم يكن لك فى سلطنتك من المناقب والمفاخر الا قدوم هذا الشيخ لحضرتك وكون هذا الكتاب الف برسمك واسمك لكفاك ، وقد كنت اردت أن أطلب منكم الاجازة فى الذها بالى هذا الشيخ والاخذ عنه ، ومن سعادة دولتكم اشخصه الله الينا ، فجاءت المنى من حيث تخشى المحن وبالغ الامير فى تعظيم الشيخ سعد الدين والانعام عليه وحصلت له حظوة عظيمة ، ومرتبة فخيمة ، عند امراء العجم باصبهان وخراسان وما وراء النهر ، وصارت عتبته ملتثم اكابر علماء تلك الديار وشدت اليه الرحال وصارت له دنيا عريضة بعد ان كان حاله اولا على الضد من ذلك ، وتلك سنة الله تعالى فى حملة العلم الشريف وعوائد الملوك العظام ، فى الاكرام لهم والاعظام ، سيما ان خلصت منهم النية فيما حملوا ، وعملوا بما علموا ، الى ان مات عام واحد وتسعين وسبعمائة (1)

فالفت كتاب :

1) الترجمان المعرب ، عن دول المشرق والمغرب

2) ثم تاليف :

---

1) التفتازاني الذي توفي فى هذا التاريخ 791 هـ هو مسعود ابن سعد المولود 1322م المتوفى سنة 1390 م لغوي بلاغي منطقي ولد بتفتازان ، ومات بسمرقند ، ودفن بسرخس التي كان يلقي دروسه فيها حتى ابعده تيمورلنك الى سمرقند ، الف في كثير من العلوم ومعظم مؤلفاته شروح انتشرت وصارت كتبا دراسية اهمها: ا ـ شرح تلخيص المفتاح فى البلاغة . ب ـ شرح تصريف العز ج ـ شرح الشمسية فى القواعد المنطقية د ـ التلويح فى كشف حقائق التنقيح فى اصول الفقه للمحبوبي. هـ ـ شرح العقائد للنسفي . و ـ شرح الكشاف للزمخشري ز ـ شرح البردة . حـ ـ شرح ايساغوجي لفورفوريوس . ط ـ شرح رسالة فى تساوي الزويا الثلاث . وغيرها

البستان الظريف ، فى دولة اولاد « مولاي الشريف ، اذ لم اجد فى هذه الدولة العلوية تاليفا ، ولا اعتني بذكر حوادثها مشروفا ولا شريفا ، وذكرت فضائل مولانا امير المومنين المرحوم ، ومئاثره التي يعرفها الخواص والعموم ، ثم فضائل هذه الدولة السليمانية ومحاسنها الغـــرر ، التـــي اضاءت على افق المغرب ضياء الشمس والقمر

ثم اختصرت دول الاسلام فى ارجوزة سميتها :

3) الفُية السلوك ، فى وفيات الملوك ، جعلت وفاتهم رمزا ، ليكون حفظا لهم وحرزا

ثم جعلت لذلك النظم الوضيع ، والوزن الساقط الصريع ، لاني لست من اهل هذا الميدان ، وممن له اليد الطولى فى معاناة الاوزان ، شرحا يحـل اقفال الرمز ، وينشر ما طوى من الموز تحت اللوز ، اذ ربما يسقط من الرمز نقطة ، او يقع على حرف مهمل نقطه ، فينعكس التاريخ ويعد سقطة ثم الفـــت :

4) رسالة فى اشراف المغرب ، سميتها تحفة الحادي المطرب ، فى رفع نسب شرفاء المغرب ، لتلحق الفروع بالاصول ، حتى لا يجد الدعي سبيلا الى الوصـــول .

5) ثم الفت رسالة سميتها رسالة اللوك ، فيما يجب على الملوك .

6) ثم رسالـــة اخـــرى وسميتهـــا :

الدرة السنية الفائقة ، فى كشف مذاهب اهل البدع من الخـــوارج والروافض والمعتزلة والزنادقة ثم رسالة اخرى سميتها

7) رحلة الحداق ، لمشاهدة البلدان والافاق ، شرحت بها الكـــورة المبسوطة فى الاقاليم السبعة والبحـــار ، المتخللـــة والمحيطة ، وبيان ما فيها من الجبال والانهار ، والعامر منها وما تخلله من القفار ثم الارجوزة التي سميتها

8) جمهرة التيجان ، وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان ، فى الملـــوك العلويين واشياخ مولانا سليمان ، ثم رحلتنا المسماة

9) اباحة الادباء والنحـــاة ، الجمع بين الاخوات الثـلاث . ثم

10) تحفة الاخوان والاولياء فى صنعة السيمياء ، ثم

11) كشف اسرار المحتالين الاشقياء ، الذين يزعمون علم الكمياء . ثم :

12) الرسالة المسماة حلية الادباء والكتاب ، فى مدح هذا الكتاب ، ثم المسمى بالترجمان المعرب ، عن دول المشرق والمغرب ، الذي اشتمل على هذه الدولة العلوية والعترة الاسماعيلية الذي جللها عدل ملك الزمـــان ، وشرفها كرم المتوكل على الرحمان ، **امير المومنين مولانا سليمان** ، وكل هذا قلناه من مدده وانعامه ، وفضله واكرامه ، لما أخرنا عن كتابته ، واراحنا من تعب الدسر وكتابته ، ولازمت كسر بيتي ، أيام وحشتي ، واشغلت نفسي بما قيدته بهذه الرقاع ، وتذكرت ما انسانيه الدهر وذهب مني وضاع ، ووجدت ما حفظته أيام الشباب كشيء رأيته فى المنام ، وما حصلته قديما كأنه أضغاث احلام ، ولو قنعت بوفر العلم وملات منه كيوسي ، ونادمت اهله لامتلات من رحيقـــه كؤوســـي ، ولحقت بالعياشي واليوسي (1) ، والولالي (2) ، وابن سعيد السوسي (3) ، لكن سبق فى الازل ، التعب والزلل،

---

1) ابو علي اليوسي هو : الحسن بن مسعود اليوسي توفي 1690 م لـه الفهرست مـات دون اتمامها ، صاحب رسالة سياسة الملك ، من خيـر ما انجب المغرب علما واقتدارا درس فى زاوية الـدلاء وبقي وفيا لاهلها ، الى ان أمره المولى الرشيد بالرحيل عنها الى فـاس عندما قضى على الدلائيين 1671 ، وقد رثاها بقصيدة مطولة رائية (100بيت)، راجع الاتحاف ج 3 ص 49 ـ 52 . درس عليه كثير من علماء المغرب الكبـار امثال ابن رحـال التدلاوي المعداني ، صاحب الشروح على خليل والخرشي والتحفة والارتاق فى مسائل الاستحقاق. راجع الاتحاف ج 3 ص8 ثم قاضي القضاة ابن عبد الله الشهير بأبي مدين السوسي الاتحاف ج 4 ص 85 . راجع رسالة اليوسي الى المولى اسماعيل ، الاستقصا ج 7 ص 82 ـ 86 ومن كتب اليوسي ايضا : رحلته التي جمعها له ولده محمد المتوفى 1695 م والرحلـــة مؤرخـــة 1689 راجع دليل مؤرخ المغرب ج 2 ص 344 ، له ديوان شعر طبع على الحجر بفـاس 1920 وله دالية مدح بها استاذه محمد بن ناصر ، عارض بها دالية البوصيري التي مـدح شيخه ابى الحسن الشاذلي ، لـه محاضرة عجيبة طبعت بفاس 1899 م

2) الولالي : احمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الولالي العطاوي ، توفـى بمكنـاس 1706م ترجم لنفسه فى كتابه (مباحث الانوار فى سلسلة الاخبار) الذي الفه 1697 م . وقـــد نسب آيت عطا الى قريش راجع الاتحاف لابن زيدان ، ج 1 ص 340 ـ الاعـلام للعبـاس التعارجي ج 4 ص 316 . وآيت والال فرع من آيت عطا بتافيلالت (ملوية)

مـــن مـــؤلفاتـــــه :

1) شرح على مختصر المنطق للسنوسي
2) شرح على منظومة الاخضري (السلم)
3) شرح على جمل الخونجـي
4) شرح على رسالة الجرجاني
5) شرح تلخيص المفتاح صدره بشرح خطبة مختصر السعـد
6) شرح علـى لاميـة الافعـــال
7) حـاشيـة علـى المحلـــى
8) شـــرح على روضة الازهـار للجادون فى التوقيت

3) هـــو محمـــد بن سعيـــد المرغيثـــي توفي 1678 م

فاعتكفت على جميع ما قيدته من الاخبار ، من دواوين الاحبار ، وما نقلته فى رحلتي ، ايام غربتي ، من تواريخ الامم ، عربها وبربرها ، وتركهـــا ورومهـــا والعجم

ولما استوفيت دول المشرق والمغرب ، من اعجم ومعرب ، واضفت الاخير للاول ، على النقول التي عليها المعول ، فجاء ذلك الكتاب فـــردا فى الوجود ، شاملا لكل من ملك وكل ذي كرم وجود ، وتشرف بذكر هذه الدولة التي ظهرت على من سبق بمغربنا من الدول ، ءاخرهم والاول ، وتاه بهم على كل من الف وقيد وصنف

وبعد ان بلغت لبيت القصيد ، والامام العادل السعيد ، الذي هو بعد والدي وشيخي وسبب نجحي ، وبخدمته ذكرت وحصل آمالي وربحي ، وبمحبة اهل بيته ارجو فى الاخـــوة ان شاء الله ثـــواب معاناتـــي ونصحـــي ، وقولي فى هذا انه شيخي ، بيانه انه ذات يوم امرني ان ادخل عليه الفقيه العلامة السيد سليمان الفشتالي ، كان قدم من ثغر الصويرة ولما جلس بين يديه وقفت على راسه وهو يساله عمن اخذ عنه من الاشياخ ومن لحقه منهم فذكر له الشيخ المسناوي لكنه لم ياخذ عنه فقال له اخذ عن الشيخ ابن زكري واخذ عنه ابن عبد السلام النباتي حديث ابي ذر (1) الطويل بتمامه ، واخذته عنه أنا ، وهذه اجازته من فيه

« الم تعرفه ؟

قال لا قال وها أنا اكتبه لك واجيزك فيه ، ولما خرج الفشتالي وجه أمير المومنين سيدي محمد رحمه الله الدفتر الذي فيه الحديـــث والاجازة لي ، وامرني ان اكتبه فى ورقة وءاتيه بها ، فلما كتبته فى الورقة راتيته بها أعطيته القلم فكتب تحته

أجزت محبنا سليمان الفشتالي :

كتبها بخطه ومد لي الورقة فقبلت الارض بين يديه . فقال :

ما ذاك

---

1) ابـــو ذر بن عبيد الغفاري توفى سنة 31 هـ 652 م . صحابي اشتراكي جليل هاجر بعـــد وفـــاة رسول الله ص الى بادية الشام ، ولـــا ولي عثمان ض سكن دمشق ودعـــا الفقـــراء الى مشاركة الاغنياء فى اموالهم ، فاضطرب هؤلاء فشكاه معاوية والي الشام الى الخليفـــة عثمان فاستقدمه الى المدينة حيث داب على دعوته ، فعلت الشكوى منه ، فامـــره عثمـــان بالرحلـــة الى احدى قرى المدينـــة فسكنها الى ان توفـــي .

فقلت اطلب من مولانا اجازته فى هذا الحديث الذي كتبته ، فضحك وقال :

هات الورقة

فناولته اياها والقلم فكتب فى طرفها :

كما اجزت كاتبنا الطالب بلقسام بهذا الحديث الشريف الذي لابي ذر الهروي رحمه الله ورضي عنه

حديث أبـــى ذر :

ونص الحديث الشريف قال البناتي :

« ومما أسمعني شيخنا رحمه الله بلفظه حديـث ابي ذر الطويـل من طريق الشيخ ابن غازي بسنده الى ابي ادريس الخولاني ، عن ابي ذر رضى الله عنه قال :

دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده ، فقال :

يا ابا ذر ان للمسجد تحية ، وان تحيته ركعتان ، فقم فاركعهما

قال فقمت فركعتهما ثم عدت فجلست اليه فقلت يا رسول الله اي العمل أفضل ؟ فقال : ايمان بالله وجهاد فى سبيل الله .

قال : قلت يا رسول الله اي المومنين اكمل ايمانا ؟ قال .

احسنهـــم خلقـــا

فقلت يا رسول الله فاي المومنين أسلم ؟ قال :

من سلم المسلمون من لسانه ويده

قلت يا رسول الله فاي الصلاة أفضل ؟ قال :

طول القنت

قلت يا رسول الله . فاي الهجرة افضل ؟ قال :

من هجر السيئات

قلت يا رسول الله فأي الصيام افضل ؟

قال فرض مجزئي وعند الله أضعاف ذلك

قلت يا رسول الله ، فأي الجهاد افضل ؟ قال

من عقر جواده وأريق دمه .

قلت يا رسول الله فأي الصدقة افضل ؟ قال :

جهد المقل يسر الى فقير .

قلت يا رسول الله فأيما انزل عليك اعظم ؟ قال :

ءاية الكرسي ، ثم قال :

يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي الا كحلقة ملقاة بارض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة

قال قلت يا رسول الله الانبياء ؟ قال :

مائة الف وعشرون الفا

قال : قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك ؟ قال :

ثلاثمائة وثلاثة عشر جمـــا غفيـــرا

قال قلت يا رسول الله من كان اولهم ؟ قال :

ءادم ، قلت يا رسول الله انبيء مرسل ؟ قال ، نعم

خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا ، ثم قال : يا أبا ذر ؟

أربعة سريانيون ءادم ، وشيث ، وخنوع ، ونوح ، وأربعة من العرب هود ، وصالح ، وشعيب ، ونبيك محمد

قلت يا رسول الله . كم كتاب أنزله الله قال : مائة كتاب واربعة كتب انزل على شيث خمسين صحيفة ، وانـــزل على اخنوع ثلاثيـــن صحيفـــة ، وانزل على ابراهيم عشر صحائف ، وانزل على موسى قبل التورية عشر صحائف ، وانزل التورية ، والانجيل ، والزبور ، والفرقان .

قال قلت يا رسول الله ما كانت صحائف ابراهيم ؟ قال :

كانت أمثالا كلها : ايها الملك المسلط المبتلي المغرور اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم ، فاني لا اردها ولو كانت من كافر ، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان تكون له اربع ساعات ، ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها فى صنع الله ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب ، وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه ، مقبلا على شانه ، حافظا لسانه ، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه .

قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى ؟ قال

كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف هو يفرح ، وعجبت لمن ايقن بالنار كيف هو يصحب ، وعجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب ، وعجبت لمن راى الدنيا وتقلبها بأهلها ، ثم اطمأن اليها ، وعجبت لمن ايقن بالحساب غدا ثم لا يعمل

قلت يا رسول الله اوصني قال :

اوصيك بتقوى الله فانه راس الامر كله

قلت يا رسول الله زدني. قال

عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فانه نور لك فى الارض وذخر لك فى السماء

قلت يا رسول الله زدني قال

اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ويذهب بنور الوجه

قلت يا رسول الله زدني ، قال

عليك بالصمت الا بالخير ، فانه مطردة للشيطان عنك ، وعون لك على امر دينك

قلت يا رسول الله زدني ، قال :

عليك بالجهاد فانه رهبانية امتي

قلت يا رسول الله زدني قال :

أحب المساكين وجالسهم

قلت يا رسول الله زدني ، قال :

انظر الى من تحتك ، ولا تنظر الى من فوقك ، فانه أجدر بأن لا تزدري نعمة الله عليك .

قلت يا رسول الله زدني ، قال :

قل الحق ولو كان مرا

قلت يا رسول الله زدني ، قال :

ليردك عن الناس ما تعلم من نفسك ولا تجد عليهم فيما تاتي ، وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك او تجد عليهم فيما تاتي
ثم ضرب بيده على صدري ، وقال

لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق » هـ

* * *

ومن شعر ابن زكري هذان البيتان خاطب بهما العلامة الاديب مولاي محمد بن السلطان الجليل مولانا اسماعيل وهما :

البدر ليس يلوح ساطع نـــوره والشمس واضحة السنا فى الحال
فاذا توارت بالحجاب فعند ذا يبـــدو بـدو تعـــزز وكمـــال

ولما توفي امير المومنين رحمه الله وتولى بعده ولده اليزيد ثم أخوه أميرنا الفاضل ، العادل الكامل ، مولانا سليمان ابقاه الله ، ورفعت لـــه التاليف نظمت اسماء ملوكهم فى ابيات تكون لمن حفظها حرزا ، وبركة وفوزا ، من جدهم القادم من الينبوع مولاي الحسن الشريف ، وحفيده مولاي علي الشريف ، وثالثهم جد الملوك مولاي الشريف ، الى ملك وقتنا مولاي سليمان ابقاه الله حصنا حصينا لهذه الامة ، وبارك فى اولاده البررة فقلت :

الشمس من مشرق تسعى لمغربنا والبدر يتبعها بالغرب يكتمـــل
واهل بيت رسول الله منشاهـــم بطيبـــة فأتــوا للغــرب فى حلـــل

من ينبع النخل حل النخل قادمهم   حسنهم بسجلماس انقضى وعل
ثم الشريف ابو الاملاك زادهدهم   فى الملك ليس بضعف منه او فشل
وابن الشريف محمد الذي سعدت   بسعيه دولة الاشراف آل علي
ثم الرشيد اقام الملك وانصدعت   بعزمه دول الثوار من وجل
ثم المسمى باسماعيل قام به   حدث عن البحر لا تخشى من الزلل
ثم ابنه احمد الذهبي يليه كذا   عبدا ضيف الى الملك اخاه يلي
ثم اخاهم عبيد الله اكرمهم   وبعد خلعه جا الاخ المسمى علي
ثم اخاهم محمد الكبير اتى   للملك يسعى بلا مهر ولا جمل
والمستضيء اخاه منصبه   والزين للعابدين لاخيه يلي
وغلب الشبل عبد الله كلهم   وعاد للملك ثم حل فى الخبل
فسبعة اخوة وكلهم ملكوا   ولم يقع مثلها فى سائر الدول
ثم الامام ابن عبد الله محمد هم   فاق الملوك بما أصلح من خلل
ثم اليزيد ابنه اتاه عن عجل   فلم يمتع بما رجا ولم ينل
ثم الامام سليمان الذي افتخرت   به المغارب ذو العلم وذو العمل
خليفة الوقت ابقى الله دولته   حصنا حصينا لاهل السهل والجبل
بارك الله فى النجل الابر ابي   اسحاق مولاي ابراهيم ذا امل
والاخوة النجبا الغر الكرام فهم   مثل الدراري لدى الافلاك لا تفل
محمد السبط والحسن يتبعه   عبد السلام ونفح الطيب ثم علي
ادريس ثم ابو بكر ومع عمر   وعابد الله مع محمد ياتي
ومن يليهم ابناء الامام ومن   يزداد بعدهم لمنتهى الاجل
ثم الصلاة على المختار سيدنا   محمد اشرف الاملاك والرسل
والال والصحب من لهم تبع   ومن تلاهم بنشر العلم والعمل

ثم بعد هذا ظهر لي ان اجعل لهم رموزا للولاية والوفاة ، ليكون ذلك ابلغ واتم للصفات فقلت

تقلد الشريف بالصحراء   فى عام امش ايام السراء
وعام همش سلم الامر زهد   ونجله محمد الملك قصد
ثم الرشيد عام هشع طلبه   وحارب الثوار كل غلبه
وعام يفش ملك اسماعيل   فمهد الغرب وفاض النيل
ونجله الذهبي اتى فى طلقش   وعابد الملك جافي مغش
وعابد الله اتى فى امفش   ثم على بعده فى ممفشن

وابن عريبة اتـــى فى اقنـــــش المستضيء بعـــده فى انفـــــش
والزين بويع فى عام جنفـــــش وانقسم الملك فى عام دنغـــــش
بين عبيد الله وبين المستضـــيء لكن سراحه بليل لا يضــــيء
وحل بالحمرا فى عام طمقــــش محمد خليفة لا يختشـــــــي
وعام اعقش قضى عبد اللـــه وبويع النجل المطيـــع للـــه
محمد جدد ملك المغـــــرب والناس فى ايامـــه فى طـــرب
ومات عام رشد والنجل يزيـــد بويع لكن لم يطل فيما يريـــد
وبويع الرضى الزكي سليمـــان فى عام ورش وهناء وامـــان
وعام لرش قلد ابنه الـــودود ابراهيم الشبل قيادة الجنـــود
اطال ربنا لنـــا ايامــــه فتبلغ اهل مشرق احكامـــه
بجاه أحمد الهادي المختـــار من خلقه والانبيا الابـــرار

وفى مثل اميرنا هذا قال بعض السادات

حكمة الله فى الورى الامـــراء لا يزال بهم يـــزول المـــراء
وبحبهـــم تعـــز البرايـــا وبنصرهم تصان الدمـــاء
وبسطوتهم تقـــام حـــدود وتهاب بعزهـــم ضعفـــاء
ولاهل الخيرات منهم وقـــار ومنافع ما لهـــا احصـــاء
وبهم يستقيم للدين امـــر وتصان الشريعة البيضـــاء
فهـــم منـــة الالـــه على الخلـــ ـــق التي حييت بها الاحيـــاء
لم يزلوا على الارامل ظـــلا بل على الخلق منهم افيـــاء

ثم نظمت عمود نسبهم من خليفة وقتنا مولانا ابراهيم بن سلطان وقتنا مولانا سليمان الى مولانا على ابن ابي طالب ومولاتنا فاطمة بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

هذا عمود الخلفا بنـــو علـــي من ملك العصر الى المولى علـــي
ابراهيـــم سليمـــان محمـــد عبد الله اسماعيل ذاك الانجـــد
ثم الشريف وعلى محمـــد على ينسب على الاسعـــد
وحسن محمد والحســـن قدم من ينبوعه مستوطـــن
تمام ستمائـــة وستيـــن واربع أيام منصـــور مريـــن
وقاسم محمـــد وقاســـم محمد الحسن زهـــر باســـم

وعابد الله ابـو محمـد وعرفه وحسـن يتئيـد
ثم ابو بكر علـي وحسـن احمد اسماعيل قاسم ومـن
محمد المهدي وعبـد اللـه والحسنان ابنا رسول اللـه
بين اميـرنا وبيـن المصطفـى لب جدودا كرمـاء شرفـا

وحيث ذكرنا سلسلة اجداد امير المومنين الى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا بد من ذكر اجداده تبركا بهم فى هـذه الرحلـة المباركـة واذكر ما فيهم من الخلاف الى ابي البشر ءادم صلوات الله عليه فأقول :
ان ممن اعتنى بنظم اجداد مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبـد الله محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي القرطبي فى قصيدته المسماة معراج المناقب ، ومنهاج الحسب الثاقب ، فى ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ، ومناقب اصحابه ، وهي التي رسمها أبو الربيع سليمان الكلاعي فى سيرته ، وشرحها العلامة المحقق الشيخ المدقق ابو عبد الله محمد بن عبد السلام البناني فاتبعت ما فيها فى هذه الابيات وهي

تبارك من ابدى جمال « محمد » بغرة « عبد الله » فى كل مشهـد
وكان له فى « شيبة » الحمد بهجة به فى الدياجي شيبة الحمد يهتـد
على « هاشم » لاحت طوالع نـوره « وعبد مناف » مع «قصي» المجد
وحل سناه فى « كلاب » بن « مرة » « وكعب » فحلوا فى سرور واسعد
ونال البها فردا « لؤي بن غالب » « وفهرهم » فى بيت مجد مصمـد
ومالك بن النضر » يقفوا كنانـة لهم فى المعالي مصعد اي مصعـد
« خزيمة »ما ابهاه كان لدى الورى لمدركة » قد ادرك المجد باليـد
« والياس » كان النور ينطق جهرة عليه بتسبيح طويـل مـردد
على «مضر» لاحالسنا من «نزارهم» وكان « معد » نور « عدنان » يجمد
الى ها هنا الانجاب بالنسبة انتهوا بنسبة ءاباء الحبيـب محمـد
وان شئت زيد اقل فاذله زهـى على «ادد» حسن «الهميسع» احمد؟
على«حمل»،«قدرا»ومن«نبت»بهجة و «قيدر» لاح النور منه بفرقـد
فلله «اسماعيل» ما حاز من عـلا ابو « خليل الله » اكرم مرشـد
«وتارح» «ناحور»«وساروع»«آرغوا» « وفالـغ » نالوا كل فخـر مجـدد
على « عابر » لاحت مطالع « شالخ » « بار فخشـد » راقت كسيف مهنـد
«وسام» سما قدرا «بتوح» «ولامك» روى عن متو شلخ مآثـر احمـد
وعنه روى «اخنوخ» حسنا وبهجـة توشح بالاقوار منـه كبرجـد
«ويزيد»بن«مهليل» بن«قينان»قدزها له من « انوش » طوز نور محمـد

ولاح «لشئت» نـــور درة أحمـــد   يروح ضياطـــه علـــيه ويغتـــد
ودامت لها الانوار فى وجه « ءادم »   وكان لها التسبيح يروي لمن هـــد
وقد سجـــد الامـــلاك كـــلا لادم   وامر رسول الله أمـــر بمسجـــد
وقد غار حور العين من فرط زهـــ   ـــده وكانت عيون الحور منه بمرصد

وشرح هذه الاسماء وضبطها ياتي بعده ، ولقد اعتمدت فى شـــرح اجداده صلى الله عليه وسلم على ما نقله المؤرخون ، وائمة النسب المشهورين كبيرهم واحد العصر ، واعجوبة الدهر ، ابو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الاسري وهو عم الزبير بن بكار ، قال القاضي عياض فى « المدارك » هكذا نسبه البخـــاري ، روى عن مالك فى الموطا ، وهو علامة قريش فى النسب والشعـــر ، وقـــال الصفدي مصعب الزبيري صاحب الانساب وصاحب مالك ، وقـــال ابـــن « التلمساني (1) » فى شرح الشفافي تعريف مصعب الزبيري ، روى عن مالك والضحاك وابراهيم ، وروى عنه ابن ماجة والنسائي والبغوي وروى عنه عياض واعتمد قوله .

ونقلت من تأليف العلامة الشهير ، وهو علي بن حزم ، واصله من الفرس وكان شافعيا ثم انتقل فى آخر أمره الى مذهب داود الظاهري ، وهو الذي نقحه وهذبه وجادل عنه ، وكان متفننا فى فنون جمة ، وقال الحميري كان ابن حزم حافظا عالما بعلوم الحديث والفقه مستنبطا من الكتاب والسنة ، متفننا فى العلوم ، زاهدا فى الدنيا ، متواضعا ، ما راينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء والحفظ وكرم النفس ، ثم عن الامام حجة أهل المغرب فى التاريخ ، صاحب الانيس والقرطاس أبي عبد الله محمد بن ابي زرع ، قال الشيخ زروق عجيب من حفظه وصنيعه فى شرح ارجوزة ابي العباس ابن البنا (2) ، وعده ابـــن خلدون من الذين يعتمدون فى الاخبار ، وعن الامام المحقق المدقق عبد الرحمن

---

1) التلمساني هو ابراهيم بن ابى بكـر الانصاري (1212 ـ 1291 م) اديب ولـد بتلمسان ومات بسبتة ، رحل مع ابيه فى التاسعة من عمره الى غرناطة بالاندلس ، وبعـد ثـلاث سنوات انتقلا الى مالقة وبهـا تعلم ، الـف (مقالـة في العـروض) و « العشرات » و (نتيجـة الخيـر) و (مزيلـة الغيـر فـي نظـم المغازي والسير) و « منظومة المولـد الكريـم » و « المنظومة التلمسانية » و (ارجوزة فى الفرائض)

2) ابن البنا هو ابو العباس احمد بن عثمان الازدي (1258 ـ 1329 م) لمـع فى الرياضـة والفلك اخرج اكثر من سبعين كتابا فى العدد والحساب والهندسة والجبر والفلك والتنجيم بقي كتابه (تلخيص اعمال الحساب) معمولا بـه فى المغرب حتى نهايـة القـرن السادس عشر شرحـه كثيرون من العلماء واقتبس عنه علماء المغـرب .

ابن خلدون ، وعن الامام المؤرخ ابن الخطيب السلماني فى كتاب الاحاطة له وغيرهم ممن دونهم فى المرتبة من المتاخرين ، فقد ذكر اهل السير اسماءهم واحوالهم ومناقبهم وفضائلهم ، وضبط اسمائهم وكيفية بدء نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، وما ظهر لهم من الكرامات ، ببركته ، ومن خوارق العادات ، من تكليم الجمادات والعجماوات ، لتحلي هذه الرحلة المشتملةعلى مدائن المعمور ، وتتشرف بذكر اسماء اجداده البدور ، وتكون بهم زائدة الفوائد ، محل القلائد من الخرائد ، وذلك على سبيل الاختصار ، وبالله الاستعانة والانتصار ، ولاجل أمثال هذا قال التاج السبكي فى مفيد النعم » : المؤرخون على شفا جرف هار ، لتسلطهم على الاعراض ، بالاغراض فربما وضعوا من اناس تعصبا أو جهلا ، واعتمادا على نقل ممن لا يوثق به او غير ذلك ، فعلى المؤرخ ان يتقي الله تعالى ، وقال الشيخ الوالد يعني « التقي السبكي » ، الراي ان لا يقبل مدح او ذم من المؤرخ الا بشروط :

1) أن يكون صادقا

2) وان يعتمد اللفظ دون المعنى

3) وأن يكون عارفا من يترجمه علما ودينا وغيرهما حتى يصور فى ترجمته حاله بلا نقص ولا زيادة

4) فلا يطنب فى مدح محب ، ولا يقصر فى غيره بالهوى ، الا فى مدح سيد البشر ، الذي خلق الله من نوره الشمس والقمر ، وهو افضل من آدم وأولاده ، وجميع الانبياء من احفاده ، كما قال الشيخ البصري رحمه الله تعالى فى مدحه :

محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم

وقال فى مطلع همزيته :

كيف ترقى رقيك الانبياء يا سماء ما طاولتها سماء

وكما قال الشيخ ابن زكري فى محصل المقاصد :

رسولنا افضل بالاطباق من كل مخلوق على الاطلاق

وقال فى مطلع همزيته :

ربنـا منك للحبيـب للجـزاء تقتضيه الارواح والاجـزاء

قلت وما نسبه شيخنا العلامة المؤرخ سيدي محمد بن الطيب القادري فى هذا المطلع وغيره لا يلزمه لمن تأمله وتتبع الفاظه وانصف ، وبقول الحق اتصف ، فان « ابن زكري » ومصنفه فى واد ، واعتراض شيخنا « ابـن الطيب » فى واد ، والعذر لنا عنه انه لم ير التاليف ، وانما تلقفه من افواه التعريف ليسوا محتفظين عن التحريف ، فصادف قلبا خاليا ، وقلما سابقـا جاريا ، ولم يعمل بقول من قال :

خذ ما تراه ودع عنك شيئا سمعت به فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

فوقع له كما قيل

فكان ما كان مما لست اذكـره فظن خيرا ولا تسال عن الخبـر

والا فمقام الشيخ « ابن زكري » لا يتهم بتفضيل بني اسرائيل على الرسول ولا على العرب ، بل هو مصرح فى نظمه وشرحه بما لا يلحقه عليه ملام ، غفر الله لشيخنا والسلام ، وان اردت ان تتحقق ما قلناه ، فانظر الى البيت الثالث والاربعين من همزيته وهو قولـه :

فقت احادهم ومجموعهـم بـل والجمع وليس ثم استـواء

فضمير الجماعة عائد على الانبياء والمرسلين ، والخطـاب لسيدنـا ومولانا محمد ، فكيف يلتئم هذا مع ما قال الشيخ القادري من التفضيل وفى الشرح قد دلت الايات والاخبار ، واقاويل العلماء الكبار ، على أن مولانا محمدا هو سيد الموجودات ، وان تفاوتت فى الدرجة فهو فى أعلى الدرجات، قال المحققون فهو أفضل من كل واحد من الانبياء على حدته وأفضل من مجموعهم ، وافضل ايضا من جميعهم ، والفرق بين الكلية والكل المجموعي، ان الكلية يستبد بها كل فرد بالحكم ، بخلاف الاخيرين ، والكـل الجميعـي لا يخرج عنه فرد ، بخلاف المجموعي فهي اعتبارات ، ونبينا صلى الله عليه

وسلم افضل من سائرها ، واما ما نسب « لابن عبد السلام » الفقيه ، من انه صلى الله عليه وسلم مساو للمجموع ، مراده به الجميع كما يدل عليه توجيهه وكفره بذلك علماء عصره وعصمه الله منهم ، لانه اراد ان يبين كلام من أخذ من آية « فبهديهم اقتده » ان الآتي بمثل ما فعلوه جميعا مساو في العمل للمجموع ، والحق انه افضل من الكل ومن المجموع والجميع من غير شك ، ولا يلزم من المساواة فى العمل المساواة فى الفضيلة ، لان الفضيلة بسابقة من الله لا بعمل ، ومع ذلك فليس فى الامر بالاقتداء لزوم الاقتصار على المساواة والهدي والتوحيد واصول الدين لا الشرائع ، اذ لم يكن متعبدا بشرع من قبله

وقال الشاذلي أمره الله بالاقتداء بهم فيما شاركوه فيه ، وان انفرد عنهم بما خص به ، وهذا اخص واتم تحريرا ، فلا يمنع الموافقة فى المشروع ويؤيده ما أخرجه البخاري ، وابن أبي شيبة عن العوام ، قال سألت مجاهدا عن سورة « ص » قال سألت ابن عباس اين سجدت، قال او ما تقرا « ومن ذريته داود وسليمان الى قوله فبهديهم اقتده » ، فكان داوود ممن امر نبيكمأن يقتدي به ، فسجدها داوود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وخرج سعيد بن منصور عن الحكم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسجد فى « ص » حتى نزلت « أولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده » وقوله : « فقت » فيه ترتيب معنوي وتدريج اذ التفضيل على المجموع فوق التفضيل على كل واحد وحده ، والتفضيل على الجميع فوق التفضيل على المجموع ، ولا يلزم من الاول الثاني ولا من الثاني الثالث ، وبل انتقالية لا ابطالية ، وما بعدها اعلا مما قبلها على جير قوله تعالى « بل ادراك علمهم فى الاخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون « الآية » وهي مع الجمل غير عاطفة على الصواب ، والمعطوف عليه بالواو مقدر اي بل فقت ما ذكر والجميع اي ليس علوك باعتبار الاحاد والمجموع فقط ، بل باعتبار الجميع وقوله فليس ثم اي فى الواقع ونفس الا من استواء نتيجة عما قبله وتاكيد له لبيان الحق والصواب فى هذه المسألة خلافا لما توهمه المخالف من المساوات للجميع ، قال بعضهم الذي عليه عامة العلماء جواز اطلاق افضليته صلى الله عليه وسلم على التعميم ، وعلى التعيين

واما قوله تعالى : « لا نفرق بين احد من رسوله » فهو اعتبار الايمان بهم ، وما انزل الله عليهم ، لا فى التفضيل ، فقد ورد بنص الكتاب قال

تعالى « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » فالتفاضل مما يجب الايمان به ، وهذا كله ظاهر ، الا انه لم يعين ابن عبد السلام ، هل هو التونسي أو غيره ، والظاهر انه التونسي ، وقد وقع الانكار عليه فى مسألة اخرى كما فى حاشية العلامة ابي زيد سيدي عبد الرحمان الفاسي على شرح الشيخ السنوسي عند قوله : وانه قد حاز منزلة عنده لا يمكن ان تلحق ، ونصه فى نوازل الونشريسي « سئل ابن عبد السلام هل يمكن بحسب القدرة أن يخلق الله افضل من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ام لا ؟؟ فأجاب انه يمكن ، لكنه لم يقع ، فبلغ ذلك بعض معاصريه من علماء تونس وهو الشيخ الفقيه ابو الحسن بن المنتصر ، فكتب الى ابن عبدالسلام « يا محمد ليت امك لم تلدك وليتها اذ ولدتك لم تتعلم ، وليتك اذ تعلمت لم تتكلم ، فقال ابن عبد السلام ما للمرابطين والدخول فى الفضول ، وقال ابو سعيد السلوي القدرة لا تتعلق الا بالممكنات واما المستحيل فليس بمقدور عليه ولا بمعجوز عنه ، والنبي صلى الله عليه وسلم خلقه الله أفضل من العالم كله ، فاستحال ان يكون غيره صلى الله عليه وسلم أفضل

قال الونشريسي ، واعتراض المعترضين على ابن عبد السلام قصور وتحامل عليه وانتقاد لجوابه من غير تدبر ، لان المسألة خلافية ، قال الشيخ سيدي سعيد العقباني فى شرحه للعقيدة البرهانية « اعلم ان الشيء قد يكون ممكنا فى نفسه ، لكن لما تعلق على الله تعالى بعدم وقوعه صار من هذا الوجه محالا ، فما يكون مثل هذا ، هل تتعلق به القدرة نظرا الى امكان ذاته ، ولا تتعلق به ، لان العلم القديم مؤذن بأنه محال ، واختلف فيه ، فظهر لك من هذا الكلام النزاع والخلاف فى المسألة عند المتكلمين ، والارجح عندهم تعلق القدرة به ، وهو جواب ابن عبد السلام فى كلام الونشريسي ، فيا أيها المومنون تمسكوا بقول مولانا واذعنوا ، « يا ايها الذين ءامنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا » غدا بين يدي الله الحق جل جلاله على ما اغتررتم به من نقلة اخبار السوء نادمين ، واقبلوا هذه النصيحة ان شئتم ان تعرضوا على مولاكم من جميع الافات سالمين ، ولرضاه ورضى رسوله غانمين ، وتكونوا مع النبيئين والصديقيين والشهداء والصالحين ناعمين

عبد الله أبو النبى (ص) :

قال أهل السير ، كانت ولادة عبد الله بن عبد المطلب لاربع وعشرين سنة مضت من ملك كسرى انو شروان ، وكان يوم ولد عبد الله علم به

جميع احبار الشام ، وذلك أنه كانت عندهم جبة صوف بيضاء ، وكانت الجبة مغموسة فى دم يحيى بن زكرياء عليهما السلام ، وكانوا وجدوا فى كتبهم اذا وجدتم الجبة البيضاء والدم يقطر منها ، فاعلموا ان ابا محمد المصطفى قد ولد تلك الليلة ، فلما قطر منها الدم قاموا بأجمعهم للحرم ، وارادوا ان يقتلوا عبد الله فصرف الله شرهم عنه ، ورجعوا الى بلادهم ولم يقدم عليهم احد من الحرم الا سألوه عن عبد الله ، فيقولون تركنا نورا يتلألأ فى قريش ، فيقول الاحبار ليس ذلك النور لعبد الله ، انما ذلك النور لمحمد صلى الله عليه وسلم ، قال فكان عبد الله أجمل قريش ، فشغفت به كل نساء قريش ، وكدن أن تذهب عقولهن ، فلقي عبد الله فى زمنه من النساء ما لقي يوسف عليه السلام فى زمنه من امراة العزيز ، وكان يخبر أباه بما يرى من العجائب ، يقول : يا أبت اني خرجت الى بطحاء مكة ، وصعدت على جبل ثبير ، فخرج من ظهري نوران احدهما شرقي الارض وآخر غربيها ، ثم ان ذينك النورين يستديران حتى يصيران كالسحابة ثم تنفجر لهما السماء فيدخلان فيها ، ثم يرجعان الي فى لمحة واحدة ، واني لاجلس فى الموضع فاسمع من تحتي سلام عليك ايها المستودع فى ظهره نور محمد صلى الله عليه وسلم ، واني لاجلس فى الموضع اليابس او تحت الشجرة اليابسة فتخضر وتلقي علي اغصانها ، فاذا قمت وتركتها عادت الى ما كانت عليه ، فقال له عبد الله أبشر يا بني فاني ارجو ان يخرج الله من ظهرك اكرم العالمين ، وكان عبد الله ابو النبي صلى الله عليه وسلم كلما اصبح وذهب على صنمهم الاكبر وهو اللات والعزى وصاح كما تصيح الهرة ونطق وهو يقول : ما لنا ولك أيها المستودع ظهرك نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي يكون هلاكي وهلاك أصنام الدنيا على يديه

ذكر عبد المطلب مختصرا :

قال « ابن اسحاق » وكان عبد المطلب نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم حين ولد له عشرة نفر ، وقد علم انهم يمنعونه ذبح احدهم ، وفى الحدائق « لابن الجوزي » روى قبيصة عن ذؤيب عن ابن عباس قال لما رأى عبد المطلب قلة اعوانه فى حفر زمزم قال لئن اكمل الله له عشرة ذكور ليذبحن احدهم ، فلما تكاملوا عشرة جمعهم ثم اخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء بذلك ، فأطاعوا ثم قال للسادن اضرب بقدح هؤلاء ، فلما اخذ ليضرب قام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله ويقول :

اللهم إني نذرت لك نحر احدهم ، واني أريد ان اقرع بينهم فاصب بذلك من شئت ، ثم ضرب السادن القدح فخرج القدح على عبد الله ، فاخذ عبد المطلب بيده ثم اقبل به نحو اساف ونائله فمنعته قريش ، واشاروا عليه ان يأتي امراة بالحجاز كاهنة قيل اسمها قطبة وقيل اسمها سجاح فقص عبد المطلب عليها القصة فقالت له كم الدية عندكم ، فقال عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قدموا صاحبكم وقدموا عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها القدح ، فان خرجت على صاحبكم فزيدوا فى الابل ، ثم اضربوا هكذا حتى يرضى ربكم ، ففعلوا ذلك حتى بلغت الابل مائة فخرجت على الابل ففداه بمائة من الابل ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين .

ذكر تزويج عبد الله آمنة :

روي انه خرج عبد الله يوما الى قنصه وقد قدم عليه سبعون رجلا من احبار يهود الشام معهم السيوف المسمومة يريدون ان يقاتلوه ويقتلوه ، وكان ابو آمنة صاحب قنص ايضا ، قال : فلما نظرت الى الاحبار قد احدقوا بعبد الله وعبد الله يومئذ وحده تقدمت اليه لاعينه عليهم ، فنظرت الى رجال يشبهون رجال الدنيا على خيل شهب قد حملوا على الاحبار حتى هزموهم عن عبد الله ، فلما رأى ذلك وهب من عبد الله رغب فيه وقال : لا يستقيم لابنتي آمنة غير هذا، فتزويج عبد الله بآمنة وكان يوم تزوجها ابن ثلاثين سنة، وقيل ابن خمس وعشرين سنة ، وقيل ابن سبع عشرة سنة ، وليلة بني عبد الله بها لم تبق امراة من قريش الا مرضت .

روى عبد الله بن عباس عن ابيه عباس ، ان ليلة بناء عبد الله بآمنة احصينا مائتي امراة من بني مخزوم وعبد شمس وعبد مناف متن وخرجت اورواحهن وخرجن من الدنيا ، ولم يتزوجن ، اسفا على ما فاتهن من عبد الله ولم يكن لعبد الله ولا آمنة ولد غيره صلى الله عليه وسلم ، وكان عبد الله حليما كريما فاضلا عفيفا حييا اشد حياء من العذراء ، ويدل على ذلك قوله للكاهنة التي قالت : هل لك ان تقع علي واعطيك مائة من ابل وذلك لاجل النور الذي رات فيه فقال :

أما الحرام فالممات دونه　　　يحمي الكريم عرضه ودينه

وقد تقدم ذكر حسنه وجماله ، وهو اجمل قريش وأوسطها فى نسبه ، واعطى الله آمنة من الجمال والكمال ما لا يوصف حتى كانت تدعى حكيمة قومها

ولما تم لآمنة من حملها شهران وقيل قبل ولادتها بشهرين كذا فى سيرة « مغلطاي » توفي عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل توفي وهو فى المهد ، وقيل غير ذلك ، ودفن بالانواء على احد الاقوال ، وكذلك امه آمنة (.) توفيت بالابواء ، والنبي صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين ، وقالت آمنة زوجته ترثيه بهذه الابيات :

عفا جانب البطحاء من آل هاشم	وجاور لحدا خارجا فى المغانم
دعته المنايا دعوة فأجابها	وما نزلت فى الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره	تضايق أصحاب له فى المغارم
بان تك غالته المنايا وريبها	فقد كان معطاء كثير التراحم

واما عبد المطلب (1) جد النبي صلى الله عليه وسلم فاسمه شيبة ، لانه حين ولد كان وسط راسه أبيض ، وقيل اسمه عامر ، وهو قول ابن قتيبة (2) وتابعه عليه المجد الشيرازي (3) وانما سمي عبد المطلب لانه كان طفلا حين توفى ابوه فرباه عمه المطلب بن عبد مناف ، وكان عادة العرب ان يقولوا لليتيم

.) آمنة بنت وهب بن عبد مناف توفيت عام 575 م

1) هو عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف ولد بالمدينة فى بيت بني النضر عشيرة امه لم انتقل الى مكة التي أصبح على راس قريش بها ، توفى وسن رسول الله 8 سنوات .

2) ابن قتيبة : عبد الله بن سلم (828 ـ 889 م) مؤلف ولد بالكوفة او بغداد . وبها مات اشتغل قاضيا مدة بالدينور ومدرسا ببغداد الم بمعارف عصره ، والف فيها المصنفات الجيدة فشبه بالجاحظ وكان فى اللغة والنحو بغدادي المذهب ، يخلط بين اقوال البصريين والكوفيين ، واهم كتبه اللغوية : 1) ادب الكاتب 2) معاني الشعر شارك فى الجدل الديني القائم واهم كتبه الدينية 3) غريب القرآن 4) المشتبه من الحديث والقرآن . واهم كتبه التاريخية : 5) عيون الاخبار 6) المعارف 7) الشعر والشعراء.

3) الشيرازي : صدر الدين (توفي 1649 م) هو محمد ابن ابراهيم القوامي الملا صدر الدين الشيرازي اكبر فلاسفة الفرس في عصر الصفويين والقاجريين يعرف بالخوند وملا، اي الاستاذ وذلك لمنزلته فى النظر العقلي والبحث العلمي وهي منزلة تلي منزلة ارسطو وابن سينا من اهل شيراز ، رحل الى اصبهان وتعلم بها وتوفي بالبصرة عند عودته من مكة حاجا له منصفات كثيرة منها :
1 ـ الاسفار الاربعة 2 ـ مفاتيح الغيب 3 ـ المبدأ والمعاد 4 ـ شرح الهداية للابهري . 5 ـ القضاء والقدر . 6 ـ تحقيق اتصاف الماهية بالوجود 7 ـ اكسير العارفين
له تلاميذ كثيرون فى الفلسفة اشهرهم عبد الرزاق اللاهجي وهو من اشهر العلماء الفلاسفة فى العصر الصفوي ، وله مؤلفات فى الكلام والفلسفة منها بالفارسية :
1) جوهر المراد . وبالعربية 2) شوارق الالهام ، فى شرح التجريد لنصر الدين الطوسي.

اذا كان فى حجره هو عبده ، وفى « المنتقى » لما قدم عبد المطلب من المدينة كان قد اردفه عمه المطلب على راحلته وقد اثرت فيه الشمس وعليه ثياب رثـة ، وقدم مكة ضحوة والناس فى مجالسهم ، فجعلوا يقولـون من هذا رديفك فيقول عبدي ، وكره ان يقول ابن اخي ، وهو بهيئته تلك ، فاشتهـر بعبـد المطلب وفى سيرة « ابن هشام (1) » هلك عبد المطلب برزمان من اليمن ، قيل ليس على وجه الارض هاشمي الا من اولاد عبد المطلب ، اذ لم يبق من أولاد هاشم نسل ، قال « السهيلي » ان عبد المطلب اول من خضب بالسواد من العرب ، قال ابن الاثير : هو اول من تحنـث بحـراء ، وكان اذا دخل شهـر رمضان صعد حراء واطعم المساكين ، وقال ابن قتيبة : كـان يرتع من مائدة عبد المطلب الطير والوحوش فى رؤوس الجبال ، فقيل له الفياض لجـوده ، وسمي مطعم طير السماء ، وكان مجاب الدعوة وولد له اثنى عشر ابنا على ما فى الصفوة ، أو ثلاثة عشر على ما فى العقبى ، او عشرة على ما فى سيـرة ابن هشام والاكتفاء كما تقدم ، ، وقيل عبد الله ابو النبي صلى الله عليه وسلـم اصغرهم سنا على قول ابن اسحاق ، والصواب ان حمزة والعباس أصغر منه، كذا فى سيرة « مغلطـاي »

واما هشام فهو جد النبي صلى الله عليه وسلم ، واسمه عمرو وكنيته ابو نقلة لعلو مرتبته ، ولقبه هاشم لانه كان يهشم الثريد لاهل مكة أيام القحط، والهشم كسر الشيء اليابس كذا فى القاموس ، وولي السقاية والرفادة بعـد وفاة ابيه عبد مناف ، اما السقاية فحياض من ادم كانت على عهد قصي توضع تجاه الكعبة ويسقي فيها الماء العذب من الآبار وتسقى الحجاج ، واما الرفادة فخراج كانت قريش تخرجه فى الجاهلية من اخوالها فى كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع منه طعاما للحجاج ، ياكل منه ، ولم يكن له سعة ، وكان عبـد مناف يعمل به بعده ، وكان هاشم يعمل به بعده ، فيطعم الناس فى كل موسم وهو ما يجتمع عنده من وفر قريش ، فلم يزل على امره ذلك حتـى أصاب الناس سنة جدب شديد ، فخرج هاشم الى الشام فاشترى بما اجتمع عنده من مال دقيقا وسمنا وكعكا ، فقدم مكة فى الموسم فهشم الخبز والكعك ، ونحر الجزور وطبخ اللحم ، وجعله ثريدا واطعم الناس ، وكانوا فى مجاعة شديدة فاشبعهم بذلك هاشما ، وقال « عطاء » عن ابن عباس ، انهم كانوا فى ضـر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين ، يعني فى الشتاء الى اليمن ، وفى الصيف الى الشام ، وكانوا يقسمون ربحهم بين الفني والفقير ، حتـى كان

---

1) ابن هشام عبد الملك الحمدي البصري ، ولد بالبصر ونزل مصر وتوفي بالفسطاط (834م) نحوي ومؤرخ وضع كتاب (السيرة النبوية) معتمدا على ابن اسحـاق ، بداهـا مـن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام . ثم انتهى الى مولد النبي ص ونشأته وبعثته ورسالته وهجرته وغزواته ووفاته . شرحها كثيرون منهم السهيلي فى (روض الانف)

فقيرهم كغنيهم ، وكان قصي لما كبر سنه اعطى لولده عبد الدار الحجابة والرفادة والسقاية واللواء ، واستمر ذلك بيد بني عبد الدار ، واختصوا بأمر مكة ، واقتسموها ارباعا ، وجعلوا يبيعونها لحلفائهم ، ثم ان بني عبد مناف وهم عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل ، اجمعوا امرهم على أن يأخذوا ما بيد عبد الدار مما كان قصي جعل لولده عبد الدار ، وراوا انهم اولى بذلك منهم لشرفهم عليهم ، وفضلهم فى قومهم ، فتفرقت عند ذلك قريش ، فطائفة مع بني عبد مناف وطائفة مع بني عبد الدار يرون الا ينزع ما بأيديهم ، مما كان جعله قصي لهم فوقع الخلف ، اخرج بنو عبد مناف جفنة وملؤوها طيبا وغمسوا ايديهم فيها عند باب الكعبة فسموا المطيبون ، واخرج بنو عبد الدار جفنة وملؤوها دما من جزور وغمسوا ايديهم فيها مع احلافهم فسموا لعقة الدم ، وتقبلوا للحرب ثم وقع الصلح على ان اعطى بنو عبد الدار مما بأيديهم ، السقاية والقيادة لبني عبد مناف ، وتحاجزوا عن الحرب ، وثبت كل قوم مع حلفائهم ، فكان مع بني عبد مناف بنو اسد ، وبنو زهرة ، وبنو تيم بن مرة ، وبنو الحارث بن فهر ، القبائل الاربع ، ومع بني عبد الدار قصي بنو مخزوم وبنو سهم ، وبنو جمح وبنو عدي ، القبائل الاربع ، وخرجت عامر بن لؤي ومحارب بن فهر ، فلم يكونوا مع احد ، هذا هو الحلف الاول ، وكان بعد ذلك حلف الفضول ، وهو حلف عقدته قريش بينها على نصرة المظلوم جعله عبد الله ابن جدعان ، والزبير بن عبد المطلب ، فاجابتهما له قريش ، وتحالفوا على ذلك الى أن اتى الله بالاسلام ، وبعث سيد الانام ، فقال عليه الصلاة والسلام ، ما كان من حلف فى الجاهلية فان الاسلام لم يزده الا شدة وقوة وتأكيدا

وفى « المنتقى » كان هاشم افخر قومه واعلاهم ، وكانت مائدته منصوبة لا ترفع فى السراء والضراء ، وكان يحمل ابن السبيل ويأوى الخائف ، وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جبهته يتوقد ويتلألأ ضياؤه ، ولا يراه حبر من الاحبار الا قبل يديه ، ولا يمر بشيء الا يسجد له ، تفد اليه قبائل العرب ووفود الاخيار ، يحملون بناتهم يعرضونهن عليه ليتزوج بهن ، حتى بعث اليه هرقل ملك الروم وقال ان لي ابنة لم تلد النساء اجمل منها ، ولا ابهى منها وجها ، اقدم الى حتى ازوجكها ، فقد بلغني جودك وكرمك ، وانما اراد بذلك نور محمد صلى الله عليه وسلم الموصوف عندهم فى الانجيل ، وكان هاشم يأبى ذلك وكان ينطلق الى جبل ثبير يسأل اله السماء ثم يرجع الى الاصنام ، وكان اذا أراد أن يدخل عليها يدركه جبريل فينزع نور رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظهره حتى رأى فى منامه أن يتزوج سلمى بنت عمرو ابن زيد بن لبيد بن عامر النجار ، فهي نجارية وثالثة الجدات النبويات ، وكانت فى زمنها كخديجة فى زمنها ، لها عقل وحلم ، فولدت له عبد المطلب وقيل غير ذلك والله اعلم .

عبد مناف وقصى وكلاب أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم :

اما عبد مناف فاسمه المغيرة ابو عبد شمس، وساد عبد مناف فى حياة ابيه ، وكان مطاعا فى قريش ، وهو الذي يدعى القمر لجماله .

ذكر الزبير عن موسى بن عقبة انه وجد كتابة فى حجر فيه « انا المغيرة ابن قصي آمر بتقوى الله وصلة الرحيم » قال قائلهم :

كانت قريش بيضة فتفلقت فالمخ خالصة لعبد مناف

قال ابن هاشم هلك عبد مناف بغزة من ارض الشام تاجرا ، ولم تزل السقاية والرفادة والقيادة لعبد مناف بن قصي ، توفي فولد له اربع بنين وابنتان ، عبد مناف وتقدم اسمه ، وعبد الدار ، وعبد العزى وعبيد ، ونجم ، وبرة .

واما قصي بن كلاب فاسمه زيد ، قال الشافعي يزيد فيما حكاه احمد كما فى سيرة مغلطاي ، وكنيته ابو المغيرة ، وكان فيه نور رسول الله صلى عليه وسلم ، وفى الخميس ، وقصي هو الذي جمع الله به قريشا ، وكان اسمه زيدا ، مجمعا لما جمع من امرها ، قال بعضهم شعرا :

ابوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

وصغر قصي لتقصيه عن بلاد قومه فى بلاد قضاعة ، انظر ذلك بتمامه فى كتب السير ، وكان قصي شابا جميلا ، ورجلا جليدا جليلا ، وكان أعلم قريش واقومها بالحق ، وهو اول من ولى سدانة الكعبة من قريش ، اشتراها من خالد ابي غبشان الخزاعي كان بيده مفتاح الكعبة فباعه من قصي باثواب ، وقيل بابعرة ، وقيل بزق خمر ، فلذلك يقال فى المثل اخسر صفقة من ابي غبشان ، واول نفر من بني كعب اصاب ملكا اطاع اليه قومه ، فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء ، فحاز شرف مكة ارباعا بين قومه ، وانزل كل قوم من قريش منازلهم فاقطعها قصي بيده واعوانه ، فسمته قريش مجمعا لما جمع من امرها ، وكان أمره فيهم فى حياته وبعد موته كالدين المتبع ولا يعمل بغيره ، واتخذ لنفسه دار الندوة عن الواقدي(1)

---

1) الواقدي محمد بن عمر (747 ـ 823) مؤرخ عربي وحجة فى الحديث والفقه ، ولاه الرشيد العباسي القضاء بشرق بغداد ، واتصل بالمامون ، كان يملك مكتبة ضخمة ألف كتبا كثيرة منها 1) التاريخ الكبير . وكتاب 2) التاريخ والمغازي والبعث وقد نشر جزءا منه

انه قال : مات قصي بمكة فدفن بالحجون فتدافن الناس بعده بالحجــون ، وكان فئة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فى يده لواء نــزار وقوس اسماعيـــــل .

ذكر كلاب بن مرة :

هو جد النبي صلى الله عليه وسلم واسمه « حكيم » وكنيته أبو زهرة ، وقيل عروة ، وكذا فى سيرة مغلطاي والمواهب وهو اما منقول من المصدر الذي فى معنى المكالبة نحو كالبت العدو مكالبة ، وكلابا ، او من الكلاب فى جمع كلب، لانهم يريدون بذلك كما تسمى السباع ، وسئل اعرابي لم تسمون ابناءكـم بشر الاسماء نحو كلب وذئب ، وعبيدكم بأحسن الاسماء نحو مرزوق ورباح، فقال انما نسمي أبناءنا لاعدائنا ، وعبيدنا لانفسنا ، يريدون ان الابناء عــدة للاعداء ، وسهامهم فى نحورهم ، فاختاروا لهم هذه الاسماء

واما مرة بن كعب فيقال فى اشتقاق اسمه ما قيل فى كلاب والله اعلم ، وكنيته أبو يقظة ، وسياتي بانه كان على التوحيد ، وانه منصوص على ايمانهم، واما كعب بن لؤي فكنيته « ابو هصيص » وكان كعب عظيــم القدر وارخــوا بموته اعظاما الى أن كان عام الفيل فارخوا له تلك المــدة وكان بينه وبيــن الفيل فيما ذكروا خمسمائة وستون كذا فى « الاكتفاء » وفى « شواهد النبؤة » بين موت كعب ومبعث نبينا صلى الله عليه وسلم خمسمائــة سنة وستــون سنة ، وفى «الروض الانف» للسهيلي : ان كعب بن لؤي أول من جمع العروبة، فكانت قريش تجتمع اليه فى هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم يعلمهم انه من ولده ويأمرهم باتباعه والايمان به ؟

واما لؤي بن غالب فهو بالهمــزة تصغيــر اللأي وهــو الثــور ، وقال « السنداني » بالهمز وتركه ونقل غيره عن النووي ان الاكثــر ترك الهمــز ، وقال أبو ذر الخشبي والمشهور الهمز ، وأما غالب بن فهر فاسمه « غالب » وكنيته « أبو تيم » وأمه سلمى بنت سعد بن هزيل ، فهي هزيليــة وعاشــرة الجــــــدات .

وأما فهر بن مالك ففي « الاكتفاء » يقال ان قريشا هو اسمه الذي سمته به أمه ولقبه فهر ، وكنيته « ابو غالب » قال الزبير بن بكار ، وقــد اجتمــع النسابون ان قريشا انما تفرقت عن فهر ، وفى كتاب الشيــخ « حسن الديار بكري (1) » وفهر هو جماع قريش عند الاكثــر

---

1) هو الديار بكري حسين بن محمد تـ ح 1574 تولى القضاء فى مكة ، كــان شافعــي المذهب من مصنفاته (تاريخ الخميس فى احوال انفس نفيس) تناول فيــه سيــرة النبي وتاريــخ الخلفــاء الى السلطان مراد العثماني

واما مالك ابن النضر فكنيته ابو الحارث وهو من اجداد النبـي صلى الله عليه وسلم معروف كرمه وفضله وشجاعته وذكاؤه فى المطولات من كتب السير ، واما النضر بن كنانة ، فاسمه قيس وكنيته « ابو يخلـد » كـذا فى « المنتقى » و « المواهب اللدنية » وانما سمي النضر لنضارته وجماله ، وفى المنتقى وهو الذي اختاره الله وسماه قريشا ، وكل من ولده النضـر فهـو قريشي ، وفى « أنوار التنزيل » وقريش اولاد النضر بن كنانة ، فنقول مـن تصفير قريش ، وهي دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ، ولا يطاق دفاعها الا بالنار فسمو بها لانها تاكل ولا توكل، وتعلو ولا تعلى ، وصفر الاسم للتعظيم، عن « ابن عباس » وقد سئل عن تسميتهم قريشا فقال : بدابة فى الارض من احسن دوابه لا تدع شيئا من الغث والسمين الا اتت عليه ، يقال لها قريش وانشد شعر عمرو حيث قال :

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا

سلطت بالعلو فى لجـة البحر على سائـر البحار جيوشـا

تاكل الغث والسمين ولا تترك منه لذى الجناحين ريشـا

وقيـــل غيـــر ذلـــك .

والحاصل أن الخلاف جار فى ان قريشا النضـر او فهر والله اعلـم . فائدة جليلة فى « المنتقي » والنضر هو الذي راى فى منامه وهو نائم فى الحجر شجرة خضراء خرجت من ظهره ، ولها أغصان بعدد الاولين والاخرين ، وقد ارتفع بعض اغصانها الى السماء ، وله نور لامع فى نور يشبه نور الزجاجـة ، وقد تعلق به قوم بيض الوجوه من لدن ظهره ، فلما انتبه اتى الى الكاهنـة فأخبرها بذلك فقالت له ان صدقت رؤياك لقد شرف بك القرى وخص باسم ونسب لم يخص به من كان قبلك .

واما كنانة بن خزيمة فكنيته « أبو النضر » وفى كنانة نور النبي صلى الله عليه وسلم ، وانما سمي كنانة لانه لم يزل فى كن قومه ، واما خزيمة بن مدركة ففي كتاب « الديار بكري » وانما سمي خزيمة بتصفير خزمـة ، لانه خـزم نور آبائه ، قلت ففي استعارة تبعية لانه شبه احتواءه على نور آبائـه بخـزم البعير اذا جعل فى منخره الخزامة لينقاد ، وكنيته « ابو كنانة » وفيـه نـور النبي صلى الله عليه وسلم ، فبقي سنين لا يدري كيف يتزوج حتى سمع فى منامه ان تزوج بربرة بنت طابخة فتزوجها ، وكانت يومئذ سيدة قومهـا فى الحسن والجمال ، فولدت له كنانة .

وأما مدركة بن الياس فقال الشيخ محمد الديار بكري (1) وتزوج الياس امراة يقال لها مخة وفى « حياة الحيوان » خندق فولدت له مدركـة ، وكان اسمه عامرا ، قال « ابن أسحاق » ويقال عمرا وكنيته ابو هزيل ، وانما سمي مدركة ، لانه أدرك كل عز كان فيه آباؤه ، وفيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى « الاكتفاء » فولد لالياس بن مضر ثلاثة نفر : مدركة ، وطابخة ، وقمعة ، وامهم خندق ، بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، واسمها ليلى ، واسم مدركة عامر ، واسم طابخة عمرو ، واسم قمعة عمير ، وانمـا امليت اسماؤهم الى الذي ذكرنا اولا عنهـم هـو ان ارنبا نفرت ابـل الياس ابن مضر ، فصاح ببنيه هؤلاء ان يطلبوا الابل والارنب ، فاما عمير فاطلع من الظلة ثم قمع فسمي قمعة ، قوله من الظلة ما يستر بـه من الحـر كالخبـاء ونحوها ، قوله قمع أي دخل البيت مستخفيا ، وخرج عامر وعمر وفى اثـر الابل ، وخرجت امهم ليلى تسعى خلفهم ، فقال لها زوجها اين تخندفين اي تسعين ، فسميت «خندق» فمر عامر وعمر وبطير فرماه عمرو فقتله ، ويقال بل رمى الارنب التي نفرت الابل فقال له عامر اطبخ صيدك فانا اكفيك الابل ، فطبخ عمرو فسمي طابخة ، وادرك الابل عامر فسمي مدركة وخندق كزبرج بكسر الخاء والدال .

وأما الياس بن مضر فبكسر الهمزة عند « ابن الانباري » وبفتحها عند « قاسم بن ثابت » واللام فيه للتعريف ، والهمزة للوصل ، قال « السهيلي » : هذا اصح كذا فى « المواهب اللدنية » واسم الياس حسـب كـذا فى سيـرة « مغلطاي » وقيل حسين وكنيته أبو عمرو ، وفيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما سمي الياس لان مضرا قد كبر ولم يولد له فولد على الكبر واليأس من الولد فسماه به . وفى « حياة الحيوان » : كان الياس مومنا ، وكان يسمع من صلبه تلبية محمد صلى الله عليه وسلم بالحج فتعجب منه ، وعبارة المنتقي « وكان يسمع من ظهره احيانا دويا بتلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ولم تزل العرب تعظم الياس بن مضر ، وكان يدعى كبيـر قومـه ، وسيد عشيرته ، ولا يقطع امر ولا يقضي دونه . ولما ادرك الياس بن مضر انكر على بني اسماعيل ما غيروه من سنن آبائهم ، وهو اول من اهدى البدن الى البيت فى زمنه ، وأول من وضع الركن للناس بعد الطوفان حيـن غـرق البيت وانهدم ، ومن الناس من يقول : انما هلك الركن بعد ابراهيم واسماعيل وهـو الاشبـه .

---

1) كذا فى الاصل الشيخ محمد والواقع انه حسن بن محمد راجع الهامش السابق . وقـد ذكره الزياني فى مكان آخـر ياتي بعد باسمه الكامل وذلك حين كلامه عن اسماعيـل عليـه السلام حيث قال : (قال الشيخ حسن بن محمد فى كتابه ... الخ

واما مضر بن نزار فكان مسلما على ابراهيم ، وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليهوسلم ، وانما سمي مضرا لانه اخذ بالقلب ولم يكن يراه احد الا احبه ، وفى القاموس سمي مضر لولوعه بشرب اللبن الماضر اي لبياض لونه ، ويقال له مضر الحمر ، لانه اعطى الذهب من ميراث ابيه ، او لان شعارهم فى الحرب الرايات الحمر ، ومضر على وزن زمر ، وكنيته ابو العباس ، يقال ان اول من سن الحدا عبد له ضرب مضر يده ضربا وجيعا ، فولى وهو يصيح وايداه ، فاستمعت له الابل وتبعته فصار يحدو وكان يقال مضر وربيعة هما الصريحان من ولد اسماعيل ، روى ميمون بن مهران عن عبد الله بن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا تسبوا ربيعة ومضر فانهما كانا مسلمين » وقال صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه : « اذا اختلف الناس فالحق مع مضر » وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا يقول :

انى امرؤ حميري حين تنسبني لا من ربيعة آبائي ولا مضر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ابعد لك من الله ورسوله ، ومما يؤثر من حكم مضر « من يزرع شرا يحصد ندامة » ، « وخير الخير اعجله »، « احملوا انفسكم على مكروهها فيما اصلحكم ، واصرفوها عن هواها فيما افسدكم ، وليس بين الصلاح والفساد الا صبر فواق ، وفسحة اخلاق »

واما نزار بن معد ، قال « الديار بكري » لم تعرف ملته ، قلت وهذا ما يناقض ما قاله فى موضع آخر من كتابة اجداده صلى الله عليه وسلم ، من ابراهيم الى كعب بن لؤي ، وابنه مرة منصوص على ايمانهم ، وسياتي ذلك مستوفي ان شاء الله تعالى ، وفيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما سمي نزار بكسر النون من النزر وهو القليل ، لان معدا نظر الى نور رسول الله صلى عليه وسلم فى وجهه ، فقرب له قربانا عظيما وقال له قد آستللت لك هذا القربان وانه نزر قليل ، فسمي نزارا ، وكنيته ابو اياد ، وكان اجمل اهل زمانه واكثرهم عقلا

واما معد بن عدنان فاسمه على وزن مرد ، وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما سمي معدا لانه كان صاحب حرب وغارات على بني اسرائيل ، ولم يحارب احدا الا رجع بالنصر والظفر ، وكنيته « ابو قضاعة » وقال « الزهري (1) » حدثني علي بن المغيرة قال لما بلغ بنو معد عشرين رجلا

---

1) الزهري هو محمد بن مسلم (670) محدث مشهور ، جمع حشدا من الاحاديث بفضل ما أبداه من همة لا تكل ، ولم يكتف ببذل الجهد فى توطيد دعائم السنة النبوية فحسب ، بل وطد ايضا سنة صحابة النبي ص ويقال انه أول من دون الحديث نزولا على ارادة الامراء الذين كانوا يشملونه برعايتهم ، من شيوخه عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وقد ألف كتابا واحدا هو (كتاب نسب قوم) ونسب اليه كتاب المغازي .

اغاروا على عسكر موسى عليه السلام ، فدعا عليهم ثلاث مرات ، فقال : « يا رب دعوتك على قوم فلم تجبني فيهم بشيء » فقال : « يا موسى دعوتني على قوم فيهم خيرتي فى آخر الزمان » ، ذكر الزبير باسناد له الى مكحول، قال اغار الضحاك على بني اسرائيل فى أربعين من بني معد عليهم « دراريع » الصوف خاطمي خيلهم بحبال الليف ، فقتلوا وسبوا وظفروا ، فقالت بنو اسرائيل يا موسى ان بني معد غاروا علينا وانت نبينا فادع عليهم ، فتوضأ موسى عليه السلام وكان اذا اراد حاجة من الله صلى ما تيسر ثم قال « يا رب ان بني معد اغاروا على بني اسرائيل فقتلوا وسبوا وظفروا فسألوني ان أدعوك عليهم » ، فقال الله : « لا تدع عليهم ان فيهم نبيا أحبه واحب امته» قال : « يا رب ما بلغ من محبتك له » ، قال : « اغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، » قال : « يا رب ما بلغ من محبتك لامته ، » قال : « يستغفرني مستغفرهم فاغفر له ، ويدعوني داعيهم واستجيب له » ، قال : « يا رب فاجعلني منهم ، » قال : « تقدمت واستاخروا »

واما عدنان (1) بن ادد ، فقيل : وانما سمي عدنان لان أعين الانس والجن كانت ترمقه ، وارادوا قتله وقالوا ان تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس ، فوكل الله به من يحفظه ، وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى « الاكتفاء » من عدنان تفرقت القبائل (2) ومن ولد اسماعيل

واما ادد بن اد ، فقال بعض أهل السير ، وانما سمي ادد لانه كان مديد الصوت ، طويل العز والشرف ، وقيل اول من تعلم العلم من ولد اسماعيل ادد ، فضل بالكتابة على اهل زمانه وادد ، قال فى القاموس كعمر ، معروف وبضمتين ابو قبيلة ، وقيل ولد لادد ولأدد عدنان .

واما اد بن الهميسع فقد ذكره « ابن ابي الخصال » فى قصيدته التائية فى النسب الشريف « ومغلطاي » فى سيرته والله اعلم بصحة ذلك .

واما الهميسع بن حمل فذكره فى الصفوة والمنتقي من كتب السير ، واما معناه ، قال فى القاموس : الهميسع كالسميدع ، القوى الذي يصرع ، والطويل ، فقد بين ان هذا الاسم اشتق من القوة الجسمية ، والشجاعة العظيمة ، التي لا يغلبها غالب ، ولا يفر منها هارب ، ولا يصرع موصوفها صارع ، ولا يصدع ميدانها صادع ، والطول فى عهد الشرف الاثيل ، والباع فى المجد الجليل ، ما لا يخفى على النبيل

---

1 ـ 2) عدنان هو ابن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وعنه تتفرع انساب العرب ينسب اليه اهل الحجاز اولا ، ثم انتشرت بطون عدنان فى تهامة ونجد والعراق ثم اليمن.

واما حمل فكانت ولادته فى زمن يعقوب عليه السلام وانه قال واني لاجد فى صحف جدي ابراهيم عليه السلام ، انه يجد فى هذا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الرجال من نسل شيئت لا يخالطه احد من نسل قابل ، كذا فى المنتقي .

ولما ترعرع حمل اخذ قيدر بيده بعد ما اخذ عليه العهد والميثاق برعاية نور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب حتى صار على وجه ثبير استقبله ملك الموت فى صورة رجل شاب فسلم عليه وقال له : يا قيدر ؟ أدن مني لاودعك سرا فتقدم اليه يساروه فقبض روحه من اذنه فخر ميتا فغصب ابنه حمل وقال : ويلك يا هذا فقلت ابي ، فقال ملك الموت : يا غلام انظر الى ابيك اميت هو ؟ ، فانكب ينظر الى ابيه فغاب ملك الموت عن عينيه فالتفت يمينا وشمالا فلم ير احدا ، وقيض له رجل من بني اسائيل فغسل اباه ودفنه فى جبل ثبير ، وبقي حمل يكلؤه الله ويرعاه ، حتى بلغ وتزوج ، وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت سيرته حسنة ، يحب الصيد والقنص ، ويتبع سيرة آبائه ، فقد ذكره « الديار بكري » فى السير ولم يذكر ضبطه ولا اشتقاقه

واما نبت فلم ادر ضبطه ولا معناه ، نقلته كما وجدته والله اعلم

واما قيدر فيقال قيدر وقيدار بالالف، ولم اقف على اصل اشتقاقه ومعناه، وكان قيدر قد اعطى سبع خصال : الباس ، والشدة ، والصراع ، والرمي ، والقنص، والفروسية ، واتيان النساء ؟ ، قلت ان تكون هذه الخصال اصل اشتقاق اسمه اذ مادة قيدر من القدرة والاقتدار وهما يقتضيان هذه السبع خصال والله اعلم .

وكان قيدر صاحب صيد وقنص يخرج كل يوم الى قنصه ، وكان يسمع من قنصه ظبية كان او طيرا لا تذبحني حتى تسمي الله ، ولا تاكل مما لا يذكر اسم الله عليه ، وكان قد تزوج مائة امراة من بنات اسحاق ، فى سنة واحدة يظن ان المطهر التي امر بنكاحهن من ولد اسحاق طمعا ان يولد له منهن ولد ، ولم يحبلن ، فرجع يوما من قنصه وقد عيرته وحوش الجبال وقالت : يا قيدر لو هممت بهذا النور الذي فى وجهك اين تضعه او تستودعه لكان افضل لك من ابنائنا وقنصها فاتق اله ابراهيم فقد آن لك ان تخرج نور ابي القاسم من ظهرك ، فرجع قيدر الى اهله فزعا مرعوبا ، فحلف بابراهيم لا ياكل طيبا ، ولا يشرب باردا أو لا ياتي انثى حتى ياتيه بيان ما سمع من السنة الوحوش ، فبينما هو قاعد مغموم اذ هبط عليه ملك من السماء فى صورة رجل شاب ، فسلم عليه وقال : يا قيدر قد ملكت الارض واعطيت قوة

عمك عيصوا وقد نقل اليك نور محمد صلى الله عليه وسلم ، وانه كائن لـك ولد من غير نسل اسحاق ، ولو قربت لالاه السماء قربانا بين لـك التزويـج فقام قيدر فانطلق الى البقعة التي ربط بها اسماعيل حين اريد ذبحه فقرب سبعمائة بدنة وقال الاهي ان كنت رازقي ولدا فتقبل قرباني وبين لي من أين أتزوج ، وكان كلما ذبح كبشا نزلت نار من السماء في سلسلة بيضاء ، فتحمل ذلك القربان الى السماء فلم يزل كذلك حتى نودي من ورائه يكفيك يا قيدر قد استجيب دعاؤك ، وتقبل قربانك ، فانطلق قيدر فنام في اصلها اي في اصل البقعة فهتف به هاتف في منامه فقال له يا قيدران ؟ هذا النور الذي في وجهك نور محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو النور الذي فتح الله به الانوار وخلق الدنيا لاجله ، وانه عربي لا ينبغي ان يجري الا في العربيات ، فابتغ لنفسـك عربية ، وقد ذكرت وفاته في قصة ابنه حمل والله اعلم

وأما اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ، فمعنى اسماعيـل قال في « الانس الجليل » عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لابراهيـم ثمانية بنين ، اسماعيل سمي به لان ابراهيم كان يدعو ان يرزقـه الله وليـا ويقول اسم « يا ايل (1) » وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى ، فلمـا رزق هذا الولد سماه به ، ووجدت في بعض الكتب ان معناه مطيع الله ، ولاسماعيل عليه الصلاة والسلام اخبار مذكورة في كتب التفاسير والسير وغيرها ولكن حين اراد الله من ابراهيم ما اراد ولد له اسماعيل وهو ابن تسعين سنـة ، وكان بكر ابيه ، قال « الشيخ حسين ابن محمد » في كتابه قال هؤلاء الاحبار: ان « هاجر » كانت لسارة فوهبتها لابراهيم اذ لم يولـد له منها ولـد ، قال عسى أن يرزقه الله منها ولدا فلما حملـت به كان نور محمد صلى الله عليـه وسلم لامعا في جبهتها ، ففارت سارة ، وقيل اخبر سارة بان الله وعـده ان يرزقه ولدا طيبـا ، وكان يرجـو ان يكون الولـد منها ، فلما حملت هاجـر باسماعيل ، وظهر نور محمد صلى الله عليه وسلم في وجهـها اغتمـت سارة وحزنت حزنا شديدا ، فناشدت ابراهيم ان يخرجها من عندها ، فأوحى الله اليه ان اطع سارة ، فكان من امره ما كان والله اعلم (2)

وفي « الاكتفاء » فلما اراد الله ان يبويء لابراهيم مكان البيت واعلامه، أوحى الله اليه يامره بالمسير الى بلده الحرام ، فركب ابراهيم البراق وحمل اسماعيل امامه وهو ابن سنتين ، وقيل وهي ترضعه ، « وهاجر » خلفه ومعه جبريل يدله على موضع البيت الحرام ومعالم الحرم ، وتمام القصة مذكور في

---

1) يا ايـل بالعبـريـة يا الله
2) راجـع الجـدول التاريخـي لاهـم الحوادث

كتب السير ليس هذا هو محله وأما كون اسماعيل هو الذبيح او اسحاق ففي ذلك خلاف بين الصحابة والتابعين ، قال الشيخ « حسن بن محمد » واختلف علماء الاسلام في هذا الغلام الذي امر ابراهيم بذبحه بعد اتفاق اهل الكتابين على انه اسحاق ، واليه ذهب عمر وعلي وابن مسعود ، ومن التابعين واتباعهم ، وسعيد بن جبير وقتادة ، ومسروق ، وعكرمة ، وعطاء ، ومقاتل ، والزهري ، والسدي ، وهي رواية عن ابن عباس ، وقالوا كانت هذه القصة بالشام ، وروي عن سعيد بن جبير انه قال: رأى ابراهيم ذبح اسحاق في المنام، فساربه مسيرة شهر في غدوة واحدة حتى اتى به الى المنحر لمنى ، ولما أمر بذبح الكبش ذبحه ، وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة ، فطويت له الاودية والجبال ، وقال آخرون هو اسماعيل ، واليه ذهب عبد الله بن عمر ، وهو قول سعيد بن المسيب ، والشعبي ، والحسن البصري ، ومجاهد ، والربيع بن انس ، ومحمد بن كعب القرضي ، والكلبي ، وهي رواية عن عطاء ابن ابي رباح ، ويوسف بن مالك، عن ابن عباس ، قالوا المفدى اسماعيل ، وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حجة من قال ان الذبيح اسحاق قوله تعالى « فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعي » أمره بذبح من بشر به ، وليس في القرآن انه بشر بولد غير اسحاق ، كما قال في : سورة هود « فبشرناه باسحاق »

وحجة من قال اسماعيل: ان ذكر البشارة «باسحاق نبيئا من الصالحين» فدل على أن المذبوح غيره ، وايضا فان الله تعالى قال في سورة هود « فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب » ولما بشر ابراهيم باسحاق بشر بابنه يعقوب ، فكيف يامر بذبح اسحاق وقد وعده نافلة ، وفي « انوار التنزيل » ولان البشارة باسحاق ، وكانت مقرونة بولادة يعقوب منه ، فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا ، ولان قرني الكبش كانا منوطين بالكعبة في ايدي بني اسرائيل الى ان احترق البيت واحترق القرنان في ايام ابن الزبير والحجاج ، ولم يك اسحاق ثمه ، قال « الاصمعي » سألت « عمرو بن العلاء »

---

1) الاصمعي ، عبد الملك الباهلي (740 - 831) ولد ومات بالبصرة درس الحديث على شعبة بن الحجاج والحمادين ومسعر بن كداح واللغة على ابى عمرو وعيسى بن عمر والخليل والشعر عن خلف الاحمر طوف بالبوادي فصار اماما في الاخبار والنوادر واللغة والشعر ، عرف بكثرة الحفظ ورواية الشعر والرجز خاصة وبالصدق والتدين وعدم تفسير شيء من القرآن ، ولا شيء من اللغة له نظير او اشتقاق في القرآن او الحديث ، ولا شعر فيه هجاء ، وعدم الافتاء الا فيما اجمع عليه العلماء والتوقف فيما ينفردون به ، وتجويز افصح اللغات فقط فنالت مروياته من التوثيق اكثر مما نالت مرويات غيره استقدمه هارون الرشيد وعهد اليه بتأديب ولده ، تتلمذ له ابو عبيد والسجتاني والرياشي وغيرهم ، روى كثيرا من دواوين الشعر ، والف

عن الذبيح اسحاق أو اسماعيل ، فقال : يا اصمعي اين ذهب عقلك ، متى كان اسحاق بمكة، وانما اسماعيل الذي كان بمكة وهو الذي كان بنى البيت معابيه لان النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : انا ابن الذبيحين ، يعني جده اسماعيل وابوه عبد الله حيث عرضه عبد المطلب على الذبح ، قال « ابن القيم » ومما يدل على أن الذبيح اسماعيل ، لانه لا ريب أن الذبح كان بمكة ، ولذا جعل القرابين يوم النحر بها ، كما جعل السعي بين الصفا والمروة تذكرة لشأن اسماعيل وامه ، ولو كان الذبح بالشام كما يزعم اهل الكتاب ومن تلقى عنهم ، لكانت القرابين بالشام لا بمكة ، قلت وهذا ايراد قوي ، لان ابن القيم رحمهالله عمل بقرائن الاحوال ، ولها اصل فى الاستدلال ، مع ما انضم اليها من اقوال الصحابة والتابعين وغيرهم ، وقوله عليه السلام : « انا ابن الذبيحين » صريح فى ذلك ، وقد رأيت بعضهم أول الحديث فى قوله : « انا ابن الذبيحين » يعني عبد الله ابا النبي صلى الله عليه وسلم ، واسحاق ، وكان القائل عنى بان اسحاق ابو النبي صلى الله عليه وسلم ، من جهة ان اسحاق اخو اسماعيل ، وكما يطلق لفظ الاب على العم ، وهذا القيد خارج عن المراد ، وفيه تزييف لفضيلة العرب ، وروي كما ذكر المعافا بن زكرياء ان عمر بن عبد العزيز سأل رجلا من علماء اليهود ، « اي ابني ابراهيم امر بذبحه » فقال : « والله يا امير المومنين ان اليهود ليعلمون أنه اسماعيل ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان يكون اباكم للفضل الذي ذكر عنه ، فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحاق لا اسماعيل ابوكم » انتهى من المواهب اللدنية وقال أهل السير امر بذبح اسماعيل وهو ابن سبع سنين ، وقيل ابن اربع سنين

اولاد اسماعيل عليه السلام

قيل ولد له عشرة ذكور ثابت احدهم كما فى الاكتفاء ، وفى سيرة ابن هشام عن محمد بن اسحاق ، وقال : ولد لاسماعيل بن ابراهيم اثنا عشر رجلا ، أولهم ثابت ، وكان أكبرهم ، وقيدر ، وادبل ، ومنشا ، ومسمع ، وناشي ، وذميان ، وازر ، وطوما ، وايطون ، ونيش ، وقندما ، وامهم بنت مضاض الجرهمي

كثيرا من الرسائل اللغوية الصغيرة ، وينسب اليه كتاب تاريخي ، أهم ما وصل الينا من كتبه التي اعتمد عليها كل من جاء بعده من اللغويين
1) خلق الانسان 2) فحولة الشعراء 3) الاصمعيات وهي اثنتان وتسعون قصيدة ومقطوعة من الرجز اختارها الاصمعي لواحد وسبعين شاعرا ، 44 منهم جاهليون و 14 مخضرمون و 6 اسلاميون و 7 يجهل الدارسون تاريخهم ، وتعالج القصائد موضوعات متنوعة ، ولم يعمد فيها المؤلف الى تبويب ولم تنل من الشهرة ما نالته المجموعات الشعرية الاخرى لان قيمتها اللغوية تفوق قيمتها الفنية ، ولان بعضها مختارات من قصائد طويلة ، وان تمتعت بالتوثيق الذي عرف به الاصمعي .

وقال ابن هشام : العرب كلها من اسماعيل وقحطان ، وفى « حياة الحيوان» أول من ركب الخيل اسماعيل عليه السلام ، ولذلك سميت العراب، وكانت قبل ذلك وحشا كسائر الوحوش ، ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم « اركبوا الخيل (1) فانها ميراث ابيكم اسماعيل »

وروى ان الله بعث اسماعيل الى دارب من اليمن وحضر موت ودعاهم الى الاسلام خمسين سنة ، فأمن به قليل منهم ، وكان عمره مائة وسبعة وثلاثين سنة .

تنبيـه قوله دارب الصواب والله اعلم انه بالميم وهو دارم بن مالك ابن حنظلة ابو حى من تميم ، قاله فى القاموس ، وحنظلة بن مالك اكرم قبيلة فى تميم ، يقال لهم حنظلة الاكرمون ولعل قوله دارب بالباء غلط من الناسخ والله اعلم

ابراهيم عليه السلام

واما ابراهيم عليه السلام ابن تارح فروى ان ابراهيم عليه السلام ولد فى زمن نمرود بن كنعان ، بن كوش بن سام ، بن نوح عليه السلام ، وكان مولده (2) ليلة الجمعة ليلة عاشوراء لمضي الف واحدى وثمانين سنة من الطوفان، وكان بين الطوفان وبين مولد ابراهيم ، ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم الفان وثلاثمائة وثلاث وتسعون سنة ، وكان الطوفان بعد هبوط آدم بألفي ومائة سنة واثنين وأربعين سنة على اختيار المؤرخين ، والاختلاف فى ذلك كثير ، ووقع له ما وقع مع قومه ، وقد ذكرت نبذة من اخباره عليه السلام فى «فتح المفتاح » من ولادته الى وفاته ، ثم بعد ما نجاه الله من قومه هاجر الى الشام ، وهي الارض التي بارك الله فيها للعالمين ، وبعث أكثر الانبياء منها

وعن أبي بن كعب سماها الله مباركة لانها ما من ماء عذب من الارض نبع اصله من تحت صخرة بيت المقدس عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال :

---

1) الخيل يطلق على مفردها (حصان) وهي تابعة للفصيلة ذات الثدي وقد عرف الانسان الحصان منذ القدم ، ففي العصر الحجري عرفت انواع عدة من الخيل اذ وجد حول موقع معسكر (سولتر) بفرنسا عظام مآت الالوف من الخيل فى حالة تدل على انها كانت تؤكل ، وكان الحصان ضمن حيوانات الصيد ، التي قام انسان العصر الحجري بعمل شبيه لها بالرسم والحفر والنحت ، وكان الحصان من بين آخر الحيوانات التي استأنسها الانسان ، وربما كان بدو اواسط آسيا هم اول من استأنسه ثم نقلوه الى الصين فآسيا الصغرى واوروپا ومصر اذ دخل الحصان الى ج.ق آسيا و غ اوروبا ح 000 3 ق.م ولكنه استخدم فقط بقصد المباهاة او فى الحرب ، وفي افريقيا ظهر الحصان لاول مرة مع غزو الهكسوس لمصر (1500 ق.م)

2) راجع الهامش قبل اما ولادة ابراهيم عليه السلام فقد كانت 1996 ق.م .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انها ستكون هجرة بعد هجرة الا اختار الناس فهاجر ابراهيم » ؟

وفى الحديث : « طوبى لاهل الشام » قيل ولم ذلك ؟ قال : « ان ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها عليه » انتهى من « عمدة المعاني » وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم لامعا فى جبهته ، وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حسن وجهه واشراق جماله

اختتانه عليـــه السلام

وهو اول من اختتن بالقدوم بالتشديد ، وهو ابن ثمانين سنة ، وقيـــل وهو ابن مائة وعشرين سنة ، وعاش بعد ذلك ثمانين سنة ، وختن اسماعيل وهو ابن ثلاث عشر سنة ، وختن اسحاق وهو ابن سبعة ايام

وسبب اختتانه انه امر بقتال العمالقة فقاتلهـــم فقتـــل خلق كثير من الفريقين فلم يعرف ابراهيم اصحابه ليدفنهم ، فأمر بالختان ليصير علامة ، وهو اول من ضرب بالسيف من الانبياء ، وقيل بل ادريس أول من ضـــرب به وكسر الاصنام ، ولبس السراويل والنعلين ، ورفع يديه فى الصلاة فى رفع وخفـــــض .

قلت وهذا فى مذهب الشافعي حسب ، وصلى اول النهار اربع ركعات وحفظهما على نفسه فجعله الله وقتا وجعله امة قانتا ، وهو اول من اضـــاف الضيف وثرد الثريد ، وفرق الشعر ، واستنجى بالماء ، وقلم الظفر ، وقص الشارب ، ونتف الابط ، واول من استاك وتمضمض واستنشق وحلق العانة، واول من صافح وعانق وقبل بين العينين موضع السجود ، واول من شاب فقال يا رب ما هذا ؟ فقال الله وقار ، فقال : يا رب زدني وقارا ، فما برح حتى ابيضت لحيتـــــه .

وفاته عليه السلام

وفى « **الحدائق** » لابن الجوزي (1) عن وهب بن منبه قال له ملك الموت: يا خليل الله على اى حال تحب ان اقبض روحك ، فقال اقبض روحي وانـــا ساجد ، فقبض روحه وهو ساجد ، وحكى غير واحد ذلك

---

1) ابن الجوزي ، سبط شمس الدين (1186 – 1257 م) مؤرخ عربي ولد ببغداد الف كتابا فى التاريخ العام بعنوان (مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان) نشر بعض المستشرقين اجزاء منه

تنبيـــــه : فان قيل هذا استئذان من ملك الموت على ابراهيم عليه السلام ، وكيف قيل ان ذلك من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولما قال له الملك لم استأذن على احد قبلك ولا على احد بعدك الحديث ؟ ؟

قلـــت يجاب عنه بأن ابراهيم عليه السلام حكى عنه فى رواية اخرى انه سال ربه ان لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي سال الموت فاستجـاب الله دعاءه واعطاه ذلك عن سؤال والنبي صلى الله عليه وسلم وقع له من غير سؤال وهذا ابلغ فى الاكرام ، وقد ذكر ذلك الشيخ ابو الحسن الشاذلي(1) رضي الله عنه فى حزبه فى معرض الاعتراف بالامتنان بقوله : « فقد اعطيتنـا الايمان قبل ان نسألك » .

ويجابعنه ايضا بأن الكيفية التي اتى بها **ملك الموت الى النبي** صلى الله عليه وسلم من وقوفه بالباب ، وملاطفته فى الخطاب ، لم يات احد قبلـه ولا بعده ، والله تعالى الهادي الى الصواب

فـائـــدة : قيـل مـات من الانبيـاء ابراهيـم وداود وسليمـان .

وعن عائشة رضي الله عنها وابن مسعود رضى الله عنه موت الفجـاة راحة للمومنين واخذة للكافرين ، وقال الشيخ حسين بن محمد كذا فى البحر العميـــــق .

واما تارح بن نـوح بفتـح الراء ، قال فى القاموس تـارح كآدم عليـه السلام ، ابو ابراهيم عليه السلام ، واما آزر فانه عمه ، وليس بأبيه ، وما وقع فى القرآن لابيه آزر ، قال اهل التفسير أطلق الاب هنا على العم مجازا كمـا هو جار كثيرا ، وتمسك بعضهم بظاهر الاية لا يصح لان آزر جاء القرآن بكفره، « والمشركون نجس » وآباء النبي صلى الله عليه وسلم طاهرون موحـدون ، كما سياتي مبينا ان شاء الله تعالى وهو على عمه يـدل على القطـع ، قال فى القاموس آزر اسم عم ابراهيم عليه السلام ، واما ابوه فانه تارح

---

1) الشاذلي ابو الحسن (1196 ـ 1258م) صوفي مشهور ومؤسس طريقـة صوفية اسلامية تعرف بالشاذلية ، وقد تفرع منها نحو من خمس عشرة طريقة اخرى مثـل : 1) الوفائية. 2) الجـزوليـة وغيـرهمـا
ولـد ابو الحسن فى عمارة بالقرب من سبتة بالشمال المغربي ويقول آخرون ولد بشاذلـة بجبل زعفران من تونس . اقبل على العلم بشغف زائد حتى كف بصره فانقطع لطريـق الصوفية . وفي فـاس تتلمذ على اصحاب الجنيد وعلى الصوفي عبد السلام بن مشيس، دعى الى ارائه فاضطهد وهرب الى الاسكندرية حـج مرات كثيـرة ، ومات فى الحجـة الاخيرة وهو يجتاز صحراء مصر ، انتشرت طريقته اكثر فى شمال افريقيـة وفي مصـر حيث نقلها ابو العباس المرسي المتوفى بالاسكندرية (1287 م) .

واما ناحور بن سارع ، فقد عاش مائتين وستين سنــة ، **واما ساروع ابن ارغول** وقيل بالحــاء بدل العين فاسمه في «التورية» سرور ، وقد عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة ، **واما أرغو ابن فالغ** ويقال ارعو بالعين والفين ، ومعناه قاسم ، فقد عاش ثلاثمائة وتسعا وثلاثين سنة ، وعند مولد ارغــوا تبلبلت الالسنة (1) وتقسمت الارض وتفرق بنو نوح عليه الســلام ، وذلك لمضــى ستمائة سنة وسبعين من الطوفــان (2) **واما فالغ بن عابــر** ويقال فالخ ، عاش ثلاثمائة سنة وتسعا وثلاثين ، **واما غابر بن شالــخ** ويقال عابر بالعيــن المهملة ، قال في القاموس عابر كهاجر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نــوح عليه السلام والله اعلم ، وقيل هو هود عليه السلام ، وعاش اربعمائة واربعا وستين سنة ، وكان ولد بعد مضــى ستمائة وستين سنة من عمر نــوح عليه السلام، **واما شالح بن ارفخشد** بفتح اللام ومعناه الرسول، وقد عاش اربعمائة وستين سنة ، **واما ارفخشــد بن سام** ، ويقال ارفخشد ، فمعناه مصبــاح مضيء ، كذا في سيرة « مغلطاي » وتسميه الفرس هرشتك ، وعاش ارفخشد اربعمائة وخمس وستين سنة ، وكانت أمه لم يوجد مثلها في الجمال والصفات في زمانها **واما سام بن نوح عليه السلام** فولد بسيناء قبل الطوفان ، وقال في القاموس سيناء قرية بالكوفة (3) وولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة ،

---

1) ارخوا لبلبلة الالسنة 2247 ق.م راجع الجدول الذي اثبتناه ضمن الفهارس

2) ارخــوا للطوفان بـ 2348 ق.م

3) سيناء محافظة بمصر سكانها (126000 نسمة) وهي شبــه جزيرة : (مساحتها 56 الف ك م م . تقع شمال شرقي مصر تربط افريقيا بآسيا مثلثة الشكل ، قاعدتها في الشمال ساحل البحر المتوسط ، وتنتهي جنوبا براس محمد في البحــر الاحمــر ، ويحدها شرقــا خليج العقبة وغربا خليج السويس تضم كثيرا من الجبال يرتفــع بعضها عــن سطــح الارض بـ 2637 م كما بها بعض الاودية التي يتجه معظمها نحو الشمال واهمهــا وادي العريــن الذي ينتهي الى البحر سهولها الشمالية تتصل بــهــول فلسطيــن اهــم واحاتها : نخل ، وبئر حسنة ، والقصيمة ، وابو عويقلة وسيناء غنية بمواردها الطبيعية يستخرج منها البترول من حقول عسل ، وسدر ، وراس مطارنة ، وخيــران ، والبلاعيــم. والمنجنيــز من أم بجمــة .

ولسيناء شهرتها التاريخية ، ففي الجنوب جبل موسى الذي يظن ان موسى عليــه الســلام تلقى عليه الوصايا العشر ويرى البعض انه تلقاها على جبــل سربال القريب وفــي سفــح جبل موسى دير كاترين (للروم الارتوذوكس) الذي بني حوالي 250 وقد عثر بــه في القرن 19 على اقدم مخطوط للعهد الجديــد اشتراه المتحف البريطانــي مــن الاتحــاد السوفييتي 1933 في 1950 صور اكثر من 3000 مجلد من مخطوطات الدير على ميكرو فيلم يظن ان اسمها مشتق من اسم الــه القمر (سين) معبود الساميين المعروف ، فيها وقــع الفراعنة على مناجم النحاس والفيروز وبعض الاحجــار التــي كانت مــن مقومــات بنــاء حضارتهم ، وفي المعبد المذكور قيــل : وجــد الفينيقيون آثــارا مــن ذكــريات المصريــن الكتابة فاخذوا من اشاراتها الهيروغليفية طائفة هذبوهــا ورتبــوهــا واخرجــوا منهــا الحروف الابجدية التي اذاعوها فيما عرفوا من اقطار الدنيا حول شواطيء البحر الابيض

وهو بكر ابيه على ما قيل ووصيه وولي عهده ، وانما قدم لان الانبياء من نسله ، واعطاه ابوه نوح عليه السلام الحجاز واليمن والشام والجزيرة وسام ابو العرب وفارس والروم ، وكان القيم بعد نوح عليه السلام ومن ولده الانبياء كلهم عربيهم وعجميهم ، وجعل فى ذريته النبوءة والكتاب ، واليمن كلهم من ولده ، وعاد ، وثمود ، وطسم ، وجديس ، والفرس ، من ولده ونزل بنوه صرة الدنيا ووسطها ، وهو الحرم وما حوله من اليمن الى عمان ، وفيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة ويسحور ؟ وهو الذي اختط مدينة القدس ، واسس مسجدها ، وكان ملكا عليها .

ولما مات نوح عليه السلام ، انتقل الى بلاده الجنوب ، ولما بلغ اليمن نزله واختار ارض صنعاء ، وهو اول من بناها وبنى مسجدها وبئرها ، ثم انتقل الى غمدان ، قيل بأمر من الله اختطف له طائر الخيط الذي يقدر به البناء فتبعه سام الى ان سقط منه على محل غمدان ، فعلم انه امر بالبناء هناك ، فأسس قصر غمدان وحفر بئره ، وتسمى كرامة

ولما ملك ابرهة بنى كنيسة بصنعاء رفيعة مزخرفة بالذهب والفضة والجواهر النفيسة ، وسماها القليس وزخرفها بأنواع الرخام والمرمر من كل لون ، نقله لها من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام ، وكان قريبا من موضع هذه الكنيسة ، وكان فيها بقايا من رخامها واحجارها اعانته على بنائها فبناها وبالغ فى تنميقها وتحسينها بكل ما قدر عليه ، ونصب فيها صلبانا من الذهب مكللة بالياقوت والجواهر وأنواع الاحجار الثمينة ، وكانت هي بيت عبادتهم الى ان هلك ولما مزقت الحبشة ملكهم كل ممزق ، بقى ما حول هذه الكنيسة خرابا ، وسكنته الوحوش والسباع والحيات ، وصار كل من اخذ شيئا منها اصابته الجن فبقيت بما فيها من « الاقامة » (1) والرخام والخشب المرصع بالذهب ، وصلبان الذهب بالاحجار ، لا يقدر احد أن ياخذ منها شيئا الى زمن ابى العباس السفاح ، (2) فذكر له أمرها وما يتهيبه

المتوسط غير اننا لا نأخذ هذا الراي مسلما ، لان الفرق كبير جدا بين الفنيقيين والمصريين من كل الوجوه ؟ ؟ هذا بالاضافة الى ان الموضوع قتل بحثا وتمحيصا وانتهى الى ان الهيروغليفية كانت مستقلة عن كل ما عداها الى درجة ان ما وجد من حجر رشيد الذي مكن شامبليون من المقابلة وفهم الهيروغليقية من المتاخرين كان مما يدل بوضوح على الفرق بين الجنسين واللغتين والحضارتين اليونانية والمصرية فضلا عن الفينيقية الصورية القرطاجنية عبد الكريم الفيلالي

1) مواد البناء

2) ابو العباس السفاح توفى (754) اول خليفة عباسي (749 ـ 754م) كان ابوه اول من اضطلع بنشر الدعوة العباسية ، لما توفى 743 م عهد بالامامة لابنه ابراهيم الذي أعلن الثورة على الامويين ، فلما وقع فى ايدي هؤلاء اصبح اخوه ابو العباس السفاح امام

الناس من الدخول اليها واخذ ما فيها ، وان الجن تتسلط على من يدخلها فبعث اليها ابا العباس ابن الربيع عاملا على اليمن ومعه اهل الحزم والجلادة والهندسة فخربوها وحازوا ما فيها من آلة الذهب والاحجار ، وبيع ما امكن بيعه من رخامها وخشبها ، وحصلوا فى ذلك مالا كثيرا ، وعفى رسمها ، وانقطع خبرها ، وكان الذي يصيبهم من الجن ينسبونه الى كعيب وامراته ، وهما الصنمان اللذان بنيت الكنيسة عليهما ، فلما كسر كعيب اصيب الذي كسره بالجذام فافتتن بذلك رعاع اهل اليمن وقال « الازرقى » : ان كعيبا كان من الخشب طوله ستون ذراعا هـ « من روض الانف » .

رجوعا : لخبر سام . ومات وعمره ستمائة سنة : قال فى القاموس جديس كامير قبيلة .

واما نوح بن لامك عليه السلام قيل سمى نوحا لكثرة ما ناح على نفسه ، **وفى** تفسير « القشير » وفى الخبر أن نوحا عليه السلام ، كان اسمه يشكر ، ولكثرة بكائه أوحى الله اليه يا نوح الى كم تنوح، فسمى نوحا ،وفى «القاموس» نوح أعجمي منصرف لخفته وكان ذنبه انه مر يوما بكلب فقال ما اوحشه ، فأوحى الله اليه ان اخلق انت احسن من هذا ، فكان يبكي معتذرا من مقالته، **وفى حياة الحيوان** كان اسمه عبد الجبار وانما سمى نوحا لكثرة نوحه على ذنوب أمته قال فى « ربيع الابرار » بكى نوح عليه السلام ثلاثمائة سنة لقوله ان ابنى من اهلي ، وفى « **الانس الجليل** » كان اسمه عبد الغفار ، وولد بعد مضى الف وستمائة واثنين واربعين سنة من هبوط آدام عليه السلام ؟ ؟ **قال** « الديار بكري » وفى « معالم التنزيل » عن ابن عباس ، انه بعث بعد أربعين سنة ، ولبث فى قومه يدعوهم تسعمائة وخمسين سنة فآمن به ثمانون نفسا من الرجال والنساء ، وعاش بعد الطوفان ستين سنة ، وكان عمره الفا وخمسين سنة ، وقيل غير ذلك والله أعلم ، وكان نوح نبيا مرسلا من اولي

الدعوة ، ونودي به خليفة فى مسجد الكوفة 749 م ، هزم جيشه بقيادة عمه عبد الله ابن علي ، مروان الثاني ابن محمد آخر حكام بني امية ، فى معركة الزاب بشمال العراق 751 م وثار انصار الامويين فى سوريا وتحصن يزيد بن عمر بن هبيرة فى واسط لكن السفاح تمكن من اخماد حركتهم وطارد الامويين ، وقضى على كثرة رجالاتهم ، ونبشت قبور عدد من مواتاهم بد مشق

لقب السفاح بسبب سفكه للدماء ، وتخلص من وزيره ابن سلمة الخلال الذي لقب وزير (آل محمد) لمحاولته نقل الدعوة الى العلويين ، واشار عليه اخوه ابو جعفر المنصور بقتل ابى مسلم الخراساني فرفض ، استهل خلافته بخطبة وضع فيها المبادىء الكبرى لسياسة الدولة ، والاسس التي تستند اليها ، اقام حق العباسيين فى الحكم على قرابتهم من رسول الله (ص) ووصف الامويين بانهم اغتصبوا الخلافة ، ووعد الكوفيين على ايدي بني العباس ، اتخذ الهاشمية مقرا له 750 م ثم انتقل الى الانبار 752 م ولى عهد ابا جعفر المنصور اخاه ، ومن بعده ابن اخيه عيسى بن موسى ، توفي بالانبار وخلفه المنصور .

العزم ، واول نبي نسخت شريعة من قبله ، فنسخت شريعته شريعة آدم عليه السلام ، وكان ادريس على شريعة آدم ويدعو الخلق اليها ، وجاء فى « عرائس الثعلبي » ارسل الله تعالى نوحا الى ولد قاقبيل ، ومن تبعهم من ولد شيئث ، وهو ابن خمسين سنة هـ . وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واليه يشير بقوله عليه السلام « كنت نورا بين يدي الله قبل ان يخلق الله آدم بالفى عام ، يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه ، فلما خلق الله آدم عليه السلام القى الله ذلك فى صلبه فأهبطني الى الارض فى صلب آدم ، وجعلني فى صلب نوح ، فى السفينة » الحديث ، وكان نوح عليه السلام فيما قيل أحمر العينين ، ضخم الهامة ، حسن اللحية ، له شعر قطط .

وفى « **معالم التنزيل** » كان نوح عليه السلام أطول الانبياء عمرا ، وجعلت معجزته فى نفسه ، فانه عمر على اذى قومه مثل ما صبر هو على أذى قومه ، على طول عمره ، وقد استوفى الكلام عليه فى « فتح الفتاح » ومرادنا هنا الاختصار .

واما لامك بن متوشلخ فيقال له لامك كهاجر ، ويقال لمك محركة ، كذا فى كتب السير واللغة ، وكان رجلا اشقر ، أعطى قوة وبطشا

قلت : قال فى القاموس واليلمك الشاب القوي خاص بالرجال ويمكن أن يكون اشتق اسم لامك من هذا المعنى ، لان المادة واحدة على قاعدة اهل الاصول ، من لم يقم به وصف لم يجز أن يشتق له منه اسم ، **قال بعض اهل** السير وتزوج فى أصح الروايتين شمخا بنت انوس ، وقيل قينوس ، وقيل غير ذلك ، وكانت ولادته بعد وفاة آدم بتسعمائة سنة واثنتى عشرة سنة ، وفى « أنوار التنزيل » كان لامك وشمخا أبوا نوح مومنين ، **واما مامتوشلخ بن اخنوخ** ، قال بعضهم والمشهور انه بخاء معجمة ، لكن فى « الانس الجليل » بحاء مهملة ، ولم اقف على ضبطه ، لكن رايته بخط بعض اهل العلم انه بفتح الميم وتشديد التاء المثناة الفوقية وسكون الواو وفتح الشين والله أعلم ،

واما إخنوخ بن يزد فبهمزة وحذفها ، والمشهور انه بالخائين المعجمتين، لكن قال بعضهم بحاء مهملة ونون ، وفى آخره خاء معجمة ، **وفى سيرة ابن هشام** ، « أصنح » ويقال « أخنح » ولم اقف على ضبطه ، وهو ادريس (1) النبي صلى الله عليه وسلم . **قال** كثير من اهل السير وغيرهم سمى به لكثرة

---

1) ادريس هو احد الانبياء عليهم السلام ، ذكر فى القرآن مرتين (مريم : 56) و (الانبياء 85) عد اول من خط بالقلم ، واول من عرف التنجيم والطب احيط اسمه باقاصيص كثيرة.

درسه الكتب فى صحف آدم وشئث . **قال** الفيروزبادي (1) وادريس النبي صلى الله عليه وسلم ليس من الدراسة كما توهمه كثيرون ، لانه اعجمي ، واسمه خنوخ او اخنوخ . وقال آخر ، واشتقاقه من الدرس على تقدير كونه عربيا ، ويمنعه منع صرف ، وقرىء ادريس ، وقيل ادرك ادريس من حياة جده شئث عشرين سنة ، وقيل ان ولادته كانت فى زمن آدم عليه السلام قبل وفاته بمائة سنة ، وقيل غير ذلك والله اعلم ، والجمهور على ان ادريس اول نبي بعث بعد آدم عليه السلام ، وكان ادريس عليه السلام صعد الى السماء وعلم دور الفلك وطبائع الكواكب وخواصها ثم نزل والله اعلم

قال « وهب (2) » يرفع لادريس عليه السلام كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الارض فى زمانه من الدرجات.، ورفعه مكانا عليا ، وهو الجنة ، وذكره مشهور ولما رفع ادريس الى السماء وقع الاختلاف بين الناس وفتر الوحي الى زمن نوح عليه السلام

واما يزد بن مهليل فيقال يزد ، ويقال يازد ، ويقال الزائد ومعناه الضابط ، وفى القاموس يزد بالفتح ابو ادريس النبي صلى الله عليه وسلم ، لكنه بالراء ، ولم يتعرض لكونه بالزاي وبالراء فى جميع الوجوه من يزد وزياد والزائد ، الا اني وقفت على يزد فى القاموس بالراء فى الكتابة فقط ، وفى غيره من كتب السير مكرر بالزاي فى الكتابة ايضا فقط ، من غير تعريف والله اعلم، وكان هو القائم بوصية ابيه مهليل ، وعاش تسعمائة سنة وستين او تسعين سنة ، وفى زمنه عملت الاصنام ورجع من رجع عن الاسلام ؟ وكل هؤلاء ولدوا فى حياة آدم عليه السلام .

---

1) الفيروزابادي محمد بن يعقوب الشيرازي : (1329 ـ 1415م) لغوي ولد بكازرون بجوار شيراز ومات بزبيد ، طلب العلم ببلدته ، وواسط ، وبغداد ، ودمشق والقدس . واشتغل بالتدريس بها اكثر من التنقل ، فرحل الى مصر وبلاد الروم ، ومكة والهند وبغداد وفارس ، واليمن وتولى قضاءها الف كتبا كثيرة فى التفسير مثل :
1 ـ تنوير القياس فى تفسير ابن عباس . 2 ـ بشائر التمييز فى لطائف الكتاب العزيز. وفي الحديث مثل : 3 ـ ارجوزة مصطلح الحديث 4 ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري والتراجم مثل : 5 ـ البلغة فى تاريخ ايمة اللغة . 6 ـ المرقاة الوضية ، في طبقات الحنفية 7 ـ سفر السعادة وفى السيرة النبوية واللغة مثل : 8 ـ تحبير الموشحين فيما يقال بالسين والشين 9 ـ الجليس الانيس ، فى اسماء الخندريس. لكن شهرته تقوم على : 10 ـ القاموس المحيط

2) هو وهب بن منبه : ابو عبد الله (654 ـ 732م) مؤرخ ، كثير الاخبار عن الكتب القديمة. عالم باساطير الاولين ، ولا سيما الاسرائيليات ، يعد فى التابعين ، واصله من ابناء الفرس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن ، امه من حمير ، ولد ومات بصنعاء ، وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها . اتهم بالقدر ورجع عنه ، ويقال انه الف كتابا ، ثم ندم عليه ، وحبس فى كبره وامتحن ، من كتبه
1) ذكر الملوك المتوجة من حمير ، واخبارهم وقصصهم ، وقبورهم واشعارهم.
2) قصص الانبياء 3) قصص الاخبار .

واما مهليل بن قينان فيقال مهلائل ومعناه المدح **قال الشيـخ حسين** ابن محمد ، وفى المختصر الجامع مهلائل اول من بنى المدائن ، واستخـرج المعادن ، **قلت** قال فى القاموس ، المهل بالضم اسم يجمع معدنيات الجواهـر كالفضة والحديد وغيرهما ، وكان مهليل أستخرج هذه المعادن اشتق له من ذلك اسم مهلائيل وهذا مناسب لقيام الوصف به من ذلك والله اعلم ، قيـل هو اول من بنى بابل (1) ومدينة الشوس ، وكانت اول ما بنى على وجه الارض وعاش ثلاثمائة وخمسا وتسعين سنة هـ .

واما شئث بن آدم عليهما السلام ويقال شاث فالمعروف بالثاء المثلثـة وبالهمزة والكسر فى شئث وقد يترك الهمز تخفيفا ، ومعناه هبة الله ، ويقال عطية الله ، كذا فى سيرة « مغلطاى » وقام بالامر بعد ابيه آدم عليه السلام ، وكان اجمل اولاده واشبههـم بـه ، واحبهـم اليه ، وافضلهم ، وعلمـه الله الساعات وعلمه العبادة فى كل ساعة تمر عليــه منها ، وانزل عليــه خمسين صحيفة وزوجه نائلة البيضاء ، وهي ابنة آدم فى حياته ، وكانت جميلة كأمها حواء ، وخطب جبريل وشهدت الملائكة ، وكان آدم وليها ، فولدت له أنوش ، وكان مدة عمر شئث تسعمائة سنة واثنتى عشرة سنة ، ومات لمضـى الف ومائة واثنين واربعين سنة من هبوط آدم عليه السلام والله اعلم

واما آدم عليه السلام فهو ابو البشر خليفة الله فى ارضه ، كنيته ابـو محمد صلى الله عليه وسلم ، **قال** « **الديار بكري** » رحمه الله ، يقال سمـى آدم لانه خلق من الارض ، ولونها ، لانه كان فى لونه ادمة وهو لون البر ، وقيل لان طينته مخلوطة من الماء والتراب من ادمت بين الشيئين اذا خلطتهمـا ، هذا على تقدير كونه عربيا كاشتقاق يعقوب من العقب ، وادريس من الدرس، واما تقدير كونه عجميا وهو الاقرب كاد روشالخ بدليل منع الصرف فـلا اشتقاق ، ولقد كان آدم مختونا ؟ **قال الكلبي** : بلغنا ان آدم خلق مختونا واثنى عشر من الانبياء من بعده خلقوا مختونين آخرهم محمد طى الله عليه وسلم، وقد أوصلهم الجلال الاسيوطي لسبعة عشر ونظمهم فقال :

---

(1) بابـل : مدينة قديمـة بارض الرافدين ، كانت قاعدة امبراطورية بابل ، وتقع على الفرات الى الشمال من المدن التي ازدهرت فى جنوب ارض الرافدين منـذ الالف الثالثـة قبـل الميلاد ، لم تبلغ أهميتها الا بعـد ان جعلها حمو رابي عاصمـة لـه واصبح الهها مزدك (الذي يقرن بالاله بعـل) الها معروفا فى الشرق الادنى القديم ، كمـا اثرت المدينة بفضل التجـارة دمرها الاشوريون فى عهد ملكهم سنخاريب ، ثم اعيد بناؤهـا حيث بلغت اوج ازدهارها فى دولة بابل الثانية ، وجرى بذخهـا وفخامتها مجـرى الاساطيـر ، منذ ايـام نبوخذ نصر (تـ 562 ق.م) فكانت حدائق بابـل المعلقـة احدى عجائب الدنيا السبـع عرفهـا العبرانيون كمـا عرفت بيـن الاغريـق ، استولـى عليهـا قـورش فى 538 ق.م تحولت بعـد الاسكندرية الى مدينة سلوقيـة

وسبعة مع عشر قد رووا خلقوا　وهم ختان فخذ لا زلت مانوسا
محمد، آدم، ادريس، شئت، ونو　ح،سام هود،شعيب،يوسف،موسى
لوط، سليمان، يحيى، صالح، زكـ　رياء وحنظلة الرسى مع عيسى

وزاد بعضهم واحدا ونظمهم فقال

عشر من الانبياء زاد واثمانية　ما احوجوا لختان آدم تبعه
ادريس،يونس، شئث،نوح هود كذا　شعيب،يوسف، موسى،لوط سام معه
يحيى،سليمان، عيسى،صالح،زكريا　وحنظلة مع طه ، اتبع ورعه

وليس الختان من خصائص الانبياء ، بل غيرهم من الناس قد يولد كذلك ، فان العرب تزعم كما حكى الحافظ « ابن حجر (1) » ان الغلام اذا ولد فى القمر اتسقت فلقته وتقلصت اى ارتفعت عن موضعها بحيث تصير الحشفة مكشوفة فيصير كالمختون المقطوع منه جلدة الحشفة ، ومن ثم قال بعض المحققين ، الاشبه ، انه صلى الله عليه وسلم لم يولد مختونا لان عدم وجود الفلفة نقص من أصل الخلقة الانسانية ، وقد قالوا فى حكمة وجود الفلفة السوداء التي هي حظ الشيطان فيه ، ولم يخلق بدونها ، بل خلق بها مكملة للخلق الانساني ، قال بعضهم وفيه نظر ، فان الحق ان فقد الفلفة فيه هو عين الكمال فى الخلقة الانسانية ، بخلاف الفلفة السوداء ، وذلك لان هذه الفلفة لما كانت تزال ولا بد من كل احد على ما اقتضته السنة الباهرة ، وفى ازالتها بالآلة من كشف العورة لصاحبها ما لا يخفى ، كان عدم وجودها بالكلية اكمل واتم ، بخلاف الفلفة السوداء التي محلها القلب ولا اطلاع لآدمي عليها ، فلو خلق صلى الله عليه وسلم بدونها لم يكن للأدميين اطلاع على حقيقته ، فأظهر الله ازالتها لعبده على يد جبريل لتحقيق كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر

---

1) هو ابن حجر العسقلاني احمد بن علي (1373 ـ 1449م) محدث مشهور وفقيه شافعي، ومؤرخ ، ولد بمصر وفقد ابويه فى سن مبكرة ، وتعهده اوصياؤه فحفظ القرآن ودرس الفقه واللغة والنحو والادب ، وتتلمذ لشيوخ عصره ، كالبلقيني وابن الملقن والفيروزابادي والحافظ العراقي ، تفرغ لعلوم الحديث حفظا ورواية وشرحا ، وسافر فى طلبها الى الشام والحجاز واليمن ، ولي القضاء نحو احدى وعشرين سنة ، ثم اصبح قاضي قضاة مصر القى دروسا منتظمة فى التفسير والحديث واللغة املى من حفظه الكثير وتوافد عليه الطلاب والعلماء ، خطب بالازهر وجامع عمرو ، وضع كتبا عدة فى الحديث ورواته. اخصها 1) فتح الباري على شرح البخاري و 2) الاصابة فى تمييز الصحابة. 3) القول المسدد فى الذب عن مسند احمد

قال الفخر الرازي (1) والحكمة فى الختان ان الحشفة قوية الحس، فما دامت مستورة بالفلفة تقوى اللذة عند المباشرة ، فاذا قطعت الفلفة تصلبت الحشفة فضعفت اللذة ، وهو اللائق بشريعتنا تقليلا من اللذة لا قطعا لها كما تفعل المنوية ، وهم طائفة يشربون أدوية تقطع لذتهم عن الجماع ، وهم قوم من المجوس ، فذلك افراط ، وابقاء الفلفة تفريط ، فالعدل هو الختان هـ

وقد استوفى الكلام على ذلك فى « فتح الفتاح » وذكر ما يتعلق بآدم عليه السلام ، وكيفية ابتداء خلقه وتعليمه الملائكة الاسماء وغير ذلك ، وأول من أسماه آدم هو الله تعالى لما أجرى فيه الروح ، فبلغت دماغه فانتشرت ونزلت للسانه وصدره ، فألهمه الله بقوله الحمد لله ، فقال يرحمك ربك يا آدم ، فيكون الله عز وجل هو الذي أسماه به ، وآدم عليه السلام نبي مرسل أرسله الله الى ولده وولد ولده يحكم بحكم الله تعالى حتى توفاه الله.

وعن ابي ذر الغفاري ، قال : قلت يا رسول الله من اول الانبياء ؟ قال « آدم » فقلت هو نبي مرسل ، قال « نعم » ثم قال : يا أبا ذر أربعة سريانيون : آدم وشيث وأخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط وخاط ، ونوح ، واربعة من العرب : هود وصالح وشعيب ونبيك يا ابا ذر . واول انبياء بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى ، قلت كم أنزل الله من كتاب قال مائة صحيفة واربعة كتب على شيث صحيفة وعلى أخنوخ ثلاثين صحيفة، وعلى ابراهيم عشر صحائف ، وعلى موسى قبل التوراة (2) عشر صحائف

---

1) الفخر الرازي : هو فخر الدين ابو عبد الله محمد (1149 ـ 1209م) متكلم وفيلسوف ومفسر للقرآن ، كان ابوه خطيبا ، ولهذا سمي ابنه (ابن خطيب الري) درس فى الري والمراغة على كبار العلماء ، كان شافعيا اشعريا ، ناظر المعتزلة واشتغل بالتدريس في الحيرة لقب بشيخ الاسلام وانقطع فى اواخر ايامه للوعظ وتلاوة القرآن منصرفا عن المجادلات الكلامية . له مصنفات كثيرة منها :
1) « شرح الاشارات والتنبيهات » لابن سينا . وموجز لهذا الكتاب اسمه : 2) « لباب الاشارات » و 3) « المباحث المشرقية » و 4) (محصل افكار المتقدمين والمتاخرين) وكلها فى الفلسفة و 5) « اصول الشافعية » و 6) « المحصول » و 7) (مناقب الامام الشافعي) وهي فى الفقه و 8) « شرح ديوان سقط الزند » لابي العلاء المعري وترجع شهرة الرازي ومكانته فى تاريخ الفكر الاسلامي الى تفسيره للقرآن المسمى 9) « مفاتيح الغيب » ، اذ جمع بين المباحث الكلامية والدينية والفلسفة ، ورد فيه على تاويلات المعتزلة للقرآن وضمنه محاولته فى التوفيق بين الفلسفة والدين

2) التوراة هي الشريعة . وهي مشتقة من الفعل ، بمعنى اورى وعلم ومنها «المعلم» و « تعليم » ثم استعملت لاجل الشريعة عند العبرانيين وترادف عندهم ايضا مع شهادة واوامر ووصايا ومخافة واحكام ، والقوانين والطقوس .
وفيها 613 وصية الهية . كما بها اخبار تاريخية عن بني اسرائيل . وقد وصفها نبي الله داود فى (مزمور) 19 بالكمال والامانة والاستقامة والعدل والطهارة والحق. والتوراة بالارامية الترجوم ، ترجمة اونقلوس ، وهو الترجوم البابلي ثم الترجوم الاورشليمي ، وترجوم يونا تان بن عزئيل ، وترجوم راب يوسف . وباليونانية ، الترجمة

ولم يذكر آدم فى هذه الرواية ، وفى « الينابيع » وعلى آدم عشر صحائف ه .
وانزل الله عليه خمسون صلاة فى اليوم والليلة والزكاة والصوم والاغتسال من الجنابة وتحريم الميتة ولحم الخنزير ، وانزلت عليه الحروف المقطعة فى احدى وعشرين ورقة ، وهو كتاب آدم الذي يعرف به اللسان بقدرة الله تعالى ، ه . فقد تبين انه نبي مرسل .

وقال بعض أهل السير فيما قيل فى صفات ذاته عليه السلام ، انه كان ضخم العينين ، عظيم الاليتين ، لم ير مثل طول عنقه ، وليس له لحية ، له ظفيرتان أحسن ما خلق الله تعالى ، قال بعضهم ان آدم عليه السلام كان اول فرد من أفراد الانسان ، وكان سائر افراده مندرجين فى صلبه بصور الدركما فى صورة اخذ الميثاق ، فلمانفخ فيه‌الروح صار نور نسمة محمد صلى‌الله عليه وسلم يلمع فى جبهته كالشمس المشرقة ، لاشتمال صلبه على الجزء الدري الذي هو مادة للبدن العنصري ، وفى « معالم التنزيل » كان آدم يسمع من تخطيط أسارير جبهته نشيشا كنشيش الدر ، فقال يا رب ما هذا فنودي يا آدم هذا تسبيح نور محمد ولدك مزج بمائك فيكون لك ولدا وانت له اب ، فنعم‌الوالد ونعم‌المولود، وذلك‌النور كان ينتقل تبعية للجزء من جهة الى جهة ، وكان يؤخذ له فى كل مرتبة عهد وميثاق الا يوضع ذلك الجزء الا فى المطهرات ، فأول من اخذ عليه آدم ثم أخذه منه شيث ، وانوش وهو من ابنه « قيناق » ، وهكذا الى‌ان‌وصلت النبوة الى‌عبدالله ، فلما اودع ذلك الجزء فى‌صلبه لمع ذلك النور من جبهته فظهر له جمال وبهجة كما مر ، وتوفى آدم عليه السلام يوم الجمعة ، وخلق يوم الجمعة ، وهبط من الجنة يوم الجمعة ، ولم يمت حتى ولد له أربعون بطنا . **وقال وهب بن منبه** مائة وعشرون بطنا ، وقيل خمسمائة بطن الى تمام الف ولد ، وبقى فيهم وفى اولادهم جميع الالسنة ه مختصرا والله أعلم

واختلف فى مدة عمره وفى مدفنه ، وقيل توفيت حواء بعده بسنة ، وقيل بثلاثة ايام ودفنت فى جنب آدم فى الغار وفى ذلك اقوال وروايات كثيرة والله أعلم ؟ ! .

السبعينية قام بترجمتها فى الاسكندرية بطليموس فيلادلفوس (285 – 247 ق.م) على يد 70 من علماء اليهود قضوا فى ترجمتها 70 يوما . ثم ترجمة كبلاس المتهود فى عهد ادريان (138 – 117 ق.م) ثم ترجمة ثيودوتيون وسيماخوس وذلك حوالي آخر القرن 2 ق.م. ثم الى اليونانية الحديثة ثم باللاتينية (الفولجاتا) . ثم بالسريانية (شيطتا) وهي البشيتر ثم بالعربية ترجمة (سعيد الفيومي) حوالي 942 م ثم ترجمة الامريكان للدكتور سميث وفانديك ، وللاباء اليسوعيين فى بيروت ثم فسرها من علماء اليهود وغيرهم فيلون اليوناني ، ثم ابن جناح وشلومو يسحاق وابراهام بن عزرا ، وعائلة قمحي ، وشلومو بن جبيرول وغيرهم ومن القرائين مثل النها وندي وبو دهان رحوى ، وسلومو بروحام، وسهل بن بصلياخ ايوسف يعقوب ، ويانت بن عالى .

تنبيـه واعلام : اعلم ان آباء النبي صلى الله عليـه وسلـم كانـوا على التوحيد من لدن آدم عليه السلام الى عبد الله بن عبد المطلـب ، وان أبـوى النبي صلى الله عليه وسلم كانا ناجيين ، وقد أحياهما الله له فآمنا به ؟

قال الشيخ « جـلال الدين الاسيوطـي » فى رسالته المسماة « بالدرة المنفية فى الاباء الشريفة » ، وذهب كثير من الائمة الاعلام الى ان أبوى النبي صلى الله عليه وسلم ناجيين محكوم لهما بالنجاة فى الاخرة ، وهم اعلم الناس باحوال من خالفهم ، وقيل غير ذلك ولا يقصرون عنهم بالدرجة ، وهم احفظ الناس بالحديث والاثار والنقل ، فالادلة التي استدل بها اولئك فهم جامعون لانواع العلوم ، ومتضلعون من الفنون ، وهذه المسألة فانها مبنية على ثلاث قواعد للائمة ، كلامية واصولية وفقهية ، واختلف القائلون بالنجاة على ثلاث مـــراتـــــب :

المرتبة الاولى : ان الله تعالى أحياهما فآمنا به ، وذلك فى حجة الوداع ، والحديث فى ذلك ورد عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت : « ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل بالحجون يرى عليه الكآبة والحزن ، فأقام ما شاء الله ثم رجع مسرور ، فسئل عن ذلك ، قال : سألت ربي فأحيالي أمي فآمنت بي ثم ردها » ، رواية أبو حفص بن شاهين فى كتاب « الناسخ والمنسوخ » .

وروى من حديث عائشة أيضا « أحيا أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به » أورده « السهيلي » فى شرح السيـرة والخطيـب في « السابـق واللاحق » والدارقطني (1) وابن عسـاكـر (2) كلاهمـا فى « غرائب مالك » والبغوى (3) فى تفسيره والمحب الطبري فى « خلاصة السير » وغير هؤلاء من الائمة الاعلام ، وجعلوا هذا الحديث أعنى الذي فيه احياء أبوى النبي صلى الله عليه وسلم ، ناسخا لما خالفه من الاحاديث لتأخره ، ولم يبالوا بضعفه

---

1) الدارقطني ابو الحسن علي (917 ـ 995م) واحد من ائمة الحديث ، ارتحل من بغـداد وزار البصرة والكوفة والشام ومصر ، تتلمذ على ايمة الحديث فى زمانه ، واسس مدرسة لدراسة الاحاديث دراسة نقدية . لم تصل الينا كل مؤلفاته منهـا :
1) « السنـــن » . و 2) « الزيادات على الصحيحيـن » و 3) « الرؤيـا » و 4) « التصحيـف »

2) ابن عساكـر علي بن الحسن (1105 ـ 1176م) مـؤرخ ورحالـة عربـي ولـد بدمشـق، وعلـم فى كثير من مدن الشرق العربي ، أهم مؤلفاته « تاريخ دمشق » فـي 8 مجلـدات. نقـدت اكثـر مـؤلفاتـه .

3) البغـوي ابو محمد الحسين ابن محمد الفـراء (ت1122م) مؤلف وفقيـه شافعي ، ومـن اصحاب التفاسير . ولد فى بـاغ بخراسان ، ودرس فى مـرو الـف فى الفقـه وجمـع الاحاديث النبويـة فى كتابـه : 1) « شرح السنـة » وترجـع شهرتـه الـى مصنفـه: 2) « مصابيـح السنـة »

لان الحديث الضعيف يعمل به فى الفضائل والمناقب وهذه منقبة ، **قال** بعض الائمة فى ذلك منشدا هذه الابيات :

وان ابن طلاع روى ان احمدا ... اتى أبويه فى مقابر مكة
فأحياهما رب العباد فآمنا ... به ثم عادا فى ضريح وتربة
كذلك السهيلي جاء يرويه بعده ... لدى الروض شرح السيرة النبوية
كذاك السيوطي اختار فالقول بعدهم ... فطالع نصوص القوم تظفر بمنية

وقال الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي فى ذلك منشدا:

حبى الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به راوفا
فأحيا امه وكذا اباه ... لايمان به فضلا لطيفا
فسلم بالقدير بذا قدير ... وان كان الحديث به ضعيفا

والحاصل : فقد انتصب لتقوية ذلك والاستدلال عليه من الكتاب والسنة فحول العلماء الاعلام الاخبار ، وحسبنا الاختصار والاقتصار

ولقد ورد أيضا فى آبائه صلى الله عليه وسلم انهم موحدون من الكتاب والسنة ، وللائمة فى ذلك مباحث واقوال واختلاف وتصانيف ، فللامام « السيوطي » فى ذلك ست مؤلفات كالسيوف المرهفات ، جزاه الله عن أمة محمد من رضوانه افضل الجزاء ، **قال رضى الله عنه** ما ملخصه : ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم كلهم جميعا الى آدم عليه السلام على التوحيد لم يكن فيهم مشرك ، **وقال ايضا** ان ابوى النبي صلى الله عليه وسلم كانا على التوحيد ودين ابراهيم ، كما كانت طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة (1) ، وورقة بن نوفل (2) وعبيد بن حبيب الجهني وعمرو

---

1) قس بن ساعدة الايادي . توفى حوالي 600 م اديب كانت منازل قومه بالجزيرة وكان خطيب العرب وشاعرهم وحكيمهم وحكمهم فى عصره ادارو حوله القصص الشعبية والخرافات التي تجعل معرفة حياته عسيرة ، قالوا : انه عاش طويلا ، وانه اول من آمن بالبعث من الجاهليين ، واعتنق النصرانية ، فعين اسقفا لنجران . وتردد على قيصر الروم فاكرمه، وادركه النبي (ص) وسمعه يخطب بعكاظ ، فاعجب بكلامه ولمثل به كثيرا ، وقالوا انه اول من خطب على مرتفع وناقة ، واول من اتكأ عند خطبته على سيف او عصا .واول من قال فى كلامه (اما بعد) واول من كتب : (الى فلان من فلان) ويدل مايروى من خطبه على انه كان يعتمد على العبارات القصيرة جدا التي يحليها بالسجع والازدواج الطبيعيين ورسم الصور المتتابعة السريعة

2) ورقة ابن نوفل ابن عم خديجة زوجة رسول الله (ص) تنصر والم بالتوراة والانجيل، بشر بنبوة رسول الله (ص) وقال لخديجة حين اخبرته بقصة الوحي « ان هذا هو الناموس الذي كان ينزل على موسى ، وان محمدا لنبي هذه الامة » توفي ورقة في السنة الثالثة للبعثة دون ان يعلن اسلامه .

بن عنبسة وجماعة آخرين ، وقال مما يدل على ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا مشركين قوله عليه السلام « لم أزل انتقل من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الطاهرات » ، وقال تعالى : « انما المشركون نجس » فوجب ان لا يكون احد من اجداده مشركا ، قال ومن ذلك ، قوله تعالى : « الذي يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين » ، معناه ان نوره كان ينتقل من ساجد الى ساجد ، قال : وبهذا التقدير فالآية دالة على ان جميع آباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مسلمين ، قال : وحينئذ يجب القطع بأن والد ابراهيم ما كان من الكافرين ، وان آزر لم يكن والده ، وانما كان عمه واقصى ما فى الباب ان يحمل قوله : « وتقلبك فى الساجدين » على وجوه اخرى ، فاذا أوردت الروايات بالكل فلا منافاة بينهما ، ووجب حمل الآية على الكل ، وبذلك ثبت ان والد ابراهيم ما كان من عبدة الاوثان ، وان آزر لم يكن والده بل كان عمه هـ .

ملخص وقال الشيخ « حسين بن محمد » ووافقه على هذا الاستدلال بالآية المنافية لهذا المعنى الامام « الماوردي » صاحب « الحاوي الكبير » ونفر من ائمة الشافعية رضى الله عنهم وقد وجدت ما يعضد هذه المقالة من الادلة ما بين مجمل ومفصل ، والمجمل دليل مركب من مقدمتين احدهما : ان الاحاديث دلت على ان كل اصل من اصوله صلى الله عليه وسلم من آدم الى ابيه خير اهل زمانه .

والثانية : ان الاحاديث دلت على انه لم تخل الارض من بعد نوح الى بعثته صلى الله عليه وسلم من ناس على الفطرة يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له ، وبهم تحفظ الارض ، ولولاهم هلكت الارض ومن عليها

ومن ادلة المقدمة الاولى : « بعثت من خير قرون بني آدم قرنا حتى بعثت فى القرن الذي انا فيه »

وفى سنن البيهقي : « ما افترق الناس فرقتين ، الا جعلني الله فى خيرهما ، فأخرجت من بين أبوى ، فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية ، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم الى ان انتهيت الى ابي وامي ، فأنا خيركم نفسا وخيركم ابا ولا فخر

ومن ادلة المقدمة الثانية ما اخرجه عبد الرزاق وفى المصنف وابن المنذر فى تفسيره بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضى الله عنهما عن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه قال : لم يزل على وجه الارض من يعبد الله ويوحده واذا اقرنت بين المقدمتين انتج منهما قطعا ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فيهم مشرك لانه قد ثبت فى كل منهما انه خير

قرنه ، فان كان الناس الذين هم على الفطرة هم آباؤه فهو المدعى وان كان غيرهم وعلى معنى الشرك لزم احد امرين اما ان يكون المشرك خيرا من المسلم وهو باطل بنص القران والاجماع ، واما ان يكون غيرهم خيرا منهم ، وهو باطل ايضا لمخالفة الاحاديث الصحيحة ، فوجب قطعا ان لا يكون فيهم مشرك ليكونوا خير الارض فقد قامت الدلائل العقلية والنقلية على ان آباءه صلى الله عليه وسلم مومنون موحدون ، **وقد نقل** ابن حبيب فى تاريخه عن ابن عباس ، كان معد ، وعدنان ، وربيعة ، ومضر ، واسيد ، على ملة ابراهيم ، فلا تذكروهم الا بخير ، واخرج ابن سعيد فى الطبقات عن عبد الله بن خالد لا تسبوا الياس فانه كان مسلما مومنا ، **قال** بعضهم فثبت بهذا التقرير ان اجداده صلى الله عليه وسلم من ابراهيم الى كعب بن لؤي وولده منصوص على ايمانهم ، ولم يكن يختلف فيهم اثنان ، وبقى بين مرة وعبد المطلب اربعة آباء ، وهم كلاب ، وقصى ، وعبد مناف ، وهاشم ، والاحسن فى حقهم انهم كانوا على ملة ابراهيم ولم تبلغهم الدعوة على وجهها ، وعليه قوله تعالى : «وجعلها كلمة باقية فى عقبه» . واستيفاء الكلام فى ذلك يطول وبالله التوفيق.

قال صاحب (.؟.) (1) وقد استقريت امهات الانبياء فوجدتهن مومنات فأقام اسحاق وموسى وهارون وعيسى وحوى ام شئث ، مذكورات فى القرآن ، بل قيل بنبوتهن ، **ووردت** أحاديث بايمان هاجر ام اسماعيل ، وام يعقوب ، وامهات أولاده ، وام داوود ، وسليمان وزكرياء ، ويحيى ، وشمويل، وشمعون ، وذي الكفل ، ونص بعض المفسرين على ايمان أم نوح وام ابراهيم، ورجحه أبو حيان فى تفسيره ، وقد صح عن ابن عباس انه لم يكن بين آدم ونوح والد كافر ، ولهذا قال : « رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنا» وقال ابراهيم : « رب اغفر لي ولوالدي وللمومنين يوم يقوم الحساب » ولم يعتذر عن استغفار ابراهيم فى القرآن الا لأبيه خاصة دون أمه ، فدل على أنها مومنة .

واخرج « الحاكم » وصححه عن ابن عباس ، قال : كانت الانبياء كلهم من بني اسرائيل الا عشرة نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وابراهيم ، واسماعيل ، واسحاق ، ويعقوب ، ومحمد صلى الله وسلم عليهم اجمعين ، وبنو اسرائيل كلهم مومنون لم يكن فيهم كافر ، الا ان عيسى كفر به من كفر ، وامهات الانبياء من بني اسرائيل كلهن مومنات ،وغالب انبياء بني اسرائيل كانوا أولاد أنبياء وأولاد أولادهم ، فان النبوءة كانت تكون فى سبط

1) كذا فى كل النسخ التي توصلنا اليها

منهم كما هو معروف فى اخبارهم ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى : « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله »

وآخر ما نزل من التوراة ، « اذا لم تستحي فاصنع ما شئت »

وآخر ما نزل من الانجيل : « شر الناس من لا يبالي ان يراه الناس مسيئا »

آخر ما نزل من الزبور : « من يزرع خيرا يحصد غبطة » انتهى .

قال ابن صعد فى « النجم الثاقب » كان للشافعي (1) رضى الله عنه فى حب اهل البيت اعتقاد كبير ، وود سليم ، فنسب للرفض تارة ، وللتشيع اخرى ، فقال فى ذلك :

يا راكبا قف بالمحصب من منى	واهتف بقاعة خيفها والناهض
سحرا اذا فاض الحجيج الى منى	فيضا كملتطم الخليج الفائض
ان كان رفضا أحب آل محمد	فليشهد الثقلان انى رافض

وقال رضي الله عنه :

اذا نحن فضلنا عليا فاننا	روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل
وفضل ابى بكر اذا ما ذكرته	رميت بنصب عند ذكرى للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما	بحبيهما حتى اوسد فى الرمل

وقال :

قالوا ترفضت قلت كلا	ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن توليت غير شك	خير امام وخير هادي
ان كان حب الولي رفضا	فانني ارفض العبادي

وقال الشيخ « ابن عسكر » المصباحي الحسني العلمي كان الشيخ الصالح سيدي « احمد بن يوسف الملياني » من أكابر الاولياء ، وكان اصحابه يتغالون فى « حبه » حتى كانوا ينسبونه للنبوة ثم افضى الامر باحدهم «يقال»

---

1) محمد بن ادريس (767 ـ 819) ينتهي نسبه الى المطلب اخي هاشم جد النبي (ص) اتهم في اليمن بالتشيع فغادرها الى العراق حيث لازم محمد بن الحسن واخذ عنه الخ .

له ابن عبد الله ، الى ان تزندق وتبعه على ذلك جماعة من أهل الجهل فى البدو والحضر « وابتدلوا » السنة بالبدعة بعد انقطاعه من المغرب وكثر ضرهم على اهل السنة ، وتخليطهم وتسموا بالطائفة اليوسفية ، ولما « بلغ ذلك الى » السلطان مولاي محمد الشيخ حين زيارته لفاس رفع له « ما شاع وانتشر » عنهم وقبضهم وقتل أعيانهم ورؤساءهم ، وسجن عامتهم

فانظروا رحمكم الله الى ما رمى به امام الائمة « محمد بن ادريس » رضى الله عنه من أهل البدع قبحهم الله ، منهم من نسبه للتشيع ومنهم من نسبه للرفض بسبب مدحه لاهل البيت الشريف وقوله فيهم :

يا أهل بيت رسول الله حبكم   فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم المجد انكم   من لم يصل عليكم لا صلاة له

فما ينكر هذا على الامام الشافعي الا من تغالى فى البدعة ، وهذا من قبيل ما تقدم لنا من الكلام على « سعود الوهبي (1) » الذي ينهى طائفة عن زيارة الحجرة النبوية وتعظيمها ويمنع الناس من قراءة « دلائل الخيرات » و « تنبيه الانام » المشتملين على مدح سيد الانام ، عليه افضل الصلاة وازكى السلام ، ويقول لمن توهب ودخل فى مذهبه الخسيس تشهد واعترف ان ما كنت عليه انت وآباؤك قبل هو غير الحق فيعترف بذلك .

الطائفة التيجنية :

ويقرب من هذا ما وقع بمغربنا ، من بعض اهل البدعة قبحهم الله فى زماننا ، وذلك ان رجلا كان بتلمسان ينسب للطلب ، وكان يتعلق بأهل البطالة الذين يدبرون الفضة ويدلسونها ويبحثون بزعمهم عن صنعة الاكسير الذي هو عن الوصول اليه خطير عسير ، واشتهر بذلك بتلمسان ، عند كل انسان ، فلما علم به امير البلد وهو الباى « محمد بن عثمان » ، ضربه وسجنه ونفاه عن تلمسان واقسم له ان لا يستوطن فى ايالته ببلد من البلدان فسار ينتقل من محل لآخر شريدا ، ويتقلب فى الفيافي فريدا ، الى ان بلغ قرية أبى سمغون ، حيث لا تناله الاحكام ومجتمع الاشرار واللئام ، فاظهر لهم النسك والتصوف والصلاح ، ويرشدهم لطرق النجاح والفلاح ، الى ان

---

1) لقد سبق لنا ان اشرنا الى ان الزياني لم ينكر ما قدم عليه محمد بن عبد الوهاب وانما انكر تصرفات « سعود بن عبد العزيز » 1814 المعروف بسعود الكبير والذي ارتكب من الاعمال ضد اهل البيت الحرام ما هو مسجل فى التاريخ .

اشتمل على قلوب من لهم به اتصال ، من أهل الرماح والنصال ، وبلغ خبره ممن يجاورهم من اهل ريقة ولغواط ، الذين يبيحون الزنى واللواط ، وقد نص صاحب « المعيار » فى فتاويه ونبه على هذه الطائفة الوهبية بصحراء المغرب ، انها من الرافضة ، وهم هناك بين اظهر أهل السنة ، ونبه عليهم الامام « البرزي » فلعل هذا المبتدع اتصل بهم ، وتمذهب ببدعهم وانتحلها فاجتمع عليه اوباش من العامة الجهلة وصار يوجههم لاجلاف العرب والبربر الذين بالصحاري ، فصاروا يعتقدونه وياتونه بالهدايا ، وعظم صيته وكثر فساده وعيثه ، فبلغ خبره لباي وهران ابن الباي محمد بن عثمان السابق الذكر ، فكتب لاهل قرية بوصمفون بالوعيد ان لم يطردوه من بلادهم ، فلما بلغه ذلك خاف على نفسه ، ان يجرف فى رمسه ، ففر للمغرب فى نحو العشرة من ابناء جنسه ، وطائفة من تلامذته واولاده ، ومن له اعتماد عليه من انجاده، وقصد مدينة فاس ، بما تلبس به من الادناس ، وكتب لامير المومنين يتلطف ويتذمم له ويتعطف ، ووصفه له الرسول بالعلم والصلاح ، والزهد والعفاف والفلاح ، فانزله واكرم وفادته ، ولما اجتمع به وراى « تقشفه وزهده »، ظن انه من اهل العلم والزهد كما وصف الرسول ، وزعم انه من اهل المعقول والمنقول ، وعلى فرض علمه فانه ممن قال فيهم الامام السنوسي فى مختصره «التقدم لمعالي الامور قبل اتقان أصولها وضبط طرقها ، عجلة وشهوة نفسانية توجب لصاحبها الفضيحة دنيا وآخرة ، والا فالبراهمة والنصارى قد ارتضوا على قاعدة فاسدة فلم يزدهم ذلك الا ضلالا ، وكثيرا ما يغتر اصحاب هذا الطريق بالتخيلات ، الشيطانية والنفسانية نوما ويقظة ويعدونها كرامات ، وهي ، فى الحقيقة استدراج وزيادة لهم فى انواع الضلالات ، نساله تعالى ان يلهمنا رشد انفسنا بمنه ه .

وقال صاحب كتاب « الانتباه » اقبح الناس فعلا ، واعظمهم جهلا ، طوائف يجتمعون صفوفا ، ويذكرون وقوفا ، يتمايلون باجسامهم ، ويدكون الارض باقدامهم ، على اللهو يجتمعون، وللفرح بأكل الكسكس واللحم يرقصون، كل منهم ينشد من طريق ناديه وجمعه ، ويتواجد بماية فطرته وتحريك طبعه، يظهر كل واحد منهم انه متواجد واذا حضرت الكساكس ما ترى منهم واجدا ولا متواجدا ، ياكلون لهفا ، ويشربون سرفا ، اعتقاداتهم ردية لزعمهم انهم يرضون بالرقص الملك الديان ، وهممهم دنية لشبههم فى ذلك بفسقه النسوان ، فما أقل حياءهم من الله ، وما اقبح ما نسبوا لدين الله ، فلا اجر لهم فى عملهم ولا ثواب ، وعليهم ما على المحصنات من العذاب .

رجوعا ولما استقرت به الدار ، اجتمعت عليه طائفة اخرى من الاشرار، وتسمت هذه الطائفة باسمه الخسيس ، واشتهر شهرة ابليس ، وهو احمد

تجين ، هو وطائفته فى سجين ، فاظهر ما كان منطويا عليه من البدعة ، وهو يزداد عندهم بذلك رفعة ، ولما سمع بمقالته الاشـرار ، وجملة من اهـل اليسار ، انكبوا عليه انكابهم معه فى النار ، ففـرض لهم الفرائض وسن لهـم السنن ، والبدعة تتزايد منه وتتكون ، فأول ما قال لهم اسمعوا كلامي وعوه، وكل ما تعرفونه قبلي دعوه ، انـي ارى رسول الله صلى الله عليه وسلـم فى اليقظة لا فى المنام ، ويقول لي واقول له ما يعرض لي من الكلام ، ومن جملة ما قال لي يا احمد اعلم ان كل من يبغضك او يشتمك او ينسب لك ما يسوءك ، فانه لا يموت على ملة الاسلام ، وقال لي انك واصحابك وطريقتك افضل من وجد بعد الصحابة ، ثم بعد مدة قال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني صلاة قالها . وصلى عليه بها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من رمسه ، وجاءه بسبب ذلك يزوره بنفســـه ، واذ ذكرها جماعـة منكـم وازالوا عنهم ثيابهم ووضعوها بين ايديهم شبه القطينة ، يأتي اليهـم النبـي زائرا ويجلس عليها بذاته الشريفة ، وانه صلى الله عليه وسلم اخبره بأن له ولاصحابه تقدما وشفوفا على كل حر وعبد ذكر وانثى كبير وصغير ، وانـه منذ عصر الصحابة لم يكن له نظير ، وان طريقتـه افضل الطرق كلهـا على الاطلاق ، والشمول والاستغراق ، واعطاها له رسول الله صلى عليه وسلـم منه اليه ، وان تلاميذه تلاميـذ رسول الله صلى الله عليه وسلـم وفقراؤه ، وانه لم تكن هذه الطريقة لغيره الى النفخ فى الصور ، وان اصحابه عنـد الله ورسوله فى الدنيا والاخرة فى نعم وسرور ، من فضـل الله والعز الاكبـر ، والبرهان الساطع الانور ، وذلك امر لا مطمع فيه لغير الصحابة من جميـع الاولياء حتى الاقطاب لا يلحقون مراتـب اصحابـه فى الآخرة وانه لا يتأتـى لطريقتي الا التفرد بها ، فمن ذكر ورد احد من المشايخ مع وردي فهو خارج عن طريقتي المحمدية ، وكل طرق المشايخ تدخل عليها طريقتي وتبطلها ، ولا يخاف من ترك طريقة غيري لطريقتي فى الدنيا ولا فى الاخرة ، ومن تعمـد وادخل طريقة اخرى على طريقتي حل به الهلاك فى الدنيا والاخرة ، ومن ترك طريقة غيري لاجل طريقتي فهو آمن فى الدنيا والاخرة ، قبحه الله وقبحهـم اجمعيـــن ؟ ! .

قال كاتبه فانظروا يا عباد الله مخاطبة هذا الشيطان لاوليائه ، ووصيته لتلامذته واخصائه مع وصية الشيخ ابو محمد عبد الحق بن سعيد المكـي لتلاميذته ونصهـا :

«يا اخواني حافظوا على الصلوات وجاهدوا النفوس باجتناب الشهوات، و كونوا أوابين توابين ، واستعينوا على الخيرات بمكارم الاخلاق ، واعملوا على نيل الدرجات السنية ، ولا تغفلوا عن الاعمال السنية ، وحصلوا على الاعمال

الالهية وفهمها ، وذوقوا مفصل الذات الروحانية ومجملها ، ولازموا المودة فى الله بينكم ، وعليكم بالاستقامة على الطريقة ، وقدموا فرض الشريعة على الحقيقة ، ولا تفرقوا بينهما لانهما من الاسماء المترادفة واكفروا بالحقيقة التي فى زمنكم هذا ، وقولوا عليها وعلى اهلها لعنة الله حقيقة ، كتسمية الذيغ بالسليم ، فأهلها يهملون خد الحرام والحلال ، مستخفون بشهر الصوم والحج وعاشوراء والاحرام ، « قاتلهم الله انى يوفكون » .

ولقد شاهدنا مثال حاله وحالهم فقد رماهم الله بالفقر بعد الفنا ، ولم يفلح ممن تبعه احد وكلهم افلسوا وافتضحوا وتفرق جمعهم وحصلوا على الخزي فى الدنيا وعذاب الاخرة ، واما ما يفعله الفقراء من الصنيع فى الموسم الشنيع ، بضريح مولانا ادريس ، يجتمع فيه النفيس والخسيس ، ومن ينضاف لهم من الرعاع ، لحضور السماع ، الخارج عن السنن الشرعي ، والمهيع المرعي ، بالرقص والتصفيق ، وآلة الطرب ، وأنواع من البدع يقضي منها العجب ، وضرب العود والبندير والطر وآلة الملاهي ، على هيئة مركبة من أنواع الناهي ، كالطبول والمزامر والبوق وغيرها من الملهيات ، واختلاط الذكور والاحداث واذا اقيمت الصلاة بقوا على لهوهم عنها معرضين ، وعلى لهوهم معتكفين ، ونتفوا فى ذلك اموالا طائلة ، سرفا وتبديرا ، ولا ينفقون فى طاعة الله نقيرا ولا قطميرا ، ويجتمعون بعد العشاء للبيات على لهوهم ، ويتركون صلاة اليوم كله لزهوهم ، ولاقل من هذا ، أنكر ابن مسعود حين بلغه ان قوما يجتمعون بمسجد الرسول بعد المغرب يكبرون ويسبحون فاتاهم وكان رجلا حديدا ، فلما سمع اقوالهم قال انا عبد الله بن مسعود ، والله الذي لا اله غيره لقد جئتم ببدعة ظلما ، ولقد فقتم اصحاب محمد علما ، فقال والله ما جئنا ببدعة ظلما ، ولا فقنا اصحاب محمد علما ، فقال عمرو بن عتبة : يا ابا عبد الرحمن نستغفر الله، قال عليكم بالطريق فالزموه ، فان فعلتم لقد سبقتم سبقا بعيدا ، ولئن اخذتم يمينا وشمالا لتضلن ضلالا بعيدا .

وفى حديث ابن مسعود هذا دليل على منع الذكر جماعة هـ

وقال القرطبي فى تفسيره حين تكلم على قصة السامري (1) فى سورة « طـه » : سئل الامام « ابو بكر الطرطوشي » عن مذهب الصوفية واجتماعهم على الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوقعون بالقضيب على شيء من الاديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقوم مغشيا عليه ، هل الحضور

---

1) السامري : اسرائيلي اضل قومه فى غياب سيدنا موسى عليه السلام . امرهم ان يقذفوا بحليهم فى النار ، واخرج لهم « عجلا جسدا له خوار » عبدوه برغم تحذير هارون لهم . (طـه : 85 ـ 97)

معهم جائز أم لا ؟ افتونا رحمكم الله . فقال يرحمه الله مذهب الصوفية بطالة وجهالة ، وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار ، فقاموا يرقصون من حوله ويتواجدون ، فهو دين الكفار وعباد العجل ، وأما التوقيع بالقضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله ، وقد كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار ، وقد سئل الامام المازني (1) عن الرقص على الطار والشبابة فقال هذا لا يجوز فى الدين ، فقالوا قد جوزه الشافعي فانشأ يقول

حاشى الامام الشافعي النبيه ... ان يرتقى غير معالي نبيه
او يبتدع طارا وشبابة ... لناسك فى دينه يقتديه
الضرب بالطارات فى ليله ... والرقص والتصفيق فعل السفيه
هذا ابتداع وضلال للورى ... وليس فى التنزيل ما يقتضيه
ولا حديث عن نبي الهدى ... ولا صحابي ولا تابعيه
بل ناسك يلعب فى دينه ... قد ضيع العمر بلهو وتيه
وراح فى اللهو على رسله ... وليس يخشى الموت يعتريه
ان ولى الله لا يرتضي ... وليس يرضى الله لهو الورى
الا بما الله يرتضيه ... بل يمقت الله به فاعليه
بل بصيام وقيام الدجا ... وآخر الليل لمستغفريه
قد اكلوا الدنيا بدين لهم ... ولبسوا الامر على جاهليه
جهل وطيش فعلهم كله ... وكل من دان به يرتديه
شبه نساء جمعوا مأتما ... فهن فى الندب على ميتيه
والضرب فى الصدر كما قد ترى ... ليس لهم غير النسا من شبيه
انكر عليهم ان تكن قادرا ... فهم رجال ابليس لا شك فيه
ولا تخف فى الله من لائم ... وفقك الله لما يرتضيه

فانت ترى ما قاله الامام المازني فيجب على من ولاه الله امر المسلمين ان يمنعهم من الحضور فى المساجد على ذلك ، هذا مذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل ، واما ما ينشأ عن ذلك من المفاسد بهذه الزوايا

---

1) يقصد المازني الغرناطي ، ابو حامد محمد (1080 ــ 1169) اشهر جغرافي الاندلس ولد بغرناطة وسافر الى مصر وسردينيا وصقلية والعراق وخراسان وبلاد الفولجا والبلغار ، توفي بدمشق ، وصف رحلاته فى عدة كتب منها :
1) « تحفة الالباب ونخبة الاعجاب » و 2) « نخبة الاذهان فى عجائب البلدان » و 3) « المقربان بعد عجائب البلدان » و 4) « تحفة الكبار فى اسفار البحار » وفيه يتحدث عن رحلاته البحرية .

واضرحة الاولياء ، الذين صاروا مأوى لاهل الجرائم وأصحـاب الجنايات وسفك الدماء ، فلانهم اذا خافوا على انفسهم من سلطان أو حاكم يدخلونهـا ويتمنعون بها ، ولا يتمكن منهم صاحب الحق ، وبعضهم يأكل أموالا ويدخل للحـــرم والزاوية وتضيع الدماء والحقوق ، ويتعصب عليهم أهل الزوايا ولم يعلموا حكم الله فى ذلك .

وقد ورد فى الحديث الشريف النهي عن ايوائهم ولو لجأوا لحرم مكـة والمدينة ، أحرى اضرحة الاولياء والزوايا ، قال مالك والشافعي ويجـوز اقامة الحد مطلقا فى الحرم ، لان العاصي فيه ، هتك حرمة نفسه فأبطل ما جعل الله له من الامن ، وسمع ابن القاسم تقام الحدود فى المسجد ويقتـل بقتل النفس فى الحرم .

قال ابن رشد :ولا خلاف فيه بين فقهاء الامصار ، وقال ابن الحاجب ولا يؤخر القصاص بالاستناد الى الحـرم ولكن يخـرج من المسجـد » ، **وفى** المختصر لا بدخول الحرم ، **ولما** بويع عبد الله بن الزبير بمكة ، وبويع اليزيد ابن معاوية بالشام ، وكان عامله على المدينة عمرو بن سعيد وجـه البعـوث لحرب عبد الله بن الزبير بمكة ونصب عليه الحرب فلم يقبل ذلك ابو شريح العدوي وكتب لعمرو بن سعيد ينكر فعله واستباحته حرمة الكعبة ونصب الحرب عليها،فأجابه عمرو بأن«الحرم لا يجير عاصيا ولا يمنع اقامة القصاص » وهو صحيح غير ان ابن الزبير لم يرتكب امرا يجب عليه فيه شيء بل هـو اولى من اليزيد بالخلافة لتقدم بيعته عليه وصحبته ودينه ، ودليل ان الحرم لا يجير عاصيا ما ، فى البخاري وغيره عن علي ، قال: ما عندنا شيء الا كتاب الله وهذه الصحيفة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم « المدينة حرام ما بيـن عائد الى كذا ، فمن احدث فيها حدثا واوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » . وقال : ذمة المسلمين واحدة ، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » الحديث .

وقال القاضي عياض : الحدث هنا قيل الاثم ، وقيـل يعـم الجنايات وغيرها ، والحدث فى الدين كله ، **وقال** « ابن بطال » دل الحديث على ان من أحدث حدثا او أوى محدثا فى غير المدينة فانه متوعد بمثل ما توعد بـه من فعل ذلك بالمدينة ، وان كان قد علم ان من أوى أهل المعاصي انه يشاركهم فى الاثم ، فان من رضى فعل قوم وعلمهم التحق بهم ، ولكن خصصت المدينة بالذكر لشرفها لكونها مهبط الوحي وموطن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنها انتشر الدين فى اقطار الارض فكان لها بذلك مزيد فضل على غيرها ، وقال غيره ، السر فى تخصيص المدينة بالذكر لانها كانت اذ ذاك موطن النبي صلى الله عليه وسلم وصارت موطن الخلفاء الراشدين هـ .

وقال الابي : الحديث يدل باعتبار المعنى على انه لا يحل ايواء المحدث وهذا كما يتفق كثيرا فى هروب الظلمة والجناة الى الزوايا ، وكان الشيخ « ابن عرفة » يقول : لا يحل ايواؤهم الا ان يعلم انه يتجاوز فيهم فوق ما يستحق ، **وفى** « حاشية البخاري » لسيدي عبد الرحمن الفاسي عقب كلام الابى ما نصه : هذا وما يظهر من امور خارجة عما ذكر من ظهور برهان لمن تعدى على زاوية او روضة بذلك أمر خارج عن الفتوى وغيرة من الله على أوليائه ، لا تاخذ بقياس ولا تضبط بميزان شرعي ولا قانون عادي ، فان الموازين الشرعية كليات وعموميات ولذلك الخواص يفتقرون الى اذن خاص فى كل نازلة ، واعتبر بتكرير قوله تعالى باذني فيما اخبر به عن عيسى بن مريم عليه السلام من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وغير ذلك والله اعلم ، ﻫ من حاشية البناني على الزرقاني ، راجع تمامه فيها ان شئت

وظهر بعد هذا المبتدع مبتدع آخر اقتفى آثاره فى اظهار النسك والزهد فى الدنيا ، ونصب حبائله لجلب أهل اليسار المشغوفين بجمع الحطام واهل المناصب الذين زهدوا فى الاخرة يظنون انه يبلغهم أقصى الغايات ، وصار يعدهم ويمنيهم ولازم بيتا فى احد المساجد ، واجتمع عليه سماسرة اهل البدع يشيعون عنه مقالات تؤدى للكفر ، ويظهرون للناس عنه كرامات وهو يسر بذلك حسوا فى ارتغاء ، ولما بلغ خبر هؤلاء المبتدعين لامير المومنين ابقاه الله كتب خطبة من انشائه وبلاغته لخطباء المساجد يخطبون بها فى الجمع ، حذر فيها من اتباع اهل البدع والانكار عليهم ، ونهى عن الاجتماع فى المواسم بالانشاد والآلة والرقص ، وواعد بالعقوبة ان لم ينتهوا **ونصها** :

« باسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصحبه وسلم »

يقول لكم امير المومنين ، وناصر الدين المتمسك بسنن المهتدين ، وسنة الخلفاء الراشدين .

الحمد لله الذي تعبدناه بالسمع والطاعة ، وامرنا بالمحافظة على السنة والجماعة ، وحفظ ملة نبيه الكريم ، وصفيه الرؤف الرحيم ، من الاضاعة الى قيام الساعة ، وجعل التآسي به انفع الوسائل النفاعة ، **أحمده** حمدا ينتج اعتماد العبد على ربه وانقطاعه ، **واشكره** شكرا يقصر عنه لسان البراعة ، واستمد معونته بلسان المذلة والضراعة ، واصلي على مولانا **محمد** رسوله المخصوص بمقام الشفاعة ، على العموم والاشاعة ، والرضى عن آله وصحبه الذين اقتدوا بهديه بحسب الاستطاعة

امـا بعـد

أيها الناس شرح الله لقبول النصيحة صدوركم ، واصلح بعنايته أموركم ، واستعمل فيما يرضيه آمركم ومأموركم ، فان الله قد استرعانا جماعتكم ، واوجب لنا طاعتكم ، وحذرنا اضاعتكم ، (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ،) سيما فيما أمر الله به ورسوله ، او هو محرم بالكتاب والسنة النبوية ، واجتماع الامة المحمدية « الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة » الآية ، ولهذا نرثى لغفلتكم وعدم احسانكم ، ونفار من استيلاء الشيطان بالبدع على انواعكم واجناسكم ، فألقوا لامر الله آذانكم ، وايقظوا من نوم الغفلة اجفانكم ، وطهروا من دنس البدع ايمانكم ، واخلصوا الله اسراركم واعلانكم ، واعلموا ان الله بمحض فضله اوضح لكم طرق السنة لتسلكوها ، وصرح بذم اللهو والشهوات لتملكوها ، وكلفكم لينظر عملكم ، فاسمعوا قوله فى ذلك واطيعوه ، واعرفوا فضله عليكم وعوه ، واتركوا عنكم بدع المواسم التي انتم بها متلبسون ، والبدع التي يزينها اهل الاهواء ويلبسون ، وافترقوا اوزاعا ، وانتزعوا الاديان والاموال انتزاعا ، بما هو صراح كتابا وسنة واجماعا ، وتسموا فقراء ، واحدثوا فى دين الله ما استوجبوا به سقرا ، « قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا : الاية » وكل ذلك بدعة شنيعة ، وفعلة فظيعة ، وشيمة وضيعة ، وسنة مخالفة لأحكام الشريعة ، وتلبيس وضلال ، وتدليس شيطاني وخبال، زينه الشيطان لأوليائه فوقتوا له اوقاتا ، وانفقوا فى سبيل الطاغوت فى ذلك دراهم واقواتا ، وتصدى له اهل البدع من « عساوة وجلالة (1) » وغيرهم من ذوي البدع والضلالة ، والحماقة ، والجهالة ، وصاروا يرتقبون للهوهم الساعات ، وتتزاحم على حبال الشيطان وعصيه منهم الجماعات ، وكل ذلك حرام ممنوع ، الانفاق فيه انفاق فى غير مشروع ، فانشدكم الله عباد الله هل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمزة عمه سيد الشهداء موسما ، وهل فعل سيد هذه الامة ابو بكر لسيد الارسال ، صلوات الله عليه وعلى جميع الاصحاب والآل موسما ، وهل فعل عمر لابى بكر موسما ، وهل تصدى لذلك احد من التابعين ، رضى الله عنهم اجمعين ، ثم انشدكم الله هل خرمت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المساجد ، ام زوقت اضرحة الصحابة والتابعين الاماجد ، وكانى بكم تقولون فى نحو المواسم المذكورة ، وزخرفة اضرحة الصالحين وغير ذلك من انواع الابتداع ، حسبنا الاقتداء والاتباع ، « انا وجدنا آباءنا على أمة : الاية » ، وهذه المقالة قالها الجاحدون ، هيهات هيهات لما توعدون ، وقد رد الله مقالهم ، ووبخهم

1) فرقتان من اتباع ابن عيسى دفين مكناس ، وعبد القادر الجيلاني دفين بغداد وكلاهما كان من علماء الاسلام

وما أقالهم ، فالعاقل من اقتدى بثابائه المهتدين ، واهل الصلاح والدين ، « خير القرون : الحديث » وبالضرورة انه لن يات آخر هذه الامة باهدى مما كان عليه أولها ، » فقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعقد الدين قد سجل ، ووعد الله باكماله قد عجل « اليوم اكملت لكم دينكم : الاية ،» قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ايها الناس قد سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتم على الجادة ، فلا تميلوا بالناس يمينا ولا شمالا » فليس فى دين الله ، ولا فيما شرع نبي الله ، ان يتقرب لله بغناء وشطح ، والذكر الذي امر الله به ، وحث عليه ومدح الذاكرين به ، هو على الوجه الذي كان يفعله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن على طريق الجمع ورفع الاصوات على لسان واحد ، فهذه سنة السلف ، وطريقة صالحي الخلف ، فمن قال بغير طريقهم فلا يستمع ، ومن سلك غير سبيلهم فلا يتبع ، « ومن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المومنين الاية ، » « قل هذه سبيلي ادعوا الى الله ، الاية » فما لكم يا عباد الله ولهذه البدع امنا من مكر الله ، اتلبيسا على عباد الله ، أم منابذة لمن النواصي فى يديه ، أم غرورا بمن الرجوع بعد اليه ، فتوبوا واعتبروا وغيروا المناكر واستغفروا ، فقد اخذ الله بذنب المترفين من دونهم ، وعاقب الجمهور لما اغضوا عن المنكر عيونهم ، وساءت بالغفلة عن الله عقبى الجميع ما بين العاصي والمداهن المطيع ، أفيز لكم الشيطان وكتاب الله بأيديكم ، أم كيف يضلكم وسنة نبيه تناديكم ، فتوبوا الى رب الارباب ، « وانيبوا الى ربكم واسلموا : الاية » ومن اراد منكم التقرب بصدقة أووفق لمعروف اطعام او نفقة ، فعلى من ذكر الله فى كتابه ، ووعد فيهم بجزيل ثوابه ، كذوي الضرورة الفير الخافية ، والمرضى الذين لستم بأولي منهم بالعافية ، ففي مثل هذا تسد الذرائع ، وفيه تمثل أوامر الشرائع، « انما الصدقات للفقراء : الاية » ولا يتقرب الى مالك النواصي بالبدع (1) والمعاصي ، بل بما يتقرب به الاولياء والصالحون ، والاتقياء المفلحون ، لكل الحلال ، وقيام الليالي ، ومجاهدة النفس فى حفظ الاحوال ، بالافعال والاقوال ، البطن وما حوى ، والراس وما وعى ، وآيات تتلى ، وسلوك الطريقة المثلى ، وحج وجهاد ، ورعاية السنة فى المواسم والاعياد ، ونصيحة تهتدى ، وامانة تؤدى ، وخلق على خلق القرآن يحدى ، وصلاة وصيام ، واجتناب مواقع الآثام ، وبيع النفس والمال من الله « ان الله اشترى من

---

1) البدع ج بدعة ، والبدعة ما يؤخذ على انه من الدين وليس منه كالذكر بالفاظ معينة وخروج الطوائف بشارات ورايات ، وكالطواف حول قبور الصالحين ، وتطلق البدعة ايضا على مخالفة السنة وما جرى عليه الرسول ص

المومنين : الاية » « ولكن البر من ءامن بالله : الاية » ، « وان هذا صراطـــي مستقيما : الاية » الصراط المستقيم كتاب الله وسنة رسول الله ، وليـس الصراط كثرة الرايات ، والاجتماع للبيات ، وحضور النساء والاحـداث ، وتغيير الاحكام الشرعية بالبدع والاحداث ، والتصفيق والرقص ، وغير ذلك من أوصاف الرذائل والنقص ، « افمن زين له سوء عمله : الاية » عن المقدام ابن معدى كرب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يجاء بالرجل يوم القيامة وبين يديه راية يحملها واناس يتبعونه فيسئل عنهم ويسئلـون عنه ، « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا : الاية » فيجب على من ولاه الله من أمر المسلمين شيئا من السلطان والخلائف ، ان يمنعوا هؤلاء الطوائف ، من الحضور فى المساجد وغيرها ، ولا يحل لاحد يدين لله واليوم الاخـر ان يحضر معهم او يعينهم على باطلهم ، فاياكم ثم اياكم والبدع ، فانها تترك مراسم الدين خالية خاوية ، والسكوت على المناكر يحيل رياض الشرائع ذابلة ذاوية، فمن المنقول على الملل ، والمشهور فى الاواخر والاوائل ، ان البدع والمناكر اذا فشت فى قوم أحاط بهم سوء كسبهم ، واظلم ما بينهم وبين ربهم ، وانقطعت عنهم الرحمات ، ووقعت فيهم المثلات ، وشحت السماء وسبحت النقمـا ، وغيض الماء ، واستولت الاعداء ، وانتشر الداء ، وجفت الضروع ، ونقصت بركة الزروع ، لان سوء الادب مع الله يفتح أبواب الشدائد ، ويسد طريـق الفوائد ، والادب مع الله ثلاثة

1) حفظ الحرمة بالاستسلام والاتباع

2) رعاية السنة من غير اخلال ولا ابتداع

3) مراعاتها فى الضيق والاتساع ، لا ما يفعله اليوم هؤلاء الفقـراء ، فكل ذلك كذب على الله وافتراء ، « قل ان كنتم تحبون الله : الاية »

عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقام اليه رجل فقال يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فما تعهد الينا ، فقال : اوصنـا ، قال : اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة لمن وليكم وان كان عبدا حبشيا فانه من يعيش بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفـاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكـم ومحدثات الامور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، **وها نحن** عباد الله ارشدناكم وحذرناكم وانذرناكم ، فمن ذهب بعد لهذه المواسم ، او احدث بدعة فى شريعة نبيه ابى القاسم ، فقد سعى فى هلاك نفسه ، وجر الوبال عليـه وعلى أبنـاء

جنسه وتله الشيطان للجبين ، وخسر الدنيا والآخرة ، « ذلك هو الخسران المبين ، فليحذر الذين يخالفون عن امره : الاية » انتهى .

قلت وقد كنت وقفت على خطبة من انشاء القاضي عياض رحمه الله جلبها أبو عبد الله ابن الخطيب ، في الاحاطة ونوه بذكرها ونصها :

الحمد لله الذي سبق قبل كل شيء قدما ، واوسع كل شيء رحمة وعلما وهدى اولياءه نهجا قويما « وانزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه وبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا ، احمده وهو احق من حمد ، واسأله ان يجعلنا اجمع ممن خصنا برضاه وسعد ، واستعينه على طاعته وهو اعز من استعين ، واستنجده واستهدي به توفيقا ، فان من يهديه الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، شهادة فاتحة لاقفال قلوبنا ، راجحة بأثقال ذنوبنا ، منزهة عن الشبيه والمثيل بنا ، « وانه تعالى جدير بنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا » ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله انزل عليه القرآن ، وبعثه بالهدى والايمان واخزى بدعوته دعوة الشيطان ، وابعدهم عن مقاعد السمع « فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا »

ايها السامع قد ايقظك صدى القدر من سنة الهوى وسكراته ، واوعظك كتاب الله بزواجره وعظاته ، فتأمل حدوده وتدبر محكم آياته، « واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك ، لا مبدل لكلماته ، ولن تجد من دونه ملتحدا » أين الذين عتوا على الله وتعظموا ، واستطالوا على عباده وتحكموا ، وظنوا ان لا يقدر عليهم حتى اصطدموا ، « وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا ، وجعلنا لمهلكم موعدا » ، غر بهم الامل وكواذي الظنون ، وذهلوا عن طوارق «الزمن» وريب المنون، وظنوا انهم الينا لا يرجعون، حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا » ، فهذبوا رحمكم الله اسراركم بتقوى الله واخلصوها ، واشكروا نعمته ، « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » ، واحذروا نعمته واتقوه ، واعتبروا بوعيده ، قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى ، وايقظوا للطاعة الهمم العاجزة ، واركضوا في ميدان التقوى وحوز قصب الاخلاص الفاخرة ، واذكروا ما يخلصكم يوم المحاسبة والمناجزة ، وانتظروا قوله : « يوم تسير الجبال سيرا وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا » ذلك يوم تذهل فيه الالباب وترجف القلوب رجفا ، وتبدل الارض غير الارض وتنسف الجبال نسفا ، ولا يقبل من الظالمين عدلا ولا صرفا ، لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ، اللهم انفعنا بالكتاب

والحكمة، وارحمنا بالهداية والعصمة ، وهب لنا من لدنك رشدا ، انت ولينا وخير الناصرين ، واغفر لنا فانك خير الغافرين ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

هذه الخطبة احسن ما رايت من الخطب المقتبسة من كتاب الله العزيز التي انشأها ائمة التبريز فان قابلتها مع خطبة مولانا امير المومنين الفيتها كالعقيم مع ذات البنات والبنين انتهى

قال كاتبه فتأملوا رحمكم الله ما املاه امير المومنين فى هذه الخطبة التي لم يسمع مثلها فيما مضى من العصور ، ولا ذكرها ملك ولا عالم مشهور، فهي سادسة خطب الخلفاء الاربع اللواتي انتفع الناس بها اجمع ، مع خطبة الابريز ، التي املاها عمر بن عبد العزيز ، فمن سمع هذه الخطبة وتأملها علم علم يقين ، وتحقق انها برزت من قلب خالص عارف بما اعد الله فى الآخرة للمتقين ، وان ذلك من المواهب الربانية ، وفوق المواهب اللدنية ، وان امير المومنين ممن يقال فيه ، ويكون القائل قصر عما فيه الامام الذي ضاهت اسرار كلامه كلام الاحياء ، وهو قوت القلوب لدى الاموات والاحياء ، وحادى بعباراته حكم ابن عطاء الله والتنوير ، فكان ما فيها من لطائف المنن ما هو طبق الحديث والتفسير ، الذي قام به من اعاجيب الكرامة والخواص ، ما صار به فى هذا العصر من امثال الشعراني والخواص ، ومن افراط النهي على المنكر والامر بالمعروف ما حلاه بحلى القشيري ومعروف ، فما شاهد احد محياه الا قال حوارى ، ولا اصغى الى سماع كلامه الا ظنه الخبير او خاله السرى ، ولا لازم خدمته صديق الا ادرك مقام بشر واويس ، ولا عض احد من مواهبه او انكرها الا واصبح اشام على نفسه من البسوس وطويس ، صاحب السير القدسي ، الذي تقصر عن وصفه قصائد البصيري فى المرسى، الذي احيا به الله الدين واقام به السنة ، وجعل اقواله فى قلوب اهل البدع والاهواء كالسيوف والاسنة ، المعتمد فى تايبد الله له فى جميع احواله وحروبه بملائكة الرحمن ، وتراقبه فى الجنان الحور العين والغلمان ، ابو الوفاء أمير المومنين **مولانا سليمان** ، الذي جعله الله بهذا القطر المغربي رحمة ، وكاشفا للغمة ، فواجب على كل الرعايا فى البدو والحضر ، ومن فى المساجد حضر ، ان يدعو لاميرهم هذا بالاعانة، والتوفيق فى امر الدنيا والديانة، **ولما** سمع هذه الخطبة الفقيه الاديب ، اللوذعى الاريب ، محبنا السيد احمد الحبيب الرشدي مدحها ومدح منشيها امير المومنين بهذه القصيدة الغراء التي أولها :

الخير كله فى محبة احمد	غوث العوالم ذي المقام الأحمد
وسلوك سيرته لنيل مقامها	سبب يحن اليه كل مسدد
وبه تمسك صحبه ومن اقتدى	بهداهم من كل شيخ مرشد

فهم العـدول تحملـوه وابطلـوا | تحريـف كل مخلـط او ملحـد
عضوا عليه بالنواجذ فاحتمـى | منهـم بحصـن لا يهـد ممـرد
مـا زال ذلـك دابهـم حتى أتـى | قطب الخلائف فى الزمان الاسعـد
زين الخلافـة بيـت كل فضيلـة | اعظم بـه من احـوذي أوحـد
صـل الالـه على خليفتـه ومـن | اضحـى لديـه الله أعظم منجـد
جمع المعارف والعوارف مفـردا | فى فضلـه فاعجـب لجمع مفـرد
حبر الهدى بحر الندا بدر سمـا | غيـث هما للمعتفى والمجتـد
علم العلوم أبو الربيع (1) ربيعهـا | وثمـال كل مؤمـل مسترفـد
فأقـام دين اللـه بعـد اياسـه | بهجـا والبسـه لبـاس تجـدد
واعاد روض العلم بعـد دروسـه | نضـرا يميس بزهـره المتنضـد
للـه همتـه التـي بلغـت بـه | امرا سما فوق الدراري الوقـد
من ذا يدانيـه مـن الخلفـاء فى | علـم وفى عمـل ورفعـة محتـد
جلى مجاز الخصل فى شأو العلى | فهو المقـدم وهـو فرد السـؤدد
وهـو المعظـم وهو نجـل ايمـة | كانوا الغياث من الزمان الانكـد
جمـع المكارم لا نظيـر له وصـر | فه عنه ممتنـع بـدون تـردد
نصر الشريعة ناصحا حتى غـدا | نهـج الهدايـة واضحـا للمقتـد
وحبـا الانـام بخطبـة غراء قـد | لانـت لرقتهـا قساوة جلمـد
تسجبت على سحبان ذيل بـلادة | بمحاسن تنسى عقودا الخـرد
يا حسنهـا من خطبـة احيا بهـا | ما مات من سنن الشيوخ المجـد
نصح الورى نصحا بليغا شرحـه | ينسى فحـول العلـم كل مجلـد
هي نقطـة من بحـره بركاتهـا | عمت وجـاءت بالعلـوم السـرد

* * *

فيهـا دعا للـه قومـا اعلنـوا | بالشطح والتصفيق والفعل الردى؟
جعلوا مواسـم ما لهـا فى سنـة | اصل بأضرحة الفحول الزهـد
رفضوا علوم الشرع ايقالا كمـا | جلسوا لتنقيص الشيوخ بمرصد
فهـم على دين النبي اضـر مـن | متبوعهـم والكـل عـاد معتـد
حتـى رماهـم ربنـا بثواقـب | من عدل سيدنا الهمام الاجـود
فأقامهـم واللـه راض عنـه فى | سجـن المهانـة بالمقـام الابعـد
ان لـم يعالجهـم بنعمتـه التـي | يعني بها اهل الهوى فكأن قـد
تاللـه ان أمامنـا لموفـق | للحـق والتحقيـق طالـع انجـد
فزنا باكسير الهدى والسعـد اذ | كنا رعيـة ذا المليـك الامجـد
يدعـو العبـاد لربهم ويدلهـم | أبدا على نهج الصواب الارشـد
وكذاك شأنه ليس تحدث بدعـة | الا محاهـا باللسـان وباليـد

1) هـو المولـى سليمـان بن محمد بن عبد الله رحمـه الله

من كان يلتمس السعادة راجيا	من ربنا نيل النعيم السرمد
فالفوز كله في لزوم جماعة	وامامهم فخر الملوك الرشد
ابقاه مولانا لخلقه رحمة	يهديهم هدى النبي محمد
صلى عليه الله ما هطل الحيا	يوما فأحيا كل روض اغيد
وعلى الأماجد آله ما انشدوا	الخير كله في محبة احمد

ابقاه الله يحوط هذا الدين من بدع المبتدعين ، ويصونه من طوارق الملبسين ، ويدفع به بواطل المدعين ، آمين ، فقد قال ابو عبد الله الخروبي : « اظهار الدعوى من الفقير علامة على انه من الملبسين الذين اتخذوا دينهم هزؤا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا ، وعلامة الصديقين ترك الدعاوي ، والتنزه على المساوي ، **وسئل** الشيخ المسناوي رحمه الله عن من ادعى ان الله ورسوله اذ ناله في تربية الخلق ، وانه يتكلم في جميع أقواله باذن الملك الحق، وان الله اطلعه على جميع القلوب ، وما فيها من الاخلاق الزكية والعيوب ، وانه يعرف بين الشقي والسعيد ، والقريب من الله والبعيد ، فهل يقبل منه ذلك بمجرد دعواه ، أو يتوقف على ظهور علامة تصحيح دعواه ، **فاجاب** رحمه الله ان هذه الدعوى لا تقبل الا ممن كان كاملا ، ومتمكنا واصلا ، ذو بصيرة ربانية ، وعلوم لدنية ولفحات قدسية ، لا تعلق له بغير الله ، ولا اعتماد له على ما سواه ، مصون السير عن الالتفات الى الخلق ، مرفوع الهمة عنهم اكتفاء بالملك الحق ، لا من هو من اطراف الناس ، ولا من اهل الشيطان الوسواس ، ويجتمع عليه سفهاء الناس ، فذلك متلبس مختلق ، فالبعد منه متعين لمن بين الحق والباطل يفرق ، والا كان في جملته محترف ، وفي هذا الزمن لم يبق غير هؤلاء المبتدعين ، وبالكذب على الله والتلبيس على عباده مرتفعين ، واهل المناصب واليسار لهم « متبعين » ، حتى يحل بهم الوبال الموعود من الله لاهل البدع ، فقد طال خرقهم واتسع ، قال تعالى : « انما نملي لهم ليزدادوا اثما » فاذا اخذهم لم يبق لهم وسما ، وحسموا حسما ، وان الله لهم بالمرصاد ، قد أعد لهم السلاسل والاصفاد ، انتهى .

وبالجملة فالمدار والاعتماد على قول الشريشي (1) اذ قال :

وللشيخ آيات اذا لم تكن له	فما هو الا في ليالي الهوى يسري
اذا لم يكن علم لديه بظاهر	ولا باطن فاضرب به لجج البحر

---

1) الشريشي : احمد بن عبد المؤمل القيسي (1163 – 1223م) اديب ولد ومات بشريش بالاندلس ، رحل في طلب العلم ، ثم تصدر لاقراء اللغة والادب والنحو والعروض ، شرح ايضاح الفارس وجمل الزجاجي في النحو ، واختصر نوادر القالي في اللغة وشرح رسالته في العروض والقوافي ، وجمع مختارات من الشعر القديم ، وشهر بشروحه الثلاثة على مقامات الحريري . ويغلب على اكبرها الصبغة الادبية واوسطها الصبغة اللغوية ، له في خزائننا الخاصة « شرح غريب المقامات » انجزه لابناء سجلماسة (تافيلالت) الذين كانوا متأثرين بالبربرية كما أشار لذلك في مقدمة الكتاب .

قال ابن عسكر فى « دوحة الناشر » كان الشيخ العلامة الصالح سيدي محمد الورياغلي القصري يدرس بمسجد القصر الكبير ، وفى زمن الخريف يتوجه للجهاد بالعرائش فاذا دخل فصل الشتاء يعود لتدريس العلم ، فلما عاد مرة للقصر واصبح بقصد القراءة لم يجد الا القارىء مفردا ، فقال ايــن هؤلاء الطلبة ، قال : كلهم مجتمعون على رجل نزل بالمقصورة بعد سفرك يزعم انه عيسى بن مريم وتظهر على يديه عجائب ، وتنزل أمامه موائد ، من الاطعمة لا يدري من أين يأتي ذلك وأهل المدينة كلهم فى خدمته معتكفــون على بابه ، فقال له الشيخ قم بنا اليه فوجد مجتمعا عليه آلاف من الخلــق ، ففتحــوا للشيخ وجلس بين يديه وقال له من انت ، قال عيسى بن مريــم ، فقال لــه اخبرني عن الواجب والجائز والمستحيل فى حق الله تعالى وفى حق الرسل ، فلم يجبه بشىء ، فقال له ومن يشهد لك أنك عيسى ابن مريم ، ؟ ، قال لــه هذه المأذنة فسلها تخبرك عني وأشار لها (فولولت الصومعة وقالت نعم هو والله عيسى بن مريم » فقام الشيخ قائما وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم باسم الله الرحمن الرحيم ثم لطمه برجليه على وجهه واعاد بالاخرى ، وقال شأنكم بالكافر فضربوه الى أن غاب عن حسه ، وقال جروه للمزبلــة فألقوه عليها حتى يشاهده الناس ، وبعد ما شاهدوه على تلك الحال أمرهم بسجنه أربعة أشهر ثم وجه للشيخ بالتوبة والرجوع الى الاسلام فأحضره وأمــره بالتوبة والتشهد ، وقال لكن ان تخبرني بحقيقة حالك ، فقال أنا رجل اسمي (برزيز) ولقيت يوما جنيا فصحبني وقال لي انــي أخدمك على ان تدعــي النبوة وآتيك بكل ما يطلبونه منك ويشهد لك الحجــر الذي هو جمــاد ولا ينطق ، ففعلت وكان لا يفارقني طرفة عين ويحضــر لي كل ما أقول لــه او يطلب مني ، حتى جلست الي وضربتني ففرعني ولم يعد الي ، وتركنــي فى محنتي ، واني الان تبت لله واسلمت على يدك فسرحه وقال له : اخرج من هذه البلدة ، فسار من القصر ، وبعد سنتين خرج الشيخ يوما مــع بعــض تلامذته مارا بغدير البرقة خارج باب القصر اذا اعترضهم طالب على كتفــه خنشة فوقع على حافز فرس الشيخ يقبله ، وقام فقبل رجله فى الركاب ، فقال له الشيخ من تكون يا أخي ، قال أنا برزيز الذي أسلمت على يدك كنت معتكفا على قراءة القرآن الى ان حفظته وأتيت لملازمة قراءة العلم عندك فقبله الشيخ ولازمه وكان من جياد أصحابه ، ثم انتقل الشيخ الورياغلي لفاس وكان راس اعلامها واليه ترفع المسائل الكبار والمعضلات ، وعلى غزارة عمله كان كثير الانصاف ، قدم عليه يوما طالب من تلمسان فسلم عليه وسأله الشيخ عن علمائها فأثنى له على الشيخ ابى عبد الله محمد السنوســي واخرج لــه كراسة من جيبه فيها عقيدته الصغرى ، فناولها للشيخ فلما قراها قال الله اكبر وهل بلغ محمد السنوسي درجة التاليف وبالامس تركته بالمكتب ، ثــم

تصفحها عن آخرها وقال والله ما خرج هذا الكلام الا من صدر منور ،ولله ان لا تفارقني هذه العقيدة وادخلها في جيبه ، فكان ذلك السبب في اقبال الناس عليها وحفظها واعتنائهم بها ، فانظر ما كان عليه أهل الدين الحافظين له والدائرين عنه بعد ما شاهدوا الخوارق لم يردهم عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما شاهدوا من ذلك ، وهؤلاء يلبسون على الناس بمجرد الدعوى والكذب على الله وعلى عباده ، وينتقدهم العلماء والخواص وأعيان الناس ولا يلتفتون بما أمر به ونهوا عنه مما في الشرع العزيز والسنة البيضاء ، وبما وعدوا به في الآخرة ، وأصل ذلك الاعتقاد الفاسد كله التوغل في العرض على حطام الدنيا وحصولها بخدمة هؤلاء المبتدعين .. ؟!

الجامعة :

هذه الجامعة ذكرت فيها ما افترق في هذه الرحلة ، من مدن الاقطار المفترقة ، وجعلت مدنها وقلعها وقراها مجتمعة ، مضافا بعضها لبعض ، حتى لا يجهل المطالع لها بلدا اراده من الاقاليم كلها الا ما خرب منها واباده الدهر والحقت بها ما لم يكن مذكورا عند من سبق وحدث بعده كما هو معلوم في الدول وعادة الله في عباده وبلاده ، **وابتدات** بمدن المغرب الاقصى من وادي نون الى وجدة التي هي حد المغرب وقت التاريخ عام ثلاثة وثلاثين ومائتين والف .

1) مدن المغرب الاقصى

2) ثم مدن المغرب الاوسط

3) ثم مدن افريقية .

4) ثم مدن برقة .

5) ثم مدن أرض مصر

6) ثم مدن ارض السودان .

7) ثم مدن الهند .

8) ثم مدن السند .

9) ثم مدن الصين .

10) ثم نرجع الى مدن الاندلس .

11) ثم الى مدن أرض الروم .

12) ثم الى مدن ارض الخزر .

13) ثم الى مدن الارمن

14) ثم الى مدن الشام .
15) ثم الى مدن الجزيرة .
16) ثم الى مدن العراق .
17) ثم الى مدن الحجاز .
18) ثم الى مدن جزيرة العرب .
19) ثم الى مدن اليمـــن .
20) ثم الى مدن الجبال والاهواز وخراسان .
21) ثم الى ما وراء النهر من بلاد الاتراك .
22) ثم الى اشروسنه وفرغانه والشاس الى السد .
23) ثم الى مدن الصقلب والروس .
24) ثم الى مدن الفرنج والبشكنسير والجلالقة المجاورين للبحـــر آخـــــر الاندلس .

ورتبتهم على حروف المعجم

حرف الهمزة من مدن المغرب :

مدينة أزمور بدكالة ، ثم مدينة آسفي بدكالة ، ثم مدينة اغمات وريكة ، ثم مدينة اغمات نفيس بينهما مرحلة بدير مراكش ، ثم مدينة ادكى بوادي نون هي باب السودان ، ثم مدينة انكال على وادي أم الربيع عند منبعه ، ثم مدينة آصلة بين طنجة والعرائش ، ثم مدينـــة ايقلـــي بالســـوس ، ثم قلعة اذخشان قرب الدلا ، ثم مدينة آنفا بتامسنا ، ثم مدينة افضالة بها ، ثم مدينة آن جوان بها قرب أزمور .

حـــــرف البــــاء

مدينة بادس بالريف ، ثم مدينة بليونس قرب سبتة ، ثم مدينة البصرة قـــرب القصـــــر .

حـــــرف التـــــــاء

تانسيفت ، نهر قرب مراكش قرية كانت بمنبعثه ، ثم حصن تادلا على نهر أم الربيع ، ثم مدينة تاقدلت بالسوس ، ثم قصر تانملت للمهـــدي بـــن تومرت بدير مراكش ، ثم مدينة تامدوت بقربه ، ثه مدينة تازة ببلاد غياثة ، ثم مدينة تمسمان مرسى الريف بقرب نكور ، ثم مدينة تازوطا بقرب قلعـــة تافرسيت بقارت ، ثم اقليم تامسنا به مدن وقرى وعمائر ، ثم مدينة تاكرر بجبال ورغة ، ثم مدينة تشومس قرب العرائش ، ثم مدينة تبلبلت بالصحراء ، ثم مدينة تطوان ، ثم مدينة تاجة وهي طنجة وهي المسماة بوليلة ايضا ، ومنها

تاجرا بالسوس الادنى عشرين مرحلة ، ومن تاجـرا الى مدينـة تطرقلـة بالسوس الاقصى ستين مرحلة وليس وراء تطرقلة عمارة الا الرمال والبحر ، ومن تطرقلة الى مدينة غانة بالسودان تسعين مرحلة ، ذكر هذا الحافظ فى رحلة الصحراء ، ثم مدينة داى بتادلة وبها معدن النحاس ، ثم جبل درن به مدن وقرى ، ثم مدينة الدلا ، هي زاية محمد الحاج بقرب ادخشـان ، ثـم مدينة سبتة بين طنجة وتطوان ، ثم مدينة سلا على وادي كريفلة ، ثم مدينة سقومايى والصحراء ، ثم مدينة سجلماسة بالصحراء ، ثم اقليم درعة به مدن وقرى وعمائر ، ثم مدينة صرخة بين السوس والسودان ، ثم زاوية صرصر وهو جبل وقرى ، ثم فازازجبل فيه قرى وعمائر ، ثم مدينة فاس ومكناسة وتازة ، ثم مدينة فروحة قرب القصر ، ثم مدينة قيمورة قرب آصلة ، ثـم مدينة عين الحياة بقرب سبتة ، ثم مدينة ماسة بالسوس ، ثم مدينة مراكش تحت درن ، ثم مدينة مطماطة قرب فاس ، ثم مدينة مكناسة قرب فاس ، ثم مدينة ورزيفة بمكناسة كانوا اربعة مدن خربوا ، ثم مدينة نكور بالريف قرب بادس ، ثم مدينة نفيس قرب مراكش ، ثم مدينة فول لمطة خلف السوس بساحل البحر ، ثم مدينة وجدة قرب تلمسان ، ثم مدينة وليلي قرب زرهون، ثم مدينة بجاحين قرب سبتة ، ثم مدينة القارة بجبل فازاز قرب ادخشان ، ثم مدينة طيط بدكالة ، ثم مدينة الوالدية بدكالة ، ثم مدينة ايير بدكالة ، ثم مدينة الفربية بها ، ثم مدينة تاهرارت قرب آصلة ، ثم مدينة صدينة قرب فاس ، ثم مدينة لواتة قرب فاس ، ثم مدينة الصفرية قرب فاس ، ثم مدينة المهدية قرب سلا ، ثم مدينة شوشاوة بين مراكش والصويرة ، ثم مدينـة الصويرة والمحدثة على ساحل البحر بين آسفي واكادير ، ثم مدينة اكادير ، ثم مدينة فونتي تحت اقدير بحاحة ، ثم مدينة ردانة بالسوس ، ثم مدينـة دمنات بجبل درن ، ثم مدينة داى بتادلا ، ثم مدينة وزان بمصمودة ، ثم مدينة شفشاون بغمارة ، ثم مدينة تيجاس بغمارة ، ثم مدينة كتامة بسريف قرب القصر ، ثم قلعة ازرو بفازاز ، ثم مدينة مليلية بالريف ، ثم مدينة تافرسيكت بقارت ، ثم مدينة مغلية بين فاس ومكناسة ، ثم قلعة حجـر النسر قـرب سبتة ، ثم مدينة قصر الجوازبين طنجة وسبتة ، ثم قصر عبد الكريم بقرب كتامة وهو الذي انزل به يعقوب المنصور المرينـي الامير ابـو عبد اللـه بن شقيلولة صاحب وادي اش لما نقلـه من وادي اش الى مدينـة قصـر عبد الكريم وعمالتها الى ان مات بها هو واهل بيته 686 هـ .

قال ابو عبد الله ابن الخطيب فى « الاحاطة » : دخلت قصر كتامة وزرت مقبرة الرؤساء من بني سقيلولة بظاهره وهي قبة ضخمة البناء رحيبة الفناء فسيحة وحدها بذلك البلد ، وبها قبر سنامة رخام مكتوب عليه هذه الابيات:

قبــــر عزيــــز علينــــا	لــو ان مــا فيـــه يفــــدى
اسكنــــت قــرة عينــــي	تربــــا وغطيــــت لحــــدا
مــــا زال حكمــا عليـــه	ومــــا القضـــــاء تعـــــدى
فالصبــر احســـن ثــوب	اذا العــــزيـــــز تــــردى

وعند راس السنام ، لوح قائم من الرخام ، فيه مكتوب : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما هذا قبر الرئيس الجليل الاعلى ، الهمام الاوحد الاصعد المبارك الاسنى الاسمى ، الاحفل الاكمل المجاهد الارضـــى ، المقدس المطهر المرحوم ابى عبد الله بن الرئيس الجليل المجاهد الهمام الاصعد المبارك الاحظى الاسمى ، المعظم المرفع الاحضى المقدس المرحوم ، ابى اسحاق ابراهيم ابن سقيلولة ، وهو الذي كان اميــرا بوادي ءاش احــدى قواعــد الاندلس ونشرت عليه علامات سلطته ، وضربت الطبول فى اريكــة ملكــه ، وجاهد منها العدو فعصمه الله وظهر على خاله سلطــان الاندلس واقـــام فى سلطنته نحوا من ثلاث وعشرين سنة ، ثم قام بدعوة الملك الاعلى ملك المغرب امير المسلمين ابى يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني فامره نصره الله ان يتخلى عن مدينة وادي ءاش وان ينتقل عن الاندلس الى العدوة ويعوضـــــه غيرها من ايالة العدوة ، ولما انتقل من الاندلس ولاه هذه المدينة وعمالتها ، فاستغربها الى ان اخترمته منيته رحمه الله تعالى ورضى عنه هـ . ثم مدينة رباط الفتح على وادي سلا ، ثم مدينة شالة بجانبه ، ثم قلعة دبدو بتافراطا خلف وادي ملوية ، ثم قلعة تاوريرت على وادي صا ، ثم مدينة كبدانة على ساحل مصب نهر ملوية فى البحر .

واما مدن المغرب الاوسط :

فاولها مدينة ارشقول سيف البحر ، ثم مدينة ارزارمند قرب ارشقول، ثم مدينة افكان ، ثم مدينة اسلى قرب وهران ، ثم مدينة اشير ، ثم مدينة ايكجان فى جبله ، ثم مدينة ايالى ، ثم مدينة البليدة ، ثم مدينة برشك ، ثـم مدينة بلزمة ، ثم مدينة تاهرت ، ثم مدينة تارنانة ، ثم مدينة تابجرت قريبة منها ، ثم مدينة تاعرمان ، ثم مدينة تاكرمت ، ثم مدينة تاقرت ، ثم مدينـــة تادلس ، ثم مدينة تربوى ، ثم مدينة تلمسان ، ثم مدينة تنــس ، ثم مدينـــة تهودا ، ثم مدينة تكلات ، ثم مدينة جراوة ، ثم مدينة الجزائر لبني مزغنتة ، ثم جزيرة البركان بها مدن وقرى امام الواسطة ، ثم مدينة جيجل ، ثم مدينة الخضر ، ثم مدينة ريقة قرب مليانة ، ثم مدينة زيان قرب حصن العروص ، ثم مدينة شرشال ، ثم مدينة طولة قرب بسكرة ، ثم مدينة الغدير قــرب

المسيلة ، ثم مدينة افكان ، ثم مدينة القل ، ثم قلعة عنبولة ، ثم قلعة هوارة ، ثم مدينة لمدية قرب الجزائر ، ثم مدينة مازونة ، ثم مدينة متيجة ، ثم مدينة مليانة قرب شلف ، ثم مدينة مستغانم ، ثم قلعة نضرونة ، ثم مدينة الوردالة قرب وهران ، ثم مدينة وهران .

مدائن أرض افريقية « تونس »

اولها مدينة الاجر ، ثم جزيرة الاحاسى تقابلها بها مدن وقرى ، ثم مدينة الاخوان ، بها قتل ابو يزيوي النكاري صاحب الحمار ، ثم مدينة ءاذنة ، ثـم مدينة أريانة ، ثم مدينة الانصارين ، ثم جزيرة انبدوكة ، ثم جزيرة اقريطش، ثم جزيرة اقليبيا ، ثم ابي يزيد بجبل اوراس ، ثم مدينة باجة ، ثم جزيـرة باشق ، ثم مدينة باغاية بقرب قبر مادغيس ، ثم مدينة المنصور بن بلكين ، ثم مدينة بنزرت ، ثم مدينة بشرى ، ثم مدينة بابو ، ثم مدينة بياس ، ثم مدينة تاجرا قرب قابس ، ثم مدينة تبسة ، ثم مدينة ترشيش ، ثم مدينة تماجر ، ثم مدائن تقبوس أربعة ، ثم مدينة تستر ، ثم مدينة مجازالباب ، ثم مدينة تونس ، ثم مدينة توزر ، ثم مدينة تيفاس ، ثم مدينة تيمليمـن ، ثم مدينـة تيجس قرب تيفاس ، ثم مدينة جامة ، ثم جزيرة جالطة ، ثم مدينة الجلمور ، ثم قرية جبنبات ، ثم جزيرة جربة بها مدن وقرى ، ثم مدينة دار ملوك ، ثم مدينة درجين بالجريد ، ثم مدينة رادس قرب تونس ، ثم مدينة رقادة قرب القيروان ، ثم فحص الرابدان بالقيروان ، ثم جزيرة الريز مع جربـة ، ثـم أرض الزاب بها مدن وقرى وعمارات منها المسيلة ، ونقـاوس ، وطبنـة ، وبسكرة ، وتهودة ، ثم ببلاد زاقة قرية وبرج ، ثم مدينة زحالة ، ثم جبـل زعوان فيه قرى وعمارات ، ثم مدينة زواغة للبربر ، ثم مدينة زويلة بجنب المهدية ، ثم مدينة سبيطلة ، ثم مدينة الساحل بقربها ، ثم مدينة سبيتـة بقرب القيروان ، ثم جزيرة سردانية تقابلها ، بها مدن وقرى وعمائـر ، ثـم مدينة صطفورة بقرب بنزرت ، ثم مدينة سانطة للكاهنة ، ثم مدينة سدنة ، ثم مدينة سوسة ، ثم مدينة سقنبارة ، ثم مدينة الصالحة ، ثم مدينة صبرة ، ثم مدينة المنصورة لاسماعيل المنصور العبيدي ، ثم مدينة صطهورة ، ثـم مدينة صفاقص ، ثم جزيرة صقلية ، بهـا مدن كثيرة ، فمـن مشاهيرهـا طرابلس ، ونصالة ، وبلرم ، ومفارة بلكين ، والحمـة ، وحصـن الحمـة ، والخالصة ، وسرقوسة ، وشافة ، وطرابيش ، وقطانية ، وقلعة البلوط ، وقصر سعد ، وجزيرة قوصرة ، بها مدائن وقرى وكركبت ولياح وليـنـاد ومازر ومرسى علي ومسينة وميلاص .

ثم بالزاب مدينة طبنة ، ثم مدينة طبيرة ، ثم مدينة طنبرة ، ثم مدينة طوارق ، ثم مدينة طنبالة ، ثم مدينة الروسان بقرب قابس ، ثم مدينة قابس ، ثم جزيرة قرقنة تقابلهم ، ثم مدينة قرطاجنة ، ثم مدينة قلشانة ، ثم قلعة ابن حماد ، ثم قلعة الحجارة ، ثم مدينة قمودة ، ثم القصر القديم بقرب القيروان ، ثم مدينة قفصة ، ثم اقليم قسنطينة ، فيه توزر وغيرها ، ثم مدينة قسنطينة بين تيجس ، وميلة ، ومدينة القل ، مرساها ، ثم مدينة القيروان ، ثم مدينة فيطون بقرب القيروان ، ثم مدينة كيانة قرب المسيلة ، ثم مدينة سيرة قرب القيروان ، ثم جزيرة مالطة تقابلهم ، ثم قبر مادغيس الابتر هيكل طوله نحو الخميس شبرا ، ثم مدينة المطاحن ، ثم مدينة مرماجنة ، ثم مدينة المنصورة هي صبرة ، ثم رباط المناسيتر ، ثم مدينة المعرة ، ثم مدينة بسكيانة ، ثم مدينة المسيلة ، ثم مدينة المهدية للمهدي العبيدي ، ثم مدينة ميلة ، ثم مدينة نفطة ، ثم مدينة نفزاوة ، ثم مدينة هرقلية ، قرب تونس ، ثم مدن واركلان بالصحراء سبع مدائن وأما بين افريقية ومصر فكله خربه العرب ولم يبق منه الا ما قل وهي

مدن ليبيا :

فاول مدنه طرابلس ، ما زالت عامرة ، ثم بعدها مدينة لبدة ، على ساحل البحر خربة ، ثم مدينة مسراتة ، وبقربها القرية التي بها الشيخ زروق نفعنا الله به ، عليها عمارة حسنة ، وبعدها مدينة الجابية خربة ، وبعدها مدينة جوابية خربة، وبعدها مدينة برقة خربة ، فى سفح جبل درن ، وبعدها مدينة ابن غازي ، بها عمارة ضعيفة عربية ، ثم مدينة اليهودية خربة، ثم مدينة أدرنة ، بها عمارة للعرب ، ثم قريبا منها قصور حسان خربة ، ثم مدينة طلمسة خربة ، على ساحل البحر ، ثم سويقة ابن منقود ، كانت هي حد افريقية فخربت ، ثم مدينة شروس كانت للاباضية فخربت ، ثم اقليم سوى بقرب الواحات ، فيه قرى وعمارات ونخيل ، ثم مدينة صبرة قرب طرابلس خربت ، ثم اقليم فزان ، عمارته متصلة ، ثم مدينة سندة خربت ، ثم جبل نفوسة ، عمارته متصلة ، وهو من درن ، ثم ارض الواحات المتصلة بمصر ، ثم مدينة انطابلس ، وهي برقة خربة ، ثم مدينة حدانية خربة ، ثم مدينة اوجلة خربة ، ثم مدينة نيسر قرب برقة خربة ، ثم مدينة الجبار قرب الواحات خربة ، ثم مدينة الرمادة خربة ، ثم مدينة زالة بين زويلة وودان خربة انتهى .

مــدن مصــر

فــأولهــا مدينة ايبان ، ثم مدينة اخميم ، ثم مدينة انصنا ، ثم اسكر ، ثم اسكندرية ، ثم اسوان ، ثم اسيوط ، ثم اهنا بها ولد عيسى عليه السلام ، ثم أوشكون ، ثم بهنس ، ثم بورى ، ثم بوصير ، ثم برســاط ، والقلــزم ، ودلاص ، وقيلوب ، وبولا ، وولاهوت ، ورشيد ، وسمنهور ، ومصريم ، ودير الطير ، وبوش ، وبيا ، وبهنس ، وبورى ، وتنيس ، والتيه ، والدسة قرب القلزم ، ودلاص ايضا ، ودميابن ، والعريش ، والصعيد ، صــول وصــور ، والصميرة ، والطاحونة قرب الاسكندرية ، وعيذاب بمقابلة جدة ، وغلوة قرب دمعسة ، والفرما ، والفسطاط ، والفيوم ، والقاهرة ، والقارفة ، ونفطة ايضا، وقوص، والقيس ، ولونية ، ومنوف ، والمريس، ومنية الخصيب ، ومقدونية، اسم لأرض مصر كلها قبل ان ينزلها مصريم ، والمقطم جبل مصر ، والنيل نهــر مصــــر .

وأما مدن أرض السودان

فــأولهــا مدينة ازقال ، ثم الجينى ، ثم اودغشت كانها مكة ، ثم وليلي، ثم مدينة البانس للزنج ، ثم نجته للحبشــة ، ثم برسنــا ، ثم بوعزات ، ثــم تادمكة ، ثم ترنكة ، ثم تكرور ، ثم تيركى ، ثم جزيرة القــرود ، ثم جنيفــة للحبشة ، ثم مدينة جنادل وهي آخر مدنهم على النيل، ولا يتعداها أحد ، وبها تنزل السلع وتتوجه فى البر لأسوان لصعوبة المحل ، ثم مدينة جوة للحبشة، ثم دمفلة للنوبة ، ثم دمدمة لسفالة ، ثم دغواطة لسفالــة ، ثم جزيرة دهلــك ، للحبشة بها مدن وقرى ، ثم مدينة راس المال مشتركة ، ثم ربعات للحبشة ، ثم زالغ للحبشة ، ثم زغارة لزغارة ، ثم سامية لبقامة ، ثم سرته للنوبة ، ثــم سمعدة لهم ، ثم سواكن للجبات ، ثم شابة لزغارة ، ثم صنعانية مدينتا ، ثم صبونة لسفالة ، ثم مدينة الطامرسة ، ثم مدينة غانة ، وبها اولاد صالــح بن الحسين بن علي بن الحسين ملكوا بها ولا زال عقبهم بها من قديم الزمــان ، ثم مدينة غبارة ثم مدينة عرعزلزغارة ، ثم غربيل بقربه ، ثم مدينة الفدن ، ثم مدينة قلنبقا ، ثم مدينة كعبر بها ملك الحبشة ، ثم مدينة كركرة ، ثم مدينة مركصة ، ثم مدينة كره ، ثم مدينة منيسة للزنج ، ثم جبل مورق به امم منهم بلاد الحبشة وبه مراكبهم ، ثم مدينة بجاعة للحبشة ، ثم مدينة نوابية ، ثم ارض الواق واق وجزرهم بها مدائن ، ثم مدينة ونقارة ، ثم مدينة يلاق للنوبة ومدينة وليلي ، ثم مدينة سلى ومدينة تكرور ومدينةللم ومدينة ونقرة ومدينة سمقارة ومدينة غنبارة ومدينة قمدونة ومدينة ويلولة ومدينة نوابية ومدينة

طرما ومدينة دنقلة ومدينة بربرة ومدينة تنبكت ومدينة مفراوة وغيرها من المدن والقرى واعرضنا عن ذكرها ه .

الهنـــد :

واما أرض الهند برها وبحرها فقد عمرها اقوم من بني حام وهم اخوة السودان ، وقيل من بني يافت ، والخلاف فيهم كثير ، واتفق أهـل المعمور أن ممالك الهند وملكهم أعظم ملوك الدنيا وهم الحكمة والصنعـة ، ومنهـم انتشرت فى الدنيا وهم أول من دون الدواوين ، ورتب الملك ، وجعلوا الملك يدبر امورهم ، وأن لهم البرهمان (1) الاكبر ، وهو الذي أظهر الحكمة وصنع السيوف وآلة الحرب وصور الافلاك والبروج والمنازل ، وجعل ذلك بكتابة تقريبا للعقول واسراعا للفهم ، واشار الى الكتـاب الاول وذلـك هو كتـاب السند ، أي دهر الدهور ، ومنه تفرعت الكتب المجسطى وغيره ، واعظم ملوك الهند « البلهري » ومعناه ملك الملوك

وفى الهند سبعة أجناس احدها الشاكهوبة : وهم الاشراف منهـم ولا يكون الملك الا منهم ، ولا يكون من غيرهم ، وجميع اجناسهم يسجدون لـه عند اللقاء وهم لا يسجدون لاحد .

ثم البراهمة : وهم عساكر الهند ولباسهم جلود النمور ، وهم يعبدون الاصنام توسلا الى الله تعالى ، ولاهل الهند اثنان واربعون ملة ، فمنهـم من يثبت الخالق وينفي المخلوق ، ومنهم من ينفي الكل ، ومنهم من يعبد النـار ويحرق نفسه ، ومنهم من يعبد الشمس ويسجد لها ويعتقـد انها الخالقـة المدبرة لهذا العالم ، ومنهم من يعبد الشجـر ، ومنهـم من يعبـد الثعابين يحضرونها بحضائر ويطعمونها ارزاقا وهم يتوسلون بها ، ومنهم من لا يتعب نفسه بعبادة شيء وينكر الكل

وأول من فتح بلاد الهند محمد بن يوسف الثقفـي وذكر صاحـب « الروض المعطار » انه محمد بن القاسم واظنه غلط ، فى ولاية الحجاج للعراق عام أربع وتسعين ، وكان محمد بن يوسف الثقفي واليا بشيراز ، ومنها توجه بالعساكر للهند ففتحه من نواحي السند ثم فتح بعد ذلك فى الدولة العباسية على يد السلطان محمود ابن سبكتكين السلجوقي صاحب خرسان ؛ حسبما تقدم اول الكتاب .

---

1) لعل المؤلف يقصد براهما جيتا (حوالي 588 ح 660 م) عالم رياضة وفلك هندي ، اعظم علماء عصره ، كتب بطريقة الشعر مؤلفه (براهما سفوتا سدهانتا) وهو مؤلف اساسـي فى علم الفلك يشتمل على فصلين فى الرياضة ، ولـه مؤلف آخـر (خاندا حادياكا) بـه تفسير لمجموعـة (اريابهاتـا) الفلكيـة

مدن الهند :

فأولها مدينة انكمودة ثم مدينة اورثير ، ثم جزيرة برلي بها مدن وقرى، ثم مدينة البراقة ، ثم مدينة برنة ، ثم مدينة بورة ، ثم جزيرة بوصى بها مدن وقرى ، ثم جزيرة البينماء بها مدن وقرى ، ثم جزيـرة الجالوس بهـا مدن وقرى ، ثم جزيرة جابة بها مدن وقرى ، ثم جزيرة الجبوبة بها مدن وقرى ، ثم مدينة جدباش ، ثم جزيرة قلهات بها مدن وقرى ، ثم جزيرة الاخوين بها مدن وقرى ، ثم جزيرة الكلب بها مدن وقرى ، ثم جزيرة جشطمة ، ثم مدينة خشك بقرب كابل ، ثم جزيرة القمر ، ثم مدينة دمهرة ، ثم جزيرة الرامي بها مدن وقرى ، ثم مدينة سمندر ، ثم جزيرة السحاب بها مدن وقـرى ، ثـم جزيرة سرنديب وبها الجبل الذي نزل عليه نبى الله ءادم عليه السلام ، ثـم جزيرة سلاهط بها مدن وقرى ، ثم جزيرة سناسنا بها مـدن وقرى ، ثـم مدينة سراق ، ثم الجزيرة السيارة قالوا تسيـر فى البحـر ؟ ، ثم جزيـرة صيدون الصائقة بها مدن وقرى ، ثم مدينة المعيدة ، ثم مدينة صيمور ، ثم جزيرة صيدون الساحر ، ثم جزيرة طاوران بها مدن وقرى ، ثم مدينة عربه، ثم جزيرة الفرج ، ثم مدينة بامهل من الهند ، ثم قلعة الفضـة ، ثم مدينـة قماري ، ثم مدينة الفندهار ، ثم مدينة قشمير ، ثم مدينة كابل باب الهند ، ثم مدينة كرسبة ، ثم نهر الهند الكنك ، ثم مدينة لان ، ثم مدينة ملجان ، ثم جزيرة ملاي ، ثم جزيرة ملان ، ثم مدينة المندل بلاد العود ، ثم جزيرة مفاص الجوهر ، ثم مدينة مهدية فم جزيرة الموجة ، ثم جزيرة موريد قرب كابل ، ثم مدينة بنهراوة ، ثم جزيرة الهولاة ، ثم مدينة هيرة ، ثم مدينـة واشم ، ثـم مدينة ورام وبها مدن اخرى انتهى .

السنـد :

واما مدن السند فأعظمها مدينة المولتان ، ثم مدينة دبيل ، ومدينـة الدبيلان ، ومدينة زرمح قرب سجستان ، ومدينة زرنك قرب كرمان ، ثـم مدينة ساكرا ، ثم مدينة المنصورة ، ثم سجستان منه ، ثم جزيرة كعبة منه ، ثم مدينة النطورية منه ، ثم مدينة الموليان على ساحـل البحر ونهر السنـد مهران كالنيل

الصيـن :

واما الصين فأول من عمرها قوم من بني يافث ، وهم نوعان ، عامور بن يافث ، بن نوح عليه السلام ، وذلك أن عامور هذا صنع فلكا كفلك جده نوح

عليه السلام ، وركب فيه هو وولده واهله وقطع بحر فارس من العراق الى الصين ، ونزله وبنى هو وأولاده مدينة وسكنوها ، وكلما كثر نسلهم بنوا غيرها وتفرقوا فى الصين ، وبنوا به مدنا ، واستخرجوا الحكم والصنائع ومعادن الذهب والفضة ، واستعملوا العجائب واللطائف ، وملكهم عامور ثلاثمائة سنة ونيف ، وبنوا بالصين ازيد من ثلاثمائة مدينة من غير القرى والرساتيق ، وملك بعده ولده صايين مائتي سنة ، وبه سميت الصين صينا . (1)

ولما مات والده عامور جعله فى تابوت من ذهب ، وجعله على سرير من ذهب ، وكانوا يطوفون به ، فكان ذلك رسمهم فى كل من يملكهم ، اذا مات يطوفون به ويصورون صور ملوكهم فى هياكل ، وهم على دين الصابئة ، ثم عبدوا البددة اقتفاء باهل الهند ، ثم بعد حين عبدوا صور ملكهم ، كانوا يجعلون اجسامهم فى تماثيل من ذهب ويسجدون لها وفيهم حكماء تكلموا فى الفلك ، وفى الطب ، وفى الصنعة ، وفى علوم اهل الهند ، وهم بيض الوجوه الى الصفرة فطس ، يبيحون الزنى ولا ينكرون شيئا منه ، ويورثون الانثى أكثر من الذكر ، ولهم عند دخول الشمس للمحل عيد كبير سبعة ايام ، ياكلون فيه ويشربون ويطربون ، واشرف حليهم من قرون الكركدان ، لانه اذا قطعت قرونها ظهرت فيها صور عجيبة مختلفة الالوان ، والكركدان دابة لها قرن واحد فى الجبهة ، طوله ذراع وغلظة قبضتان ، فيه صور من اوله الى آخره ، فاذا شق رأيت الصورة بيضاء فى سواد كالسبج ، صورة انسان أو دابة او سمكة او غير ذلك من الطير ، فيتخذه أهل الصين مناطق يبلغ ثمن المنطقة منه ما بين ثلاثمائة دينار الى ثلاثة آلاف الى أربعة آلاف دينار ، والذهب عندهم كثير هين يتخذون منه لجم دوابهم وسلاسل كلابهم ، ووراء صين الصين أمم عراة ، ومنهم امة يلتحفون شعورهم ، وأمم زعر لا شعر لهم ، وأمم حمر الوجوه شقر الشعور ، وامم اذا طلعت الشمس عليهم هربوا الى مغارات يأوون اليها من حر الشمس ولا يخرجون حتى تدور الشمس الى الجانب الغربي ، وأكثر ما ياكلون نباتا يشبه الكمأة ، وسمك البحر وخشاش الارض ، ويجاورهم من جهة الشمال أمم بيض شقر يتناكحون كما تتناكح

---

1) الصين جمهورية مساحتها 9886000 كم م) وسكانها 735.000.000 تقع شرق آسيا وتحدها روسيا السوفياتية وكوريا فى الشمال الشرقي وروسيا والجمهورية المنغولية الشعبية فى الشمال ، والهند فى الجنوب الغربي وبورما والصين الهندية فى الجنوب ولمنشوريا فى الشمال سمات خاصة مميزة من الوجهة التاريخية ، وبالقرب من الشاطيء فورموزة وهينان ، ويقول التراث : ان هيشيا هي أول أسرة مالكة حكمت الصين ، ولكن التاريخ المدون يشير الى ان أسرة شانج (ح 5123 – ح 1027 ق،م) كانت الاسرة المالكة الاولى ، وكانت عصور الاسر المالكة : شو وهان ، وتانج ، وسونج ، ويوان ومنج عهودا جليلة ارتقت فيها الثقافة وازدهرت البلاد

البهائم ، ويجتمع الجماعة على الواحـدة ، لا تمنـع احـدا ممن يريدهـا ، ومدينتهم العظمى التي يقال لها « انصوا » بينها وبين « جالقوا » التي تنزلها مراكب التجار ثلاثون مرحلة ، ومن مدنهم العظيمة مدينة الزيتون ، ثم مدينة الزبا التي يسير بها الراكب ثلاثة ايام متصلة ، عمارة واحدة ، يجمعها سور واحد ، مشتملة على سبعة مدن حسبما سبق وصفها ، ثم مدينة اطراعنا ، ثم مدينة المنجود ، ثم مدينة اسفريا ، ثم مدينة باجة ، ثم مدينة بشنتان ، ثـم جزيرة برطايل ، ثم جزيرة الكلب ايضا ، ثم مدينة جمدان ، ثم مدينة خانقوا ، ثم مدينة خانكو ، ثم مدينة خانجو ، ثم مدينة جيعونة ، ثم جزيرة عاسوراء ، ثم جزيرة الملهين ، ثم جزيرة الياقوت .

هذه مدن ملوكهم ، واما مدن الرعية فتفوق ثلاثمائة مدينـة بالصين ، وهذا نصف كورة الارض الجنوبي

مدن الاندلـس :

ونبدا بنصفها الشمالي من الاندلس بالمغرب فنقول : ان الاندلس مقابل لبر العدوة ، ومن مدنه المشهورة في حرف الهمزة ، مدينة ابـه ، ثم مدينـة ابعير ، ثم مدينة اريونة ، ثم مدينة ارشذونة ، ثم مدينة ارجونة ثم الارك ، ثم ارنيك ، ثم ازغر ، ثم اركش ، ثم اندارة ، ثم انيشة ، ثم اندرش ، ثم غرناطة ، ثم انليس ، ثم استجة ، ثم اشبيلية ، ثم اشتبين ، ثم اشونة ، ثم اشكونى ، ثم اشبونة ، ثم اولية ، ثم ارلية ، ثم اوريط ، ثم باجة ، ثم بشتر ، ثم بجانة ، ثم برديل ، ثم بريانة ، ثم برشانة ، ثم برونة ، ثم برليانة ، ثم بطليوس ، ثـم البيرة ، ثم بطروش ، ثم فحص البلوط ، ثم بلايبة ، ثم بلنسية ، ثم بونة ، ثم بيانة ، ثم بيران ، ثم بياسة ، ثم بيغوا ، ثم تابرة ، ثم تاكرنا ، ثم تدمير ايضا ، ثم ترجالة ، ثم الجزيرة الخضراء ، ثم جنجالة ، ثم جيان ، ثم حصن المنار ، ثم حصن الكرسي ، ثم الخضرا ، ثم دانية ، ثم دروقة ، ثم رندة ، ثم رطافتان ايضا ، ثم سرقوسطة ، ثم شاطبة ، ثم شرق العقاب ، ثم شلبانية ، ثم شلب، ثم شنترين ، ثم شنتمولة ، ثم شقورة ، ثم جزيرة شقر قرب شاطبـة ، ثـم مدينة الصخور لابن هود ، ثم صدينة ايضا ، ثم طالقة ، ثم مدينة جبل طارق، ثم مدينة طارت ، ثم مدينة طرة ، ثم طرطوشة ، ثم طرسونة قرب بلنسية ، ثم طليطلة ، ثم مدينة العقاب ، قرب جيان ، ثم مدينة غافـوا ، ثم قادس ، ثـم قبرة ، ثم قرطبة ، ثم قلعة أيوب ، ثم قلعة رباح ، ثم قنطـرة السـيف ، ثـم قسطيلة ، ثم اقليم قشتالة به مدن وقرى للروم ، ثم قورية ، ثم فيجاطة ، ثم فيشاطة ، ثم لاردة ، ثم لبلة ، ثم لكنة ، ثم شزونة ، ثم اقليم لماية بـه مدن وقرى ، ثم مدينة لفتة ، ثم لورقة ، ثم لوشة ، ثم ماردة ، ثم مازونة أيضا ، ثم

مجريط ، ثم مدينة المائدة قرب طليطلة ، ثم مرتلة ، ثم المرية ، ثم مرسى الدجاج ، ثم مرسطى قرب طرطوشة ، ثم منية نصر ، ثم المنكب ، ثم منروجر ، ثم معام قرب طليطلة ، ثم كورة موزور ، ثم جزيرة ميورقة ، ثم وادي ءاش ، ثم وادي الحجارة ، ثم مدينة وقش ، ثم وشقة ، ثم وسكنة ، ثم يابورة .

مدن الروم المجاورين للاندلس ونواحيها

هؤلاء الروم أصلهم من ولد عيصور ابن اسحاق ، وقيل من ولد عيصو ابن يونان بن يافث ، وقيل من العمالقة الاولى ، وهم على ثلاثة فروق ، سطورية ، قالوا عيسى ابن الله ويعقوبية قالوا عيسى اله اهبط الى الارض ، ثم صعد الى السماء ، وملكانية قالوا عيسى عبد الله ونبيه ، وزاد بعضهم فرقة رابعة ، وهم الاسرائيلية قالوا هو اله وامه اله ، والله اله ، هذا كلامهم ، وقال بعضهم ان نسطور الراهب هو الذي ءامن برسول الله صلى الله عليه وسلم لما انزل تحت الشجرة امامه فى سفره للشام ، وهو صاحب هذه الفرقة النسطورية من النصارى ، ويرده ما قاله صاحب القاموس ، النسطورية بالضم ويفتح أمة من النصارى تخالف بغيتهم ، وهم اصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر فى ايام المامون ، وتصرف فى الانجيل برأيه ، وقال ان الله واحد ذو اقانيم ثلاثة ، وهو بالرومية نسطارس المنتهى اي كما افترقت اليهود ثلاثة فرق ، قرابية ، وربانية ، وسامرية ، وقال الشهرستاني فى الملل والنحل « ان اليهود افترقوا على اثنين وسبعين فرقة بعد موسى ، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة بعد عيسى ، وأكبر فرقهم الملكانية ، اصحاب ملكان الذي ظهر بالروم ، واستولى عليها ، ومعظم الروم ملكانية ، قالوا ان الكلمة اتحدت بجسد عيسى ، وتغذرت بناسوته ، ويعنون بالكلمة اقنوم العلم ، ويعنون بروح القدس اقنوم الحياة ، ولا يسمون العلم قبل تذرعه ابنا ، بل المسيح مع ما تدرع به ابن ، قال : « والنسطورية أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر فى زمن المامون كما فى القاموس ، قال : واضافتهم اضافة المعتزلة الى هذه الشريعة ، فقال ان الله تعالى واحد ذو اقانيم ثلاثة الوجود ، والعلم ، والحياة ، وهذه الاقانيم ليست زائدة على الذات ، ولا هي هو ، واتحدت الكلمة بجسد المسيح لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ، ولا على طريق الظهور كما قالت اليعقوبية ، ولكن كاشراق الشمس فى كوة او على بلد او كظهور النقش فى الخاتم ، واليعقوبية أصحاب يعقوب قالوا بالاقانيم الثلاثة ، الا انه انقلبت الكلمة لحما ودما فصار اله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده ، بل هو هو ، وعنهم اخبر القرآن « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم » . فمنهم من قال المسيح هو الله ، ومنهم من قال

ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح مظهر الحق لا على طريق حلول جر فيه ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي فى حكم الصفة ، بل هو هو ، وهذا كما يقال : ظهر الملك بصورة انسان ، او ظهر الشيطان بصورة حيوان ، وكما اخبر التنزيل عن جبريل « فتمثل لها بشرا سويا » انتهى

* * *

نجلاطـرا :

رجـوعـا ومن اعظم جزرهم جزيرة « نقلاطرة » التي بها دار ملـك الانجليز ، وهي مدينة الاندريس ، ومرساها مدينة « فليبمط » وبها عشرون مدينة ، ثم جزيرة رسلاندة ، له ايضا بها مدينة رسلاندة وغيرها ، ثم ارض ولانطة مجاورة لها للفلمنك ، وبها مدينة ولانطة ، ثم ارض فرانسة ، وبها دار ملكهم مدينة « البريز » وغيرها من المدن ، ومرساها مرسيلية ، ثـم ارض الماركان وبها دار ملكهم مركانة وغيرها ، ثم ارض السويد وبها دار ملكهـم جلنارة ، وغيرها من المدن ، ثم ارض فشتالة وبها دار ملكهم مدينة مادريد من الاندلس ، ثم ارض الجلانقة وبها دار ملكهم اقلش وغيرها من المدن ، ثم جزيرة بريطانيا بها مدن وقرى ، ثم مدينة برديل ، ثم مدينة بربشتـر ، ثـم مدينة سمورة ، ثم مدينة الشاشين بها مدن وقرى ، ثم مدينة شابل بها مدن وقرى ، ثم جزيرة شاوة بها مدن وقرى ، ثم مدينة شانس ، ثم مدينة غاردة، ثم مدينة غلمونة ، ثم ارض الفرنج بها مدينة افرنجية ، ثم مدينة بويزة ، ثـم ارض جنوة بها مدائن جنوة ، ثم ارض الرومانيين بها مدينة رومة العظمى ، ثم مدينة طرنش وغيرها ، ثم ارض البنادقة بها مدينة بندقية وغيرهـا من المدن ، ثم ارض القرنيز بها مدينة القرنة ومدينة فرنسية وغيرهما من المدن، ثم ارض النامسة بها مدينة ملكهم بينه وغيرها من المدن ، ثم مدينة وانيامة ، ثم ارض مقدونية منها مدينةازمير دار ارسططاليس الحكيم،ثم مدينة لوحارة، ثم مدينة الكهف ، ثم مدينة نيقية ، ثم مدينة عمورية ، ثم مدينة الرقيم ، ثـم مدينة قونية ، ثم مدينة القسطنطينية ، ثم مدينة الطرانة ، ثم مدينة زمطرة ، ثم مدينة ربوا امام مستير ، ثم جزيرة رودس بها مدن ، ثم يواليهـا مدن فى جزر كثيرة تزيد على المائة فى البحر ، ثم فى الدرب بين عموريـة وطرطوس مدن عديدة للروم وعلى خليج القسطنطينية مثلها للروم ، ثم مدينة خرشنة ثم حصن منصور ، ثم نهر جيحان بيونـة ، ويشة ، وبلنجـر ، وبرعـش ، واشلوطية ، وانقولاية ، وانطاكية وانقرة ، واردبيس .

مدن الخزر والارمن :

واما مدن الخزر والارمن المتوغلين فى الجبال بين الفرس والروم ،

وكان يحاربهم كسرى انو شروان ومن قبله ، فهم عدد لا يحصى ، واجناس الخزرهم اقبح الترك واحدهم شوكة ، وكانوا وقعوا قديما بالمسلمين وقعة شنيعة ايام الرشيد بسبب ابنة ملكهم تزوجها الفضل بن يحيى وزير الرشيد ، ولما جهزها له والدها أنف الخزر من ذلك فقتلها الخزر غيلة لما دخلوا بلاد المسلمين ، ولما بلغ خبر قتلها لوالدها ظن أن المسلمين قتلوها فخرج من بلاده يجر الشوك والمدر ، ودخل بلاد المسلمين وعاث فيها بالتخريب والقتل واسر أزيد من مائة الف نفس ، ورجع لبلاده

وبأرض الخزر مدينة أثل ، واردبيل ، وباب الابواب ، وبرطاس ، وبلغار، وبأرض أرمنية الكبرى وافشين وبرذعة والبيلقان ، وتفليس ، وتبريز ، وخلاط ودجلة نهر بغداد ، ومدينة الران ، وسارة ، وشروان ذات الصخرة ، وشميساط ، وقلاقلا ، ومرعش ، وربطة ، وميافارفين .

مدائن بلاد الروم المتصلة بالشام :

أول ما فتحه ملوك آل عثمان بعد الفتح الاول فى صدر الاسلام ، والفتح الثاني فى ايام بني أيوب لما استولى الروم على القدس الشريف وسواحل الشام كلها ايام بني العباس وبني عبيد ، وهذا فتح ثالث، وهو أعظم الفتوحات منذ دخل الاتراك بلاد الروم عام ستة عشر وستمائة ، فى دولة «احمد الناصر» الخليفة العباسي ببغداد ، والسلطان علاء الدين « كيقباد » ، بن كيسخر والسلجوقي ، والمباشر لهذا الفتح الثالث السلطان « أرطغل » بن سليمن شاه التركماني ، وولده عثمان بن ارطغل شاه جد آل عثمان ، رحمهم الله ، فأول مدينة فتحوها مدينة العلايا من أطراف الشام ، ثم مدينة انطاكية وسبرتا وبردور ، واكريدور ، وءاق شهر ، وقر احصار ، ولاذق ، وطراس ، وميلاس ، ولارندة ، وانقورية ، وقونية ، وينجك ، وسلطان أولى ، وايسكي شهر ، وايلدكول ، ولبر حصار ، ومرمرا ، وبرصى العظمى ، صيروها دار ملكهم ، ومدينة ازمير ، والقصبات ، وطيرة ، وكسطاش ، وسمندرية ، وايدوس ، وانزكمير ، هي مدينة الاسكندر ، وقارتكين ، وطاغوت ، وازنيق، ثم قطعوا الخليج لبر الروم ففتحوا مدينة كالبولي ، وبنطور ، وسورلي ، ومسلى ، وبرغاز ، وبابا اشكا مدينة ادرنة العظمى جعلوها دار ملكهم بعد برصة ، ويلاقونية ، وديمة طوقة جلامة ، ويانبولى ، وعزال اغج ، وصمقوا ، واهتبال وايدوس ، ويبجرة ، وسوربولى قروكنيسة ، وحصار بيكار ،

ووبزرة ، وقلمرونة ، وصاروبا ، وصوفيا ، وقليبية ، وقارجيك ، وبني شكول ، وشاطال بوغاز ، وبلونية ، وبوفورلي ، واسكينة ، ومارولة ، وكوثلنجة ، وسرف، وسمدرة ، والنش ، وسليستوا ، ونيكبولى ، والمناستير، وبورلبا ، وقاريلي ، واشبت ، وسلانيك العظمى ، وموضيا ، والبوصنا ، وهرشك ، ونيدبولى ، وسيروز ، وأومة ، وشترون ، وقسطموني ، وقونيا ، وتوقات ، وسيواس ، وقيسارية الروم ، وصامصون ، واصناب ، وسودان ، ومرزيقون ، وجابيك ، ورومية الصغرى ، وارمنية الكبرى ، وسيره‌كه ، واسكى ككبير ، وطاون جبنى ، وقرتال ، ونبديك ، وسمندرية ، وبلفراد ، وكرما ، وفودنج ، وانج حصار ، وسكندرية الارنوط ، والاصطنبول صيروها دار ملكهم بعدادرنة ، والاسكدار ، وبعدها اينور ، واللاس ونوره ، وكردوس، ووسكوب ، وكورتي جلنك ، ووصودا ، وتخلاطوا ، وقويلوا ، وءاوشهر ، وزرنجان ، وطرابزان، ووالبواه، وشفلوش ، وبجره، واسترغون ، واستولنى، وتاتا ، وبوديم ، وشقراد ، ونوغراك ، وشمون ، وطرنة ، واندريك ، واينور ، ودوزوره ، واماسية ، ومفنيسة ، ومنيصة ، وبركس ، وطوماس ، وجزيرة مدلي ، ولمنى ، وصاقص ، ورودس ، وسطنكوى ، وقبرس ، وكندية ، والمورة ، وقريطش ، وبخشادة ، وغيرها من جزر البحر التي فتحوها ، قيل انها مائة ، ثم مدينة اقربيوز العظمى للفرنج، والعلابية، وسلفة ، وموقنين، وكولى ، وءاق كرمان العظمى ، ، ونجاح ، وابيجة قلعة ، والبيبج ، وطمشوار، وكستوان .

هذا ما فتحوا من بلاد الارمن والرفع والخزر واليونان والفرنج ، وهم آخر بلاد الشمال الى البحر المحيط والى السد ، وأما ما بقى من مدنهم وأجناسهم الى هذا التاريخ ، فنابل من اعظم مدن ملوكهم، ورومية ، وقشمير، وجنوة ، وبندقية ، وسمندرية ، والقرنة ، ومرسيلية ، وفرنسيسية ، وبينه، والباريز ، وطولون ، ومادريد ، ولطالية ، ولمانية ، وبندقية ، ولانظة ، ومركان ، ووبليمط ، ولندريس ، وبنبلونة ، وبريطانية ، وبرغونية ، وشصونية ، وجرواسية ، وانكلاي، وبرغشت، وبيونة ، وغشكونية ، ونوابيه، وانكرية ، وجتولية ، وبلونية ، وفلونية ، وبرقاعة ، ورسلاندة ، وطست ، وجرمانية ، وبيط ، وافرنزه ، وقمانية ، السوداء ، وقمانية البيضاء ، وصقلية هي الحد بين الروم والصقلب على ما قاله المسعودي فى مروج الذهب .

مدن الشام :

فأول مدنه اجنادين، ثم اذرعات،ثم آذنة،ثم أدرج ثم الاردن، ثم الرملة ، ثم انطاكية،ثم اسكندرونة،ثم اسبيجاب،ثم اليا، وهي مدينة القدس الشريف

وبقربها كان الكاهن سطيح وهو جسد لا جوارح له ، وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب فينتفخ ويجلس وكان وجهه في صدره ، ولم يكن له رأس ولا عنق ، وقال غير واحد لم يكن له عظم ولا عصب الا الجمجمية والكفين ، ولا يتحرك منه الا لسان ، قيل لكونه مخلوقا من ماء امراة ، لان ما الرجل يكون منه العظام والعصب ، كما قال عليه السلام نطفة الرجل منها يخلق العظام والعصب ، ونطفة المرأة منها يخلق اللحم والدم ، وقال ذلك عليه السلام لليهود لما سألوه مما يخلق الولد ، فلما اجابهم قالوا له هكذا كان يقول من قبلك من النبيئين ، ومنه ان عيسى عليه السلام على تسليم انه خلق من نطفة امه وكان له العظم والعصب كما افصح به الشيخ محى الدين ابن عربي حيث قال : انكر الطبيعيون وجود ولد من ماء احد الزوجين دون الاخر وذلك مردود عليهم بعيسى ، فانه من ماء أمه فقط ، وذلك أن الملك لما تمثل لها بشرا سويا اشتد نظرها اليه فانحدرت شهوتها ونزل الماء منها الى اقصا رحمها فتكون عيسى من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة منها فهو من ماء امه خاصة وبهذا يبطل قول النصارى دمرهم الله

رجوعا ، ثم البلقاء ، ثم بعلبك ثم بيسان ثم بيروت ثم بيت لحم ثم تدمير ثم التينات ثم ثنية العقاب ثم الجابيا ثم جلق هي دمشق ، ثم الجولان منازل حاميم ثم جيرون هي دمشق ، ثم حلب ثم حمص ثم خناصرة ثم دلوك ثم دومية الجندل بن اسماعيل ، ثم دير مروان ثم دير مثارب ثم دير عبدون ثم دير سمعان ثم دير الرصافة ثم الرقيم ثم قرية زاعورا مدينة قوم لوط ثم مدينة الزيدان ثم حلب

مدن جزيرة ابن عمر :

فأولها مدينة ءامد ثم ابهر بقرب قزوين ثم ارزن ثم ارمية ثم اليش ثم امغبيشيا ثم اندرين ثم اقليل ثم مدينة تاجرا ثم الدقدوق ثم مدينة تل قرب شميساط ثم مدينة ثمانين ، مدينة نوح عليه السلام ، ثم جبل الجودى ثم موقف السفينة ثم الحديثة ثم حران ، بناها ابو لوط النبي ، ثم الحلة ثم الخضر ثم مدينة خبت ثم مدينة دارا ، مدينة الدينور ، ثم دير القائم الاقصى، ثم دير حنظلة بن المسيح بالحيرة ، ثم دير جاتليق ثم دير هند بالحيرة ثم دير خرقبال ثم دير سليمان ثم دير ماسرجن بعانة ، ثم دير الاعوربنصيبين ، ثم مدينة الرحبة ثم سروج ثم مدينة سنجار ثم نهر سيجان ثم مدينة سبواقردى ثم مراغة ثم منبج ثم الموصل ثم مدينة حمدان على جبل تارديز ثم مدينةنصيبين ثم مدينة الخضر بناها الساطرون ثم مدينة نينوى ثم مدينة باعميرا .

مدن العراق :

اما مدن العراق التي هي مملكة دار الفرس ، وبها الايوان العظيم الذي لم يسبق مثله في المعمور ، ولا زال قائما الى ان ينفخ في الصور ، وكان الذي بناه سابور ذو الاكتفاف ، اقام في بنائه نيفا وعشرين سنة ، واضافة الامام الكلاعي الايوان لكسرى أنوشروان ، فسبب ارتجاجه وشقه ليلة ولد صلى الله عليه وسلم لانه ولد في أيام ملكه ، فقال ولدت في زمن الملك العادل كسرى انو شروان ومعنى انوشروان مجدد الملك وهو ابن قباذ ابن فيروز والذي مزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ابرويز بن شهريار بن انوشروان والذي قتل في زمن عثمان فهو يزدجرد بن شهريار ، واول مدنه اقليم الاهواز ، به مدينتها العظمى ، ثم الابله ثم الابيض قصر المدائن ثم اذربيجان ثم الانبار ثم ايوان كسرى ثم مدينة بابل ، وبها ولد ابراهيم عليه السلام ، ثم بانقيا بقرب الكوفة ثم برقطة ثم بزوان ثم مدينة البطائح على بركة ماء ثم البصرة ثم بغداد ثم مدينة بهرشين ثم بيانة بقرب البصرة ثم تكريت ثم نتور بالكوفة ثم توسيهان ثم جلولا ثم الجعفرية للمتوكل ثم جوخا ثم الجوسق ثم حدورا قرب الكوفة ثم جلوان ثم الحيرة ثم خانقين بقرب شهرزور ثم جزيرة حارك ومدينتها ثم الخرنبية ثم مدينة خطرية بلد ابي مسلم ثم قصر الخلد للرشيد ثم مدينة دوران ثم دوروق ثم دولاب كله بالاهواز ثم دير العذارى بسرمن رأى ثم دير ميسون بها ثم دير الجماجم ثم دير الزنجرود ثم الرقة ثم الرافقة ثم رام‌هرقر ثم الدها ثم الرصافة ايضا ثم المدائن ثم الزبات الثلاث ، احد مدنها النعمانية ثم الزاوية قرب البصرة ثم زويران ثم الزوار بالحيرة ثم زورا بالحيرة ايضا ثم مدينة سامرا للمعتصم ثم سوق البصرة ثم الشماسية ثم شهرزور ثم صرصر ثم صرح نمرود ثم فم الصلح ثم مدينة العث ثم مدينة عاقوب ثم ناهم ثم الحديثة ، وكلها في الفرات ثم عسكر مكرم ثم عيد التمر ثم فامية ثم مدينة النهروان ثم مدينة عانات ثم مدينة هيت ثم مدينة انوشة ثم مدينة ماشان قرب الكوفة ثم حصن بنى عنيزة ثم الكرخ ايضا ثم الكناسة بالبصرة ثم الكناسة بالكوفة ثم كسكر ثم جزيرة كيش بفارس بها مدن ثم ماسندان ثم ماردين ثم مدينة الماء قرب الكوفة ثم المختارة قرب البصرة لصاحب الزنج ثم المدائن ثم مدينة المنصورة لصاحب الزنج ثم المزار ثم مناذر الكبرى ثم مناذر الصغرى ثم مدينة مسكن ثم منزل العسكر ثم مشرفان قرب البصرة ثم بيسان ثم النيل بين الكوفة وواسط ثم مدينة الهاشمية للسفاح ايضا ثم القصر الهاروني للواثق ثم مدينة هيت بين الرحبة وبغداد ثم مدينة واسط مدينتان على دجلة ثم مدينة الولجة قرب كسكر .

مدن الحجاز :

وأما الحجاز فأولمدنه الابلق الفردوس ثم الايكةثممدينةايلة ثم قلعة بدر ثم مدينة بكة ثم مدينة بيسان ايضا ثم تبالة ثم تبوك ثم تهائم مكة ومابعدها ثـم تيما ثم الجار ثم الحجفة ثم جدة ثم جزيرة السامري بها مدينة الحجر ببلاد ثمود ثم الحرة قرب المدينة ثم حصن الاكراد ثم الحورا ثم خيبر ثم مدينة ريا حيث غرق فرعون ثم مدينة السقيا ثم مدينة صنكان ثم الصفرا ثم الضمان معبود بني سليم ثم الطائف اسمه فرج ثم طيبـة المدينـة المنورة ثـم عكاظ المستوية ثم العقيق قرب المدينة ثم العقبة موعد النبي ثم عقربا قرب اليمامة ثم عزفان قرب مكة ثم جزيرة عشقة بها مدن ثم العويل قرب جدة ثم العـور بتهامة ثم مدينة فارقة ثم مدينة فاراز ثم فلكة قرب خيبر ثم الغموص بخيبر ثم الكعبة البيت ثم منى بمكة ثم معان قربها ثم ناع بخيبر ثم سفه بها طي ثم نجد بين الحجاز والشام ثم ودان ثم هجر ثم يثرب ثم الينبوع

مدن جزيرة العرب واليمن

فأول مدن اليمن مدينة ابين وهو قصر عدن ثم مدينة جرس ثم جزيرة العقل بها مدن وقرى ثم مدينة حبد ثم جزيرة جنابا بها مدن وقرى ثم مدينة حضر موت بها قبر هود النبي عليه السلام ثم مدينة خولان ثم مدينة دالان ثم مدينة دمار قرب صنعاء ثم ربدان قرب طفهار ثم مدينة الزرادة ، انتهى .

ثم مدن جزيرة العرب ، اولها الاحساء ثم مدينـة الاحقاف ثم مدينـة اصحاب الاخدود

قال مجاهد وقع فى ثلاثة اماكن لثلاثة ملوك فالذي وقع بنجـران هـو المذكور فى الآية الكريمة والذي فعله يوسف ذو نواس الحميري والذي وقع بفارس صاحبه بخت نصر الفارسي والذي وقع بالشام صاحبه انطيانوس الـرومـي .

وسبب نزول الآية ، لما كان المشركون من قريش يعذلون من اسلم من قومهم ليرجعوا عن الاسلام نزلت قصـة اصحـاب الاخدود وعيدا للكفـار وتأنيسا للمسلمين المعذبين ، ومحصل ما عند المفسرين فى هذه الآية اربعـة اقوال : الاول : هو حديث صهيب الرومي ، القول الثاني : هو : حديث ذونواس فى قصة عبد الله بن التامر ، القول الثالث : حديث الملك الذي شرب الخمر

فوقع على اخته ، ولما صحا ندم ، فقال لها ما المخرج من هذا فاشارت عليه ان يخطب الناس ، ويقول في خطبته ان الله احل نكاح الاخوات فخطبهم واباح نكاح الاخوات ، فلما فشا في الناس خطب في الناس وقال ان الله قد حرمه ثم بعد مدة اباحه ثم بعد مدة حرمه ، فأطاعه قوم وعصاه آخرون فجعل الاخدود، القول الرابع ان نبي صاحب الاخدود كان حبشيا ، قال الكواشي وتقريب هذا ان الذين احرقوا في الاخدود كانوا من الحبشة او من بني اسرائيل او من اليمن او من النبط ، وكانوا ثمانين رجلا وسبع نسوة ، او تسعا ، وقيل اثنا عشر الفا ، وقيل سبعون الفا بين رجال ونساء ، انتهى .

رجوعـــا ، ثم مدينة ارم ذات العماد ثم مدينة اراص ثم جزيرة اوال ، بها مدن وقرى ثم مدينة البحرين ثم مدينة جوهى اليمامة ثم مدينة حواتى ثم مدينة الحجر ببلاد بني حنيفة ثم جزيرة حارك بها مدن ايضا ثم مدينة الخط قرب عمان ثم مدينة الرس قرب قلاقلا ثم مدينة سليمان ثم مدينة سلجين ثم مدينة سويقة ثم مدينة الشحر بعمان ثم مدينة هجر قرب عمان ثم مدينة نجـــران ، انتهـى .

قلـــت وهذه البلاد كلها استولى عليها الوهبية قبحهم الله ، وهـي تحت حكمهم ، قائمين فيها بمذهبهم الفاسد ، وبدعتهم الفاحشة ، ولحـق وبالهم اهل الحرمين الشريفين ، والحجاز ، وعامة من يرد على الحرمين ، من الحجاج ، وعجزت عن كفهم وزجرهم وشاع فحشهم حتى بلغ الى الطعن في الانبياء والنكير على من يزور الحجرة النبوية من المسلمين ، والنهي على من يصلي على رسوله الكريم ، وبأقل من هذا كفر الحجاج ، **فقد نقل** « المبرد » في كامله ان مما كفر به الفقهاء الحجاج انه رآى الناس يطوفون حول الحجرة النبوية فقال « انما تطوفون باعواد ورملة » ، قال : « وانما كفروه بهذا لان في هذا الكلام تكذيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم » فانه صح عنه انه قال : ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء ، خرجه ابو داوود .

وذكر ابو جعفر الداودي هذا الحديث بزيادة ذكر « الشهداء، والعلماء ، والمؤذنين » وهي زيادة غريبة ، وقال السهيلي الداودي من اهل العلم والدين وفي نوازل المعيار ذكر الوهبية حيث قال : وسئل ابو الحسن السيوري عن قوم من الاباضية تمسكوا بمذهب الوهبية ، وهم طائفة من الرافضة بالمغرب، وسكنوا بين اظهر المسلمين يظهرون بدعتهم ، وفيه سئل ابو الحسن اللخمي عن قوم من الاباضية انتحلوا مذهب الوهبية وسكنوا بين اظهر الناس ومذهبهم الخبيث ، ومقالتهم الشنيعة ، ترد بان الله تبارك وتعالى ذكر في كتابه العزيز جماعة من انبيائه ورسله ووصفهم بالنبوءة والرسالة والايمان والعلم والحلم والصبر والرضى والشكر والتفويض والتوكل والاجتباء والتطهير والتقديس

والتنزه عن النقائص والرذائل وسائر الامور الرذية ، وامر عباده بالايمان بهم من غير تفريق فيما بين احد منهم ، وامر بمتابعتهم والاقتداء بهم ، ومدح من تبعهم واقتفى آثارهم ، وكل ذلك بعد موتهم وانتقالهم الى الدار الاخرة وانقراض عصرهم وذهاب اممهم

ومحال ان يكون الامر لذلك ، وهم على الحالة التي ذكرها اولئك المبتدعة حاشاهم من ذلك ، وقد قال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، الى قوله لا نفرق بين احد منهم » ، وغير هذا من الآيات الدالة على فضلهم فى كتاب الله لا نطيل بذكرها وان الله تعالى لا يهمل امر هؤلاء المبتدعة المانعين من تعظيم حرمه وحرم نبيه والصلاة عليه ويتركهم على ضلالهم فقد قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ، وقد ظهر ولله الحمد مصداق قوله عليه السلام ، فقد بلغنا ان والي مصر من امراء الدولة العثمانية تصدى لهذا الظالم المبتدع المسمى « ساعود » (1) وقام له بخيله ورجله ، ومهد درب الحجاز وطرد الوهبي منه ، وعمر الحرمين بجنده ، وهيأ له جرائد من العساكر تبعده الى اقصى بلاده ، واخرجوه عن قرار عزمه والامور مستمرة على ذلك اعانه الله

واما ما وصف به هذا اللعين المبتدع سعود من الاقوال والافعال ، فكلها مؤدية الى الكفر نعوذ بالله مما اتى به من هذا الوبال ، ولا ينفع فيه وعظ ولا ارشاد ، بل ما نفع فيه ما خاطبه به الائمة الاعلام ، من مشارق الارض ومغاربها من تقبيح مذهبه وتفكيره ومن تبعه وما نفع من مدحه وحلاه ، وتبعه على هواه ، كالاديب (2) الذي ساواه ، وجاراه ، ونوه به وقواه ، بقوله في قصديته :

سعود انا رجونا ان تكون بما طلبت فيه سعيدا ظاهر الشيم

فكيف يخاطب بمثل هذا من يأمر من توهب ، يعني دخل فى مذهب الوهبية ودخل تحت طاعته ان يتشهد شهادة الحق ، وان يقر بأن ما كان عليه ووالده من قبل خلاف الحق ، ويمنع الناس من التوسل بسيد الخلق ، وباهل بيته الكرام اهل الوفاء والصدق ، ويمنع الناس من قراءة دلائل الخيرات وتنبيه الانام ، المشتملين على الصلاة والسلام ، على مولانا محمد خير الانام ، فكيف يخاطب هذا ويمدح ويوالي ، وهو فى سبيل الضلال يتغالى ، فرحم الله المتنبي ، فى جوابه لمن كان له يبلى .

---

1) لم يذكر المؤلف تاريخ حملة ابراهيم باشا على الحجاز : راجع معجم الحوادث فى آخر الكتاب
2) يقصد المؤلف الامام السلفي اديب الدولة العلوية حمدون بن الحاج رحمه الله

السيف أصدق ابناء من الكتب (1) ، فانظر وفقك الله هل نفع في هذا المبتدع وعظ ولا انذار ، ولا ولاء بمدح او عطاء يكون له بسببه رجوع واعتبار، الى ان نزلت به نقمة العزيز الجبار ، فاعتبروا يا أولي الابصار .

رجوعــــا

بلاد فارس :

أما بلاد فارس فهي خمس «كور؟»، تشتمل على مدن وقرى، أضفنا جميعها لما خلفها من اقاليم الاهواز والجبال ، والسوس ، وخراسان ، وما وراءها حسبما تسمعه ، لان اقليم العراق ، يجاوره اقليم الاهواز ، وبعده اقليم الجبـال ، وهو عراق العجم ، سمي بالجبال لانه الفاصل بين عراق العرب ، وخراسان ، ومدينته العظمى ، اصبهان ، ثم همدان ، والري ، وزنجان ، والكـرخ ، بين اصبهان ، وهمدان ، كان اختطه والدابي دلف عيسى بن ادريس ، واتمه ولده ابو دلف القاسم ، وكان به اهله وعشيرته ، وقد مدحه بعض الشعراء ، وهو به فلم يحصل على قصده ، فانفصل عنه وقال

دعني اجوب الارض في فلواتهـا … فما الكرخ بالدنيا ولا الناس قاسم

وهذا مثـل قول الشاعـر

ان تكرموني فاني غرس نعمتكـم … مهما حييت فمطواع ومذعـان
وان أبيتـم فأرض الله واسعــة … ما الناس انتم ولا الدنيا خراسان

حكي ان صاحب هذه الابيات اصابته مسغبة في سنة شديدة القحط ، فرقى سطح داره ونادى باعلى صوته في الليل بهذا

الغيـاث الغيـاث يـا خـزان … نحـن خلجانكـم وانتـم بحـار
انما تحسن المواسـاة في الشـدة لا حين ترخـص الاسعـار

وهـو القائــل

عـاب الشفقـة قوم لا عقول لهـم … وما عليه اذا عابـوه من ضـرر
ما ضر شمس الضحى في الجو طالعة … ان لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

---

1) للمرة الثانية يقع الزياني في خطأ نسبة هذا البيت الى المتنبي في حين انه لابي تمام وقد سبق ان علقنا عليه بتطويل ، راجعه قبل

مدن الاهواز :

اما مدن الاهواز والجبال، وخراسان، وما وراء النهر من فرغانة، وشروسنة، وبلاد الترك الى السد ، فأولها مدينة آمل ، ثم ابيورد ، ثم برشهر ، ثم مدينة ازح ، ثم مدينة اصوني ، ثم مدينة انوخ ، ثم الانبار ، ثم اندراب ، ثم اصبهان ، ثم اصطخر ، ثم اوسكون ، من جرجان ، ثم اسفراين ، ثم اوقة ، ثم ايلاق ، ثم الباميان ، ثم مدينة باخزرا ، ثم بخارى ، ثم بلخ ، ثم بلخشان ، ثم فم ، قرب كرمان ، ثم بصنا ، ثم بسطام ، ثم بوشنى ، ثم بيهق ، ثم يجبرة ، ثم جرجان ، ثم البيضاء ، ثم بيرون ، ثم بيكار ، ثم تبريز ، ثم تخارستان ، ثم ترمد ، ثم توكباد ، من جرجان ، ثم تعفر ، ثم تستر ، ثم ثورانة ، ثم حياى ، ثم جرجان ، بناها جرجان بن لود ، بن سام ، ثم الجرجانية ، من خوازم ، ثم جربادقان ، ثم جنداسابور ، ثم جناباد ، ثم جفر الاملاك ، محل المنذر بن ماء السماء ، ثم مدينة جور ، ثم الجوزجان ، ثم جيرمت ، ثم مدينة جنى ، ثم مدينة حركان ، ثم مدينة جلى ، ومدن لمخ ، وبلخ ، سبع واربعون منبرا فى مدن ، ثم خوارزم ، منها قبلا ، والخورنق ، وهو قصر النعمان ، ودهستان ، وجرجان ، وذرعاش، وحذاء ، ودارين ، هي مرسى الهند ، والدامقان ، ودار قطن ، ودار الجرد ، وداروزد ، ودنبا ، ونداود ستق ، والدسكرة ، ودقوقا ، ومدينة الديلم ، والرى ، ورامين ، والروبان ، والزارة ، والزرق ، ومخشر ، وساوة بمهدان ، وساباط المدائن ، وسابور ، وسرخس وسمنان ، وسمرقند هي مدينة الصغد ، كان هدمها شمهرير عش لما غزى الصغد ، وحاصرهم بها ، ودخلها عنوة وهدمها ، وكتب على رخامة ، هذا ما امر به شمهرير ، عش الحميري ، وقيل انه لما هدمها كتب عليها ، شمركنداى شمر ،هدمها ، وسميساط ، وسنجة ، وشهرور ، والسوس ، قرب الاهواز ، وسوق الاهواز ، مدينة وسيراق والعشاش ، وشاربة طبرستان ، ومرو الشاهجان ، وشالوش ، بقرب جرجان ، وشعب برمان بن ، وبرسام ، وشيراز ، والشيرجان ، وضاهك بلاد الازارقة ، والصفانيان ، والطالقان ، والطاق ، وطبرستان ، والطبسان من كرمان ، وطخارستان ، وطرز ، وطوس ، وصوارس بخارى ، وعمان ، قرب سمرقند ، وغزنة ، خوارزم ، وفاختة ، من كوران ، وفارياب ، وفربر ، وفسا، وميروزباد ، وفيرزكون ، وقادس ، وقم ، وقوسيان ، وكازرون ، والكرخ ، وكرمان ، وكلابل ، واكلام ، وكش بسمرقند ، وكش بجرجان ، وكواربفارس، وكوت ببابل ، وكيلان بقرب الرى ، ولاكان ، ومروالرود ، ومروالشاهجان ، ومسكن ايضا بكرمان ، والمورتاى قرب الاهواز ، وموقان ، والناميان ، بالاهواز ، وناشية من كرمان ، وقصر اباد بالرى ، وقصر باد بنيسابور ،

ونسا ، ونهاوند من همدان ، والنهروان ، ونهر بير بالاهواز ، ونهر معقل ، والنوشجان بها ، وشعب بوان ، والنوبهار بيث عبادة الفرس ، وكان سادنه برمك ، جد البرامكة ، وكان مجوسيا ، ولما اسلم توجه الى الشام ، وكان حصل علوما ، وآدابا ، فاتصل بعبد الملك بن مروان ، وخدمه وخدم بنوه بني امية ، الى ان انقرضت دولتهم فخدم يحيى بن خالد بن برمك السفاح ، واخاه المنصور ، وكانت لهم مع بني العباس دولة وايام .

ولقد وقفت على حكاية لبرمك جدهم ، انه سافر لبلاد الهند ، واجتمع باحد ملوكهم ، وكان يناديه ويسامره ، فأحضر له طعاما حسنا ، وامره بأكله، فأكل منه الى ان انتهى وشبع ، فقال له الملك كل ، فقال له قد اكتفيت وشبعت ، فأمر الملك باحضار قضيب من خزانة ، وقبضه ومده على صدر برمك ، قال برمك فوالله لقد رجع الي الجوع ، كأني لم آكل شيئا ، قال لي كل فأكلت الى آن امتلات ، فقال لي كل فقلت لا أقدر على زيادة شيء فمد القضيب على صدري فصرت كأني ما أكلت شيئا ، فعل ذلك مرات ، فقلت له ان الذي دخل فى بطني يحتاج الى الخروج ، فقال صدقت وامسك عني ثم صرت معه ليلة الى قصر له على البحر ، فأقمنا به ، ولما امسى المساء ، اخرج ياقوتة ووضعها بين يديه ، فأضاء القصر كله من غير سراج ولا شمع ، فجعلت اتأمل فى تلك الياقوتة واتعجب منها ، فلما فهم مني اعجابي اخذها ورماها فى البحر ، فخشيت ان يكون ذلك من غضب علي حيث صعدت فيها النظر ، فلما رآني مرعوبا ، وفطن لما حدث فى سري ، أمر باحضار سفط ، واخرج منه سلسلة رقيقة من فضة ، وفى راسها شبه حوتة مصنوعة ، وقبض طرف السلسلة ورمى باقيها فى البحر ، الى ان عرف انها بلغت ارض البحر ، وتمكنت منه جذبها ، ولما اخرج الحوتة ، فاذا فى فمها الياقوتة ، التي رمى بها فى البحر ، فأضاء القصر علينا كما كان ، فسألته عن القضيب والحوتة ، فقال لي هما من تحف الملوك .

رجوعا ، ثم جبل هراك وهرات ، مدينة وهرمزمركرمان ، وهمدان، ويدان ، ويامدينجارى ، واليهودية باصبهان ، بها اثنا عشر مدينة

مدائن الصغد ، والشاش والترك ، وفرغانة ، وشروستة :

اولها مدينة دبوسة ، وكسامية ، وكش ، ونسف ، ونمشت ، وكسيرة ، فتحهم مسلم بن قتيبة الباهلي ، ايام الوليد ، وكسيرة ، وفرغانة ، وقاشان ، وكند ، وينكت ، والشاس ، واخشيكت ، واركندة ، واوس ، وجخنرة ، ودبوشة ، وسنجة ، وشروسنة ، وبومنجكت ، وجيبرد ، وبارض الخزر

مدينة اثل ، على الاعظم ، واردبيل ، وباب الابواب ،ومدينة **برطاس** ، ومدينة بلغار ، ومدينة جيدار بقرب مدينة السرير

وبارض الاتراك: انقلس، واسطور، وبنحهر ، وثبت ، ومدينة خرخير ، ومدينة السد ، لياجوج وماجوج ، وشرطانية ، للبرجار ، ويسلمانة ، وغوران، وفاراب ايضا ، وقصر هرمز ، وجبل قوقايا ، بـه مدن وقرى ، ومدينـة كوكيانة ، وكوكهان ، ومدينة لحمان ، على طرق الخراب ، ثم **بلاد الصقلب** ، بها مدينة مشفة ، وغيرها ، ومدينة باخوان ، للتفزغز ، ثم مدينـة القـرم ، للتنز ، **وبلاد الروس** ، جزيرة دار موشه ، بها مدن وقر ى، ثم مدينة بلفرة، وبها يبلغ قصر النهار والليل ، الى غاية القصر والطول ، وبجاورهـم أرض سحرت ، ومدينتهم العظمى ، بها مدن النحاس ، يعمل فيـه اكثر من الـف صانع ، وبعدها الارض المنتنة عشر مراحل ، وبعدها الارض الخراب عشـر مراحل ، وبعدها مدينة عظيمة ، وقلع واسم ملكها خاقان اتكـش ، واهلهـا يتكلمون بالعربية ، والفارسية ، وبينهم وبين السد فرسخين ، **وقـد وقف** عليه سلام الترجمان ، لما وجهه الخليفة الواثق بالله العباسي ، وخلف جبل السد ، ارض ياجوج وماجوج ، وهم أصناف وفى وصفهم خلاف فى الكبـر والصغر والصفة ، قال صاحب كتاب العجائب ، ان فى داخـل أرض ياجوج وماجوج نهر يسمى المشهر ، لا يعرف له قعر ، فاذا تقاتلوا ، وآسر بعضهم بعضا ، يطرحون الاسرى بذلك النهر ، فيرون عند ذلك طيورا عظاما ، تخرج من كهوف ، باجراف ذلك النهر ، الى من يطـرح من الاسـرى بذلك النهـر فتختطفهم قبل ان يصلوا الى الماء ، وترتفع بهم الى تلك الكهوف ، التـي فى اجراف النهر ، فتأكلهم هنالك ، ويقال ان لهذا الوادي ، نا راتتأجج على طول الزمان ، بقدرة الله تعالى ، وليس وراء ارض ياجوج وماجـوج ، الا البحـر المحيط ، انتهـى

رجـوعـا لخبر ما وعدنا به من خبر مذاهب اهل التثليث ، والـرد عليهم وتكذيبهم وبيان ما بدلوا فى انجيلهم ، وما حرفوه ، وما زادوا من عند انفسهم قبحهم الله ، **قال عبد الله** الاسلامي ، اعلموا رحمكـم الله ان الذين بدلوا الانجيل ، وكتبوا الاناجيل الاربعة ، وافسدوا دين عيسى عليه السلام ، وبدلوا كلام الله القديم ، هم متى ، ولوقا ، وماركوس ، ويوحنا ، وليسوا من الحواريين ، الذين اثنى الله عليهم فى محكم القرآن

فامـا متـى ، وهو اولهم فما ادرك عيسى ولا رءاه قط ، الا فى العام الذي رفعه الله فيه اليه ، وبعد رفعه ، كتب متى الانجيـل بخطـه بمدينـة الاسكندرية ، واخبر فيه بمولد عيسى ، وما ظهر عند ولادته من العجائب ، وخروج امه به الى مصر ، خوفا من الملك ردوس الذي اراد قتله ، بسبب

ان ثلاثة من المجوس ، قدموا لبيت المقدس ، وقالوا جئنا بهدية لهذا السلطان الذي ولد فى هذه الايام ، فقد طلع نجمه ببلادنا ، وهو دليل ميلاده ، بلغ ذلك ردوس الاسرائلي ، فساءه ذلك وجمع علماء بني اسرائيل ، وسألهم عن هذا المولود ، فقالوا ان انبياء بني اسرائيل ، اخبروا فى كتبهم ان المسيح عيسى ، يكون مولده ببيت المقدس ببيت لحم ، فى هذا الاوان ، فأمرهم ان يسيروا الى بيت لحم ، ويبحثوا عن هذا المولود فان وجدوه ، اخبروه به ليعبدوه ، وكان ذلك منه مكرا ، وقصده ان يقتله ، واما المجوس الثلاثة فتوجهوا الى بيت لحم ، فوجدوا مريم ، وابنها عيسى فى حجرها ، فدفعوا لها الهدية وسجدوا لابنها وعبدوه ، ثم انهم راوا فى الليل ملكا من الملائكة ، وامرهم ان يكتموا مولد عيسى وان يرجعوا على الطريق التي أتوا منها ، ثم اقبل الملك على مريم ، وعرفها بمكر الملك ردوس ، وأمرها ان تهاجر بعيسى الى أرض مصر، ففعلت ما امرها به ، وهذا نص متى فى انجيله ، وهو باطل ، وكذب ، وزور ، لان بيت لحم بينه وبين المقدس خمسة اميال ، فلو كان السلطان ردوس ، يطلبه ليقتله لوجه من ياتي به وبامه فى اسرع وقت ، او يتوجه له بنفسه فدل هذا على كذب متى فى انجيله ، وأيضا فان لوقا ، وماركوس ، ويوحنا ، لم يذكروا هذا فى اناجيلهم ، ومتى لم يحضر لمولد عيسى لكنه نقله عن كذاب مثله .

واما لوقا ، فلم يدرك عيسى ولا رءاه البتة ، وانما تنصر بعد ارتفاع عيسى ، على يد بالوس الاسرائلي ، وبالوس هذا لم يدرك عيسى ولا رءاه ، وكان من اكبر اعداء النصارى ، متى ما حصل بيده نصراني ياخذه ويسجنه ببيت المقدس .

وقد حكى لوقا ، فى كتابه الذي سماه بقسيس الحواريين ، أن بالوس هذا ، كان يسير فى جملة من الفرسان ، فنظر الى ضوء كشعاع الشمس ، وسمع منه صوتا يقول لاي شيء يا بالوس تضرني ، فقال له ومن تكن انت يا سيدي ، فقال له انا عيسى المسيح ، فقال له بالوس ، وكيف ضررتك وانا ما رأيتك ؛ فقال ضررت امتي ، فارفع يدك عن ضررهم ، فانهم على الحق ، واتبعهم تفلح ، فقال له بالوس ، وما تأمرني به يا سيدي ، قال له سر الى مدينة دمشق ، وابحث عن رجل اسمه اقاينا ، فهو يعرفك بما يكون عليه عملك ، فسار لدمشق ، وسأل عن اقاينا فوجده وعرفه ، بما سمع من كلام عيسى ، فطلبه ان يدخل معه فى دين النصرانية ، فأجابه لما طلب وعظمه ، وبين له ايمانه بعيسى فبالوس ، تنصر على يد إقاينا ، ولوقا تنصر على يد بالوس ، وأخذ كتاب الانجيل عنه ، وكلاهما لم يدرك عيسى ، ولا رأياه قط ، فهذا هو التخليط وهو دليل الكذب ، والباطل ، وهذه الحكاية كلها كذب وزور ، ومن خدع الشيطان

وامـــا ماركـــوس ، فما راى عيسى قط ، وكان دخوله لدين النصرانية بعد ان رفع عيسى ، وتنصر على يد بيتروا الحواري ، واخذ عنه الاناجيل ، بمدينة رومة ، وماركوس ، هذا قد خالف اصحابه الثلاثــة الذيــن كتبــوا الاناجيل ، فى مسائل جمة حسبما تسمعه بعد .

وامـــا يوحنـــا ، وهو ابن خالة عيسى ، ويزعم النصارى ان عيسى ، حضر فى عرس يوحنا ، وانه حول الماء خمرا ، فى ذلك العرس ، وان يوحنا ، لما راى ذلك ترك زوجته وتبع عيسى على دينه ، وسياحته ، وقالوا ان عيسى اوصى يوحنا بخالته مريم ، واوصى مريم بيوحنا ، وذلك لما حاصره اليهود ، وايقن بالموت بزعمهم ، قال له يا يوحنا ، الله الله فى والدتي ، فانها امك ، وقال لامه ، الله الله فى يوحنا ، فانه ابنك ، ويوحنا هذا هو الرابع من الذين كتبوا الاناجيل الاربعة ، لكنه كتبه بالقلم اليوناني ، بمدينة الســـوس ، من عـــراق العرب ، ولكنها مبدلة محرفة ، مختلفة الاوضاع ، وما جاءه عيسى الا بانجيل واحد ، ولا تدافع فيه ولا اختلاف ، ولا يقدر النصارى على انكـاره ورده ، واما كذب الاربعة فى اناجيلهم ، كله ظاهر معلوم ، **فمن** كذب ماركـوس ، فى انجيله فى الفصل الاول منه ، ان فى كتاب شعياء النبي عن الله تعالى ، يقول : اني بعثت ملكي امام وجهك ، يريد وجه عيسى ، وهذا كلام لم يوجد فى كتاب شعياء ، وانما هو فى كتاب ملحيا النبي ، وهو من اقبح الكذب على انبياء الله تعالى ، حيث ينسب لاحدهم ما ليس فى كتابه ، **ومن** كذب متى ، ما حكى فى الفصل الثالث عشر ، من انجيله ، ان عيسى قال : يكون جســـدي فى بطــن الارض ثلاثة ايام ، بلياليها ، بعد موتي ، كما لبث يونس فى بطن الحوت ، وهذا من صريح الكذب ، والبهتان ، لانه وافق اصحابه الثلاثة على موت عيسى بزعمهم فى الساعة السادسة يوم الجمعة ، ودفن فى اول ساعــة من ليلة السبــت ، وقام من بين الموتى فى صبيحة يوم الاحد ، فبقى على هذا الزعم السخيف ، يوما وليلتين ، خلافا لما تقدم من ثلاثة ايام بلياليها كيونس بن متى ، فى بطن الحوت ، فتبين كذبهم ، لان عيسى ، لم يخبر عن نفسه ولا اخبر الله عنه في انجيله ، انه يقتل ويدفن يوما او ثلاثة ، بل اخبر فى كتابه العزيز انهم «ما قتلوه وما صلبوه بل رفعه الله اليه» فلعنة الله على الكاذبين ، ومنه ما قاله ماركوس ان سيدنا المسيح ، لما قام بين الموتى كلم الحواريين ، ثم صعد الى السماء من يومه ، وخالفه لوقا فى كتابه الذي سماه قصص الحواريين ، فانه ذكر فيــه ان عيسى صعد الى السماء ، بعد قيامه من بين الموتى اربعين يوما ، وحسبك بهذا دليلا على كذبه فى هذا من اصله ، فو الله ما قتل عيسى ، ولا صلب ولا دفن ، ولا قام من قبر ولا كلم احدا ، وانما رفعه الله لسمائه .

افتــراق النصارى على
72 فرقة كبنى اسرائيل :

الفصل الاول : فى اصلهم وعدد فرقهم

قال المؤلف : ان النصارى افترقوا بعد عيسى ، على اثنين وسبعين فرقة ، كما افترق اليهود بعد موسى ، على اثنين وسبعين فرقة ، كما في الحديث النبوي .

ففرقة تعتقد ان عيسى ، هو الله الخالق الباري ، الذي خلق السموات والارض ، فنقول لهم كذبتم وكفرتم وخالفتم اناجيلكم ، **فان متى** ، فى الفصل الموفى عشرين من انجيله ان عيسى قال للحواريين قبل الليلة التي أخذه اليهود وقد تغاشى من كرب الموت ، واشتد حزنه وسقط على وجهه ، وهو يبكي ويتضرع الى الله ، ويقول يا الهي ان امكن صرف المنية عني فاصرفها ، ولا يكون ما اشاء انابل ما تشاء انت ، فهذا اقرار من المسيح بانه ءادمي يخاف نزول الموت ، وان له الها ناداه يا الهي وتضرع اليه ، وزادوا لعنهم الله ، انه مع خوفه وءادميته وحزنه ، كان من الشاكين فى قدرة الله ، حيث قال : ان امكن صرف المنية عني فاصرفها ، لان هذا عين الشك ، ولا يخلوا المسيح من ان يكون قد علم ان الله لا يعجزه شيء فما معنى قوله ان امكن ذلك ، وان كان علم ان الله تعالى لا يمكنه ذلك ، فما معنى سؤاله والتضرع اليه ، وحاشى روح الله ورسوله من ان يشك فى قدرة الله تعالى ، ويقال لهذه الفرقة ايضا ، قد خالفتم ما قال يوحنا فى الفصل الثاني والعشرين من انجيله ، ان المسيح رفع بصره الى السماء وتضرع وقال : يا رب اني اشكر استجابتك دعائي ، واعترف لك بذلك واعلم انك فى كل وقت تجيب ، ولكن اسألك من اجل هؤلاء الجماعة الحاضرين ، فانهم لا يومنون بانك ارسلتني ، فهذا المسيح قد اعترف بان الله الهه وربه ، وتضرع اليه وشكر نعمته ، واجابة دعائه ، فكيف يقولون ان عيسى هو الله الذي خلق السموات والارض ، وهل يكون فى العقول السليمة اشنع من هذا

ومما فى كتبهم ما قاله يوحنا ، فى الفصل الخامس من انجيله ، ان عيسى قال لليهود ، من يسمع كلامي ويومن بالذي أرسلني دخل الجنة **وفى هذا** الفصل من انجيل يوحنا ، ان اليهود قالوا يا عيسى ، من يشهد لك بما تقول ، فقال لهم الرب الذي ارسلني هو يشهد لي ، فهذا عيسى مقر بأنه نبي مرسل، وان له ربا أرسله ، وان من يومن به يدخل الجنة .

وممــا فى كتبهم ايضا ما قال ماركوس ، فى الفصل الاول من انجيله ، انه كان فى بيت المقدس مجنون يتكلم الجن على فمه ، فاجتاز به عيسى فصاح

به الجن ، وقال عيسى أي شيء لك عنـدي ، اتحب ان تخرجني من هـذا الجسد ، حتى يعلم الناس انك نبي روح الله ، وان الله ارسلك ، فأمره عيسى بالخروج فخرج ، وقام الرجل صحيحا سالما فتعجب الحاضرون من ذلك ، وهذا غاية الوضوح والدلالة على ان عيسى بشر من جملة البشر ورسول من جملة الرسل ، صلواة الله عليهم أجمعين

والفرقة الثانية تعتقد ان عيسى ابن الله ، وانه اله وانسان ، فهو اله من جهة ابيه ، وانسان من جهة امه ، وان اليهود قتلوا انسانيته ، وان الالوهية بعد ما دخل جسدا انسانية القبر نزل الى جهنم واخرج منها ءادم ونوحا ، وابراهيم ، وجميع الانبياء ، وانهم كلهم كانوا فيها من اجل خطيئة ابيهم ءادم، فى الاكل من الشجرة ، وان جميع هؤلاء صعدوا الى السماء صحبة الهيئة عيسى ، بعد اجتماع لاهوته بناسوته ، وهذا الاعتقاد فى غاية الكفر والحمق والفساد ، فنعوذ بالله مما ابتلاهم به ، **ونقول** لهم كذبتم على الله وعلى رسوله عيسى ، **ودليل** ذلك ما قاله متى ، فى الفصل التاسع عشر من انجيلـه ، ان عيسى عليه السلام قال للحواريين ، اعلموا واعتقدوا ان اباكم السموي الذي فى السماء ، يعني بذلك الله تعالى ، هو فرد واحد لم يلد ولم يولـد ، فأي شهادة على كذبهم ابين من هذا ، الذي فى انجيلهم بشهادة عيسى ، وباقـي فرقهم كلها على هذا النمط كذب وزور وبهتان ، يتفقون فى شيء ويختلفون فى أخر ، تركت ذكرها طلبا للاختصار ، وهذه المذكورة منها هي أصول جميعها.

فصـــل فـي بيان قواعدهم ، وفسادها التي قررها رهبانهم بأمـر ملوكهم ، وعليها اجماع قسيسيهم وشمامستهم ، وعليها الجم الغفير منهم ، وبيان الرد عليهم فيها بنص اناجيلهم ، التي هي اصولهم وفروعهم

قال المؤلف رحمه الله : اعلموا ان قواعد دين النصرانية ، التي هي عليها الان فى تاريخ الثمانمائة من الهجرة خمس : **القاعدة الاولى** هي التغطيس ، والثانية الايمان بالتثليث ، والثالثة اعتقاد التحام لحم اقنوم الابن ، فى بطن مريم ، والرابعة الايمان بالقربان كيف ينبغي ، والخامسة الاقـرار بجميع الذنوب للقسيسين ، لعنهم الله اجمعين شرح هذه القواعد :

القاعدة الاولى التى هى التقطيس

قال لوقا فى انجيله ، ان عيسى قال من تغطس دخل الجنـة ، وان لـم يتغطس فله جهنم ، خالدا مخلدا ، فمن اجل هذا النص يعتقد النصارى ان من لم يتغطس لا يدخل الجنة ، فيقال لهم ما تقولون فى ابراهيم ، وموسى ، واسحاق ، ويعقوب ، وجميع الانبياء افي الجنة هم ام لا ، فلابد لهم ان يقولوا

فىالجنة ، فيقال لهم ، كيف دخلوها وهم لم يتغطسوا فيقولون عن هـذا ان الاختتان ، أجزاهم عن التغطيس ، فيقال لهم ما تقولون فى ءادم وذريته لصلبه ، فانهم لم يختتنوا ولا تغطسوا وهم فى الجنة ، بنص اناجيلكم ، واجماع علمائكم، فليس لهم عن هذا جواب ، فبطل هذا الاصل الذي هو من اصولهـم وظهـر كذبهم ، وهذا التغطيس مما افتعلوه فى اناجيلهـم ، وافتـرو على رسول الله عيسى ، **وصورته** ان فى كل كنيسة ، حوض من الرخام ، والحجر الصلـد ، يملؤه القسيس بالماء ، ويقرأ عليه ما تيسر من الانجيل ، يوهم به ويرمى فى ذلك الحوض ملحا كثيرا وشيئا من دهن البلسان ، فمن اراد ان ينتصر وهو كبير ياتي الى القسيس ، ويحضر له جماعة من اعيان النصارى ، يشهدون عليه بزعمهم بين يدي الله تعالى بالتغطيس ، ويقول له القسيس وهو عنـد حوض الماء يا هذا ، اعلم ان التنصر هو ان تعتقد ان الله ثالث ثلاثة ، وتعتقد انه لا يمكن له الدخول الى الجنة الا بالتغطيس ، وان ربنا عيسـى ابن الله ، وانه التحم فى بطن امه مريم ، وصار انسانا والها ، فهو اله من جوهر أبيه ، وانسان من جوهر امه ، وانه صلب ومات وعاش وصار حيا بعد ثلاثة ايام من دفنه ، وصعد الى السماء ، وجلس عن يمين ابيه ، ويوم القيامـة هو الذي يحكم بين الخلق ، وانك آمنت بما امن به اهل الكنيسة ، وانك آمنت بهـذا كله ، فيقول المتنصر نعم ، فحينئذ ياخـذ القسيس صفحـة من ماء ذلـك الحوض ، ويسكبها عليه وهو يقول انا نغطسك باسم الاب ، والابن ، والروح ، والقدس ، ثم يمسح الماء عنه بمنديل وينصرف ، وقد دخل فى دين النصارى، واما تغطيس اولادهم فهو فى اليوم الثاني من ولادتهم ، يجيء بهم آباؤهم الى الكنيسة فيخاطبه القسيس بالكلام المتقدم ، ويجيب عنه ابوه وامه بقولهمـا نعم ، ثم يتوجهان به وقد تنصر ، وذلك الماء الذي يصنعـه القسيسـون فى احواض كنائسهم يبقى بها اعواما واحقابا لا ينتن ولا يتغير فيتعجب عامـة النصارى ويعتقدون انه من بركة القسيس والكنيسة ، ولا يعلمون ان عـدم نتنه ، من كثرة الملح ودهن البلسان . لا يجعل فيه القسيس الملح والبلسان الا ليلا او فى وقت لا يراه فيه أحد ، وذلك من خدعهم وحيلهم أخزاهم الله .

قال مؤلفه وقد كنت، فى ضلال هذا الدين وجاهليته ، اصنع هـذا او اغطس مدة مديدة الى ان وفقني الله وهداني للحق واخرجني من الظلمـات الـى النـور .

القاعـدة الثانيـة من القواعد الخمس وهي : الايمان بالتثليث :

وعندهم لا يمكن دخول الجنة الا بالايمان بالتثليث ، فيومنون بان الله تعالى ــ عن قولهم ــ ثالث ثلاثة ، وان عيسى هو ولد الله ، وان الطبيعتيـن

ناسوتية ولاهوتية ، تلك الطبيعتان صارتا شيئا واحدا ، فصارا للاهوت انسانا محدثا تاما مخلوقا ، وصار الناسوت ، الها تاما خالقا غير مخلوق ، وبعضهم يقول الله تعالى ، وعيسى ، ومريم ، ويلزمهم على مفترى اقوالهم ان المسيح ، ابن الله ، أن تكون ذاته كذات الله ، فله علم كعلم الله تعالى ، وقدرة كقدرته ، الى سائر الصفات الازلية ، وهذا باطل ، وبيان بطلانه ما قال ماركوس ، في الفصل الحادي عشر من انجيله ، ان الحواريين سألوا عيسى عن الساعة التي هي يوم القيامة ، فقال لهم ان ذلك اليوم لا يعلمه الملائكة الذين في السما ولا يعلمه الا الاب وحده ، يعني الا الله وحده ، وهذا اقرار من عيسى بانه ناقص علم حتى من الملائكة ، وان الله هو المنفرد بعلم الساعة وقيامها ، وان عيسى لا يعلم الا ما علمه ، وفي الفصل العشرين من انجيل متى ، ان عيسى ، لما قدم اليهود لاخذه وقتله تغير وحزن حزنا شديدا ، وكل من يحزن ويتغير ليس باله ولا ابن اله ، ولا اشنع من قولهم في هذه القاعدة ان لعيسى ، طبيعتان ناسوتية ولاهوتية وانهما صارتا شيئا واحدا ، النور والظلمة وان ما كان محالا من جهة ان كل واحدة من هذه ضد للاخرى وخالق للخلق بذاته وصفته ، عنهم في عظمته وكبريائه ، عن شبه شيء منهم كيف يتقرر في عقل سليم انه مازج بعض مخلوقاته ، حتى صار شيئا واحدا فتعالى الحق عما يشركون ، واذا كان لاهوته كناسوته ، لا سيما على قولهم انهما اتحدا وتمازجا والتحما ، فما الذي فرق بينهما عند ما ضرب جسده وناسوته بالسياط على زعمهم ، وعصب راسه بالشهود وصلب على خشبة ، وطعن بالرمح ، حتى مات وهو يصيح جزعا وخوفا ، فاين غاب لاهوته عن ناسوته في هذه الشدائد مع الممازحة والالتحام على قولهم ، وهم لعنهم الله ، يزعمون ان لاهوته فارقته عند الصلب والقتل ، وهبط الى جهنم ، فاخرج منها الانبياء ، وكان ناسوته في القبر موقوفا حتى رجع اليه لاهوته ، فاخرج من القبر ، ورجع اليه ثم صعد به الى السماء ، وهذه كلها دعاوي باطلة ، وهي من الكفر الركيك ، وفضائح لا يرخصها عقل سليم ، وكيف يزعمون ان لعيسى طبيعتين ، صارتا شيئا واحدا ، وفي اناجيلهم ما يشهد انه ليس له الا طبيعة واحدة آدمية ، وبرهان ذلك ما قاله متى ، في الفصل العاشر من انجيله ، ان عيسى لما انتقل الى المدينة التي ولد فيها، استخف ناس به ، فقال لا يستخف بنبيء الا في مدينته ، فهذا اقرار بانه نبي من جملة الانبياء ، وليس للانبياء كلهم الا طبيعة واحدة ءادمية ، ويؤيد ذلك ما قاله شمعون الصفا ، بين الحواريين لليهود عند ما تألبوا عن المسيح ، فقال يا رجال بني اسرائيل ، اسمعوا مقالتي ، انما المسيح رجل ظهر من عند الله بالقوة ، والتاييد ، والمعجزات ، التي اجراها الله على يده ، وانتم كفرتم به ، هكذا في كتاب قصص الحواريين ، وهو عند النصارى كالانجيل ، واي خبر أوثق من خبره ، واي

شاهد اعدل عن شمعون الصفا ، الذي يتبرك النصارى بذكره ، ويوقنون بكثرة صلاحه وفضله ، وقد شهد على عيسى ، انه من جملة الادميين ، والانبياء المرسلين ، ايدهم الله تعالى بالمعجزات ، وان كل ما جرى منها على يد عيسى، انما هو بقدرة الله تعالى ، ليس لعيسى فيه كسب ، فأين هذا الحق ونوره من ظلمة كفرهم فى قولهم ، ان اللاهوت ، لما التحم بناسوت عيسى ، صار انسانا تاما ، مخلوقا ، وصار ناسوته وهو جسده ، الها تاما خالقا ، غير مخلوق ، فالعياذ بالله كيف استحوذ الشيطان بظلمة الكفر ، على هؤلاء حتى آمنوا بهذا المحال فى العقل والعقيدة ، وقال لوقا فى ءاخر انجيله ، ان عيسى ، لما قام من قبره لقيه رجلان من تلاميذه ، وهما الفيلوقاس ، ولوقا ، فقال لهما مالكما حزينان ، فقالا له ، وانت كأنك غريب وحدك فى بيت المقدس ، لم تعرف ما جرى فيها فى هذه الايام من امر المسيح ، الذي كان مصدقا من الله فى مقاله وفعله ، فهذه شهادة تلميذيه ، قضيا انه رجل مصدق من الله ، ليس بخالق، ولا اله ، ولا ابن اله ، تعالى الله عما يقول الكافرون ، علوا كبيرا

القاعدة الثالثة وهي اعتقادهم ان اقنوم الابن ، التحم بعيسى فى بطن مريم ، وما سبب ذلك

قال المؤلف اعلموا رحمكم الله ، ان النصارى يعتقدون ان الله تعالى عاقب آدم وذريته بجهنم من اجل خطيئته ، فى الاكل من الشجرة ، ثم ان الله تعالى حن عليهم ، فمن عليهم بخروجهم بان بعث ولده فالتحم فى بطن مريم بجسده ، فصار انسانا والها ، انسانا من جوهر امه ، والها من جوهر ابيه ، ثم ما مكنه من خروج آدم وذريته من النار الا بموته ، ولهذا يفدي جميع الخلق من يد الشيطان ، وانه مات بالقتل ، ثم عاش بعد ثلاثة ايام ، ونزل بجهنم ، واخرج منها ءادم وذريته من جميع الانبياء ، فهذه عقيدة كفرهم البارد المقيت ، ودينهم الخبيث ، فمن المحال ان يكون الخالق استحال لحما ودما ، او يكون له ولد فى الارض او فى السماء ، او يكون قدمه وبقاؤه الذين لا نهاية لهما محدودين او متحيزين او منتقلين ، كلا بل هو الله الذي لا شبه له ، فتقدس جلاله وتعالى كما له ان يحل فى بشر يموت ، كيف وهو الحي الذي لا يموت ، او يصير بذاته الكاملة القدسية فى بطن امراة ، وهو الذي وسع كرسيه السموات والارض ، ويقال لهم انتم تعتقدون ان عيسى هو الله، ومن لم يعتقد هذا فليس بنصراني عندكم ، فلا يجدون بدا ان يقولوا نعم ، فيقال لهم لقد اقدمتم على البهتان العظيم ، من حيث صيرتم من الناس خالقا ازليا ، وهو حادث مخلوق ، ولا يخلو امركم فى عيسى ، من خمسة اوجه : اما ان تكونوا جعلتموه الها ازاليا او مسكينا ، والوجه الثاني هل قال عيسى عن نفسه ، او قال عنه تلامذته الذين نقلوا لكم دينه ، والوجه الثالث ، ان تكونوا

جعلتموه الها لعجب مولده فى كونه من غير اب ، فان قلتم لعجب مولده كونه من غير اب فليس ذلك باعجب من كون ءادم خلـق من غيـر اب ولا ام ، ولا اعجب من كون الملائكة ، وءادم ، بلا أب ولا ام ، وانتم تمنعـون من ذلـك ، فاخبرونا بالفرق بينهم وبين عيسى ، وهم فى حكمة الايحـاد اعجـب ، وان قلتم ان عيسى اله لاجل الآيات الخارقة ، التي ظهرت على يده ، فعلماؤكـم يعلمون ان اليسع النبي ، احيا ميتا بعد وفاته ، والتعريف بالمعجزات الاحياء فى البرزخ ، بعد الموت اعجب من هذا قبل الموت ، والياس النبي احيا ايضـا ميتا ، وبارك فى دقيق العجوز ودهنها ، فلم يفرغ ما فىجرابها من الدقيـق ، وما فى قارورتها من الدهن سبعة اعوام ، فاجاب الله تعالى دعاءه ، فان قلتم ان عيسى اطعم من خمسة ارغفة خمسة آلاف نسمة ، فان موسى الكليـم ، سأل الله العظيم لقومه ، فأطعمهم المرق السلوى اربعين سنة ، وعددهـم أزيد من ستمائة الف نسمة ، وان كان عيسى مشى على البحر ولم يغرق فيه، فان موسى ضرب بعصاه ، فانفلق وصار فيه طرق عبر منها جميع قومه ، واتبعهم فرعون بجنوده ففرقوا كلهم ، ثم فجر من صخرة اثنا عشر عينـا ، لكل سبط عين ، وضرب اهل مصر بعشر آيات من عجائب العذاب .

الاولـى عصاه التي القاها من يده ، فصارت ثعبانا هائلا ، وابتلعت جميع حبال السحرة .

الآيـة الثانيـة ، نتن مياههم ، وموت ما فيها من الحيوان .
الآيـة الثالثـة ، ارسال الضفادع عليهم ، حتى امتلات بها بيوتهم
الآيـة الرابعـة ، تسليط القمل على اجسامهم
الآيـة الخامسـة ، ارسال انواع الذباب عليهم
الآيـة السادسـة ، اهلاك بهائمهم
الآيـة السابعـة ، خروج القروح فى اجسامهم
الآيـة الثامنـة ، نزول البرد عليهم،حتى افسدت كرومهم واشجارهم .
الآيـة التاسعـة ، ارسال الجراد عليهم فى جميع بلادهم
الآيـة العاشـرة ، ما اغشاهم من الظلمات ثلاثة ايام بلياليها

وان قلتم ان عيسى كان الها بنفسه ، لانه صعد الى السماء ، فلذلك جعلتموه الها ، فلزمكم فى الياس وادريس ، ان تجعلوهما الهين ، لانهما صعدا الى السماء ، فلا خلاف عندكم فى ذلك ، والانجيلي صعد الى السماء بنـص التوراة ، واجماع علمائكـم فاجعلـوه الها فقد جاهرتـم بالكذب الفظيـع ، والبهتان المنيع ، وفي اناجيلكم ما يرد عليكم ، لان فى الانجيل الذي بأيديكـم انه حين صلب ، طلب الله فقال الهي لم خذلتني ؟ وتقدم له من نص الانجيل، انه قال ان الله تعالى ارسلني اليكم ، فأمر أنه بشر من الانبياء المرسلين ، وفى

اناجيلكم من البهتان شيء كثير . **وما احتججنا** بما فيهم عليكم ، الا ليظهر تناقضكم وافتضاحكم لبصائر العقلاء وبالله التوفيق .

القاعدة الرابعة : وهي الايمان بالقربان وصفته

اعلموا وفقكم الله ان دين النصارى قربانهم كفر ، وهو ان يعتقوا فطيرة خبز ، اذا قرا عليها القسيس بعض الكلمات صارت عيسى ، او على كاس من شراب خمر فانه يصير فى تلك الساعة دم عيسى ، والذي تقرر من سنتهم فى ذلك ، ان كل كنيسة فيها قسيس كبير يؤم بها ، فيجيء لكل كنيسة فى كل يوم بفطيرة صغيرة ، وزجاجة خمر ، ويقرأ عليها عند صلواته ، فيعتقد النصراني ان الفطيرة صارت عيسى ، والخمر صارت دم عيسى ، وياخذون ذلك من انجيل متى لعنه الله .

وفي الفصل العشرين ان عيسى ، جمع الحواريين يوما قبل موته ، وتناول خبزة وكسرها ، وناولهم كسرة لكل انسان ، وقال لهم كلوا هذا جسمي ، ثم ناولهم كأس خمر ، وقال لهم اشربوا هذا دمي ، فهذا قول متى فى انجيله ، ويوحنا الذي كان حاضرا لعيسى ، لما رفع لم يذكر شيئا من هذا الخبز والخمر فى انجيله ، وهذا من الاختلاف الذي يدل على كذب متى ، ونقله للمحال والبهتان ، وهم يعتقدون ان كل جزء من اجزاء فطيرة كل قسيس ، هو عيسى بجميع جسده ، فى طوله وعرضه وعمقه ، ولو بلغت الفطيرة مائة الف جزء ، لكان كل جزء منها عيسى ، فيقال لهم جسد عيسى كان طوله عشرة اشبار مثلا ، وعرضه شبران ، وعمقه شبرا ، والفطيرة التي يقرأ عليها القسيس ، ما يمكن ان تكون ثلث شبر ، فكيف من جسده ما ذكرنا فى شيء ، طوله ثلث شبر ، هذا محال فى كل عقل سليم ، وهم يجيبون عن هذا ، بان المرآة تكون قدر الدنيا ، والانسان يرى فيها اكبر الابراج والمباني العالية ، اذا قابلها بذلك وهي اكبر منها بأزيد من الف مرة ، فيقال لهم الذي يرى في المرآة ، عرض لا جوهر ، وانتم تعتقدون جوهر عيسى وعرضه جميعا في تلك الفطيرة وهذا محال ، ثم ان عيسى اجمعتم على انه صعد الى السماء ، وهو جالس فيها عن يمين الله تعالى – عن قولكم – فمن الذي انزل لكم جسده فى تلك الفطيرة التي فيها جميع جسد عيسى ، ولو انقسمت على مائة الف جزء ، فلزمكم ان يكون على مائة الف عيسى ، ثم يتضاعف ذلك بمضاعفة الفطائر وتعداد الكنائس عندكم ، فيصير عيسى اعداد لا تكاد تتناهى ، وكل من اتى الى هذا ، واعتقده بمعتقده فقد جعله الله ضحكة للعالمين ، ومسخرة للشياطين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

وصفة قربانهم بالفطيرة المذكورة ، وصلاتهم ان القسيس يامر خديمه ان يعجن من سميد صافي ويخبزها ، ثم يحملها القسيس مع زجاجة خمر الى

الكنيسة ، ويامر بضرب الناقوس ، فاذا اجتمع النصارى لصلاتهم ، ووقفوا صفوفا في الكنيسة يصب القسيس من الخمر الذي في الزجاجة شيئا في كأس من فضة ، ويجعل تلك الفطيرة في منديل نظيف ، ثم يتقدم امام الصفوف كلها ويستقبل المشرق ، وياخذ الفطيرة في يده ، ويقرأ عليها ما نصه « الهنا المسيح ليلة اخذته اليهود اخذ الخبزة بيده المباركة ، ورفع عينيه الى السماء ، الى القادر على كل شيء ، بعد التحميد الواجب ، فكسرها واطعم الحواريين كسرة ، وقال لهم كلوا هذا جسمي » وحين يتم القسيس من هذا الكلام يسجد بذاته ، لتلك الفطيرة وصفة سجدتهم هي وضع الركبتين على الارض لا غير ، متحققا انها سجدة لعيسى ، وان عيسى هو ابن الله ، ويقول في سجوده مخاطبا للفطيرة « انت عيسى اله السموات والارض ، وانت ابن الله المولود قبل العوالم كلها ، انت من اجلك تخلصنا من يد الشيطان ، فسجدت في بطن امك ، انت الذي فتحت للذين ءامنوا باب الجنة ، بعد ماغلبت الشياطين ، انت هو على يمين ابيك في السماء ، أسألك ان تغفر لي ولامتك التي خلصتها بيدك » ثم يظهر تلك الخبزة لصفوف النصارى ، فيقع جميعهم ساجدين ، ثم بعد ذلك ياخذ كأس الخمر ، ويقول : ان الهنا المسيح قبل الموت اخذ كأسا بالشراب ، واعطاه للحواريين ، وقال لهم اشربوا هذا دمي ، ثم يسجد للكأس ويديه للنصارى فيسجدون له ، ثم ياكل الفطيرة ويشرب ذلك الخمر،ويقرأ بعد ذلك ما تيسر له من الانجيل ، ثم ينهي الدعاء ويتفرقون، هذه هي صلاتهم وقربانهم لعنهم الله .

القاعدة الخامسة ، وهي الاقرار بجميع الذنوب للقسيس ، وصفة ذلك

قال المؤلف : اعلموا رحمكم الله ، ان النصارى يعتقدون انه لا يمكن دخول الجنة ، الا بعد الاقرار بالذنوب للقسيسين ، وان كل من يخفي منهم ذنبا واحدا لا ينفعه اقرار ، فهم في كل سنة عند صيامهم يذهبون الى الكنائس ، ويقرون بجميع ذنوبهم للذي يقوم بكل كنيسة ، وفي سائر اوقاتهم لا يقر احد بذنبه الا اذا مرض وخاف الموت ، فانه يبعث الى القسيس فياتي اليه ويقر له بجميع ذنوبه ، فيغفرها له ، لانهم يعتقدون ان كل ذنب يغفره القسيس فهو مغفور عند الله ، فمن اجل ذلك صار البابا الذي بمدينة رومة ، وهو خليفة عيسى بزعمهم يعطي لمن يشاء براءة بغفران الذنوب ، والتسريح من النار ، ودخول الجنة ، وياخذ على ذلك اموالا جليلة ، وكذلك يفعل كل من ينوب عنه في جميع بلدان النصارى من القسيسين ، لا يعطون البراءة بالمغفرة وايجاب الجنة ، والنجاة من النار الا بمال معتبر ، وكل من اخذ هذه البراءة يدخرها عنده الى ان يموت ، فتجعل معه في كتفه ، واعتقادهم يقينا انهم يدخلون الجنة بتلك البراءة ، وهذا من حيل القسيسين على اخذ المال ، فيقال لهم لاي شيء تصنعون هذا ، ولم يامركم به عيسى ، ولا هو منصوص

له في اناجيلكم ، ولا تجدونه في كتبكـم ، وان مريـم أم عيسـى والحواريين تلامذته ، ما اقروا بذنب قط لعيسى ، الذي زعمتم انه الله وابن الله ، وهو اقرب على قولكم لمغفرة الذنوب من جميع القسيسين ، ثم ان القسيس لا شك عندكم فى انه بشر مثلكم ، وربما تكون له ذنوب اكثر من ذنوبكم ، لا سيما في تكفيركم برايه واضلالكم ، فمن هو الذي يغفر له ذنوبه ، لانكم عمي وقسيسكم اعمى ، وستقعون فى نار جهنم مع قسيسكم ، خالدين مخلدين ، لان مغفـرة ذنوبكم مع كفركم واشراككم قطع الله رجاءكم منها بقول الله تعالى : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

الباب الرابع فى شرعهم الباطل ، واعتقادهم العاطل :

قال المؤلف : اعلموا رحمكم الله ان النصارى متمسكون بهذه الشريعة الكفرية الى اليوم ، ولم يتركها الا القليل منم ، ونقضت مرارا وبدلت براي رهبانهم وامرائهم نوابا ، وكلها كفر ينقض بعضها بعضا ، والذي الفها لهم رجل من قدمائهم يقال له « بيطر الصفا » من اهل مدينة رومة ، وهـذا نصهـا : « نومن بالله الواحد الاب ، مالك كل شيء ، صانع ما يرى وما لا يرى ، ونومن بالرب المسيح بن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها ، ولد من ابيه قبل العوالم كلها ، ليس بمصنوع اله حق من اله حق ، وهو خالق كل الـذي من اجلنـا معشر الناس ، ومن اجل اخلاصنا نزل من السمـاء ، وتجسـد من الـروح القدس ، وصار انسانا وحمل به ، وولد من مريم البتول ، فأوجع واولـم ، وطلب فى ايام قيلاطوس الملك ، وقتل ودفن ، وقام فى الثالث من بين الموتى مثل ما كتب الانبياء » كذب الكافر على الانبياء ، وحاشاهم ان يقولوا مثل هذا الكفر المحال « ثم صعد الى السماء ، وجلس عن يمين ابيه ، وهو مستعـد للمجيء تارة اخرى ، للقضاء بين الاموات والاحياء ، ونومن بالروح القـدس الذي يخرج من الاب والابن ، وبه كان يتكلم الانبياء ، والتفطيس هو غفران الذنوب ، ونومن بقيام ابداننا ، وبالحياة الدائمة ابدالا بدين ، »

وهذا الكلام كله ، لمن تأمله ينقض بعضه بعضا ، فأولـه نومن باللـه الواحد ، الاب مالك كل شيء ، صانع ما يرى وما لا يرى ، ونومـن بالـرب الواحد المسيح، اله خلق من جوهر ابيه ، ففي اول الكلام الشهادة لله الواحد ، وانه واحد ، وفيما يليه الشهادة عليه تعالى ، وان له ولدا وهو اله مثله وانه من جوهره ، وهذا غاية الشرك فى غاية الضـد والتناقض ، لوحدانية اللـه الواحد الاحد ، ثم قال فى اول كلامه « ان الله خالق كل شيء » ثم قال بعد « ونومن بالمسيح ، خالق الانبياء كلها ، الذي بيده ايقنت » واثبت ان مع الله خالق لكل شيء ، وهذا من افضح التناقض ، وكذلك قوله « ان الله صانع ما يرى وما لا يرى » فدخل فيه المسيح لانه بالضرورة مما يرى وما لا يرى ، ثم

عقب ذلك بقوله : «ان المسيح خالق كل شيء ، وانه غير مصنوع»،وهذا تناقض ورعونة لو ميزتها البهائم ، لانكرتها على النصارى ، فنعوذ بالله من الخدلان ، وقد قال هذا اللعين : « ان المسيح خالق كل شيء ، ثم قال ولد من ابيه قبل العوالم وهو بكر الخلائق كلها ، فمن خلق كل شيء قبل ميلاده وايجاده ، وكيف يكون بكر الخلائق وهو الخالق لجميعها بزعم هذا الكافر ، لان معنى بكر الخلائق اى اول ما وجد منها ، وشريعة النصارى مبنية على هذا التناقض والمحال ، لانهم متفقون على ان المسيح ازلى خالق قديم ، وانه مولود من بطن مريم ، بعد حملها به ، وهذا كله صاروا به مضحكة لجميع العقلاء ، وانظروا الى قول هذا اللعين ، ان عيسى اله خلق من جوهر ابيه ، ثم قال نزل من السماء ، فتجسد فى بطن مريم ، وهذا كذب صراح بان المسيح كان جسدا من جوهر فى السماء ، ثم نزل منها فتجسد ، وليس فى تجسد الاجسام والجواهر عجب ، وانما العجب ان يتجسد من ليس بجسد ولا جوهر ، تعالى ربنا خالق الجواهر والاعراض ، ان يكون جواهرا يتكون منه المسيح ، او انه يتجزأ اجزاء ليستقر منها بجزء من بطن مريم ، مختلطا بدمها ، وبولها وروثها ، فما اعظم جزاء هؤلاء الكفرة على الله ، وما اعظم حلم الله عليهم ، وفى نصوص كتبهم ما يبطل هذه العقيدة ، وجميع عقائدهم ، فى المسيح ، وهو ما قال لوقا ، فى الفصل الرابع عشر ، من قصص الحواريين قال : ان الله تعالى ، هو خالق العوالم بجميع ما فيها ، وهو رب السموات والارض ، لا يسكن الهياكل التي طبعتها الايدي ، ولا يحتاج الى شيء من الاشياء ، لانه هو الذي اعطى للناس الهياكل ، والنفوس ، وجميع ما هم فيه ، فوجودنا به وحاجياتنا منه ، وهذا الذي قاله لوقا ، هو الذي نزلت به كتب الله ، ونطقت به انبياؤه ، فتبين بهذا ان عقائدهم كلها كفر مفتعل ، لم ياخذوها من كتب الله ، ولا عن انبيائه ، وانما قلدوا فيها دعاوي باطلة واهواء كاذبة .

الباب الخامس ، في بيان ان عيسى ليس باله ، وانما هو بشر آدامي مخلوق ، ونبي مرسل .

قال المؤلف ، اعلموا رحمكم الله ، ان كل ما ذكره النصارى من قولهم فى المسيح ، انه هو الله ، وابن الله ، وانه خالق المخلوقات بيده ، ويبطله ما قاله الاربعة ، الذين كتبوا الاناجيل الاربعة ، **قال متى** ، في الفصل الاول من انجيله ، هذا كتاب نسبة المسيح ، وهو داوود بن ابراهيم ، وهو اقرار بان عيسى مولود تناسل من ذريته داوود النبي،وداوود من سبط يهود بن يعقوب بن اسحاق ، بن ابراهيم ، عليهم السلام ، وكل من ثبت نسله عن الادميين ، فهو بلا شك آدامي ، لان الله تعالى الازلي القديم لم يلد ولم يولد ، وكل من سواه حادث ، وقال ايضا متى ، فى الفصل الرابع ، من انجيله ، ان رجلا قال للمسيح : يا أيها الحبر ، فقال عيسى لاى شيء سميتموني حبرا ، ان الحبر

هو الله تعالى ، وهذا غاية التواضع منه ، والتادب مع ربه ، وخالقه ، وقال يوحنا فى الفصل السادس عشر من انجيله ، ان المسيح رفع عينيه الى السماء وتضرع الى الله الواحد الخالق ، وقال يجب على الناس ان يعلموا انك انت الله الواحد الخالق ، وأنت أرسلتني ، فهذا اعترافه بانه نبي مبعوث من الله ، مع ما اوحيه من توحيده ، وبهذا جاء عيسى وجميع الانبياء والمرسلين ، **فان قال قائل** من النصارى ان كان عيسى ، اعترف فى هذا الموضع بانه نبي مبعوث فقد اعترف فى موضع آخر انه ازلي ، **قلنا** فى جوابه ان هذا افتراء عليه ، وهو من اختلاف اوائلكم وقبلته جميع طوائفكم على ما فيه من التناقض ، وقال متى ، فى انجيله ، ان الشيطان دعا المسيح ، ان يسجد له وأراه ممالك الدنيا ، وزخرفها ، وقال له اسجد لي ، واجعل لك هذا كله ، فقال له المسيح ، انه مكتوب على كل بشر الا يعبد الا الله الرب ، ولا يسجد لسواه ، **فهذا** منه اقرار بانه بريء ، من الالوهية .ولو كان الها ما اجترا عليه الشيطان ، بمثل ذلك القول ، وفى جوابه اعتراف لله بانه هو الاله ، ولا يسجد احد الاله .

وهنالك احتجاج آخر على النصارى ، فى هذه المقالة التي فى اناجيلهم، وهي ان نقول لهم ان عيسى ، وغيره من الانبياء ، معصومون من الشيطان ، فى الوسوسة الباطنة الخفية ، فكيف يدعوهم الى الكفر الصريح ، الذي هو السجود له دون الله ، وهذه مجاهرة بالكذب ، ولا شك انها من اختلاق الاناجيل ، ورعونتهم فى تجويز مثل هذا على المسيح ، وقال يوحنا فى ءاخر انجيله ، ان عيسى قال للحواريين ، اني اذهب الى ابي ، وابيكم ، والهي ، والهكم ، يعني بابي وابيكم ، المالك لي ولكم ، وهو اصطلاح ذلك الزمان ، فان قالوا هذا ابوه ، من ذلك اللفظ قلنا يلزم منه ان يكون اباكم ايضا ، ولانه قال ابي وابيكم ، ثم صرح بعده بما ينفي كل شبهة بقوله ، والهي والهكم ، فلم يبق لنفسه فى دعوى الالوهية شيئا البتة ، وقال متى ، فى الفصل السابع من انجيله ان عيسى قال للحواريين ، كل من قبلكم وءاواكم ، فقد قبلني وءاواني ، ومن قبلني فقد قبل من ارسلني ، وقال يوحنا ، فى الفصل الخامس من انجيله ، ان المسيح ، قال اني ما جئت لاعمل بمشيئتي ، بل بمشيئة الذي ارسلني ، وقال ماركوس فى ءاخر انجيله ، ان عيسى ، قال وهو على شبه الصلب ــ بزعمهم ــ الهي الهي ، لم خذلتني ، وذلك ءاخر ما تكلم به فى الدنيا ، وهذا وان كان كذبا على المسيح ، وحاشاه ان يكون الله خذله ، او تمكن اليهود من صلبه ، فانما احتججنا على النصارى به ، لانهم رضوه من نصوص اناجيلهم ، وهم معتقدون به لما فيه من التصريح ، بان عيسى قال يا الهي ، فأقر بان له الها ، يدعى فى الشدائد وتبرأ من ادعاء الالوهية لنفسه ، فلزم منه تكذيب عقائد النصارى ، ضرورة لامحيد لهم عنها، وقال لوقا فى انجيله ، ان المسيح بعد ما قام من قبره ، دخل على الحواريين،

وهم مجتمعون في غرفة قد اغلقوا بابها ، فلما دخل عليهم ، ارتاعوا منه وظنوه من الارواح الروحانيين ، ليسوا بجسم ولا عظم ، مثل ما تجدون في جسدي ، فاقر انه مركب من عظم ولحم ومادة حيوانية ، وتبرأ من الألوهية، وهذا النص كالذي قبله ، فانا نكذبهم في كون عيسى قتل ودفن ، وقام من قبره بعد الدفن ، فانه من دعاوي النصارى الباطلة ، واختلاق اوائلكم الفريقة في المحال ، والكفر والضلال ، ولكن ابطلنا حجتهم في ادعائهم ان عيسى هو الله وابن الله ، تعالى ربنا وتقدس عن ذلك ، فمن قال ان المسيح مربوب الله ، وكان صبيا ينمو طولا وعرضا ، ثم بلغ أشده وبعثه رسولا ، فقد وافق قول المسيح والائمة ، ومن خالف هذا فقد خالف الحق ، واعتقد الكفر، وهو ان كان المسيح خالقا ازليا كما يعتقدون مع كونه لحما ودما ، فقد جعلوا بعض الرب المعبود ازليا خالقا ، وبعضه محدثا مخلوقا ، لان المسيح اقر انه دم ولحم ، بنص انجيلهم ، واللحم والدم ، يتولد من اغذية واشربة ، وهي من اجزاء الدنيا ، فيكون على قولهم خالق الدنيا كلها ، هو جزء من اجزائها ، وذلك الجزء هو خالق لنفسه ايضا ، ان يكون بعض الدنيا هو خالق الدنيا كلها ، وبعض الشيء لا يوجد الا بعد وجوده كله ، وما ليس بموجود ولا معقول ، فليس بشيء ، فخالق الدنيا على قولهم معدوم غير موجود ، ومجهول غير معقول ، واظن ان صاحب هذه العقيدة الذي سنها لهم ، قصد هذا التعطيل ، بعينه لانه كان من متزندقة أهل التعطيل يسخر من النصارى ، والف لهم انواعا من الضلال ، مبنية على اشنع المحال ، لاجل ما تحقق من خيانتهم ، وقبولهم لهذه المذاهب والاقوال ، ويقال لهم ايضا قد نطق الانجيل الاول بان المسيح قد قلم اظفاره ، وقص شعره ، ونما جسده طولا وعرضا، فان كان على قولهم خالقا ازليا ، وقد كانت منه هذه الاجزاء من الشعر والاظافر ، وانفصلت عن كله وصارت رميما ، وتلاشت حتى لم يبق منها شيء ، فالخالق الازلي على هذا قد فسد بعضه وتلاشى ، وبقي بعضه على حاله ، ومن فسد بعضه فالفساد واصل الى كله ، ومن كان له بعض وكل فهو محدود ومحتاج الى ما يحمله ويمده ، ومن كان بهذه الصفة وهو مفتقر ليس يغني فلا يقال له اله ، والاله هو الخالق الازلي ، الذي شهدت براهين العقول ونصوص المعقول ، بانه لا يكون جسما ولا جوهرا ولا عرضا ، وليس له كل يتجزأ ، ولا تنقص ذاته القديمة ولا يلحقها نقص ولا تغيير ولا تحول، وانه الغني على الاطلاق ، وجميع الخلق اليه فقراء ، في جميع اطوارهم واحوالهم ، وهو كما وصف نفسه الكريمة ، حيث قال : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير »

ويقال لهم ايضا ، هذا المسيح الذي تعتقدون انه الخالق الازلي ، هل كان في بلد او زمان او لا ، فلا يقدرون على انكار ذلك ، لان اناجيل متى ، ولوقا،

صرحوا بأنه ولد في بيت لحم، وفي زمن الملك ردوس، وقتل وصلب في ايام «بيلاطس البنطر» الملك ، وكان كذلك فهو مخلوق ، واذا ثبت أنه مخلـــوق ، بطلـت عقيدتهم التي فيها انه اله حق ، وانه خلق كل شيء ، ومعلوم بالقطــــع ان الزمان هو من الاشياء المخلوقة ، والزمان كان قبل ان يوجـد المسيح فـــلا شك في ذلك ولا افتراء ، فكيف يجوز ان يكون الزمان ، وجد قبــــل خالـــق الزمان ، ويكون المكان ، محيطا بالذي خلق المكان ، هذا امنع ما يتخيل فـــي الاذهان ، ومن اقبح ما يكون من المحال والبهتان ، فكل من ولد في زمــــان ، واحاط به الزمان والمكان فهو حيوان ، والمسيح كـــان من اشرف انـــواع الحيوان ، لانه انسان ، وفي كل ما اوضحته هنا فيه نقض شريعة النصارى، وابطال عقيدتهم والله المستعـــان .

الفصل السادس : في اختلاف الاربعة ، الذين كتبـــوا الاناجيــــل الاربعة ، وبيان كذبهم :

قال المؤلف اعلموا رحمكم الله ، ان الذين كتبوا الاناجيل اختلفوا فـــي اشياء كثيرة ، وذلك دليل واضح على كذبهم ، فلو كانوا على الحق ما اختلفوا في شيء قال الله تعالى في كتابه العزيز : «ولو كان من عند غير الله لوجـدوا فيه اختلافا كثيرا » فجعل عدم الاختلاف دليلا على صحته ، لان كل ما كان من عند الله ، لاتختلف معانيه ، ولا تضطرب مبانيه ، وكلما كذبه الكذابـــون عليه ، لابد ان يفضحهم بوجود الاختلاف والاضطراب ، فيما كذبوه ليميـــز الله الخبيث من الطيب ، وهو الحكيم العليم ، فمن نصوص كذب هؤلاء الذين كتبوا الاناجيل ما قاله يوحنا ، في الفصل الثالث عشر من انجيله ، ان عيسى قال للحواريين لمـــا تعشى معهم ، في الليلة التي اخذه فيها اليهود ، الحـــق يقول لكم واحد منكم يخونني ، فقال يوحنا ، يا سيدي من يكون ذلك ؟ قال عيسى الذي نعطيه الخبز مصبغـــا في المرقة ، ثم اعطاه ليهود اشكـــر بوط ، وهو الذي خانه ودل اليهود عليه ، وقال ماركوس ، في الفصل الرابع عشر من انجيله ، ان عيسى قال لهم ان الذي يضع خبزه في صحيفته ، هو الـــذي يخونني ، وقال لوقا ، في الفصل الثاني والعشرين من انجيله ، ان عيسى قال لهم الذي يخونني هو معي في التلاميذ ، وهذا الاختـــلاف بين ، لان عيسى لم يتكرر عليه هذا القول في مجالس ، حتى يزعموا انه اختلفت عباراته فيها ، وليس معنى قوله متحدا ، فيكون كل واحد من الاربعة عبر عن قوله بعبارة من عنده ، بل تخصيصه ليهود اشكر بوط ، بمناولته الخبـــز مصبغـــا في المرقة ، يقتضي تعيينه وكشف امره ، وبقية ما نقلوه ، يدل على انه ابهـــم عليه شانه ، وهذا التناقض دل على الكذب ، من جميــــع الاربعـــة الذين كتبـــوا الاناجيــــل .

ومن ذلك ما قال متى ، فى الفصل العشرين من انجيله ، ان عيسى لما خرج من بلد خان ، ناداه مكفوفان اثنان ، وقالا له يا ابن داوود ارحمنا ، وانه فتح اعينهما هنالك فصارا يبصران ، وقال ماركوس ، فى الفصل العاشر من انجيله ، ان عيسى لما خرج من البلد المذكور ، ناداه مكفوف واحد ، وان عيسى فتح عينه ، ومعلوم فى الانجيل ، ان عيسى لم يمر بتلك البلدة ، الا مرة واحدة ، لقد كذب متى ، فى كونهما مكفوفين ، او كذب ماركوس فى كونه مكفوفا واحدا ، الا ان القصة واحدة فى اقرارهما ، بان المكفوف نادى عيسى، فقال يا ابن داوود ، ونسبه الى نسل البشر من الناس مما يكذب عقائدهم فيه ما قال له : يا الهي او يا ولد الله ، او يا خالق المخلوقات ، كما زعموا فيه ، وانما قال له يا ابن داوود ، فنسبه الى نبي من الانبياء ، يشير الى نسب امه مريم ، وهو كذلك لان مريم من ذرية داوود

ومن ذلك ما قاله متى ، فى الفصل التاسع والعشرين من انجيله ، ان عيسى صلب معه لصان فكانا يشتمانه فى حالة الصلب ، وقال لوقا في الفصل الثالث والعشرين من انجيله ، ان احد اللصين هو الذي استهزأ بعيسى ، وقال له ان كنت المسيح حقا ، فخلص نفسك وخلصنا ، فزجره اللص الاخر وقال له أما تخاف ، وتعلم ان الذي اصابه قد اصابك مثله ، وانا وانت مستحقان ما فعل بنا ، وهو لا يستحق سوء ، ثم قال للمسيح ، يا سيدي اذكرني عند مجيئك من ملكوتك ، اقول حقا انك تكون فى ذلك اليوم فى جنة الفردوس ، وهذا اختلاف بين ، لان متى اوجب على اللصين كلاهما النار ، لانهما شتما المسيح ، ولوقا اوجب لاحدهما الجنة ، وقد كذبا في اصل قضية صلب المسيح ، ويوحنا الذي حضر لصلب المصلوب ، قال في انجيله ان سارقين صلبا معه ، احدهما عن يمينه ، والاخر عن شماله ، ولم يذكر انهما قالا شيئا البتة ، وهذا تمام الاختلاف

ومن ذلك ان متى ، قال فى الفصل الحادي والعشرين من انجيله ، ان المسيح كان راكبا على دابة ، وهو سائر لبيت المقدس ، مثل ما قال فيه بعض الانبياء ، ترون سلطانكم جاء على دابة ، وقال ماركوس ، فى الفصل الحادي عشر من انجيله ، ان المسيح كان راكبا على جحيش ابن دابة ، ولم يذكر الدابة انه ركبها اصلا ، وقال لوقا ، فى الفصل التاسع عشر من انجيله ، انه كان راكبا على الجحش ابن الدابة ، مثل ما قال ماركوس ، فانظروا رحمكم الله ، فى هذا الاختلاف البارز ، في قوله انه راكب على الجحيش ابن الدابة ، وصغره لصغر سنه ، وما كان كذلك كيف يركبه الانسان

ومن ذلك ما قال متى ، فى الفصل العشرين من انجيله ، ان مريم زوجة زبداي ، جاءت الى المسيح ، وقالت قل للولدين الاثنين ، يجلسان عندك في

ملكوتك ، احدهما عن يمينك ، والاخر عن يسارك ، وقال ماركوس ، فى الفصل العاشر من انجيله ، ان ولدا خالة عيسى ، وهي مريم زوجة زبداي قالا لـه يا معلـم ، نحب ان تنعم علينا بما نطلبك فيه ، فقال المسيح أي شيء تريدان، قالا له انعم علينا ان يجلس احدنا عن يمينك ، والاخر عن يسارك ، فى ملكوتك، واما لوقا ، ويوحنا ، فما ذكرا في انجيلهما شيئا من هذه القصـة ، عـن الولدين وعن امهما ، مع ان يوحنا كان ملازما للمسيح ، ولم يفارقه حتـى رفـع ، وهذا من الاختلاف ، فان متى ، قال الام طلبت ذلك ، وماركـوس ، قال الولدان ، طلبا ذلك ، وصاحبهما الاخر ، خالفهما ولم يذكر القصة اصلا، ومن اختلافهم ايضا ما قالـه متى ، فى الفصل التاسع من انجيله ، ان تلاميذ يوحنا ، قالوا للمسيح ، لاي شيء نصـوم نحـن ، ويصوم العزيريون ، وتلاميذتك لايصومون ، وقال ماركوس فى الفصل الخامس عشر من انجيله ، ان الكتاب والعزيريين ، قالوا للمسيح ، لاي شيء يصوم تلاميذ يوحنـا ، وتلاميذك ياكلون ، ويشربون ولا يصومون ، وهذا اختلاف ظاهر ، لان النص الاول فيه العزيريون يصومون ، وان السائلين هم تلاميذ يوحنـا ، والنص الثاني فيه ان العزيريين ، هم السائلون بزيادة يحيى بن زكرياء معهم ، ولـم يذكروا انفسهم فى صيام ولا افطـار

ومن ذلك ما قاله متى ، فى الفصل الثالث عشر من انجيله ، ان يوحنـا ياكل الجراد والعسل ، فخالف قوله فى الفصل الحادي عشر من انجيله ، ان عيسى قال لليهود جاءكم يوحنا لا ياكل ولا يشرب ، فقلتم انـه مجنـون ، وجاءكم ابن فيلس ، وصلى بالعنب ، معناه ابن انسان نفسه ، ياكل ويشرب ، فقلتم هذا كبير الجوف ويشرب الخمر ، وهذا اختلاف ظاهر فى كلام متى ، لانه نفى عن يوحنا الاكل والشرب ، فى احد نصيه واثبت له اكل الجـراد والعسل ، فى النص الاخر ، وغفل عن النصارى وعن صريح الحجة عليهـم ، فى قول المسيح عن نفسه انه ابن الانسان ، وانه ياكل ويشرب الماء والخمر ، وهذا الاقرار منه انه انسان ابن انسان ، يحتاج الى مدد الغذاء وقوام بنيـة جسده بالطعام والشراب ، وهذا يكذب دعواهم فيه انه الالـه وابن الالـه ، ومن صريح كذبهم على الله تعالى ورسلـه ، ما قاله يوحنا فى الفصل الخامس من انجيلـه ، ان المسيح قال لليهود ، ان الذي ارسلني هو الذي يشهد علي، ولا سمع احد صوته ولارءاه ، وهذا قريب الى الصحة من قول المسيح ، ثـم خالفـه متـى ، فى اللفظ والمعنى بالكفر الصريح ، وقال فى الفصل السابـع عشر من انجيله ، ان المسيح طلع على جبل طابور ، ومعه بـدر وحارقامـوا ويوحنا الحواريون ، فلما استقروا فوق الجبل ، واذا وجه المسيح يضـيء كانـه الشمس ، فما قدروا ينظرون اليه ، وسمعوا صوت الاب من السماء ، يقول هذا ولدي الذي اصطفيته لنفسي ، اسمعوا منه وءامنوا به ، وهكـذا

قال ماركوس ، فى الفصل التاسع من انجيله ، وقال يوحنا فى الفصل الرابع عشر من انجيله ، ان عيسى قال للحواريين ، انتم تعرفون ابي ورايتموه ، فقال له فيلبوا الحواري ، يا سيدي كيف راينا الاب ، فقال المسيح ، يافيلبوا ، لي معكم كثيرا ولا عرفتموني، ليس من رءاني فقد راى ابي، وهذا من الاختلاف الظاهر والكفر الفاحش ، اما الاختلاف بين ما قاله يوحنا عن المسيح ، ان الذي ارسله يشهد له يعني بصحة نبوته ، ورسالته ، ولا سمع احد قط صوته ولا رءاه ، وبين ما قاله يوحنا المذكور ، ان المسيح قال للحواريين انتم رايتم ابي وعرفتموني ، ليس من رءاني فقد راى ابي ، وكذلك قول متى، في قصة جبل طابور ، ان الثلاثة الذين كانوا مع عيسى سمعوا كلام الاب ، يعني رب العباد ، وانه قال لهم عن المسيح ، هذا ولدي الذي اصطفيته ، وحاشى الله ان يسمع مخلوقاته كلامه ، وتقدس عن الصاحبة والولد ، فكيف يشهد لعيسى انه ولده ، بل هذا من بهتانهم وجراتهم على الله ، فى الكذب عليه وعلى رسوله عيسى ، ومقصودهم بجميع هذه الاكاذيب تجويز عقائدهم في الوهية المسيح ، وكونه ولد الله تعالى ، لعنهم الله

الباب السابع ، فيما نسبوا الى عيسى من الكذب وهم الكاذبون

قال المؤلف اعلموا رحمكم الله ، ان عيسى قد براه الله من جميع اقوالهم واعتقادهم ، فمن ذلك ما قال لوقا فى الفصل الثاني والعشرين من انجيله ، ان عيسى قال للحواريين ، ان الشيطان اراد فساد يقينكم ، ثم قال ليتبرا منهم انا رغبت ابي ، ان لايجعل للشيطان سبيلا على فساد يقينكم ، ثم ان بدروحاء كفر بعيسى وارتد عن دينه ، بايام قليلة من اخبار عيسى ، له بان الشيطان لاسبيل له على فساد يقينه ، وان تلاميذ عيسى لم يكفر احد الا بدروحاء هذا ، فانظروا رحمكم الله ، الى تناقض هؤلاء المخاذلين ، فيما ينقلونه عن رجل اعتقدوا انه نبي معصوم ، ومع ذلك هو اله ابن اله ، فكيف يخبر عنه شخص واحد مرتين تلاميذه ، انه سال الله ان لايجعل للشيطان سبيلا على فساد يقينهم ، يقولون ان التلميذ الذي خصه الله بهذا الدعاء ، هو الذي كفر وافسد الشيطان دينه ويقينه ، من دون جميع التلاميذ ، وهل يكاد احد يجهل هذا التناقض مع الكفر ، فى جواز الكذب على الانبياء ، وهذا كله من صريح كذبهم على عيسى

ومن ذلك ما قاله يوحنا فى الفصل الخامس من انجيله ، ان عيسى قال لليهود ، حقا اقول لكم ، ان الابن لا يقدر على ان يعمل او يصنع الا مايرى اباه يصنعه ، ومن المعلوم بالقطع ان عيسى اكل وشرب وخرج منه ما ينشا عن الغذاء من الفضلة القبيحة وما راى اباه يصنع شيئا من ذلك لانه قدوس

صمد لا اله الا هو ، وعيسى لم يقل شيئا من هذا ، ولكن كذب هذا اللعين يوحنا وحده ، فان اصحابه الثلاثة لم يقولوا شيئا البتة

ومن ذلك ايضا ما قاله يوحنا فى الفصل السابع عشر من انجيله ، ان عيسى تضرع الى الله قبل موته ، وقال يا الهي انا اعلم انك دائما تستجيب لي ، فاسألك ان تنجي تلاميذي من كل شيء فى الدنيا والاخرة ، ومعلوم بتواتر النقل عند جميع علماء النصارى ، ان اكثر تلاميذ عيسى مقتول بالسيف ثم صلب بعضهم ، وسلخ جلد بعضهم ، وعذبوا بانواع العذاب ، وحاشا الله ان يسأل رسوله عيسى ، ان ينجي تلاميذه من كل سوء فى الدنيا والاخرة ، ثم ينالهم هذه المثلة وقبائح الموتات ، ويوحنا هو الذي كذب على المسيح ، واصحابه الثلاثة لم يقولوا شيئا من هذا البتة

ومن ذلك ما قال يوحنا فى الفصل الخامس عشر من انجيله ، ان عيسى قال لولا اني اتيت بما لم يات به احد من المعجزات قبلي ، ما كانت لهم ذنوب بقلة ايمانهم بي ، يعني اليهود ، وحشاه ان يقول هذا فانه يعلم بالضرورة ان موسى اتى بالمعجزات الكثيرة ، وكذلك الياس واليسع كانا قبل عيسى وكلاهما احيا الموتى ، واليسع ابرأ الابرص كما ابرأه عيسى ، فكيف يزعمون ان عيسى قال اتيت من المعجزات بما لم يات به احد من قبلي، بل كذب على الله يوحنا اللعين ، واصحابه الثلاثة لم ينقلوا شيئا من هذا

ومن ذلك ما قاله ماركوس فى الفصل العاشر من انجيله ، ان المسيح قال من ترك لوجهي دارا او جنانا او غير ذلك ، فانه ياخذ قدر ما ترك مائة مرة في الدنيا وفى الاخرة الجنة ، وقال متى فى الفصل التاسع عشر من انجيله ، انه ياخذ قدر ما ترك مائة مرة ، وله الجنة ولم يذكر الدنيا ، واما يوحنا ما ذكر شيئا من هذا ، وقال لوقا فى الفصل الثامن عشر من انجيله ، انه ياخذ اكثر ماترك ولم يذكر الجنة والا الدنيا ، وهذا كله كذب على عيسى عليه السلام ، فان خلقا كثيرا تركوا ديارا وجنات ومتاجر وغير ذلك على يد عيسى ، ولا اخذوا قدر ما تركوا مائة فى الدنيا ولا قريبا من ذلك ، فعيسى لم يقل هذا وقد كذبوا عليه لعنهم الله .

ومن ذلك ايضا ما قاله متى فى الفصل التاسع عشر من انجيله ، ان العزيريين قالوا للمسيح هل يحل للانسان ان يطلق امراته على اقل مسألة ، فقال لهم اما قرأتم فى التوراة أن الذي خلق الذكر والانثى ، قال : من اجل المراة يترك الانسان امه واباه ، ويجتمع بزوجته ويكونان لحمة واحدة ، وهذا كذب على عيسى وعلى التوراة ، فان هذا الكلام لم يقله تبارك وتعالى ، ولكن حكته الكتب النبوية عن ءادم ، لانه حين نام خلق الله زوجته حواء من ضلعه ، فلما استيقظ ورءاها ، قال من اجل هذا يترك الرجل اباه وامه ،

ويكون مع زوجته لحمة واحدة ، وحاشا عيسى ان ينسب هذا النوع الى التوراة ، وهو كان يحفظ التوراة والانجيل معا ، فلا يقول الا ما قاله الله تعالى فيهما ، وقد كذب متى عليه فى هذا القول ، واصحابه الثلاثة لم يقولوه.

ومن ذلك ما قال يوحنا فى الفصل الثالث من انجيله ، ان عيسى قال ما يصعد الى السماء الا من يهبط منها ، وهذا باطل وكذب على عيسى ، فان ادريس صعد الى السماء ، ولم يكن ليهبط منها ، فى الارض خلق وعاش الى وقت صعوده ، وفي الانجيل ان عيسى صعد الى السماء ولم يكن هبط منها ، فتبين كذب يوحنا فى هذا على عيسى ، واصحابه الثلاثة لم ينقلوه .

فان قال قائل من النصارى ان عيسى قال هذا ، وما عنى به الا الارواح، قيل له هذا مخالف للتوراة والانجيل ، فان فيهما ان الانبياء الذين صعدوا الى السماء ، صعدوا باجسامهم مع ارواحهم ، مثل ما صعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فان قالوا عيسى قال ذلك وعنى به ارواح البشر التي ماتت اجسادها ، فعند الموت تصعد بها الملائكة الى السماء

قلنا هذا احتمال يسقط معه الدليل ، والاصل العموم والحقيقة حتى يثبت خلافهما ، والكفار لاتصعد ارواحهم الى السماء ، بل تذهب الى سجين ، فبطل ما قالوا وتبين كذبهم على عيسى

ومن ذلك ما قاله متى فى الفصل الحادي والعشرين من انجيله ، ان عيسى اخذه الجوع وهو يمشي الى الحواريين ، فراى شجرة تين قرب محجة الطريق ، فقصدها لياكل منها فما وجد فيها ثمرة ، فدعا عليها فيبست من ساعتها ، ونقل ماركوس فى الفصل الحادي عشر من انجيله ، هذا وزاد فيه انه لم يكن فصل التين ، فانظروا رحمكم الله ، ما نسبوا الى نبي الله ، انه يلتمس التين فى اشجار الناس فى غير فصله ، وهذا لا يفعله الصبيان والمجانين ، ثم قالوا دعا عليها فيبست ، وليس عليها ذنب تستحق به العقوبة ، ولا يخلو ان تكون ملكا لمالك او مباحة لكل من مر بها ، فان كانت ملكا لمالك ، فان عيسى على زهده وورعه لايقدم على طلب الاكل منها ، بغير اذن مالكها ، لان الشرائع متفقة على منع ذلك ، وان كانت مباحة لجميع الناس ، فما سبب دعائه عليها حتى يبست ، لانه وجميع الانبياء خلقهم الله رحمة للخلق ، ومقيمين لمصالحهم لا لعكسها ، فتبين بذلك كذب متى وماركوس ، فيما نسبا اليه فى هذه القصة ، وبالله التوفيق.

قال المؤلف اعلموا وفقكم الله ، ان الصالحين من المسلمين يتزوجون بخلاف الرهبانية من النصارى ، فيعيبونهم بذلك ويقولون اي صلاح فيمن يسعى فى لذات الدنيا ، ونعيمها من اللباس والنكاح والمال ، وغير ذلك من نفائسها ، فيقال لهم انكم متفقون فى دينكم ، ان داود عليه السلام كان نبيا ملكا ، ومنزلة النبي اعلا من رتبة الولي بالاجماع منا ومنكم ، وفى التوراة ان داود تزوج مائة امراة ، وولد له منهن أزيد من خمسين ولدا ذكورا واناثا ، وسليمان عليه السلام تزوج الف امراة كما ثبت فى التوراة ، وانتم تعتقدون ان التوراة حق نزلت من عند الله ، وكذلك جميع الانبياء تزوجوا وولد لهم الاولاد ، غير عيسى ويحيى بن زكرياء ، وفى التوراة يحل للرجل ان يتزوج من النساء ، قدر مايقدر عليه من نفقتهن ، وانتم يا معشر النصارى لم تدينوا فى الزواج بما شرعه الله تعالى فى التوراة ، ولا فى الانجيل ، وانما تمسكتم فى ذلك بقول باولوس ، الذي زعم كفار لاوائلكم انه بمنزلة نبي ، وباولوس هو الذي امركم ان لا يتزوج الرجل غير امراة واحدة ، فاذا ماتت عوضها باخرى ، وامركم ان يتزوج القسيس امراة واحدة ، بكرا لا ثيبا ، فاذا ماتت حرم عليه التزويج ، وقد تبين ان دينكم فى التزويج خالفتم فيه الانبياء ، وخالفتم باولوس فى التزويج للقسيس بالابكار ، فحرمتم على جميع القسس ان يتزوجوا ، وصار سفهاؤكم وجهالكم يعتقدون فى ذلك انكم على هدى ، ويعيبون على اولياء المسلمين ما لم يفعلوه فى التزويج ، فاما علماؤكم فيعلمون ان ذلك حلال منصوص فى الكتب النبوية ، واهل الاسلام من الله عليهم بالحنيفية السمحاء ، التي لا مشقة عليهم فيها ، وقال لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم لا رهبانية فى الاسلام ، وقال لهم تناحكوا تناسلوا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة ، فهم فى التناكح والتناسل مثابون لاجل امتثالهم في ذلك امر نبيهم

رد الامور التى عابها النصارى على المسلمين

ومما يعيبه النصارى على المسلمين الاختتان ، وانهم يبدلون خلقة الله التي خلقهم عليها ، فيقال لهم ان عندكم فى الانجيل ان عيسى كان مختونا ، ويوم ختانه عندكم من اكبر الاعياد ، فكيف تنكرون على المسلمين ما انتم تعظمونه من امر نبيكم ، ثم انكم تعتقدون ان ابراهيم عليه السلام ، وجميع الانبياء كانوا مختونين ، وان الله تعالى امرهم بالاختتان ، كما هو فى التوراة ، فالعيب عندكم وفيكم والملام عليكم ، لانكم تركتم سنة نبيكم في

الختان ، وخالفتم فيه جميع الانبياء ، ثم تعيبونه وكل من عاب افعال الانبياء فيما قد شرعوا فقد كفر بالله وانبيائه

ومما يعيبون ايضا على المسلمين ، اعتقاد ان اهل الجنة ياكلون ويشربون ، فيقال لهم كيف تنكرون ذلك ، وقد قال متى فى الفصل السادس والعشرين من انجيله ، ان عيسى قال للحواريين ، وهو يتعشى معهم في الليلة التي اخذه فيها اليهود ، بزعمهم اني ما بقيت اشرب شرابا بعد هذا الا فى الجنة ، وقال ماركوس فى الفصل الرابع عشر من انجيله ، ان عيسى قال للحواريين ، الحق يقول لكن انكم تاكلون وتشربون على طبلة فى الجنة ، وقد علم علماء النصارى ان ءادم عليه السلام ، اكل من الشجرة فى الجنة هو وزوجته حواء ، وكان ذلك سبب هبوطهما الى الارض وهذا منصوص فى التوراة والانجيل ، فكيف ينكر جهالهم ان لا يكون فى الجنة الاكل والشرب ، وهم معولون فى هذا ، على ان كل من اكل وشرب لابد له ان يبول ويتغوط ، والجنة مطهرة من ذلك ، وما علموا ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، الحكيم الاكبر ، اخبرنا ان ما ياكلون اهل الجنة ويشربون ، يخرج عليهم رشخا ، اي عرقا رائحته كرائحة المسك ، وانهم لايبصقون بها ، ولا يتمخطون ولا يبولون ولا يتغوطون ، واجمعت الكتب والرسل على ان في الجنة من انواع الفواكه ، ولحوم الطير وغيرها ، مما تشتهيه الانفس ، وتلذ الاعين ، وكل من دخلها وحرم من هذه فيها ، معذب نكد العيش نعوذ بالله من اعتقاد ذلك ، لان اعتقاده يؤدي الى ما تقوله الملحدة ، من ان نعيم الناس بعد الموت انما هو بالارواح لا بالاجساد ، لانهم ينكرون بعث الاجساد ، والنصارى ان لم يصرحوا بهذا ، الزمهم به فى ان الروح هي التي تتنعم فى الجنة ، وان الاجساد لا نعيم لها بالغذاء ، الذي جعله الله قوام بنيتها ، وهذا خلاف المعقول والمنقول ايضا

ومما ينكرونه ايضا على المسلمين ، قولهم فى الجنة قصور ويواقيت وغير ذلك ، فيقال لهم ان عندكم فى الكتاب المسمى بنور القسيس فى قصة لجوان الانجليزي ، أنه مر يوما بشابين عليهما ثياب من حرير ، ومعهما خدام وموكب كبير ، فذكرهما بالنار وهددهما بها ، حتى تركا ما عليهما وتبعا جوان المذكور ، وتصدقا بما لهما على خدامهما ، فلما كان بعد مدة مر خدامهما عليهما فى موكب عظيم ، ومراكب وخدام ، وحزنا وندما ، على ما فاتهما من الدنيا ، واشتد ذلك عليهما ، ففهم ذلك جوان ، وقال لهما : اندمتما وحزنتما على ما فاتكما ، فقالا نعم ما وجدنا عن ذلك صبرا ، قال فاذهبا فاتياني بحجارة من الوادي ، فأتياه بها فأدخلها تحت ثوبه واخرجها كلها يواقيت نفيسة ، واحجارا ثمينة ، وقال لهما اذهبا بها الى السوق ، فبيعاها واشتريا بأثمانها اكثر مما كان لكما ، ولكن لا نصيب لكما فى الجنة ، وما فيها من

اليواقيت وغيرها ، فانكما بعتما نصيبكما منها بهذا العاجل الفاني ، فبينما هم فى ذلك ، اذ بقوم اتوا بميت وطلبوا من جوان المذكور ، ان يحييه لهم فقال له قم يا هذا الميت باذن الله تعالى فقام الميت ، فقال له جوان اخبر هذين بما فاتهما من نعيم الجنة ، فقال لهما ذلك الذي احياه جوان ، قد كانت لكما في الجنة قصور مبنية بالذهب والفضة ، والياقوت على كل لون ، طول كل قصر منها كذا وكذا ، فلما سمعا الشابان هذا تركا كل شيء عندهما ، وتبعا جوان على دين عيسى حتى اتاهما اليقين .

وعندكم ايضا فى الكتاب المذكور ، ان فلاديان ، وهو عندكم من القسس الصالحين الكبار ، كانت الملائكة تاتيه كل يوم بطعام من الجنة ، فى أطباق الذهب وعليها مناديل الحرير ، وفوقها نوار مختلف الالوان ، فكيف تنكرون ان يكون فى الجنة آلات الذهب والياقوت ، وثياب الحرير والنواوير ، والطعام الماكول والفواكه ، وهذه القصة حجة عليكم سوى ما فصلت الكتب النبوية من ذلك ، واتفق على صحته جميع العقلاء ، ولكنكم قوم جاهلون ، وتجهلون انكم جاهلون

وفى الكتاب المذكور ايضا قصة شنتتون ، ان الملائكة كانت تاتيه كل يوم بقدر ما يقوم به من الفذاء ، بكرة وعشية من طعام اهل الجنة ، المختلف الالوان ، وانه اتاه يوما رجل صالح ، قدسي كبير يعرف بتاولو العبد ، فأتته الملائكة فى ذلك اليوم باضعاف ما كانت تأتيه به كل يوم ، من طعام الجنة في أواني الذهب ، عليها مناديل حرير ، وفى كتبهم من هذا كثير تركته خوف التطويل ، ولا ينكر ما نكروه من هذا الا الحمقاء المجانين ، ومما يعيبونه ايضا على المسلمين ، تسميتهم باسماء الانبياء ، تبركا بذلك وهم من جنس ءادم ، فيقال لهم وكيف لا تنكرون على انفسكم التسمية باسماء الملائكة ، فتسمون جبريل ، وميكائل ، واسرافيل ، وعزرائيل ، وهم فى السموات وليسوا من البشر ، فلا جواب لهم عن هذا ، الا العجز قبحهم الله انى يوفكون

الباب التاسع : فى ثبوت رسالة مولانا محمد ، بنص التوراة والانجيل ، والزبور ، وبشارة الانبياء ببعثه ورسالته ، وبقاء ملته الى آخر الدهر عليه صلوات الله ، وسلامه عليهم أجمعين

قال المؤلف اعلموا رحمكم الله ، ان نبوءته ثابتة فى كل كتاب انزله الله تعالى ، وجميع الانبياء بشروا به .

فمن ذلك ما فى الفصل السادس عشر ، من الكتاب الاول من التوراة ، فان التوراة خمس كتب واجتمعت فى سفر واحد ، وذلك ان هاجر لما هربت سارة زوجة ابراهيم الخليل ، رءاها فى تلك الليلة ملكا من الملائكة ، فقال لها يا هاجر ما تريدين ، أين اقبلت ، قالت : هربت من سارة ، قال : «ارجعي لها ، واخضعي لها ، فان الله سيكثر زرعك وذريتك ، وعن قريب تحملين وتلدين ،

ولدا اسمه اسماعيل ، من اجل خشوعك ، ويكون ولدك عين الناس ، وتكون يده فوق الجميع ، ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع ، ويكون امره في معظم الدنيا » نص التوراة ، ومعلوم ان اسماعيل واولاد صلبه ، لم يكونوا متصرفين في معظم الدنيا ، وانما الاشارة بذلك الى اعظم ذريته ، وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لان دينه دين الاسلام علا اهل الارض كلهم ، وتصرفت امته في مشارق الارض ومغاربها ، وهذا تعرفه علماء اليهود وحماة دينهم ، ولكنهم يكتمونه على عوامهم ، لما أوجب الله عليهم من اللعنة والخذلان

ومن ذلك ما في الفصل الثامن عشر من التوراة ، ان الله تعالى قال لموسى ، قل لبني اسرائيل ، اني اقيم لهم في ءاخر الزمان ، ملكا نبيا من بني اخوتهم ، ومن لم يسمع كلمتي التي يؤديها عني انتقم منه ، وهذا النص يدل على ان هذا النبي الذي يقيمه لبني اسرائيل ، في ءخر الزمان ليس من نسلهم ، ولكن من بني اخوتهم ، وكل نبي بعث من بعد موسى ، كان من بني اسرائيل ، وءخرهم عيسى ، فلم يبق ان يكون من بني اخوتهم الانبياء ، محمد صلى الله عليه وسلم ، لانه ولد من ولد اسماعيل ، اخى اسحاق بن ابراهيم ، عليهم السلام ، وإسحاق جد بني اسرائيل ، فهذه هي الاخوة التي ذكرت في التوراة ، ولو كانت هذه البشارة بنبي من بني اسرائيل ، لم يكن يذكر من بني اخوتهم ، واليهود اجمعوا على ان الانبياء ، الذين كانوا في بني اسرائيل بعد موسى ، لم يكن فيهم مثله ، والمراد بالمثلية هنا ان ياتي بشرع خاص به تتبعه الامم بعده ، وهذه صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء بشريعة ناسخة لجميع الشرائع تبعته عليها الامم ، فهو كموسى من هذه الحيثية ، وهو افضل منه ، ومن جميع الانبياء باجماع امته .

ومن ذلك ما في الفصل الثالث والثلاثين من التوراة ، ان الرب تعالى شأنه جاء من طور سيناء وطلع الينا من شاغر ، وظهر من جبال فأران ، يعني مكة ، وارض الحجاز ، وتخومه ، وفاران يسمى القطر كله باسمه ، وفي التوراة جاء الله تعالى من طور سيناء اعجبه ظهور دينه وتوحيده ، بما اوحاه الى موسى من طور سيناء ، وطلع من شاغز ، يعني جبلا بالشام به كان ظهور دين عيسى، بما اوحاه الله اليه ، وظهر من جبال فاران ، يريد ما اظهره وكمله من دين الاسلام بمكة وبالحجاز ، على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، بما اوحاه الله اليه ، وقوله أن رايات القدسين معه وعن يمينه ، فالقدسيون هم الرجال الاولياء الصالحون ، والمراد بهم هنا هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لانهم هم الذين كانوا معه وعن يمينه ولم يفارقوه قط .

ومن ذلك ما اتفق عليه الاربعة ، الذين كتبوا الاناجيل الاربعة ، ان عيسى قال للحواريين حين رفع ، الى اني ادخلها الى ابي وابيكم ، والهي والهكم ، وأبشركم بنبي ياتي من بعدي اسمه بارقليط ، وهذا الاسم هو

بالقلم اليوناني ، وتفسيره بالعربي احمد ، وهو فى الانجيل باللفظين «براكلشنيط» ، وفى الزبور ما نصه « تقلد أيها الجبار السيف ، فان قاموسك وشرائعك مقرونة بيمينك ، وسهامك مسنونة ، والاسم يخرون تحتك ، وفيه ايضا يقول لداود ، سيولد لك ولد تدعى له ابا ، ويدعى لي ابنا ، فقال داود اللهم ابعث جاعل السنة كي يعلم الناس انه بشر ، فولد من نسل داود عيسى ، لانه من احفاده ، فاعتبر كيف دعا داود الله تعالى ، حين افزعه ما اخبره به الله ، من شأن ولده عيسى ، ان يبعث الله جاعل السنة وكاشف الغمة ، وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عليهم اجمعين ، ليعلم الناس ان عيسى بشر وليس باله ، وكذا قال المسيح فى الانجيل ، الذي بيد الكفره اليوم ، اللهم ابعث البار قليط ، ليعلم الناس ان ابن الانسان بشر ، وقال ايضا فى الانجيل ، الذي بأيديهم عن يوحنا الباقليط « لا يجيئكم ما لم اذهب ، فاذا جاء وبه العالم على الخطيئة ، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئا ، ولكنه مما يسمع يكلمكم ويسر لكم بالحق ، ويخبركم بالحوادث والفيوب ، الى ان قال عنه سيعصمني ، ثم تمادى على وصفه بكلام بين ، ثم قال هو يشهد لي كما شهدت له ، وانا اجيئكم بالامثال وياتيكم بالتاويل ، وفى الانجيل ايضا فلو قد جاء المنجمنا ، وهو الذي يرسله الله اليكم من عند الرب ، روح القسط وهو شهيد علي وانتم ايضا ، لكنكم قديما كنتم معي ، هذا قولي لكم ، لكيلا تشكوا اذا جاء ، والمنجمنا بالسريانية ، هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالرومية البار قليط ، الى غير ذلك من نصوص الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام ، قال المؤلف ، وهذا الاسم هو الذي كان سبب اسلامي ولله الحمد ، وقال يوحنا فى الفصل الخامس : قال البار قليط : هو محمد رسول الله ، وهو الذي علم الناس كل شيء من القرءان العظيم ، الذي فيه علوم الاولين والاخرين ، قال تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » ، ولم يظهر بعد المسيح نبي مرسل ، الا هو ، فهو المراد بهذه البشارة الجليلة ، وان ارغمت بها انوف خنازير النصارى لعنهم الله

ومن ذلك ما قال يوحنا فى الفصل الخامس عشر من انجيله ، ان المسيح قال البار قليط الذي يرسله ابى من بعدي ، ما يقول من تلقاء نفسه شيئا ، ولكن يناجيكم بالحق كله ، ويخبركم بالحوادث والفيوب ، وهذه صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، بالاخبار المؤيدة بحيث لا ينكرها الا مخذول ، وطرود من رحمة الله ، فاما كونه لا ينطق عن الهوى وما يقول الا بوحى ، فهذا مما يشهد الله به ، ولا خلاف فيه بين امته ، واما اخباره بالحوادث والفيوب، فباب واسع وبحر لا يحاط بساحله ، وجمعت فيه كتب ويكفي فيه ما قاله حجة الاسلام ، ابو الفضل عياض فى شفاه وفيه مقنع ، واما ثبوت نبوءته صلى الله عليه وسلم ، ففي كتب المتقدمين ما اغنى عن اعادته هنا لطوله .

ومن ذلك ما قاله داود عليه السلام ، فى الزبور فى الفصل الثاني والتسعين ، انه « يملك من البحر الى البحر ، ومن لمد الانهار الى قطع الفرات من الارض ، وياتيه ملك اليمن ، « والجزرات » بالهدايا ، وتسجد له الملوك ، وتدين له بالطاعة والانقياد ، ويصلي عليه فى كل وقت ، ويبارك له فى كل يوم ، وتنور انواره من المدينة ، مثل عشب الارض ، ويدوم ذكره الى الابد ، واسمه موجود قبل الشمس» ، وهذه صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، والوجود يشهد له ولم يدعها مدع لغيره من الانبياء ، ثم لا اعلم احدا من الانبياء ، بعد داود ، نسبت اليه هذه الصفات ، الا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلماء اليهود والنصارى يعلمون انها صفاته الذاتية له ، ولكنهم يتكاتمونها لشقواتهم لعنهم الله .

ومن ذلك ما قاله النبي ابقون ، فى الفصل الثالث من كتابه ، وفى ءخر الزمان ، يجيء الرب من القبلة ، والقدس من جبال فاران ، ويوحي الرب تبارك وتعالى وحيد ، والقدس هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

وقد ذكر مثل هذا ، اذا الشيء بالشيء يذكر ، التوزرتي ، قال قدم بعض الفقهاء ممن قدم لتوزر من مصر ، قال حضرت سماعا بمصر ، وحضره والي البلد ، واميرها ، وكان مع الامير نصراني يخدمه ، فقال له النصراني ، يا مولاي اريد ان اناظر رجلا من اعيان هؤلاء الفقهاء ، واعلمهم فى هذا الموكب العظيم ، فان غلبني اعطيته ثلاث مائة دينار ، وان غلبته اعطاني مثل ذلك ، والتزم انا وهو ان غلبني دخلت فى دينه ، وان غلبته دخل فى ديني ، فذكر الوالي ذلك لمن حضر ، فخرج له رجل من الفقهاء وقال اناظرك فيما تريد ، فقل ما تشاء ، فقال له النصراني انكم تقولون ان خزائن الله لا تنفد ابدا ، فأريد منك ان تذكر لي مثالا ، يقرب لي به الفهم والمثال ، وتزيل به عني الاشكال ، وندركه بحسي ، فقال له الفقيه نعم ، هذه المسألة الصبيان يغلبون بها عندنا ، وقام الى وسط المسجد واوقد شمعة بين يدي الوالي ثم قال : ناد ايها الامير على من فى هذه المدينة كل يوقد شمعته من هذه الشمعة وان لم يكفيهم فأنا اغرم لهم ، وكذلك خزائن الملك تكفي جميع الخلائق ، ولا ينقص منها شيء وخزائن الله كل الخلائق تأخذ منها ولا ينقصها .

قال النصراني وقولكم فى الجنة ، شجرة تظل اهل الجنة كلهم ، وما في الجنة بيت الا دخله غصن منها ، فأريد ان تريني مثالا فى هذا المعنى ، كيف يكون ، قال نعم الم تر الشمس اذا طلعت وعلت ، تدور على الارض كلها ، ولا يبقى بيت ولا محل الا وتدخله ، فقال النصراني انكم تقولون ان اهل الجنة ياكلون ويشربون ، ويتغوطون ، فأرني مثالا من ذلك فى عالمنا ، فقال الفقيه نعم ، الم تر الجنين فى بطن امه ياكل ويشرب ، ولا يتغوط ولا يبول ، ثم قال

له الفقيه يا ايها النصراني انكم تقولون ان الجنة لكم ، واذا كان كذلك فهي داركم ، وكل من له دار فهو عارف بأوصافها ، فأريد ان تعرفني بما هو مكتوب على باب الجنة ، ، قال فسكت النصراني وانقطع ولم يجد جوابا ، فلما انقطع قال له اما عليها مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ، وطالبه بالدخول في دين الاسلام ، فلم يزل يرغب حتى افتدى بمال كثير .

قلت وان مثل هذا لا يستغرب ببلاد المشرق ، وبلاد الترك ، فانه كثير ، فمن ذلك اني لما كنت بالاسكندرية ، وكنت اجتمع بعالمها الشيخ محمد المسيري ، واليه المرجع فى امور البلد ، وله اليد الطولى مع الحكام والمنزلة العليا عند الامراء ، يرجعون الى رايه ومشورته فى العوارض الدينية ، وشاركهم فى الدنيوية ، لصلابته فى قول الحق وعدم المبالات بهم ، وكنت احدثه يوما بحكاية الشيخ ابراهيم الدمياطي ، المتقدم الذكر لما اسر ودخلوا به لمالطة ، وانزله طاغيتها عند راهبها بالكنيسة ، فوجده ينظر فى دفاتر من كتب التفسير ، واخبره انه كان قاضيا بالقدس حسبما سبق ، فضحك الشيخ محمد المسيري ، وقال لي فى هذه الليلة ، اوجه لك من يخبرك باعظم من هذا واكثر ، فلا تستبعده ، وقد جعلكم الله فى سعة من اطراف الارض وقفرها ، واراحكم من مشاهدة عجائبها وحوادثها ، فاذا ورد عليك الرجل فدعه على حاله ، ولا تعارضه فيما يحدثك به ، فانه يشفي غليلك ويبري عليلك ، فانه راس فى كل دين من الاديان ، وانه مسلم الان فى ليلتك ، ولا تسال عما بعدها وانفصلنا على هذا ، ولما صلينا العشاء ، طرق باب البيت صاحب الشيخ المسيري ، واتى بالشيخ يحيى المقدسي ، فسلم علي وقال صاحب المسيري ، ان افاندينا يسلم عليك ويقول لك ان الشيخ يحيى اتى لزيارتك والتبرك بك ، ولمس يد لمست يد القطب ، مولاي محمد ملك المغرب ، فأمده بالدعاء لقصده ونيته وتوجه الرسول ، ودخل الشيخ يحيى للبيت ، وابتدا يحدثني بلطف عبارة عن رحلته للحرمين ، الى ان حضر العشاء فامتنع سن الاكل ، وقال ما اتيت حتى اكلت ، فاستشعرت من عدم اكله طعامنا الذي هو الكسكس ، ما اشار لي به الشيخ المسيري ، ولما فرغنا من الاكل ابتدات سؤاله عن بلده ، ومنشأه ورحلته ، فاستمر يحدثني عن القسس والرهبان ، الى ان تولى القضاء بجزيرة كندية على نصارى ، وكان ياتيه بعض أحبار يهودها ويحاورونهشارحين له دينهم ويقرئونه توراتهم الى ان عرفه ومهر فيه ، ثم لما عرف اعيان القسس من نصارى كندية انه مشتغل بتعاطي دين اليهودية ، ومشتغل بدرسه مع احبارهم ، قدموا عليه ، ونقموا عليه ، مخالطته لليهود ، وعزلوه بعد عشرة اعوام من قضائه ، فغضب لما وقع به من العزل ، وهاجر من بلادهم ، لبيت المقدس ، ودخل فى دين اليهودية ، واجتهد فى اتقانه وضبط أصوله وفروعه ، الى ان بلغ منصب القضاء ، فنصب للقضاء ، على

اهل ذمة مدينة القدس الشريف سبعة اعوام ، وكان فى تلك المدة يتعاطى مطالعة كتب المسلمين ، ومخالطة طلبتهم والمذاكرة معهم ، والمتاجرة بنسخ كتبهم اصولها وفروعها ، فنقم اليهود عليه ذلك ، واجتمعوا لعزله فعزلوه ، وغضب للعزل وهاجر من القدس لارض الروم، فأسلم ، وتردد بين الاسطنبول، وادرنة وبرصة ، فى ملازمة العلم الى ان بلغ منصب القضاء ، فتقضى بانقرة ، مدينة صفيرة ، ثم بايجة ، ثم باسطنكولى ، ثم بصاقص ، ثم بازمير ، فى السنة الخامسة ، ثم ارتحل للحجاز ، فحج وزار ، ورجع لمصر فاشتغل بالتدريس بالازهر مدة اعوام ، وتشوق لقضاء الشافعية ، فنازعه عليه من له اصالة فى الشرق والجاه ، ووشى به لامير مصر ابراهيم باى ، فنفاه للاسكندرية ، ورتب له قرشا فى اليوم ، فغضب لما وقع له من النفي ، وترك التدريس ، واشتغل بالطعن على الامراء ، والحكام والقضاة ، وسبهم جهارا ، ولعله ارتد خفية ، ولا زال يصلي ويصوم وعلم الباطن عند الله

واقمت بالاسكندية شهرين ، وكان ياتيني كل يوم جمعة ، ويبيت عندي فأسهر معه طول ليلتي على حديثه ، وقلت له ليلة : سألتك بحقي عليك ومحبتي فيك ، الا ما صدقتني فيما انت عليه اليوم ، لانك عرفت الاديان الثلاثة الحنفية ، والنصرانية ، واليهودية ، فأيهما استحسنت ، وان كنت الان على خير الاديان ، الذي هو الاسلام ، فقال والله اقول لك الحق ، اني على دين الاسلام ، الذي هو افضل الاديان على ضيقه ، فقلت له ، وما وجب ضيقه، فقال لي لا تعجل ، فاني ابين لك كل الاديان ، والفرق بينهما بما هو الحق . اعلم ان هذا الدين المحمدي ، الذي وصفوه بالضيق محصور فى الكتاب والسنة، ولا تدخله قوانين ولا عوائد فضاق من ذلك ، ودين اليهودية اوسع منه بما وقع فيه من التبديل فى التوراة ، والتحريف فى احكامها ، ولم يبق محصورا على ما انزل على موسى عليه السلام ، فتوسع شيئا ما ، ودين النصرانية اوسع منه بكثير ، فقلت له : وما سبب سعته ، اليس هو ما انزل الله على عيسى عليه السلام فى الانجيل ، قال لا ان انجيل عيسى بدل وغير ، وصار على اربعة اناجيل ، كتبها اربعة من رهبان النصارى وهم : لوقا ، ومتى ، وماركوس ، ويوحنا ، بعد رفع عيسى الى السماء ، وكل واحد منهم كتب برايه ، ونقله عن غيره ونسبوه الى المسيح ، وكثر اختلافهم فى اناجيلهم ، فجاء من بعدهم ونظروا فى ذلك ووضعوا كتبهم ، فيها وما وافق اناجيل الاربعة ، وفيها ما خالفهم ، ثم اتى من بعدهم كذلك فخالفوا الاولين والاخرين، فلما وقع هذا الاختلاف ، وكثر وفسدت احكام الانجيل ، بل بطلت دخل هذا الدين المسيحي الملوك الذين غلبوا على الروم ، وجمعوا القسس والشمامسة من كل اقليم ، واجتمعوا برومة عند البابا الاعظم ، ونظروا فى كتبهم الاولين والاخرين ، وابطلوا ما ابطلوا ، واثبتوا ما اثبتوا ، وقرروا قوانينهم وكتبوا بها

للافاق ، واستمر هذا الحيف على قوانين هذا الدين المسيحي ، فى كل عصر وفى أيام كل زمن غلب الان ، فبسبب ذلك توسع ، اذ لا حرج فيه لاحد كغيره، ففهمت من هذه المقالة ان الرجل على نصرانيته ، فقلت له بين لي احدى المسائل الواسعة فى دين النصرانية الضيقة فى دين الاسلام ، فقال شيء كثير لكني اذكر لك واحدة ولا تكلفني غيرها ، فاني لا احب ان اقبح مسألة من الدين ، فقلت نعم ، فقال ان الذي اتفق عليه اهل الملل والاديان ، والعقلاء والنبلاء ، وأهل الرأي والقياس ، ان البول والعرق ، والمخاط والبصاق ، كلها طاهرة ، وحكمها واحد ، فما الفرق بين الدمع ، والعرق ، والبول ، فكله رشح من دلة واحدة ، فقال الغائط استحال لفساد ، وخدم وطحن بالاضراس، ونزل الى المعدة فطحن بها ، وخمر وخرج طيبه عرقا ، واستحال فاسده دما، وخرج خبيثه خرءا ، فمن ذلك تنجس ، والبول شرب ماء وخرج بعضه عرقا، وبعضه بولا ، فلا فرق بينهما ، لكن لما نجسه الشارع نجس عند المسلمين ، وطهر عند جميع أهل الملل ، ولهذا ذكرت لك الضيق والا فانه الدين الحق الناسخ للاديان كلها ، ومن تلك الليلة هجرني يحيى افاندي ، ولم يعد الي .

ولما اجتمعت بالشيخ محمد المسيري سألته عنه ، فقال لي مدة لم أره، فأخبرته ، فقال والله انك لاجرا من خاصر الاسد ، حيث بلغت معه هذا المبلغ ، ودخلت معه هذا المدخل ، فانه لا زال على نصرانيته على ما ظهر لي ، وقط ما ذكرت له ما يوذن بمثل هذا ، نسأل الله ان يلهمنا رشدنا

قلت وقد وقفت على جواب الشيخ سيدي محمد بن سعيد السوسي. لمعاصره سيدي محمد بن عطية السلوي ، فى تفسير قوله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل ءادم » ، وذكر الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم ، كنت نبيا وءادم بين الماء والطين ، وقال اذا كان نبيا وءادم بين الماء والطين، معدوما فلا بد ان يكون رسولا وءادم موجود امكن واجوز ، وذلك ان الله تعالى، امر جبريل ان يمسك بعضد ءادم ، وهزه فسقطت من صدره صور ذريته كلها ، حتى عيسى بن مريم ، لانه من ذريته ، فتأمل قوله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل ءادم » ، باعتبار الابداع والاختراع ، والانشاء والابداع، من غير مثال سبق ولا أب تقدم ، فكما انه انشأ ءادم من التراب ، كذلك انشأ عيسى من مريم ، ، ولما كان ءادم صورة من تراب ، له طين كطين الفخار ، وكان المراد قلب تلك الصورة من الجمادية ، الى الحيوانية ، جعله منفخوخا فيه ، فقال : « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي » ، فكان عيسى مغيبا في بطن مريم ، لا يدري أي جزء خلق منه فيها ، وليس صورة الا صورة مريم جعلها هي المنفوخ فيها ، فقال : « فنفخنا فيها من روحنا » ، وهذا سر زيادة قوله ، ثم قال له كن فيكون ، قال لصورة ءادم كوني حيوانا ذا روح فكانت ، وقال الحقيقة عيسى كوني صورة حيوان ذي روح فكانت ، فالاشارة عائدة

على كل من ذكر في هذه السورة من الانبياء ، ومن جملتهم عيسى بن مريم ، وانه قال تعالى : « واذكر في الكتاب مريم الى ءاخر السورة » ، وهـذا نص ساطع ، وبرهان قاطع ، على ان عيسى بن مريم ، من ذرية ءادم خلافا للكفار.

وأما ءاراء العرب في الجاهلية فانها مختلفة ، ومحصلهـا ما في الملـل والنحل ، للشهرستاني ، ان منهم معطلة ، ومنهم محصلة نوع تحصيل ، اما المعطلة ، فأصناف : منهم صنف انكروا الخالق والمخلوق ، والبعث والنشور ، وقالوا بالطابع المحيي وبالدهر المفني ، وهم الذين اخبر عنهم التنزيل «وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا » اشارة الى البضائع المحسوسة ، في العالم السفلى ، وقصر الحياة ، والموت على تركبها وتحللها ، فالجامـع هـو الطبع ، والمهلك هو الدهر ، وما يهلكنا الا الدهر « وما لهم في ذلك من علم ، ان هم الا يظنون » فاستدل عليهم بضرورات بكرتهم، وءايات فكرتهم ، في كم من ءاية ، وكم من سورة ، فقال عز من قائل : « او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جهة ان هو الانذير مبين » ، وقال : « او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض ، اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين ، يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم » ، فأثبت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق ، وانه قادر على الكمال بدءا وإعادة ، ومنهم صنف اقروا بالخالق ، وابتداء الخلق والابداع ، وانكروا البعث والاعادة ، وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحيي العظام وهي رميم » ، فاستدل عليهم بالنشأة الاولى ، اذ اعترفوا بالخلق الاول ، فقال : « قل يحييها الذي انشأها اول مرة» وقال : « افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد » ، ومنهم صنف اقروا بالخالق ، وابتداء الخلق ونوع من الاعادة ، وانكـروا الرسل وعبـدوا الاصنام ، وزعموا انهم شفعاؤهم عند الله في الاخرة ، وحجوا اليها ، ونحروا لها الهدايا ، وقربوا القرابين وتقربـوا اليها بالمناسـك والمشاعر ، واحلـوا وحرموا وهم الدهما من العرب الاشرذمة منهم،نذكرهم وهم الذين اخبر عنهم التنزيل « وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ، ويمشي في الاسواق الى قوله ان تتبعون الا رجلا مسحورا » ، فاستدل عليهم بان المرسلين ، كانوا كلهم كذلك قال تعالى : « وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلوا الطعام ويمشون في الاسواق » ، وشبهات العرب كانت مقصورة على هاتين الشبهتين ، انكار البعث ، اي بعث الاجساد ، وجحد البعث ، اي بعث الرسل ، فعلى القـول الاول : « قالوا أ اذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون او ءاباؤنا الاولون » ، الى أمثالها من الاى ، وعبروا عن ذلك في اشعارهم فقال بعضهم :

حيـاة ثـم بعـث ثم نشـــر   حديـث خرافـة يـا أم عمـــر

ولبعضهم في رثاء اهل بدر من المشركين قوله

فمـا ذا بالقليـب قليـب بـدر   من الشيـز اتكـال بالمسـام

يخبرنا الرسول بان سنحيـــا وكيــف حيــاة اصــداء وهـــام

ومن العرب من يعتقد التناسخ ، فيقول اذا مات الانسان او قتل اجتمع دم الدماغ او جزء منه ، فانتصب طيرا هامه ، فيرجع الى راس القبر وقــد انكر عليهم ذلك الرسول ، فقال عليه الصلاة والسلام « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » ، واما الشبهة الثانية فقد كان انكارهم لبعث الرسل اشد ، واصرارهم على ذلك ابلغ ، فقد اخبر التنزيل عنهم بقوله : «وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ، الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا»، وقالوا : «ابشر يهدوننا » فمن كان يعترف بالملائكة ، كان يريد ان ياتي ملــك من السماء ، «وقالوا لولا انزل عليك ملك»،ومنهم صنف يقول الشفيع والوسيلة منا الى الله تعالى ، هي الاصنام المنصوبة فيعبدونها لانها الوسائل عندهــم الــى الله ، «ودود»كان لكلب بدومة الجندل، «وسواع»لهذيل يحجون اليه وينحرون له ، «ويغوث»لمذ حج وقبائل من اليمن،«ونسر»لذى الكلاع بارض حمير،«ويعوق» لهمدان، واما«اللات» فكان لثقيف بالطائف،«والعزى»لقريش ، وجميع كنانة، وقوم من بني سليم،«ومناة» للاوس والخزرج، وغسان ،«وهبل» ،أعظم صنم عندهم ،وكان على ظهر الكعبة ،«واساف»«ونائله» على الصفا والمروة ، وضعهما عمرو بن لحي (1) ، وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة ، وتقدم انهما كانا رجــلا وامرأة ، فجرا فى الكعبة فمسخا حجرين ، ومن العرب من كان يميــل الــى اليهودية ، او الى النصرانية ، او الى الصابئية ، ويعتقد فى الانــواء ، اعتقــاد المنجمين فى النيرات ، حتى لا يتحرك ولا يسكــن ، ولا يسافــر ولا يقيم ، الا بنوء من الانواء ، ويقول مطرنا بنوء كذا ، ومنهــم من يصبــو الى الملائكــة ، فيعبدهم بل كانوا يعبدون الجن ، ويعتقدون انها بنات الله تعالى عما هدوا به.

واما المحصلة من العرب ، فكانوا فى الجاهلية ثلاثة اصناف من العلوم ، علم الانساب والتاريخ والاديان ، ويعدونه علما شريفا خصوصا معرفة انساب الشجرة النبوية ، والاطلاع على ذلك النور الوارد من صلــب ابراهيــم الى اسماعيل ، وتواصله فى ذريته الى ان ظهر بعض الظهــور ، فى اساريــر عبد المطلب شيبة الحمد ، وسجد له الهبل الاعظم ، وعليه قصة اصحاب الفيل ، فببركة ذلك النور راى الرؤيا ، فى تعريف موضع زمــزم ، ووجدان الفزالــة والسيوف التي دفنها جده ، وببركة ذلك النور ، الهم عبد المطلــب النــذر ، الذي نذر فى ذبح عاشر اولاده ، وبه افتخر النبي صلى الله عليه وسلم « انــا ابن الذبيحين » الاول اسماعيل ، وهو اول من انحدر اليه النور فاختفــى ، والثاني عبد الله بن عبد المطلب ، وهو ءاخر من انحدر اليه النور فظهر كــل الظهور ، وببركة ذلك النور كان عبد المطلب يامر ولده بترك الظلم والبغى ،

---

1) قيل هو الذي حول العرب عن دين اسماعيل الى عبادة الاصنــام .

ويحثهم على مكارم الاخلاق ، وينهاهم عن دنيات الامور ، وببركة ذلك النور ، قد استند اليه الحكم فى حكومات العرب ، وتوضع له وسادة عند الملتزم فتسند الى الكعبة ، وببركة ذلك النور ، قال لا برهة ان لهذا البيت ربا يحميه، وفيه قال وقد صعد ابا قيس ، وقال اللاهم ان العبد يمنع رحله فامنع رحالك كما تقدم ، وببركة ذلك النور كان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه ، وتصيبه عقوبة الى ان هلك ظلوم حتف انفه ، لم تصبه عقوبة ، فقيل لعبد المطلب فى ذلك ففكر ثم قال والله ان وراء هذه الدار دار ، يجزي فيها المحسن باحسانه ، والمسيء بسيئاته ، ومن الدليل على اثباته المعاد ، كالمبدأ انه كان يضرب بالقداح على ابنه عبد الله ، ويقول يارب انت الملك المحمود ، وانت ربي المبدىء المعيد ، ومنك الطارق والتليد ، ومن الدليل على معرفته بجلالة الرسالة وشرف النبوءة ، ان اهل مكة لما اصابهم الجدب العظيم ، وامسك المطر سنتين ، امر ابا طالب ابنه ان يحضر المصطفى وهو يرضع فى قماطه ، فوضعه على يديه واستقبل القبلة ، ورماه الى السماء ، وقال يا رب بحق هذا الغلام ، ورماه ثانيا وثالثا قائلا يا رب بحق هذا الغلام ، اسقنا غيثا دائما هطلا ، فلم يلبث ساعة الى ان طبق السحاب وجه السماء ، وامطر حتى خافوا على المسجد ، فأنشأ ابو طالب الشعر اللائق فى قوله : « وابيض يستسقي الغمام بوجهه » الى آخره .

اما النوع الثاني من العلم ، فعلم الرؤيا وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه ، ممن يعبر الرؤيا فى الجاهلية فيصيب ، وكانوا يرجعون اليه ويتعلمون منه ، والنوع الثالث علم الانواء وذلك مما كان يحذقه الكهنة والقافة منهم ، وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم ، من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما انزل على محمد ، ومن العرب من يومن بالله واليوم الاخر ، وينتظر النبوءة ولهم شرائع وسنن ، ممن كان يعرف النور الظاهر ، والنسب الطاهر ، ويعتقد الدين الحنفي ، وينتظر المقام النبوي ، زيد بن عمرو بن نفيل ، حتى قال لم يبق على دين ابراهيم احد غيري،وقد سمع «امية بن ابي الصلت» يوما ينشد :

كل دين يوم القيامة عند الله الا دين الحنفية زور

فقال صدقت ، وفى شعره ما يدل على ذلك ، وممن كان يعتقد التوحيد ، ويومن بيوم الحساب ، « قس بن ساعدة الايادي » ، وعامر بن الضرب العدواني وغيرهم ، وهذا تلخيص ما في الملل والنحل ، ذكرته مع طوله زيادة فى معرفة مذاهب العرب ، وما كانوا في الفترة بعد رفع عيسى عليه السلام ، وقبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واول انبياء بني اسرائيل يوسف عليه السلام ، وقيل موسى وآخرهم عيسى ايده الله بالمعجزات ، بابراء الاكمه الذي ولد اعمى ، او ممسوخ العين، وابراء البرص ، وكان يجتمع عليه الوفد من المرضى فيداويهم ، ومن عجز عن

اتيانه اتاه بنفسه ، وما يداوي الا بالدعاء ، ومن ءاياته احياء الموتى ، وكل ذلك باذن الله .

وروى انه كان يضرب بعصاه الميت فيقوم ويكلمه ، وقال الكلبي ، كان يحيي الموتى باسمه تعالى«يا حي يا قيوم»فأحيا عازورا وكان صديقا لهفعاش وولد له ، ومر على ابن عجوز ميت ، فدعا الله تعالى ونزل على سريره ، ورجع الى اهله وولد له ، فقال له اليهود لعنهم الله انك لا تحيي الا من كان قريب العهد بالموت فلعلهم لم يموتوا وانما كان بهم سنة ، فأحيي لنا سام بن نوح ، فدلوه على قبره فوقف عليه ودعا الله فقام من قبره وقد شاب رأسه ، فقال له كيف شبت ولم يكن فى زمنكم شيب ، فقال يا روح الله ، لما دعوتني سمعت صوتا يقول اجب روح الله ، فظننت ان القيامة قد قامت ، فمن هول ذلك الموقف شبت ، فسأله عن النزع ، فقال يا روح الله ان مرارته لم تذهب من حنجرتي ، وكان بينه وبين موته اكثر من اربعة ءالاف سنة ، وقال لليهود صدقوه فانه نبي ، فآمن به بعضهم وكذبه الاخرون ، وقالوا هذا سحر ، فأرنا آية ، فقال يا فلان اكلت كذا ، ويا فلان لك كذا ، فلم يومنوا بذلك كله ، ولم يرجعوا عن معتقداتهم وكفرهم ، كما قال تعالى : « فلما احس عيسى منهم الكفر ـ ورأى انهم عزموا على قتله ، قال لخاصته ـ من انصاري الى الله، قال الحواريون نحن انصار الله » وهم اثنا عشر رجلا كانوا مومنين به ، متبعين له ، وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا ، فيضرب بيده الارض ، فيخرج لكل واحد رغيفا ، واذا قالوا عطشنا ، يضرب بيده الارض ، فيخرج لهم الماء ، عزم على قتله ملك بني اسرائيل ، امره جبريل ان يدخل بيتا فيه كوة فاختفى به ، ولما وقع البحث عليه ، دلهم عليه احد الحواريين ، واتى بهم للبيت ، فدخل عليه فرفعه الى الله من كوة البيت ، والقى شبهه على الذي دل عليه ، فقبضوه فقال انا دليلكم ، فلم يصدقوه وصلبوه ، فقال الحواريون ، وجهه وجه عيسى ، وبدنه يشبه بدن صاحبنا ، فان كان هذا عيسى ، فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا ، فأين عيسى ، فوقع بينهم مقال عظيم ، ثم ان اليهود قبضوا على الحواريين ، وعذبوهم بعد رفع عيسى ، ولقوا منهم جهدا عظيما ، فبلغ خبرهم لملك الروم ، وكان غلب على ملك بني اسائيل ، وهو تحت قهره ومن رعيته ، وقالوا له ان رجلا من بني اسرائيل ادعى النبوءة ، وظهرت له معجزات وكرامات ، ويحيي الموتى ويبرىء المرضى ، فقال لو علمت ذلك ما خليته بينهم ، وامر بتوجيه الحواريين وتخلية سبيلهم ، ولما بلغوا اكرمهم واخبروه خبر عيسى ، وقتله ورفعه فبايعهم على دينهم ، وامر بانزال المعلق فدفن ، واخذ الخشبة فأكرمها وعظمها ، ثم غزا بني اسرائيل ، فقتل منهم ءالافا ، وهو الذي اظهر دين النصرانية فى الروم ، ثم جاء بعده طيطولي ، فغزا بيت المقدس ، من بعد رفع عيسى باربعين سنة ، واجلى اليهود ، وخرب

بيت المقدس ، ولم يترك به حجرا على حجر ، ومن ذلك الجلاء خرج قريظة والنصير الى الحجاز ، قال المؤرخون حملت مريم بعيسى وعمرها ثلاث عشرة سنة ، وولدته ببيت لحم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على الفرس ، واوحى اليه على راس الثلاثين سنة من عمره ، ورفع ليلة القدر من رمضان من بيت المقدس عام ثلاث وثلاثين من عمره ، وماتت امه بعد رفعه لخمس سنين .

واما أصول فرق اهل البدع التي فى هذه الامة المحمدية ، فهي خمس : التوحيد ، والعدل ، والوعد ، والوعيد ، والاسماء ، والاحكام ، فاما التوحيد فهو اعتقادهم ، ان الله لا يرى فى الدنيا ولا فى الاخرة ، ومن لم يقل بهذا فليس بموحد ، واما العدل فانهم يقولون ان الله لم يخلق الشر ، وان الشر من العباد ، عملا بقوله تعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما اصابك من سيئة فمن نفسك » ، وان العبد يخلق افعاله ، ومن لم يقل بهذا ويعتقده فقد نفا العدل عن الله .

واما الوعد والوعيد ، فهم يقولون ان مرتكب الكبائر ليس بمومن ، وان الله لا يغفر له .

واما الاسماء ، فمن اثبت اسماءه تعالى فليس بمعتزلي .

واما الاحكام فمن قال بها فهو ضال ، ولا حكم الا لله ورسوله ، ومن هنا تفرعت الخوارج ، وافترقت المذاهب ، وتعددت فرقهم الى ان بلغوا اثنين وسبعين فرقة ، وكلها فى النار ، ومن اراد الوقوف عليها ، فهي تأليفنا المسمى «بالدرة الفائقة ، فى الفرق الضالة» وانما عددت هنا فرقهم باسمائها ، وهم اهل البدعة المذكورين فى الحديث ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم ، ان بني اسرائيل افترقوا بعد موسى على اثنين وسبعين فرقة ، وان النصارى افترقوا بعد عيسى على اثنين وسبعين فرقة ، وان امتي تفترق بعدي ثلاثة وسبعين فرقة ، الى ءاخر الحديثين ، فكلها من الشيعة ، وهم اتباع علي واولاده رضى الله عنهم

واصل الفرق كلها ست ، وهم الزنادقة ، والخوارج من الحرورية والرافضة ، والقدرية ، والمعتزلة منهم ، والجهمية من المرجئة

ثم افترق الزنادقة على خمسين فرقة ، واصل ما عندهم ان الدنيا خلقت لاءادم ، ينتفع بها ويتصرف فيها كيف يشاء ، فلما مات جعلها الله ميراثا في اولاده بالسوية ، فلا فضل لاحد على الاخر ، ولا يسال احد عن شيء اذا اخذه من غيره ، وافترقت ءاراؤهم فى ذلك على خمسة اوجه ، والاصل واحد .

ثم الرافضة على ثلاثة اقسام : الغالية ، والزيدية ، والرافضة ، فالغالية تفرع منها اثنا عشر فرقة وهي : البيانية ، والطيارية ، والشريعية ، والسبئية ، والمفوضية .

وأما الزيدية ، فتشعب منها ست شعب ، وهم الجارودية ، والسليمانية، والبترية ، والنعيمية واليعقوبية ، والسادسة ، لا ينكرون الرجعية ويتبرءون من ابي بكر وعمر .

وأما الرافضة فافترقوا علي ستة عشر فرقة وهي : القطيعية ، والكريبية ، والمغيرية ، والكيسانية ، والمحمدية ، والحسينية ، والناووسية ، والاسماعلية ، والغرامطية ، والمباركية ، والسمطية ، والعمارية ، والمطورية ، والموسوية ، والامامية ، والزرارية ، وكلهم متفقون على امامة علي ، عقلا ونقلا ونصا .

وأما المرجئة فهم اثنا عشر فرقة وهي : المرجية، والصالحية ، والسمرية، واليونسية ، واليونانية ، والفيلانية ، والشبيبية ، والكرامية ، والنعمانية ، والمعادية ، والمريسية ، والنجارية ، وسمو مرجية لزعمهم ان الواحد من المكلفين اذا قال لا اله الا الله محمد رسول الله ، وفعل بعد ذلك سائر المعاصي لم يدخل النار .

واما القدرية ، فسموا قدرية لردهم قضاء الله وقدره فى معاصي الفساد واتيانهم بها بنفسهم
والمعتزلة منهم والقدرية على ست فرق الهذلية ، والنظامية ، واليعمرية ، والجبائية ، والكعبية ، والبهشمية ، والمعتزلة ، تنفي الصفات كلها ، واما المشبهة ، فهم سبع فرق ، الهاشمية ، والمقاتلية ، والواسمية ، والضرارية والنجارية ، والكلابية ، والسالمية ، وهم يقولون الله جسم ، ولا يجوز ان يفعل الموجود الا جسم ، وهم يرجعون لفرق الروافض ، ومنهم يحسبون .

واما الحرورية : وهم الخوارج ، فهم خمسة عشر فرقة وهم : النجدية، والتميمية ، والازارقة ، والفديكية ، والعطوية ، والعجاردة ، وهم فرق كثيرة، هم والميمونية يبيحون نكاح بنات البنين ، وبنات البنات ، وبنات الاخوة ، والخازمية تشعب منها المعلومية ، والمجهولية ، والصلتية ، والاخنسية ، والصفرية ، والحفصية ، والاباضية ، والنبهسية ، والشمرخية ، والبديعية ، وهم متفقون على كفر علي لاجل التحكيم وكمال ثلاثة وسبعين فرقة ، هم اهل السنة ، والجماعة رضي الله عنهم اجمعين ، وسياتي ان ملك الروم لما اجلى اليهود من الشام ، وخرب بيت المقدس توجه قريظة ، والنضير للحجاز، فنزلوا بيثرب ، مع الاوس والخزرج ، وذلك سبب دخول بعضهم فى اليهودية.
قال ابن سيد الناس ما نصه يهود بني عوف ، ويهود بني النجار ، ويهود بني الحارث ، ويهود بني ساعدة ، ويهود بني الاسود ، ويهود بني ثعلبة وغيرهم ، واول من ادخل دين اليهودية ، سكان اليمن ، فى زمن تبع الاول بن

عمرو ذي الاذغار ابن ابرهة ذي المنار ، وتبان أسعد هو الذي قدم المدينة منهم ، ولم يهج اهلها بسوء ، وترك بها ولده فقتلوه غيلة ، فتقدم مضمرا خرابها ، ونزل عليهم فكانوا يقاتلونه نهارا ويقرونه ليلا ، فخرج اليه حبران من احبار يهود ، قال ابن اسحاق عالمان راسخان حين سمعا ما يريد من خرابها فقالا له ، ايها الملك لا تفعل ، فانك ان ابيت الا ما تريد حلنا بينك وبينها ، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ، فقال لهما ، ولم ذلك قالا هي مهاجر نبي ، يخرج من هذا الحرم ، ومن قريش في آخر الزمان ، تكون داره وقراره ، فبناها ورأى ان لهما علما واعجبه ما سمعه منهما ، فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما ، وهذا الحى من الانصار يزعمون انه انما كان حنقا على هذا الحي من يهود الدين كانوا بين اظهره ، وانما اراد هلاكهم فمنعوهم منه ثم انصرف عنهم ، وكان تبع وقومه اصحاب اوثان يعبدونها ، فتوجه الى مكة وهي طريقة الى اليمن حتى اذا كان بين عسفان وامج ، أتاه نفر من هذيل بن مدركة ، فقالوا ايها الملك الا ندلك على بيت ، قال بلى قالوا بيت بمكة ، يعبده أهلها ويصلون عنده ، وانما اراد الهذليون هلاكه بذلك ، لما عرفوا من هلاك من اراده من الملوك ، فلما اجمع لما قالوا ارسل الى الحبرين ، فسألهما عن ذلك ، فقالوا له ما اراد القوم الا هلاكك وهلاك جندك ، ما نعلم بيتا لله اتخذه لنفسه غيره ، ولئن فعلت ما دعوا اليه لنهلكن معك جميعا ، قال فماذا تأمراني ان أصنع اذا قدمت عليه فقالا تصنع عنده ما يصنع اهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتتدلل حتى تخرج من عنده ، قال فما يمنعكما انتما من ذلك،قالا اما والله انه لبيت ابينا ابراهيم،وانهلكما اخبرناك،ولكن اهله حالوا بيننا وبينه بالاوثان التي نصبوا حوله ، وبالدماء التي يهرقون عنده ، وهم نجس أهل شرك،او كما قالا فعرف نصحهما ،وصدق حديثهما ، فقرب النفر من هذيل فقطع ايديهم وارجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ونحر عنده ، وحلق راسه ، ثم قال بعد ان ذكر ما صنع زمن اقامته بمكة ، مما امره به الحبران ، ثم خرج متوجها الى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين ، حتى اذا دخل اليمن ، دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه ، فأبوا عليه حتى يحاكموه الى النار التي كانت باليمن ، ويقال انه لما دنا الى اليمن ليدخلها ، حالت حمير بينه وبين ذلك ، قالوا لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا ، فدعاهم الى دينه ، وقال انه خير من دينكم ، قالوا فحاكمنا الى النار ، قال نعم ، وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تاكل الظالم ولا تضر المظلوم ، فخرج القوم باوثانهم وما يتقربون به في دينهم ، وخرج الحبران بمصاحفهما في اعنقيهما متقلديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه ، فخرجت النار اليهم فلما اقبلت نحوهم، حادوا عنها وهابوها ، فذمرهم اي حضهم وشجعهم من حضر من الناس ،

وامروهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غشيتهم واكلت الاوثان وما قربوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حمير ، وخرج الحبران بمصاحفهما تعرق جباههما لم تضرهما ، فأصبحت حمير بعد ذلك على دينه ، فمن هنالك ومن ذلك كان اصل اليهودية باليمن .

قال ابن اسحاق ، وقد حدثني محدث ان الحبرين ومن خرج من حمير انما اتبعوا النار ليردوها ، وقالوا من ردها فهو اولى بالحق ، فدنا منها رجال حمير بأوثانهم ليردوها ، فدنت منهم لتاكلهم فحادوا عنها ، ولم يستطيعوا ردها ، ودنا منها الحبران بعد ذلك ، وجعلا يتلوان التوراة ، وتنكص حتى رداها الى مخرجها الذي خرجت منه ، واصفقت حمير عند ذلك على دينه ، فالله اعلم اى ذلك كان ، وكان « ريام » بيتا لهم يعظمونه ويبخرون عنده ، ويكلمون منه اذا كانوا على شركهم ، فقال الحبران : لتبع انما هو شيطان يفتنهم بذلك ، فخل بيننا وبينه ، قال فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا اسود ، فذبحاه ثم هدما ذلك البيت ، قال ابن اسحاق : فبقاياه اليوم فيما ذكر بها ، ءاثار الدماء التي كانت تهرق عليه ، وتبع هذا هو احد الملوك الذين وطؤوا البلاد ، ودوخوا الامم ودانت لهم الممالك ، ويقال انه المسمى فى قول الله تعالى : « أهم خير ام قوم تبع ، والذين من قبلهم اهلكنهم : الاية » ، وذلك انه لما ءامن فى ءاخر عمره ، ووحد خالفته حمير ، وتفرقوا عنه فانتقم الله منهم ، ثم قال وانشد تبع لنفسه لما ءامن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، بسبب ما القاه اليه الحبران هذه الابيات :

شهدت على احمد انه	نبي من الله بارى النسم
فلو مد دهر الى دهره	لكنت وزيرا له وابن عم
والزمت طاعته كل من	على الارض من عرب او عجم
ولكن قولي له دائما	سلام على احمد في الامم

قال فى الشرح وزاد الشهيلي بعد البيت الثاني منها

وجاهدت بالسيف اعداءه	وفرجت عن صدره كل غم

وما سبب خروج اليهود من الشام ، وجلائهم فى بلاد الاسلام ، ومذلتهم عند الخاص والعام ، ولعنهم الله « او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت الاية»، فانهم لما تخالفوا فى الديانة فى ايام اشعياء النبي ، وكان الملك عليهم احام ، وكان يعبد الاصنام والاوثان ، سلط الله عليهم فلقسين ملك بابل ، فقصده وحاربه وءاسره ، وخرب مدائن الاسباط وقراهم ، ولما وقع بهم ما وقع ، تنازعوا فى الدين وانكروا نبوؤة داود عليه السلام ، ومن تلاه من الانبياء ، وقالوا لم يكن بعد موسى نبي ، وجعلوا رؤساءهم من ولد هارون عليه السلام وهم الذين يقال لهم السامرية ، واشتغل ملوكهم بقتل الانبياء ، فسلط الله

عليهم ملك الروم ، فقصدهم وحاربهم ، وقتل ملكهم ، وهو الذي ضرب ارمياء النبي وسجنه ، وكانت فيهم امراة تسعى فى قتل الانبياء ، يقال لها ازبيل ، طال عمرها الى ان تزوجها سبعة من الملوك من بني اسرائيل ، وقتلت سبعة من الانبياء ، منهم هيدروس ، الذي قتل زكرياء عليه السلام ، وبعده قتلوا يحيى عليه السلام ، ولما ارادوا قتل عيسى رفعه الله اليه من كوة البيت ، والقى شبهه على أحد الحواريين لاختياره ، لذلك أراد أن يفديه بنفسه فسلط الله عليهم « فيلطوس بن اسنانيوس » ملك الروم ، فخرب بلادهم ، وقتل رجالهم ، واخرجهم من الشام ، وخرب بيت المقدس ، ومن ذلك الوقت لم يعمر الى ان عمره المسلمون فى خلافة عمر رضى الله عنه ، ولما اخبر الحواريون بني اسرائيل برفع عيسى الى السماء وهم ينظرون ، افترقوا على ثلاث فرق

1) فرقة قالت كان الله فينا ما شاء ، فصعد الى السماء وهم اليعقوبية .

2) وفرقة قالت كان ابن الله فينا ما شاء الله ثم رفعه الله الى السماء وهم النسطورية

3) وفرقة قالت كان فينا عيسى روح الله ، وكلمته وعبده ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله وهم الحنيفية ، الذين على دين ابراهيم

ثم افترقت هذه الفرق الثلاث على اثنين وسبعين فرقة ، فاجتمع فرق الضلال على الحنيفية ، وقتلوهم وترك الدين الحنيفي ، فضرب الله عليهم الذلة والمسكنة ، واما السامرية فلم يزالوا بالشام ، وهم الذين يقولون لا مساس ، وهم صنفان متباينان ، احدهما الكوسان ، والاخر الدروسان ، وفرقة منهم يقولون بقدم العالم ، وكلهم متفرقون بفلسطين ، والاردن ، ونابلس ، ولهم فرق كثيرة بتلك الجبال ، رعايا للدولة العمثانية ، الى الان قبحهم الله وقبح ما جاء به .

لطيفة : قال ابو عبد الله بن الخطيب ، فى ترجمة ابي محمد علي بن حزم الظاهري ، ان أصله من الفرس ، وجده فى الاسلام ، اسمه يزيد مولى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ومن عجائبه انتماؤه لفارس ، وتبعه أهل بيته فى ذلك وابوه أحمد ، وجده الادنى قريب عهد بالاسلام ، فلم يكن الاول حتى تخطا هذا وارتقى قليعة اصطخر من ارض فارس ، فالله أعلم كيف ترقاها ، اذ لم يكن يوتي من خطل ولا جهالة ، بل وصله لها وسع علمه ورشحة رحم ، فتناهى حاله مع علماء عصره ، الى ما وصف ، وحسابه وحسابهم على الله ، الذي لا يظلم مثقال ذرة عزت قدرته .

قال الحميدي ، وكان اماما عالما حافظا لعلوم الحديث والفقه ، مستنبطا من الكتاب والسنة ، ومتفننا فى فنون جمة ، عاملا بعلمه ، زاهدا فى الدنيا ،

بعد الرياسة التي كانت له ولابيه من قبله ، في الادارة وتدبير المماليك متواضعا ذا فضل ، قال : وما رايت مثله .

وقال ابن مروان بن حيان ، كان ابو محمد بن حزم ، بارزا في فنون من حديث وفقه ونسب ، مع المشاركة في جميع العلوم القديمة ، وله مع ذلك عدة تواليف ، وقائل انه مال الى مذهب أبى عبد الله الشافعي ، وناضل عن مذهبه وانحرف عن مذاهب غيرهم ، حتى وسم به واستهدف بذلك الى كثير من الفقهاء ، وعيب بالشذوذ ، ثم عدل في آخر امره الى قول اصحاب الظاهر ، فتمسك بمذهب داوود بن علي ومن تبعه من فقهاء الامصار ، فنقحه ونهجه وجادل عنه ، ووضع الكتب في بسطه وثبت عليه الى ان قضى لسبيله وكان يحمد عمله ويجادل عنه من خالفه فيه على استرسال في طباعه واستناد على العهد الذي اخذه الله على العلماء من عباده ، ليبينونه للناس ولا يكتمونه ، فآل امره الى ما عرف ، وبلغت تواليفه الى اربعمائة مجلد ، وقالوا حمل بعير في التفسير ، والحديث والفقه وسائر العلوم ، وكان دخوله لفرناطة مع الامام المرتضى الاموي ، ولما جرت على المرتضى الهزيمة ، كان ابن حزم ممن أسر مع امثاله ، الى ان اطلق بعد لاي من الزمان ، قال ابن حيان واستهدف لفقهاء وقته ، فتمالؤا على بغضه ، وردوا اقوله واجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه وحرضوا سلاطينهم على طرده ، وعوامهم على مجانبته، وجذروهم من فتنته والاخذ عنه ، فطفق الملوك يقصونه عن قربهم ، ويصرفونه عن بلادهم ، الى ان انتهوا به الى منقطع اثره ، وغربة في بلاده ، وهو غير راجع الى ما ارادوا منه يبث علمه ، فيمن ينتابه من باديته ، من عامة المقتبسين منه، من اصاغر الطلبة الذين لا يسمعون فيه الملامة ، لحداثتهم يفقههم ويدربهم ، ولا يدع المثابرة على العلم ، والمواظبة على التأليف ، والاكثار من التصنيف ، حتى اكمل من مصنفاته ، في فنون العلم حمل بعير ، وقد احرق بعضها باشبيلية ، وفي ذلك يقول :

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس ، بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل ان انزل ويدفن في قبري

توفي رحمه الله عام 454 ، ومولده بفرناطة عام 384 ، ومن شعره لبعض اصدقائه قوله :

لئن اصبحت مرتحلا بشخصي ... فروحي عندكم ابدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى ... له سأل المعاينة الكليم

وقال ابن الخطيب ، فى ترجمة ابى بكر يحيى بن مجبر الفهري ، الذي هو اكبر شعراء المغرب فى وقته ، انه لما جاز من العدوة الى الاندلس ، ووقف على قبر ابى محمد علي بن حزم ، بقرية شلب ، قال : واعجبا لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم ، ثم قال : كل العلماء عيال على ابن حزم ، فأجابه « من رافقه الى القبر » يقول : كما ان الشعراء كلهم عيال عليك يا أبا بكر بن مجبر ، وابن مجبر هذا هو الذي مدح المنصور الموحدي ، بقصيدته الفراء ، التي ذكر فيها المقصورة ، التي اخترعها بمسجده من قصبة مراكش ، تظهر بخروجه ، وتنزل بدخوله ، بحركة هندسية منها شعر

طورا تكون بمن حوته محيطة	فكأنها سور من الاسوار
فاذا احست بالامام يزورها	فى قومه ، قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده	كتكون الهالات للاقمار
فكأنما علمت مقادير الورى	فتصرفت لهم على مقدار

منقولا بالمعنى ، وهذا سبب اقبالي على هذا الفن النسبي والتاريخي .

ثم كانت رحلتنا الى المشرق ، ولم يكن لنا بحث الا على كتبه ، فى كل مصر حللنا به من تلمسان ، والجزائر ، وقسنطينة ، وتونس ، ومصر ، والشام ، والقسطينية العظمى ، وفيها اختصرت تاريخ الروح لكمال باشى آفندي ، الفه فى دولة آل عثمان الى ايام السلطان عبد الحميد رحمه الله ، عام مائتين والف ، وكان موجودا لما قدمت للاصطنبول ، واجتمعت به وسردت عليه اختصاري فى مجلسه ، واجازني فيه ، وفى علم التاريخ ، رحمه الله ورضى عنه ، ولما كان ءادم صورة من تراب ، له طين كطين الفخار ، وكان المراد قلب تلك الصورة ، من الجمادية الى الحيوانية ، جعله منفوخا فيه فقال : « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي » فكان عيسى مغيبا في بطن مريم ، لا يدري من اى جزء خلق منه فيها ، وليس صورة ظاهرة الا في صورة مريم ، جعلها هي المنفوخ فيها ، فقال فنفخنا فيها من روحنا » وهذا سر زيادة قوله ، ثم قال له ، كن فيكن ، قال لصورة ءادم ، كوني حيوانا ذا روح ، فكانت ، وقال لحقيقة عيسى ، كوني صورة حيوان ذي روح ، فكانت واقرا ان شئت قوله تعالى : « اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيئين ، من ذرية ءادم » فالاشارة عائدة الى كل من ذكر فى هذه السورة ، ومن جملتهم عيسى ابن مريم وامه « فى الكتاب مريم ، الى قوله ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون » ، وهذا نص ساطع ، وبرهان قاطع ، على ان عيسى من ذرية ءادم ، خلافا لمن طبع الله على قلوبهم فنفوه ، وعميت بصائرهم فالهوه ، كما قيل :

وكم عائب ليلى ولم ير وجهها فقال له الحرمان حسبك ما فات

قلت واذا كان اصل البشر من طين ، وخلق الانسان من ماء مهين ، فما وجه افتخاره بالاباء والاجداد ، وتكبره عن دونه من العباد ، وقد قال عليه السلام ، لمن يسيء من ذوي الالباب ، « كلكم من ءادم ، وءادم من التراب » زيادة على ما صرح به التنزيل ، وسمعه اقصاكم وادناكم ، « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ، فمن يفتخر بنسبه ، ويتكبر بحسبه ، فقد تعرض لمقته وسبه، وقد قيل

قل لمن يفخر جهلا بالنسب انما الناس لام ثم اب
أتراهم خلقوا من فضة ام حديد ام نحاس او ذهب
انما الفخر بفعل صالح وباخلاق كرام وادب

وقال ابن الوردي

لا تقل اصلي وفرعي ابدا انما اصل الفتى ما قد حصل
قد يسود المرء من غير اب وبحسن السبك قد يبقى الزغل
وكذا الورد من الشوك وما يطلع النرجس الا من بصل
قيمة الانسان ما يحسنه اكثر الانسان منه او اقل

ومثله قول الحمدونية

لا تقل اطلي وفرعي انه لقصير من على هذا اتكل
انما اصل المسك نجس ودم وبهى الورد من شوك حصل

وقال بعض العلماء ، مسكين الانسان ما ذكره الله الا في مكان ذم ، او شرك كقوله تعالى : « قتل الانسان ما اكفره » ، وقوله تعالى : « وكان الانسان جهولا » ، وقوله « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم » ، وامثاله ، وقد ذكر الله فى كتابه العزيز ، الانسان بصفة وهي المخلوقية .

قال ابن عطية ، من الدليل على ان القرآن غير مخلوق ، انه ذكره فى اربعة وخمسين موضعا ، ما فيها موضع صرح فيه بذكر الخلق ، ولا اشار اليه ، وذكر الانسان على الثلث من ذلك ، فى ثمانية عشر موضوعا ، كلها نصت على خلقه ، وقد افترق ذكرهما على هذا النحو ، فى نحو قوله تعالى : الرحمن علم القرآن خلق الانسان »

وقال الشيخ سيدي مصطفى البكري : من قصيدة معشرة :

ما افتخار الفتى ببالي العظام يا عظامي بل بالصفات العظام

وقال شيخنا ابو حفص سيدي عمر الفاسي ، قدس الله سره :

قل لمن يعلوا على الناس باباء سرات ليس من شأني افتخار بعظام ناخرات

ما فخار المرء الا بعلوم زاخرات وسجايا ومزايا وهبات وافرات
وضراب بنصال فى مجال المعركات وجفان كالجوابي ، وقدور راسيات

وقد نهى السلف والخلف عن الفخر بالنسب والحسب ، وذلك داعية العطب ، سيما من يريد ذم الناس ، ويزيل عنهم الالتباس ، اللهم ان كان في قوم من أهل البدع ، او فيمن عن جماعة المسلمين حرج وللبغية ترع ، كما قال العلامة النحرير ، الذي هو بأحوال الرعايا خبير ، سيدي عبد الملك التاجموعتي السجلماسي ، فقد وقفت على بيتين له فى ذم البربر ، والدعاء عليهم فقد سرني قوله ، واعجبني نبله ، وهما :

هم البرابر لا ترجى نوالهم وسل من الله تعجيل النوى لهم
لابلغ الله قلبا منهم املا وبلغ الله قلبي ما نوى لهم

وكتب مولانا عمر بن عبد العزيز ، لبعض عماله : « اما بعد ، فلا تطع للنساء امرا ، ولا تدعهن يدبرن امرا يسيرا ، فانهن ان تركن وما يردن افسدن الملك ، وعصينا الملك ، اختبرناهن فوجدناهن لا عفة لهن عند خلواتهن ، ولا ورع لهن عند شهواتهن ، اما اللذات بهن يسيرة ، وأما الخسرات بهن فكثيرة ، صوالحهن طالحات ، وطوالحهن فاجرات ، واما المعصومات فهن المعدومات ، وفيهن ثلاث خصال اليهود ، يتظلمن وهن الظالمات ، ويحلفن وهن كاذبات ، ويتمنعن وهن راغبات ، فاستعيذوا بالله من شرارهن ، وكونوا على حذر من خيارهن » .

وقال الشيخ تاج الدين السرخسي ، فى رحلته للاندلس ، انه لما دخل قرطبة ، واشبيلية ، وشاهد معالم الدين التي شيدها امير المسلمين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن ، وعساكره المرابطة لجهاد العدو الكافر ، قال والله لا بد لي ان اجتمع بهذا الخليفة العادل ، وازوره ، فتوجه الى العدوة ، ودخل مراكش ، واجتمع اولا ، بالشيخ ابي العباس احمد بن جعفر السبتي « صاحب الكرامات الظاهرة ، والاسرار الباطنة ، » وجده حيا سنة اربع وتسعين وخمسمائة ، واجتمع بالسلطان يعقوب المنصور ، فوجده بحرا لا ساحل له فى جميع العلوم ، وكذلك اخوته وبنوه ، كلهم فقهاء أدباء ، يحسنون اللغتين العربية والبربرية ، وقد ورد عليه وفود من غرب السودان ، بهدايا فيها حيوانات معلمة ، فيها اسد وغراب وفيل وزرزورة ، ولما اجتمعوا به ، ووقفوا بين يديه ، تقدم الاسد وقصده من دون الناس ، وربض بين يديه واومأ له بالسجود ، ومد ذراعيه فى الارض ، واما الزرزورة فكانت تقول النصر والتمكين ، والفتح المبين ، لمولانا امير المومنين ، وفى ذلك قال بعض شعرائه

انس الشبل ابتهاجا بالاسد ورأي شبه أبيه فقصد

انطــق الخالــق مخلوقاتــه شهـدوا والكـل بالحق شهـد
انبـك الخيــرة مـن صفوتــه بعد ما طال على النـاس الامـد

فأعطاهم وارضاهم واكرم وفدهم ، وقدم وفد آخر من اطراف السودان بفيل اتوا به هدية ، فوصلهم صلة عظيمة ، ورد عليهم الفيل ولم يقبله منهم ، وقال لهـم نحن لا نريـد ان نكـون اصحاب الفيـل ، وخبرني احد كتاب ديوانه ، انه فرق ليلة عيد الاضحى على الجند والخدام والفقراء ثلاثة وسبعين الف راس من الضان والمعز ، وتوفي سنة خمس وتسعيـن وخمسمائـة ، وبويع ولي عهده محمد الناصر ، وكان فقيها أديبا ، كريما حليما شجاعا مقداما، وذكر ايضا في الرحلة ، انه اجتمع بالامير السيد ابى الربيع سليمان ، بن عبد الله بن عبد المؤمن ، صاحب ولاية سجلماسة ، واعمالها الى السودان ، لما قدم على ولي العهد محمد الناصـر ، وكان فقيهـا أديبا ، فصيـح اللسان ، باللغتين العربية والبربرية، وله قصائد عالية ، فى مدح ابن عمه المنصـور ، مطلع احداهن

هبت بنصركـم الرياح الاربــع وجرت بسعدكم النجوم الطلــع
واستبشــر الفلك الاثير تيقنــا ان الامــور الى مـرادك ترجــع
وأمدك الرحمــن بالفتــح الـذي ملأ البسيطة نوره المتشعشــع
لــم لا وانــت بذلــت فــي مرضاته نفسا تفديها الخلائق اجمع
ومضيت في نصر الاله مصممـا بعزيمة كالسيف بل هي اقطــع
لله جيشك والصوارم تنتضــي والخيل تجدي والاسنـة تلمــع
من كل من تقوى الاله سلاحــه ما ان لــه غير التوكـل مفــزع
لا يسلمون الى النوازل جارهـم يوما اذا اضحى الجوار يضيــع
من ظـن ان فــراره منـج لــه فبجهلـه قـد ظـن ما لا ينفــع
اين المفـر ولا قـرار لهــا رب والارض تنشر فى يديك وتجمـع
اخليفـة الله الرضـى هنيتــه فتحا يمد بما سـواه ويشفــع
فلقد كسوت الدين عزا شامخـا ولبست منــه أنت ما لا يخلــع
هيهات سـر اللـه اودع فيكـم والله يعطـى من يشــاء ويمنــع
لكم الهـدى لا يدعيـه سواكــم ومن ادعــاه يقول ما لا يسمــع
ان قيل من خير الخلائـق كلهـا فاليك يا يعقوب تومى الاصبــع
ان كنت تتلو السابقيـن فانمــا أنت المقــدم والخلائـق تبــع
خذها امير المومنيـن مديحـة من قلب صدق لم يشنه تصنــع
واسلـم امير المومنيـن لامــة أنت المـلاذ لهـا وانـت المفـزع
فالمدح مني فى عــلاك طبيعــة والمدح من غيري اليك تطبــع
وعليك يا علـم الهـداة تحيــة يفنى الزمـان وعرفهـا يتضـوع

وقال الشيخ ابو عبد الله القسطلاني دخلت على الامير ابى الربيع سليمان وهو بقصر سجلماسة ، وبين يديه انطاع عليها رؤوس الخوارج ، الذين قطعوا الطريق بفانة قرب السودان ، وبيده قضيب ابنوس ينكث به في الارض ، وهو يتمثل ويقول

ولا غروان كانت رؤوس عداته جوابا اذا كان السيوف وسائل

ومات بعد الستمائة رحمه الله ، وقال لما هاجره المنصور مرة وهو بمراكش ، واتفق قدوم وفود العرب من افريقية ، ونزلوا بمشمر تانسيفت ، بظاهر مراكشة ، واستاذنوا فى وقت الدخول ، فكتب ابو الربيع المنصور هذه الابيات

يا كعبة الجود التي حجت لها عرب الشام وغزها والديلم
طوبى لمن امسى يطوف بها غدا ويحل بالبيت العتيق ويحرم
ومن العجائب ان يفوز بنظرة من بالشام ومن بمكة يحرم

فلما بلغت المنصور رحمه الله ، احسن اليه وأمره بالدخول بالقوم والتقدم عليهم ، واكرم الوفد وقضى اغراضهم ، نقله صاحب نفح الطيب ونقلته بالمعنى .

وفيه قال ومن الوافدين على المغرب الاديب الامير شعبان بن كوطيط الغازلي الموصلي ، قدم على امير المومنين يعقوب بن يوسف بن عبد المومن لمراكش ، ورفع له امداحا جليلة ، فأكرمه وولاه امارة مدينة بسطة من الاندلس ، فتوجه لها وهو القائل

يقولون ان العدل فى الناس ظاهر ولم ار شيئا منه سرا ولا جهرا
ولكن رايت الناس غالب امرهم اذا ما جنى زيد قلدوا به عمرا؟
والا فما بال النطاسي كلما شكوت له يمنى يدي ابعد اليسرا

وهو القائل :

عوى علي كليب لا اجاوبه وما علي فى نبح الكلب من عار
لو كل كلب عوى القمته حجرا لاصبح الصخر مثقالا بدينار

فقد المؤلف ولده

ونستطرد هنا من جملة النكب المتقدمة ، ما اصبنا به من موت الولد البار فى منتصف رمضان ، عام (1233) جعله الله لنا فى ميزان القبول ، وهون علينا المصيبة بعده ، ما وقفت عليه فى الكشاف للزمخشري عند قوله تعالى «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع،ونقص من الاموال والانفس والثمرات»

عن الشافعي رضى الله عنه انه قال : النقص من الثمرات موت الاولاد.
واخرج ابو نعيم ، عن عمر ، وبن ميمون انه قال : كنت مع ابى فلقى مكحولا ومعه فتى ، فقال له ابى من هذا ، قال ابني ، قال كيف رضاك عنه ؟ قال : ما بقيت خصلة من خصال الخير ، الا وقد رايتها فيه الا واحدة ، قال : فما هي ؟ ، قال : كنت ارجو ان يموت فأوجر فيه .

واخرج ابن المبارك ، عن عياض بن عقبة ، انه مات له ولد ، فلما انزل فى قبره ، قال له رجل والله ، ان كان لسيد الجيش فاحتسبه ، قال وما يمنعني وقد كان بالامس من زينة الحياة الدنيا ، واليوم من الباقيات الصالحات .

واخرج عبد الرزاق واحمد ، عن زيد بن اسلم ، قال : مات ابن لداوود عليه السلام فجزع عليه جزعا شديدا ، فقيل له ما كان يعدل عندك ؟ قال : كان احب الي من ملء الارض ذهبا ، قال فان لك من الاجر مثل ذلك .

واخرج احمد والطبراني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذ مات ولد العبد ، قال الله لملائكته ، قبضتم روح عبدي فيقولون نعم ، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم ، فيقول ما ذا قال عبدي ، فيقولون حمدك واسترجع ، فيقول ابنوا لعبدي بيتا فى الجنة » وسموه بيت الحمد .

وأخرج أبو نعيم ، عن عمرو بن شعيب الخولاني ، انه سمع ابا مسلم الخولاني يقول : لان يولد لي ولد يحسن الله نباته ، حتى اذا استوى على شبابه وكان اعجب ما يكون الي ، قبضه الله مني ، أحب الي من ان يكون لي الدنيا وما فيها ؟ .

وأصيب الحجاج بابن له ، فاشتد حزنه عليه فدخل وغير ثيابه ، ومس شيئا من الطيب واذن للناس فدخلوا عليه ، وهابوا ان يكلموه فرفع راسه وقال

فحسبي ثواب الله من كل نكبة وحسبي بقاء الله من كل هالك

وقال للناس تحدثوا

واخرج ابن دريد عن يونس بن حبيب قال : اتينا خالد بن صفوان نعزيه فى ابنه ، فانتهينا اليه وهو يقول

وهون ما القى من الوجد انني أجاوره في قبره اليوم او غدا

وقال غيره

جاورت أعدائي وجاور ربه شتان بين جواره وجواري

فاذا كان مثل هؤلاء السادات ، الذين هم افضل اهل الارض ، يطلبون هذا ويتمنون وقوعه بهم ، ليحصلوا على ثواب الله ورضاه ، والمجازات بالجنة، فكيف ونحن احوج الخلق وأفقرهم الى ذلك .

فالحمد لله على ما انعم به علينا ، فاحتسبناه لله ونسأل الله ان يلحقنا به على أكمل الحالات، ويميتنا على حسن الخاتمة ، ويجعله في ميزان حسناتنا، فقد تشوقنا للقاء الله ، وبلغنا في هذا الوقت لغاية ليس فوقها غاية ، وشاهدنا اكثر اشراط الساعة ، التي وردت في الاحاديث النبوية الخاصة والعامــة ، واعمها حديث فضلة بن معاوية الانصاري ، الذي وجهه عمر لحرب الفــرس بالقادسية ، وحدث بحديث زريب بن برثملا ، صاحب عيسى عليه السلام ، الذي سئل على الساعة ، فقال : « اذا استمتع رجالكم برجالكم ، ونساؤكم بنسائكم ، وانتسبتم الى غير مناسبكم ، وتوليتم غير مواليكم ، ولم يرحــم كبيركم صغيركم ، ولم يوقر صغيركم كبيركم ، وكثر طعامكم ، ولم يزده الله الا غلاء لاسعاركم ، وصارت خلافتكم في صبيانكم ، وسلط عليكم شراركم ، ولم يستجب دعاء خياركم ، وجعلتم اكثر أموالكم في بنيانكم ، وصار خطبــاء منابركم عبيدكم ، وركن علماؤكم لولاتكم ، فأحلوا لهم الحرام ، وحرموا لهم الحلال ، ووازروهم وافتوهم بما يشتهون ، وتعلم علماؤكم العلم ، ليحتلبوا به دنانيركم ودراهمكم ، واتخذتم القرآن الحانا ومزامير ، ومنعتم حقوق الله في اموالكم ، وكثرت أموالكم ، وتألفت السنتكم ، واختلفــت قلوبكم ، وزوقتــم مساجدكم ، وطولتم منابركم ، حليتم مصاحفكم بالذهــب والفضــة ، وصار العطاء في العبيد توقعو الخزي والبلاء ، ويكلب عليكم عدوكم ، وضربتم بالذل والمسكنة ، وقلة الصدقة ، حتى يطوى المسكين من الحول الى الحــول ، ولا يعطي عشرة دراهم ، وتكثر الفجور وتنبش القبور ، وتعول السادة ، وتستعبد القادة ، فعند ذلك ينزل عليكم الخزي والبلاء ، ويحجــب عن الله دعاؤكــم ، وتنزل بكم نقمة ربكم » انتهى .

الزياني وآراء معاصريه :

رجوعا ، قال مؤلفه عفا الله عنه ، وهنا انتهى بنا تقييد هذه الرحلــة السعيدة ، والترجمانة المفيدة ، التي جمعت اخبار الاقطار والامصار ، والمدن والقرى والقفار ، وما تخللها من البحار والجبال والانهار ، والعيون والآبار ، التي لم يجمعها ديوان ابن الجوزي ، ولا تأليف ابن عبد الجبار ، ولا ابن عبد المنعم في الروض المعطار ، فالحمد لله على قضاء الفرض وبلوغ الاوطار ، انه العزيز القهار ، ولما اخرجته من السواد الى البياض ، وشــاع خبره ككــرم عكرمة الفياض، وسمع به الطلبة اهل الدولة، ومن له في الادب جولة او صولة، التمسوا مطالعته عند من كان يستخرجه من الكتاب ، وراموا الوصول اليه من تلك الابواب ، فخبرني بذلك بعض الاصحاب ، فجمعت ما كان مفرقا من تلك الاوراق ، قبل ان ينقل خبرها قبل التمام الى الافاق ، فاتفق لي يومــا الاجتماع بالمسجد الجامع ، بالفقيه الذي هو لمكارم الاخلاق جامع ، الشريف

الاديب ، السميدع الاريب ، قامع اهل الدعوات ، نقيب الاشراف ، سيدي سليمان الحوات (1) فسألني على وجه المداعبة وقال :

انت كتمت عنا خبر تاليفك فى هذه الدولة العلوية ولم تخرجه للمجال ، وخفت عليه من صولة الرجال فقلت :

ليس هو بمكتوم ، بل مشهور معلوم ، وليس بمقتصر على هذه الدولة ، بل جامع لكل من له صولة أو دولة فقال :

لا بد أن تتحفنا بمطالعة كله أو جله ، او كتيبة من خيله او رجله ، فقلت:

لم يكن منعي له خشية من البيادق والفراخ ، بل خفت وثبة الفرازن والرخاخ ، ولي العذر فيما قدمت عليه من نظم القوافي ، اذ لا قوادم اطير بها ولا خوافي ، ولا آلة ولا اوصاف بها أتجمل ، ولا ناقة اركبها ولا جمل ، ولا ما اجول به فى ميدان اهل القريظ ، ان فوقوا سهامهم بالتصريح او التعريض ، وأما ما امليته من أخبار الاواخر والاوائل ، فكله منقول ومنسوب الى القائل ، فمن اعترف بالحق من ذوي الالباب ، والا فهذه العرب بالباب .

ولما انفصلنا وجهت له كراريس الدولة العلوية بتمامها ، فى خيلها ورماتها ، وهو « البستان الظريف ، فى دولة اولاد مولاي الشريف » مع كراريس اخرى من تأليف « الترجمان المعرب . عن دول المشرق والمغرب » ومعها هذه الرسالة ونصها :

الفقيه النبيه ، العلامة الوجيه ، الاديب الاريب ، السميدع اللبيب ، المميز بين الاشراف وبين العامة الاجلاف ، نقيب السادات ، وقامع اهل الدعوات ، محبنا الاجل ، سيدي سليمان الحوات ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ورضوانه الاعم وتحياته ، وبعد فيصلك عشرة كراريس من تأليف

---

1) ابو الربيع سليمان الحوات توفى 1816 م من اشهر ادباء المغرب وكتابه أيام المولى سليمان بن محمد بن عبد الله عاصر الامام السلفي حمدون بن الحاج السلمي وبينهما مراسلات ومساجلات . من مؤلفاته :

1) البدور الضاوية التي اختصرها البوعزاوي ت 1919 م
2) الناصريون أهل درعة
3) الروضة المقصودة .. فى مآثر بني سودة
4) السليمانيات قصائد فى المولى سليمان
5) ثمرة انسي فى التعريف بنفسي « مذكراته » كتبها سنة 1205 - 1790
6) المسك الاريج فى نسب اولاد الدريج
7) قرن العيون فى الشرفاء القاطنين بالعيون
8) السر الظاهر فيمن احرز بفاس الشرف الطاهر من اعقاب الشيخ عبد القادر طبع 1932
9) ترجم للشيخ محمد بن الحسن بناني المتوفى 1194 - 1780
10) عناية المجد بذكر آل الفاسي بن الجد وقد نسب « خطأ » للملك المولى سليمان
11) علاقة المغرب بالجزائر : الخزانة العامة

الترجمان ، يطلب منكم الامان ، وكراريس الدولة العلوية بتمامها ، في خيلهـا ورماتها ، مستترة بثوبي عيي وقصوره ، على انها من ربات الخدور ، تطلب منكم الامتحان والاخبار ، والنظر بعين الاعتبار ، فان وقفت على خطأ او خلل او غلط ، او شيء من محل سقط ، نبه عليه وانت ماجورا ، وسعيك مشكورا، فالمؤمن مرءاة اخيه ، وليس كل متطفل يعد نبيه ، على اني فيما امليتـه ليس بمبتدع ، بل مقلد ومتبع ، نعم اخبار هذه الدولة العلويـة ، التي لم يتقـدم لاحد فيها تأليف ، ولا اعتني بجمع حوادثها مشروف ولا شريف ، فما كان من اخبار الرشيد ، واسماعيل واولاده ، وآثاره وحركاته واجناده ، نقلتها من تقاييد غير مجموعة ، واحاديث اسانيدها غير مرفوعة ، للسادات القادريين ، والفاسيين ، والبكريين ، فالدرك عليهم ، وما كان في دولة امير المؤمنين سيدي محمد ، ايام خلافته وملكه ، وحركاته ووقائعه وآثاره الى يوم وفاته ، وفي دولة ولده اليزيد ، من الابتداء الى ان بلغ ما يريد ، وفي دولة مولانا المؤيـد بالرحمن ، مولانا سليمان ، فبالمشاهدة والعيان ، والتقلب في خدمتها بالبيان ، ومولانا نصره الله عارف بسرها وجهرها ، وصاحب مقابلتها وجبرها ، فان اصبنا غرضه المطلوب ، نلنا غاية المرغوب ، والا كان في عـدد ما اقترفناه من الذنوب ، ولذلك اشرت بقولي على لسان التأليف . فان رضا بي فيا فخري ، ويا شرفي ، وان جفاني سليمان ، فوا حربا ؟

واما « تأليف الترجمان » فهو في غاية التخليـص والسبك ، والطـرز والحبك ، مختصرا جامعا ، ولسيده مبايعا ، فاذا وصلتـك الكراريس مـن دوله ، وما اشتملت عليه من اتباعه وخوله ، فطالع ما بها من الدول ، لتتحقق ان الاخير مثل الاول ، قال جدكم في الاحاديث الصحيحة « ان الدين النصيحة» وعلى سيدنا ازكى السلام ، في البدء والختام

وكتب في محرم فاتح عام ثلاثين ومائتين ، والف بلقاسـم بن احمـد الزياني وفقه الله .

وهذا السيد اول من رآه ، وكتب عليه ما تراه ، لاني كنـت اتهمـت نفسي وخفت ان اقع فيما قدمت عليه بين ابناء جنسي ، لعلمي بما في طوقي من القصور ، في المنظوم والمنثور ، قصير الباع ، قليـل البضاعة والمتـاع ، فتأنيت في استخراجه ، واستخرت الله على ظهوره وابرازه .

ولما اتى جوابه ازال شكي ، وقال انـه للمحب يسر وللعـدو ينكـي ، فاعتمدت قوله ، وقلدت عقله ونبله ، وهو الحامل لي على اخراجه ، وتعليق سراجه ، فابرزتهما من السواد في البياض ، فتدفـق خبرهما كرم عكرمـة الفياض ، ونص ما اجاب به بعد الحمد والصلاة على النبي الكريم ...

« انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم » وقفت على هذا البحر الزاخر ، والديوان الجامع لخبر الاوائل والاواخر ، الذي جمعه كاتب الدولتين ، ومؤرخ الحضرتين ، الفقيه الاديب ، المحقق النجيب ، المعوذ بالسبع المثاني ، السيد ابو القاسم الزياني ، الذي لم يات به من حقق ودفق ، ولم يستخرج درره من تأخر او سبق ، فقلت لما رايته هذا البيت :

ان يوما لنا ظري تبدا   لتملى من حسنه تكحيلا

وقلت حين جلوسي لسمره ، ومشاهدة شمسه وقمره ، هذا البيت :

فبات ضجيعي لم انم شغفا به   وظل انيسي معجبا بنوادره

فقد غاص مؤلفه فى بحر دواوين الاقدمين ولدررها جمع ، ومهر في هذا الفن وتضلع ، فحقه ان يكتب بسواد الاحداق ، ويشهر فى الحواضر والافاق ، لاشتماله على فضائل هذه الدولة العزيزة الوجود ، المتصفة بالكرم والجود ، سدة مولانا السلطان الجليل ، الماجد الاصيل ، مولانا سليمان ، بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل ، أبقى الله مجادته ، وأدام سعادته ، وأثاب مؤلفه بالنظر لوجهه الكريم ، فى جنة النعيم ، ءامين كتبه فى محرم فاتح عام ثلاثين ومائتين والف .

رسالة أمير المؤمنين المولى سليمان للمؤلف

ولما بلغ خبرهما لمسامع مولانا امير المؤمنين ، كتب لنا فى الحين ، هذه الرسالة بخط يمينه الكريمة ، وبلاغته السليمة ، محبنا وكاتب والدنا الفقيه الاديب ، اللوذعي الاريب ، السميدع الانفع ، المؤرخ الارفع ، السيد ابو القاسم متع الله بك ومتعك ، فلقد احسنت فيما جمعت ، واوجرت فيما الفت ، ولقد عاب اهل العصور ، وعلماء الجمهور ، من لم يقيد فضائل اهل مزانه ، ومكارم اخوانه ، لان المذكور حي ما بقى ذكره ، قال تعالى : « واجعل لي لسان صدق فى الاخرين » ، والمجهول ميت ، حي وميت ، ونأمر ابن عبد الصادق ان يدفع لك الكاغيد الذي بالقبة من عنده ، او من عند ابن سالم ، وواجر على نسخه بمثال للكراسة ، وقف على كتابته ابقى الله لك به اجرا وذكرا ، وجعله لك فى الآخرة ذخرا ، ولا نجهل حقوقك علينا ، وفقك الله واياك ، لما فيه صلاح دينك ودنياك ، والسلام .

احمد شقور :

وممن كتب على فهرسة التآليف ، التي من الله بها علينا الفقيه الاديب الشريف الاريب ، سيدي احمد شقور العلمي ، فقال بعد القصيدة .. ؟

هذا الرجل كان قديما عن المغرب مدة أعوام ، وادي فريضة الحج واقام ، يتقلب في المشرق من مصر للشام ، ومن الشام للعراق ، وبلاد الاروام ، ثـم عاد الي المسجد الاقصى ، والبيت الحرام ، واخذ عن جماعة من الاعلام ، وكان وجهه أمير المؤمنين ، سيدي محمد رحمه الله لحضرة السلطان ، عبد الحميد العثماني بهدية ، فقضي الفرض المطلوب ، ورجع بالثناء الجميل ، وفي اقامته بالاسطنبول ، لقى جماعة وافرة من اعيان الفقهاء والنبهاء ، والسادات الكبراء ، والوزراء العظماء ، واستفاد منهم وافاد ، وبلغ الكل اقصى المنا والمراد ، وهو الآن معتكف علي جمعهم ، ومعلنا برفيع قدرهم وشانهم ، بلغنا الله واياه غاية المـرغـــوب .

الزيانى ونسبه البربرى :

التعريف بصاحب هذه الرحلة وعمود نسبه ، وهو ابو القاسم بن احمد، ابن علي ، ابن ابراهيم ، المذكورين احمد بن نوح النسابة ، ابن ابراهيم بن علي، ابن الحسن بن قاسم ، بن يحيى ، بن عيسى ، ويحيى هذا هو ابو فخذنا ، من قبيلة زيان بن نوح ، بن فاضل ، بن علي ، زيان ، وهو ابو القبيل ، ابن «مالو» هو جماعة آيت مالوا ابن يحيى ، بن « زقـا » هـو أبو زمـور ، وبنو حكم بن دهمان ، بن علي ، بن عجلان ، ابن واحى بن حامد ، ابن اويس ، بن اليسع ، الذي أسلم ، كان علي عهد عبد الملك بن مروان وقبيلته ، اذ ذاك بفزان من أرض الصحراء قبل ان يدخلوا لسجلماسة ، ابن مدرار بن علوان ، بن سابور ، ابن رياح ، ابن سجفو ابن قرماط ، ابن ناجي بن سليمـان ، بن بخـت ، بن علوان ، بن ناجم ، بن سجفو بن صنهاج ، جد قبائل صنهاجـة كلها ، وهـذا العمود من اليسع الذي اسلم الى صنهاج ، ذكره سابور بن سليمان المطماطي في تاريخه ، في ذكر من اسلم من قبائل صنهاجة ، ومن مالو الى اليسع ، ذكره التادلي فى تاريخه ، عند ذكر قبائل صنهاجة ، وعنه نقله الجد علي بن ابراهيم، ومن الجد الى مالو من املائه ، نقلته من خطه رحمه الله ، عام سبعين ومائة والف ، ومن صنهاج بن عاميل ، الي كنعان بن حام ، بن نوح عليه السـلام ، مشهور مقرر فى كتب التاريخ ، كابن خلدون فى « ديوان العبر » وابن حزم فى « الجمهرة » عن الطبري شيخ المؤرخين ،

قال الجد رحمه الله فى التقييد ، ان السبب الحامـل على رسم هـذا العمود الى صنهاج ، ثم الى نوح عليه السلام ، ما رايته من بعض طلبة الوقت الذين عرفنا أصولهم وفروعهم ، ينتمون الى النسب العربي ، وهم ليسو منه ويانفون من الانتساب لنسبهم البربري ، ويقولون ان صنهاجة من حميـر ، وهم من صميم قبائل البربر ، ان زناتة البربر ، يرفعون نسبهم الى القيسية من مضر ، وهم من صميم قبائل البربر ، وسبب انتساب صنهاجة الي حمير،

دخول طائفة من حمير فى البربر ، كان تركهم افريقش الحميري ، فى مدينـة قرطاجنة بافريقية ، مع طائفة من صنهاجة ، فلما غلب عليهم الروم واخرجوهم من قرطاجنة ، توجهوا مع البربر واقاموا معهم الى ان انقرضوا ، وانقـرض عقبهم ، ولم يبق لهم ذكر ، فبقي الجهلة ينتسبون لهم ويقولون ، ان اصلهـم حمير ، هذا اعتمادهم فى انتساب صنهاجة لحمير

كتاب المؤلف لحمدون بن الحاج :

ولما شاع خبر هذا التاليف وخبره ، وتداول بين الناس ذكره ونشره، طلب الفقيه الاديب ، السرى الاريب ، السيد حمدون بن الحاج ، مطالعة كله او بعضه ، لما راى الكراسة عند ناسخه ، ثم قدم علي بنفسه ، وتقرب لنظره بأدبه وانسه ، فوجهت له من اوله وآخره وكتبت له هذه الرسالة فى معنـى العـــــذر .

ونصها شيخ اهل الادب ، ونخبة اشراف العرب ، سيـف الفقهـاء ، ولسان الخطباء ، العالم المحقق ، المشارك المدقق ، الورع الزاهد ، المتخلـق بأخلاق الافاضل الاماجد ، الذي بمضاء عزمه علماء الوقت يقتدون ، وبآرائه السديدة يهتدون ، حبنا السيد حمدون ، لا زالت سيوف اقلامـك قاطعـة لحجج الملبسين ، وسهام فقهك راشقة لاهل البدع الملبسيـن ، وسـلام الله عليك والرحمة والبركة ، حالتى السكون والحركة ، وبعد فاني أحب وافدي طلعتكم السعيدة ، وغرتكم البهية الفريدة ، واعترف بما لكم علينا من حقوق المواصلة بعد الانقطاع ، والاستدعاء بعد اليأس من نقد تلـك الرقاع ، وقـد وجهت لكم ما حضر من أولها وآخرها ، اذ هي مفرقة عند الكتبة لها ، واني مقر بقصر الباع ، وقلة البضاعة والمتاع ، صانع بغير آلة ترشد الى الفلاح ، ومحارب بغير سلاح ، ومن العجب وقلة الادب ، ان يجـول مثلي فى ميـدان فرسان اهل الادب ، غير ان الولع بهذا الفن ، حملني على اتباع آثار من كتب فيه وصنف ، وجمع شوارده والف ، واستعنت على ذلـك بعصا التسيار ، والجولان فى الاقطار ، واقتناص بنات الافكار ، فى البراري والبحار ، حتـى جمعت كل من على وجه الارض ملك ، ورسمتهم رسم النجوم فى دوائر الفلك ، وبعد ان اكملت نظامه ، واتممت وشيه وختانه ، اختصرته فى أرجوزة نظما ، وجعلت وفات الملوك رمزا معمى ، لما رايت نظم ابن الخطيب فى رقم الحلل ، ونظم الدول ، اهمل تاريخ وفاة الملوك ، وسرى بين الغني منهم والصعلوك ، فالمطالع له كسابح فى بحر او تائه فى فلات ، لعدم تاريـخ الولايـة والوفاة ، وكذلك نظم أبى فارس الملزوني يقتدي بصنيع ابن الخطيـب ، فلـم يكـن

لدائهما علاج ولا مباشرة طبيب ، ثم ظهر لي أن اشرح ذلك الرمز بما لا يقع فيه لبس ، فرارا من العكس ، فصار تأليفان فى صرح ، النظم والشرح ، وهما غير الديوان الكبير ، الذي مطالع تراجمه المشتمل على دول المعمور كلها ، ثم اني اعتذر للسيادة من ذلك النظم الصريع ، وبالتلفيق الركيك البشع ، والرمز المعقد الوضيع ، فان القصد منه الاختصار ، وتحقيق الاخبار ، فان جميع تراجمه وفصوله وجزئياته ، منقولة من كتب التاريخ ، مختصرة من تلك الشماريخ ، واعتذر لذوي النهي والالباب ، ومن قال فهذه العرب بالباب ، على انى فيما جلبت ورسمت متبع ، ولست بمبتدع ، نعم أخبار هذه الدولة العلوية ، نقلتها عن ائمة يقتدي بهم من السادات القادريين ، والفاسيين والبكريين ، فالدرك عليهم وما فى الدولة المحمدية ، واليزيدية ، والسلمانية ، فبالمشاهدة والتقلب فى الخدمة وممارستها ، وتقييد حوادثها ، حلوها ومرها ، سرها وجهرها ، ويعلم الله انى ما بدلت ولا غيرت ، ولا داهنت ولا راءيت ، وما ذكرت الا ما اعلمه واعتقده ، فان كنت أصبت ، فلي اجر المجتهد المصيب ، وان اخطات ، فعلي ما على المجتهد المخطىء ، ولا أقول بالفخر والتجري ، ما قاله ابو العلاء المعري

واني وان كنت الاخير زمانه ... ءلات بما لم تستطيه الاوائل

بل اقول

على قدر الكساء مددت رجلي ... ولو طال الكساء لها لطالت

ولا اغض الطرف واهمل القضية واضيع الحقوق ، كما فعل معك الفقيه الاديب السيد احمد زروق ، فانى المجيب لك والملبي ، ولا تعد عيناك بعد عن قول المتنبي

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدى المساويا

وعن قوله

واذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل

وهذا القدر كاف فى العذر للاستاذ النقاد ، صاحب الذهن الوقاد ، عن هذه الرسالة التي وجهت لك عن عجل ، تسعى لجلالك على قدم الحياء والخجل ، فهي دون شرف بلاغتك الاغر المحجل ، فقابلها بالبشر والقبول ، وامسح على رأس اليتيم ، فان ذلك من العمل المقبول ، وشرفنا بمطالعة منظومتك التي شاع ذكرها فى الآفاق ، وسار بخبرها السفر والرفاق ، وفاح عطرها فى انف كل ذي لب وذوق يروق ، وما عساه ان يزيد فى معناها السيد احمد زروق ، وعلى سيادتكم منا ازكى السلام فى البدء والختام ، وكتب محبكم بلقاسم بن احمد الزياني غفر الله ذنبه ، وستر عيبه .

ولما بلغته الرسالة ، وجه لنا الجزء الاول من منظومته التي تأنق فيها واصاب ، كتب في الجواب بعد الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، ما نصه

حمدون بن الحاج

طالعت ما وصلنا من تاريخ الترجمان ، وحقه أن يسمى بهجة الزمان ، فلله درك يا أبا القاسم ، في احياء هذه المواسم ، اذ جمعت منها ما لم يجمعه مؤرخ الدول ، واضفت المتأخر الى الاول ، فصار هذا التاريخ وعليه المعول ، واما الفية السلوك ، في وفيات الملوك ، فقد « قرات منها ما قرات » (1) واعجبني ما نظمت ونثرت ، ولا يعيبها ان تبدل كلمة باخرى . الجمال والكمال فذلك من تمام ، والله لوجدت في دهري من على يشير ، بتبديل كلمة من منظومتي التي تأنقت فيها ، لكدت من السرور اطير ، فقلت عن رسالتك مجيبا ، وفي مدح هذا التأليف الغريب مصيبا :

هذي أبا قاسم عقود انتظمت ... وجوهر الحسن فيها غير منقسم
تضمنت ما بتاريخ أتيت به ... يرمي بموج من الاخبار ملتطم
اظهرت ما كان فيمن فات مختفيا ... ظهور نار القرى ليلا على علم
بكل ترجمة منه نظرت لها ... سيب من اليم او سيل من العرم
وما اتى به غير ان اضيف له ... غرق من البحر او رشف من الديم
مسائل كلها في بابها غرر ... احيت بما نشرته دارس الرقم
وفيه من خبر يحلو ومن عبر ... ما في الفريقين من عرب ومن عجم
لو أنصف الدهر كنت عين دولته ... وحاجبا صاحبا للسيف والقلم
ما ضر سيفا تخلى عن حلى وله ... قطع ولا الشمس تحت خندس الركم
كلا لعمري لانت اليوم افضل من ... ما كنت فيه ولو انصفت لم تلم
ما شمت برقهم الا واحزنني ... ذكرى الخيام وذكرى ساكني الخيم

لله الامر من قبل ومن بعد ، وما تقدم من تقدم الا بسعد ، ولله در القائل :

وقالوا المليك اليوم أصبح معرضا ... ومنك بدت في كل حي نعوته
فقلت دعوني في خمولي دائما ... ومن فاتنا يكفيه انا نفوته

---

1) ما وضعناه بين قوسين سقط في الاصل ، في مختلف النسخ وكلها بعد التي بين ايدينا المؤرخة في 1233

وعليكم منا ازكى السلام ، في البدء والختام ، وكتب ولدكم حمدون ، وعند تمام التاريخ ان شاء الله يكون ما يكون ، فهذه عاجلة من محب لا ينفع ولا يضر ، وياتيكم بعدها ما يعرب عن الاخاء ويسر .

رسالة المؤلف الثانية للسيد حمدون بن الحاج :

ولما وجهت له الجزء الذي وجه لي من منظومته ، كتبت له معه هذه الرسالـــة .

ونصها : بعد الحمد لله المبدى المعيد ، طالعت هذه المنظومة التي انشأها علم الاعلام ، الحبر الامام ، في مدح اشرف الانام ، واهل بيته الكرام ، وصحابته ومن تبعهم ومن له معهم مقام ، عليه وعليهم من الله افضل الصــلاة وازكـــى السلام ، فألفيتها بحرا زاخرا ، وروضا بازهاره عاطرا ، مؤسسة المبانـــي ، بديعة الالفاظ ، والمعاني ، عليها سر جلالـــة النبوءة يلوح ، وانوار الرسالـــة تغدو عليها وتروح ، بل هي دنيا أخرى ، مشتملة على اقاليم وحواضر ومدن وقرى ، وكل أوصاف المادحين ففي جوف الفرا ، وفيها جداول وأنهـــار ، وبحار وقفار ، لا يدرك حدها ، ولا يحـــد بعدها ، طولهـــا من الشــــروق الى الغروب ، وعرضها من الشمال الى الجنوب ، خرجـــت عن نطـــاق الرصف ، والتحلية والوصف ، احاطت بمناطق الرفعة والمجد ، ولايحاد جلالها صاحب مطية ، وراكب آلة او ذو عزم وجد ، تعجز الدليل الماهر الخريت ، ويتوقف في غوامضها كل ذي فهم ثاقب من قديم او حديث ، ولا يدخل لجتها ، الا من سبح في بحار المعقول والمنقول ، ولا يقطع قعرها الا الادباء الفحول ، فلا بـــد لمولانا الشيخ الفاضل ، والعلم النحرير الكامل ، ان يجعل لها تراجم وابوابا ، ويعقد لها فصولا ورحابا ، يستعين بها على قصده الماهـــر ، ويستدل بهـــا الدليل الحائر ، فان من دخل لجة بحرها لا يدري أين يسير ، ومن وقع في قعرها يحتاج الى خبير ، فليس كل الناس أعزك الله تحسبهم مثلك ، يغوصون غوصك ، ويسبحون سبحك ويستخرجون من صدفك درك ، فاجعــل لكــل عاجز مثلي أين يستريح ، ولكل قاصد قصدها ما يغنيـــه عن التبريح ، ومـــا حملني على ما قلت الا المحبة الصريحة ، لخبر ان الدين النصيحة ، ولقولك فيما كتبت لي وانت به خبير ، تقسم انك لو «وجدت في دهرك من عليك يشير ، بتبديل كلمات منها ، لكدت من السرور ان تطير » فليس بها ما يبدل ولايعاب ، الا خلوها من التراجم والفصول والابواب ، وذلك قريـــب المأخذ ، سهـــل الوصول ، لمن يصنع الرماح والنصول ، ومثلك ايها النبيه لا يحتاج للتنبيه ، بارك الله فيك ودام علاك ، ومتعك بما انعم عليك واولاك ، والســـلام عليكـــم ورحمة الله وبركاته .

من محبكم بلقاسم بن احمد الزياني ، غفر الله ذنبه ، وستر عيبه .

محمد بن عامر المعداني التادلي :

وممن كتب على هذا الاساوب ، من اشتملت على محبته القلوب ، الفقيه الاديب العلامة الاريب ، محبنا السيد محمد بن عامر المعداني التادلي ، بعد الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

ما نصه الفاضل الذي لو انصف الزمان ، الذي هو غرة أيامه ودرة نظامه ، لكان احق بالسلطان من الزبرقان ، وأولى بالميزان من الكيوان ، واحجى بعلو المراتب ، من سائر الكواكب ، منتهى الاماني ، الفقيه السيد ابو القاسم الزياني ، ابقاه الله بقاء الفرقدين ، فى تدبير السعدين ، وعلى علي مقام اخينا فى الله من التحيات ، ما على الارجاء من طيب النسمات ، والرحمة والبركة ، تتزايد على مقامكم الرفيع ، حالتي السكون والحركة ، هذا وقد طالعت ما لكم من النظم والنثر ، فالفيت ذلك غرة فى صفحات الدهر ، ووجدته ابهى من زهور الخمائل ، وارق من السلافة التي يميل بارتشافها المائل ، وقد قمت على أهل البراعة بواجب ، وكل من ينتمي للمراتب والمناصب ، وابقيت هذا التأليف على أدباء العصر دينا ، وللحسدة قذى وحينا ، وان كان هذا الفن قد نسفت عليه الرياح ، فلقد احييت منه ما يسر الارواح ، كما يلي

يمضي الزمان بكل فان ذاهب الا جميل الذكر فهو الباقي

فلم يبق من ايوان كسرى بعد ذلك الحفل فى الانفاق ، الا ما خلد في الاوراق ، وما كان للسفاح ، والمنصور ، والمهدي ، والرشيد ، والامين ، والمامون ، ذكر على الاطلاق ، لولا براعة الوراق ، رجع التراب الى التراب ، بما اقتضته فى كل خلق حكمة الخلاق ، الا الثناء الخالد المعطر الشذا ، يهدي حديث مكارم الاخلاق ، وان رأى الاخ صان الله جوهره من عوارض الحدثان ، وامنه من زعازع الملوان ، ان يمن بعد جمع التأليف بسرده ومطالعته ، والاقتطاف من زهره وثمرته ، فلكم الفضل الجزيل ، والمن الجميل ، وان اذنت فى التقريظ عليه فلنا ـ ولله الحمد ـ على ذلك اقتدار ، ولمن حالفناه انتصار ، ولنا مجال فى استخراج بنات الفكر اللطائف ، انبتت عليه كل خود مسدولة السوالف ، وما يرى على ما هو مكتوب فى الاوراق والصحائف ، ابقاكم الله محفوظين وبعين عنايته ملحوظين ، والسلام

وكتب محبكم ، بل اخوكم محمد بن عامر ، وفقه الله .

* * *

محمد بن هنو اليازغي :

ولما استدعاه الفقيه الاديب ، صاحب القلم الفريب ، والتصنيف العجيب ، السيد محمد بن هنو اليازغي ، وطالعه كتب عليه .

ما نصه الحمد لله الذي له ملك السموات والارض وحده ، والصلاة والسلام على من هو للانام قدوة ، مولانا محمد افضل هذه الامة ، وعلى آله وأصحابه اجمعين ، وعلى مولانا أمير المومنين ، واختم بالدعاء والرحمة لمن نزه أبصارنا ، وشنف أسماعنا ، بمطالعة هذا التألف الحافل الباهر ، والبحر المتلاطم الامواج الزاخر ، الجامع لخبر الاوائل والاواخر ، واطلع فى فلكه ، شمس هذه الدولة العلوية الاسماعيلية ، التي كانت فى حيز الاهمال ، ولم يتعرض لذكرها أحد من ادباء وقتها بنقص ولا كمال ، ولا تفصيل ولا اجمال ، وفى غابها الليث الهصور ، والنمر المقدام الجسور ، والهيكل الاكبر ، والقمر المنير الازهر ، العادل ابن الكامل ابن الفاضل ابن الجليل ، سليمان بن محمد، ابن عبد الله بن اسماعيل ، وكيف لا وفيها ثالث العمرين ، ومشيد معالم الدين ، بهجة الزمان وآية الرحمان ، أمير المؤمنين مولانا سليمان ، كيف لا يفتخر على الادباء من ألفه ، وكيف لا يعلو على الرؤساء من صنفه ، وخلد آثاره فى وجنات الدهور وشما ، ومكارمه فى المشارق والمفارب وسما ، فحقه ان يكتب منه نسخا ويشهر ، ولا يفتني ويدخر ، لاشتماله على فضائل هذا السلطان الجليل ، الماجد الاسيل ، وجمعه لخبر الاولين والاخرين ، والفرق الضالة والملحدين

خذ ما شئت من آيات قرآنية تنزيلية وأقوال مشهورة تفسيرية ، وأحاديث صحيحة نبوية ، ونصوص متداولة صحابية ، وقصص معلومة تابعية ، ومواعظ صوفية ، وحكم لقمانية ، وحكمة افلاطونية وسياسة عدلية، وقوانين ازلية ورسائل سجعية ، واشعار أدبية ، وحكايات انسية ، وقواعد هندسية ، وضوابط وصورة أرضية ، مكورة وبسيطة ، ونصوص قطعية وسنية ، فى الرد على أهل البدع من الخوارج ، والروافض ، والزنادقة ، والمعتزلة ، وشبهت هذا التاريخ ، بالتحلية ذات الشماريخ ، تعلو على رؤوس الاشرار كالتاج ، وتضيء ثمارها كالسراج ، ينفتح طلعها فى بياض الاكمام ، وحبه كالدر المنظوم فى أجياد الحور ، المقصورات فى الخيام ، ثم يعود كالزمرد الاخضر ، ثم يرجع كالياقوت الاحمر ، ثم يكون فاقعا أصفر ، فان نضج صار العسل منه يقطر ، وكذا هذه الدولة العلوية ، مطرزة بلطائف كل دولة ، منمقة بكل من له نحور او صولة ممزوجة بكل جميل قبلها ، وفى قصرها وضعت كل حامل حملها ، وكل عروس طوقتها حليها ، اطلب ما شئت من شراب سائغ بعد القرا ، فكل الصيد فى جوف الفرا ، تقبل الله من مخترعه عمله ، وبلغه فى الدارين قصده وامله ، وكتب محمد بن هنو لطف الله به آمين .

أبو بكر بن ادريس المنجرة :

وكتب الفقيه الشريف الاستاذ سيدي ابي بكر بن ادريس المنجرة الحسني ما نصه :

الحمد لله وقفت على هذا التقييد المصنف ، والتألف المقرط المشنف ، وامعنت في بعض مسائله النظر ، وانعمت وسائله كي التقط الخبر ، فاذا هو كامل في فنه ومعناه ، كف في مقصده ومفزاه ، توشح بما حواه من تطريز الانقال ، وترشيح بما زانه من تبريز مخدرات المقال ، فجاء كتابا مختصرا موعبا من طالعه قضي منه اربا ، وانفح أرنبا ، واغتبط به فزاد طربا ، اربى بكماله وجماله على ما سواه ، من دواوين التاريخ واغنى بقطوفه الدانية ، على تلك المشاريخ ، كما قيل :

ففي كل لفظ منه روض من المنا وفى كل سطر منه عقد من الدر

وناهيك به من مصنف مرونق ، ومستعطف منمق ، عقد معانيه تلألأت درره ، وافق مفانيه قد أشرقت شمسه واستدار قمره ، وكنز مبانيه نشرت جواهره وبدره ، لا سيما ولموضوعه رفع لا ينكر ، ومحله من العلوم يحمد به صاحبه ويشكر ، اذ هو بستان اولى الالباب ، ورياض الادباء والكتاب ، خيم بساحل بحره الكبراء والوزراء ، وضربت وجهته قبالها الملوك والامراء ، لا يولع به الا ذو نفس زكية ، ولا يعتنى به الا ذو همة عالية ، فدونك تأليفا مجموعا جموعا ، حلت غرر نفائسه منه قصورا وربوعا ، نسفت ارواحه المطاليخ ، عن سماء علم التاريخ ، وذلك شاهد باتساع عارضة عارضه ، وضخامة د سيعة منشئه وجامعه ، كيف لا والكل بأمر مولانا الذي تلألأت غرر شيمه الطاهرة ومفاخره ، وملأت الآذان والاذهان درر خيمه الباهية الباهرة ومآثره ، ظل الانام وكهف الاسلام ، وملاذ الخاص والعام ، مقيم اود أمة جده عليه من الله الصلاة والسلام ، وما ذلك من حسنات مولانا الذي منح فخم الاجر ، الا نقطة من زاخر بحر ، ومن صحة عزماته ، ومدده الذي بلغ اوج مقام الاقوياء ، الا نقطة من وابل حياء ، فهو حفظه الله الذي رفع للعلم مناره باقراره ، واحيا معالمه الدواثر ، والزم نصره الله نشر ما حوته الدفاتر .

فله أيده الله المنة بدءا وعودا ، وجميل الثناء والشكر على ما أولى واسدى ، فمن امتنانه وخلوص طويته ، وصفاء سريرته والصدق مع المولى سبحانه فى نيته ، هذا « الترجمان المعرب ، عن دول المشرق والمغرب » ، الذي عنى بجمعه الفقيه البارع العلم ، الجامع بين السيف والقلم ، كاتب الدولتين ، وسفير الرحلتين ، المؤرخ للاباعد والاداني ، وبقية الاماني ، السيد

ابو القاسم الزياني،محبةللحضرةالعلمية العلوية،وخدمة للسدة السنيةالسليمانية، لا زالت ملجئا الانام ، وملاذا لهم من حوادث الايام ، أثابه الله الرحمن الرحيم، واحيا بحياته مئاثر الاقدمين ، ومتع بفوائده كافة المسلمين ، قاله وكتبه عبد ربه ، الراجي عفوه وغفرانه ، ابو بكر بن ادريس ، بن عبد الرحمن ، المنجرة ، الحسني احسن الله خاتمته .

* * *

أحمد زروق :

وكتب الفقيه الاديب ، السيد احمد زروق بن محمد بن صابر الجعفري بعد الحمد ، والصلاة والسلام على رسول الله ما نصه :

الحمد لله الذي له ملك السموات والارض وما بينهما ، ولا يعزب عن عمله مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ، المبدي المعيد ملك يوم الدين ، الواحد الاحد القديم ، الباقي وارث الارض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ، مكون الاكوان ، وملون الالوان ، قضى سبحانه على خلقه بالفنا ، وجعل لهم أملا ومنى ، وصلى الله على لبنة التمام ، وسر وجود الانام ، ومنشأ رحمته وانواره ، وكنز ملكوته واسراره ، الاول فى ايجاد الموجودات ، والاخر الخاتم لديوان النبوءة والرسالات ، سيدنا ومولانا محمد المؤيد بالآيات البينات ، والمعجزات الباهرات، صفوة الصفوة، ومنتهى الولاية والحظوة، لله مما قد برا صفوة، وصفوة الخلق بنو هاشم ، وصفوة الصفوة من بينهم ، محمد النور ابو القاسم، اللهم صل على رحمة العالمين ، وشفيع المذنبين ، وملاذ التائبين ، ومعتصم العاصين ، وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد ، فان الشيخ الفقيه النبيه ، النحرير النزيه ، المؤرخ المؤلف ، المصنف المفرط المشنف ، بقية النبلاء الفضلاء الاخيار ، ونخبة الاجلاء الابرار، المحقق المدقق المدون المصيب ، ذا المرعى الخصيب ، زين المباني ، وعروس التهاني ، وبديع الالفاظ والمعاني ، ابا محمد سيدي ابى القاسم بن احمد الزياني ، اسبغ الله عليه نعمه ، وادام عليه فضله وكرمه ، اطلعني على تاليفه، المسمى « بالترجمان المعرب ، عن دول المشرق والمغرب » ، فارسلت طرف طرفي فى روضه الاريض ، الطويل الذيل العريض ، فعاينت معينه يسبح في الرضراض ، سبح الحية النضناض ، وادواحه متسقة زاهرة ، واطياره بالثناء على نغماتها باهرة ، كتاب جليل فى وضعه ، جميل فى صنعه ، حفيل في وسعه ، زينة ابتداؤه ، وحسنة انتهاؤه ، جمع فيه دول العرب والعجم ، وقصم عودهما وعجم ، واستوعب انباء الامم ، من عاصره ومن تقدم ، وميز فيه بين الطفو والانطفا ، وجاء من كل مترجم عنه بالوفا ، أماط عن كل مبهم

غاشية الخفا ، فلله يد نظمت حليه ، ونمقت وشيه ، ما اطول باعها ، واجمل في العلوم اتساعها ، فحق على كل منصف ان يصفه بعذوبة ورده ، ونعومة ورده ، وجلالة مجاله واتساقه ، وبهاء طوقه ونطاقه ، ورشاقة صدوره واعجازه ، وصدق حقيقته ومجازه ، ويقول صادقا ، وبالحق ناطقا ، هو روضة نشرت طوائف مطارفها ، ولطائف زخارفها ، تضوعت بالارج الطيب ارجاؤها ، وتفوحت بنوافح المسك انوارها واشجارها ، وتساجعت بسجع المنطق اطيارها

جارت عقول الناس في ابداعها   ام بشكرها تتأود
سيقول ارباب البطالة تنثني   ويقول ارباب الحقيقة تسجد

فالله يجازي جامعه احسن الجزاء يوم الجزاء ، فقد ايقظ الغافل مثلي بسرد أحوال من درج ، من حظه حضيضه ، ومن رقاه علمه وعمله معالي الدرج ، ومن انطفا ، ومن علا وطفا ، ومن اكتنفته اللحود ، ومن شملته من رحمات الله السعود ، وكيفية تقلبات الدهر ، بالرغم والقهر ، والتباس خيره بشره ، وامتزاج حلوه بمره ، فاللبيب من اتعظ بغيره ، وحاسب نفسه في سره وجهره ، والعاقل من اعتبر بمن مضى وغبر ، واقول :

هنيئا هنيئا ابا القاسم   فروضك ذو زهر باسم
جمعت علوما منضدة   فلله درك من ناظم
وفي ذمة الله سبحانه   علاك فما لك من هاضم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وكتب اخوكم احمد بن محمد بن صابر الجعفري .

* * *

عبد الودود الاندلسي :

وكتب الفقيه الاديب ، المشارك الاريب ، السيد عبد الودود الاندلسي ، ما نصه : الحمد لله مجزل العطا ، في العلم والكاشف فيه الغطا ، المطلع بعض عباده على بعض علومه بما شاء ، المنزل الودق من خلال السحاب من تحت السماء .

هذا على انه لما اطلعني الاخ في الله الاحب ، الفقيه العلامة المنتخب ، الجهبذ اللوذعي ، راية التاريخ والادب ، من هو لسان الدنيا ولكل خير منتدب ، على ما صنفه في جميع الدول ، واضاف اواخره للاول ، وعلى ما الف في الدولة العلوية نظما ونثرا ، حرسها الله من كل باس دنيا واخرى ، وقد ابدى في مصنفه واعاد ، وما رأيت في كلامه من سقط ولا اطناب ولا مستعاد ، مصنف ابهر به الاولين والاخرين ، بمسك ازرى بمسك دارين ، وقد فجر فيه عين ماء

معين ، وان لم يكن له بمغربنا آلة ولا معين ، وانما اغترف من قدره ، وانزل منه للنازلين نزلا ، كل واحد على قدره ، من حاصل خلاصة صدره ، واعطى حاجتهم المضمونة حتى تكون وثيقه بهم تمام الوثـاق وتمام التضامن فيمـا لكل صادر ووارد على قدر صدره ورأى ما راى من عدل امام وقته ، وكمال سمته ، حجة العلوم . **مولانا سليمان** ، فاستنطقه حلمه والامـان ، فأتـى فى التاريخ والادب ، بما لم يات به احد فى زمان ، بل بما للمحب يشفي ، وللعدو يشفي ، عن كل تاريخ سلف ، لكل سامع وطالب يكفي ، وقدر كل عالم وطالب كفا ويكفي ، فكثر تقليبي لمصنفه ورشفي ، وراق تمر علمه تمري وتمر غيري، فأتلف حشفهم وحشفي ، ومن انكر من ذوي النهي والالباب ، فهذه العـرب بالباب ، فايقظني من نوم غفلتي ، ونبهني من رقدتي ، حتى تضاعفت حسرتي، اذراق نظمه ونثره بما اعجز كل قائل ، من الاواخر والاوائل ، لذوق المقول فيه ، فاتى بما يكفينا ويكفيه ، وقد تقدمت لي دالية من ستمائة بيت ، سمح بها الخاطر لكثرة الخطوب والخواطر ، احتوت على شكوى لله وحكم ومواعظ، ومندوبات وسنن وفرائض، واخرى فى دولة اهل فاس ، سميتها «الشقشمية؟» لحكمة ازلية اقتضتها التسمية ، فلما رايت فى تاريخه هذا سحره البابلـي ، بما أعجز قلبي وحدتي وفكري واناملي ، اجزتـه على الاتصـاف ، وذيلـت مصنفه بابيات فحق ان يكتب مصنفه بسواد العين ، ويجازي عليه بأوقار من خالص التبر والعين ، حيث اتى به فى هذه الدولة العلوية نظما ونثرا ، اذ هو بها حرى واحرى ، وهذه الابيات فى مدح الكتاب ، ومدح مولانا أمير المؤمنين، سليمان العالم الاواب ، ابقاه الله للمسلمين ، ولقمع الكافرين :

اللـه اتحفنـا بالخيـر للابـد	لما سليمان حل الغرب لا تـزد
حبـر امـام همـام خير بطـل	للجب اثمـد والاعـداء كالبـرد
هو الهنا والمنى والفضل فى سعـة	هـو الامـان بـلا عد ولا عـدد
الحلم يعلوه فى الاحكام من خلـق	بلا اختلاف ولا صنع ولا حنـد
والنصر يعلوه اين حل وجهتـه	بلا انتصار ولا جيش ولا مـدد
والعلـم داع لـه بكـل معركـة	وكـل حكـم بـلا ريب ولا فنـد
من جسمه ان بدا للحاسدين لـه	رعب كما غنم مـرت على اسـد
الله كافيـه مـا يبغـي ويأملـه	فى عصمة حرسته المكر بالجلـد
لم يخش ما يختشي وان رآسفها	سفاه من حينه ، بالقصد لا القصد
وباختصـار بنعمـه له حصلـت	من الالـه فـلا تغتـر بالجحـد
عرج على باب سلمى تلقى مدحته	يحدو بها فى ربى الاوطان كل حـد
فما على البدر من نبح الكلاب وان	فاتت تناعقه بالرخـو والجمـد
منحنا الله منـه بالرضـى ابـدا	وشد من فـم كل واش بالقتـد
جـاءت خلافتـه بكل مصلحـة	فدوخ العرب بالاغوار والنجـد

كفى الامان به فى كـل ما سبـل ... من غير ما عـدد لـه ولا مـدد
أبقاه ربي لنا حفظا ومحرسـة ... للدين فى ولد والنسـل والحفـد
ان أبا القاسـم الزياني نسبتـه ... منه حواري مثل الراس للجسـد
يكفيك ما ابصرت عيني بدولتـه ... مصنفا منه لم ينشه من احـد
حق لنا من عظيم القدر نكتبـه ... بماء عين واقلامـه من جسـد
لكن سيدنـا مـن حلمـه ابـدا ... يظن مخبـره العسـل فى زبـد
وما درى الحاسد المريد من ضغن ... ينشى ثيابا واشحاصا من الحسد
وشى فصادف قلبا خاليا عطـرا ... ربـه صادقـا لا يظن من نكـد
فكان ما كان من حـط لرتبتـه ... ونكبة حصلت بالافـك والفنـد
براي من قد بغا بأخـذ بلدتـه ... انكي بها كل حاضر وكل بـد
فقلت من كمد والنار في كبـدي ... لما عراني ، من جور الباغي المرد !
اشكو لمن خلق الانسان من علـق ... بمن يدنـس بيـت الله بالكنـد !
وما الامير بخـاف عنـه ذاك ولا ... عن علم غيره لكن احبل المسـد
فاصبر لعل يكن عطفا ومرحمـة ... من الامام ويدنـى كـل مبتعـد
فحلمه وسع الخلـق وعمهـم ... احرى الذي ضيع العمر فى كبـد
على الامير سلام الله ما طلعـت ... شمس وما قام منه العدل للابـد

قاله وكتبه اخوكم فى الله ، ومحبكم عبد الودود الاندلسـي ، اصـلا الشفشاوني دارا .

* * *

أحمد بن ابى نافع :

ثم كتب الفقيه الاديب، العلامة المحيب، السيد احمد بن ابي نافع ما نصه.

الحمد لله الذي جعل نتيجة العالم انسانـا ، وعلمـه منطقا وبيانـا ، واصطفى من الخلق عدنان ، ورفع لهم المنزلة والشأن ، والصلاة والسـلام الاتمان الاكملان ، على نخبة الخلق واكرمهم على الحق ، مولانا محمد المختار ، من عبد مناف ونزار ، وعلى آله وأصحابه الانصار ، ما توالت الاعصار .

أما بعد فان الفقيه النبيه الوجيه ، الحسيب النسيب ، الاديب الاريب اللبيب الحبيب العلامة العرفاني ، سيدي ابى القاسـم الزياني ، بلغـه الله الامال والاماني ، وابقى ذكره ما تليت المثاني ، ورنت الثوالث والثواني ، كان وفقه الله صرف شبابه ، فى تحري الصواب والاصابة ، فانتصب لخطة البراعة والكتابة ، وترقى للوزارة والحجابة ، وكان فى ذلك المكان ، من اقوى الدعائم

والاركان ، بديع الاحسان ، بليغ البيان ، صاحب المقام الرفيع المكين ، والقدم الراسخ والتمكين ، جمع للرياسة حسن التدبير والسياسة ، مقصودا في المهمات ، ولآمأنته ونباهته ، ومروءته ونزاهته ، كان فيما بين الملوك سفيرا ، وصديقا ظهيرا ، وقمرا فى الارض منيرا ، الى ان جالت به الاقدار ، وشطت به الدار ، وخاض البحار ، وجاب القفار ، وسامر السفار ، وانجد واتهم واغور واشأم ، وخالط فأقحم ، وحاج فأفحم ، كما قيل

اسري واسير فى الافاق من قمر   ومن نسيم ومن طيف ومن مثل

ولما عادت أوبته ، وسكنت وحشته ، واظفرته رحلته بأكابر العلماء ، واهل الحكمة والحكم من القدماء ، وءاب من رحلته وقد قضى فرضه ، واشتاق اليه وطنه وارضه ، فانبسط لاحصاء العلوم بنباهته ، وانقبض عن العالم بنزاهته ، واقبل على كتبه ودواوينه ، وحذق اليها عيون حدقته وفهمه ودينه ، وملئت بالعجائب خزانة لبه ، لما سبق من ولوعه وحبه ، تصدى وتصدر لجمع الكتاب ، المسحر النهي والالباب ، فهو المسمى « الترجمان المعرب ، عن دول المشرق والمغرب » احصى كل مبعد ومقرب ، وانسى الانيس المطرب ، واخمد ما خلفه ابن خلدون ، لانه بالقياس اليه دون الدون ، وحلك ما حيك فى ليل ابن خلكان ، لانه اقتصر على بعض ما كان ، وقصر سهم خريدة العجائب ، وحاد عن الفرض وليس بصائب ، وطال فى خبط ابن بطوطة ، فازهار حديقته ملقوطة ، وثمار ذلك البستان مبسوطة ، على طرق التمام محظوطة ، وبتحكيم جداويل الحكم منوطة ، وفى كلها اعجوبة وانشوطة، وما نسب دوحة الناشر ، منه الا كالجزء العاشر ، او نسبة العلاوة ، من المحمولة والاثاوة ، او الرزمة من القرطاس ، لقصوره عن الادارسة ومغراوة ، ومن قبل بني وطاس ،" بستان وناهيك به من بستان ، ازرى بفراس الادب ، وبحران ونجران وسجستان ، تأنق مؤلفه وتألق ، ودفق ورونق ، بعد ان فلسطن وقسطنطن ، وبسط بساط اخبار الملوك ودحاها ، واغطس ليلها واخرج ضحاها ، وابرز للوجود منطقة بني آدم واملاهـا ، وجعل من تحت الارض منهم اعلاها ، وطوق جيد الدنيا وحلاها ، وتوجها بالاشراف الملوك العلويين ، اعلا الله مقامهم فى عليين،ولم يبق معهم ذكر للامويين ، والعباسيين ولا للادارسة ولا للزيدانيين ، ملوك وقتنا اقاموا الدين ، واوضحوا السنن للمهتدين ، اسفر عن عد التهم ورشدهم رشيدهم ، وحسن به فى المحافل تمجيدهم ونشيدهم ، واحيا ذكرهم وجدد مجدهم وحمدهم ، وشرقت شمس ضحاهم ، على الذي جعل بالمفاخر مماتهم محياتهم ، وشد عضد الدين والايمان ، **ابو الربيع مولانا سليمان** ، ابقى الله الملك فيه وفى بنيه واعقابه ،

وابد ثناءهم الجميل ، بتأييد الدهر واحقابه ، فلا احصى ما لهم من الشمائل، ولطاف المحاسن والفضائل ، ولو تعرضت لتلك المآثر لملأت طروسا ودفاتر، ولسللت اسنة من السنة البيان قواضب ، قواضي ، مواضي ، بوارق ، بواتر، وكل قاص قيس بهم فهو قاصر ، ولو اني تفرغت للسبق فى ذلك المضمار ، لاكتسبت فرسانه ضمور الخيل وسكون الاضمار ، فلا فاء ظل عولهم الممدود، ولاناء جوهر ذاتهم المنضود ، وابقاهم الله للناس آية ، ومنهم المبدأ واليهم النهاية ، والسلام كتبه احمد بن ابى نافع وفقه الله .

* * *

العربى الدمناتى

ولما استدعاه الفقيه الاديب، اللوذعي الاريب ، السيد العربي الدمناتي، وطالع ما وصله من الاول والوسط ، سر بصنيعه واغتبط ، فكتب ما نصه :

الحبر الذي فصاحته تحلي اجياد الطروس العاطلة ، والبحر الذي سماحته تخجل انواء الغيوث الهاطلة ، شهاب العلم الذي لا يخبو واقده ، وروض الكلام الذي لا يجدب رائده ، السيد الذي هو فى جيد هذه الدولة الشريفة درة ، وفى جبينها غرة ، وفوق هامتها اكليل وتاج ، وفى سمائها سراج وهاج ، ووسط احداقها انسان ، ولاذاعة مآثرها لسان ، من ساسها بلطيف تدبيره الصائب ، وذاد عنها بيمين يمنه حدثان المصائب ، حتى بلغت الاشد وسوف تزيد ، وشكره كل من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ، الامجد الانجد ، البركة الاوحد ، سيدي ابى القاسم بن احمد ، ابقى الله مقاصد سعدك سافرة الغرر ، وآية مجدك خالدة الاثر ، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، ما تعاقبت غدواة الدهر وروحاته .

هذا ، وقد حليتني اعزك الله بتلك الصحيفة ، الغراء المنيفة ، التي ما مثلها لجوهر المودة صدق ، وانعشت بها قلبا طالما وهو لنوائب الدهر هدف، فكانت لدي كهبوب السحر ، والذمن طعم الكرا بعد برح السهر ، والله يعلم قدر محبتي اليك ، وثنائي فى كل ناد عليك ، وكفى بقلبك شاهدا ، وان مرآت المؤمن قلبه كما قيل :

سلوا عن مودة الرجال قلوبكم   فتلك عدول لم تكن تقبل الرشا
واني والله
اسائل عن احوالكم فيسرني   سماع الذي ابغيه منها واطلب

ولقد سالت الاخ سيدي احمد عن احوالكم الشريفة ، وشيمتكم الظريفة ، فابدى فى الثناء واعاد ، واحسن واعاد، فأنشدته قول رقيق الانشاد:

وحدثتني يا سعد عنها فزدتني جنونا فزدني من حديثك يا سعد

لا حرمنا الله رؤية طلعتك ، والالتقاط مشافهة من ساحل لجتك ، وقد كنت صديان النفس الى ذلك الكتاب ، ومشرئب العزيمة الى معرفة ما فيه من الفصول والابواب ، حتى وردت الكراسة عن استطلاع بمقتضى باعث الود الغير المضاع ، فاجريت طرف طرفي فى مضامير الفاظها ومعانيها ، وسرحت نظر ناظري فى مبانيها ومغانيها ، فرأيت ما سحر العقول ، وبهر ذوي المنقول، ولم يدع لاحد ما يقول ، كتاب حسن فى غير عجز ايجازه ، وكثر فى غير ملل اعجازه ، وتناسبت صدوره واعجازه ، جمع عذوبة اللفظ ، ورشاقة المعنى ، وقرب المتناول ، وحاز البلاغة بتقرير المعنى فى الافهام ، من اقرب وجوه الكلام، فخلته روضا قد تفتحت عن اسرار البلاغة أزهاره ، وانفجرت عن جداول الفصاحة انهاره ، والفيت فيه من أسرار افادتك ، ولطائف اجادتك ، ما يسهل الحزون ، ويسر المحزون ، ويعطل الدر المخزون .

كتاب لو أن الكتب كانت زواهرا تضيء على الافاق كان هلالها

ولا عجب فانك بحر العلوم والادب ، الذي تنسل اليه غواميض لآليه من كل حدب ، والالمعي الذي تقلد لاقتناص فرائد فوائده اجتهاده ، واورى في غياهب عزمه زناده ، حتى فاق اصمعي الزمان وحماده ، وصار حريا بقول البحتري ابي عبادة

واذا تألق فى الندى كلامه المصقول خلت لسانه من عضبه
واذا دجت اقلامه ثم انتحت برقت مصابيح الدجى فى كتبه
فاللفظ يقرب فهمه في بعده منها ويبعد نيله في قربه
حكم فسائحها خلال بنانه متدفق ، وقليبها من قلبه
فكأنها والسمع معقود بها شخص الحبيب بدا لعين محبه

تراهنت فى ميدان كل معنى بعيد بديع ، حتى اكسدت سوق النباهة على الحريري والبديع ، فبمثل نباهتك تسير الاخبار الى الاقطار ، وفيك وفى بداهتك معجزة وحيرة واعتبار :

لله درك من امام عالم حزت العلا وسموت فوق الفرقد
ناديت كل فضيلة فتسابقت لحماك تخفق كالحمام الورد
ولقد ملكت النبل حتى لم تدع لسواك الا مثل رشح المبرد

ولعمري لانت أجدر بقول القائل

اذا قال لم يترك مقالا لقائل بملتقطات لا ترى بينها فصلا

ولله درك فيما أمليته فى تقييد العهد ، تفاؤلا بكمال السعد ، فقد حكت كلامه على حسب الاماني ، وخطت الفاظه على قدود المعاني ، واديت به حق الصحبة ، وذكرتني به قضية المغيرة بن شعبة ، جزيت خير الدارين ، وشكر الخافقين ، والله يبقيك آية حق فى الخلق ، وشجي للاعداء فى الحلق :

ءاميـــن ءاميـــن لا أرض بواحـــدة　　حتـــى اضيـــف لها ءالاف ءامينـــا

والسلام وكتب حبكم العربي بن محمد الدمناتي لطف الله به

* * *

عبد الواحد بن احمد بن التاودى بـــن سودة

وممن كتب على هذا الاسلوب ، من اشتملت على محبته القلوب ، الفقيه الاديب ، البليغ الخطيب ، ابو الفضل ، سيدي عبد الواحد بن العلامة المشارك السيد احمد بن الشيخ الاكبر ، والعلامة الاشهر ، سيدي التاودي بن سودة المـــري فقـــال :

ســـلام كزهـــر الربـــا الباســـم　　يوافـــي مقـــام ابـــى القاســـم
وزيـــر الملـــوك العظـــام ومـــن　　تقلـــد بـــالقلـــم القاصــــــم
ليهنك مجـــد كشمـــس الضحـــى　　وفخـــر علـــى الناثـــر الناظـــم
بمـــا قـــد دعـــاك اليه الاميـــر　　فقمـــت ومـــا كنـــت بالنائـــم
وجئـــت بتاريخـــك المرتضـــى　　يتـــوج مـــن ملكـــه الهاشمـــى
فبالله عفـــوا علـــى قاصـــر　　فقـــد جـــار فى مدحـــك الـــلازم
وابشـــر بعيـــد سعيـــد سمـــا　　ودم كامـــل العـــز للقـــادم

وكتب محبكم وولدكم ، عبد الواحد بن احمد ، بن التاودي ، بن سودة المري طالبا منكم الرضى .

* * *

ثم تلاه رفيقه الشريف الاديب ، الذي حاز من العلم اوفر نصيب ، السيد احمد شقور الشريف العلمي فقال

ففي كل عصر قيض الله من يشيد　　في العلـــم والتاريـــخ اعلا بنـــاء
ينبيء من ياتي بأنبـــاء من مضـــى　　كأن الـــذي يصفى بعينـــه راء
وفى عصرنا قد احرز الفضل فيه ثا　　قب الذهـــن حقـــا عالم العلمـــاء
ابو القاسم الحبر المؤرخ من عنت　　لاسجاعـــه اكابـــر الشعـــراء
فخاض بحورا فى مباحث ســـره　　وحاز الثنا من سائر الفضـــلاء

ادام اله العرش بدره طالعا وامنه يوم اللقا والجزاء
وبالفضل فاقبل ايها العلم الرضى هدية حب مذنب ذي حياء

* * *

العباس بن احمد بن التاودى بن سودة :

وكتب الفقيه العلامة ، القاضي الفهامة ، السيد العباس بن العلامة ، سيد احمد بن الشيخ الاكبر ، السيد التاودي بن سودة المري ، ما نصه : وعلى محل والدنا الفقيه المؤرخ النبيه ، الجامع لفضائل الدولتين ، وكاتب الحضرتين ، الذي اعرب ترجمانه عن دول الاعارب والاحاجم ، النحرير السيد أبو القاسم ، عليك منا ازكى السلام ، والدعاء بحسن الختام ، على ما اتحفتنا به من مطالعة اول تأليفكم الترجمان ، الذي جمع اخبار ملوك الزمان ، ونؤكد على سيادتكم فى الاتحاف بما تيسر من تأليف البستان ، اذ هو ثاني الجنتان ، ولكم الفضل الجميل ، والثواب الجزيل ، وتفضلوا بقبول ما سمحت به القريحة ، من الابيات السقيمة والصحيحة ، مع كثرة الاشغال والاهوال ، بالاقوال والافعال ، فلفقت ما خطر على البال ، وهذه الابيات :

ايا كاتبا قد احكم النظم والنثرا ونفذ من املائه النهى والامرا
وعجز ارباب النهى برسائل يقلدها من لفظه التبر والدرا
يمينا بمن أولاك اشرف رتبة لوضعك فى التاريخ طاب بنا نشرا
كتاب حوى تحقيق انباء من مضى بما قد طواه الموت اكسبه نشرا
وبالعلوى المرتضى وجدوده تيامي ففاق النجم والشمس والبدرا
فلله من ملك سليمان نوره ونعمته العظمى وآياته الكبرا
حقيق بأن تعطي من الدر وزنه وتقطف من ادواحه العز والفخرا
ابا القاسم الاسمى اعتذاري اليكم وشأن كرام الناس ان يقبلوا العذرا
فانني لا احصي ثناء عليكم ولو انني افنيت فى مدحك العمرا
وبالله عفوا عن لسان مقصر امولاى فاقبل ما أتيت به شعرا

وكتب ولدكم العباس بن احمد بن التاودي لطف الله به .

* * *

ادريس بن عبد الله الودغيرى :

وكتب الفقيه الشريف ، الاستاذ سيدي ادريس بن عبد الله الودغيري :

لقد تيمت دعد بحسن لها قلبي وقدت بنصل اليته من حسنها لبي
وارسلت دمعي حين لم استطع لقا شقيقا لكى احوز من قربها قربي

فناءت وزادت فى الجفا بعد ما بـدا محيا يفوت الشمس من غير ما حجب
فلما فشـا عشقـي وقـل تجلـدي اتيت اقبـل الثـرا مظهر الكـرب
فقالت اشيخ الذكر لا تذكر المنـا لقطفك عن وصل المحاسن بالذنـب
فقلت لها ما الذنب قالـت اما تـر كت مدح بنات فكر شيخ بلا عيـب
ابى القاسم الذي بنا المجد فى المعـا لي بالمعرب المهذب الفائق العـذب
فقلت لها لا يستطيع القريـظ مـد ح من قلد النحـور فى لؤلؤ رطـب
فحنت وجاءت بعد عجزي تكرمـا وقالت فان الاجر فى صلة الصـب

انتهى ، وكتب محبكم ادريس بن عبد الله الودفيري الادريسي .

* * *

العربى بن الهاشمى الزرهونى :

وكتب الفقيه النبيه السيد العربي بن الهاشمي الزرهوني ، هذه الابيات:

طالعت برنامـج الكتـاب فاتحـة دلت على حسنه وحسن خاتمـة
احيا به امما مضت الى سبـل حتى تجلـت علينا غير نائمـة
فيه الملـوك وابنـاء الملوك ومـا تبقى المآثـر من ابناء فاطمـة
للـه در لغـواص علـى درر بـه لكـل الـذي تبغيه ناظمـة
فالله يبقيـه فى الذي يحبـه من عيـش رضـى وايام مسالمـة

وكتب محبكم وولدكم العربـي بن الهاشمـي الزرهونـي العزوزي ، امنـه اللـه .

* * *

محمد الصادق بن ريسون :

وكتب الفقيه العلامة الشريف ، الاديب اللغوي الظريف ، سيدي محمد بن الصادق العلمي من تطوان ، يطلب نسخ الكتاب والمواجرة عليه ، هو ورفيقه الاديب سيدي التهامي ، بن العلامة البركة ، سيدي علـي احمد الشريف ، لما بلغهما خبر التأليف ، ما نصه : السيد الذي صفقت مودته ، وخلصت في ذات الله محبته ، الفقيه النبيه ، العلامة الوجيه ، الفهامة النحرير ، المؤرخ الشهير ، الكاتب البارع ، الجامع المانع ، ذو الإخلاق المرضيـة ، والمحبـة

الخالصة الصافية ، الاخذ بنواصي المفاخر والمعاني ، ومن له اليد العليا في تحقيق المباني ، ابو المكارم ، سيدي ابو القاسم الزياني ، ادام الله حفظكم وعافيتكم ، وحرس بمنه وكرمه مجادتكم ، وابد بطوله سعادتكم ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ورضوانه الاعم وتحياته ، عن خير تام ، وهناء شامل للامة عام ، وعافية لجميع المسلمين ، بوجود مولانا امير المومنين ، وطول ايامه منصورا مؤيدا ، محفوظا مؤبدا ، وبعد فقد بلغنا خبر تاليفكم الجامع المانع ، المتفق على شرفه ، من غير مدافع ، لما اشتمل عليه من سيرة الاولين والاخرين ، ودول الاسلام ومن قبلهم من المشركين ، وختمته بذكر هذه الدولة العلوية ، التي لم يتقدم فيها ذكر مع الدول ، من اهل عصرنا الآخر والاول ، فجزاك الله أحسن الجزاء يوم المكافات والجزاء ، وهذا من امير المومنين ، وفضائله التي شملت جميع المسلمين ، فلك الفضل على جميع من يخط بالقلم من الادباء والكتاب ، والفقهاء الملازمين لتلكم الابواب ، وقد قمت عنهم بواجب ، وعلى كل وزير وحاجب ، ابقاك الله غرة فى وجه الزمان ، فى امن وامان ، ثم المقصود والمطلوب من الاخوة القديمة ، والمحبة الصميمة ، ان تتفضل بنسخ هذا الكتاب الجامع ، والديوان الشامل المانع ، وتنظر لنا كتبه من كتبت لكم فيه ، أو غيرهم ممن يحسن ما رسمتم فيه ، ليسلم من التحريف والنقص والتصحيف ، وتجيبنا عن هذه الرسالة ، فنوجه للطلبة الاقامة ، وبعض الاجرة ليكون هذا الاجر على يدك تتميما لهذه الصدقة الجارية ، التي يبقى ذكرها واجرها ، وذلك من ثمرة التاليف واجادة اشاعته بين الناس ، والله يرعاك ، والجواب عزما عزما ، ويسلم على سيادتكم محبكم وابن محبكم ، سيدي التهامي ، بن سيدي علي بن احمد ، بن سيدي مولاي الطيب ، بن محمد بن عبد الله الشريف العلمي ، ويؤكد عليك فى الاعتناء بهذا الامر ، بارك الله فيك والسلام محبكم محمد بن عبد الصادق ، بن ريسون العلمي

* * *

محمد بن احمد بنانى :

وكتب الفقيه الاديب ، السيد محمد بن احمد بناني رعاه الله ، هذه الرسالة فى معنى العتب ، على عدم توجيه التاليف له ، لما بلغه اطلاع رفيقه ، السيد حمدون بن الحاج ، عليه قبل ذلك معنا

ونص ما كتب : السيد الذي سادت به الاسياد ، وحاز من المفاخر ما به يستميل القلوب ، باذغان وانقياد ، الجهبذ الاعظم ، الذي على بابه ينثر الكلام

وينظم ، وبه تفتح المعاني وتختم ، كاتب الدولتين ، ومؤرخ الحضرتين ، الجامع لما افترق فى غيره من المعاني ، علامتنا سيدي ابى القاسم الزياني ، على حضرتك العلية ، والمحفوفة بالمواهب السنية ، اتم السلام والتحية .

وبعد فلقد بلغني ، انك وجهت لمن كان معنا من تاليفكم « الترجمان » ومن الاخر الذي هو « البستان » ، وقدرت بذلك قدره ، ونوهت بمطالعته شمسه وبدره ، وجعلتني فى حيز الاهمال ، ودفعتني عن منصب الكمال ، وتركتني من اهمالك فى حيرة ، وتبعت سبيل من جفا ، وسرت سيره ، وشأن من كان مثلك من الاشراف ، سلوك طريق الانصاف ، وان يحكم بالسوية ويعدل بين الرعية ، ومثلك ايها النبيه ، لا يحتاج الى تنبيه ، وهذا القدر كاف فى العتاب ، من ذوي المروءة والصحاب ، عليكم السلام ، من محبكم الفقير الجاني ، محمد بن احمد بناني ، كان الله له .

* * *

محمد الشفشاوني :

وكتب الفقيه الاديب ، العلامة الاريب ، المدرس الحسيب ، السيد محمد ابن منصور الشفشاوني ، يعاتبنا على عدم توجيه الكتاب له ، ليطالعه من جملة الطلبة ، وكان اذذاك مريضا ، ورءاه عند الفقيه ، السيد حمدون بن الحاج ، فكتب يقول : الفقيه النبيه ، العلامة الوجيه ، غاية الاماني المحب ، السيد ابو القاسم الزياني ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فلم لم تعرجوا علينا بحال ، ولم نبق لكم على بال ، وجعلتمونا فى حيز الاهمال ، وحططتمونا عن رتبة الكمال ، ووجهتم تاليفكم للقريب والبعيد ، والسفيه والرشيد ، كأنك تفرق بين الشقي والسعيد ، وحسبتنا من الجهالة والاجلاف ، وممن لا يعتبر عند الخلاف ، وكأنك لم تعرف مقامي ، فى حركتي ومقامي ، وكأنك لم تجزم بمشاركتي ، فى النحو والفقه والحديث ، وبأن لي فهما يميز بين الطيب والخبيث ، او كأنك خشيت ان نجهل مقامك فى التاريخ والادب والاخبار ، او ننتقد عليك ، ما جمعت من تاليف الاخبار ، كلا ورب الكعبة والمشعر الحرام ، وزمزم والمقام ، فلو اخبرتنا مع من اخبرت ، وذكرتنا فيمن ذكرت ، حتى لا يبقى عليك ملام ، وتبقى علينا العهدة ان قصرنا والسلام ، محمد بن منصور ، ضاعف له مولاه الاجور .

* * *

وكتب ايضا الفقيه الخطيب السيد عبد الواحد بن سودة ، رعاه الله مــــا نصـــه

ابا القاسم الاسمى سلكت الهدى بشرى وهيأت للعليا ويسرت لليســـرى
ابا الله الا ان يديم لــك الصـــدرا ويطلع في آفاق ساحتك الفخـــرا
فثـــق بضمـــان الله ربك واغتنـــم ثناء كعقد الدر يبقى لــك الذكـــرا
فقـــد كان مولانـــا الاميـــر محمـــد أجل ملــوك الارض توجك الامـــرا
وزفـــت الـــى عليـــاك منـــــه وزارة فكانت لكم شمسا وكنت لها البدرا
وذا نجلـــه الاعلى اقتـــدى بفعالـــه فأسدى اليك العطف واللطف والبرا
حقيـــق بان تعفـــي وتحظى ببـــره وتترك خامــلا لتكتســـب الاجـــرا !
ولم لا وقـــد أسلفـــت ودا وخدمـــة وما زلت تغنـــي فى مدائحه العمـــرا
كفـــاك الـــذي اهديتـــــه لمقامـــــه كتاب وعى الاخبار ممن مضى طـــرا
نشرت به من ءادم سالـــف الـــورى ليتعظ الراي ويستعمـــل الفكـــرا
الـــى دولـــة عربيـــة حسنيـــــة انافت على الدنيا بنسبتهـــا الفـــرا
لقد شنف الاسمـــاع در حديثهـــا كما عطرت ازهارها النجد والفـــورا
وهـــذا أميـــر المومنيـــن جمالهـــا ونعمتها العظمـــى وءايتها الكبـــرا
هو الملك العـــدل الذي في ظلالـــه نعمنا فلم نخش الهجير ولا الهجـــرا
أضاف الى الملك العلوم فاصبحـــت بحضرتـــه ماســـورة تظهر الســـرا
روى الجود عنه حاتم وبه اقتـــدى واخجل نهر النيل والقطر والبحـــرا
حبـــاه لـــه العرش ملـــك سميـــه سليمان من حاز الولاية والنصـــرا

* * *

عبد القادر السلاوى :

وكتب الكاتب الاديب ، السيد عبد القادر السلاوي هذه الابيات

ابا القاسم لا زلـــت فى فلك العـــلا توضح اشكالا وتكشـــف عن ســـر
سموت على العليـــا بتاليفك الـــذي حييت به التاريخ من أول العصـــر
وضعت كتابا اذهل الكـــل جمعـــه ينبـــيء عما فـــات في أول العصـــر
جمعت بـــه ما اغفـــل الغير ذكـــره وحسنتـــه بالنظـــم فى زمـــن نـــزر
وأخبار ذكـــر الاقدميـــن جمعتهـــا من ءادم حتى الان من عبد او حـــر
وزينتـــه ختمـــا بذكـــر ملوكنـــا من انفردوا بالعدل فى النهى والامـــر
بنو هاشـــم ما فى الانـــام نظيرهـــم لهم غربنا يسمو على كـــل ما قطـــر

واتحفت في حين به ملك الـــورى ... سليمان من يعطي الجزيل من البـر
ادام الــه العــرش بـدره طالعـــا ... بأقصى بلاد الشرق بالفتح والنصر
وصل الهــي ثم سلــم على النبـــي ... محمد المبعوث بالخيـر واليســـر
وءاله والاصحــاب طـرا بجمعهــم ... واتباعهم فى الدين من اي ما عصـــر

* * *

سعيــد السوســي :

وكتب الفقيه الاديب ، السيد سعيد السوسي

سرحت طرفي بذا البستان مغتبطـا ... بمـا رايـت وبالنفـس افديكـا
من ذا الذي اعجبته نفسه سفهـا ... وظـن بالزور والدعـوى يدانيكـا
الفت ذا البحر فى التاريخ ليس لــه ... مماثـل ممتـع فالله يجزيكـا
وزدتــه شرفـا بذكـر ءال علـى ... العز الكرام لهم شيـدت مبانيكـا
ركن المجادة فى دوح السيـادة مـن ... روض السعادة قد حلت مساعيكـا
رقيت فى رتب المجد الاثيل فمـا ... فى عصرنـا احـد يرقي مراقيكـا
بنيت للملـك حصنـا لا تزعزعــه ... عواطف الجهـل من كيد اعاديكـا
تنافست فيه ارباب القريظ وقــد ... طاب لها العيش اذ حلـت بواديكـا
لا زلـت ذا قـوم تعلوا على زحـل ... تباكـر المجـد والعليـا تناديكـا
سـر بمـا نلتـه مثلـى محبكـم ... وغص مـن غيظـه بالريق قاليكـا
فاقبل أبا قاسـم من قاصـر ملـق ... وابشـر فان اميـر الله يرضيكـا

* * *

محمد الصادق :

ثم كتب الفقيه الاديب ، اللوذعي الاريب ، سيــد محمد بن الصــادق ، يطلب انتساخ تاليف « البستان الظريف ، فى دولة اولاد مولاي الشريف » بعد الفراغ من نسخ كتاب الترجمان ، بما نصه :

ادام الله مجادة وسرمد سيادة محبنا وعشيرنا ، ومشاركنا فى محبة ساداتنا وموالينا أهل بيت نبينا ، وملوك مغربنا ، العلامة الداركة الرحالة ، الفهامة النسابة ، المتفنن المؤلف الكاتب البارع ، الجامع المانع ، ابى المكارم والمآثر ، سيدي ابى القاسم الزياني ، أسعدنا الله واياه ، ووفقنا لعمــل يسكننا بفضل الله ورحمته دار التهاني ، وســلام على سيدنا ورحمــة الله

وبركاته ، ما هب النسيم وتوافت نفحاته ، وبعد ، فقد بلغنا من عند محبنا « فلان » اعتناؤك بنسخ التأليف الذي قدمنا لك الكلام عليه ، وكلفناك الوقوف فى شأنه ، ولم تتكل به على زيد ولا عمر ، فالله يجازيك عن المسلمين خيرا ، ومثلك أيها النبيه من يقال فيه :

هكذا هكذا والا فلا فهو للدهر بهجة وكمالا

كتاب واي كتاب جمعت فيه رضى الله عنك اعيان الخليقة ، وكشفت فيه عن الحقيقة ، من ابينا ءادم الى الان ، واحسنت فى ذلك كل الاحسان ، وهو حقيق ان يقال فيه ما قاله الزمخشري فى المقامات :

اقسم بالله وءاياته والمشعر الخيف وميقاته
ان الحريري حري بأن نكتب بالتبر مقاماته

وهذا أحرى ان يكتب بسواد العين ، ويجازى مؤلفه بأوقار من الجواهر والعين ، فجزاك الله خيرا على الصبر والاجتهاد ، والمكابدة على جمع ما افترق فى أقطار البلاد ، والبحث عن شوارده فى بطون الدفاتر ، التي لا توجد عند أول ولا ءاخر ، وحصلتها بالتقييد والمطالعة فى الاوراق ، واني لهم بتلك الدفاتر التي سعيت لها فى جميع الافاق ، مع الاختصار والايجاز ، وكمال التحصيل والبيان ، وليس الخبر كالعيان ، بارك الله فيك وأبقاك ، ومن سوء الخلق وقاك ، ومن كمال فضلك ، ان تجود علينا بنسخ تأليف «البستان الظريف ، فى اولاد مولاي الشريف » ، وكذلك « الفية السلوك ، فى وفيات الملوك » ، التي جعلتها نظما ، وجعلتها فى دول الاسلام كلها ، الى دولة مولانا امير المومنين ، السلطان **سليمان** امير ، وقتنا ، هذا ، أبقاه الله ، وصاحبنا المذكور ، يصرف على نسخها والله يرعاكم ، ويديم مجدكم وعلاكم ، والسلام. محمبكم محمد بن الصادق بن ريسون العلمي كان الله له ءامين .

* * *

مؤلف الترجمان والمولى سليمان

ولما اكملته ، كتبت فى ءاخره هذه القصيدة ، اخاطب بها امير المومنين ، وامدحه فيها ، وهي :

اتى سليمان يوم العرض هدهده بخبر من سبا ارضى به سيده
وقد اتيت بأخبار الورى جملة شرقا وغربا سليمانا اكن هدهده
فترجماني يفي بما وعدت به وبستان الملك فيه كلما شيده

فان رضي عنهما نلنا المنا والفنـــا وان اعـــاب فـــلا عيب ولا موجـــده
لا يفني ما مدحوا كـــلا وما كتبـــوا نظما ونثرا وما يدريك ان اخمـــده
اذ بحـــره زاخـــر تأتـــي زوارقـــه من كل شط بأخبار الورى قاصـــده
فلا تسل عن خطوب حل مشكلهـــا ولا تسل عن ثميـــن الـــدر ان نقـــره
فمن يعارض ذا البحر المحيط سوى رئيس فلكه من بجمعه استنجـــده
خديـم اعتابـــه منشـــى رسائلـــه قاســـم دولتـــه أتـــى بما وجـــده
فقبلـــه قـــدم العصفـــور قدوتـــه جـــرادة لسليمـــان فمـــا أوجـــده
وقـــال فى العـــذر عن هدية لطفـــت ان الهدايـــا على مقـــدار من انفـــده
لكنـــا نرجـــوا من الله القبول لمـــا جئنـــا بـــه وبأنصاف ننل رشـــده
لـــم تعتمـــد بهمـــا دفعا ولا طمعـــا سوى محبـــة اهل البيـــت منفـــرده
فالرزق يأتي بلا سعـــى ولا سبـــب للـــه ما اعطـــى عبـــده وما اخـــذه
ايمنـــع المـــرء والقهـــار يمنعـــه ويوهب المرء والوهاب لم يسعـــده
كلا ولا وبلـــى نعـــم ونيـــل المنـــا بالبحث والجد لا بالنبل والشعـــوذة
فاشدد بحبل امير المومنين وثـــق بالله تعلو على الاعـــداء والحســـده
شتان بين الذي يسعـــى لفانيـــة ومن لاخرى سعـــى دائمة ءاكـــدة
فان فضل رســـول الله ليس لـــه حدوذا نجلـــه يحمـــي لمن انجـــده
فالله يبقيـــه محروســـا ويحفظـــه ثـــم البنـــون ورحمـــة لمن ولـــده
بجـــاه جده خيـــر الخلـــق كلهـــم والآل والصحب ما القى السما برده

المؤلف وكتاب البستان بين يدى المولى سليمان :

ولما رفعت له تأليف « البستان » خاطبته بهذه الابيات

عرج على روضنا واقطف حدائقـــه واقطف جنا زهره واشرب تجد طربا
وسرح الطرف فى البستان يا سكنى ترى النخيـــل على ادواحها الرطبـــا
فاجن الثمار التي ليست تقاس بمـــا قد كرسوه ، بنو الدنيا ونل اربـــا
وان بلغـــت الـــى اكنافـــه رمقـــت منك العيون جـــوار حليهـــا ذهبـــا
يسحرن ذ اللب حتى لا حـــراك لـــه وان نطقـــن أزلنـــا الهم والوصبـــا
وان نشدن مديحـــا او رقصن بـــه او بالمـــرات ندبن قلت ذا عجبـــا
وان اصخت الى الاطيار اذ سجعـــت بكل طبـــع ولحن آخـــذوك سبـــا
وان دخلـــت الى قصـــر بديع بـــه كرسي الخلافة منصوب لمن غلبـــا
به الجنـــود واهـــل الراي والامـــرا والـــوزراء واهـــل العلـــم والادبـــا
تحالفـــوا ان ذا البستـــان ليس لـــه الا الامام الذي يعلوا على الخطبـــا
الكامل الفضل والدين الذي خمدت بسعيـــه دولة الاســـواء والحربـــا

من بـــد شمــل بنى عطا وقرهـــم قتلا واسرى وللحصون قد خربـــا
اجلاهم عن امم كانــت لهم خــــولا وجورهــم لحق البربــر والعربـــا
نجم الملوك ومن جــدد مجدهـــم وحـــاز فضـــل علي وعليـــه ربـــا
ابو الربيع **سليمان** الرضى المرتضى كهف المسـاكين والايتام والغربـــا
ابقــاه ربــه للاســلام مرحمـــــة يحوطهم من عـــد ويبتغي العطبـــا

الفية السلوك :

ولما رفعت له تاليف « الفية السلوك ، فى وفيات الملوك » ، وشرحها خاطبته بهذه الابيات

يا سليمـــان فقــت كـــل اميـــــر ووسعــت علمـــا وزدت اهتـــــداء
ظهــر الحـــق مـــا عليــه غطـــــاء بــــــك وزاد نائــــل وعطـــــاء
وتجلــت عـــن القلـــوب معـــــان عجــزت عـــن ادراكهـــا الفضـــلاء
وزهـــت حضـــرة بكونـــك فيهـــا فهـــي فى الارض روضـــة غنـــــاء
وازدهـــى الفـــرب بسطة وعلومـــا فحكت فاس قرطبـــا الخضـــــراء
ومحى عدلــك لنـــا كـــل جـــــور واستنــــارت بنـــورك الارجــــاء
خضعــت هيبـــة لـــك ووقـــــارا لعــــلاك الــــولاة والامــــــراء
فحوى ما اعتنى به عن بني العصـــ ـــــر ومـــا للانـــام عنـــه اعتنـــــاء
فاقصدن بابه تجـــد حكـــم عدلـــه ظـــاهـــرا لا يـــرى عليـــه خفـــاء
واحضرن درســـه تجد بحر علـــم زاخــــــر لا تكــــد رنـــه الـــــدلاء
ولـــــه موكــــب بـــلا جبــــروت لا تـــرى وحشـــــة بــــه وجفـــــاء
سيــــرة عمـــريــــــة نبويـــــــ ـــــة وكــــل رطتهـــا علمـــــــاء
خـــاب والله مـــن يـــؤم سواكـــم ســـل مجربـــا قالـــت الحكمـــــاء
قـــد قطعـــت البلاد شرقا وغربـــا وشمـــــالا وكلهـــــا ظلمـــــاء
لـــم يكــن عدلكـم بمصـــر وشـــام وعــــراق وكلهــــا عميـــــــاء
ياخـــذ العشـــر كل قاض بمصـــر لا تـــرعــــه عقوبـــة او حيـــــاء
شاهـــدي ما تـــرى بارجـــوزة تـــا هـــت وبتيههـــا علاهـــا البهـــاء
فتلقـــــي زفــــافهـــا بقبــــــول ولا تمهلهــــا انهــــا حسنـــــاء
لســـت بالشاعـــر المجيـــد ولكـــن صـــــرت ذاك اذ قلـــت الادبـــــاء
ان تكن لـــي اعش عزيـــز جنـــاب وانـــال مـــن جاهكـــم مـــا اشــــاء
وتذكــر فانـــت للـــذكـــر اهـــل وتعطـــف فطـــال منـــك الجفـــــاء
وعليـــك الســـلام يا اكـــرم النـــ ـــاس واعدلهـــم ومنك الوفـــــاء

قال كاتبه عفا الله عنه : ولما وجهت لامير المسلمين ، اطال الله بقاءه ، واخصب للمسلمين حماه وارجاءه ، تأليف « الترجمان المعرب ، عن دول المشرق والمغرب » ، وطال ما كتب عليه ادباء الوقت ، ومن حضر من كتابه ، ومن له ملازمة بخدمته وابوابه ، اعجبه ما طوقوه به من القلائد ، وسره ما قلدوه به من الاسجاع والقصائد ، وجه لنا ورقة بخط يده الكريمة ، وبلاغته البارعة السليمة ، مع اخص خدامه ، وموالي انعامه ، بالثناء الجميل ، والدعاء الجزيل ، واثنى على من حلاه من الجميع ، وشكرهم على ذلك الصنيع ، وواعد بالاكرام ، وشمول الانعام .

ولما سمع من كتب من الطلبة ، وسباق الحلبة ، بقدوم الخديم بالورقة ، منهم من سبقه وسمي املهم لما تعودوه من انعامه ، وجزيل اكرامه، وتقدم طائشهم للبحث والسؤال ، ونسجوا فى هذا المنوال ، فمنهم من قدم يسال بنفسه ، ومنهم من وجه جاسوسا من ابناء جنسه ، فكثر علينا طوارق الباب ، وسؤال الخاصة والاصحاب ، والتعريض من ذوي النهي والالباب ، فصرت اعتذر من حيا ، وكالمتشبث بميا ، وعرقت فى وابل الحيا ، فلفقت هذه الابيات خشية الوفات ، اخاطب بها امير المومنين ، اصف صورة الحال، وان كنت لا باع لي فى هذا المجال ، لعلى اخرج مما وقعت فيه من المحال فقلت:

لم يبق من سالك يرجى ولا ملك ... الا الامام الذي طابت مكاسبه
اقام فى الملك حكم العمرين وما ... اباحه الشرع فابيضت مذاهبه
اسقط ما سنه من قبله ورعا ... واذ سما عدله صفت مشاربه
بنى سليمان حصنا لا تحركه ... زعازع الشرك لو همت تحاربه
دانت لدعوته املاك مغربنا ... ولو يشا مشرقا حال سباسبه
سر عظيم من الصنع الجميل فلا ... بطش شديد والبغي كاسره ؟
تاتيه رسل ملوك الشرك صاغرة ... في لجة البحر قادتهم مراكبه
تهدي ذخائر من حلى ومن حلل ... ومنشئات لقمع من يغاضبه
فامتلا الحوض بالوفر الحلال ولم ... يشب بغصبه ولا جارت مطالبه
قضى وارضى وقام بالحقوق ولم ... يبخل واعطى لكل ما يناسبه
عم الجنود واكرم الوجود بما ... لم يعهدوه الى ان كل حاسبه
وفاض نيله فى الاشراف ، وانبعثت ... كتائب العلم في الوقف تجاذبه
لم يكتفوا برواتب لهم عينت ... وبصلات لمن منهم يصاحبه
وللمساكين والايتام مرحمة ... منه اليهم لدى الاعياد غالبه
وللمدارس شيء لاعداد له ... فى كل مقدمة رزق يواظبه
وللخصوص عوائد مرتبة ... من فيضه وكسى عمت سحائبه

وغيـر ذا مــن خفايا البر نعلمهــا ياتيهـا سرا فـلا تخفـى رغائبـه
الا الـذي سبقـت للكل خدمتـه وقت الشباب وفى الشيب يعاقبه ؟
وامتد ذا البحـر اعوامـا معـددة فنا اليســار ورزق اللـه جالبـه
ما ضر لو بجميـل الصنع انعشـه وسـره بوعـا تمــر يخاطبـه
كما يقـول لجمـع السائلين لـه اتانا حلـى بـذر يفنـي كاسبـه
والله مـا قلـت ذا افكا ولا طمعـا لكـن لكثـرة من يحصـى مثالبـه
اذ كل مكرمـة منكـم لنا سبقـت تكفي فقد ذهـب العمـر وراغبـه
ففي بوعـد لمـن جاءك امداحهـم ولم يـزل بعضهـم ســرا يطالبـه
ثم عليكـم ســلام الله مـا طلعـت شـمس بشــرق وبالغـرب تصاقبـه

ولما بلغ هذا الخطاب ، عجل برد الجواب ، فى اوجز خطاب ، واعتذر عن التاخير بشغل البال فى حركة الجبال ، وقال هذا النزر قدمته ، لتخرج ونخرج من الوعد ، ولا نقع وتقع فى الجفاء والصد ، فانظر هذا مع ما ذكـره احمد بن يحيى البلاذورى المؤرخ قال : كنت من جلساءالمستعين العباسـي لما قصده الشعراء ، فاستأذنته عليهم فقال : لست اقبل الا ممن يقول مثل قــول البحتــري

لو ان مشتاقا تكلـف فــوق مـا في وسعه لسعى اليه المنبــر

قال فرجعت الى منزلي ، وانشأت ابياتا واتيته بها ، وقلت له اني قلت ابياتا فيك ، احسن مما قاله البحتري ، فقال : هاتها ، فانشدته

ولو أن برد المصطفى اذ لبستـه يظن لظن البرد انك صاحبـه
وقال وقـد اعطيتـه ولبستـه نعـم هـذه اعطافه ومناكبـه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به ، فرجعت الى منزلي ، فبعث لي تسعة آلاف دينار ، وقال لي اخر هذه للحوادث بعدي ، ولك الجائزة على والكفاية ، ما دمت حيا ، واستمر حاله معه على ذلك الى ان مات المستعيـن رحمه الله ، ولا زالت مكارمه تذكر ، ومحاسنه فى الصحف تنشر ، ولا يحسب من يسمع هذا انه تعريض ، بمن سبق فى القريظ ، فاني والله شاهدت من كرمه ، وعظيم انعامه لخاصته وخدمه ، ما هو أعلى من هـذا وفوقـه ، ولا يلحق احد مداره او يروم سبقه ابقاه الله يفيض الانعام ، للخاص والعـام ، والسلام ، كتبه بلقاسم ابن احمد الزياني .

* * *

شقور أيضا :

وكتبه الفقيه الاديب ، الشريف الحسيب ، سيدي احمد شقور الحسني العلمي لما طالع الكتاب ، وما اشتمل عليه من التراجم والابواب ، وما اضيف له من التآليف ما نصه :

الحمد لله وحده ،و صلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه ، طالعت هذا البحر الزاخر ، والديوان الجامع لخبر الاوائل والاواخر ، الذي الفه الفقيه الجامع بين سعة الحفظ والفهم السليم ، الاديب الاريب الحيي الحسيب جوهر البلاغة وعرضها ، ومقصد الخلافة وغرضها ، الحبر الذي له قدم على الشعرى العبور ، والمؤرخ الذي له ببحر الانشاء والاخبار عبور ، منية الاماني ، أبو الفضل سيدي ابو القاسم ، بن أحمد الزياني ، صاحب القلم الاعلى ، والفخر الواضح الاجلى ، الذي سما فى سماء السيادة فبهر ، وتقلب فيها بين جنات ونهر ، وولى قديما خطة الكتابة والوزارة ، وتنعم كثيرا ، فى رياض الرياسة والامارة ، وراج فى اسواق المملكة المحمدية رواج النظار ، وتعلقت بأنوار طلعته الاحداق والانظار ، فنهى وامر ، ونفع فيها وما ضر ، بيد انه كان يبني الاحكام المخزنية ، على القواعد الشرعية المحمدية، ناهيك من رجل حسن الخلق والخلق ، محببا الى جميع الخلق ، حديثه لا يمل ، واحسانه وكرمه لا ينكر ولا يجهل ، اذا سمعه من سلم ذوقة ، ثار اليه فى الحين شوقه ، بل استحسنه واستملحه ، وروى غرره وملحه ، بضاعته فى اخبار الاوائل والاواخر وافرة كاملة ، وقريحته فى التقييدو الحفاظ ، وقادة سائلة ، وله مع هذا « الترجمان المعرب ، عن دول المشرق والمغرب » ، عدة تآليف راق مساقها ، ومنظومات فاق الدر اتساقها ، ثم « البستان الظريف ، فى دولة اولاد مولاي الشريف » ، ثم « الفية السلوك ، فى وفيات الملوك » ، ثم « شرحها ايضا » لاشتمالها على دول الاسلام كلها ، من الهجرة النبوية الى وقتنا هذا ، وهو عام اثنين وثلاثين ومائتين والف ، واستطرد فيها دول العجم ، والروم ، والسودان ، والبربر ، والترك ، والهنود ، والصين، والسند ، وغيرهم من الامم ، لم يجتمع ذلك لاحد قبله وفقه الله ، ثم « رحلة الحذاق ، لمشاهدة الاقاليم والآفاق » ، شرح بها الكورة المبسوطة ، المشتملة على الاقاليم السبعة ، وما تخللها من البلدان والبحار والانهار والجزر، ومساحة الارض ، وطولها وعرضها ، ومعمورها وقفرها ، حسبما بسط ذلك حكماء الاسلام ، وحكماء الروم ، وله ايضا « الحادي المطرب ، فى رفع نسب شرفاء المغرب » ، اختصره من بحر الانساب للشيخ المرتضى الحسني ، ثم الدولة السنية الفائقة ، فى كشف مذاهب اهل البدع من الخوارج ، والروافض

والمعتزلة والزنادقة ، ثم « رسالة السلوك ، فيما يجب على الملوك » ، ثم الارجوزة المسماة « جمهرة التيجان ، وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان ، في الملوك العلويين واشياخ مولانا سليمان » ، ثم رحلته المسماة « اباحة الادباء والنحاة في الجمع بين الاخوات الثلاث » ، ثم رسالته المسماة « حلية الادباء والكتاب ، في مدح هذا الكتاب » الذي هو الترجمان المعرب ، عن دول المشرق والمغرب ، ثم « كشف الاسرار ، وهتك الاستار ، في ابطال دعوى اهل الحيل الملبسين ، والشياطين المبلسين » ، ثم ارجوزة في « علم السيمياء وابطال علم الكيمياء » ، وكشف حال من يزعمه ويدعيه ، ثم لما طالعت فهرسة هذه التآليف ، علمت ان مؤلفها ممن عليه المدار والتعويل ، مدحته بعدة ابيات من بحر الطويل ، والابيات المذكورة تقدمت في صدر الكتاب ، واما هذه القصيدة فهي للفقيه الاديب ، اللوذعي الاريب ، الذي حاز من العلوم اوفر نصيب ، السيد عبد الواحد بن العلامة الاكمل ، القاضي الأعدل ، السيد احمد بن شيخ الجماعة الاكبر السيد التاودي بن سودة الفرناطي المري ، رحمه الله :

الا انما الانسان بالعلم يذكر	وحامله يعطي الثواب ويشكر
وتظهره الايام بعد خموله	ويطلع في برج السعود ويبهر
فما السبق الا بالنجابة والحجا	وما الكنز الا ما تضمن دفتر
وما الربح الا في ادخار معارف	تفيد الفتى جاها فينشى وينشر
وان رياض العلم تهدى محاسنا	ويجلى لنا فيها سرير ومنبر
وان بني الآداب هم صفوة الورى	وان بني الأقلام بالمجد اجدر
وان الذي اغنى واقنى لديهم	ابو القاسم الاسمى الوزير المصدر
رقيق الحواشي هذبته وقائع	امين ثمين بالعفاف مؤزر
اتانا بأي من نتائج فكره	فقلنا هي السحر الذي هو يؤثر
وجاد بصنع احكمته يمينه	وجاء بقول الحق والحق انور
وتوج بالذكر الجميل ايمة	سقاهم من الرحمى معين وكوثر
وشرفهم بالاخذ للعلم عنهم	امام المعالي والامام المظفر
سليمان من ناداه نال كفاية	وساعده سعد وفتح ميسر
سليل رسول الله فاز محبه	وشانيه يلقي الردى وهو ابتر
مليك روى في العدل اعلى رواية	واسمعنا كيف العلوم تحرر
محاريبه تحيي باحياء ليلة	محاربه يشقى ويهجى ويهجر
معارفه يشفي السماع صحيحها	عوارفه انهارها ليست تنهر
سلاسله في علمه ذهبية	فضائله في قولنا ليست تحضر
فلا زهر الا من بنانه يجتبي	ولادر الا من بنانه ينشر
ولا عز الا من مقامه يقتني	ولا حمد الا في صفاته يشهر

ولا زال في ملـك السماء مخلــدا اعــوذه باللـه واللـــه اكبـــر
واهــدي صـــلاة للنبـي **محمــد** تؤمننـــا ممـا نخاف ونحـــذر

* * *

قال مؤلفه ، ولما فرغت من شرح الفية السلـوك ، واتبعتها بفهرسـة اشياخ امير المومنين ، وجمهرة الملوك ، شرعت فى جمع ما قيدته فى رحلاتي الثلاث ، وما شاهدته من المدن والقرى والفلـوات ، ومن لقيته بحواضـر المشرق من الاعلام والسادات ، وما سمعته من العجائـب والغرائب ، ومـا لحقني فى الجولان من الشدائد والمصائب ، وما نلته من اهل الخير والرغائب جعلته رحلة واحدة يتأنس بها اللبيب ، ويتجمل بها من له فى الادب اوفـر نصيب ، وتكون اسوة لكل غريـب ، اذ كانت الرحلـة الاولـى لاداء الفرض والزيارة ، والثانية من امير المومنين رحمه الله فى السفارة ، وهذه الثالثة في نكبة الامارة ، حيث وجهني امير المومنين لعمالة وجدة ، فكانت سبب النكبة والجلاء والوحدة ، ثم تداركنا المولى فكانـت للخير سببـا ، وللمستبصـر أدبا ، فسلكت فى هذه الرحلة مسلك اهل الادب والنجاة ، فى جواز الجمع بين الاخوات الثلاث ، **وسميتها ترجمانة الدنيا وما بها من الامصار ، وما تخللها من القفار والبحار والانهار** ، ومـا بها من العجائـب ، وما اشتملـت عليـه من العيون ، التي جمعت كل الغرائب .

ولما اكملت نسخها ، ونمقت طرزها ، تاهت على الترجمان الذي هـو زوجها ، وقالت له بلسان الحال ، وصرحت بالمقال ، لا تفتخر علي باخبـار الملوك ، وانت بينهم فقير صعلوك ، كالاسير والمملوك ، لا تباع ولا تفدى ، ولا تعار لمن يهتدى ، واني ولله الحمد خليفة الرسن ، طليقة اللسن ، مباحة لكل نديم ، غني او عديم ، مقبولة عند كل مخدوم او خديم ، من حاضرته لا ينام ، ومن انتشى بحديثي اغناه عن شرب المدام ، فهلم بمجلس الحكم حتى تقضي حقي ، ونخلع من رقبتك عنقي ، وتخلي سبيلي فعلى الله رزقي ، فانك صرت فى ايديهم مملوك ؟ ، واني لا ارغـب فى صحبـة الملوك ، فلمـا ايس الترجمان من عناقها ، ولم يقدر على فراقها ، رفع شكواه لاميـر المومنين ، فرق له وكتب فى الحين ، يامر بتوجيه الزوجة لبعلها ، فهو الاولى ببضعها ، وما يترتب عليه من الصداق ، يعطيه مالكه بعد العناق ، فجهزناها بما تحتاج اليه من المتاع ، امتثالا للامير المطاع ، وحيث اقر الخصم ارتفع النزاع ، اذ نظر امير المومنين ، فى أن جمعها مع بعلها احسن له من الابتذال بين البيوت والرجال ، ابقاه الله يحوط اهل الفضل والكمال ، عن الامتهـان والسـؤال ، ومن جملة جهازها هذه الابيات

خذهــا مطرزة كالبــدر زهــــراء ام درة فاقــت الــدرى غـــراء
قد جاد فكر خبير بالقفار بهـــا يحلو لها من صحيح اللفظ اصفاء
جامعة أخبرت عن كنه منشئهـا مثل النسيم شذى ضر وســـراء
فى كــل مرحلــة له فيهــا نبـــأ فاسمع وعي وتحقق منهــا ادواء
باهى الرياض نظاما صنع موطئها مذزان فيه قوافي الوطـى ابطـاء
وكيف لا وهى ضمت ايما خبـــر لايمــا علـم تنميـــه عليـــــاء
خريدة الدهر فى الاعصر مفـردة بهية في وشاح الانس عصمــــاء
زفت لباب الامام العدل تطلبـــه قبولهـــا ولمـــا يثنهـــا اغضـــاء
اقسمــت بربنـــا وكعبتـــــه ومشعـــــر حفـــه نـــور ولألاء
لولاه أقام بهذا الدين جملتـــــه لما بـــدت للـــواء الحق اثنـــاء
فالله يبقي به نورا وشمس هدى يمدنــا منهمــا عذب واضـــواء
ويصطفيه بفردوس الجنان لــــه من فوزه برضى الرحمان اغيـــاء

وهنا انتهى بنا الحد فى تقييد هذه الرحلــة السعيــدة ، والحمــد لله على التمـــــام .

وكان الفراغ من تخريجها ، فى ثاني عشر المولد الشريف من عام 233 على يد افقر العبيد واحوجهم لرحمة الله ومغفرته ، بلقاسم بن أحمد الزياني غفر الله ذنبه ، وستر عيبه ، ءامين .

هذه الرحلة المسماة « الترجمانة الكبرى » ، التي جمعت مدن المعمور كله برا وبحرا ، ولم تقتصر على ما في الرشاطى من الامصار ، ولا على مــا جمعه ابن عبد المنعم فى الروض المعطار ، وما جلبه ابن الجوزي من اخبـــار البحار والقفار ، وما فى خريدة العجائب من الجزر والعيون ، والآبار والانهار ، وما فى عجائب المقدور ، من نفائس الاخبار ، وما كان بعدهــم من الحـــوادث والآثار ، وابرزت ما اغفلوه او لم يكن لهم به شعور وانذار ، وحليتها بحوادث ونوادر وحكايات ، جلبها المؤرخون الكبار ، كالامام ابن قتيبة ، والمسعودي ، والطبري ، والذهبي ، وابن عساكر ، والبكري ، والبلاذوري ، وابن كثير وابن خلدون ، وابن ابي زرع ، ابن زيــدون ، وابن حــزم ، وابن مــرزوق ، وابن الخطيب ، قيدنا من عذر كلهم اوفر نصيب ، وما يناسب ذلك من البراهيــن القاطعة ، من التفسير والفقه والحديث ، وشواهد العرب قديمهم والحديث ، للرد على اليهود والمجوس واهل التثليث ، واهل البدعة والاعتقاد الخبيث ، وكلت لهم بالمكيال الاوفى ، حسبما سطره من تصدى لهم من الايمة ووفى ، محبة فى جنات المصطفى وجملتها قربة للجناب الاعظم ، والسلطــان العــادل الافخم ، عالم الملوك وملك العلماء الامام المكرم ، الذي هــو فى انواع العلــوم

المقدم ، المستمد من مواهب الرحمن ، ابو الوفاء **مولانا سليمان** ، امتع الله بحياته المسلمين ، واعز ببهجته وسياسته أهل هذا الدين ، ءامين ، من جملة جهاز هذه الجارية ، هذه القصيدة الفراء ، وان كانت غير حسنة فهي عذراء ، لاني لست من أهل القريظ ، ولا لي الباع المديد العريض ، واني من المتطفلين فيه ، فليقبله أمير المومنين على ما فيه ، كما قيل :

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط ، تبدي المساويا

* * *

اتت اليك أمير الله جارية مصحوبة بسلام عاطر النسم
سميتها ترجمانة الملوك لما تحسن من لغة العرب والعجم
حليتها بيواقيت حسان وما يعز من لؤلؤ نثر ومنتظم
فريدة الحسن للآداب جامعة خبيرة بأصول سائر الامم
قد علمت خبر الامصار قاطبة من قبل نوح ومن عاد ومن ارم
وما بناه العماليق بشامهم ثم الفراعين من مصر ومن هرم
والحميريون تبع وشيعته والفرس والروم والاتراك من وسم
والسود والهند والسند وصينهم وما حوى الفرب من مصر الى التخم
وما بأندلس والروم قاطبة وصقلب بعدهم للسد ملتزم
وكلما « بجزور » البحر اجمعها من أمة وصفت بالخير أو نقم
وبالبحار وبالانهار جملتها ثم الجبال وما ضمت من البهم
وبالعيون عجائب لها جمعت ثم المعادن من صفر ومن عندم
ثم بها فرق الاسلام مجملة واهل بدعتها كالنار في العلم
ثم نصوص من التوراة قاطعة ومن اناجيلهم تبرى من السقم
وفي الزبور وفي الصحف التي نزلت ذكر النبي الذي يرسل للامم
وفيها آي من القرآن مجملة فسرها الراسخون من ذوي الهمم
ومن أحاديث خير الخلق ما شرفت به على غيرها من ناطق بفم
ومن نوازل في الفقه محررة غريبة عجزت عنها ذووا القلم
وفيها من خبر يحلو ومن حكم ومن وقائع في حرب وفي سلم
ومن حوادث في الاجيال قد وسعت وارخت جمعتها ربة الرقم
اغنت عن البكري والذهبي وعسكرهم وعن رشاطهم وعن معطارهم
وزادت ما اغفلوا وكان بعدهم ولم تدع محدثا او كان ذا قدم
زفت الى ترجمانها الذي سبقت له السعادة اذ جاور بالحرم

حرم من خضعت له ملوك الورى ... وساسهم بصليل السيف والقلم
سليمان بن محمد الرضى المرتضى ... العالم العدل ذو الخيرات والكرم

ثم شيعتها بهذه الابيات ، تتميما لما رزق من الكلمات

اقسم بالله وءاياته ... وبيته المكي ومروته
والمقام الاسمى وزمزمه ... ومشعر الخيف وميقاته
والحجر العظمى في طيبته ... والمسجد الاقصى وصخرته
وبيته المعمور في عرشه ... وملكوت الله مع ذاته
ان سليمان على جوده ... اعدل اهل الملك في وقته
لا يعرف الناس سنا فضله ... حتى يشيع الجور مع فوته
يا رب زد للناس في عمره ... وارحم به العاجز عن قوته ؟ ؟ ؟

ومما خاطبت به امير المومنين ، بسبب قطع الفتوى هذه الابيات

يا ملكا يقضي بسنة الامين ... مؤيدا بعون رب العالمين
نصيحة ترضي امير المومنين ... والعلماء وجميع المسلمين
قطع الفتاوي لم يكن بمرتضى ... ولم يقع في الزمن الذي مضى
من زمن الرسول والصحب وثم ... من بعدهم وبعدهم وبعدهم
الى الخوارج اذ قام ملكهم ... ساء فساء صنعهم وفعلهم
خلفوا ءايات الكتاب والحديث ... وكل ذي علم قديم وحديث
وفى الحديث علماء امتي ... كالانبيا تبليغهم بفتوتي
والله افتى الناس في الكلالة ... لما استفتوا لصاحب الرسالة
فيا لها من فتوة الرب الكبير ... افادت الحض على الفتوى كثير
كذاك قد صرح بالافتاء ... من بعد الاستفتاء في النساء
واوعد الله بلعن من كتم ... الا بتوبة وتبيين ختم
لعنا اكيدا جاء في ان الصفا ... ومثله ايضا حديث المصطفى
تفسيره سؤال علم يكتم ... كاتمه لجام نار بلجم
شرع الفتاوي مبرد حر القضا ... من حرج به يسلم الرضا
فانما الاعذار والآجال ... عساه في العلم له مقال
تظهره الفتوى ، لهذا شرعت ... من اجلها لم يفدن ان قطعت
فيحكم العاصي بدون اعذار ... ودون آجال ودون انذار
اذ لا يعيد الخصم جهلا يبحث ... والبحث مع قطع الفتاوي عبث
لولا فتاوي العلما الاخيار ... ما قرت الاعين بالمعيار
لولا الفتاوي من يكون مرشدا ... لجاهل في الجهل مات جامدا
لولا الفتاوي العلم صار خاملا ... لا مسؤلا عنه كذا لا سائلا

شر الهوان حسـرة المديـن ... وحسـرة القطـع لفتوى الديـن
وددت ان لـو سمـح الامـام ... بـالاذن كـي يذيعـه الانـام
والله قـد اوجبـه في الذكـر ... بقولـه فاسئلـوا اهل الذكـر
وكم ، وكم من ءاية ومن خبـر ... على سـؤال العلـم حظ وامـر
وصرحـت بعرضهـا الروايـة ... وانهـا من فـروض الكفايـة
وقد حكي الاجمـاع فى المعيـار ... عـن الاصوليـن لاتمـار
على استفتـاء العلمـا الاخيـار ... من البـوادي ومـن الامصـار
قـال خليـل في ابتدا كتابـه ... مبينا فيـه لمـا الفتـوى بـه
والعلم ينمو بالخلاف ان خلـف ... ذو العلم همه الى البحث صرف
واذا سميك اهتدى في الحكـم ... اذ نفشـت لبلاغنيـم القـوم
بخلفـه قبـل قضـى داوود ... كلاهمـا مجتهـد محمـود
لقولـه ومـا اختلفتـم فيـه ... من شـيء دائمـا لا قيد فيـه
لمخطـىء قال النبـي العدنـان ... اجـر وللمصيـب ءال اجـران
شفيعة نصيحة ترجو القبـول ... من الامام العدل بضعة الرسـول
على النبي وءالـه خيـر الانـام ... وصحبه ازكى الصلاة والسـلام

* * *

نقد ابن بطوطة :

قال مؤلفها انما رسمت فيها ما شاهدته فى الاقاليم التي بلغتها ، وغيره نقلته من رحلة العياشي ، ومحاضرة اليوسي ، ورحلة البلوي ، ورحلة ابن نباتة ، ورحلة السرخسي للاندلس والمغرب ، ورحلة الكردي ، ورحلة البكري، واخبار الهند والسند والصين من تاريخ الاسلام للذهبي ، ومن تواريخ لبعض علماء الهند ، اجتمعت بهم بالحرم الشريف وبمكة ، وكنت أسرد عليهم رحلة ابن بطوطة ، فأنكروا كثيرا مما فيها من اخبار ملوكهم ، وأما قضاؤه بالهند ومصاهرته لسلطانه ، فقد ابطلوه بالكلية ، وقالوا هذا غير ممكن ، فبسبب ذلك لم انقل من خبرها شيئا ، ثم بعد ذلك وقفت على ترجمته فى الاحاطة ، لابي عبد الله الخطيب ، نقلا عن شيخه أبي البركات البلفيفي ، ان محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ، المعروف بابن بطوطة حاله ، كان رجلا له مشاركة في الطب ، وارتحل للمشرق وتزيابزى الصوفية ، وجال الاقطار ، ودخل بلاد العجم ، والسند والهند والصين ، وعاد لبلده طنجة ، وجاز البحر للاندلس ، وبلغ غرناطة ، واجتمع بفقهائها فى دعوة ، وكان يحدثهم عن رحلته يومه وليلته، فاستغربوا اخباره واستبعدوها ، وقال البلـوي فى رحلتـه ، فترجمـة ابن

بطوطة ، انه لما عاد من رحلته ومن لقيه بها من الملوك ، وان ملك الهند صاهره وقلده القضاء بمدينته العظمى ، وحصل من الاموال عددا كثيرا ، زيفوه وكذبوه ، ثم عاد لبر العدوة ودخل مدينة فاس ايام السلطان ابي عنان فارس ابن الحسن المريني ، ولم يجتمع به ، ثم توجه للصحراء ثم للسودان ، بحسب ان ملوكه كملوك الهند وارضه مثلها ، فخفق سعيه ووجد الارض غير الارض، والناس غير الناس ، وبلغ خبره للسلطان ابى عنان ، فكتب له واستقدمه ، ولما اجتمع به عاتبه على عدم الاجتماع به لما قدم من الاندلس لفاس ، وكان ابو عنان فرغ من تشييد المدرسة المتوكلية التي بطالعة فاس ، فقال له :يامولانا السلطان ، انما اتيت لفاس بقصدك والمثول بين يديك ، ولما دخلت هذه المدرسة التي شيدت ، ولم اقف على مثلها فيما شاهدته فى المعمور كله ، قلت والله لا بد لي أن اتمم عملي ، وابر قسمي بالوصول الى اقاليم السودان حتى اشاهده ، واقسم ان ليس فى المعمور كله مثلها ، فحقق الله ظني ، وابر يميني، هذا موجب تأخيري عن المثول بين يديك ، فأكرمه السلطان أبو عنان ، واجرى عليه الانعام ، وأمره ان يؤلف رحلته ويذكر فيها مدرسته التي زعم انها لا نظير لها في المعمور انتهى .

قال كاتبه عفا الله عنه ، وهذا من التغالي فى الكذب ، ودليل على ما لمزه فقهاء الاندلس ، فان فى كل اقليم من اقاليم بلاد العرب ، كمصر ، والشام، والعراق ، التي شاهدناها من المدارس والمساجد ، ما هو مثلها واعلى منها ضخامة وتأنقا وحسنا ، واما بلاد العجم ، والترك ، فحدث عن البحر ولا حرج ، فكل مسجد ، وكل مدرسة صغيرة او كبيرة ، فوقها واعظم منها ؟؟؟؟ واتقن منها ، وما وصف به المدرسة العنانية لبانيها ، أبو عنان رحمه الله ، فانما قصد به مدحه والتخلص منه بتلك الحيلة التي نجح سعيه بسببها ، غفر الله لنا وله ، ولقد اخبرني احد طلبة السلطان ، سيدي محمد رحمه الله ، انه كان يسرد عليه رحلة ابن بطوطة ، وساق كلام ابن تيمية فى الاستواء ، والنزول ، فنزل من محل جلوسه ، وقال كنزولي هذا ، فقال له السلطان سيدي محمد ، اطو ذلك الكتاب وبعه فى السوق ، وكل ثمنه لحما ، هذا رجل كذاب من اهل التجسيم كمن نقل عنه ، فوالله لو حضر بين يدي لاضربن عنقه ، فقد تحقق عنه ما وسمه به اهل الاندلس من الكذب ، وسيما اذ هو من اهل البدع .

وهنا انتهى بنا الحد فى تقييد هذه الرحلة المباركة ، وكان الفراغ من كتبها فى متم ذي الحجة الحرام ، من عام ثلاثة وثلاثين ومائتين والف ، رزقنا الله خير ما بعده بمنه وكرمه ءامين

الفهارس

1) فهرس المواد

2) فهرس الاعلام

3) فهرس الاماكن

4) فهرس اسماء الكتب الواردة فى الترجمانة

5) جدول تاريخى يتضمن الحوادث التى حصلت فى تاريخ العالم القديم

6) جدول مقارنة السنة الهجرية بالسنة الميلادية

فهرس مواد الترجمانة الكبرى

فهـــرس الاعـــلام

« ش »

« ص »

« ط »

((ع))

« غ »

« ف »

« ق »

ننبه الى انه حصل بعض الخلط في الترتيب الابجيدي للاعلام في الوضع

فهـــرس الامـاكـــن

- ب -

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

- ح -

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ض ـ

ـ ط ـ

ـ ظ ـ

ـ ع ـ

ـ ق ـ

- ن -

ـ هـ ـ

ـ و ـ

- ي -

فهــرس اسمــاء الكتب الــواردة فى الترجمانــة

نتبه الى انه حصل بعض الخلط في الترتيب الابجيدي

جدول تاريخي يتضمن أهم الحوادث التي حصلت في تاريخ العالم القديم والتي تعرض المؤلف لبعضها دون تحديد الزمن ، وقد أوردناها من مصادرها تحقيقا لغاية المؤلف

قبل المسيح	
4004	الخليقة
2348	الطوفان
2247	تبلبل الالسن
2229	تاسيس اشور المملكة الاشورية وبناء نينوى
2204	تاسيس نمرود لبابل
2000	قيام نيناس ملك الاشوريين بعد امه سمير اميس
1996	ولادة ابراهيم
1961	دعوة ابراهيم من أورد الكلدانيين الى ارض كنعان
1799	احتراق سدوم وعامورة
1729	بيع يوسف للاسماعليين
1706	نزول يعقوب مع ء ائلته الى مصر
1689	موت يعقوب
1635	موت يوسف
1571	ولادة موسى
1556	تاسيس سيكروب المصري مملكة اثينا وكدموس الفينيقي مدينة ثيبة اليونانية
1491	خروج الاسرائليين من مصر وعبورهم البحر الاحمر واعطاء العشر الوصايا
1452	موت موسى
1451	خلافة يسوع بن نون وحرب الاسرائليين
1443	موت يشوع بن نون وابتداء حكم القضاة
1184	اخذ اليونانيين تروادة
1148	موت ايليا
1083	حرب الهيراكليدية وموت ملكهم كودووس
1055	تملك داود النبي على بني اسرائيل
1014	تملك سليمان ابنه
1114	- 1004 بناء هيكل سليمان
970	موت سليمان

ق.م	
975	انقسام اليهود الى مملكتين اعني يهوذا واسرائيل
900	ولادة هوميروس الشاعر اليوناني
884	اعطاء ليكورغوس شرائعه الى اهالي سيراتا
856	ذهاب يونان النبي ليعظ اهل نينوى
840	تاسيس قرطاجنة وقيل سنة 878
776	الالعاب الاولمبيكية اليونانية
759	انقراض مملكة اشور الاولى
753	تاسيس رومولوس مدينة رومية
747	تملك نابونصر بن بيليزس على بابل ووضعه التاريخ الجديد المعروف بالتاريخ الكلداني
721	اسر شملناصر عشرة اسباط اسرائيل
715	موت رومولوس
712	هلاك جيش سخاريب حول اورشليم
710	ديجوسيس مؤسس مملكة مادي
680	اخذ اسرحدون اورشليم وضمه مملكة بابل الى مملكة اشور
672	حرب الهوراتين والكورياتيين
626	اخذ نابوبولصر بابل
612	خراب نينوى من نابوبولصر واستياج بن كياكسار
605	تملك نبوخذ نصر الثاني المعروف بالكبير
594	شرائع صولون للاثنيين
588	اخذ نبوخذ نصر اورشليم وخرابه الهيكل وسبيه اليهود الى بابل، واخذه صور
585	تملك استياج على مادى
559	تملك كريسوس ملك ليديا الشهير بالغنى
547	تغلب كورش ملك فارس ومادى على كريسوس ملك ليديا
538	اخذ كورش بابل وجعل مملكتي مادي وفارس مملكة واحدة

ق.م	
536	اصداره امرا ببناء الهيكل في اورشليم
529	موت كورش وتولي كمبيز ابنه
525	تغلب كمبيز بن كورش على الديار المصرية
525	– 515 اتمام بناء الهيكل في زمن داريوس بن هستاسب
496	افتتاح داريوس الاول بلاد السكيفيين
494	اخذ اليونان سارديس من الفرس واحراقها
490	تغلب اليونان على جيش داريوس في ماراتون
489	انسحاب كوريولانوس من رومية واتحاده مع الفولسيين
485	موت داريوس الاول
480	ظهور هيرودوتوس
480	حروب زوكسيس بن داريوس مع اليونان وانكساره وهربه
470	قتل ارطبانيس زركسيس وتولي ابنه ارتكزارسيس
464	التجاء تميستوكليس القائد اليوناني المشهور الى ارتكزوسيس
457	بناء نحميا اسوار اورشليم بامر ارتكزرسيس
450	سينسناتوس مدبر في رومية
449	قتل فيرجينيا بيد ابيها في رومية
440	سوقراط الفيلسوف في اثينا
399	موت سوقراط
431	بداية حرب اليولييونيسوس اي حرب المورة
429	موت بريكليس رئيس احكام اثينا
389	هجوم الغاليين الاول على رومية واخذهم اياها وحرقها تحت قيادة برينوس
380	تعليم بلاتون في اثينا افلاطون عند العرب
382	حرب لوكترابين سبارتا واثينا
330	ظهور اريستوتاليس وتعليمه في اثينا
338	تملك فيليب المكدوني على بلاد اليونان
336	موت فيليب المكدوني وقيام ابنه اسكندر
334	– 324 تغلب اسكندر الكبير على داريوس وافتتاحه سورية وصور

ق.م	
	ومصر والهند ثم موته وهو في سن الثالثة والثلاثين
301	حرب ليسوس واقتسام مملكة اسكندر بين قواده الاربعة
280	مهاجمة الرومانيين البلاد اليونانية
264	اول حرب الرومانيين قرطاجنة
218	حرب قرطاجنة الثانية وانتصار هانيبال اولا وثانيا على الرومانيين
198	تاسيس مجمع اليهود الكنائسي المسمى سنحدريم
192	تغلب الرومانيين على انتيوخوس الكبير في ثرموبيلي
166	مقاومة المكابيين لانتيوخوس الكبير ملك سوريا
146	– 145 حرب قرطاجنة الثالثة وخرابها من الرومانيين تحت قيادة سيبيوا وشيبيو
146	حرب كونثوس وخرابها وتغلب الرومان على بلاد اليونان وجعلها ولاية رومانية
133	استيلاء الرومانيين على اسبانيا وجعلها ولاية رومانية
121	صيرورة ميتريدات الكبير ملكا على بنتس
91	تغلب الرومانيين على كل ايطاليا
86	حرب ماريوس وسيلا القائدين الرومانيين
66	تغلب بومباي القائد الروماني على ميتريدات ملك بنتس
60	اقامة بوليوس قيصر وبومباي وكراسوس حكاما على المملكة الرومانية وهو الحكم الثلاثي الاول المعروف بالترينقيرات
58	مهاجمة بوليوس قيصر فرنسا
55	افتتاح بوليوس قيصر بريتانيا
54	موت كراسوس القائد في محاربة البارثيين بعد فقد عساكره
47	تسمية بوليوس قيصر مدبرا عاما للمملكة الرومانية
47	صدور امره ببناء قرطاجنة وكورنتوس
44	موت بوليوس قيصر قتلا
43	تجديد الحكم الثلاثي الثاني اكتافيوس وانطونيوس وليبدوس
40	افتتاح الرومانيين القدس واقامة انتيباتر الادومي نائبا على المملكة اليهودية

ق.م

37	عزل انتيباتر عن ولاية المملكة اليهودية واقامة هيرودس الكبير مكانه
31	تغلب اوكتافيوس على رفيقه انطونيوس وكليوباترا واخضاعه بلاد مصر
30	اخضاع الرومانيين بلاد مصر وضمها الى الولايات الرومانية
27	ترقي اوكتافيوس الى لقب اوغسطس وصيرورته امبراطورا

بعد المسيح

1	موت هيرودس الكبير وقيام ابنه ارخلاوس مكانه
14	موت اوغسطس واستخلاف طيباريوس
33	انتقال عيسى بن مريم عليه السلام الى الرفيق الاعلى
34	استشهاد ماري اسطفانوس
35	ارتداد بولس
37	موت طيباريوس واستخلاف كاليغولا الشرير
50	التئام المجمع المسيحي الاول من الرسل في اورشليم
66	عصيان اليهود المملكة الرومانية ومحاربة نيرون اياهم
66	اضطهاد المسيحيين الاول من الامبراطور نيرون – (ان عدد اضطهادات المسيحيين في ايام الدولة الرومانية هو عشر مرات)
68	قتل نيرون نفسه
70	اخذ تيطس اورشليم في سلطنة ابيه فسباسياتوس
79	صيرورة تيطس امبراطورا على الرومانيين
95	القاء ماري يوحنا في الزيت المغلى ونفيه الى جزيرة بطمس حيث كتب الرؤيا وانجيله معا
107	استشهاد اغناطيوس اسقف انطاكية
230	محاربة الاعجام الفرثيين وطردهم وتولي اردشير اول ملوك الدولة الساسانية
251	– 260 دخول البرابرة القوثيين وغيرهم اوروبا واستيلاؤهم على

ب.م

	بعض الولايات الرومانية في ايام الامبراطور ديسيوس
260	قيام فاليريانوس على الفرس واسرهم اياه
272	– 274 تغلب اوريليان على زينوبيا ملكة تدمر وتاسيس سطوته في الشرق
206	تملك قسطنطين الكبير
312	تنصر قسطنطين وجعله الديانة المسيحية ديانة المملكة
365	التئام المجمع المسكوني الاول بامر قسطنطين في نيقية ضد اراء اريوس
330	نقل قسطنطين كرسي السلطنة الرومانية الى مدينة القسطنطينية
337	موت قسطنطين بعد ان قسم المملكة بين اولاده الثلاثة قسنطنين وقسطنطيوس وقسطنس
357	مهاجمة قبيلة الافرنك فرانسا واستيطانهم فيها
395	قسم ثيودوسيوس السلطة الرومانية الى غربية وشرقية
410	اخذ الاريك رومية وموته فيها
427	عبور جنسريك قائد الفندال من اسبانيا الى افريقية وتاسيسه مملكة فيها
420	خروج الرومانيين من بريتانيا
449	دعوة الانكليز للسكسونيين لاجل انقاذهم من تعدي الاسكوتسيين ويعتبر ذلك بداية استيطانهم في بريتانيا
452	تأسيس مدينة فنيس في ايطاليا
455	اخذ جنسريك رومية ونهبها – غرق امتعة الهيكل والاواني التي اتى بها تطيس من اورشليم وهي مشحونة الى قرطاجنة
476	انقراض المملكة الرومانية في الغرب واستيلاء اودق اكر ملك الهرول على رومية
481	تاسيس الملكية في فرانسا بواسطة كلوفيس احد العائلة الميروفنجية
496	تنصر الملك كلوفيس المذكور مع عائلته وجنوده
527	تولي جوستينيانوس امبراطورا على السلطنة الشرقية
533	انقراض مملكة الفندال من افريقية بواسطة القائد بليساريوس

ب.م	
570	ولادة الرسول الكريم سيدنا محمد ص
622	هجرة النبي ص من مكة وذهابه الى المدينة
626	- 627 حرب الطوائف او الاحزاب
640	تغلب عمرو بن العاص على مصر وافتتاحه الاسكندرية واحراقه مكتبتها
652	انقلاب يزدجرد آخر ملوك الدولة الفارسية الساسانية وانضمام بلاده الى المملكة الاسلامية في خلافة عثمان
661	مهاجمة معاوية القسطنطينية
667	اختراع الحراريق النارية اليونانية وتخليص القسطنطينية من مهاجمة الفاتحين
672	تاسيس بغداد مركز الخلافة
709	فتح بلاد المغرب
716	- 713 دخول طارق الى اسبانيا وتغلبه على الملك رودريك وضم اسبانيا والبورتغال الى الخلافة
714	حرب المسلمين مع شارل مارتل في مدينة تور
741	مقاومة الكنيسة الشرقية للكنيسة الرومانية الغربية من اجل عبادة التماثيل
752	جلوس بايين على كرسي فرانسا وهو اول ملوك العائلة الكرلوفنجية
754	استخلاص بايين ملك فرانسا رافينا من اللومبارديين واعطاؤها للبابا وهكذا كانت بداية البابوية
774	انقراض ملك اللومبارديين من ايطاليا بواسطة شارلمان
700	تتويج شارلمان امبراطورا للغرب وانفصال الكنيسة الغربية عن الشرقية
709	صيرورة البندقية مشيخة مستقلة
827	اتحاد السبع حكومات السكسونية في انجلترا تحت سلطة الملك اغبرت وهو اول ملك للبريتانيين
843	سقوط سلطنة شرلمان الغربية وانقاسمها الى ثلاث ممالك
860	اكتشاف ايسلاندا للنروجيين

ب.م	
865	ابتداء دخول الدانيماركيين الى انكلترا واستيلاؤهم عليها
916	بداية السلطنة الجرمانية بالامبراطور كونراد
955	دخول الديانة المسيحية الى بلاد المسكوب
987	بداية تملك العائلة الكابيتانية في فرنسا واول ملوكها هوك كابيت
1016	- 1039 تغلب كانوت ملك دانيمارك على انكلترا وتتوجه عليها ملكا مع ولديه اللذين خلفاه ، وتعرف هذه المدة بمدة الملكية الدانيماركية
1056	بداية حرب السيمات الاكليريكية بين هنري الرابع امبراطور جرمانيا وبين احبار رومانية
1057	- 1074 تملك السلجوقيين على اخص الخلافة الشرقية تحت راية طغرلبك
1066	تولي وليم اول ملوك النورمنديين على انكلترا
1076	- 1078 تملك السلجوقيين القدس وبر الاناضول وتاسيسهم ولاية قونية
1077	اذلال البابا غور يغوريوس السابع لهنري الرابع امبراطور جرمانيا
1099	الحرب الصليبية الاولى واخذهم القدس
1164	ظهور جنكيز خان سلطان المغول
1171	استيلاء الدولة الايوبية على مصر الى سنة 1250
1187	انتصار صلاح الدين على الصليبيين في طبريا واخذه القدس منهم
1189	- 1191 حصار الصليبيين عكا
1210	- 1223 اضطهاد الولدنسيين والالبيجنسيين في اوروبا وقتلهم
1241	الاتحاد الانسياتيكي
1250	استيلاء المماليك اي الدولة الجركسية على البلاد المصرية الى سنة 1517
1257	استيلاء التتر تحت راية ملكهم هلاكو على بلاد العجم وبغداد وانقراض الدولة العربية في خلافة المستعصم بن المستنصر
1263	اول مجلس شورى ترتب في انكلترا (باريلمنت)

ب.م

1273 قيام رود ولف هابسبورغ امبراطورا على جرمانيا وهو راس عائلة اوستريا الحالية

1277 قيام بيبرس اشهر ملوك الدولة الجركسية في مصر صاحب الفتوحات الكثيرة

1284 انضمام مقاطعة ويلس الى تاج انكلترا

1300 بداية دولة آل عثمان وتاسيسها ببر الاناضول

1305 انتقال مركز الباباوية من رومية الى افينيون في فرنسا حيث بقي 70 سنة

1315 استقلال اهل سويسرا عن جرمانيا

1337 – 1453 بداية حروب الفرنساويين والانكليز المعروفة بحروب المائة سنة

1384 ظهور يوحنا ويكليف اول مصلح للديانة المسيحية في انكلترا

1397 انضمام النرويج الى أبلاد الدانيمارك

1400 اكتشاف الاوروبيين اليابان

1402 تغلب تيمورلنك على السلطان بايزيد واسره اياه في انقرة

1410 موت تيمورلنك

1414 معارضة يوحنا هس آراء الكنيسة الرومانية والحكم عليه بالحرق في مجمع قسطنسية

1416 احراق جروم من مدينة براك لاجل مناداته باصلاح الديانة

1469 تغلب جاندارك الفرنسية على الانكليز وتخليصها بعض اقاليم فرنسا ووقوعها في ايدي الانكليز واحراقهم اياها

1431 تتويج هنري السادس ملك انكلترا ملكا على الفرنساويين وهو في باريس

1453 افتتاح السلطان محمد الثاني القسطنطينية وانقراض السلطنة الرومانية الشرقية

1453 اجلاء الانكليز من فرنسا اصالة

1455 – 1475 حروب اللورد في انكلترا وهي حروب اهلية بين حزبين كبيرين

1470 قيام التفتيش والتجسس الديني في مدينة اشبيلية في اسبانيا

1576 بداية التجارة بالعبيد بواسطة البورتوغاليين

1480 – 1496 حروب الاسبانيوليين مع عرب الاندلس واجلاؤهم في ايام فردينند وايزابلة

ب.م

1486 اكتشاف راس الرجاء الصالح لبرثلماوس دياس

1496 نفي 160 الفا من اليهود من اسبانيا

1496 اكتشاف كولومبوس اميركا

1497 مرور البرتغاليين الى الهند عن طريق راس الرجاء الصالح

1500 اكتشاف برازيل من البورتوغاليين

1517 استخلاص آل عثمان بلاد مصر في ايام السلطان سليم الاول من ايدي المماليك

1517 – 1519 ظهور لوثر ومناداته بالاصلاح في جرمانيا وزوينكليوس في بلاد السويس

1519 مسح شارلكان امبراطورا على جرمانيا

1520 افتتاح مكسيكو لفرنند كورتيز

1522 استفتاح السلطان سليمان جزيرة رودس من انصار بيت المقدس

1523 طرد غوستاف واصاكريستيان من بلاد اسوج

1525 انتصار شارلكان على فرنسيس الاول ملك فرنسا واسره اياه

1527 مهاجمة جيوش شارلكان رومية ونهبها وقبضهم على البابا اكليمنضس السابع وسجنه

1529 اقامة مسيحيو الاصلاح الحجة على مقاوميهم واطلاق لقب البروتستانت عليهم من جراء ذلك

1535 تغلب شارلكان على القراصنة واخذه تونس

1540 تاسيس اغناطيوس لويولا جمعية اليسوعيين

1545 التئام المجمع التريدينتيني

1566 قيام الاتحاد المقدس في فرنسا لاجل ملاشاةالهرطقة

1567 بداية عصيان الهولانديين على فيليب ملك اسبانيا بسبب تعرضه لمذهبهم

1571 استفتاح آل عثمان جزيرة قبرس في ايام السلطان سليم الثاني

1572 مذبحة بروتستانت فرنسا يوم عيد ماربرثلماوس

1574 استيلاء الدولة العثمانية على تونس

1579 – 1581 بداية الجمهورية الفلمنكية واتحاد سبع ولايات منها

1580 ضم البورتوغال الى اسبانيا بواسطة ملكها فيليب الثاني الذي تبوأ تخت اسبانيا سنة 1556

ب.م	
1593	تملك هنري الرابع على فرنسا بعد جحده الديانة البروتستانية
1603	اتحاد اسكوتلاند وانكلترا في ايام جمس الاول من عائلة استوارت
1609	اكتشاف هدسن النهر المسمى باسمه في الولايات المتحدة الامريكية
1610	قتل رافالياك اليسوعي هنري الرابع ملك فرنسا
1611	طرد عدد غفير من المغاربة من اسبانيا في ايام ملكها فيليب الثالث
1614	استيطان الفلمنكيين في نيويورك والباني
1661	اثارة الكردينال ريشيلو في فرنسا حرباً على البروتستانت وحصرهم في قلعة روشيل واخضاعهم
1638	افتتاح السلطان مراد الرابع مدينة بغداد من الاعجام
1640	انفصال البورتوغال عن اسبانيا وابتداء تملك عائلة براغانسة فيها
1642	مجاهرة الانكليز ملكهم كارلوس الاول بالعصيان وبداية الحرب الاهلية بينهم
1648	معاهدة وستفاليا
1649	اسر الانكليز كارلوس المذكور وقتله
1653	صيرورة كرومويل محاميا للجمهورية الانكليزية
1654	حروب انكلترا البحرية مع هولاندا ودوامها الى سنة 1767 حين تم صلح بريدا
1658	موت الجنرال اوليفر كرومويل
1660	اعادة الملكية الى انكلترا بواسطة الجنرال مونك وتولي كارلوس الثاني وتعرف هذه المدة عند الانكليز بمدة العود او الاسترجاع
1665	حدوث طاعون مهلك في مدينة لندن مات فيه الف نفس
1666	حدوث حريق مريم في مدينة لندن خرب فيها 13000 بناية
1667	اخذ انكلترا مدينة نيويورك في اميركا من الفلمنكيين ووقوع الصلح بين الامتين
1672	نكث كارلوس الثاني ملك انكلترا معاهدته مع الفلمنكيين ومحاربته لهم بعد اتحاده مع فرنسا
1682	تملك بطرس الاكبر على روسيا

ب.م	
1682	ولادة كارلوس الثاني عشر ملك اسوج ونروج
1683	انجاد سوبياسكي النمساويين ومنع الاتراك عن اخذ فيينا
1686	اتحاد هولاندا واسبانيا وانكلترا على فرنسا في معاهدة اوكسبورج
1688	حدوث الثورة الانكليزية وتنزيل الملك جمس الثاني
1689	استدعاء الانكليز الامير اورانج الفلمنكي واقامته ملكا تحت اسم وليم الثالث
1643	استيلاء الاتراك على مدينة ازوف
1649	اخذ الاتراك بلغراد وبلاد المجر العليا وخوف اوروبا منهم
1700	توصية كارلوس الثاني ملك اسبانيا بملكه الى فيليب دي انجو حفيد لويس الرابع عشر ملك فرنسا ووقوع الحروب المعروفة بحروب الوراثة الاسبانيولية
1701	تغلب كارلوس الثاني عشر ملك اسوج على الروسيين في نارفا
1701	– 1703 تحزب انكلترا وهولاندا والنمسا على فرنسا واسبانيا لمنع البوربون عن التملك في اسبانيا وتغلب فرنسا عليهم
1703	تاسيس بطرس الاكبر مدينة بطرسبرج
1704	انتصار الدول المتحدة على فرنسا بواسطة ملبروك الشهير في حرب بلينهيم
1704	استيلاء الانكليز على حصن جبل طارق
1707	انتصار الفرنساويين والاسبانيوليين على الدول المتحدة
1707	انضمام اسكوتلاندا الى انكلترا
1709	انتصار بطرس الاكبر على كارلوس الثاني عشر ملك اسوج في بلتوفا
1711	تغلب آل عثمان على بطرس الاكبر عند نهر بروث
1713	انتهاء حروب الوراثة الاسبانيولية بمصالحة اوترخت
1718	الاتحاد الرباعي بين انكلترا وفرنسا واوستريا وهولاندا لمقاومة مقاصد اسبانيا لجهة استيلائها على فرنسا وبعض ايطاليا

ب.م	
1718	تنازل الاتراك عن بلغراد وبعض الصرب والفلاخ الى اوستريا واستيلاؤهم على المورة من مشيخة البندقية
1740	- 1748 حروب الوراثة النمساوية ضد الملكة ماريا ترزيا
1745	اخذ الانكليز لويز بورج من الفرنساويين في اميركا
1755	حدوث زلزلة مهلكة في ليسبون عاصمة البورتوغال خرب فيها اكثر المدينة
1765	تولية المماليك البحرية على الديار المصرية من طرف الدولة العثمانية في زمن السلطان مصطفى الثالث
1757	سيادة الانكليز في الهند بعد حرب بلاسي
1759	غلبة الانكليز على الفرنساويين في حرب كويبك في اميركا واستيلاؤهم على المدينة
1763	صلح باريز فرنسا وانكلترا واسبانيا وتنازل فرنسا عن كانادا الى الانكليز
1771	انقسام بولونيا الاول بين روسيا وبروسيا واوستريا
1773	ابطال عادة تقبيل رجل البابا
1776	مناداة الاميركانيين باستقلالهم ووقوع الحروب بينهم وبين الانكليز
1783	مصالحة باريز ونهاية حرب اميركا واستقلاليتها التامة
1789	قيام الجنرال واشنتون رئيسا اولا للجمهورية الاميركانية
1789	بداية الثورة الفرنساوية العظيمة وسقوط لويس السادس عشر الذي كان قيامه سنة 1774
1796	اشهار الجمهورية في فرنسا وابطال الملكية ويعتبر ذلك بداية تاريخ فرنسا الحديث
1793	قتل الفرنساويين ملكهم لويس السادس عشر
1794	انشاء الجمعية الوطنية الفرنساوية والحكومة المديرية ، وابطال يوم الاحد ، وترتيب السنين والشهور والاسابيع والمناداة بقلب جميع الاديان ورئيس هذا المذهب روبسبير
1798	ذهاب نابوليون بونابارت الى مصر وفتحها واخذه جزيرة مالطة
1797	موت واشنطون محرر اميركا
1798	انتصار الاميرال نيلسون الانكليزي وتكسيره البوارج الفرنساوية في ابي قير بمصر
1798	انضمام مشيخة البندقية الى النمسا
1799	مجيء نابوليون الى الشرق ومحاصرته عكا ومقاومة السار سدني سميث له ورجوعه عنها
1799	رجوع نابليون الى فرنسا وتغيير الحكومة المديرية وصيرورتها قنصلية وتبوؤه رئاستها
1800	انضمام ايرلاندا الى انكلترا
1800	شبوب الحرب بين الفرنساويين والنمساويين وانتصار نابليون في مارانكو
1801	حرب الانكليز للدنيماركيين والاسوجيين المعروفة بحرب كوبنهاجن
1801	موت بولوس امبراطور روسيا وتولي ابنه اسكندر الاول
1801	خروج الفرنساويين من الديار المصرية
1803	تسمية نابليون قنصلا اولا مدة حياته
1804	تتويج نابليون الاول امبراطورا للفرنساويين
1804	معاهدة انكلترا واوستريا وروسيا لمقاومة فرنسا
1804	تولي محمد علي باشا خديوي مصر
1805	انتصار نابوليون على النمساويين والروسيين في اوسترليتس
1805	انتصار الانكليز بحرا على الفرنساويين والاسبانيوليين في ترافالكار وموت نيلسون في المعركة
1805	مصالحة اوستريا وفرنسا المعروفة بصلح بريسبورج
1806	انشاء معاهدة الرين تحت حماية نابوليون وانحلال السلطنة الجرمانية واتخاذ فرنسيس الثاني لقب امبراطور اوستريا فقط
1806	اتحاد انكلترا وبروسيا على فرنسا ـ انتصار نابوليون على بروسيا في يانا وغيرها ودخوله منتصرا الى برلين
1806	استيلاء الانكليز على راس الرجاء الصالح من الفلمنكيين
1807	انتصار نابوليون على الروسيين لا سيما في فريدلند
1807	صلح تيلسيت بين نابوليون واسكندر وفصله وستفاليا عن بروسيا واعطاؤها لاخيه جيروم

ب.م	
1807	ـ 1808 مهاجمة الانكليز كوبنهاجن واستيلاؤهم على العمارة الدنيماركية لاجل منع استعانة نابوليون الاول بها
1807	ارسال نابوليون عسكرا الى بورتوغال ومهاجرة العائلة الملكية الى برازيل
1808	تنازل فردیننـد ملك اسبانيا عن الملك لنابليـون
1808	قيام بواكيم موراث صهر نابوليون الاول ملكا على نابولي
1808	ـ 1809 انتصار الانكليز لاسبانيا والبورتوغال لمنع فرنسا من نوال مآربها
1809	انتشاب الحرب بين فرنسا واوستريا وانتصار نابوليون ودخوله فينا وعقده الصلح وتطليق نابوليون زوجته وزواجه بماريا لويز ابنة فرنسيس الاول امبراطور اوستريا
1810	انضمام بلاد الفلمنك الى فرنسا
1812	اشهار الاميركان الحرب على الانكليز لاجل بعض اعتداءات بحرية
1812	شبوب الحرب بين فرنسا وروسيا دخول نابوليون منتصرا الى موسكو احراق الروسيين موسكو ، رجوع نابوليون بالخيبة وهلاك جيشه
1812	احضار نابوليون اليابابيوس السابع من رومية وترسيمه عليه في فونتنبلو
1814	الاتحاد السادس ضد فرنسا (جميع دول اوروبا) ودخول العساكر المتحدة الى باريس ، تنازل نابوليون الاول عن الملك وذهابه الى جزيرة البا ملكا عليها واقامة لويس الثامن عشر ملكا على فرنسا
1814	ضم نورج الى اسوج
1814	انضمام جينوا الى مملكة سردينا

ب.م	
1814	ضم بلجيكا وهولاندا وجعلها مملكة واحدة يترأس عليها غليوم الاول ملك هولاندا
1815	مصالحة الانكليز والاميركانيين
1815	رجوع نابوليون من البا وتوليه ثانية مدة 100 يوم ، تجديد المتعاهدين الحرب عليه وانغلابه في واترلو وتسليمه نفسه للانكليز وارسالهم اياه الى جزيرة القديسة هيلانة في المحيط الجنوبي من افريقية
1815	رجوع الملكية الى فرنسا
1815	انفصال برازيل عن بورتوغال
1815	الغاء التجسس الديني في بورتوغال
1820	حدوث ثورة في اسبانيا وبورتوغال والغاء التجسس الديني في اسبانيا
1821	توفي نابوليون الاول في الجزيرة المذكورة
1822	عصيان اليونان على الدولة العثمانية ومقتلة خيو المهلكة
1826	قتل الانكشارية في تركيا
1827	حرب نافارين بحرا بين فرنسا وانكلترا وروسيا من جهة والدولة العثمانية من جهة لاجل تحرير اليونان وحرقهم العمارتين العثمانية والمصرية وتسليم الدولة باستقلالية اليونان
1830	وقوع ثورة في باريس وتنزيل كارلوس العاشر وتولية لويس فيليب الاول
1830	احتلال الفرنساويين للجزائر
1830	ـ 1831 وقوع ثورة في البلاد الواطئة وانفصال بلجيكا عن هولاندا وصيرورة كل منهما مملكة قائمة بذاتها
1832	مصالحة ادرنة بين الدولة العلية وروسيا
1836	استيلاء ابراهيم باشا على الديار الشامية

جـــــدول
مقـارنـة السنـة الهجـريـة بالسنـــة الميــلاديــة

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت في بدء السنة الميلادية	السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت في بدء السنة الميلادية
1	16 يوليوز 622	196	28	25 سبتمبر 648	268
2	5 يوليوز 623	185	29	14 سبتمبر 649	276
3	24 يونيو 624	175	30	4 سبتمبر 650	246
4	13 يونيو 625	163	31	24 اغسطس 651	235
5	2 يونيو 626	152	32	2 اغسطس 652	224
6	23 مايو 627	141	33	2 اغسطس 653	213
7	11 مايو 628	131	34	22 يوليوز 654	202
8	1 مايو 629	120	35	11 يوليوز 655	191
9	20 ابريل 630	109	36	30 يونيو 656	181
10	9 ابريل 631	98	37	19 يونيو 657	169
11	29 مارس 632	88	38	9 يونيو 658	159
12	18 مارس 633	76	39	29 مايو 659	148
13	7 مارس 634	65	40	17 مايو 660	137
14	25 فبراير 635	55	41	7 مايو 661	126
15	14 فبراير 636	44	42	26 ابريل 662	115
16	2 فبراير 637	32	43	15 ابريل 663	104
17	23 يناير 638	22	44	4 ابريل 664	94
18	12 يناير 639	11	45	24 مارس 665	82
19	2 يناير 640	1	46	13 مارس 666	71
20	21 ديسمبر 640	355	47	3 مارس 667	61
21	10 ديسمبر 641	343	48	20 فبراير 668	50
22	30 نوفمبر 642	333	49	9 فبراير 669	39
23	1 نوفمبر 643	322	50	29 فبراير 670	28
24	7 نوفمبر 644	311	51	18 يناير 671	17
25	28 اكتوبر 645	300	52	8 يناير 672	7
26	17 اكتوبر 646	289	53	27 يناير 672	361
27	7 اكتوبر 647	279	54	16 ديسمبر 673	349

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
55	6 ديسمبر 674	339
56	25 نوفمبر 675	328
57	14 نوفمبر 676	318
58	3 نوفمبر 677	306
59	23 اكتوبر 678	295
60	13 اكتوبر 679	285
61	1 اكتوبر 680	274
62	20 سبتمبر 681	262
63	10 سبتمبر 682	252
64	30 اغسطس 683	241
65	18 اغسطس 684	230
66	8 اغسطس 685	219
67	28 يوليو 686	208
68	18 يوليو 687	198
69	6 يوليو 688	187
70	25 يونيو 689	175
71	15 يونيو 690	165
72	4 يونيو 691	154
73	23 مايو 692	143
74	13 مايو 693	132
75	2 مايو 694	121
76	21 ابريل 695	110
77	10 ابريل 696	100
78	30 مارس 697	88
79	20 مارس 698	78
80	9 مارس 699	67
81	26 فبراير 700	56
82	15 فبراير 701	45
83	4 فبراير 702	34
84	24 يناير 703	23
85	14 يناير 704	13
86	2 يناير 705	1
87	13 ديسمبر 706	356
88	12 ديسمبر 707	345
89	1 ديسمبر 708	334
90	20 نوفمبر 709	324
91	9 نوفمبر 709	312
92	29 اكتوبر 710	301
93	19 اكتوبر 711	291
94	7 اكتوبر 712	280
95	26 سبتمبر 713	268
96	16 سبتمبر 714	258
97	5 سبتمبر 715	247
98	25 اغسطس 716	237
99	14 اغسطس 717	225
100	3 اغسطس 718	214
101	24 يوليوز 719	204
102	12 يوليوز 720	193
103	1 يوليوز 721	181
104	21 يونيو 722	171
105	10 يونيو 723	160
106	29 مايو 724	149
107	19 مايو 725	138
108	8 مايو 726	127
109	27 ابريل 727	117
110	16 ابريل 728	106
111	5 ابريل 729	94
112	26 مارس 730	84
113	15 مارس 731	73
114	3 مارس 732	62
115	21 فبراير 733	51
116	10 فبراير 734	40
117	31 يناير 735	30
118	20 يناير 736	19
119	8 يناير 737	7
120	29 ديسمبر 737	362
121	18 ديسمبر 738	351
122	7 ديسمبر 739	340
123	26 نوفمبر 740	330
124	15 نوفمبر 741	318
125	4 نوفمبر 742	307
126	25 اكتوبر 743	297
127	13 اكتوبر 744	286
128	3 اكتوبر 745	275
129	22 سبتمبر 746	264
130	11 سبتمبر 747	253
131	31 سبتمبر 748	243
132	20 اغسطس 749	231

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت في يوم السنة الميلادية
133	9 اغسطس 750	220
134	30 اغسطس 751	210
135	18 يوليو 752	198
136	7 يوليو 753	187
137	27 يوليو 754	177
138	16 يونيو 755	166
139	5 يونيو 756	156
140	25 مايو 757	144
141	14 مايو 758	133
142	4 مايو 759	123
143	22 ابريل 760	111
144	11 ابريل 761	100
145	1 ابريل 762	90
146	21 مارس 763	79
147	10 مارس 764	68
148	27 فبراير 765	57
149	16 فبراير 766	46
150	6 يناير 767	36
151	26 يناير 768	25
152	14 يناير 769	13
153	4 يناير 770	3
154	24 ديسمبر 770	357
155	13 ديسمبر 771	346
156	2 ديسمبر 772	226
157	21 نوفمبر 773	324
[illegible]	11 نوفمبر 774	324
159	31 اكتوبر 775	303
160	19 اكتوبر 776	292
161	9 اكتوبر 777	281
162	28 سبتمبر 778	280
163	17 سبتمبر 779	259
164	6 سبتمبر 780	248
165	26 اغسطس 781	237
166	15 اغسطس 782	227
167	5 اغسطس 783	216
168	24 يوليو 784	205
169	14 يوليو 785	194
170	3 يوليو 786	183
171	22 يونيو 787	172
172	11 يونيو 788	162
173	11 مايو 789	150
174	20 مايو 790	139
175	10 مايو 791	129
176	28 مايو 792	118
177	18 ابريل 793	107
178	7 ابريل 794	96
179	27 مارس 795	85
180	16 مارس 796	75
181	5 مارس 797	63
182	22 فبراير 798	52
183	12 فبراير 779	42
184	1 فبراير 800	31
185	20 يناير 801	19
186	10 يناير 802	9
187	30 ديسمبر 802	363
188	20 ديسمبر 803	353
189	8 ديسمبر 804	342
190	27 نوفمبر 805	330
191	17 نوفمبر 806	320
192	6 نوفمبر 807	309
193	25 اكتوبر 808	298
194	15 اكتوبر 809	287
195	4 اكتوبر 810	276
196	23 سبتمبر 811	265
197	12 سبتمبر 812	255
198	1 سبتمبر 813	243
199	22 اغسطس 814	233
200	11 اغسطس 815	222
201	30 يوليوز 816	211
202	20 يوليوز 817	209
203	9 يوليوز 818	189
204	28 يونيو 819	178
205	17 يونيو 820	168
206	6 يونيو 821	156
207	27 مايو 822	146
208	16 مايو 823	135
209	4 مايو 824	122
210	24 ابريل 825	113

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت في بدء السنة الميلادية
211	13 ابريل 826	102
212	2 ابريل 827	91
213	22 مارس 828	81
214	11 مارس 829	69
215	25 فبراير 830	58
216	18 فبراير 831	48
217	7 فبراير 832	37
218	27 يناير 833	26
219	16 يناير 834	15
220	5 يناير 835	4
221	26 ديسمبر 836	359
222	14 ديسمبر 836	347
223	3 ديسمبر 837	336
224	23 نوفمبر 838	326
225	12 نوفمبر 839	315
226	31 اكتوبر 840	304
227	20 اكتوبر 841	293
228	10 اكتوبر 842	282
229	30 سبتمبر 843	272
230	18 سبتمبر 844	261
231	7 سبتمبر 845	249
232	28 اغسطس 846	239
233	17 اغسطس 847	228
234	5 اغسطس 848	216
235	26 يوليوز 849	206
236	15 يوليوز 850	195
237	5 يوليوز 851	185
238	23 يونيو 852	174
239	12 يونيو 853	162
240	2 يونيو 854	152
241	22 ماي 855	141
242	10 ماي 856	130
243	30 ابريل 857	119
244	19 ابريل 858	108
245	8 ابريل 859	97
246	28 مارس 860	87
247	17 مارس 861	75
248	7 مارس 862	65
249	24 يبراير 863	54
250	13 يبراير 864	44
251	2 يبراير 865	32
252	22 يناير 866	21
253	11 يناير 867	10
254	1 يناير 868	0
255	20 ديسمبر 868	353
256	9 ديسمبر 869	342
257	29 نوفمبر 870	332
258	18 نوفمبر 871	321
259	7 نوفمبر 872	311
260	27 اكتوبر 873	299
261	16 اكتوبر 874	288
262	6 اكتوبر 875	278
263	24 سبتمبر 876	267
264	13 سبتمبر 877	255
265	3 سبتمبر 878	245
266	23 اغسطس 879	234
267	12 اغسطس 880	224
268	1 اغسطس 881	212
269	21 يوليو 882	201
270	11 يوليو 883	191
271	29 يونيو 884	180
272	18 يونيو 885	168
273	8 يونيو 886	158
274	28 ماي 887	147
275	16 ماي 888	136
276	6 ماي 889	125
277	25 ابريل 890	114
278	15 ابريل 891	104
279	3 ابريل 892	93
280	23 مارس 893	81
281	13 مارس 894	71
282	2 مارس 895	60
283	19 فبراير 896	49
284	8 فبراير 897	38
285	28 يناير 898	27
286	17 يناير 899	16
287	7 يناير 900	6
288	26 ديسمبر 900	360

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
289	16 ديسمبر 901	349
290	5 ديسمبر 902	337
291	24 نوفمبر 903	327
292	13 نوفمبر 904	317
293	2 نوفمبر 905	305
294	22 اكتوبر 906	294
295	12 اكتوبر 907	284
296	30 سبتمبر 908	273
297	20 سبتمبر 909	262
298	9 سبتمبر 910	251
299	29 اغسطس 911	240
300	18 اغسطس 912	230
301	7 اغسطس 913	218
302	27 يوليوز 914	207
303	17 يوليوز 915	197
304	5 يوليوز 916	186
305	24 يونيو 917	174
306	14 يونيو 918	164
307	3 يونيو 919	158
308	23 مايو 920	143
309	12 مايو 921	131
310	1 مايو 922	120
311	21 ابريل 923	110
312	9 ابريل 924	99
313	29 مارس 925	87
314	19 مارس 926	77
315	8 مارس 927	66
316	25 فبراير 928	55
317	14 فبراير 929	44
318	3 فبراير 930	33
319	24 يناير 931	23
320	13 يناير 932	12
321	1 يناير 933	0
322	22 ديسمبر 933	355
323	11 ديسمبر 934	344
324	30 نوفمبر 935	333
325	19 نوفمبر 936	223
326	8 نوفمبر 937	311
327	29 اكتوبر 938	301
328	18 اكتوبر 939	219
329	6 اكتوبر 940	279
330	26 سبتمبر 941	268
331	15 سبتمبر 942	257
332	4 سبتمبر 943	246
333	24 اغسطس 944	236
334	13 اغسطس 945	224
335	2 اغسطس 946	213
336	23 يوليوز 947	203
337	11 يوليو 948	192
338	1 يوليو 949	181
339	20 يونيو 950	170
340	9 يونيو 951	159
341	29 مايو 952	149
342	18 مايو 953	137
343	7 مايو 954	126
344	27 ابريل 955	116
345	15 ابريل 956	105
346	4 ابريل 957	93
347	25 مارس 958	83
348	14 مارس 959	72
349	3 مارس 960	26
350	20 فبراير 961	50
351	9 فبراير 962	39
352	30 يناير 963	29
353	19 يناير 964	18
354	7 يناير 965	6
355	28 ديسمبر 965	361
356	17 ديسمبر 966	350
357	7 ديسمبر 967	340
358	25 نوفمبر 368	329
359	14 نوفمبر 969	317
360	2 نوفمبر 970	307
361	24 اكتوبر 971	296
362	12 اكتوبر 972	285
363	2 اكتوبر 973	274
364	21 سبتمبر 974	223
365	10 سبتمبر 975	252
366	30 اغسطس 976	242

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
367	19 اغسطس 977	231
368	9 اغسطس 978	221
369	29 يوليو 979	209
370	17 يوليو 980	198
371	7 يوليو 981	187
372	26 يونيو 982	176
373	15 يونيو 983	165
374	4 يونيو 984	155
375	24 ماي 985	143
376	13 ماي 986	133
377	3 ماي 987	123
378	21 ابريل 988	111
379	11 ابريل 989	100
380	31 ابريل 990	89
381	20 مارس 991	78
382	9 مارس 992	68
383	26 فبراير 993	56
384	15 فبراير 994	45
385	5 فبراير 995	34
386	25 فبراير 996	24
387	14 يناير 997	13
388	3 يناير 998	2
389	23 ديسمبر 998	356
390	13 ديسمبر 999	346
391	1 ديسمبر 1000	335
392	20 نوفمبر 1001	323
393	10 نوفمبر 1002	313
394	30 اكتوبر 1003	302
395	18 اكتوبر 1004	291
396	8 اكتوبر 1005	281
397	27 سبتمبر 1006	269
398	17 سبتمبر 1007	259
399	5 سبتمبر 1008	248
400	25 اغسطس 1009	236
401	15 اغسطس 1010	226
402	4 اغسطس 1011	215
403	23 يوليوز 1012	204
404	13 يوليو 1013	193
405	3 يوليو 1014	183

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
406	21 يونيو 1015	171
407	10 يونيو 1016	161
408	30 ماي 1017	149
409	20 ماي 1018	139
410	9 ماي 1019	128
411	27 ابريل 1020	117
412	17 ابريل 1021	106
413	6 ابريل 1022	95
414	26 مارس 1023	84
415	15 مارس 1024	74
416	4 مارس 1025	62
417	22 فبراير 1026	52
418	11 فبراير 1027	41
419	31 يناير 1028	30
420	20 يناير 1029	19
421	9 يناير 1030	8
422	29 ديسمبر 1030	362
423	19 ديسمبر 1031	352
424	7 ديسمبر 1032	341
425	26 نوفمبر 1033	329
426	16 نوفمبر 1034	319
427	5 نوفمبر 1035	308
428	25 اكتوبر 1036	298
429	14 اكتوبر 1037	286
430	3 اكتوبر 1038	275
431	23 سبتمبر 1039	265
432	11 سبتمبر 1040	254
433	31 اغسطس 1041	242
434	21 اغسطس 1042	232
435	10 اغسطس 1043	221
436	29 يوليو 1044	210
437	19 يوليو 1045	199
438	8 يوليو 1046	188
439	28 يونيو 1047	178
440	16 يونيو 1048	167
441	5 يونيو 1049	155
442	26 مايو 1050	145
443	15 مايو 1051	134
444	3 مايو 1052	123

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
445	23 ابريل 1053	112
446	12 ابريل 1054	101
447	2 ابريل 1055	91
448	21 مارس 1056	80
449	10 مارس 1057	68
450	28 فبرايو 1058	58
451	17 فبراير 1049	47
452	6 فبراير 1060	36
453	26 يناير 1061	25
454	15 يناير 1062	14
455	4 يناير 1063	3
456	25 ديسمبر 1063	358
457	13 ديسمبر 1064	347
458	3 ديسمبر 1065	336
459	22 نوفمبر 1066	325
460	11 نوفمبر 1067	314
461	31 اكتوبر 1068	304
462	20 اكتوبر 1069	296
463	9 اكتوبر 1070	281
464	29 سبتمبر 1071	271
465	17 سبتمبر 1072	269
466	6 سبتمبر 1073	248
467	27 اغسطس 1074	238
468	16 اغسطس 1075	227
469	5 اغسطس 1076	217
470	25 يوليو 1077	205
471	14 يوليو 1078	194
472	4 يوليو 1079	184
473	22 يونيو 1080	173
474	11 يونيو 1081	161
475	1 يونيو 1082	151
476	21 مايو 1083	140
477	10 مايو 1084	130
478	29 ابريل 1085	118
479	18 ابريل 1086	107
480	8 ابريل 1087	97
481	27 مارس 1088	86
482	16 مارس 1089	74
483	6 مارس 1090	64

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
484	23 فبراير 1091	53
485	12 فبراير 1092	42
486	1 فبراير 1093	31
487	21 يناير 1094	20
488	11 يناير 1095	10
489	31 ديسمبر 1095	364
490	19 ديسمبر 1096	353
491	9 ديسمبر 1097	342
492	28 نوفمبر 1098	331
493	17 نوفمبر 1099	320
494	6 نوفمبر 1100	310
495	26 اكتوبر 1101	298
496	15 اكتوبر 1102	287
497	5 اكتوبر 1103	277
498	23 سبتمبر 1104	265
499	13 سبتمبر 1105	255
500	2 سبتمبر 1106	244
501	22 اغسطس 1107	233
502	11 اغسطس 1108	223
503	31 يوليو 1109	211
504	20 يوليو 1110	200
505	10 يوليو 1111	190
506	28 يونيو 1112	179
507	18 يونيو 1113	168
508	7 يونيو 1114	157
509	27 مايو 1115	146
510	16 مايو 1116	136
511	5 مايو 1117	124
512	24 ابريل 1118	113
513	14 ابريل 1119	103
514	2 ابريل 1120	92
515	22 مارس 1121	80
516	12 مارس 1122	70
517	1 مارس 1123	59
518	19 فبراير 1124	49
519	7 فبراير 1125	37
520	27 يناير 1126	26
521	17 يناير 1127	16
522	6 يناير 1128	5

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
523	25 ديسمبر 1128	359
524	15 ديسمبر 1129	348
525	4 ديسمبر 1130	337
526	23 نوفمبر 1131	326
527	12 نوفمبر 1132	316
528	1 نوفمبر 1133	304
529	22 اكتوبر 1134	294
530	11 اكتوبر 1135	283
531	29 سبتمبر 1136	272
532	19 سبتمبر 1137	261
533	8 سبتمبر 1138	250
534	28 اغسطس 1139	239
535	17 اغسطس 1140	229
536	6 اغسطس 1141	217
537	27 يوليو 1142	207
538	16 يوليو 1143	196
539	4 يوليو 1144	185
540	24 يونيو 1145	174
541	13 يونيو 1156	163
542	2 يونيو 1147	152
543	22 مايو 1148	142
544	11 مايو 1149	130
545	30 ابريل 1150	119
546	20 ابريل 1151	109
547	8 ابريل 1152	98
548	27 مارس 1153	87
549	18 مارس 1154	76
550	7 مارس 1155	65
551	25 فبراير 1156	55
552	13 فبراير 1157	43
553	2 فبراير 1158	32
554	23 يناير 1159	22
555	12 يناير 1160	11
556	31 ديسمبر 1160	365
557	21 ديسمبر 1161	354
558	10 ديسمبر 1162	343
559	30 نوفمبر 1163	333
560	18 نوفمبر 1164	322
561	7 نوفمبر 1165	310
562	28 اكتوبر 1166	300
563	17 اكتوبر 1167	289
564	5 اكتوبر 1168	278
565	25 سبتمبر 1169	267
566	14 سبتمبر 1170	256
567	4 سبتمبر 1171	246
568	23 اغسطس 1172	235
569	12 اغسطس 1173	223
570	2 اغسطس 1174	213
571	22 يوليو 1175	202
572	10 يوليو 1176	191
573	30 يوليو 1177	180
574	19 يونيو 1178	169
575	8 يونيو 1179	158
576	28 مايو 1180	147
577	17 مايو 1181	136
578	7 مايو 1182	126
579	26 ابريل 1183	115
580	14 ابريل 1184	104
581	4 ابريل 1185	93
582	24 مارس 1186	82
583	13 مارس 1187	81
584	2 مارس 1188	61
585	19 فبراير 1189	49
586	8 فبراير 1190	38
587	29 يناير 1191	28
588	18 يناير 1192	17
589	7 يناير 1193	6
590	27 ديسمبر 1193	360
591	16 ديسمبر 1194	349
592	6 ديسمبر 1195	339
593	24 نوفمبر 1196	328
594	13 نوفمبر 1197	316
595	3 نوفمبر 1198	306
596	23 اكتوبر 1099	295
597	12 اكتوبر 1200	285
598	1 اكتوبر 1201	274
599	20 سبتمبر 1202	262
600	10 سبتمبر 1203	252

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
601	29 اغسطس 1204	231
602	18 اغسطس 1205	229
603	8 اغسطس 1206	219
604	28 يوليو 1207	208
605	16 يوليو 1208	197
606	6 يوليو 1209	186
607	25 يونيو 1210	175
608	15 يونيو 1211	166
609	3 يونيو 1212	154
610	23 مايو 1213	142
611	13 مايو 1214	132
612	2 مايو 1215	121
613	20 ابريل 1216	110
614	10 ابريل 1217	99
615	30 مارس 1218	88
616	19 مارس 1219	77
617	8 مارس 1220	67
618	25 فبراير 1221	55
619	15 فبراير 1222	45
620	4 فبراير 1223	34
621	24 يناير 1224	23
622	13 يناير 1225	12
623	2 يناير 1226	1
624	22 ديسمبر 1226	355
625	12 ديسمبر 1227	345
526	30 نوفمبر 1228	334
627	20 نوفمبر 1229	323
628	9 نوفمبر 1230	312
629	29 اكتوبر 1231	301
630	18 اكتوبر 1232	291
631	7 اكتوبر 1233	279
632	26 سبتمبر 1234	268
633	16 سبتمبر 1235	258
634	4 سبتمبر 1236	247
635	24 اغسطس 1237	235
636	14 اغسطس 1238	225
637	3 اغسطس 1239	214
638	23 يوليو 1240	203
639	12 يوليو 1241	192
640	1 يوليو 1242	181
641	21 يونيو 1243	171
642	9 يونيو 1244	160
643	29 مايو 1245	284
644	19 مايو 1246	138
645	8 مايو 1247	127
646	26 ابريل 1248	116
647	16 ابريل 1249	105
648	5 ابريل 1250	94
649	26 مارس 1251	85
650	14 مارس 1252	73
651	3 مارس 1253	61
652	21 فبراير 1254	51
653	10 فبراير 1255	40
654	30 يناير 1256	29
655	19 يناير 1257	18
656	8 يناير 1258	7
657	29 ديسمبر 1258	362
658	18 ديسمبر 1259	351
659	6 ديسمبر 1260	340
660	26 نوفمبر 1261	329
661	15 نوفمبر 1262	318
662	4 نوفمبر 1263	307
663	24 اكتوبر 1264	297
664	13 اكتوبر 1265	285
665	2 اكتوبر 1266	274
666	22 سبتمبر 1267	264
667	10 سبتمبر 1268	253
668	31 اغسطس 1269	242
669	20 اغسطس 1270	231
670	9 اغسطس 1271	220
671	29 يوليو 1272	210
672	18 يوليو 1273	198
673	7 يوليو 1274	187
674	27 يونيو 1275	177
675	15 يونيو 1276	166
676	4 يونيو 1277	155
677	25 مايو 1278	144
678	14 مايو 1279	133

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
679	3 مايو 1280	123
680	22 ابريل 1281	111
681	11 ابريل 1282	100
682	1 ابريل 1283	90
683	20 مارس 1284	79
684	9 مارس 1285	67
685	27 فبراير 1286	57
686	16 فبراير 1287	46
687	6 فبراير 1288	36
688	25 يناير 1289	24
689	14 يناير 1290	13
690	4 يناير 1291	3
691	24 يناير 1291	357
692	12 سبتمبر 1292	346
693	2 ديسمبر 1293	335
694	21 نوفمبر 1294	324
695	10 نوفمبر 1295	313
696	30 اكتوبر 1296	303
697	19 اكتوبر 1297	291
698	9 اكتوبر 1298	281
699	28 سبتمبر 1299	270
700	16 سبتمبر 1300	259
701	5 سبتمبر 1301	248
702	26 اغسطس 1302	237
703	15 اغسطس 1303	226
704	4 اغسطس 1304	216
705	24 يوليو 1305	204
706	13 يوليو 1306	193
707	3 يوليو 1307	183
708	21 يونيو 1308	172
709	11 يونيو 1309	161
710	31 مايو 1310	150
711	20 مايو 1311	139
712	9 مايو 1312	129
713	28 ابريل 1313	117
714	17 ابريل 1314	106
715	7 ابريل 1315	96
716	26 مارس 1316	85
717	16 مارس 1317	74

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
718	5 مارس 1318	63
719	22 فبراير 1319	52
720	12 فبراير 1320	42
721	31 يناير 1321	30
722	20 يناير 1322	19
723	10 يناير 1323	9
724	30 ديسمبر 1323	363
725	8 ديسمبر 1324	352
726	8 ديسمبر 1325	341
727	27 نوفمبر 1326	330
728	17 نوفمبر 1327	320
729	5 نوفمبر 1328	309
730	25 اكتوبر 1329	297
731	15 اكتوبر 1330	287
732	4 اكتوبر 1331	276
733	22 سبتمبر 1332	265
734	12 سبتمبر 1333	254
735	1 سبتمبر 1334	243
736	21 اغسطس 1335	232
737	10 اغسطس 1336	222
738	30 يوليو 1337	210
739	20 يوليو 1338	200
740	9 يوليو 1339	189
741	27 يونيو 1340	178
742	17 يونيو 1341	167
743	6 يونيو 1342	156
744	26 مايو 1343	145
745	15 مايو 1344	135
746	4 مايو 1345	123
747	24 ابريل 1346	113
748	13 ابريل 1347	102
749	1 ابريل 1348	91
750	22 مارس 1349	80
751	11 مارس 1350	69
752	28 فبراير 1351	58
753	18 فبراير 1352	48
754	6 فبراير 1353	36
755	26 يناير 1354	25
756	16 يناير 1355	15

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
757	5 يناير 1356	4
758	25 ديسمبر 1356	359
759	15 ديسمبر 1357	347
760	3 ديسمبر 1358	336
761	23 نوفمبر 1359	326
762	11 نوفمبر 1360	315
763	31 اكتوبر 1361	303
764	21 اكتوبر 1362	293
765	10 اكتوبر 1363	282
766	28 سبتمبر 1364	271
767	18 سبتمبر 1365	260
768	7 سبتمبر 1366	249
769	28 اغسطس 1367	239
770	16 اغسطس 1368	228
771	5 اغسطس 1369	216
772	26 يوليو 1370	206
773	15 يوليو 1371	195
774	3 يوليو 1372	184
775	23 يونيو 1373	173
776	12 يونيو 1374	162
777	2 يونيو 1375	152
778	21 مايو 1376	141
779	10 مايو 1377	129
780	30 ابريل 1378	119
781	19 ابريل 1379	108
782	7 ابريل 1380	97
783	28 مارس 1381	86
784	17 مارس 1382	75
785	6 مارس 1383	64
786	24 فبراير 1384	54
787	12 فبراير 1385	42
788	2 فبراير 1386	32
789	22 يناير 1387	21
790	11 يناير 1388	10
791	31 ديسمبر 1388	365
792	20 ديسمبر 1389	353
793	9 ديسمبر 1390	342
794	29 نوفمبر 1391	332
795	17 نوفمبر 1392	321
796	6 نوفمبر 1393	309
797	27 اكتوبر 1394	299
798	16 اكتوبر 1395	288
799	5 اكتوبر 1396	278
800	24 سبتمبر 1397	266
801	13 سبتمبر 1398	255
802	3 سبتمبر 1399	245
803	22 اغسطس 1400	234
804	11 اغسطس 1401	222
805	1 اغسطس 1402	212
806	21 يوليو 1403	201
807	10 يوليو 1404	191
808	29 يونيو 1405	179
809	18 يونيو 1406	168
810	8 يونيو 1407	158
811	27 مايو 1408	147
812	16 مايو 1409	136
813	6 مايو 1410	126
814	25 ابريل 1411	114
815	13 ابريل 1412	103
816	3 ابريل 1413	92
817	23 مارس 1414	81
818	13 مارس 1415	71
819	1 مارس 1416	60
820	18 فبراير 1417	48
821	8 فبراير 1418	38
822	28 يناير 1419	27
823	17 يناير 1420	16
824	6 يناير 1421	5
825	26 ديسمبر 1421	359
826	15 ديسمبر 1422	348
827	5 ديسمبر 1423	338
828	23 نوفمبر 1424	327
829	13 نوفبمر 1425	316
830	2 نوفمبر 1426	305
831	22 اكتوبر 1427	294
832	11 اكتوبر 1428	284
833	30 سبتمبر 1429	272
834	19 سبتمبر 1430	261

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
835	9 سبتمبر 1431	251
836	28 اغسطس 1432	240
837	18 اغسطس 1433	229
838	7 اغسطس 1434	218
839	27 يوليو 1435	207
840	16 يوليو 1436	197
841	5 يوليو 1437	185
842	24 يونيو 1438	174
843	14 يونيو 1439	164
844	2 يونيو 1440	153
845	22 مايو 1441	141
846	12 مايو 1442	131
847	1 مايو 1443	120
848	20 ابريل 1444	110
849	9 ابريل 1445	98
850	29 مارس 1446	87
851	19 مارس 1447	77
852	7 مارس 1448	66
853	24 فبراير 1449	54
854	14 فبراير 1450	44
855	3 فبراير 1451	33
856	23 يناير 1452	22
857	12 يناير 1453	11
858	1 يناير 1454	0
859	22 ديسمبر 1454	355
860	11 ديسمبر 1455	344
861	29 نوفمبر 1456	333
862	19 نوفمبر 1457	322
863	8 نوفمبر 1458	311
864	28 اكتوبر 1459	300
865	17 اكتوبر 1460	290
866	6 اكتوبر 1461	278
867	2 سبتمبر 1462	268
868	5 سبتمبر 1463	257
869	3 سبتمبر 1464	246
870	24 اغسطس 1465	235
871	13 اغسطس 1466	224
872	2 اغسطس 1467	213
873	22 يوليو 1468	203

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
874	11 يوليو 1469	191
875	30 يونيو 1470	180
876	20 يونيو 1471	170
877	8 يونيو 1472	159
878	29 مايو 1473	148
879	18 مايو 1474	137
880	7 مايو 1475	126
881	26 ابريل 1476	116
882	15 ابريل 1477	104
883	4 ابريل 1478	93
884	25 مارس 1479	83
885	13 مارس 1480	72
886	2 مارس 1481	60
887	20 فبراير 1482	50
888	9 فبراير 1483	39
889	30 يناير 1484	29
890	18 يناير 1485	17
891	7 يناير 1486	6
892	28 ديسمبر 1486	361
893	17 ديسمبر 1487	350
894	5 ديسمبر 1488	339
895	25 نوفمبر 1489	328
896	14 نوفمبر 1490	317
897	4 نوفمبر 1491	307
898	23 اكتوبر 1492	296
899	12 اكتوبر 1493	284
900	2 اكتوبر 1494	274
901	21 سبتمبر 1495	263
902	9 سبتمبر 1496	252
903	30 اغسطس 1497	241
904	19 اغسطس 1498	230
905	8 اغسطس 1499	219
906	28 يوليو 1500	209
907	17 يوليو 1501	199
908	7 يوليو 1502	188
909	26 يونيو 1503	176
910	14 يونيو 1504	165
911	4 يونيو 1505	154
912	24 مايو 1506	143

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
913	13 مايو 1507	132
914	2 مايو 1508	122
915	21 ابريل 1509	110
916	10 ابريل 1510	99
917	31 مارس 1511	89
918	19 مارس 1512	78
919	9 مارس 1513	67
920	26 فبراير 1514	56
921	15 فبراير 1515	46
922	5 فبراير 1516	35
923	24 يناير 1517	23
924	13 يناير 1518	12
925	3 يناير 1519	2
926	23 ديسمبر 1519	356
927	12 ديسمبر 1520	336
928	1 ديسمبر 1521	334
929	20 نوفمبر 1522	323
930	10 نوفمبر 1523	313
931	29 اكتوبر 1524	302
932	18 اكتوبر 1525	390
933	8 سبتمبر 1526	208
934	27 سبتمبر 1527	269
935	15 سبتمبر 1528	258
936	5 سبتمبر 1529	247
937	25 اغسطس 1530	236
938	15 اغسطس 1531	226
939	3 اغسطس 1532	215
940	23 يوليو 1533	203
941	13 يوليو 1534	193
942	2 يوليو 1535	182
943	20 يونيو 1536	171
944	10 يونيو 1537	161
945	30 مايو 1538	149
946	19 مايو 1539	138
947	8 مايو 1540	128
948	27 ابريل 1541	116
949	17 ابريل 1542	106
950	6 ابريل 1543	95
951	25 مارس 1544	84

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
952	15 مارس 1545	73
953	4 مارس 1546	62
954	21 فبراير 1547	51
955	11 فبراير 1548	41
956	30 يناير 1549	29
957	20 يناير 1550	19
958	9 يناير 1551	8
959	29 ديسمبر 1551	362
960	18 ديسمبر 1552	352
961	7 ديسمبر 1553	340
962	26 نوفمبر 1554	329
963	16 نوفمبر 1555	319
964	4 نوفمبر 1556	308
965	24 اكتوبر 1557	296
966	14 اكتوبر 1558	286
967	3 اكتوبر 1559	275
968	22 سبتمبر 1560	265
969	11 سبتمبر 1561	253
970	31 اغسطس 1562	242
971	21 اغسطس 1563	232
972	9 اغسطس 1564	221
973	29 يوليو 1565	209
974	19 يوليو 1566	199
975	8 يوليو 1567	188
976	26 يوليو 1568	177
977	16 يونيو 1569	166
978	5 يونيو 1570	155
979	26 مايو 1571	145
980	14 مايو 1572	134
981	3 مايو 1573	122
982	23 ابريل 1574	112
983	12 ابريل 1575	101
984	31 مارس 1576	90
985	21 مارس 1577	79
986	10 مارس 1578	68
987	28 فبراير 1579	58
988	17 فبراير 1580	47
989	5 فبراير 1581	35
990	26 يناير 1582	25

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
991	25 يناير 1583	24
992	14 يناير 1584	13
993	3 يناير 1585	2
994	23 ديسمبر 1585	356
995	12 ديسمبر 1586	345
996	2 ديسمبر 1587	335
997	20 نوفمبر 1588	324
998	10 نوفمبر 1589	313
999	30 اكتوبر 1590	302
1000	19 اكتوبر 1591	291
1001	8 اكتوبر 1592	281
1002	27 سبتمبر 1593	269
1003	26 سبتمبر 1594	258
1004	6 سبتمبر 1595	248
1005	28 اغسطس 1596	237
1006	14 اغسطس 1597	225
1007	4 اغسطس 1598	215
1008	24 يوليو 1599	204
1009	13 يوليو 1600	194
1010	2 يونيو 1601	182
1011	21 يونيو 1602	171
1012	11 يونيو 1603	161
1013	30 مايو 1604	150
1014	19 مايو 1605	138
1015	9 مايو 1606	128
1016	28 ابريل 1607	117
1017	17 ابريل 1608	107
1018	16 ابريل 1609	95
1019	26 مارس 1610	84
1020	16 مارس 1611	74
1021	4 مارس 1612	63
1022	21 فبراير 1613	51
1023	11 فبراير 1614	41
1024	31 يناير 1615	30
1025	20 يناير 1616	19
1026	9 يناير 1617	8
1027	29 ديسمبر 1617	362
1028	19 ديسمبر 1618	352
1029	8 ديسمبر 1619	341

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
1030	26 نوفمبر 1620	330
1031	16 نوفمبر 1621	319
1032	5 نوفمبر 1922	308
1033	25 اكتوبر 1623	297
1034	14 اكتوبر 1624	287
1035	3 اكتوبر 1625	275
1036	22 سبتمبر 1626	264
1037	12 سبتمبر 1627	254
1038	31 سبتمبر 1628	243
1039	21 اغسطس 1629	232
1040	10 اغسطس 1630	221
1041	30 يوليو 1631	210
1042	19 يوليو 1632	200
1043	8 يوليو 1633	188
1044	20 يونيو 1634	177
1045	17 يونيو 1635	167
1046	5 يونيو 1636	156
1047	26 مايو 1637	145
1048	15 مايو 1638	134
1049	4 مايو 1639	123
1050	23 ابريل 1640	113
1051	12 ابريل 1641	101
1052	1 ابريل 1642	90
1053	22 مارس 1643	80
1054	10 مارس 1644	69
1055	27 فبراير 1645	57
1056	17 فبراير 1646	47
1057	6 فبراير 1647	36
1058	27 يناير 1648	26
1059	15 يناير 1649	14
1060	4 يناير 1650	3
1061	25 ديسمبر 1650	358
1062	14 ديسمبر 1651	347
1063	2 ديسمبر 1652	336
1064	22 ديسمبر 1653	325
1065	11 نوفمبر 1654	314
1066	31 اكتوبر 1655	303
1067	20 اكتوبر 1656	293
1068	9 اكتوبر 1657	281

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
1069	29 سبتمبر 1658	271
1070	18 سبتمبر 1659	260
1071	6 سبتمبر 1660	249
1072	27 اغسطس 1661	238
1073	16 اغسطس 1662	227
1074	5 اغسطس 1663	216
1075	25 يوليو 1664	206
1076	14 يوليو 1665	194
1077	4 يوليو 1666	184
1078	23 يونيو 1667	184
1079	11 يونيو 1668	162
1080	1 يونيو 1669	151
1081	21 مايو 1670	140
1082	10 مايو 1671	129
1083	29 ابريل 1672	119
1084	18 ابريل 1973	107
1085	7 ابريل 1674	96
1086	28 مارس 1675	86
1087	16 مارس 1676	75
1088	6 مارس 1677	64
1089	23 فبراير 1678	53
1090	12 فبراير 1679	42
1091	2 فبراير 1680	32
1092	21 يناير 1681	20
1093	10 يناير 1682	9
1094	31 ديسمبر 1682	364
1095	20 ديسمبر 1683	353
1096	8 ديسمبر 1684	342
1097	28 نوفمبر 1685	331
1098	17 نوفمبر 1686	320
1099	7 نوفمبر 1687	310
1100	26 اكتوبر 1688	299
1101	15 اكتوبر 1689	287
1102	5 اكتوبر 1690	277
1103	24 سبتمبر 1691	266
1104	12 سبتمبر 1692	255
1105	2 سبتمبر 1693	244
1106	22 اغسطس 1694	233
1107	12 اغسطس 1695	223

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
1108	31 يوليو 1696	22
1109	20 يوليو 1697	200
1110	10 يوليو 1698	190
1111	29 يونيو 1699	179
1112	18 يونيو 1700	168
1113	8 يونيو 1701	158
1114	28 مايو 1702	147
1115	17 مايو 1703	136
1116	6 مايو 1704	125
1117	25 ابريل 1705	114
1118	15 ابريل 1706	104
1119	4 ابريل 1707	93
1120	23 مارس 1708	82
1121	13 مارس 1709	71
1122	2 مارس 1710	60
1123	19 فبراير 1711	49
1124	9 فبراير 1712	39
1125	28 يناير 1713	27
1126	17 يناير 1714	16
1127	7 يناير 1715	6
1128	27 ديسمبر 1715	360
1129	16 ديسمبر 1716	350
1130	5 ديسمبر 1717	308
1131	24 نوفمبر 1718	327
1132	14 نوفمبر 1719	317
1133	2 نوفمبر 1720	306
1134	22 اكتوبر 1721	294
1135	12 اكتوبر 1722	284
1136	1 اكتوبر 1723	273
1137	20 سبتمبر 1724	263
1138	9 سبتمبر 1725	251
1139	29 اغسطس 1726	240
1140	19 اغسطس 1727	203
1141	7 اغسطس 1728	219
1142	27 يوليو 1729	207
1143	17 يوليو 1730	197
1144	6 يوليو 1731	186
1145	24 يونيو 1732	175
1146	14 يونيو 1733	164

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
1147	3 يونيو 1734	153
1148	24 مايو 1735	143
1149	12 مايو 1736	132
1150	1 مايو 1737	120
1151	21 ابريل 1738	110
1152	10 ابريل 1739	99
1153	29 مارس 1740	88
1154	19 مارس 1741	77
1155	8 مارس 1742	66
1156	25 فبراير 1743	55
1157	15 فبراير 1744	45
1158	3 فبراير 1745	33
1159	24 يناير 1746	23
1160	13 يناير 1747	12
1161	2 يناير 1748	1
1162	22 ديسمبر 1748	356
1163	11 ديسمبر 1749	334
1164	30 نوفمبر 1750	333
1165	20 نوفمبر 1751	323
1166	8 نوفمبر 1752	312
1167	29 اكتوبر 1753	301
1168	18 اكتوبر 1754	290
1169	7 اكتوبر 1755	279
1170	26 سبتمبر 1756	269
1171	15 سبتمبر 1757	257
1172	4 سبتمبر 1758	246
1173	25 اغسطس 1759	236
1174	13 اغسطس 1760	215
1175	2 اغسطس 1761	213
1176	23 يوليو 1762	203
1177	12 يوليو 1763	192
1178	1 يوليو 1764	182
1179	20 يونيو 1765	170
1180	9 يونيو 1766	159
1181	30 مايو 1767	149
1182	18 مايو 1768	138
1183	7 مايو 1769	126
1184	27 ابريل 1770	116
1185	16 ابريل 1771	105

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
1186	4 ابريل 1772	94
1187	25 مارس 1773	83
1188	14 مارس 1774	72
1189	4 مارس 1775	62
1190	21 فبراير 1776	51
1191	19 فبراير 1777	39
1192	30 يناير 1778	29
1193	19 يناير 1779	18
1194	8 يناير 1780	7
1195	28 ديسمبر 1780	262
1196	17 ديسمبر 1781	350
1197	7 ديسمبر 1782	340
1198	26 نوفمبر 1783	329
1199	14 نوفمبر 1784	318
1200	4 نوفمبر 1785	307
1201	34 اكتوبر 1786	296
1202	13 اكتوبر 1787	285
1203	2 اكتوبر 1788	275
1204	21 سبتمبر 1789	263
1205	10 سبتمبر 1790	252
1206	31 اغسطس 1791	242
1207	19 اغسطس 1792	231
1208	9 اغسطس 1793	220
1209	29 يوليو 1794	209
1210	18 يوليو 1795	198
1211	7 يوليو 1796	188
1212	26 يونيو 1797	186
1213	15 يونيو 1798	165
1214	5 يونيو 1799	155
1215	25 مايو 1800	144
1216	14 مايو 1801	133
1217	4 مايو 1802	123
1218	23 ابريل 1803	112
1219	12 ابريل 1804	102
1220	1 ابريل 1805	90
1221	21 مارس 1806	79
1222	11 مارس 1807	69
1223	28 فبراير 1808	58
1224	16 فبراير 1809	46

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
1225	6 فبراير 1810	36
1226	26 يناير 1811	25
1227	16 يناير 1812	15
1228	4 يناير 1813	3
1229	24 ديسمبر 1813	357
1230	14 ديسمبر 1814	347
1231	3 ديسمبر 1815	336
1232	21 نوفمبر 1816	325
1233	11 نوفمبر 1817	314
1234	31 اكتوبر 1818	303
1235	20 اكتوبر 1819	292
1236	9 اكتوبر 1820	282
1237	28 سبتمبر 1821	270
1238	18 سبتمبر 1822	260
1239	7 سبتمبر 1823	249
1240	26 اغسطس 1824	238
1241	16 اغسطس 1825	227
1242	5 اغسطس 1826	216
1243	25 يوليو 1827	205
1244	14 يوليو 1828	195
1245	3 يوليو 1829	183
1246	22 يونيو 1830	172
1247	12 يونيو 1831	162
1248	31 مايو 1832	151
1249	21 مايو 1833	140
1250	10 مايو 1834	129
1251	29 ابريل 1835	118
1252	18 ابريل 1836	108
1253	7 ابريل 1837	96
1254	27 مارس 1838	85
1255	17 مارس 1839	75
1256	5 مارس 1840	64
1257	23 فبراير 1841	53
1258	12 فبراير 1842	42
1259	1 فبراير 1843	31
1260	22 يناير 1844	21
1261	10 يناير 1845	9
1262	30 ديسمبر 1845	363
1263	20 ديسمبر 1846	353
1264	9 ديسمبر 1847	342
1265	27 نوفمبر 1848	331
1266	17 نوفمبر 1849	320
1267	6 نوفمبر 1850	309
1268	27 اكتوبر 1851	299
1269	15 اكتوبر 1852	288
1270	4 اكتوبر 1853	276
1271	24 سبتمبر 1854	266
1272	13 سبتمبر 1855	255
1273	1 سبتمبر 1856	244
1274	22 اغسطس 1857	233
1275	11 اغسطس 1858	222
1276	31 يوليو 1859	211
1277	20 يوليو 1860	201
1278	9 يوليو 1861	189
1279	29 يونيو 1862	179
1280	18 يونيو 1863	168
1281	6 يونيو 1864	157
1282	27 مايو 1865	146
1283	16 مايو 1866	135
1284	5 مايو 1867	124
1285	24 ابريل 1868	114
1286	13 ابريل 1869	102
1287	3 ابريل 1870	92
1288	23 مارس 1871	71
1289	11 مارس 1872	70
1290	1 مارس 1873	59
1291	18 فبراير 1874	48
1292	7 فبراير 1875	37
1293	28 يناير 1876	27
1294	16 يناير 1877	15
1295	5 يناير 1878	4
1296	26 ديسمبر 1878	359
1297	15 ديسمبر 1879	348
1298	4 ديسمبر 1880	338
1299	23 نوفمبر 1881	326
1300	12 نوفمبر 1882	315
1301	2 نوفمبر 1883	305
1302	21 اكتوبر 1884	294

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
1303	10 اكتوبر 1885	282
1304	30 سبتمبر 1886	272
1305	19 سبتمبر 1887	261
1306	9 سبتمبر 1888	250
1307	27 اغسطس 1889	239
1308	17 اغسطس 1890	228
1309	7 اغسطس 1891	218
1310	26 يوليو 1892	207
1311	15 يوليو 1893	195
1312	5 يوليو 1894	185
1313	24 يونيو 1895	174
1314	12 يونيو 1896	163
1315	2 يونيو 1897	152
1316	22 مايو 1898	141
1317	12 مايو 1899	131
1318	1 مايو 1900	120
1319	20 ابريل 1901	109
1320	10 ابريل 1902	99
1321	30 مارس 1903	88
1322	18 مارس 1904	77
1323	8 مارس 1905	66
1324	25 فبراير 1906	55
1325	14 فبراير 1907	44
1326	4 فبراير 1908	34
1327	23 يناير 1909	22
1328	13 يناير 1910	12
1329	2 يناير 1911	1
1330	22 ديسمبر 1911	355
1331	11 ديسمبر 1912	345
1332	30 نوفمبر 1913	333
1333	19 نوفمبر 1914	322
1334	9 نوفمبر 1915	312
1335	28 اكتوبر 1916	301
1336	17 اكتوبر 1917	289
1337	7 اكتوبر 1918	279
1338	26 سبتمبر 1919	268
1339	15 سبتمبر 1920	258
1340	4 سبتمبر 1921	246
1341	24 اغسطس 1922	235
1342	14 اغسطس 1923	225
1343	2 اغسطس 1924	214
1344	22 يوليو 1925	202
1345	12 يوليو 1926	192
1346	1 يوليو 1927	181
1347	20 يونيو 1928	171
1348	9 يونيو 1929	159
1349	29 مايو 1930	148
1350	19 مايو 1931	138
1351	7 مايو 1932	127
1352	26 ابريل 1933	115
1353	16 ابريل 1934	105
1354	5 ابريل 1935	94
1355	24 مارس 1936	83
1356	14 مارس 1937	72
1357	3 مارس 1938	61
1358	21 فبراير 1939	51
1359	10 فبراير 1940	40
1360	29 يناير 1941	28
1361	19 يناير 1942	18
1362	8 يناير 1943	7
1363	28 ديسمبر 1943	361
1364	17 ديسمبر 1944	351
1365	6 ديسمبر 1945	339
1366	25 نوفمبر 1946	328
1367	15 نوفمبر 1947	318
1368	3 نوفمبر 1948	307
1369	24 اكتوبر 1949	296
1370	13 اكتوبر 1950	285
1371	2 اكتوبر 1951	274
1372	21 سبتمبر 1952	264
1373	10 سبتمبر 1953	252
1374	30 اغسطس 1954	241
1375	20 اغسطس 1955	231
1376	8 اغسطس 1956	220
1377	29 يوليوز 1957	209
1378	18 يوليوز 1958	198
1379	7 يوليوز 1959	187
1380	26 يونيو 1960	177

السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية	السنة الهجرية	مطابقة غرة المحرم للتاريخ الميلادي	الأيام التي خلت من بدء السنة الميلادية
1381	15 يونيو 1961	165	1402	30 اكتوبر 1981	302
1382	4 يونيو 1962	154	1403	19 اكتوبر 1982	291
1383	25 مايو 1963	144	1404	8 اكتوبر 1983	280
1384	13 مايو 1964	133	1405	27 سبتمبر 1984	270
1385	2 مايو 1965	121	1406	16 سبتمبر 1985	258
1386	22 ابريل 1966	111	1407	6 سبتمبر 1986	248
1387	11 ابريل 1967	100	1408	26 اغسطس 1987	237
1388	31 مارس 1968	90	1409	14 اغسطس 1988	226
1389	20 مارس 1969	78	1410	4 اغسطس 1989	215
1390	9 مارس 1970	67	1411	24 يوليوز 1990	204
1391	27 فبراير 1971	57	1412	13 يوليوز 1991	193
1392	16 فبراير 1972	46	1413	2 يوليوز 1992	183
1393	4 فبراير 1973	34	1414	21 يونيو 1993	171
1394	25 يناير 1974	24	1415	10 يونيو 1994	160
1395	14 يناير 1975	13	1416	31 مايو 1995	150
1396	3 يناير 1976	2	1417	19 مايو 1996	139
1397	23 ديسمبر 1976	357	1418	9 مايو 1997	128
1398	12 ديسمبر 1977	345	1419	28 ابريل 1998	117
1399	2 ديسمبر 1978	335	1420	17 ابريل 1999	106
1400	21 نوفمبر 1979	324	1421	6 ابريل 2000	96
1401	9 نوفمبر 1980	313			

* يطلب الكتاب من دار نشر المعرفة *

زنقة الرخاء ـ الحي الصناعي ص.ب. 1213

الرباط ـ المملكة المغربية ـ الهاتف 79.57.02 ـ 79.69.14

مطبعة المعارف الجديدة

زنقة الرخاء ـ الحي الصناعي

الهاتف 7947 08/09/15

الرباط